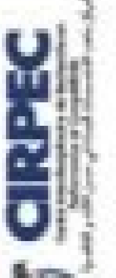
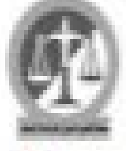
جامعة طبرق - ليبيا
المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الأداء والتنافسية؛
جامعة محمد الخامس- المغرب










المركز الديمقراطي العربي

خارطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي

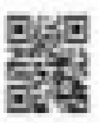
وقائع المؤتمر الدولي الافتراضي

خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي

بين الأصالة والمعاصرة

أيام 16/17 يناير 2021

بواسطة تقنية التحاضر المرئي عبر تطبيق (ZOOM)






أشغال المؤتمر العلمي الدولي الأول

حـــول:

" خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الاصالة والمعاصرة"

أيام16 و17 – 01 – 2021 اقامة المؤتمر بواسطة تقنيَّة التَّحاضر المرئي عبر تطبيقZoom

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. برلين _ألمانيا.

الطبـــعـــة الأولى 2021

أشغال المؤتمر العلمي الدولي الأول

عنوان الكتاب : خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الاصالة والمعاصرة

اشراف وتنسيق: د. إبراهيم الأنصاري

رقم تسجيل الكتاب: VR.3383.6484.B

الطبعة : الاولى 2021

الناشر:
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. برلين _ألمانيا

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

Germany
Berlin 10315 Gensinger Str: 112
Tel: 0049-Code Germany
58228345 -131
10811212 -131
29851112 -131
mobiltelefon : 00491742783717
E-mail: info@democraticac.de
P.hD candidate: Ammar Sharaan
Chairman ” Democratic German Center







أشغال المؤتمر العلمي الدولي حول:

خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الاصالة والمعاصرة

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. برلين - ألمانيا.

بالتعاون مع

جامعة طبرق – ليبيا

المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الاداء والتنافسية التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط – المغرب.

الهيئة المشرفة على المؤتمر

رئيس المؤتمر: دة. ناجية عياد العطراق- رئيس قسم الاستشارات بمركز البحوث والاستشارات – جامعة صبراته – ليبيا

امين عام المؤتمر: د.عمّار ميلاد نصر القذافي

رئيس الشرفي للمؤتمر: أ.د حسن على حسن خير الله –رئيس جامعة طبرق ليبيا.

د. عمر حنيش- نائب رئيس جامعة محمد الخامس بالرباط، مكلف بالشؤون الاكاديمية والطلابية

رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر: د. إبراهيم الانصاري- أستاذ التعليم العالي – كلية الاداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء– المغرب.

رئيس المركز: الأستاذ عمار شرعان- رئيس المركز الديمقراطي العربي ألمانيا – برلين

أيام16 و17 – 01 – 2021 اقامة المؤتمر بواسطة تقنيَّة التَّحاضر المرئي عبر تطبيق Zoom

اللجنة العلمية:

- ✓ د. إبراهيم الانصاري: رئيس اللجنة العلمية – أستاذ التعليم العالي –جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء
- ✓ د. ناجية عياد العطراق- جامعة صبراته – ليبيا
- ✓ د. عبد الحجوي جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب
- ✓ د.محمد الساعدي اصبيع – جامعة سرت- ليبيا
- ✓ عبد العزيز فعراس –أستاذ التعليم العالي بكلية علوم التربية جامعة محمد الخامس الرباط
- ✓ د. عبد القادر التايري، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
- ✓ أ. إبراهيم احرير جامعة سرت ليبيا
- ✓ د. جواد الزروقي، جامعة الحسن الثاني ،الدار البيضاء المغرب.
- ✓ د. محمد المختارحي – الجامعة الإسلامية فرغ السنغال



- ✓ د.جيهان فقيه – الجامعة اللبنانية – لبنان
- ✓ د. عمران الهاشمي المجدوب- الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – ليبيا.
- ✓ د. إدريس بلعابد، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، وجدة، المغرب
- ✓ د. محمد شرف الدين الفيتوري – الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – ليبيا.
- ✓ د. المحجوب بوسيف – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين جهة بني ملال خنيفرة–المغرب-
- ✓ خزيم خزام الخالدي -جامعة اليرموك –الأردن
- ✓ أ. سالم أمعتيق الهمالي – جامعة سرت – ليبيا.
- ✓ د. ناصف فرج موسى – جامعة طبرق – ليبيا.
- ✓ د. محمد الحسني، مركز الشرق للدراسات والأبحاث، المغرب
- ✓ د. جمال الطاهر عبد العزيز – جامعة الزيتونة – ليبيا
- ✓ د. صدفة الطاهر جامعة الازهر
- ✓ د. محمد النذير عبدالله – جامعة حائل
- ✓ أ.د عابدين الدردير الشريف، جامعة طرابلس
- ✓ د. فؤاد الربع، مركز الشرق للدراسات والأبحاث، المغرب
- ✓ د. عبد الواحد بوبرية – أستاذ التعليم العالي، ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- ✓ د. محمد جلال العدناني – أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- ✓ د. منى خميس عقيلة – جامعة طبرق – ليبيا
- ✓ د. عمرو صبري أبو جبر جامعة فلسطين
- ✓ د. بحري أحمد جامعة وهران
- ✓ د. أمحمد مولاي – الجامعة الأفريقية – أدرار
- ✓ د. سالم عيسى بلحاج الأكاديمية الليبية -ليبيا
- ✓ د. رحيمة الطيب عيساني جامعة العين البحرين
- ✓ د. أحلام حال جامعة وهران الجزائر.
- ✓ د. رحمة شرقي – جامعة ورقلة – الجزائر
- ✓ د. رضا عبدالواحد أمين جامعة الازهر – مصر
- ✓ د. الزورق عدلان جامعة الجزائر 3
- ✓ د. مي العبدالله- لبنان
- ✓ د. هجيرة بن سفغول الجزائر جامعة بليدة
- ✓ د. غيث مسعود مفتاح – جامعة سرت – ليبيا
- ✓ د. هشام المكي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب
- ✓ د. سالم الصغير امحمد جامعة سرت– ليبيا
- ✓ د.فرج عمر موسى بن وليد -ليبيا
- ✓ د. على منعم محمد قضاة الأردن الجامعة المفتوحة
- ✓ د. محمد الدويب جامعة طرابلس– ليبيا
- ✓ د. عمار طاهر محمد العراق
- ✓ د. كمال خورشيد مراد – الأردن جامعة الشرق الأوسط
- ✓ د. حسن رامو – أستاذ التعليم العالي مؤهل، – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- ✓ د. أحمد الحضرمي – سلطنة عمان
- ✓ د. ساعد ساعد – جامعة الملك خالد – السعودية



- د. بلال داوود، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، المغرب
- د. عبدالرؤوف السيد – السودان
- د. حمليل صالح – الجامعة الأفريقية – إدرار الجزائر
- د. إبراهيم سالم اشتيوي جامعة الزيتونة – ليبيا
- د. رشيد السليماني، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب
- د. الشريف درويش اللبان – كلية الإعلام – جامعة القاهرة – مصر
- د. علي سيد – جامعة المنيا – مصر
- د. بيرق حسين – العراق- جامعة بغداد
- د.ميادة مصطفى كيالي- سوريا
- د. عمار رابح – جامعة وهران – الجزائر
- د. أيمن منصور جامعة القاهرة – مصر
- د. محمد الأصفر – جامعة الزيتونه – ليبيا
- د. عصام نصر الشارقة، الإمارات
- د. عبد الكريم الزياني – البحرين
- د. كاظم خلف العلي جامعة البصرة – العراق
- د.حسين حسين زيدان- العراق
- د. عبد الله معروف، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة بني ملال خنيفرة، المغرب
- د. حسن بوتاكا، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

اللجنة التنظيمية:

- رئيس اللجنة التحضيرية :أ. عبدالحميد المهدي إدريس
- د. حسن شباني – أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – جهة بني ملال خنيفرة – المغرب
- د. ابراهيم جابر – أستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة بني ملال خنيفرة – المغرب
- د. اسامة دموش – جامعة وهران – الجزائر
- ا. فرج العربي أستاذ الإعلام – جامعة إجدابيا/ ليبيا.
- أ.مرعي ميلاد نصر – أستاذ الشريعة والقانون – جامعة طبرق/ ليبيا
- يوسف بوغرارة/ علوم سياسية و علاقات دولية، تخصص حقوق الإنسان و الأمن الإنساني – كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة وهران 2.
- كريم عايش – شعبة القانون العام – كلية الحقوق اكدال – جامعة محمد الخامس – الرباط
- أميرة احمد حرزلي، باحثة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية – كلية الحقوق والعلوم السياسية – جامعة باجي مختار / عنابة ـ الجزائر.
- هشام قاضي/ الجزائر.
- سعد معزب أرحيم ، مدير مكتب التدريب والتأهيل جامعة طبرق ليبيا.



الفــــهــــــرســــــت









توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا وشفيعنا محمدٍ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين, وبعد:

إن الانغلاق الثقافي أمام تيارات العصر، والدعوة إلى الانكفاء والتشرنق على الذات (والهوية، والأصالة، ومشتقاتهما...)، دون الانفتاح الثقافي غير المشروط على ((الآخر)) ينم على الفهم الخاطئ لفكرة العولمة التي هي في مفهومنا سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقنية ولكن يوجد فارق بين التثاقف والعنف الثقافي من جانب واحد فيعني الأول الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى بعضها الآخر، كما يعني الاعتراف المتبادل بينها، ومنه الاعتراف بحق الاختلاف وهو من أقدس حقوق الإنسان، فيما لا ينطوي الثاني سوى على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته. يرادف الأول معنى الحوار والتفاهم، بينما يتلازم معنى الثاني مع الإكراه والعدوان. أما الأهم في الأمر، فهو أن التثاقف يجري بين الثقافات على قاعدة الندية، وهو ما يمتنع دون اعتبار أية ثقافة لشخصيتها وحرمتها الرمزية، فيما لا يعبر فعل الاختراق والتجاوب معه سوى عن دونية يأباها أي انفتاح وأي حوار .

من هذا المنطلق ولإجلاء الغموض والضبابية حول هذا الموضوع جاءت فكرة هذا المؤتمر الذي شارك فيه نخب علمية متخصصة بمشاركات متميزة حول الموضوع من مختلف الدول العربية والمغاربية.

فالشكر كل الشكر لكل من نظم واشرف وشارك في هذا المؤتمر ونخص بالذكر المركز العربي الديمقراطي ببرلين وجامعة محمد الخامس ومركز متعدد التخصصات وجامعة طبرق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. ناجية عياد العطراق/ ليبيا

رئيس المؤتمر



كلمة الامين العام للمؤتمر :

أهم ما يميز هوية أي مجتمع هو قدرتها على صياغة جديلة كاشفة عن التنوع داخله، بحيث تغدو مركزا جامعا لتلك الاختلافات؛ ومن جانب أخر أيضا تعتبر الثقافة مركب يظم الدين والعادات والأعراف والقوانين والسلوكيات داخل المجتمعات، ومن هذا المنطلق نجد أن ثقافة أي مجتمع تسعى إلى الحفاظ على هويته التي تمنحه طابعا مميزا عن الثقافات الأخرى، وهذا يجعل وجود الصراع بين الثقافات حتميا، لأن هناك بعض القوى العالمية تنطلق من فكرة العولمة في سياقها الفكري، وتحاول فرض نموذج ثقافي يهيمن على جميع الثقافات المحلية.

فالاعتماد على التراث وما أنتجته الحضارة من معارف وحدها لن يُمكِّن هذه المجتمعات أن تعيش اللحظة الراهنة متسقين مع العصر وما ينتجه من ثقافة و إبداع وفكر، لذا يأتي تجديد التراث الثقافي على أولويات التحديات لمجتمعنا العربي الذي يجد نفسه مشدودا إلى الماضي؛ ليميزه عن المجتمعات الأخرى، بشرط أن يتم ذلك عبر: "ممارسة العقلانية في قراءتنا لتراثنا، فهي السبيل لأجل صياغة حداثة خاصة بنا، تمكّننا من الانخراط في سيرورة الحداثة العالمية كفاعلين وليس مجرد منفعلين؛ لأن الحداثة لا تطلب من أجل ذاتها، فنحن نطلبها كونها تمثل رسالة حضارية، ونزوعاً من أجل التحديث، تحديث الذهنية، وكذا المعايير العقلية والوجدانية.

ومن خلال ذلك فإن هذا المؤتمر جاء من منطلق ترسيخ مفهوم الهوية والوحدة الوطنية، و أبعادها والتعرف على أهم المتغيرات العصرية وتأثيرها على المجتمع، ودراسة دور وسائل الاتصال في تبادل الثقافات والحفاظ على الهوية السائدة ، وتفسير وتحليل عناصر الثقافة وتقييمها وتحديد مشاكلها، من أجل إيجاد مجموعة من التصورات لدعم الثقافة السائدة،ومحاولة إيجاد فضاء تواصلي بين الباحثين لتبادل المعلومات والخبرات والاطلاع على أحدث الأبحاث حول استراتيجيات التعامل مع الشباب في مجال التوعية والوقاية من الآفات الاجتماعية الوافدة، ومحاولة الخروج باستراتيجية عامة تتضمن الوقاية وسبل المعالجة من أجل إرساء نموذج ثقافي تنموي وطني ناجح ، في إطار قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي في المجتمع العربي الإسلامي.

والله ولي التوفيق

الاستاذ : عمّار ميلاد نصر القذافي أستاذ مساعد بجامعة سرت ليبيا.



المواطنة وتعزيز قيم الانتماء والتعايش المشترك في المجتمع العربي

Citizenship and the promotion of the values of belonging and coexistence in the Arab community

الدكتور مصباح هشام جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2

البريد الالكتروني hicham.philo21@gmail.com

الملخص بالعربية: : يعد الحديث عن المواطنة وقيم الانتماء من القضايا المحورية خصوصاً في الفترة الراهنة وما عرفته من تغيرات كبرى شملت جميع مناحي الحياة الإنسانية المعاصرة في ظل المد الهائل للعولمة وإفرازاتها المتنوعة في كافة المجالات الاجتماعية، التكنولوجية، الاقتصادية، السياسية والثقافية حيث أصبح العالم مفتوحاً على العديد من الرؤى التي لم تبق محصورة في مكان أو زمان محدد بل أطلقت العنان لجموحها المتوغل في صميم الحياة الإنسانية، لذلك فالمواطنة اليوم أكثر حضوراً نتيجة تنوع الثقافات واختلافها داخل المجتمع الواحد الأمر الذي ينتج عنه تعدد الهويات والأنماط الفكرية الناتجة عنها حتماً، ومن ثمة احتلت مسألة المواطنة وأبعادها المتنوعة مكانة مركزية داخل المنظومة الفكرية المعاصرة سواء في العالم الغربي أو عالمنا العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المواطنة، القيم، التعايش، العيش، الانتماء، العالم العربي.

Abstract in Arabic: Talking about citizenship and the values of belonging is one of the central issues, especially in the current period, and the major changes I have known that have included all aspects of contemporary human life in light of the tremendous tide of globalization and its various aspects in all social, technological, economic, political and cultural fields, as the world has become open. On the many visions that did not remain confined to a specific place or time, but unleashed their wildness that permeates the core of human life, so citizenship today is more present as a result of the diversity of cultures and their differences within a single society, which results in the multiplicity of identities and intellectual patterns that inevitably result from it, and from there it occupied The issue of citizenship and its various dimensions is a central place within the contemporary intellectual system, whether in the Western world or our contemporary Arab world.



مقدمة: إن المواطنة اليوم بمثابة الرهان الأخلاقي والسياسي والقانوني وغيرها من الأبعاد الأخرى التي حملها المفهوم ومدى حضوره الفعّال داخل منظومة المجتمع المعاصر نتيجة القيم التي تستند عليها والتي تلعب دوراً محورياً في تنمية مبادئ التعايش المشترك وثقافة الانتماء بعيداً عن كل تمظهرات التمييز والعنصرية وكل أشكال التطرف التي لا أساس لها من الصحة، ومن هذا المنطلق ستحاول هذه الورقة البحثية الوقوف عند المحطات الكبرى والحاسمة التي تتأسس عليها المواطنة اليوم في ظل التحديات الراهنة المفروضة على الإنسان العالمي والإنسان العربي على وجه الخصوص الذي وجد نفسه أمام تحديات جديدة لم يألفها من قبل، بفعل التغير الكبير الذي عرفه العالم نتيجة الثورات العلمية التي شهدها القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، فما هو مفهوم المواطنة؟ وفيما تتجلى أبعادها المختلفة؟ ثم كيف يتم تحقيق مبدأ التعايش السلمي في ظل التغيرات الحاسمة التي يعرفها عالمنا العربي المعاصر؟.

1- تاريخية مفهوم المواطنة: أ- المواطنة لغة في اللغة العربية مأخوذة من الوطن أي المنزل الذي يقيم فيه, وهو موطن الإنسان ومحله, ويقال وطن البلد أي اتخذه وطنا, توطن البلد وجميع الوطن أوطان بمعنى منزل إقامة الإنسان سواء ولد فيه أم لم ويولد.[1] ومواطنة مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولدا على وزن فاعل.[2]

أما في اللغة الفرنسية فمأخوذة من citoyenneté وفي الإنجليزية citizenchip وصيغة اسم الفاعل من الاسم مواطنة, والمواطن citoyen والإنجليزية Citizen وهي مشتقة من الفعل واطن أي عاش معهم في قوم واحد،[3]فالمواطنة بهذا المعنى اللغوي تعني ضرورة وجود قوم كما جاء عند جميل صليبا, أو مجموعة من البشر تتم مواطنتهم, فهي صفة تفاعلية تقوم على تبادل التأثير والتأثر بين مجموعة من الناس, الأمر الذي يعطيها معنى العلاقة الإنسانية الاجتماعية. كما تعني وجود الوطن الواحد المشترك بين هؤلاء الناس وهو ما يبرر أنها مشتقة لغويا من الوطن ,وهو ما تشير إليه دائرة المعارف البريطانية بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقات من حقوق وواجبات .[4]

ب: المواطنة اصطلاحا: لقد وردت العديد من التعاريف حول المواطنة والتي من بينها: أن المواطنة تشير إلى التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة , فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين وعليه واجبات عليه القيام بها.[5]

فالمواطنة علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة, وكما تتضمنه تلك العلاقة بين حقوق وواجبات في تلك الدولة,[6] فهي تعبير عن معادلة الحقوق والواجبات بوصفه مشروع ينجز في التاريخ بصورة تدريجية وعبر مراحل وتتدخل

---

[1]- ابن منظور, لسان العرب, دار إحياء التراث العربي , بيروت, الطبعة الثانية, 1993, ص,338.

[2]- محمد العدناني , معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة, مكتبة لبنان, بيروت, 1984, ص, 725.

[3]- جميل صليبا, المعجم الفلسفي,ج2, دار الكتاب اللبناني, بيروت, لبنان,ص,439.

[4]- ناظم عبد الواحد الجاسور, موسوعة علم السياسة, دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, عمان , الأردن, ط1, 2004, ص, 348.

[5]- ميشان مان, موسوعة العلوم الاجتماعية, ت, عادل الهواري وسعد مصلوح, مكتبة الفلاح,1984, ص,110.

[6]-سعيد عبد الحافظ, المواطنة حقوق وواجبات, مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية, القاهرة 2007, ص, 10.






في انجازه العديد من العوامل كالتربية والثقافة والدين والسياسة وإشراك العديد من المؤسسات الفاعلة في المجتمع كالأسرة والمؤسسة التعليمية وغيرها.

2- المواطنة عبر مراحل الفكر الإنساني :

أ: في الحضارات القديمة (اليونان والرومان): يرجع استعمال مفهوم المواطنة إلى العصر الإغريقي من خلال الألفاظ المعبرة عنها من قبيل لفظ مواطن civis, والمواطنة civites, حيث كانت المدينة اليونانية وعلاقاتها بالمواطنين وثيقة من خلال إشراكهم في الحياة العامة.[7] حيث تميز المواطن الأثيني عن غيره من المواطنين بأنه وحده من ينطبق عليه لفظ المواطن دون غيره من الرجال فهم محرومون من حق المواطنة.[8] فقد كان الملاك عند الإغريق هم المواطنون الدين يدلون بأصواتهم, ويدفعون الضرائب ويئودون الخدمة العسكرية , وبالتالي بروز البعد الاقتصادي المتجسد في الملكية, والبعد السياسي في الإدلاء بالأصوات والبعد العسكري.[9]

وقد عبّرَ عن ذلك أفلاطون في كتابه الجمهورية أن الطبيعة شاءت أن يخلق الإنسان حاكما أو محكوما حيث يقول: " إن الحقيقة التي أقرتها الطبيعة هي أن المريض سواء أكان غنيا أو فقيرا ينبغي أن ينتظر على باب الطبيب , وإن كل إنسان يحتاج إلى أن يكون محكوما يجب عليه أن ينتظر على باب القادر على الحكم"[10]، من خلال تقسيمه المجتمع إلى ثلاث طبقات هي طبقة الحكام والفلاسفة وطبقة الجند والمحاربين , وطبقة الصناع والتجار والمزارعين , أما العدالة بوصفها هدف المواطنة فتكمن في كل طبقة على حدا .[11]

أما أرسطو فالمواطن عنده هو الرجل الممتاز من بين الرجال الأحرار المشارك في سياسية الدولة مشاركة فعلية , فهو جندي في شبابه حاكم في كهولته, كاهن في شيخوخته وبالتالي يكون في خدمة الدولة دائما،[12] فأفضل الدساتير عنده هي التي هي التي يكون فيها جميع أعضاء الدولة مواطنين يشكلون باجتماع فضائلهم أجزاء الجسد الواحد على أن لا يتعدى تعدادهم حدا لا يمكن التحكم فيه.[13]

7- العادلي حسين درويش, المواطنة, دار المرتضي , بغداد ,2006,ص,7.

8- المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

9- أسعد مفرج وآخرون, موسوعة علم السياسة , ج24, دار النشر Nobilis, بيروت, د ط,2006, ص, 176.

10 يوسف كرم, تاريخ الفلسفة اليونانية , ج1, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1936, ص,282.

11- المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

12- ماري لويزا برنيري, المدينة الفاضلة عبر التاريخ, ت, عطيات أبو السعود, الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,1997, ص,28.

13- المرجع نفسه, ص,28.



ب: المواطنة في الحضارة الرومانية: لقد منحت المواطنة في الإمبراطورية الرومانية على المقيمين في روما وجميع السكان الأحرار في الإمبراطورية, حيث منحت على أساس شخصي أي بموجب الأصل لا الانتماء الجغرافي, وذلك حتى سنة 212م أين وسع حق المواطنة كي يشمل جميع أقاليم الإمبراطورية الرومانية .[14]

ج: المواطنة في الإسلام: لقد شكّلَ المجتمع المسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً لمجتمع المواطنة من خلال تأسيسه على الأسس الوطنية بمعنى ضمان الحقوق والواجبات بغض النظر عن المعتقدات الخاصة بالمواطن, وهذا يتجلى من خلال ما أقرّهُ الرسول صلى الله عليه وسلم من مبادئ تنظم العلاقات بين المسلمين وغيرهم من خلال دستور يكفل لكل المواطنين الحقوق والواجبات على اختلاف المعتقد .[15]الأمر الذي يجعل منه أول من جسّدَ مفهوم المواطنة الصالحة وتجسيد مبدأ العدل الإلهي والمساواة بين البشر بغض النظر عن العرق أو الطبقة أو الدين امتثالا للآية الكريمة:" **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيِّ** "[16]

فقد وضع الإسلام قواعد عامة للحكم والتشريع مستمدة من الدين من قبيل: أن يكون للناس ولي أمر يلي أمرهم لأن كلا منهم ينصرف إلى شؤونه الخاصة فلابد لهم من شخص يقوم بشؤونهم العامة مما لا غنى لهم عنها في حياتهم وقد ذكرهم الله في قوله تعالى: " **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا**".[17] كما يجب أن تتوفر فيه شروط الولادة والقيادة وان يتم اختياره بالرضي بينهم في اختيار من يمثلهم ويتولى أمورهم يقول تعالى: " **إن الله يأمركم أن تؤذوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم أن تحكموا بالعدل** "،[18] وأن يكون الحكم بالشورى لقوله تعالى: " **وأمرهم شورى بينهم**" .[19]

وبهذا يكون الدين الإسلامي قد أرسى قواعد المواطنة وبيّنَ حقوق المواطن ووجباته في ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من دستورٍ تسيرُ عليه المدينة ويحدد مبادئها وأسسها.

ذ: المواطنة في العصر الحديث: ظهرت المواطنة كمصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1783 وهي مأخوذة من كلمة مواطن، وتعني صفة المواطن الذي ينتمي إلى وطن معين،[20] ثم تطورت لتعبِّر عن مجموع الحقوق المدنية والسياسية التي نصت

---

[14]- ديريك هيتر, تاريخ موجز للمواطنة, ترجمة أصف ناصر ومكرم خليل, دار الساقي, بيروت , لبنان, 2007, ص,29.

[15]- ناصر إبراهيم, أصول التربية, الوعي الإنساني, مكتبة الرائد العلمية, الأردن,2004, ص,8.

[16]- سورة البقرة, الأية,256.

[17]- سورة النساء, الآية, 83.

[18]- سورة الشورى, الآية 38.

[19]- سورة أل عمران, الآية 159.

[20]- قصير مهدي, مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية, أطروحة دكتوراه, جامعة وهران,2015,2016, ص,42.



عليها الثورة الفرنسية سنة 1789 وإعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية 1776, إضافة إلى إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عن هذه الثورة. [21]

حيث يقوم النموذج الأمريكي حول المواطنة على مجموعة من المبادئ والأسس مثل المبادرة الفردية, وأن النجاح الاجتماعي مرتبط بالنجاح الاقتصادي وحرية الأفراد النابعة من مبادئ الفكر البراغماتي وفلسفة جون ديوي.[22]

أما النموذج الفرنسي فيقوم على الروح الجماعية وهيمنة المجتمع على الفرد وسيادة الأخلاق الاجتماعية النابعة من المرجعية الفكرية لإميل دوركايم, وأن النجاح الاجتماعي مرتبط بمدى احترام المعايير الثقافية.[23]

فقد شهدت الفترة الحديثة تغيّراً وتطوراً في مفهوم المواطنة حيث اتسع تطبيقه على نطاقٍ واسعٍ ليشمل كل الفئات من المواطنين البالغين سن الرشد ومن دون تمييز سواء رجال أو نساء, فكلهم يتمتعون بحق المشاركة الفعّالةِ في اتخاذ القرارات الجماعية تعبيرا عن كون الشعب مصدر للسلطات, بالإضافة إلى تعدد أبعادها وشمولها كل الجوانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي إضافة إلى الحقوق السياسية والقانونية.[24]

و: المواطنة في الفترة المعاصرة: لقد تطور مفهوم المواطنة بعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة1777والثورة الفرنسية التي جاءت تحت شعار (العدل, الحرية, والمساواة) حيث تحول مفهوم المواطنة إلى ضرورة التأكيد على مبدأ المساواة وأنهم جميعهم ولدوا متساويين، وأنَّ الشعب هو صاحب السيادة, وأنَّ مفهوم المواطنة مبني على فكرة الشعب مصدر السلطة .[25]

فمفهوم المواطنة في الوقت المعاصر قد خرج من نطاقه التقليدي ليصبح حقٌ ثابتٌ في الحياة القانونية، السياسية، الاجتماعية والاقتصادية بين الدولة ورعياها, حيث ظهر مفهوم المواطنة الكاملة التي تقوم على سيادة الحكم القانوني والمشاركة السياسية في مؤسسات الدولة, ومنها تكون دولة المواطنة دولة الإنسان, دولة القانون التي تقرُّ وتعترف بالمساواة والعدل أي رافضة لكل أشكال الدولة الدكتاتورية, العرقية, الطائفية, الحزبية, العشائرية, العائلية التي تؤسس على أساس الهيمنة والإقصاء في تنظيم العلاقات والإقصاء في تنظيم العلاقات والاستحقاقات بين المواطنين وشركائه في الوطن الواحد. [26]

---

[21]- المرجع نفسه, ص,42.

[22]- المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

[23]- المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

[24]- علي خليفة الكواري, مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية , المستقبل العربي, العدد 264، بيروت, مركز دراسات الوحدة العربي, فيفري,2001,ص,177.

[25]- العادلي حسين درويش, المرجع السابق,ص,10.

[26]- المرجع السابق, الصفحة نفسها.

وبالتالي فقد شهد مفهوم المواطنة تغيرات عديدة في مضمونه واستخداماته ودلالاته، فلم يعد يعني العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي والقانوني بل أصبح له مدلول اجتماعي وأبعاد وقيم تربوية سياسية, اقتصادية, ثقافية وفلسفية.

فالمواطنة تشير إلى تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارستها في بقعة جغرافية معينة تُعْرَفُ في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون حيث يكون جميع المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.[27]

فهي تعبِّرُ عن نفسها في أرض الواقع من خلال مشاركة المواطنين في الشأن العام, يشاركون بالرأي والصوت الانتخابي وممارسة المنصب السياسي حيث ترتبط هذه المشاركة بعمق انتمائهم للوطن الذين يعيشون فيه واستعدادهم للعمل على رقيه وتقدمه.[28] هذه المساواة القانونية والمشاركة السياسية تقوم على أمرين هما الوضع الاجتماعي و الاقتصادي الذي يحقق للمواطن احتياجاته الأساسية, والمؤسسات التعليمية والتربوية من خلال تنشئة الأجيال المتلاحقة على قيم المواطنة والمساواة والحرية وقبول الأخر والتنوع الثقافي والحضاري .

وهو الأمر الذي جعل منها موضوعاً من المواضيع الرئيسية في المجتمعات الديمقراطية أو الطامحة إليها, ما جعل اهتمام المفكرين بها يزداد ويلقى أولوية وأهمية كبرى من قبل العديد من المفكرين سواء القدامى أو المعاصرين نظرا للدور الذي تلعبه على مستوى ترقية الفرد والمجتمع خاصة وأنها تساهم في تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات ومدى تقوية الرابط الاجتماعي وترقية الحس المدني لدى الأفراد من خلال احترام العيش المشترك واحترام القانون .[29]

فالمواطنة مصطلح سياسي حي ومتحرك يتطور مع التاريخ ولذلك يصعب تحديد تعريف جامع وثابت لها، ولكن تجمعُ فيها المشاركة الواعية والفاعلة لكل شخص دون استثناء ودون وصاية من أي نوع من الأطر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدولة، [30] وهذا ما نجده في إسهام العديد من المفكرين وعلى مدى عصور طويلة من بلورة المفهوم ومحاولة تكييفه مع متطلبات التغيرات التي عرفتها مجتمعاتهم .

3- أبعاد المواطنة: للمواطنة العديد من الأبعاد المعبرة عن الغاية الجوهرية التي تسعى إليها المواطنة ومن بينها يمكن التأكيد على الأبعاد التالية :

---

[27]- سامح فوزي, المواطنة, سلسة تعليم حقوق الإنسان, الطبعة الأولى,2007,مركز القاهرة,ص,8.

[28]- المرجع نفسه, الصفحة نفسها

[29]- خالدي محمد, تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر, إشراف بلخضر مزوار, رسالة دكتوراه, جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان,2015,2016,ص,13.

[30]- حفيظة شقير, المرجع السابق,ص,12.



أ- البعد الفلسفي القيمي: تؤكد المواطنة بوصفها إنتاج ثقافي إنساني على المرجعية الفلسفية والقيمة, وما تتضمنه من مفاهيم كالحرية والعدل والحق والخير والمصير المشترك .[31]

ب: البعد السياسي والقانوني: تتمثل في مجموعة من القواعد والمعايير التنظيمية السلوكية داخل المجتمع والتمتع بحقوق المواطنة الكاملة كالحق في المشاركة والتدبير واتخاذ القرارات وتحمل المسؤوليات والقيام بالواجبات وحرية التعبير, والمساواة وتكافؤ الفرص، [32] ويعد البعد السياسي من أهم أبعاد المواطنة لأنها تقاس بمدى إسهام الفرد في فعاليات جماعية مثل التمتع بالحقوق المدنية المرتبطة بالجنسية, وما رافقها من حقوق كحق التصويت في الانتخابات والترشح.[33]

أما البعد القانوني فيشمل الشروط والضوابط التي من شأنها أن تكسبَ الفرد صفة المواطن أو العكس, فالمواطن هو ذلك المعترف به كمواطن على مستوى القانون.[34]

ج: البعد الاجتماعي والثقافي: ويتجلى البعد الاجتماعي في الصيغة المجتمعية التي تعدُ مطلباً أساسيا لوجود مفهوم المواطنة أصلا, وإلا فلا مواطنة كونها حالة يضمنها العرف والقانون يحقق بموجبها أعضاء المجتمع تسيير الشأن العام على قدم المساواة وفي كنف الحرية. [35]

ذ: البعد الاقتصادي: يعد البعد الاقتصادي من أهم نتائج الحياة الاجتماعية كونه الذي يحدد علاقة الفرد بالمجتمع وبالدولة, فالمواطن هو الذي يتمتع بملكية محددة ويساهم في موازنة الدولة ضمن شروط معينة, ولهذا كان أداء الضرائب معيارا مهما لتحديد المواطنة من عدمها بين الأشخاص فهناك واجبات تناط بالمواطنين مثل دفع الضرائب والدفاع عن وطنهم .[36] وغيرها من الأبعاد الأخرى التي تشير إلى تنوع مجالات الدراسة التي تهتم بها المواطنة باعتبارها صفة جوهرية ملازمة للحياة الإنسانية خصوصا في الفترة الراهنة أمام التحديات الكبرى المفروضة عليها من جميع الجوانب، ومن ثمة فالمواطنة أكثر من مفهوم يمكن حصره في بعده القانوني والسياسي فقط بل له العديد من الأبعاد التي تعبر كلها عن كيفية تعزيز قيم التعايش والتشارك داخل المجتمع من جهة ومع الأخرين من جهة أخرى، فمن خلالها يعرف الفرد مكانته الحقيقية بوصفه مواطن له حقوق وعليه واجبات، وأيضا باعتباره الشخص الإنساني الأخلاقي الذي يسعى دوماً نحو بناء مجتمع متعاونٍ ومتشارك في كل الظروف والأحوال.

---

[31]- خان مالكي, حنان مراد, أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري, مجلة العلوم الإنسانية, عدد خاص مجلة ورقلة, ص,544 .

[32]- المرجع نفسه, ص,544.

[33]- أحمد سعيفان, قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية, مكتبة لبنان,ناشرون,ط1, 2004, ص,377.

[34]- المرجع نفسه, ص,377.

[35]- أحمد سعيفان, قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية, المرجع السابق، ص، 378.

[36]-بوكار صالح, اثيقا المواطنة في فلسفة أرسطو, إشراف أنور حمادي, مذكرة ماجستير, جامعة وهران,2011, 2012, ص,30.





4- المواطنة من قيم الانتماء إلى قيم التعايش الإنساني: لمفهوم التعايش العديد من المفاهيم والمرادفات التي تشير كلها إلى ضرورة تعزيز طرق التعامل بين الأفراد داخل المجتمع وخارجه، بمعنى لا ينحصر في داخل الدولة فقط بل يتعدى ذلك إلى الحدود الخارجية في علاقات الدول بعضها ببعض، لذلك قد لا نفهم معنى المواطنة الحقيقي في غياب هذه المفاهيم الجوهرية التي تعبر كلها عن ضرورة ربط العلاقات الإنسانية برباط القيم والأخلاق والأطر الإنسانية التي من دونها يغيب مفهوم الإنسان ولا يمكن الوصول إليه فالمواطنة في جوهرها دفاع عن مكانة الإنسان وحقوقه، وعن كل التحديات الأخرى التي من شأنها أن تعيد للشخص الإنساني مكانته الجوهرية التي يستحقها، فلا يمكن تأسيس منظومة قيمية في غياب تجربة العيش المشترك ومفهوم التعايش السلمي، وغيرها من المرادفات الأخرى ذات العلاقة الوطيدة بمفهوم المواطنة وأبعادها المتنوعة.

التعايش في جانبه اللغوي يعني العيش مع الأخرين، ومنه كلمة عايشه أي عاش معه والعيش معناه الحياة، وهو العيش على الأرض لجميع البشرية ومن ثمة ضرورة الاشتراك في الحياة وفق قواعد وشروط لابد من توفرها من قبيل المودة والتعاون، والألفة وغيرها من المفاهيم التي تشير إلى العلاقة القائمة بين طرفين[37]، فالتعايش يقتضي حضور الطرفين معا لأنه من دونهما لا يمكن الحديث عن التعايش باعتباره يحمل في طياته العديد من القيم الأخلاقية التي يجب أن تكون حاضرة في حياة الإنسان وعلاقاته مع الأخرين معه، أما كلمة السلمي فتحمل هي الأخرى المعنى ذاته أي رفض كل أشكال العنف غير المشروع والصراعات السياسية والنزاعات العرقية وغيرها من مظاهر الحرب والصراع بين بني البشر، لذلك يحمل مصطلح التعايش السلمي العديد من الأبعاد حيثُ يشير في جانبه السياسي إلى البديل عن العلاقة العدائية بين مختلف الدول، ومن ثمة يتسع مجال التعايش السلمي ليشمل الجانب الاجتماعي للإنسان، والديني والأخلاقي وغيرها من الابعاد الأخرى المعبرة حقيقة عن مضمون فكرة التعايش بين الأفراد والمجتمعات، وقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بهذا المفهوم بين المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى والديانات والأعراق المختلفة، فقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تدعوا إلى تجسيد مبدأ التعايش السلمي من أهمها قوله تعالى:" **ولا يجرمنكم شنآن قوم ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**"[38] وقوله أيضاً" **إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذي القربى**"[39] وقوله تعالى" **لا يناهكم الله عن ألدين لم يقاتلوكم في الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**"[40]، فكلها تشيرُ إلى قيمة العدل وعدم إلحاق الأذى بالغير حتى وإن كانوا من غير المسلمين، ومن ثمة فقد كان الدين الإسلامي سباقاً إلى تعزيز قيم الحوار والسلام والدعوة إلى التعايش بين البشر على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وعقائدهم، كما أرست السنة النبوية دعائم فكر التعايش السلمي بين الشعوب والأمم وقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم أرقى أساليب التعامل وأسماها في ترسيخ مبادئ التعاون والتضامن بين المسلمين مع بعضهم البعض من جهة ومع غيرهم من

- المعجم الوسيط الجزء الثاني، ص، 646.[37]
- سورة المائدة، الأية8.[38]
- سورة النحل، الأية،90.[39]
- سورة المائدة، الأية 13.[40]



الأقوام والشعوب من جهة أخرى، فالتعايش السلي اعتراف بقيمة الشخص ومكانته وحريته واستقلاليته، لأنه لا يمكن الحديث عن فكرة التعايش في غياب هذه المفاهيم الإنسانية المهمة التي من خلالها يتأسس مفهوم المواطن الحقيقي الحر المتمتع بكافة الحقوق الإنسانية التي نصت عليها الديانات السماوية والقوانين الوضعية، لذلك ركز القرآن الكريم على احترام إرادة الإنسان وحريته حتى في المعتقد والدين من خلال الدعوة إليه بالحسنى لأنه لا يمكن إكراه أي إنسان على اعتناق دين معين وهو غير راغب فيه، فكانت حرية المعتقد من المفاهيم الأساسية التي دعت إليها الرسالة الإسلامية حفاظاً على كرامة الإنسان وحرية اختياراته التي يكون مسؤولا عنها مسؤولية كاملة لأنه نابعة إرادته الحرة غير مكرهٍ عليها، ومن ثمة يكون التعايش مرادفٌ للعدل والقسط، والحرية، والإرادة والكرامة والمساواة في التعامل بين الناس، فالتعايش السلمي اتفاق طرفين أو عدة أطراف على تنظيم وسائل العيش فيما بينهم وفق قاعدة يتم تحديدها وتمهيد السبل المؤدية إليها[41].

أما قضية الانتماء فلها هي الأخرى أبعادها اللصيقة بها بوصفها تعبير عن الارتباط بفئة معينة أو مجتمع ما أو دولة وغيرها من المرادفات التي يمكن أن تشير إلى دلالة الانتماء، ولكن ما يجب التأكيد عليه عند الحديث عن الانتماء هو ضرورة البحث في ماهية الكلمة ذاتها بعيداً عن التفسيرات الخاطئة والتعابير العنصرية التي لا علاقة لها بمدلول الانتماء، وهي الفكرة التي نبه إليها الدين الإسلامي تخليصاً للإنسان من أفكار الطوائف والمذاهب التي تغلغلت في رحم الأمة الإسلامية وفرقتها كما هو الحال اليوم في واقعنا العربي المعاصر، فحارب الإسلام فكرة الانتماء السلبية التي تدعوا إلى التعصب والتطرف ودعي إلى الانتماء الايجابي الذي يؤسس للوحدة والتماسك داخل الأسرة والمجتمع والوطن، فكلها انتماءات لابد لها أن تعزز بمرادفات جوهرية مبنية على أسسٍ صلبةٍ متينة حتى تأخذ المعنى الحقيقي الذي وجدتْ من أجله" **إن الحاجة إلى الانتماء من أهم الحاجات الإنسانية باعتبار الإنسان كائناً اجتماعياً لابد له من الاتصال بالأخرين، كما يشير الانتماء إلى مدى اشباع الحاجات الثقافية والسياسية الو اقعية لما لها من دورٍ في بناء وتشكيل شخصيات أبناء المجتمع**[42]" ومن ثمة يلعب مفهوم الانتماء دورا مهماً في تفعيل معنى المواطنة واقعياً باعتباره دفاع عن حق الإنسان في الانتماء إلى الإنسانية أولاً بعيداً عن كل القوانين الدولية الخاصة التي تبيح لبعض الدول بتهميش الأقليات الموجودة داخل حدودها الإقليمية أو منع حرية المعتقد كما يحدث مع الأقليات المسلمة في الكثير من مناطق العالم تحت دعاوي تمييزية لا أساس لها من الصحة، فالانتماء من القضايا الإنسانية المهمة التي يجب تعزيزها داخل المجتمع حتى يتسنى الوصول إلى تفعيل مفهوم المواطنة باعتبارها انتماء، يسمح للفرد أن يكون موجودا في الواقع ضمن نشاطات الدولة المختلفة.

---

[41]- الشيخ أغار محمد عبد الكريم، تعزيز التعايش السلمي والتنمية عن طريق مناهج التربية الإسلامية، جامعة سيرلانكا، ص، 3.

[42]- حازم أحمد الشعراوي، أثر برنامج بالوسائط المتعددة على تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدى طلبة الصف التاسع، رسالة ماجستير 2008، الجامعة الإسلامية غزة، ص،51.





5- المواطنة وتفعيل تجربة العيش المشترك: المواطنة والتعايش السلمي ملازمان لبعضهما البعض بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الأخر، فلا يمكن بلوغ المواطنة الحقة في غياب مفهوم التعايش السلمي، ولا يمكن الحديث مبدأ العيش المشترك في وضع مشحون بالصراع والأنانية والتعصب، واختلاط الحقوق والواجبات لأن أبعاد المواطنة تركز على ضمان قيمة الإنسان التي لا تعلوها أي قيمة مهما كان مصدرها فهي تحاول دائماً التركيز على مكانة الذات الإنسانية وحضورها الفعال في العالم، ومن ثمة الوصول إلى مفهوم المواطن الصالح باعتباره الغاية الأساسية التي تقوم عليها فكرة المواطنة، وهي الفكرة التي أكدت عليها الشريعة وألحت على ضرورة تحقيقها في مشروعها القيمي" **إن أهم الأهداف للتربية الإسلامية إيجاد مواطن صالح، وهذا المواطن هو الذي يراقب الله تعالى في جميع علاقاته سواء مع إخوانه المسلمين أو مع غيرهم من غير المسلمين، فيكون الجانب السلوكي الظاهر للمواطنة الصالحة والمتمثل في الممارسات الحية التي تعكس حقوق الفرد ووجباته تجاه مجتمعه ووطنه"**[43]، وبالتالي لا يمكن فصل هذه الأفكار عن بعضها، المواطنة الصالحة قوامها الفرد الصالح، ولا يمكن بلوغ مفهوم الفرد أو المواطن الصالح إلا من خلال تكريس قيم التربية على المواطنة وبناء فرد متوازن مدرك لقيمة الانتماء الحقيقية الايجابية التي تؤسس للانفتاح على الأخرين لا الانغلاق والتقوقع على الذات وعدم المشاركة في الحياة الاجتماعية، ونتيجة الأهمية الكبرى للمواطنة في حياة المجتمعات والأفراد كونها ترتبط بقيم ترتقي بالفرد من مستوى التبعية إلى التحرر إلى المساواة إلى العدالة إلى العيش المشترك إلى تقبل الأخر ضمن الجماعة وهو ما ذهبت إليه "**حنا ارندت**" في تعريفها للمواطن بقولها : " هو ذلك الرجل الذي غادر مجاله الخاص ليمارس الحرية السياسية مع نظرائه".[44]

وعليه يعد موضوع المواطنة مرتبط بمشكلة الهوية بوصفها تأكيد على الانتماء والوطنية أي الانتماء إلى تراب تحده حدود جغرافية وكل من ينتمون إلى تراب تحده حدود جغرافية وكل من ينتمون إلى ذلك التراب مواطنون يستحقون ما يترتب عليهم من حقوق ووجبات .[45]

فكل مجتمع يعمل على تنشئة صغاره الناشئة ليكونوا أعضاء مسئولين يمكن الاعتماد عليهم قادرين على الانسجام مع مجتمعهم والمشاركة في حياته, ولا يوجد أفضل من التعليم ليقوم بهذه الوظيفة المحورية فمن خلال النظام التعليمي الموجه للتلاميذ يكون الفرد بصدد التعرف على جملة القيم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية التي تنتمي إلى مجتمعه وواقعه.

43- عبد الله نومسك، المواطنة الصالحة أساس التعايش السلمي، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع للدراسات الإسلامية بعنوان، "التربية الإسلامية قوة دافعة للتعايش السلمي والتنمية"، المقام بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونكلا فطاني تايلاند، في الفترة 24-26 يوليو 2017م، ص،6.

[44]- خالدي محمدخالدي محمد, تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر, إشراف بلخضر مزوار, رسالة دكتوراه, جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان,2015, 2016 ,ص,13.

[45]- خالدي محمدخالدي محمد, تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر, المرجع السابق، ص,14.



حيث تسعى العديد من الدول العربية إلى تعزيز و تطوير مناهج وأدوات التربية على المواطنة بهدف التقليل من العزوف عن العمل التطوعي والجماعي ومن أجل تدعيم اهتمام وانخراط المواطنين في الشأن العام , فالتربية على المواطنة تعني مجموعة الممارسات والأنشطة التي تسعى إلى مساعدة التلاميذ والشباب والكهول على المساهمة الفعلية وبصفة مسئولة في اتخاذ القرارات في مجتمعاتهم .[46]

وعلى هذا الأساس تلعب المواطنة دورا بارزا في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات من خلال استعراض مفاهيم وتجارب دولية مختلفة لإلقاء الضوء على أهمية إجراء دراسات متعمقة ميدانية لبحث العلاقة بين تعليم المواطنة والاندماج الوطني بين أفراد المجتمع .

حيث تؤكد المواثيق الدولية على أهمية دور التعليم في تشجيع التغير في السلوك الذي سوف يخلق مستقبل أكثر استدامة يضمن العدالة للأجيال الحاضرة والمستقبلية, ومن بينها ما جاء في المجلس الأوربي عام 2005 من خلال السنة الأوربية للمواطنة مؤكدا على ضرورة إبراز دور التعليم في تعزيز المواطنة والديمقراطية عبر أوربا والربط بين السياسة والممارسة وتطوير الشركات ومختلف وسائل التواصل بينهم.[47]كما حددت اللجنة العالمية المعنية بالتعليم للقرن الواحد والعشرين أربعة مبادئ للتعليم هي: التعليم من أجل أن تكون, والتعليم من أجل أن تعرف, والتعليم من أجل أن نفعل والتعليم من أجل العيش المشترك وذلك لأهميته في خلق التحولات الاجتماعية في المجتمع حيث يوضح أسس شكل العلاقة بين المواطنين وبعضهم وبين المواطنين وسلطة الدولة فهو أداة أساسية لتغير من خلال تعليم الأفراد الذين يشكلون المؤسسات في المستقبل ماهية دورهم وحقوقهم ومسؤولياتهم والتزاماتهم.[48]

خاتمة: في نهاية هذه الورقة البحثية الموسومة بالمواطنة وتعزيز قيم التعايش السلمي والعيش المشترك في العالم العربي المعاصر يمكن الوقوف عند جملة من النقاط الأساسية وهي: ضرورة إعادة البحث في منظومة العلاقات الإنسانية وتركيبة المجتمعات العربية التي تعاني من شروخات كبيرة على مستوى بنية المجتمع نتيجة غياب تفعيل دور المواطنة داخل الدول العربية التي بقت مجرد مفاهيم جوفاء لا تعطي المردود المرجو منها، مقارنة بالعالم الغربي الذي قطع

[46]- حفيظة شقير ,حفيظة شقير, سيرا فراس, الشباب والمواطنة الفعالة, صندوق الأمم المتحدة للسكان ,ص,12.

[47]- رضوى عمار, التعليم والمواطنة والاندماج الوطني, مركز العقد الاجتماعي,مصر,2014,ص,5.

[48]- التعليم والمواطنة والاندماج الوطني, مركز العقد الاجتماعي, المرجع السابق، ص,6.

اشواطاً كبيرة في تفعيل دور المواطنة على مستوى الحضور الفردي للمواطن والاجتماعي على السواء، لأن مفهوم المواطنة ليس مجرد مفهوم قانوني يمشي وفق معادلة الحقوق والواجبات بل مفهوم متعدد الأبعاد والأطر التي يجب مراعاتها.

كما تجدر الإشارة إلى ضرورة العمل على تعزيز قيم الانتماء والتعايش السلمي وثقافة العيش المشترك وفتح المجال للحوار والتواصل الايجابي بين أفراد المجتمع الواحد وخارجه، بمعنى عدم الانغلاق على الذات وتكريس أواصر التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع العربي الذي أصبح يعيش مرحلة اغتراب كبيرة بكل ما تحمله الكلمة من معاني لأنه لا يمكن فهم طبيعة الواقع الإنساني العربي على وجه الخصوص بعيداً عن التحولات الكبرى التي يعرفها عالمنا العربي المعاصر، كما يجب التأكيد أيضا عند الحديث عن فكرة المواطنة على ضرورة تعزيز التربية على المواطنة لأنها وحدها الكفيلة بغرس قيم الانتماء والهوية لدى الشاب العربي الذي سيكون المواطن الصالح في المستقبل المتمتع بكافة المقومات التي تمكنه من بناء وطنه ودولته.

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم والسنة النبوية:

1- سورة البقرة, الأية,256.

2- سورة النساء, الآية, 83.

3- سورة الشورى, الآية 38.

4- سورة أل عمران, الآية 159.

5- سورة المائدة، الأية8

6 - سورة النحل، الأية،90

- سورة المائدة، الآية 137

المعاجم:

1- ابن منظور, لسان العرب, دار إحياء التراث العربي , بيروت, الطبعة الثانية, 1993.

[2]- جميل صليبا, المعجم الفلسفي,ج2, دار الكتاب اللبناني, بيروت, لبنان.

3- المعجم الوسيط الجزء الثاني.

المراجع:

1- أحمد سعيفان, قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية.

2- أسعد مفرج وآخرون, موسوعة علم السياسة , ج24, دار النشر Nobilis, بيروت, د ط,2006.

3- العادلي حسين درويش, المواطنة, دار المرتضي , بغداد ,2006.



4- حازم أحمد الشعراوي، أثر برنامج بالوسائط المتعددة على تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدى طلبة الصف التاسع، رسالة ماجستير 2008، الجامعة الإسلامية غزة.

5- حفيظة شقير , حفيظة شقير, سيرا فراس, الشباب والمواطنة الفعالة, صندوق الأمم المتحدة للسكان

6- خالدي محمد, تمثلات المثقف للمواطنة في الجزائر, إشراف بلخضر مزوار, رسالة دكتوراه, جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان,2015,2016.

7- خان مالكي, حنان مراد, أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري, مجلة العلوم الإنسانية, عدد خاص مجلة ورقلة, ص,544 .

8- ديريك هيتر, تاريخ موجز للمواطنة, ترجمة أصف ناصر ومكرم خليل, دار الساقي, بيروت , لبنان, 2007, .

9- سامح فوزي, المواطنة, سلسة تعليم حقوق الإنسان, الطبعة الأولى,2007,مركز القاهرة.

10- عبد الله نومسك، المواطنة الصالحة أساس التعايش السلمي، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع للدراسات الإسلامية بعنوان، "التربية الإسلامية قوة دافعة للتعايش السلمي والتنمية"، المقام بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونكلا فطاني تايلاند، في الفترة 24-26 يوليو 2017م.

11- علي خليفة الكواري, مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية , المستقبل العربي, العدد 264، بيروت, مركز دراسات الوحدة العربي, فيفري,2001.

12- قصير مهدي, مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية, أطروحة دكتوراه, جامعة وهران,2015,2016.

13- ماري لويزا برنيري, المدينة الفاضلة عبر التاريخ, ت, عطيات أبو السعود, الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,1997.

14- محمد العدناني , معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة, مكتبة لبنان, بيروت, 1984.

15- ميشان مان, موسوعة العلوم الاجتماعية, ت, عادل الهواري وسعد مصلوح, مكتبة الفلاح,1984.

16- ناصر إبراهيم, أصول التربية, الوعي الإنساني, مكتبة الرائد العلمية, الأردن,2004.

17- ناظم عبد الواحد الجاسور, موسوعة علم السياسة, دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, عمان , الأردن, ط1, 2004.

18-الشيخ أغار محمد عبد الكريم، تعزيز التعايش السلمي والتنمية عن طريق مناهج التربية الإسلامية، جامعة سيرلانكا.

19-بوكار صالح, اثيقا المواطنة في فلسفة أرسطو, إشراف أنور حمادي, مذكرة ماجستير, جامعة وهران,2011, 2012.

20-سعيد عبد الحافظ, المواطنة حقوق وواجبات, مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية, القاهرة 2007.

21-يوسف كرم, تاريخ الفلسفة اليونانية , ج1, القاهرة, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1936.



آليات التصدي والدفاع عن القيم الثقافية المحلية للمجتمع الجزائري في ظل تحديات الثقافة الرقمية

Mechanisms to address and defend the local cultural values of the Algerian society in light of the challenges of digital culture

أمينة زرداني طالب (ة)دكتوراه تخصص الدراسات الأمنية والإستراتيجية جامعة محمد لمين دباغين–سطيف 2–الجزائر

zerdaniamina150@gmail.com

ملخص: تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على دور التكنولوجيا الرقمية في اختراق الخصوصية الثقافية وانعكاساتها على مختلف أجزاءالنسقالقيميوالثقافيفيالمجتمعالجزائري بالإضافة الى الإشارة لأهم الاجراءات المتبعة للاستغلال الأمثل للثقافة الرقمية بشكل الذي يسهم في رقي المجتمع وتقدمه، ولذا ارتأت الدراسة على تقسيم الموضوع إلى ثلاث محاور رئيسة؛ سنحاول من خلالها الوقوف عند خصوصية الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري، وصولاً إلى تجلياتوتداعياتالثقافةالرقميةعلىالقيمالثقافية للمجتمع، وأخيرًا الآلياتالمقترحةلتفعيلوتحقيقالأمنالثقافيفيالجزائرفيظلتحدياتالثقافةالرقمية.

ولقد توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات ومنها التركيز على فكرة الاستثمار في الرأسمال البشري والثقافي، من أجل خلق شريحة متعلمة مثقفة بإمكانها مواجهة التحديات الراهنة والمضيقدمًا بالجزائر لجعلها تواكب التنوع الثقافي والحضاري.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الرقمية، القيم الثقافية، الأمن الثقافي، المجتمع الجزائري.

Abstract: This studyaims to shed light on the role of digital technology in penetrating cultural privacy and itsrepercussions on the various parts of the value and cultural system in Algerian society, in addition to indicating the most important proceduresused to optimize the use of digital culture in a waythatcontributes to the advancement and progress of society, and therefore the studyconsideredthat the topicbedividedintoThree main axes; throughwhichwewilltryto stand at the specificity of the local culture of Algerian society, through the manifestations and implications of digital culture on the cultural values of society, and finally the proposedmechanisms to activate and achieve cultural security in Algeria in light of For digital culture challenges.

The studyreachedseveralrecommendations, includingfocusing on the idea of investing in human and cultural capital, in order to create an educatedindividualwhois able to face the current challenges and move forward in Algeria to keep pace with cultural and civilizationaldiversity .

Key words: digital culture, cultural values, cultural security, Algerian society.







مقدمة:

يشهد العالم اليوم جملة من التغيرات المتسارعة ذات الأبعاد المختلفة في كافة وسائل الإعلام والاتصال التي مستها موجة الرقمنة، والتي كانت لها تأثير كبير على المجتمعات الإنسانية وعلى هويتها وثقافتها وأنساقها القيمية السائدة فيها، حيث بسطت نفوذها على جميع الثقافات وألقت بضلالها على جميع مناحي الحياة، والجزائر كغيرها لم تسلم من هذه الظاهرة التي تعصف بواقع القيم والثقافة المحلية، حيث تتأثر وتأثر فيها كغيرها من الأنساق الأخرى، وهو ما يطرح على المجتمع الجزائري تحديات عميقة اتجاه التغيرات الراهنة في قيم المجتمع التي تؤدي إلى الانحلال الخلقي والقيمي بين الأفراد.

ولذا تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على دور التكنولوجيا الرقمية في اختراق الخصوصية الثقافية وانعكاساتها على القيم المحلية للمجتمع الجزائري، بالإضافة الى الإشارة الى أهم الاجراءات المتبعة للاستغلال الأمثل للثقافة الرقمية بشكل الذي يسهم في رقي المجتمع وتقدمه.

وبناءً على ما سبق نطرح إشكالية الدراسة والمتمثلة في:

كيف يمكن تكريس التنوع والتعدد الثقافي في التفاعل مع الآخر دون المساس بالخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري خاصة في ظل تنامي التكنولوجيا الرقمية؟

وبما أن لكل دراسة مناهجها، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي من خلال التعرض لمختلف الظروف التاريخية التي أثرت في تكوين الثقافة الجزائرية، والتحديات التي تواجه هذا الأخير في ظل تنامي ظاهرة الثقافة الرقمية.

وفي سبيل الإجابة عن الإشكالية السابق ذكرها، ارتأت الدراسة عن تقسيم الموضوع إلى ثلاث محاور رئيسة:

المحور الأول: النسق القيمي-الثقافي للمجتمع المحلي الجزائري

المحور الثاني: تجليات وتداعيات الثقافة الرقمية على القيم الثقافية المحلية للمجتمع الجزائري

المحور الثالث: آليات تفعيل وتحقيق الأمن الثقافي في الجزائر في ظل تحديات الثقافة الرقمية

المحور الأول: النسق القيمي–الثقافي للمجتمع المحلي الجزائري

I. البعد السوسيو–تاريخي لواقع الثقافة في المجتمع الجزائري

المجتمع تآلف معقد يشمل بين مقوماته الأساسية الدين واللغة والتاريخ والتراث والمعتقدات والبنى الاجتماعية المتفاعلة فيما بينها ومع المجتمعات الأخرى عبر التاريخ، وبهذا التفاعل الداخلي والخارجي تتشكل لديه ثقافته التي تشعره بالهوية والانتماء وتميزه عن غيره من المجتمعات التي لا تشبهه.

فلكل أمة خصوصية ثقافية تعبر عن هويتها وأن كل هوية تختلف عن الأخرى بما يميزها والثقافة الجزائرية ضاربة في العراقة والقدم، وظهورها تعلق بظهور الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، حيث لعب الإسلام دوره في توحيد الناس وفي تحقيق الوحدة والتكامل بين الشعوب حيث تكون الشعب الجزائري في ظل الإسلام والعروبة تكوينًا جديدًا نتج من عملية



امتزاج العنصرين العرقيين من سكان الجزائر؛ العنصر الأمازيغي القديم (السكان الأصليين) والعنصر العربي (الوافد على البلاد)، الذي حمل معه الإسلام واللغة العربية الى الجزائر، وكان هذا الامتزاج نتيجة الاختلاط في المعيشة والمصاهرة ونتيجة الاشتراك في التاريخ والمصير المشترك الذي تكونت من خلاله الشخصية الجزائرية، والتي هي شخصية عربية إسلامية التي تعتبر جزء لا يتجزأ من الشخصية القومية للأمة العربية.[49]

ولقد تميز البناء الثقافي للمجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية بالانسجام مع الأوضاع التي فرضت عليه، حيث سعى مشروع الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ 1830-1962 إلى وضع سياسة مضادة تهدف الى إلغاء وجود الجزائر التاريخي ككيان سياسي وعلى تفكيك مقوماتها الحضارية عن طريق محاولة التجهيل والتفقير والتجويع والتجنيس كأسس للسياسة الاستعمارية التي تخدم تواجدها في المنطقة، وأول تركيز للثقافة الاستعمارية كان على اللغة العربية، حيث ركزت عملها على تعليم اللغة الفرنسية كاللغة قومية مقابل اللغة العربية التي اعتبرتها لغة اجنبية في الجزائر، كما عملت على تزييف التراث الوطني وطمس معالم الثقافة وعلى التشكيك في الوحدة التاريخية والاجتماعية وعلى مكانة الإسلام الذي يعتبر مقوم جوهري في تكوين هوية المجتمع الجزائري وشخصيته.[50]

لكن مع بداية ظهور حركات التحرر العالمية وانتشار مفهوم الحرية والتحرر، تولد لدى الجزائريين وعي الدفاع عن وطنهم، فاندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 على أساس الدفاع على الشخصية الوطنية الجزائرية التي ميزها الانتماء إلى العالم العربي والإسلامي من خلال الوقوف في وجه المحاولات الاستعمارية الهادفة الى المساس بالوحدة الترابية وبالقيم الوطنية والثقافية بشتى الوسائل المكنة، حيث نالت الجزائر حريتها السياسية بعد التجربة الطويلة التي عاشتها طيلة فترة الاستعمار.

فالجزائر بحيزها الجغرافي المميز وحدودها السياسية القائمة اليوم، كانت وما زالت فضاء تقطنه مجموعات إثنية ثقافية متنوعة عرقيا وثقافيا متوزعة في مختلف أرجائها، فلكل منطقة في الجزائر عاداتها وتقاليها وافراحها وحرفها التقليدية الخاصة بها، وما زال بعضها يعيش في بيئته الطبيعية التاريخية بنمط عيشته الخاص وتركيبته الاجتماعية وقيمه وعاداته ولغاته.[51]

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي، فهو مجتمع عربي إسلامي أمازيغي متوسطي إفريقي، يجمع بين المعربين والمفرنسين، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابيةوالتارقية، غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تعيش داخل مجتمع واحد موحد متضامن متماسك تحت لواء العروبة والإسلام والأصل الأمازيغي.[52]

II. مقومات الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري

---

[49] ميلاط نضرة، **إشكالية الهوية الثقافية في الجزائر في ظل العولمة**، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثامن ج1 جوان 2017، 367-368.

[50] صفية نزاري، **الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة: دراسة مقارنة لحالات الجزائر–تونس – المغرب** (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية، تخصص علاقات مغاربية ومتوسطية في التعاون والأمن، جامعة باتنة 1، 2011)، 75-79.

[51] ميمونة مناصرية، **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة: من منظور أساتذة جامعة بسكرة** (أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية، جامعة بسكرة، 2012)، 283.

[52] رحيمة شرقي، **الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013، 194.



تتعدد أبعاد الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري بتعدد مقومات الأمة الجزائرية، ولعل أهمها ما ورد في نص الدستور الجزائري والمتمثلة فيما يلي:

1. الدين الإسلامي

يشكل الإسلام في الجزائر والأقطاع المغاربية عامة جوهر الثقافة المحلية، فهو الدين المقدس الذي لا يضاهيه مقدس آخر، حيث يمثل الرابطة الروحية التي تجمع بين جميع أفراد المجتمع الجزائري لا سيما وأن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي يبث القوة الروحية التي تعمل على شمل أفراد الأمة الواحدة، وتأكيدًا على ذلك نص الميثاق الوطني لعام 1976 على أن "الشعب الجزائري شعب مسلم، والإسلام هو دين الدولة وهو أحد المقومات الأساسية لشخصيتها التاريخية"، فبرغم من وجود ديانات أخرى غير الإسلام كالأقلية المسيحية التي يتركز تواجدهم في منطقة القبائل، واليهودية التي تستوطن في مدينة بجاية الساحلية فإن المجتمع الجزائري بصفة غير معلنة يرفض أي ديانة أخرى غير الديانة الإسلامية.53

يعتنق الجزائريون العديد من المذاهب، فالمذهب الذي يتبعه الغالبية من سكان هو المذهب المالكي، فيما يتبع بنو ميزاب المنتشرين في ولاية غرداية الواقعة شمال الصحراء إلى المذهب الإباضي، هذا إلى جانب اعتناق بعض السلفيين للمذهب الحنبلي، فضلا عن اتباع الطرق الصوفية كالتيجانية، القادرية، والشاذلية والمهدية التي تتوغل في المجتمع منذ القدم ويرجع التمييز بين هذه المذاهب من قبل الجزائريين الى مختلف الفتاوي التي تبث على القنوات الفضائية.54

2. اللغة العربية:[55]

اعتبرت اللغة العربية عاملا أساسيا في تحديد الانتماء الوطني وكمال السيادة الوطنية وعاملا من الثوابت الوطنية الجزائرية، حيث تعاقبت المواثيق والدساتير الوطنية على تكريس هذا المفهوم وأكدت عليه، باعتباره عنصر من عناصر الشخصية الوطنية والهوية الثقافية للشعب الجزائري، فالميثاق الوطني لعام 1976 نص على: "اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، ولا يمكن فصل شخصيتها عن اللغة الوطنية التي تعبر عنها"، كما ركز الميثاق الوطني لعام 1986 على أهمية العناصر الوطنية في تحديد ملامح الدولة الجزائرية التي حددها كالآتي: "اللغة العربية، الإسلام، التراث التاريخي"، أما عن الدساتير فهي الأخرى تعرضت إلى أهمية اللغة العربية في إثبات الشخصية الوطنية، وهو ما يدل على أهمية اللغة العربية كمقوم من مقومات توحيد الأمة الجزائرية.

3. التراث الثقافي الأمازيغي:

تشكل الثقافة والتراث عنصران هامان في عملية البناء الحضاري، حيث تستمد الأمة بقائها وقوتها ومقوماتها وخصائصها واستقلالها منها، والتي تعمل على تهذيب روح الإنسان وصقل مواهبه وتوظيف طاقاته في البناء والتعمير.

---

[53] المرجع نفسه، 292-293.

[54] المرجعنفسه، 292-293.

[55] سميةأوشن،**دور المجتمع الجزائري في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي – دراسة حالة الجزائر** (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية، تخصص سياسات عامة وحكومات مقارنة، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2010، 144-145.



ويعتبر التراث التاريخي الأمازيغي من مقومات الأساسية لبناء الهوية الوطنية، حيث أعطت الدساتير أهمية بالغة للتراث واعتبرته كمقوم من مقومات الهوية والوحدة الوطنية في الجزائر، فقد وافقت الحكومة الجزائرية في 18 ماي 2005 على اعتماد الأمازيغية كلغة وطنية، وفي إطار تفعيل آليات تطور اللغة الأمازيغية تم تأسيس تلفزيون بالأمازيغية يستطيع من خلاله فتح قنوات للتعبير عن الثقافات الفرعية.56

تعد جذور الثقافة الأمازيغية ضاربة بعمق داخل المجتمع الجزائري، فهناك العديد من القواسم الثقافية المشتركة بين الأمازيغ رغم تقطع الأوصال الجغرافية بينهم كالموسيقى، الرقصاللهجات، بالإضافة إلى العادات والتقاليد الأمازيغية؛ كعيد رأس السنة الأمازيغية في 12 جانفي.

المحور الثاني: تجليات وتداعيات الثقافة الرقمية على القيم الثقافية المحلية للمجتمع الجزائري

إن المجتمع الجزائري وعلى غرار كافة المجتمعات العربية مر بالعديد من المراحل وعرف الكثير من التحولات والتغيرات الواسعة والشاملة التي مست كافة الميادين والمستويات بما فيها الثقافية والاجتماعية، حيث اثرت كل هذه التحولات بدورها على مختلف أجزاء النسق القيمي والثقافي في المجتمع الجزائري، ويتجلى هذا من خلال ما نلاحظه اليوم من غياب بعض القيم الثقافية التقليدية وظهور قيم غربية جديدة على مستوى الشباب لا تمت بصلة لانتماءاته ولا ثقافته، وتتجلى أهم هذه التغيرات التي مست منظومة القيم الاجتماعية فيما يلي:

1–تحولات على مستوى المنظومة الأسرية

عرفت الأسرة الجزائرية جملة من التحولات والتغيرات العميقة نتيجة آليات العولمة وتداعياتها، فقد ساهمت تلك التغيرات في بروز العديد من المظاهر والسلوكيات التي تعبر عن الثقافة الوافدة، والتي خلقت نوع من الجدال والصدام مع الثقافة السائدة، لكونها تحمل أفكارًا وقيم لا تتلاءم مع الواقع الاجتماعي، ويمكن رصد أهم هذه التغيرات التي حدثت داخل الأسرة في النقاط التالية:

- تراجع دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك من خلال اقتحام وسائل الإعلام والاتصال وما أحدثته من دخول قيم جديدة داخل الأسرة هي خاصة بالمجتمعات الغربية، وكذا من خلال انعكاس الأدوار في التلقين والتعلم، حيث نلاحظ أن الأبناء اليوم هم من يعلمون آبائهم قواعد استخدام هذه الوسائل الأمر الذي يضعف من سلطة الآباء ومكانتهم داخل الأسرة.57
- إن عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة التي كان يتقاسمها جميع الأفراد والتي كانوا يركزون فيها على تلقين القيم والأخلاق وكل ما يتعلق بالعادات والتقاليد أصبحت حكرًا على الأبوين فقط، الأمر الذي جعلهم لا يؤدون وظائفهم على النحو المطلوب.58

---

[56] زهيرة مزارة، **أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة: بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي–الجزائر نموذجا**، ورقة بحثية منشورة في الملتقى الوطني المنظم من طرف قسم العلوم الاجتماعية لجامعة الجلالي بونعامة خميس مليانة–الجزائر حول: القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة يوم 27 فيفري 2017، 17.

[57] أحلام بلمادي، **سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري**، ورقة بحثية منشورة، جامعة لونيسي علي، بليدة 02، 14.

[58] المرجع نفسه.



- انتقال الأسرة إلى العيش في بيت مستقل بعيدًا عن العائلة الأم التي تضم الآباء والأجداد والعمات إلى الأسرة التي تضم الأبناء والآباء فقط، حيث انتشرت النزعة الفردانية وحب الذات وتراجعت معها علاقات المودة والرحمة والاحترام المتبادل للكبار.
- تقلص سلطة النظام الأبوي داخل الأسرة نتيجة خروج المرأة للعمل، فضلاً عن تقاسمها العديد من الوظائف التي كانت من اختصاص الرجل، هذا الأمر أخرج المرأة من مسؤولية الرجل وأكسبها نوع من الاستقلالية والحرية، وهو ما أتاح الفرصة لمؤسسات وأفراد آخرين لأن يقوموا بدور التنشئة وتربية الأطفال.
- لعبت القوانين الوضعية دورًا في تعميق الفجوة داخل الأسرة، حيث نلاحظ أن الحكومة الجزائرية تغير وتعدل في قوانين الزواج والأسرة من فترة لأخرى، والتي كانت تنصب في دائرة توسيع حرية المرأة داخل المجتمع، والتي أصبحت تتناقض مع عملها التربوي الذي شرعه الإسلام، وهو ما انعكس سلبًا على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، حيث انتشرت ظاهرة الطلاق والخلع بشكل رهيب، هذا إلى جانب عزوف الشباب عن الزواج لعدم قدرتهم على الوفاء بمتطلبات الزواج العصري اليوم، فضلاً عن انتشار العنوسة بين الفتيات.
- ازدياد الانحراف الاجتماعي بين الشباب بسبب انشغال أفراد الأسرة بالفضائيات الأجنبية التي تمتلئ برامجها بأفلام العنف والجريمة وقصص الحب والمغامرات العاطفية التي تتناقض مع العقائد والقيم السائدة داخل المجتمع الجزائري.59
- في إطار العلاقات الشخصية أصبح البحث عن الحب أحد أسباب الزواج، حيث صار الأمر لدى بعض الشرائح الاجتماعية المتوسطة والعليا أنها تتزوج نداءً للحب أو على أمل الوصول إلى الحب المنشود، كما قد يلجؤون الى الانفصال إذا فقد أحد الطرفين حالة الحب حتى ولو على حساب الأبناء أحيانًا.
- تغيير نمط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وظهور علاقات عولمية مثل الزواج بدون عقد وانتشار الإباحية والرذيلة في المجتمع، وظهور السلوكيات الانحرافية كالاعتداء الجنسي على الأطفال وظهور المثليين الجنسيين علنًا وعمليات الابتزاز بالصور عبر الأنترنت أو الهاتف المحمول التي تمس أعراض الناس، وأشكال العنف المتنوعة والقتل والسرقة والهجرة غير شرعية وانتشار المخدرات والكحول وغيرها.

في ظل التحولات المعاصرة التي شهدتها البنية الأسرية والاتجاه نحو تأسيس المجتمع الحداثي، يمكن القول بأن الأسرة الجزائرية بدأت تتعرض لهزات كوحدة اجتماعية، ذات وظائف هامة في المجتمع، خاصة على مستوى دورها في عملية التنشئة الاجتماعية وكوحدة إنتاجية، هذا فضلاً عن دورها في الحفاظ على التراث الاجتماعي وفي نقل القيم الثقافية والمحافظة عليها، وهنا يمكن القول إننافي طريقنا إلى فقدان مقومات الوحدة الاجتماعية داخل المجتمع.60

---

[59] جعفر حسن جاسم الطائي، **الأسرة العربية وتحديات العصر الرقمي**، مجلة الفتح، العدد 51 2012، 286.

[60] عايدة فؤاد النبلاوي، **الأسرة العربية في عصر مجتمع المعرفة–دراسة أنثروجرافية عبر ثقافية**، ورقة بحثية منشورة عن المؤتمر العلمي لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية لجامعة السلطان قابوس–عمان حول: مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا، المجلد 2، 2-4 ديسمبر 2007، 175.



2-تحولات على مستوى المنظومة التربوية والتعليمية

تمثل اللغة الترسانة الفكرية والثقافية التي يبنى عليها المجتمع وتحمي كيانه وتحافظ على شخصيته وهي الدعامة الرئيسية لبناء الأمة وتكوين هويتها وثقافتها، لأنها تمثل وسيلة التواصل بين أجيالها، فالشعوب تسمو بسمو لغاتها وتعتز بها، وحق الشعوب العربية أن يكون اعتزازها بالغتها العربية على أتم وجه بما فضل الله هذه اللغة وشرفها على سواها من اللغات، إلى أن المكانة السامية التي امتلكتها اللغة العربية أصابها تراجع في شتى المجالات أمام اكتساح اللغات الأجنبية،61 حيث تجري محاولات جادة من الدول الغربية لإزاحة اللغة العربية من مكانها في الحياة اليومية لحساب اللغات الأوروبية سواءً في المراسلات أو وسائل الإعلام، بل وحتى كاللغة في التدريس في المداس والجامعات، حيث تتزاحم العائلات الجزائرية على تعليم أبنائها اللغة الأجنبية التي تؤدي إلى تضيع الأجيال الناشئة للغتهم الأم.

ومن أهم السلبيات التي حملتها التكنولوجيا الرقمية على اللغة العربية ما يلي:62

-الابتعاد عن استخدام اللغة العربية المكتوبة، حيث قلت الحاجة إلى الكلمة التي كانت أداة التأثير والتعبير وقلت الحاجة إلى التعبير الشفهي والكلام المتبادل، لأن تبادل الآراء صار يجري عبر وسائل التواصل الإلكترونية.

-محاولة كتابة العاميات العربية (اللهجات) إلى لغة مغايرة عن اللغة الأم كأن تكتب: إن شاء الله (nchlh)، سلام (slm)، الحمد لله (hmd)، عيد مبارك (3id mobark) .

-إهمال تدريس قواعد الإملاء في مراحل التعليم المختلفة، وفقدان قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية وشيوع الأخطاء الإملائية عند الجمهور المثقفين.

-طغيان اللغة الأجنبية على اللغة العربية في المدرسة والجامعات والإعلام والترجمة والتأليف والكتابة.

أما الحديث عن طرائق التدريس والمناهج المتبعة – بوصفها أحد الأركان في العملية التعليمية – فإنها هي الأخرى ضلت حبيسة العولمة، فواقع التعليم في الجزائر قائم على تصور بيداغوجي ينطلق من الكفاءات المستهدفة التي تتمركز حول المتعلم، ومن المتغيرات التي أدخلتها هذه المقاربة في مستوى البرامج، إدراج الطور التحضيري وتعميمه على الأطفال البالغين من العمر 5 سنوات، أما فيما يخص التعليم الابتدائي فإن مدة تعليمه تقلصت من 6 سنوات إلى 5 سنوات، وتتمثل أيضا بإدخال مادة التربية العلمية والتكنولوجيا في التدريس ابتداءً من السنة الأولى، كما تشمل تعليم اللغة الفرنسية ابتداء من السنة الثانية ابتدائي واعتماد الرموز الرياضية بالإضافة الى ادخال اللغة الامازيغية في السنة الرابعة ابتدائي، اما على مستوى التعليم المتوسط فقد امتد الى اربع سنوات بدل ثلاثة، وادخال اللغة الإنجليزية ابتداء من السنة الأولى متوسط.63

---

61 مصطفى عدنان محمد، **اللغة العربية في عصر العولمة بين الواقع والمسؤولية**، ورقة بحثية منشورة عن المؤتمر العلمي لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية لجامعة السلطان قابوس-عمان حول: مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا، المجلد 2، 2-4 ديسمبر 2007 .90-89

62 ممدوح محمد خسارة، **العولمة الثقافية واللغة العربية**، **مجلة مجمع اللغة العربية**، دمشق، المجلد 88، الجزء 2، 300-303.

63 مليكة جدي، **المنظومة التربوية في الجزائر من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة الكفاءات الشاملة** مجلة آفاق العلوم جامعة الجلفة-الجزائر، العدد 7، مارس 2017، 121-124.





ومن بين التحديات التي افرزتها هذه الإصلاحات على المؤسسات التربوية على مختلف مراحل التعليم نذكر ما يلي:

-تهميش مادة التربية الإسلامية والتاريخ وتقليص حجم الساعي لهاتين المادتي واحلال المادة العلمية والتكنولوجية مكانها.
-رفع معامل اللغة الفرنسية وزيادة حجمها الساعي في مقابل تقليص توقيت اللغة العربية.
-ادراج مادة الاعلام الالي على مستوى التعليم المتوسط والثانوي.
-سيطرة الاستسهال والغش والتزوير في الامتحانات بين الطلاب والتلاميذ من أجل النجاح وتحصيل الشهادة.
-ارتفاع معدلات الرسوب بين الطلبة.
-تحول التعليم إلى سلعة باهضه الثمن نتيجة انتشار التعليم الخاص ذا المصروفات الخيالية بدل التدريس في المدرسة.
-التنافس على شغل مناصب التعليم دون مراعاة الدارسين واحترام قدراتهم الطبيعية التي تختلف من فرد لآخر.

تأسيسًا على ما سبق، يمكن القول بأن المؤسسات التعليمية في الجزائر ابتعدت كليًا عن المسؤولية المناطة بها، حيث أسهمت في رسم هذا الواقع المنذر بالخطر الداهم الذي يهدد ثقافة المجتمع الجزائري وهويته العربية ذات الخصوصية في تكوينها، مما يجعلها في مرمى الانهيار لأنها تكرس للغة المستعمر على حساب اللغة الأم في عملية البناء الحضاري.64

3–تحديات على مستوى المنظومة الدينية

على الرغم من خصوصية الدين في المجتمع الجزائري -الذي يضرب بجذوره في عمق التاريخ الإسلامي-فإنه لم يسلم من تحديات ثقافة العولمة التي تستهدف المساس بالقيم الإسلامية، وتتمثل أهم هذه التحديات فيما يلي:65

تشويه صورة العروبة والإسلام عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي بحجة الحرية الفكرية.

-تشويه صورة الجهاد والمقاومة بالإرهاب والتطرف وغيرها.
-خلخلة المعتقدات الدينية والتشكيك فيها وإضعاف عقيدة الولاء وحب الله.
-استبعاد الإسلام وإقصائه عن الحكم والتشريع، واستبداله بقوانين مادية وضعية وإقصاء الأخلاق الدينية بمنظومة القيم المدنية المستمدة من الثقافة الغربية.
-تقليد الغرب في عقيدتهم، وذلك باكتساب عاداتهم المحرمة كالانحناء والتشبه بالنساء والرجاء وإقامة الأعياد العامة والخاصة.
-ضعف الخطاب المسجدي وتدني المستوى الثقافي والفكري لمعظم الأئمة في الجزائر.
-نشر الكفر والإلحاد عن طريق الأفلام التي تهين الرسل والإسلام والتي تدعو إلى تعلم السحر والشعوذة.
-تحويل المناسبات إلى مناسبات استهلاكية، وتفريغها من القيم والغايات الإيمانية.

المحور الثالث: آليات تفعيل وتحقيق الأمن الثقافي في الجزائر في ظل تحديات الثقافة الرقمية

[64] مصطفى عدنان محمد، مرجع سابق، 96.

[65] نعمان عاطف عمرو، العولمة وأثرها على التراث، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 24 نوفمبر 2016، 23-24.





على الرغم من التحديات والمتغيرات التي فرضها النظام العالمي على المجتمع الجزائري في مختلف مجالات الحياة بوسائل عديدة، يستلزم على المجتمع الجزائري القيام بإجراءات معينة من خلال الاستغلال الأمثل للثقافة الرقمية بشكل الذي يسهم في رقي المجتمع وتقدمه.

لذلك لا يجب أن ينظر المجتمع الجزائري إلى ثقافته على أساس الخوف من الذوبان في الآخر، وإنما على كيفية الوقوف في وجه هذه التحديات، وعلى كيفية فرض الوجود الحقيقي أمام الصراع مع ثقافة الآخر.

I. آلية المواجهة بالانعزال والتقوقع

يعتبر الانعزال واحد من بين الآليات التفاعل مع الآخر من أجل إثبات الوجود، ويعني الانعزال هنا اكتفاء الجزائر على الذات والتقوقع بعيدًا عن الفكر الغربي والمجتمع الدولي بشكل عام، من خلال غلق الحدود إزاء المنتجات والخدمات الوافدة كالأفكار والسلع المادية والمعنوية.

يطرح موضوع التقوقع او الانغلاق على الذات في مواجهة الآخر تحديًا من تحديات العولمة، نظر لاستحالته في الوقت الراهن، لأن الانغلاق على الذات واختيار العزلة الثقافية كاستراتيجية للمجتمع الجزائري للحفاظ على ثقافته أمر لا طائل منه، ذلك أنه من غير الممكن أن تعيش الدولة بمعزل عما يمر به العالم من أحداث، فالمقومات الثقافية في طبيعتها ديناميكية وليست ثابتة ولا يمكن أن تكتفي بنفسها وتجدد نفسها ذاتيًا دون الاحتكاك بالآخر خاصة مع نمو وسائل الاتصال الرقمي وتطورها السريع.66

II. آلية المواجهة بالعنف والمناهضة

يعتبر هذا المحور آلية من آليات التفاعل مع الآخر، حيث بعض الثقافات تنظر للثقافة الرقمية نظرة نبذ وإقصاء ورفض، لأنها السبب في المآسي والتخلف الذي وصلت إليه الأمم والشعوب العربية وفي مقدمتها الجزائر، فحماية ثقافتها لن يتحقق إلا إذا انتقلت من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة، عن طريق وضع سياسات ثقافية شاملة توازي سياسات التنمية وتحتويها مع نشر ثقافتها وتعميق قيمها الروحية والدينية.

III. آلية المواجهة بالحوار مع تفعيل عناصر الثقافة المحلية

إن السبل لتفعيل وتحقيق الأمن الثقافي في الجزائر حسب هذا المحور يكون بتكامل وتكافل جميع الأطراف الداخلية من أجل الحفاظ على مقومات الثقافة الوطنية والمتمثلة في الدين الإسلامي، اللغة العربية والتراث الأمازيغي؛ الذي يشمل الماضي والعادات والتقاليد التي يملكها المجتمع، كما يشمل التصدي لكل ما يمكن أن يهدد الأمن الثقافي الهوياتي من عوامل خارجية كالعولمة وتكنولوجيا الاتصالات والثقافة الرقمية وبالتالي يكون المجتمع ممتلكًا لكل أدوات الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية ضد الثقافات الوافدة والتيارات الهادمة.67

ومن الآليات التي يجب أن تعمل بشكل إيجابي لتحقيق الأمن الثقافي الجزائري لما له أهمية في حياة المجتمع الذي أخترق بفعل التكنولوجيا الرقمية التي تعتمدها العولمة الثقافية، والتي تركز في مجملها على عملية التنشئة الاجتماعية للمواطن، والتي تدخل في كل ما يلقنه الآباء والمدرسون ومختلف مؤسسات المجتمع المدني ومنها:

---

[66] ميمونة مناصرية، **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة**، مرجع سابق، 211-212.

[67] أوشن سمية، **دور المجتمع الجزائري في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي**، 161-162.



➢ **الأسرة:**[68]

- توجيه الأسرة الجزائرية وتوعيتهم بالمخاطر التي تبثها الفضائيات الغربية ولاسيما تلك التي تعمل على تشويه منظومة القيم والعادات والتقاليد المحلية.
- محاولة تنظيم وقت المشاهدة للأطفال من قبل الأسرة وتفعيل سلطة الآباء من خلال الحوار الديمقراطي.
- إنماء الإحساس في نفسية الفرد بالخصوصية الثقافية ومميزات الثقافة الحضارية وحب الوطن بالتفاعل المدرك مع الثقافات الأخرى على أساس التعاون والتكامل دون تبعية لثقافة أخرى.

➢ **المؤسسات التربوية والتعليمية:**[69]

- إعادة تأهيل معلمي اللغة العربية في كل المراحل عبر دورات تدريبية وإلزامهم على التحدث باللغة الفصحى لأنها رمز الوطن وهويته.
- اعداد عناصر العملية التعليمية اعداد جيدًا لمقاومة ومواجهة تحديات الثقافة الرقمية.
- إعادة بناء المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم على نحو يهدف إلى تأصيل الملامح الحضارية والثقافية في الشخصية الجزائرية لمواجهة تحولات اليوم.
- التحصين الديني من خلال تعليم الشباب أمور دينهم وتدريس ثقافتهم الإسلامية دراسة عميقة متأنية.
- تنظيم العديد من الندوات والمؤتمرات لأولياء التلاميذ وإعلامهم بالطرق والآليات الجديدة للتعامل مع الشباب في العصر الرقمي.
- وضع خطة تنفيذية من وزارة التعليم وتفعيل قوانينها فيما يتعلق بالاهتمام بتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية بالمدارس.

- إحياء التراث الثقافي الأمازيغي وتنقيته من الشوائب الدخيلة التي عملت على إضعافه، وإعادة تركيبه بما يتفق مع تطورات العصر الرقمي.

- **المجتمع المدني:**
- تقوية برامج وأنشطة المجتمع المدني في مجال الدفاع عن القيم المحلية والثقافية.
- تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني في مواجهة العولمة الثقافية والتصدي لها.

النتائج والتوصيات:

---

[68] محمد زغو، **أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2010، 100.

[69] أيسم سعد محمدى محمود، **تعزيز الهوية الثقافية العربية في مدارس التعليم الأجنبي "دراسة ميدانية"** مجلة العلوم التربوية العدد 4 (الجزء 1)، أكتوبر 2017، 84-86.

يتجلى من خلال دراسةموضوع الثقافة الرقمية وأثرها على القيم الثقافية المحلية للمجتمع الجزائري، أن الاستخدام المبالغ فيه لوسائل الاتصال المتعددة قد أثر بشكل كبير على القيم الثقافية للمجتمع المحلي، حيث أن حداثة هذه الوسائل في مجتمعنا وما تتميز به من استقلالية وغياب الرقابة فيما يقدم للشباب قد انعكس سلبًا على انخراطهم في خدمة أمتهم والنهوض بحضارتهم واقتصادهم.

ولذلك ينغي على الأمة الجزائرية أن تتعامل مع التكنولوجية الرقمية بمنطق التعدد الثقافي في إطار التوازن والتكامل، وعليها أن تستفيد من كل المقومات التي تقدمها في دعم الثقافة المحلية وتثبيت خصوصيتها بما يحفظ كيانها وهويتها في ظل الفاعلية مع الثقافات الأخرى.

ومن خلال النتائج السابقة التي توصلت إليها الدراسة، تم استنباط عدد من التوصيات لمجابهة تحديات الثقافة الرقمية:

- وضع استراتيجية شاملة تشترك في وضعها الحكومة والمؤسسات التعليمية والثقافية والمؤسسات المجتمع المدني تهدف في مجملها الى نشر الوعي بكيفية الاستخدام الأمثل والمنظم لشبكات التواصل الاجتماعية والإعلامية في مجابهة تحديات التكنولوجيا الرقمية للحفاظ على الخصوصيات الوطنية والثقافية.
- إعادة بناء المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم على نحو يهدف إلى تأصيل الملامح الحضارية والثقافية في الشخصية الجزائرية لمواجهة تحولات اليوم.
- إحياء التراث الثقافي الأمازيغي وتنقيته من الشوائب الدخيلة التي عملت على إضعافه، وإعادة تركيبه بما يتفق مع تطورات العصر الرقمي.
- التركيز على فكرة الاستثمار في الرأس المال البشري والثقافي، من أجل خلق شريحة متعلمة مثقفة بإمكانها مواجهة التحديات الراهنة والمضي قدما بالجزائر لجعلها تواكب التنوع الثقافي والحضاري.

قائمة المراجع:

المذكرات

-أوشن،سمية،دور المجتمع الجزائري في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي– دراسةحالةالجزائر،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية، تخصص سياسات عامةوحكومات مقارنة، جامعةالحاج لخضر-باتنة، 2010.

-مناصرية، ميمونة، هويةالمجتمع المحلي في مواجهة العولمة: من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحةمقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية،جامعةبسكرة، 2012.

-نزاري، صفية، الأمن الثقافي لمنطقة المغربا لعربي في ظل تنامي العولمة: دراسة مقارنة لحالات الجزائر-تونس – المغرب،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية، تخصص علاقات مغاربية ومتوسطية في التعاون والأمن، جامعةباتنة 1، 2011.

المقالات المنشورة



-بلمادي، أحلام، سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمعا لجزائري،ورقةبحثيةمنشورة،جامعةلونيسيعلي،بليدة 02.

-جاسما لطائي،جعفرحسن،الأسرة العربيةوتحديات العصر الرقمي،مجلة الفتح العدد 51، 2016.

-جدي،مليكة،المنظومة التربوية في الجزائر من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة الكفاءات الشاملة، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة-الجزائر،العدد 7،مارس 2017.

-زغو،محمد،أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2010.

-شرقي،رحيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وتحدياتا لعولمة ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد 11،جوان 2013.

-عاطف عمرو،نعمان،العولمةوأثرهاعلى التراث،مجلةجيل الدراسات الأدبيةوالفكرية،العدد 24،نوفمبر 2016.

-محمدىمحمود،أيس مسعد،تعزيز الهوية الثقافية العربية في مدارس التعليم الأجنبي "دراسةميدانية"،مجلةالعلومالتربوية، العدد 4 (الجزء 1)،أكتوبر 2017.

-محمد خسارة ،ممدوح، العولمة الثقافية واللغة العربية،مجلة مجمع اللغة العربية،دمشق، المجلد 88،الجزء 2.

-نضرة، ميلاط، إشكالية الهوية الثقافية في الجزائر في ظل العولمة، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثامن ج1، جوان 2017.

+المؤتمرات العلمية

-عدنان محمد، مصطفى ،اللغة العربية في عصر العولمة بين الواقع والمسؤولية، ورقة بحثية منشورة عن المؤتمر العلمي لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية لجامعة السلطان قابوس – عما نحول: مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا،المجلد 2،ديسمبر 2007.

-فؤادا لنبلاوي، عايدة، الأسرة العربية في عصر مجتمع المعرفة-دراسة أنثروجرافية عبر ثقافية، ورقة بحثية منشورة عن المؤتمر العلميل كلية الآداب والعلوم الاجتماعية لجامعة السلطان قابوس-عما نحول: مجتمعا لمعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا، المجلد 2،ديسمبر 2007.

-مزارة، زهيرة، أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة: بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي-الجزائر نموذجا،ورقة بحثية منشورة في الملتقى الوطني المنظم من طرف قسم العلوم الاجتماعية لجامعة الجلالي بونعامة خميس مليانة-الجزائر حول: القراءة للتراث والهوية في زمن العولمةيوم 27 فيفري 2017.





ملتقى الهوية التونسية الجزائرية من خلال التراث المكتوب

The Tunisian-Algerian identity links through written patrimony

د. المداني آمنة، أستاذ مساعد، المعهد العالي للتوثيق، جامعة منوبة – تونس

madani_emna@yahoo.fr

د. دموش أوسامة، أستاذ محاضر -ب-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس –الجزائر

demouche31@hotmail.fr

الملخص:

سنعمل خلال هذه الورقة على إعادة التفكير في المنحدر المعرفي التونسي الجزائري، باعتباره نتاج تاريخ مشترك، ليس كذاكرة وثروة فكرية محفوظة بالمكتبات فقط، وإنما كذلك كمنهج وكنموذج نستلهم منه اليوم أساليب وأنماط في التفكير تتوافق مع هويتنا.

هذا الطرح قد سمح لنا بالتفكير في الاشكالية المتعلقة بالمدى الذي يمكن أن يتحول فيه التراث المعرفي المكتوب التونسي الجزائري بمكتباتنا اليوم الى رأسمال منهجي يصلنا بجذور أنماط تفكيرنا، ويمنحنا فرصة التفاعل مع تطور المعرفة الرقمية؟ وبالتالي فإشكالية المسألة لا تتعلق بمدى صلاحية مضمونه فقط، وانما هي اشكالية ابستيمولوجية تتعلق بالمنهج الذي يجب أن نفكر به فيه وبالمنهج الذي يجب أن ندركه في عمق تفكير أسلافنا.

ألزمنا هذا الطرح منهجيّا، على تشخيص مخزون مكتباتنا من تراث مكتوب والوقوف على سبل تثمينه، ونحن بهذا نتناول ثقافة مجتمعين ترسخت فيهما لعقود ممتدة في التاريخ تقاليد الكتابة والإنتاج المعرفي بمستوياته المختلفة، من أجل ابراز ثرائه باعتباره حقل معرفي مستقل بذاته يتطلب أن نتعامل معه باعتباره رأسمال معرفي، من شأنه أن يمنحنا خصوصيتنا وفق نماذج تفكيرنا العميقة تاريخيا، وليس بالضرورة اتباعا أعمى لنماذج الآخر.

الكلمات المفاتيح: التراث المكتوب؛ الهويّة؛ المكتبات الوطنية؛ تونس؛ الجزائر.



Abstract :

We will try, in this paper, to rethink the Tunisian- Algerian cognitive patrimony as a fruit of our common history. Not only as memory and cognitive wealth reserved in national libraries but also as method and pattern that inspire us ways and patterns of thinking appropriate to our identity.

This topic allow us to think about what extent the written cognitive Tunisian-Algerian patrimony in our libraries can becoming a methodical capital that connect us with our cognitive roots and in the same time provide us with the opportunity to interact with digital knowledge.

That's to say, the question is not about the content of that patrimony but rather an epistemological issue that necessitates the review of our methods of thinking on that topic in order to realize the depth of thoughts of our ancestors.

Our problematic guides us to diagnose the content of the written patrimony in our libraries to value it and to show the richness of that patrimony as an independent field of knowledge. We should mention here that we are talking about the culture of two societies with rooted written methods lasting for decades in written and producing knowledge in different fields. This patrimony provides us, moreover, with specificities that consistent with our deep historical ways of thinking and consequently protects us from the blind imitation of others.

Key words : cognitive patrimony; identity; national libraries; Tunisia; Algeria.

مقدمة

يعتبر إتصاق الشعوب بعمق بنيتها التاريخيّة وبأنماط تفكيرها الموروث من جيل إلى جيل من الإشارات الواضحة على ما يمثله المنحدر الفكري والثقافي المكتوب باعتباره من الركائز الدالة على هوية الأفراد والمجتمعات، حيث أننا لا نستطيع التفكير الا من خلال نماذج مبنية عقليا أو موروثة عبر سلسلة متماسكة من التراكم المعرفي.

هذه العلاقة المتلازمة بين النموذج التراثي باعتباره رؤية للعالم والكيفية التي يشتغل بها العقل العلمي تحتم علينا اليوم منهجيا إعادة التفكير في تراثنا المعرفي ليس كثروة فكرية وذاكرة للشعوب فقط، وإنما كذلك وبالأساس كمنهج وكنموذج نستلهم منه أساليبا وأنماطا في التفكير تتوافق مع هويتنا من ناحية وتتفاعل مع النماذج القائمة اليوم من ناحية أخرى، وبالتالي فإشكالية التراث المعرفي لا تتعلق بمدى صلاحية مضمونه فقط، وانما هي إشكالية ابستيمولوجية تتعلق بالمنهج الذي يجب أن نفكر به في تراثنا وبالمنهج الذي يجب أن ندركه في عمق تفكير أسلافنا، ولعل



هذا الطرح المبدئي قد سمح لنا بالتفكير في طرح الاشكال المتعلق بالمدى الذي يمكن أن يتحول فيه التراث المعرفي اليوم الى رأسمال منهجي يصلنا بجذور أنماط تفكيرنا، ويمنحنا فرصة التفاعل مع التطور المعرفي؟

للبحث في هذا الإشكال سوف نرتكز على دراسة نظريّة تصل التراث كقيمة بعناصر الهويّة، إضافة إلى عمل ميداني، حاولنا من خلاله على إبراز الملامح المشتركة للتراث المحفوظ بمكتبات بلدين متجاورتين: تونس والجزائر، لنقف على ملامح ركائز الهوية المشتركة بين البلدين.

ولعل ما برر اختيارنا هو الروابط التاريخية والجغرافية المشتركة، وعلاقات القرابة والنسب وكثافة حركة التنقل بين البلدين من أجل نيل العلم والتعلم. كما تعززت فكرة العمل المشترك من أجل تسليط الضوء على ملامح الهوية المشتركة أو الجماعية عبر تثمين التراث المكتوب بعد إطلاق مبادرة بين وزارة الثقافة التونسيّة ووزارة الثقافة الجزائريّة في ماي 2018، لبعث مشروع موسوعة جزائرية تونسيّة للتاريخ المشترك.

1. أي علاقة للتراث بالهوية

تعتبر الذاكرة المكتوبة امتدادا لخط التطور المعرفي، أعاد الإنسان به إنتاج نفسه، وخلّد به آثار إنتاجاته. من جهة أخرى يظهر التراث المكتوب، ركيزة من ركائز الهوية الجماعية، وذلك بما يحمله في طياته من أفكار سياسية واجتماعية ومن نظم اقتصادية وقانونية وخبرات أدبية ومنجزات علميّة لشعب ما وفي فترة زمنية محددة، إضافة إلى أنه مدونة وثقت أنماط الممارسات اليومية والعلاقات الاجتماعية التي تعكس بشكل من الأشكال خبرات الفاعلين الاجتماعيين ونموذج توزيع مواقعهم الاجتماعية واتجاه مواقفهم.

أما المشكل الثاني الذي أثار السؤال حول التراث والهويّة، فهو ما أصبحت تمثله قيم العولمة من تهديد للخصوصيات الثقافية المرتبطة بشكل مباشر بالمخزون التراثي وبثراء الإنتاجات المعرفية، لذلك سارعت الدول المقتدرة إلى التصدّي لكلّ ما من شأنه أن يخدش هويتها ويشتت تراكماتها وعناصرها، وأحاطت تراثها بسياسة حمائيّة من شأنها أن تمنع بها هويتها عن الذوبان خاصة إذا كانت هذه الهويّة تمثل علامة امتياز لهذه الشعوب تجاه زحف قيم العولمة (التهامي، 1998، ص29) الموجهة نحو التوحيد ونفي الخصوصيات الثقافية.

ولكن ما هو أخطر من ذلك، أن الأهمية السياسية، والمعرفية، والتاريخية-الثقافية للمخزون التراثي المكتوب وبصفته رأسمال لامادي، لم تنقذه من ويلات اللامبالاة أو النظرة التحقيرية أو الاستهلاكية أو التجارية بما أصبح يعبر عنه اليوم بمصطلح "تسليع التراث"، حيث ساهمت هذه الاعتبارات في إزاحته من مجال الفعل التاريخي وألقت به إما في غياهب النسيان أو في براثن الاستثمار والتبضيع والاستهلاك، وهي كلها رؤى تستوجب القطع معها من أجل تأسيس رؤية جديدة داخلية تنظر الى التراث المكتوب كمنطلق للتفكير والحوار.

2. الملامح المشتركة للتراث التونسي والجزائري المكتوب من خلال فهارس المكتبات الوطنيّة

ترتبط ضخامة الذاكرة المدونة إلى حدّ بعيد بثقل تاريخ المجتمعات وبقدرتها على نسج وتثبيت علاقاتها الخارجيّة (غراب، 1976، ص137) ، وبشكل عام فإنّ المطلع على فهارس المكتبات الوطنيّة بكلّ من تونس والجزائر، سوف يقف على تشارك المؤسستين في مضمون هذه الكنوز المدونة وتعدد أشكالها بين مخطوطات خطّها علماء وأطباء في الزمن القديم مثل إبن البيطار، وإبن ابي أصيبة، وإبن الجزار، وإبن قرّة، والبيروني وآخرون، ومطبوعات يعود تاريخ

طبعها بين بداية القرن السادس عشر وأواخر النصف الأوّل من القرن العشرين، حيث طبع بعضها بإحدى البلدين وبعضها ببلدان عربيّة وغربيّة، بفعل ما أقامته تونس والجزائر من روابط وعلاقات تأثير وتأثر بالآخر، ليظهر بذلك التراث المكتوب كنتيجة حتمية لهذه التفاعلات، وهي مطبوعات قد تنوعت مواضيعها، ويعتبر ذلك دليلا على ما خلده الفكر من آثار نقل العلوم المخطوطة والمطبوعة.

كما تركت المطابع التونسيّة والجزائريّة إنتاجا باللغة العربيّة، والتي تعزز إنتاجها في إطار دعوات الرجوع الى الأصل والإحساس بالهويّة ومقاومة الإستئصال والتغريب. أو باللغة الأجنبية، وهي عموما من تأليف وطبع أوروبيون تواجدوا بالأراضي المغاربيّة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي قوبلت سواء بقبولها كأفكار متطوّرة يجب الاقتداء بها من أجل نقل المجتمع من النمط التقليدي الى النمط العصري، أو أنها قوبلت بإنتقادات وبمحاولات للصد لأنه كان ينظر اليها على أنها ستحيد بالفكر العربي الإسلامي عن ثقافته.

إضافة الى ذلك، فقد كان لليهود بالبلدين، آثارا مخطوطة تعود الى القرن السادس عشر، حيث ركّز علمائهم الجهود على دراسة التلمود وهو ما برّر الطابع الديني للآداب اليهوديّة منذ القرن الثاني عشر الى اليوم، وهذه الكتب عموما لم توضع لغاية الطباعة، بل هي ملاحظات يوميّة وقع تدوينها بعد قراءة الكتاب (Canal, p.p.349-350)

ولا تقلّ دراسة تاريخ الصحافة التونسيّة أو الجزائريّة أهميّة عن غيرها من الدراسات، وذلك لما تميزت به الصحافة في البلدين من عراقة ومن تنوع وتشعب وتعدد في انتاجاتها، باعتبار أنّ كلّ دورية هي نتاج فكري تمخض عن ظروف تاريخية معيّنة، ولها خصائصها الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعية، وتعكس المناخ التاريخي العام الذي ظهرت فيه. وقد تتحدد أهداف الصحيفة كذلك حسب طبيعة العلاقة التي تربط مؤسسها بالسلطة السياسية.

هذا التراث المكتوب، وإن كان جزء كبيرا منه اليوم يعتبر تراثا على ملك الدولة التونسية أو الجزائريّة، إلا أنه في حقيقة الأمر تراثا انسانيا كونيا، لأنه خلاصة تفاعل مجموعة من الشعوب مختلفة الألسن (الساكر، 2003 ، ص19)، ولعل هذا التفاعل العالمي، يمكن أن نعثر على صورة له أو على ملخص له في ثراء مكتباتنا بالمجموعات القديمة والنادرة، والتي كتبت بلغات متعددة تروي تاريخ ومسار ورحلة الفكر المدون أثناء الثورات وتغيّر الحكم وانقلاب الدول، وربّما هذا ما ساهم في تنوع أصل الأرصدة ولغتها وتخصصاتها وأمكنة حفظها.

هذا الرصيد الهائل من المدونات، والذي ننظر اليه اليوم باعتباره تراثا، كان في فترات ظهوره التاريخية، بمثابة الفاعل المعرفي الذي استطاع أن يحدث تغييرا عميقا في نمط تفكير بلاد المغرب العربي، حيث ظهرت تحاليل نظرية جادة لبعض القضايا ساهمت في حدود معينة في بروز وعي دقيق بحالة المنطقة المغاربيّة، كما ظهرت مواقف وحلول للمشاكل المعقدة في تلك الفترة، استمدها أصحابها من نماذج أوروبية معاصرة وحاولوا في الوقت نفسه الملائمة بينها وبين المعطيات الحضاريّة والتاريخية للشعوب المغاربيّة.

3. أية قيمة لمعارفنا التراثية المكتوبة؟

بهذا السؤال وقف العالم في مواجهة تحديات معرفية جديدة، تتعلق بكيفية إعادة بناء الماضي من أجل المستقبل، وتبعا لهذا السؤال حاولت نخب المجتمعات المعنية بإشكالية التراث أن تجيب في ضوء همومها ومشكلاتها



لتعيد بناء صورة الذات وتعزز الوعي التاريخي بما تملك وترسخ معنى الانتماء في محاولة لتعبئة قوى المجتمع على طريق التنمية والتطوير.

وفي هذا الإطار تتنزل دراستنا للجوانب التي منها تتأتى قيمة التراث باعتبارها إنعكاسا للمستوى الاقتصادي والسياسي والفكريّ، وكذلك للإشارة إلى علاقة التأثر والتأثير (Martin et Delmas, 1996, p284).

وفي هذا الصدد حددت اليونسكو القيمة الوثائقيّة للتراث العالمي بمجموعة من المعايير يمكن ذكرها باختصار على النحو الآتي: التأثير على تاريخ العالم، اللحظة: فهو شاهد على زمن، المكان: يقدّم معلومات هامّة حول جهة ما، الأشخاص: لأنّه مرتبط بشكل خاص بحياة أو أعمال شخصيّة أو مجموعة، الموضوع: إذ يمدنا التراث المكتوب بمعلومات خاصّة وثمينة حول موضوع هام، الشكل: اذ يمثل شاهدا هاما على أسلوب الكتابة، وعلى القيمة الاجتماعية والثقافية والروحيّة (Abid, 1996, p140).

نفهم إذا أنّ التراث يذكرنا بالظروف التاريخية التي أحاطت بالفكر(Martin et Delmas, 1996, p252) ، فعندما يعزم مجتمع على الخروج من التخلف فإنه يعمد إلى دراسة الفلسفة وتبني آراء السابقين، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وقد تتفاعل المجتمعات مع نظريات الفرس والهنود وربما تتأثّر أيضا بالآراء المصريّة في عهد الفراعنة والتي تسربت الى أفكار البابليين والاشوريين وغيرهم (عزوز، 1976، ص.ص 46-47)، ولمّا ازدهرت الفلسفة في البلاد الإسلاميّة تعاطاها أعلام تركوا آثارهم جليّة مثل الفارابي وإبن مسكويه وابن سينا والغزالي بالمشرق ثمّ ظهر بالمغرب إبن رشد وإبن الجزار القيرواني وإبن باجه وإبن طفيل.

نذكر أيضا، انه خلال القرون الوسطى وبداية عصر النهضة الأوروبيّة اكتشفت أوروبا تراثها اليوناني من خلال المفكرين العرب وخاصّة "إبن رشد" و"إبن سينا" و"الفرابي" و"إبن الهيثم" و"الرازي" و"الخوارزمي" وآخرون، وعندما رسخت أقدامها على أرض نهضتها رجعت الى المصادر الأصليّة لتراث اليونان، واستعانت بروايات العرب من هذا التراث كعامل مساعد، واستثمرت إضافات العرب الفكريّة وشروحاتهم وإبداعاتهم حول هذا التراث، وهذه هي المهمّة المطروحة على النهضة العربيّة اليوم، وهي المهمّة التي لا يمكن إنجازها بدون التخطيط والتنفيذ العلميين بشكل تحول مخزوناتها التراثية المعطلة الى طاقة دافعة للفعل.

ولتوضيح الأهمية الوجدانية للتراث المكتوب وارتباطه بمسألة الوعي والهوية والإنتماء والشعور بالذات، يقدم جلال الرويسي (1997) عن برنار هوشي Bernard Huchet المكلف بالتراث بإدارة الكتاب والمطالعة، مثالا حول مخطوط كوري الأصل صادرته القوات الفرنسية سنة 1866، وبعد مئة وثلاثين سنة أي حوالي 1990-1991 أعلنت كوريا عن استرجاعها لهذا المخطوط، ويصادف هذا التاريخ صعود كوريا الجنوبية كقوة اقتصادية، ويبين ذلك أنّ استعادة الشيء هو أمر أساسي لأنه الدليل على هوية البلاد ووجودها التاريخي، وقد قدم الرئيس الفرنسي بنفسه المخطوط الى الرئيس الكوري أمام التصوير التلفزيوني رغم معارضة حافظي المكتبات، فهذا التراث هو مصدر عزّة وفخر وطني، وكذلك نفس هذا التراث هو الذي يصدّر الى الخارج صورة تاريخ البلاد وتجذرها في حضارتها (Rouissi, Jalel, 1997, p66)

ومنذ بدايات القرن العشرين لم يعد ينظر الى الكتاب القديم على أنه مجرد تحفة فنية، وانما أصبح ينظر اليه على أنه موضوع استثمار سياسي، وسلاح روحي من شأنه شحن الشعوب وتعبئتها روحيا، وذلك بربطها بماضيها الحضاري والثقافي لأغراض سياسية، ونضرب لذلك مثالا من التاريخ أنه قد اعتمد النازيون على سبيل المثال في حروبهم بين سنة



1939 وسنة 1944على التعبئة الروحية المرتبطة بالتراث الفكري الألماني الحقيقي أو المفترض والذي يمكن أن يكون قد ضاع منذ قرون، وذلك قصد كسب الدعم المطلق للنظام أو مقاومة الأفكار المناهضة له ,Varry, Dominique, 1996) .p38)

4. أزمة الفهم والتعامل مع تراثنا بالمكتبات

هل حقّا انّ اهتمام المجتمعات بتراثها الفكري والحضاري والتفات الشعوب في فترات يقظتها هو بالضرورة عودة إلى العيش ثانية في إطار القيم والمفاهيم والعلاقات التي سادت العصور التي كتب فيها هذا التراث؟ وهل يعني التمسك بالتراث إغراقا للعقل في أشدّ صفحات الماضي تخلفا؟ (درويش، 2009، ص75)؟

في خضمّ تصاعد ديناميكية المثاقفة على نحو غير مسبوق، ونظرا لسرعة وكثافة وشمول العلاقات بين الجماعات البشريّة اليوم، أصبح الموروث الفكري يحدق به خطرا جسيما جعل أغلب المجتمعات تعاني من أزمة الهويّة الثقافيّة والتاريخيّة، وتشعر بعدم امتلاك الفكر خاصة عند شعورها بعدم جدوى ما تمتلكه من ثروات فكريّة وتعتقد أنّ تراثها مفقودا أو سائرا في طريق الموت البطيء.

ويمكن أن نفهم معنى أن يكون التراث مفقودا، عندما نعيش بلا ذاكرة تحتفظ بما حفل به من أفكار وتجارب متباينة، وعندما نفتقد أدوات ومناهج البحث والنشر والاكتشاف ولا نرى من هذا التراث إلاّ اوراقه المطويّة الصفراء.

في الواقع، إنّ المتأمل فيما نملك من مدونات قديمة محفوظة بخزائن مكتباتنا، سرعان ما يدرك أهميتها التاريخية وأنها ثروة لا يجب بأي شكل من الأشكال الاستهانة بها، لأنها بعثت الى الوجود نتيجة حركة علمية واقتصادية واجتماعية وسياسية معقدة، وفي نفس الوقت كان لها تأثيرا انعكاسيا على هذه المجالات الحيوية التي أنتجتها.

ولكننا في نفس الوقت، لا نعلم عنها الكثير وما زلنا نتعامل معها الى اليوم بشكل اعتباطي لا يعكس قيمتها الحقيقية، ولعل من مؤشرات سوء التعامل مع هذه الكنوز المعرفية أن أرشيف مؤسسات الحفظ والتوثيق مثل دار الكتب الوطنية لا يحتوي على أرشيف خاص يؤرّخ لمصدر هذا التراث، إضافة إلى ضياع عديد الدفاتر التي كان من المفترض أن تحصر الأرصدة القديمة.

كما أن ما كشفه لنا العمل الميداني بتونس والجزائر، أن نفائس وأمهات الكتب لا توجد فقط في مؤسسات الدولة الرسمية، وإنما هي موزعة بشكل غير منظم وغير مفهرس في عديد المكتبات الخاصة لبعض العائلات الكبرى أو الباحثين الكبار، وهي إلى جانب تبعثرها هنا وهناك، معرضة إلى شتى أنواع المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الوثيقة المكتوبة، من ضياع وإتلاف وحرق وسوء استغلال وعدم القدرة على مناولتها لعامة القراء للاستفادة منها. كذلك تظهر ملامح سوء التعامل مع التراث في سوء التنسيق بين المؤسسات العمومية المعنية بحفظ واستغلال التراث الوطني المكتوب ومن غياب الوعي لدى المسؤولين والأعوان بأهميته.

ولكن تجاوزا لهذه التصورات يبرز لنا اليوم التراث المكتوب، باعتباره فاعلا تاريخيا رمزيا يقطع مع قطبية التقديس أو التهميش، ليقترح نفسه من جديد وبكل جدية كقوة تواصلية يستوجب التعامل معه في عمق مضمونه وفهمه في علاقته الديناميكية مع واقعه الذي أنتجه وتفاعل معه.

5. لماذا العودة الى التراث؟

للعودة إلى التراث ما يبرره وما يعطيه مشروعيّة صفة المدافع عن الخصوصيات والمؤكّد للذات، إنّ ما يهمنا من دراسة التراث المكتوب بمكتباتنا، ليس لمجرد معرفة مصدره ومسالك انتقاله إلى أن استقر بالتراب التونسي أو الجزائري فقط، أو مجرد معرفة الظروف التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والمعرفية التي ساعدت على نشأته، وإنما بالأساس من أجل التأكيد عليه باعتباره قيمة وثروة فكرية، لا يستحق الحفظ فحسب، وإنما كذلك أن نعيد النظر إليه باعتباره قوة دفع حضارية.

يجزم محمد عابد الجابري (1980) أنّ لا أحد يستطيع أن يفكر دون أن يكون متأثرا بالمخزون الفكري التراثي، "فكلّ الشعوب تفكّر بتراثها" (الجابري، ،1980، ص22)، بهذا الشكل نفهم أنّ التراث بشكل عام، يعكس وعيا تاريخيا، أي أنه ليس مجرّد ذاكرة انتقائية لأحداث متفرقة وقعت دون علاقة فيما بينها، وإنما وعي جمعي يمثل نسقا فكريا ترتكز عليه التنشئة الاجتماعية ويبلور الشعور بوحدة الأنا الاجتماعية ويفرز روح الإنتماء (جلال، 1995، ص318).

نذكر أيضا اتساع دائرة التساؤل حول الهوية والذات في ظلّ الأزمات والتحولات الراهنة التي بدأ فيها الآخر مهيمنا وفاعلا أساسيا، لذلك يمثل الرجوع إلى الماضي مسكنا اجتماعيا ومصدرا للإحساس بالطمأنينة.

يمكن القول إذا بوجود قاع نظري فكري برز في العقود الأخيرة وأعطى لعودة التراث مشروعية ومهّد الطريق لإعادة رسم البعض من عناصره في المعيش الاجتماعي الحديث، وفي هذا الإطار روّج لمفهومي الحداثة والتجديد بقوّة وكان حضورهما قويّا على صعيد الفكر والممارسة في كلّ المجتمعات المتقدمة منها، أو التي هي حديثة العهد باستقلال هذه المجتمعات التي تسارعت فيها أنساق التحديث ولو بمسارات مختلفة (درويش، 2009، ص76).

لكن السؤال المطروح هنا هو كالآتي: هل تخضع عودة التراث لعمليات انتقاء منهجيّة؟

بمعنى آخر هل يمكن أن تكون هذه العودة واعية، تحاور التراث دون حرج من خلال تشجيع السلوك الابتكاري والإبداعي الذي يتخذ التراث مرجعيّة؟، والى أيّ مدى يمكن أن ينخرط مجهود حماية التراث في إطار منظومة نهضوية تحرّك الفاعلين نحو إعادة إنتاج المعايير التي يتميّز بها الإبداع عن التكرار، والخلق عن الإستبدال، والتغيير عن التخريب؟

كما نتساءل، هل يمكن أن تقابل هذه المنهجية في التعامل مع التراث بارتياح من قبل من يعتبرون التراث في كليته مقدسا؟ وأنّ تجديده لا يعدو وأن يكون إلاّ اعتداء على موروث يتوفر على شحنة رمزية؟، ألم يرى البعض أنّ المطلوب ليس التجديد في التراث بل محاكاته والوفاء لخصائصه لأن في ذلك وفاء للماضي وقيمه؟

عادة ما نقيس نضج الأمّة ونهضتها بمدى استلهامها لتراثها في زمن نهضتها (Andrerie, 1997, p11) ، لذا فإن لغيابه ثمن يدفعه المجتمع فكما هو حامي للقيم هو ناتج عنه، وربما نعتبر هذا الدافع محفزا نتفادى به موت أو نسيان التراث بتجديده وإحيائه (تمام، 1999، ص29)، لأنه من علامات التخلف أن يجهل شعب تاريخه وتراثه وربما يكون ذلك نتيجة جهله لذاته، فتراه يتخلص من تراثه ويزهد فيه ويتركه لمن يسعى لإقتنائه بالمال، فببعض الدنانير قد تشترى كنوز الفكر وتجربة شعب طيلة قرون، وفي هذا السياق يذهب محمد حسين فنطر (1976) إلى أنّ الجهل بالتراث هو نتيجة الخوف من قوّته ونتيجة لمخطط وضعه المستعمر وذلك بغرس مركبات الازدراء والتقزز والاحتقار تجاه التراث آملا بذلك



في القضاء عليه لوعي منه أنه رابط فكري وثقافي وحضاري هام لتركيز وتقوية الشعور بالإنتماء والهويّة (فنطر، 1976 ، ص39).

6. كيف ننقل التراث من العطالة الى الفاعليّة؟

تتغير زاوية الرؤية الى التراث مع كلّ مرحلة حضاريّة، بقراءة جديدة، لا تكون إفتتانا على التاريخ بل متابعة والتزاما أكثر عمقا (جلال، 1995 ، ص125)، فنحن لا نستطيع أن نغفل أنّ التراث المكتوب كمبحث علمي يخضع لما خضعت له العلوم من تطور، ويستفيد بما قدمته هذه العلوم من نظريات وإنجازات مثلما تستفيد هي منه ويزيد في حصادها المعرفي. فمن غايات هذه العلوم مجتمعة دراسة سلوك الإنسان وفهم هذا السلوك في إطار مجتمعي، ونحن بعد هذا بحاجة إلى قراءة جديدة وكتابة جديدة لتاريخنا في صورة تاريخ اجتماعي انطلاقا من هذا المنهج (جلال، 1995، صص339-340)، في هذا الإطار لنا أن نتساءل على ضرورة الإحياء والتجديد.

يؤكّد محمد عمارة (1974) على أنّ الوعي بأهميّة تجميع التراث على أساس موضوعي، بشكل يملئ الكثير من الثغرات الموجودة في مكتبة تراثنا. فإذا ما أصبحت لدينا في مكتبة مطبوعاتنا المعالم البارزة للمدارس الفكريّة المختلفة التي شهدها تراثنا، نكون بذلك قد أنجزنا شيئا هاما وضروريّا في ميدان إحياء تراثنا ونشره وإقامة القاعدة الأساسيّة التي تجعل الاستفادة منه حاضرا ومستقبلا أمرا ممكن التحقق، ويمنحنا فرصة التمهيد لنصوص قديمة بدراسة عصريّة تلقى الضوء على قضاياه وعصره وموضوعه (عمارة ،1974، صص26-27).

وإجابة عن تساؤل طرحناه في البحث حول مشروعية العودة الى التراث، يمكن القول أن لكلّ من المجتمع التونسي والمجتمع الجزائري بحكم تجاورهما وتشاركهما التاريخي، تراثا حضاريا متنوعا، إذ أنهما قد ورثا في ذات الوقت قيما ثقافية متعددة، من بينها ثقافة إحترام المكتوب الموروث بحفظه والاهتمام به، ورسم سبل للإستدلال عليه والوصول إليه. وبهذا الشكل يعاد الإعتبار إلى التراث (درويش ،2009، صص83-84)، عبر إعادة توظيفه. وفي هذا السياق قد نتساءل أحيانا إلى متى نبقي الصدى لغيرنا مرددين لما شاع عنه ومقلدين لأفكاره القديمة التي بدأ هو نفسه في التراجع عنها؟

يثبت واقع المعاينة الاجتماعية، أنّ نتاج فعل المؤسسة الثقافيّة يصدر عن المكتبات بإعتبارها مؤسسات حفظ الخبرات الثقافيّة وصيانتها، وكذلك عن مؤسسات التوجيه والترويج والدعاية، ويراعى هذا المنظور ما تشتغل به تلك المؤسسات من إعادة إنتاج التراث الثقافي وتصنيفه وحمايته وإحيائه وتجديده وتنظيم زيارات للتعريف به. ويعتبر ذلك من وجهة الاستراتيجيات التنموية التي يمكن أن تضطلع بها المؤسسة الثقافيّة، إنتاجا للقيم الإعتبارية، والرمزيّة، وتوظيفا اجتماعيا لها، عبر ما نسميه "التصريف المضارع للماضي" (غراب، 1976، صص91-92).

وتقع الاستراتيجية التنموية للتراث المكتوب ضمن السياسة الثقافية بإعتبارها جملة التشريعات القانونيّة والإجراءات الإداريّة والبرامج التنشيطيّة والمخططات والممارسات التنفيذيّة للمواد التراثيّة الثقافيّة، فتذكرنا بلحظة تاريخيّة هي على الأغلب منسيّة. وربّما كان التراث الأجنبي في نسخته الأصل، له من النفاسة ما يرفع من قيمة البلاد اذا ما كان بحوزتها، وليتحول إلى جزء من تراثها بحكم ملكيتها له، رغم ما يمثله من قيمة محورية لدى الأجانب لأنه يصوّر لحظة

تاريخيّة تخصهم (Boully, 1996, p60). ولذلك سعت الدول المتقدمة إلى تخصيص اعتمادات ضخمة للتعريف بتراثها ووضع برامج تثمين تمنح من خلاله التراث ما يستحقه من القيمة.

7. جهود المكتبات الوطنية بالبلدين في تثمين تراثها من أجل تفعيل ركائز الهويّة

يعتبر الفهرس العام للمخطوطات والمطبوعات القديمة والنادرة بدار الكتب الوطنيّة التونسيّة والمكتبة الوطنية الجزائريّة على حد السواء من أهم آليات التعريف بالتراث المكتوب من أجل تيسير التبادل بين المؤسسات المعلوماتيّة، والمتأمل في هذه الفهارس يقف على حقيقة تشارك المؤسستين في أغلب عناوين المؤلفات. تتموقع هذه الفهارس والبيبليوغرافيات في نصف الطريق بين التاريخ والتراث والمعلومة، لترسم معالم الهوية وإلى مزيد المعرفة بالتراث المكتوب، الذي يرقد أو يختفي في الظلّ.

أما الفهرس الإلكتروني بكلا المكتبتين الوطنيتين، فهو نتاج لتضافر جهود المصالح التقنيّة والفنيّة المختصة، نذكر منها على سبيل المثال خليّة التحويل الإستيعادي بالمكتبة الوطنيّة التونسيّة، وهي ورشة عمل تقرر تكوينها إثر الحاجة الملحّة لخلق فهرس إلكتروني للتراث المكتوب بالمكتبة، ويحصي الفهرس الإلكتروني كامل الرصيد المخطوط والمطبوع والمؤلفات باللغات الأجنبيّة والتونسية التي ظهرت قبل سنة 1966.

ويعتبر إنطلاق مشروع التحويل الإستيعادي بدار الكتب الوطنية في إطار تطوير وتعصير المؤسسة، وارتكز على تحويل فهارسها الورقية على منظومة اعلامية تعتمد شكل التبادل الآلي Unimarc، وقد انطلق منذ شهر سبتمبر سنة 2001 كمواصلة لمشروع سابق اعتمد الفهرسة الآلية قد بدأ منذ سنة 1998 وتمثل في تحويل الفهرس الورقي التونسي باللغة الفرنسية والذي يعود إلى ما قبل 1966، وذلك قصد حفظ الذاكرة من خلال آثار وجود الوثيقة وهي الجذاذة الورقية ثمّ الآليّة، يلي ذلك هو تسهيل وتعصير البحث والاسترجاع.

تحصل المشروع التحويل الإستيعادي على ميزانية وانطلق بعد دراسة إرتكزت على علاقة تعاون مع حافظي مكتبات من المكتبة الوطنية الفرنسية، تتمثل أهميّة المشروع بإعتباره آلية تسهل إتاحة وتعريف التراث المكتوب، خاصة وأن مسألة حفظ الفهارس القديمة أصبحت لازمة نظرا للوضعيّة الحساسة للجذاذات القديمة.

كما تعمل المكتبة الوطنية الجزائرية من جهتها إلى حماية هذا التراث المكتوب من المخطوطات، والكتب والمؤلفات النادرة، ومعالجته فنيا خاصة تلك التي تحتويه مصلحة الرصيد المغاربي، وقد تبنت لذلك المكتبة الوطنية مشروع التصوير الرقمي لهذا التراث، وتوفير فهرس آلي إضافة الى الفهرس اليدوي يضم أكثر من 1800 عنوان. كما تحرص على تثمينه من خلال الندوات والملتقيات العلمية، وعقد المعارض الوطنية والدولية، بالإضافة الى إشراكه بصفة مستمرة في المناسبات والتظاهرات العلمية والتاريخية الوطنية، والإقليمية، والدولية.

تعمل كلا المكتبتين الوطنيتين اليوم بخطى مدروسة من أجل بعث مكتبتها الرقميّة الخاصّة لإتاحة تراثها المكتوب بشكل رقمي دون المساس بالوثيقة الأصليّة، خشية الضرر بالأصل. وتعتبر هذه المبادرة الرقميّة نتاج جهد من أفلمة وثائقها المحفوظة وتحويلها إلى وعاء رقمي أو نتاج الرقمنة المباشرة عبر المسح والمعالجة.

خاتمة



نخلص في هذا المقال الى الإقرار بأن صفة القدم في الزمن هي ما منحت التراث المكتوب، القيمة والنفاسة الأثريّ (Rautenberg , 2008, pp6-17) ، ولكن في تقديرنا أن هذه الرؤية لا تكفي ولعلها في جانب منه قد ساهمت من حيث لا ندري في تحنيط المنتوج التراثي لأنها رفعت من قيمته الرمزية دون أن تمنحه القيمة النوعية الفاعلة بإعتباره فاعلا وحركة دفع الى الأمام أو بإعتباره رؤية منهجية لكيفية معالجة الإشكاليات المطروحة علينا اليوم،، كما أنه في ظلّ غياب هذه الذاكرة المكتوبة، تفتقد كتابة التاريخ للكثير من الحقائق، وربما هذا ما دفعنا لإعادة التفكير في القيمة المضافة للتراث المكتوب والنظر إليه بعيدا عن كونه تراكما ميتا الى مستوى الفاعليّة .

من جهة أخرى نشير إلى أنّ الوعي بوجود كنوز فكريّة وعلميّة تعود إلى عدّة قرون، ربّما لا تخدم الحركة العلميّة حاليّا، لكنها هامّة في بعث الثقافة حتى لا نبدو غرباء عن الحقل المعرفي، وبهذا المعنى لنا أن نفهم كيف أنّ مفهوم التراث هو مفهوم إنساني جامع، يتجاوز الثنائيات والمقاربات الكلاسيكية إلى مستوى التفاعل بين الثقافات، فنستحضره كأول أشكال إثبات الذات وتأكيد الهوية، ومن هنا ظهرت الصبغة العالمية في الإعتناء بالتراث الإنساني الثقافي، بإعادة الإعتبار له وتوظيفه من جديد فلا نتحدث عن تراث مفقود أو ميت.

ولعلّ التراث المكتوب قد أصبح في ظلّ ثورة الإتصال والمعلومات وهيمنة حضارة الصورة والتكنولوجيات، الذاكرة الواعية والحية للشعوب، ولهذا فإنّ الإهتمام بتوثيقه واستغلاله بصفته رأسمال معرفي، أصبح ضرورة يعكس درجات التطور الحضاري للمجتمعات، فلم نعد نتحدث عن كتاب قديم أوعن أثرية الكتاب وورق بال يستوجب المحافظة عليه، بل يجعلنا هذا التراث المكتوب في ظلّ الثورة التكنولوجية نتفاعل مع ما أطلق عليه بمجتمع المعرفة، لأنه يثبتنا من ناحية في جذورنا ومن ناحية أخرى يثري الزاد المعرفي بإعتباره مصدرا لا يمكن أن تستغني عنه العلوم.

لكن ما نعيبه في هذا الخصوص وخاصة هو أنّ دراسة إدماج التراث لم تأخذ حظها بحثا وتطبيقا، إذ يبدو أنه من الصعب بالنسبة إلى المجتمعات العربية إدماج التراث المكتوب في عمليات التنمية، فهي مجتمعات لم تضبط تصورات واضحة ودقيقة عن كيفية إشراك كنوزها المعرفية في عمليّة التنمية، عبر رسم برامج لاستغلال التراث المكتوب، والتحسيس بضرورة التعامل معه. ولعلّ الدليل على ذلك، ما رصدناه بعد البحث والدراسة من نقص في مستوى إعداد البيبليوغرافيات الراجعة والكفيلة بحصر كامل الرصيد التونسي والجزائري المشترك والعاكس لمعالم المشاركة الحضاريّة والثقافية بين البلدين. إضافة إلى عدم مبادرة البلدين لبعث مشروع رقمنة أو مكتبة رقميّة تونسية جزائرية متاحة على الخط، تثمن الرابط التاريخي والحضاري والثقافي والمعرفي من ناحية وتتيح وتحفظ المنحدر الفكري المكتوب من ناحية أخرى.

قائمة المراجع

- تمام، عبد الرحيم. (1999). *التراث والعولمة*. القاهرة: مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر.
- التهامي، خديجة. (1998). *المراحل التاريخيّة لمفهوم التراث من خلال النصوص القانونيّة التونسيّة الصادرة بين 1881-1998*، شهادة في التعمق في البحث. تونس: كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- الجابري، محمد عابد. (1980). *نحن والتراث: قراءات معاصرة من تراثنا الفلسفي*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- جلال، شوقي. (1995). *التراث والتاريخ*. القاهرة: سينا للنشر والتوزيع.

- درويش، الحبيب. (2009). أية مشروعية في العودة إلى التراث. في *دور التراث في استدامة التنمية: أعمال الندوة الدوليّة*. صفاقس في 23-24 نوفمبر 2007، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس.
- الساكر، الشاذلي. (2003، سبتمبر). الكتاب في تونس من البدايات الى الإستقلال. في *الحياة الثقافيّة*. العدد 147.
- عزوز، محي الدين. (1976). دور التراث الفلسفي في بناء الحضارة المعاصرة. في *التراث ودوره في البناء الحضاري المعاصر: دراسات ملتقى يحي بن عمر*. تونس: وزارة الشؤون الثقافيّة. (منشورات الحياة الثقافيّة).
- عمارة، محمد. (1974). *نظرة جديدة الى التراث*. بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.
- غراب، سعد. (1976). كيف نهتمّ بالتراث. في *التراث ودوره في البناء الحضاري المعاصر: دراسات ملتقى يحي بن عمر*. تونس: وزارة الشؤون الثقافيّة. (منشورات الحياة الثقافية).
- فنطر، محمد. (1976). منزلة التراث في نهضتنا القوميّة. في *التراث ودوره في البناء الحضاري المعاصر: دراسات ملتقى يحي بن عمر*. تونس: وزارة الشؤون الثقافيّة. (منشورات الحياة الثقافيّة).
- Abid, Abdel Aziz. (1996). Mémoire du monde : préserver notre patrimoine. in *Le patrimoine en mouvement : migration de l'écrit au fils des siècles :* actes du colloque, Roanne, Coll. « mois du patrimoine écrit ».
- Andrerie, Dominique. (1997). *La Notion et la protection du patrimoine*. Paris : Presse universitaire de France. coll. « que sais-je, 3304 ».
- Boully, Jean-Louis. (1996). Le fonds chinois de Lyon : un patrimoine de hazard et de nécessité. in *Le patrimoine en mouvement : migration de l'écrit au fils des siècles :* actes du colloque, Roanne, coll. «mois du patrimoine écrit».
- Canal, Albert (s.d). *La Littérature et la presse tunisienne de l'occupation à 1900*. Paris : La renaissance du livre.
- Martin, Henri Jean et Delmas, Bruno. (1996). *Histoire et pouvoir de l'écrit*. Paris : Albain Michel, coll. «Bibliothèque de l'évolution de l'humanité».
- Rautenberg, Michel. (2008). Du patrimoine comme œuvre du patrimoine comme image. in *Stratégies Identitaire de conservation et de valorisation du patrimoine*, sous la dir. Jean Claude Nemery, Michel Rautenberg et Fabrice Thuriol. Paris : L'Harmattan.
- Rouissi, Jalel. (1997). La valeur économique du patrimoine des Bibliothèques. in *Economie et bibliothèques*. Paris : Cercle de la Librairie. coll. «Bibliothèques ».
- Varry, Dominique. (1996). Destruction et spoliation des collections de bibliothèques en temps de guerre. in *Le patrimoine en mouvement : migration de l'écrit au fils des siècle :* actes du colloque, Roanne, coll. «mois du patrimoine écrit».






وسائل الاتصال الحديثة ودورها في تعزيز التنوع الثقافي بين المجتمعات

Modern means of communication and their role in promoting cultural diversity among societies

1- يوبي عقيلة، طالبة دكتوراه

2- حربي سميرة، استاذ محاضر-أ-

ملخص:

لقد عرف العالم تحولات جد كبيرة وعميقة في مجال التكنولوجيات الحديثة والتنوع الثقافي، اذ حملت معها العديد من التغيرات التي مست مجالات مختلفة، كما أنها عملت على نقل العديد من الأطر والمفاهيم من الجانب التقليدي نحو تأسيس نموذج جديد في كل الميادين، تناولت هذه الدراسة دور وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز التنوع الثقافي بين المجتمعات من خلال فك حواجز العزلة التي كانت تعيشها المجتمعات وتقليص الهوة التي تفصلهم،كما فتحت وسائل الاتصال الحديثة في العصر الحالي نافذة يطل منها الإنسان المعاصر على ثقافة غيره والإسهام في التقريب بين الثقافات وخلق مضمون ثقافي جديد، حيث هدفت هذه الدراسة الى معرفة دور وسائل الاتصال الحديثة في إرساء معالم التنوع الثقافي وايجاد طريقة مثلى في تعزيز دورها في دعم التعايش في ظل مجتمعات متنوعة ثقافيا، خلصت هذه الدراسة إلى أن الاهتمام بالتنوع الثقافي يساهم في تقليص التباينات وفتح المجال امام العديد من الثقافات في تحقيق النسيج الثقافي الموحد، وتشكل وسائل الاتصال الحديثة القاعدة الأساسية لمجتمع التنوع الثقافي بكل تجلياته الإعلامية والاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: وسائل الاتصال الحديثة، التنوع الثقافي، التقريب بين الثقافات، مضمون ثقافي،

Abstract:

The world has known very large and deep transformations in the field of modern technologies and cultural diversity, as it carried with it many changes that affected different fields, and it also worked on transferring many frameworks and concepts from the traditional side towards establishing a new model in all fields. This study dealt with the role of means Modern communication in promoting cultural diversity among societies by dismantling the barriers of isolation that societies used to live and reducing the gap that separates them. Modern means of communication in the current era have opened a window from which the contemporary man looks at the culture of others and contributes to bringing cultures together and creating a new cultural content. This study aims to know the role of modern means of communication in establishing the features of cultural diversity and to find an ideal way to enhance their role in supporting coexistence in culturally diverse societies. This study concluded that interest in cultural diversity contributes to reducing differences and opening the way for



many cultures to achieve the cultural fabric. The unified and modern means of communication constitute the basic basis for the community of cultural diversity in all its media, economic and social manifestations.

Key words: modern means of communication, cultural diversity, rapprochement between cultures, cultural content,

مقدمة:

ساهمت وسائل الاتصال الحديثة بربط كل منا بالأخر، وبالتالي فإن المجتمع البشري لن يعيش في عزله، فقد تغلبت وسائل الاتصال الحديثة على قيود كل من الوقت والمسافة، هذا ما يجعلنا مجبرين على المشاركة والتفاعل مع الجماعات، إذ انتشرت شبكات الاتصال عن بعد وشملت جميع أنحاء العالم من أجل إتاحة المعلومات لكل الشعوب.

وقد أدى هذا التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال إلى فتح آفاق جديدة للاتصال الجماهيري وأصبحت في متناول عدد كبير من الجمهور، إذ زاد بشكل كبير في فرص تنويع مصادر المعرفة والمعلومات وسهل عملية التواصل واكتساب معارف والانفتاح على ثقافات جديدة، إذ شهد العصر الحالي سرعة فائقة وتطور كبير في صناعة تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثة، ما انعكس إيجابا على شكلها ومضمونها وانتشارها وقدرتها على التأثير فوسائل الاتصال الحديثة هي النافذة التي يصل منها الإنسان على العالم ويرى من خلالها ثقافته وحضارته، كما تجعله يطلع على ثقافات مغايرة، جديدة عن ثقافة الوطنية مما تتكون لدى الفرد اتجاهات ومواقف جديدة نحو الثقافات الأخرى والتطلع لمعرفتها واكتسابه منها ما ينفعه من خلال العلاقات والتفاعلات التي تنشأ عبر وسائل الاتصال الحديثة نتيجة الثورة الرقمية التي تدعوا لتبني إيديولوجي الاتصال الجديدة القائمة على الاطلاع والانفتاح على ثقافات العالم مما ينتج عنه تنزع في الثقافات، فمن خلال وسائل الاتصال الحديثة يمكن إذابة الفوارق والخصوصيات الثقافية وكذا تنميط الناس بشكل لا يحترم إشكالهم الثقافية.

ومن هنا تكتسي دراستنا أهمية كبيرة في دراسة دور وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز التنوع الثقافي. كون هذا الموضوع يذهب بعيدا ما وراء البعد النظري المجرد، ليس فقط لوجود الدول التي يتوحد مواطنوها حول اللغة، التاريخ، الدين، وأساليب الحياة، بل تخطت ذلك إلى فلسفة التعايش بين مجموعة من الثقافات المختلفة في نسق اجتماعي واحد وتبادل الثقافات الوطنية.

والإشكالية التي تفرض نفسها مع هذه التطورات الحاصلة في وسائل الاتصال الحديثة وإشكالية التنوع الثقافي تتمحور في الآتي:

- ما دور وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز التنوع الثقافي ؟

❖ **أهمية الدراسة:**

- - تأتي أهمية هذه الدراسة من كون التنوع الثقافي هو أصبح محرك أساسي داخل المجتمعات وله تأثير قوي على الهوية الثقافية.



- - التطورات الراهنة في العالم خاصة في الوسائل الاتصالية الحديثة وانتشارها الواسع حيث أصبحت وسيلة لتدعيم وإنتاج المضمون الثقافي بين المجتمعات على اختلافها.
- -انفتاح العالم أو المجتمعات على بعضها البعض إذ أصبح قرية صغيرة تتلاقى فيها جميع ثقافات العالم وتتبادل المعلومات والقيم الاجتماعية، وإزاحة الهوة التي تفصل بينهم.

❖ **أهداف الدراسة:**

- تهدف هذه الدراسة إلى التحقق من دور وسائل الاتصال الحديثة تجاه التنوع الثقافي والى إيجاد طريقة مثلى تعزز من دور هذه الوسائل ودعمها للتعايش في ظل مجتمعات متنوعة ثقافيا.
- كما تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الدور الفعال لوسائل الاتصال الحديثة في إرساء معالم ثقافية جديدة ومحاولة التقريب بين الثقافات.
- كما تهدف إلى ضرورة معرفة مدى نجاعة وسائل الاتصال الحديثة في إنتاج المضمون الثقافي بين المجتمعات.

1-وسائل الاتصال الحديثة

1-1-مفهوم الاتصال: هو النشاط الذي يستهدف تحقيقها العمومية أو الذيوع أو الانتشار أو الشيوع عن طريق انتقال المعلومات، والأفكار أو الآراء أو الاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو جماعات.[70]

1-2-مفهوم وسائل الاتصال: تعرف على أنها الطرق التي تسمح للمجموعات من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت وتبادل المعلومات وهي بيئة تسمح للأفراد بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم التي العالم أجمع.[71]

* كما تعرف في الموسوعة الإعلامية: أنها الأدوات والنظم التي تساعد على القيام بالاتصال وتتمثل في الأدوات أساسا في الحاسبات الالكترونية وغيرها.[72]

1-3-وظائف وسائل الاتصال الحديثة:

تتعدد وظائف وسائل الاتصال الحديثة حسب الهدف المراد من خلال إيصال الرسالة أو المعلومة أو حسب نوعية الأثر الذي تسعى لأن تحقيقه، أو حسب الظروف البينية أو الدولية يمكن أن نحدد وظائف وسائل الاتصال الحديثة في النقاط التالية:

---

[70] -فتحي الابياري: الاعلام الدولي والدعاية، دار المعرفة، 1985، ص 10.
[71] - عباس مصطفى صادق: الاعلام الجديد(المفاهيم،الوسائل والتطبيقات)،دار الشروق،ط1، عمان، 2008، ص 31.
[72] - محمد منير حجاب: الموسوعة الاعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 805.



- تجاوز قيود العزلة التي يفرضها الاتصال الرقمي، حيث يتعامل الفرد لساعات طويلة مع الحاسب الشخصي بعيدا عن الاتصال بالآخرين في الواقع الحقيقي، وتجاوز قيود العزلة هذه يتم بالاتصال بالآخرين من خلال برامج الحاسوب أو الشبكات في إطار واقع وهمي.73
- سهولة الاتصال بالمواقع الإخبارية وفورية الإعلام، حيث تتوافر الآلاف من المواقع الإعلامية التي تقدم الوظيفة الإخبارية،وتنشر الوقائع والأحداث التي تتم في بقاع كثيرة من العالم في لحظة وقوعها.
- القدرة على القيام بالتعبئة لتأييد الأفكار التي تنادي بها،ومناهضة غيرها من الأفكار بحيث يمكن أن تسهم في تكوين رأي عام إقليمي أو عالمي نحو المواقف والقضايا والأفراد في وقت معين74
- غياب المصادر وتحري المصداقية تسهم في تدعيم وظيفة الدعاية، التي تسهم في جانبها السلبي في تحقيق الغزو الثقافي والهيمنة الثقافية والتبعية الثقافية.
- تقديم المعلومات المتعددة والمتنوعة التي تتميز بالضخامة بشكل غير مسبوق، نتيجة الخصائص التي تميزت بها وسائل الاتصال الحديثة.

1-4-أهداف وسائل الاتصال الحديثة

تسعى وسائل الاتصال الحديثة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- مسح البيئة: أي جمع ونشر المعلومات لما يقع في البيئة من إحداث وعلى المستويين الداخلي والخارجي.
- ربط أجزاء المجتمع: من اجل إحداث تجاوب موحد إزاء إحداث البيئة، أي تحليل المعلومات الواردة في البيئة والموقف الذي يجب أن يتخذ استجابة لها، وتعد هذه الوظيفة دعائية تتولى فيها وسائل الاتصال الحديثة الإيحاء للجماهير بالأفكار والمواقف التي يجب أن تتبناها.
- إشباع الحاجات النفسية: مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية، فالترقية والأخبار والمعارف والثقافة العامة، ودعم الاتجاهات النفسية، وتعزيز القيم، والمعتقدات أو تعديلها، والتوافق مع المواقف الجديدة.75

✓ التثقيف: يعتبر التثقيف هدفا من الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها وسائل الاتصال الحديثة،والمقصود بذلك الزيادة في ثقافة الناس الذين يقرؤون أو يستمعون أو يشاهدون ما يعرض من خلالها.76

---

[73] - رحيمة الطيب عيساني:مدخل الى الاعلام والاتصال المفاهيم الاساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الاعلامية، ط1، عالم المكتبة الحديث للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 152.

[74]- مجد هاشم الهاشمي: الاعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، 2006، ص 45.

[75]- زيادة احمد محمد،عودة محمد عبدالله، الخطيب ياسين ابراهيم:اثر وسائل الاعلام على الطفل، الاهلية للنشر والتوزيع، ص 13.14.

- ✓ تنمية العلاقات الاجتماعية: تقوم وسائل الاتصال المختلفة بدور الرابط الاجتماعي بين الناس، وتعميق الاتصالات الاجتماعية بينهم للوصول إلى هدف تنميتها بشكل مستمر،
- ✓ التربية والتعليم: أثبتت العديد من الدراسات أن وسائل الاتصال على اختلاف أنواعها وإشكالها تقوم بدور التربية والتعليم والتثقيف في المجالين التربوي والتعليمي.77

2– التنوع الثقافي

2–1– مفهوم التنوع الثقافي:

- يحمل مفهوم التنوع الثقافي فكرة التعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل نفس الوسط المجتمعي، وعندما يكون لدى المجتمعات وجود لتغييرات ثقافية متنوعة فأن دلك ينعكس في ظهور ديناميات مجتمعية مختلفة بين تلك الكيانات الثقافية .78

الملاحظ في هذا التعريف انه ركز على: أن التنوع الثقافي هو عبارة عن مجموعة من المظاهر والاختلافات الثقافية بين أفراد المجتمع الواحد أو المنظمة الواحدة وأنه أي تغيير ثقافي فإنه ينعكس على قيم الجماعة.

2–2– أهمية التنوع الثقافي:

تؤكد العديد من الدراسات أن التنوع الثقافي له أهمية بالغة في الحقل التنظيمي حيث يساهم في العديد من السلوكيات الايجابية ويعتبر بمثابة الحجر الأساس في هذا العصر لجميع المنظمات التي تسعى لتأسيس قاعدة عمل متينة قوامها قوة عمل متنوعة قادرة على تحقيق الأهداف وباعتبار أن التنوع يساهم في دينامية جماعة العمل.

تؤكد دراسة عبد الحميد عزياتي التي انطلقت من تساؤل رئيسي مفاده " مادور التنوع الثقافي في الشركات المتعددة الجنسيات في ديناميكية جماعة العمل؟ وهي دراسة ميدانية أجريت على عينة قدر عددها بـ 618 عامل بمجمع أورهود حاسي مسعود ورقلة حيث خلص نتائج هذه الدراسة إلى أن للتنوع الثقافي بأبعاده (التنوع اللغوي، تنوع قيم الثقافة، تنوع عادات العمل) دور إيجابي على جماعة العمل حيث يعد التنوع اللغوي حسب ما تنظر إليه عينة الدراسة الجانب الايجابي الذي يخلق ذلك الامتزاج بين اللغات المتعددة ويساهم في تنمية الثروة اللغوية للعمال التي تساهم هي الأخرى في ربط جسور العلاقات التنظيمية وتوحيد طرق وأساليب العمل المتنوعة بالتالي فإن نسبة 87.9% من أفراد العينة تعلموا

---

[76]- رحيمة الطيب عيساني: مدخل الى الاعلام والاتصال، عالم الكتاب الحديث وجدار الكتاب العالمي، ط1، الاردن، 2008، ص 10.

- زياد احمد محمد،عودة محمد عبدالله، الخطيب ياسين ابراهيم، مرجع سابق، ص 23.[77]

[78]- باريخ بيخو: اعادة النظر في التعددية الثقافية للتنوع الثقافي والنظرية السياسية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007، ص 20.

الحديث ببعض العبارات بلغة غير لغتهم هذا ما شكل منظومة لغوية عززت التواصل بين أفراد جماعة العمل وتحقق الأهداف المسطرة.79

بالإضافة إلى أن تنوع القوى العاملة أصبح ضرورة لكل منظمة بل هو التحدي الذي يفرضه هذا العصر، حيث أصبح توظيف القوى العاملة المتنوعة مرتبط أساسا بإنتاجية المنظمة.

2-3- أبعاد التنوع الثقافي:

تعد دراسة هوفستيد في 1984 من اهم الدراسات التي سعت نحو وضع إطار متكامل لتحديد الأبعاد أو العناصر الثقافية التي يحتمل أن يتباين الأفراد بشأنها، ففي هذه الدراسة تم استقصاء حوالي 116 ألف موظف من موظفي شركة ibm موزعين على 40 دولة، وذلك من اجل دراسة هياكل قيمهم ذات الصلة بالعمل، وقد اعد الباحث عشرون نموذجا من نماذج قائمة الاستقصاء استخدمت لهذا الغرض وكل نموذج منها مكتوب بلغة مختلفة، في البداية حدد الباحث أربعة أبعاد ذات صلة بقيم العمل توقع تباين الأفراد أو الثقافات حولها، غير انه في دراسة تالية بالتعاون مع باحث آخر تم إضافة بعد ثقافي خامس ذو صلة كبيرة بالثقافات الشرقية مما رفع الأبعاد الثقافية المدروسة في النهاية إلى خمسة أبعاد، وتشير هذه الدراسة إلى وجود تباين في ثقافات الشعوب حول هذه الأبعاد الخمسة والتي يمكن توضيحها كما يلي:80

والجدول التالي يعرض تلخيصا لهذه الأبعاد مع مقارنة بين طرفي كل بعد:

الجدول رقم01: توصيف أبعاد التنوع الثقافي داخل المنظمات

مدى تقبل التوزيع الغير متساوي للقوة والنفوذ	
ثقافات رافضة للتوزيع غير المتساوي للقوة	ثقافات متقبلة للتوزيع غير المتساوي للقوة
تعمل على تدنيه عدم المساواة في توزيع القوة بين أفراد المجتمع، وتجعل طريق التميز والتفوق متاح أمام الجميع، وبالتالي فهي لا تعتبر	تنحو نحو التمايز القيمي مغاير تماما للمجموعة الأولى، حيث يعد التباين في توزيع القوة والنفوذ أمرا مقبولا أو طبيعيا، كما انه من

79- غرياتي عبد المجيد، تاوريريت نور الدين: التنوع الثقافي في الشركات المتعددة الجنسيات ودوره في ديناميكية جماعة العمل، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، 24 جوان 2016، ص 41.
80- عبد الناصر محمد علي حمودة: ادارة التنوع الثقافي في الموارد البشرية، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، مصر، 2005، ص 136،137.



أو تحبذ وجود فروق في توزيع القوة آو النفوذ بين أعضائها.	المقبول عدم فتح طريق التميز أمام الجميع مع إلقاء مزيد من الاهتمام أو الاعتبار نحو تمايز الأفراد من حيث القوة.
مدى تجنب المخاطرة وظروف عدم التأكد	
ثقافات متجنبة المخاطرة	ثقافات المخاطرة
تعطي أهمية اكبر للقواعد وتشريعات المنظمة وللعمل الجاد أو الشاق، والامتثال أو الطاعة والأمن.	لا تعطي أهمية أو قيمة نحو الأشياء السابقة، ولا تنظر إلى العمل الجاد أو الشاق كفضيلة في حد ذاته، وتعطى قيما عالية لتحمل مغامرة الدخول في مواقف المخاطرة وعدم التأكد.
مدى التوجه بالذكورية في مقابل الأنثوية	
ثقافات ذكورية التوجه	ثقافات أنثوية التوجه
تميل بوضوح نحو التمييز بين دور الجنسين، والميل نحو دعم سيطرة الرجال، علاوة على التركيز واضح على الأداء الاقتصادي.	تركز على قبول دور الجنسين والمساواة بينهما مع تركيز اكبر على تحسين جودة الحياة كقيمة في حد ذاتها.
مدى التوجه نحو الفردية في مقابل الجماعية	
ثقافات فردية التوجه	ثقافات جماعية التوجه
التركيز على الاستقلالية والمبادرة الشخصية واحترام خصوصية الفرد وشؤونه	تفضيل التعاون، والاعتماد المتبادل، والولاء نحو العائلة او الفريق المنتمي إليه.
مدى التوجه بالحاضر (الأجل القصير) مقابل التوجه بالمستقبل (الأجل الطويل)	
ثقافات موجهة بالحاضر الأجل القصير	ثقافات موجهة بالمستقبل الأجل الطويل
تركز على الثبات والاستقرار الشخصي، وغيرها من التفاصيل الاجتماعية.	تركز على بعض القيم مثل المثابرة والإصرار والادخار او المحافظة والتوفير، مع التركيز اكبر على فروق المكانة الاجتماعية.

المصدر: عبد الناصر محمد علي حمودة: نفس المرجع السابق، ص 139.

ويرى الباحثون ان كل مجموعة من الأبعاد لها تأثير مختلف على غيرها من مجموعات العمل، بالإضافة إلى ارتباط هذه المجموعات الأربع مع بعضها البعض ارتباطا بالغ التعقيد، ومنه لتمثل الأبعاد التي يمكن التعرف من خلالها على مدى وجود تنوع في مجموعة العمل فيما يلي:81

- الأبعاد الديمغرافية: ويقصد بها الصفات الشخصية لأعضاء مجموعة العمل من حيث الجنس، العمر، والعرق.
- الأبعاد المرتبطة بالعمل: وتشمل على مستوى التعليم، التخصص الأكاديمي، الخبرات العلمية، التنوع في وجهات النظر، والتنوع في المعلومات التي يمتلكها الأفراد.
- الأبعاد الاجتماعية: ويقصد بها خلفيات الثقافية للعاملين والاختلاف في العادات والتقاليد، والقيم التي يحملها الموظفين والحالة الاجتماعية، والمكانة الاجتماعية.

2-4- نظرة المنظمات للتنوع الثقافي:

لقد أشارت دراسة هوفستيد إلى أن الممارسات الفعلية للمنظمات تكشف عن ضعف مستمر في قدرة تلك المنظمات على فهم طبيعة التنوع الثقافي داخلها، والفوائد التي يمكن أن تعود عليها سواء كان هذا الضعف متصلا بالوعي بالفكرة ذاتها، أو كان متصلا بالتطبيق أو الإدارة العلمية لهذا التنوع.82

وتشير الدراسة إلى أن هذا التدني لا يتناسب بحال من الأحوال مع ما يفترضه واقع المنظمات من التوجه نحو العولمة، وما يتبعه من التنقل الدولي المستمر للموارد البشرية، وتشير أيضا إلى ضرورة قيام المنظمات بتنمية مديريها خصوصا فيما يتعلق بالقدرة على التعامل او التكييف مع التنوع الثقافي عبر حدود العالم.83

هذا وقد قدم higgs and perrin اعتمادا على أعمال adler تصنيفا بين مدى إدراك المنظمات الدولية، وتلك الاخذة في التوجه نحو العالمية لفكرة التنوع الثقافي ذاتها، ومدى إدراك الآثار الايجابية والسلبية التي يمكن أن نترتب عن هذا التنوع، واستراتيجيات التعامل معها، ومدى شيوع هذه الاستراتيجيات في الواقع العملي، فقد تمكن الباحثان من تصنيف التنظيمات في ثلاث مجموعات أساسية تعكس مدى نظرة كل منها للتنوع، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:84

الجدول رقم 02: نظرة المنظمات للتنوع الثقافي وكيفية التعامل معه

- نفس المرجع السابق، ص 69.[81]
- نفس المرجع السابق، ص 154.[82]
- نفس المرجع السابق، ص 154،155.[83]
- نفس المرجع السابق، ص 155.[84]

نوع التنظيم / المتغيرات	تنظيم ضيق الأفق طريقتنا هي الطريقة الوحيدة المقبولة	تنظيم اقل تعصبا طريقتنا من بين أفضل الطرق	تنظيم متصالح ثقافيا أفضل السبل هو مزج طريقتنا من طرق الآخرين
مدى إدراك تأثير التنوع الثقافي على التنظيم	عدم وجود تأثير لا تدرك الإدارة أي تأثير للتنوع الثقافي على التنظيم	وجود تأثير سلبي التنوع الثقافي سيترتب عليه مشكلات متنوعة على التنظيم	تأثير سلبي وايجابي التنوع الثقافي يمكن أن يترتب على التنظيم بعض المزايا وبعض العيوب في نفس الوقت
إستراتيجية التعامل مع تأثير التنوع الثقافي	تجاهل التباين تجاهل تأثير التنوع الثقافي على التنظيم	تدنية التباين تدنية مصادر وتاثير التنوع الثقافي على التنظيم، مع تشكيل فرق العمل بحيث تكون أحادية الثقافة أن أمكن.	ضرورة إدارة التباين تدريب أعضاء التنظيم على التعرف على التباينات الثقافية وتطويع هذه التباينات لإيجاد مزايا التنظيم.
أكثر النتائج المتوقعة من تطبيق الإستراتيجية	مشكلات فقط على الرغم من ظهور مشكلات إلا أن الإدارة لا ترجعها للتنوع الثقافي	بعض المشكلات وقليل من المزايا ستقل المشكلات كلما قل التنوع الثقافي، بينما يتم حذف أو تجاهل إمكانية تحقق أي مزايا من التنوع وتعزى المشكلات إلى التنوع الثقافي.	بعض المشكلات والكثير من المزايا سيتم إدراك المزايا التنظيمية والاعتراف بها وسيستمر ظهور مشكلات معينة تتطلب من الإدارة التعامل معها.
مدى شيوع إدراك التأثير وتطبيق الإستراتيجية	شائعة	شائعة إلى حد ما	نادرة الحدوث

المصدر: عبد الناصر محمد علي حمودة، مرجع سبق ذكره، ص 156.

ويلخص من كل ما سبق انه على الرغم من أن الثقافة تتمثل في مجموعة كبيرة من أبعاد السلوكيات التي يتم اكتسابها، وإنها توجب الأفراد على التفاعل أو التواصل مع الآخرين، إلا أن ذلك لا ينفي بحال من الأحوال، أن معظم القوى العاملة عندما تنتقل من بلدانها إلى بلدان أخرى تختلف عنها في القيم والمعتقدات او في الثقافة قد تجد صعوبات جمة في التكيف مع الثقافة الجديدة، ومن الملاحظ ان توجه المنظمات نحو العالمية، حيث تخطى الكثير منها حدود أقطارها لتعمل في بيئات ثقافية ذات قيم مختلفة ومتنوعة،وما تبع ذلك من انتقال القوى العاملة والإدارة بين الأقطار المختلفة، حمل معه الكثير من التحديات والفرص أمام تلك المنظمات، حيث عانت هذه المنظمات كثيرا في محاولاتها الجادة والمستمرة نحو التكيف مع الثقافات الجديدة، ويعد التباين الذي أشار إليه lhofstede مر واجب الأخذ في الاعتبار عند التعامل مع أي أنشطة دولية، او الأنشطة التي يعتمد تنفيذها على القوى العاملة المتعددة الثقافات، فعلى الرغم من أن المتطلبات او الشروط الفنية لتحقيق الأهداف التنظيمية ربما تميل إلى التماثل غبر الثقافات المختلفة، إلا أن الاختلاف الحقيقي يكمن في المتطلبات السلوكية لتحقيق تلك الأهداف، لذلك فانه من الضروري النظر الى التباين الثقافي المتصل بالمورد البشري باعتباره أهم العوامل الظرفية المؤثرة في مجريات السلوك التنظيمي.85

3– دور وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز التنوع الثقافي

3–1– وسائل الاتصال الحديثة والتقريب بين الثقافات:

تزخر وسائل الاتصال بقدرة عالية على حفز الإبداع والابتكار، وتوفير المنتجات والخدمة الثقافية بجميع أنواعها وتبادلها باعتماد وسائل الاتصال الحديثة المباشرة أو غير المباشرة، إذ ينتج لكل فرد التمتع بالثقافات المتنوعة للشعوب الأخرى ويقصد بالتنوع الثقافي حسب منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية (اليونسكو) بأنه عديد الطرف التي تعبر عن ثقافات مختلفة الفئات الاجتماعية والمجتمعات، ويتم انتقال وتبادل أشكال التعبير عن الثقافات من خلال الخدمات الثقافية داخل المجتمعات، إذ لا تنحصر بالضرورة داخل حدود الوطن، إذ لا تقتصر تجليات التنوع الثقافي على تنوع أساليب التعبير عن التراث الثقافي للبشرية وأساليب حمايته ونقله إلى الأجيال المقبلة، بل تشمل ابيضا تنوع أشكال التعبير الثقافي التي تحملها السلع والخدمات الثقافية في جميع أنحاء العالم وشيء أنماط الإنتاج والنشر والتوزيع والاستهلاك، بعض النظر عن طبيعة الوسائل والتكنولوجيا المستخدمة.86

إن التجارب أثبتت أهمية وسائل الاتصال الحديثة ودورها الفاعل في التجميع والتقريب، وفتح الحوار بين المجتمعات والإسهام في تقريب، الثقافات، ان الحديث عن دور وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز قيم التنوع الثقافي في العالم العربي وفي العالم بشكل عام يجب أن لا ينسلخ عن الواقع المعاش في هذه المنطقة من العالم، بالنسبة إلى وسائل الإعلام العربية لا تزال تسير في ركب مجتمعاتها وأسيرة لها، من حيث مستوى تعاملها مع القيم الأصيلة للتنوع الثقافي، من هنا يمكن توجيه اللوم إلى بعض وسائل الإعلام العربية لأنه ليس سوى مرحلة للتحولات الاجتماعية والسياسية و

[85] - عبد الناصر محمد علي حمودة: مرجع سبق ذكره، ص 157.

[86] - د عبد المجيد: التنوع الثقافي في عصر تكنولوجيا المعلومات، دار قباء، القاهرة، 2008، ص 112.



الاقتصادية والثقافية التي يعيشها المجتمع لأنه عندما نتحدث عن وسائل الاتصال الحديثة فإننا نجد أنها تقع في قلب النقاشات حول مسألة التنوع الثقافي خاصة بعد أن تطور بفضل الثورة التكنولوجية التي أحدثتها التحولات المعلوماتية خلال العقدين الماضيين.87

وأضحى مصدرا من مصادر المعرفة التي تغذي قيم التنوع الثقافي في مجتمعنا المعاصر ويسهم في إذكاء حراكه الثقافي والاجتماعي استنادا إلى قيم الاتصال، حرية التعبير، التعددية والمشاركية، وهي ذات القيم التي يقوم عليها التنوع الثقافي وفلسفتها العامة في أوضح حالاته إضافة إلى دورها في:

- تشجيع فكرة الحوار بين الحضارات والثقافات
- اشاعة روح التعايش بين الأمم والشعوب.
- تفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات من خلال التوسع في إقامة المنتديات في أكثر من منطقة على مستوى العالم وتكريس الجهود لإشاعة قيم الحوار والتعايش.

وساهمت وسائل الاتصال الحديثة منذ أن وجد الإنسان في تعزيز قيم التنوع الثقافي باعتبارها قضية أساسية لتقوية المجتمع وتثبيت بنائه الاجتماعي، وتعزيز قيم التعاون بين إتباع البشرية بعض النظر عن اختلاف الثقافات.88

وتساهم وسائل الاتصال الحديثة في دعم الحوار بين الثقافات من أجل نشر مبادئ التعاون والسلم وتعزيز قيم الحوار الحضاري بين الأمم والشعوب، كما تلعب دورا أساسيا في التسويق الاجتماعي الخاص تبني أفكار وأسس وسياسات التنوع الثقافي التي تهدف إلى زيادة قبول الفكرة الاجتماعية أو الممارسات إذ أن الثقافة من ضروريات الحياة ومصدر حي للهويات وهي عنصر من عناصر التماسك الاجتماعي حين تتفاعل العلاقات بين الثقافات بشكل مباشر مع ثقافات العالم باعتبارها تراثا مشتركا للإنسانية وتعزيز الثقافات وإزالة الحوار بينها تعبيرا إدراكا للقيم المشتركة بين الشعوب جميعا.89

2-3- وسائل الاتصال الحديثة والتنوع الثقافي[90]

هناك رابط عضوي بين تكنولوجيا الاتصال الحديثة والنوع الثقافي، فبفضل تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة أصبح بمقدور الشعوب الاستفادة من الاختلافات الثقافية والإسهام بعملهما في المحافظة عليه للأجيال القادمة، فجميع الثقافات، ثقافات خلاقة وديناميكية مع أن كل واحد منها تبقى فريدة من نوعها، وهشة وغير قابلة للاستبدال.

---

[87]- محمد ابراهيم عايش: وسائل الاعلام الجديدة ومجتمع المعرفة في الوطن العربي، الواقع الحالي والاتجاهات المستقبلية، جامعة الشارقة، 2006، ص 02.

[88]- ويل كيمليكا، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام: اوديس التعددية الثقافية سير السياسات الدولية في التنوع، عالم المعرفة 378، الكويت،2011، ص 155.

[89]- نفس المرجع، ص 157.

[90] - اعلان اليونسكو العالمي بشان التنوع الثقافي www.pncecs.org/ar/unesco/cultura/20%diversity.rtf



أما عن دور وسائل الاتصال الحديثة في نقل المعرفة الإنسانية من جيل على جيل وترسيخ مفهوم التنوع الثقافي لتعزيز التعايش والحوار، فإن هذه الوسائل ساهمت في إيجاد قاعدة من الحوار الثقافي لتأسيس ظاهرة التنوع الثقافي الذي يساهم في التعرف على الهويات والمحافظة على الحقوق الأساسية باعتبار أن التنوع الثقافي مصدر مهم في مجال التعريف بهوية الإنسان وحقوقه الأساسية، واختلاف الثقافات الذي يحيط بنا اليوم هو نتاج الآلاف من الأعوام من تفاعل الإنسان مع الطبيعة والعلاقات بين الشعوب المختلفة ذوي أنماط عيش ومعتقدات مختلفة إذ كانت الوسيلة الوحيدة لنقل هذا الإرث للأجيال المستقبلية هي وسائل الاتصال الحديثة التي تعتبر الوسيلة الوحيدة القادرة على نقل حضارة وفكر الأجيال الماضية للأجيال المستقبلية، وستبقى وسائل الاتصال تساهم في التواصل والحوار بين أبناء المجتمع الواحد بمختلف ثقافاته، حيث تعتبر صمام أمان وضامنا أساسيا لحوار حقيقي بشكل سندا قويا للتعايش والتواصل الحضاري، كما أن هذه الوسائل لعبت دورا كبيرا خاصة الانترنت في دعم وتشجيع ورعاية التبادل الثقافي والتنمية، وتقوم وسائل الاتصال الحديثة بضمان حرية التعبير لمختلف أشكال الممارسة الفنية والثقافية والاجتماعية والدينية والفلسفية، وبالتالي فهي ضمان الحق في التنوع الثقافي تماما كما هو الشأن فما يتعلق بإسناد الممارسات الثقافية التي منشأتها إبراز وتوسيع مجال الهويات الثقافية وانفتاحها على ما سواها من هويات، وقد ساهم تطور تكنولوجيا وسائل الاتصال وظهور الصحافة والإعلام الالكتروني في تفعيل الممارسات الثقافية الكفيلة بحماية التنوع الثقافي، حيث أحدثت طفرة تكنولوجيا المعلومات والثورة الرقمية التي تدفع إلى المساهمة في صيانة لك التنوع، عبر تجميع المخزون الثقافي والعمل على ترويجه على نطاق واسع.

وسائل الاتصال الحديثة والتنوع في إنتاج المضمون الثقافي:

بحسب تقرير اليونسكو لسنة 2009 بلغ الناتج الإجمالي العالمي للصناعات الإعلامية والثقافية في عام 2006 نحو 1،3 تريليون دولار أمريكي وبنسبة أكثر من 7% او ما يعادل ضعفي مجموع واردات السياحة الدولية وفي تسعينات القرن الماضي، شهد الاقتصاد الثقافي والإبداعي في دول منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي معدل نمو سنوي يعادل ضعفي معدل النمو في صناعات الخدمات، في حين لاتزال الغالبية العظمى من البلدان النامية غير قادرة على استغلال قدراتها الإبداعية لتنمية هذا القطاع، ومن الأمثلة على ذلك آن تصيب إفريقيا من التجارة العالمية للمنتجات الثقافية والإبداعية كان هامشيا بأقل من 01% من الصادرات العالمية.91

وأشار تقرير اليونسكو إلى أن الارتفاع في توريد المضمون الإعلامي والاتصالي لا يؤدي بالضرورة إلى الزيادة في تنوع الاستهلاك، فبعض المستهلكين يفضل على ضوء ما يواجهه من كثر مفرطة في الاختيار أن يقتصر على عدد صغير من العناوين او الموضوعات المألوفة بدلا من استكشاف ماهو مجهول او مختلف، وتتسع الهوة الكبيرة بين الأجيال مع

[91] - علي جبر عبد الكريم الدبيسي، ياسين زهير الطاهات: دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، العدد 6، 2012، ص 21.



ما يؤدي إليه الممارسات الجديدة في استهلاك المضمون الرقمي من أشكال جديدة من التواصل الشبكي الاجتماعي، وتتحدى هذه الممارسات الجهات الفاعلة التقليدية في السياق الثقافي من قبيل المدرسة والأسرة فالجمهور يتحول بصورة متزايدة إلى جماعات من المعجبين او فرق من المتلقين والمتفرجين من دون ان يكون هناك تواصل بين أعضاء هذه الجماعات والفرق، وهم يميلون الى رفض طرائق التفكير الأخرى، ويمكن ان يؤدي هذا كله الى تنوع زائف يحجب واقع ان بعض الناس غير مهتمين بالتواصل إلا مع من يشاطرهم المرجعية الثقافية نفسها، فضلا عن ذلك فان محدودية التمثيل في الشبكات الإعلامية والاتصالية تميل الى خلق قوالب نمطية.92

3-3- التنوع الثقافي والتنوع اللغوي:

من المؤكد ان الانفجار المعرفي والنشر عبر الشبكات الرقمية ، الذي تعيش فيه البشرية في الوقت الحالي أصبح يطرح إشكالية أساسية مرتبطة بالولوج إلى محتوى المعلومات الذي يسير في قنوات هذه الشبكات، ذلك أن الولوج مشروطا باستعمال المستفيد للغته الأم، وهذا أمر لا يتوفر إلا للمجموعات اللغوية ذات الإنتاجية العلمية والتقنية والتي تأتي على رأسها اللغة الانجليزية بطبيعة الحال، فمن المؤكد إن الشبكات الرقمية ممثلة في شبكة الانترنت ستترك آثارها على اللغات في العالم كما تركت المطبعة أثرها في تعميم القراءة وتحولاتها من أمر منوط بالارستقراطية إلى فعل متاح أمام جميع الطبقات.93

التوصيات:

1-ضرورة التأكيد على استخدام وسائل الاتصال الحديثة بهدف فتح المجال أمام مختلف الثقافات للتعبير عن نفسها بكل حرية وبالطرق التي تناسبها.

2-الحفاظ على القنوات الاتصالية مفتوحة بين المنظمات المتنوعة ثقافيا من اجل توطيد أواصر العلاقات الثقافية المختلفة.

3-ضرورة الاهتمام بالوسائل التكنولوجية الحديثة ومدى فعاليتها في تقارب الثقافات والاندماج مع ثقافة الغير من خلال الوسائل الاتصالية المختلفة.

النتائج:

1-إن الاهتمام بمسالة التنوع الثقافي هو مسالة نسعى من خلالها إلى تقليص التباينات وفتح المجال أمام العديد من الثقافات التي تحقق النسيج الثقافي الموحد من خلال الوسائل الاتصالية الحديثة التي غزت العالم.

2-مكنت وسائل الاتصال الحديثة من دعم جهود التنوع الثقافي على المستوى الداخلي والخارجي.

---

[92] - نفس المرجع، ص22.

[93]- عبد الرزاق غزال: التواجد الالكتروني للغة العربية على شبكات الانترنت، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد علم المكتبات بجامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص 92.





3-ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في ربط الأفراد والجماعات مع بعضهم في مختلف بقاع العالم وتمكنت من كسر عزلة المجتمع البشري.

4-تشكل وسائل الاتصال الحديثة القاعدة الأساسية لمجتمع التنوع الثقافي بكل تجلياته الإعلامية والاقتصادية والاجتماعية.

خاتمة:

ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في ربط الأفراد والجماعات بعضهم ببعض في مختلف بقاع العالم وتمكنت من كسر عزلة المجتمع البشري، كما تغلبت على قيود المسافة والوقت إذ تمكنت من اختراق الحدود المكانية وهذا ما يحفز على التفاعل والمشاركة الجماعية و المساهمة في تعزيز التنوع الثقافي.

إذ شكلت وسائل الاتصال الحديثة نافذة يطل منها إنسان هذا العصر على العالم ويرى من خلالها ثقافته، وحضارته وتقدمه، إذ تقوم بضمان حرية التعبير لمختلف أشكال الممارسة الفنية والثقافية والاجتماعية والدينية والفلسفية، وبالتالي فهي ضمان الحق في التنوع الثقافي تماما كما هو الشأن فيما يتعلق بإسناد الممارسات الثقافية التي من شانها إبراز وتوسيع مجال الهويات الثقافية وانفتاحها على ما سواها من هويات، كما باتت هذه الأخيرة إحدى الضروريات الأساسية في دفع الحوار بين الشعوب والثقافات نحو تحقيق الأهداف الإنسانية. فوسائل الاتصال الحديثة قد جعلت العالم في حالة تغير مستمرة لذلك لا يمكن أن ينشا أي تعاون بناء أو حوار حقيقي بين الحضارات والثقافات دون الاحتراز بمبدأ التنوع الثقافي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- اعلان اليونسكو العالمي بشان التنوع الثقافي www.pncecs.org/ar/unesco/cultura/20%diversity.rtf

2- باريخ بيخو: اعادة النظر في التعددية الثقافية للتنوع الثقافي والنظرية السياسية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007.

3- رحيمة الطيب عيساني: مدخل الى الاعلام والاتصال، عالم الكتاب الحديث وجدار الكتاب العالمي، ط1، الاردن، 2008.

4- رحيمة الطيب عيساني:مدخل الى الاعلام والاتصال المفاهيم الاساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الاعلامية، ط1، عالم المكتبة الحديث للنشر والتوزيع، عمان، 2008.

5- زيادة احمد محمد،عودة محمد عبدالله، الخطيب ياسين ابراهيم:اثر وسائل الاعلام على الطفل، الاهلية للنشر والتوزيع.

6- عباس مصطفى صادق: الاعلام الجديد(المفاهيم،الوسائل والتطبيقات)،دار الشروق،ط1، عمان، 2008.

7- عبد الناصر محمد علي حمودة: ادارة التنوع الثقافي في الموارد البشرية، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، مصر، 2005.



8- علي جبر عبد الكريم الدبيسي، ياسين زهير الطاهات: دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، العدد 6، 2012.

9- غرياتي عبد المجيد، تاوريريت نور الدين: التنوع الثقافي في الشركات المتعددة الجنسيات ودوره في دينامية جماعة العمل، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، 24 جوان 2016.

10- فتحي الابياري: الاعلام الدولي والدعاية، دار المعرفة، 1985.

11- مجد هاشم الهاشمي: الاعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، 2006.

12- محمد ابراهيم عايش: وسائل الاعلام الجديدة ومجتمع المعرفة في الوطن العربي، الواقع الحالي والاتجاهات المستقبلية، جامعة الشارقة، 2006.

13- محمد منير حجاب: الموسوعة الاعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

14- ميلاد عبد المجيد: التنوع الثقافي في عصر تكنولوجيا المعلومات، دار قباء، القاهرة، 2008.

15- ويل كيمليكا، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام: اوديس التعددية الثقافية سير السياسات الدولية في التنوع، عالم المعرفة 378، الكويت،20115.



الهوية الإسلامية والجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ التحديات والآليات

Islamic identity and the combination of authenticity and modernity; Challenges and Mechanisms

د. أيمن أحمد علي عبد اللطيف العوامري

مدير مركز نور للبحث والاستشارات العلمية، مصر

alawaamry@gmail.com

الملخص:هذا البحث المعنون بـ(الهوية الإسلامية والجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ التحديات والآليات) استهدف بيان الهوية الإسلامية، وأسباب طمسها بين الشباب المسلم، والتحديات التي تواجهها في عصر العولمة، والعمل على اقتراح آليات للجمع بين الأصالة والمعاصرة.

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد الظواهر ويصفها؛ بغية العمل على تحليلها، والوصول إلى نتائج موضوعية، وقد استند البحث إلى عدة فرضيات تتمثل في أن اللغة العربية هي الركيزة الكبرى للهوية الإسلامية والعقل العربي، وأن علم مقاصد الشريعة يكسب الهوية سمة المعاصرة على مر الأزمان، كما أن التعليم الذي يبتغي تحقيق رسالة الأمة هو صمام الأمان في عصر الفضاء.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج؛ لعل أهمها: وحدة العقيدة واللسان والأهداف لا تقف أمامها أي حدود أو موانع مصطنعة؛ ومن ثم إذا ما أتقن أصحاب اللسان الواحد العلوم كافة بلسانهم، صنعوا حضارة تتعجب منها الأمم.

اتخذ البحث مجموعة من التوصيات؛ لعل أهمها: إنشاء مراجع عالمية في العلوم كافة باللغة العربية، إعادة تثقيف الشباب العربي عن نشأة العلوم وتطويرها ودور علماء العرب فيها، الاعتناء بإقامة الأوقاف الخيرية خدمة للعلم واللغة العربية لسان الهوية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الأصالة، المعاصرة، التحديات، الآليات.

Abstract

This research entitled "Islamic identity and the combination of authenticity and modernity; Challenges and Mechanisms" aimed to clarify the Islamic identity, its obfuscation among Muslims, the challengesthey faced in the globalization era andon proposing mechanisms for authenticity and modernity combination.

The researcher followed the analytical descriptive approachto describe phenomena andtoreach objective results. It based on several hypotheses, namely that the Arabic language is the major pillar of the Islamic identity and the Arab mind, in addition to the fact that the science of theSharia's purposes enables identity to gain its security in the technology age.

The search results are:The unity of faith, language and goals does not represent obstacle forany artificial boundaries or barriers; and then if the people of the same tongue mastered all the sciences with their tongue, they would make a civilization for the nations.



This studyrecommendations are: To establish international references in all sciences in Arabic, to re-educate Arabs the sciences development and the role of Arab scholars in them, and to establish charitable endowments in the service of science and the Arabic language of the Islamic identity.

Keywords: Identity, Authenticity, Modernity, Challenges, Mechanisms.

تُعَدّ الهوية المكون الرئيس الذي يميز عامة الشعوب عن غيرها، وإن الهوية العربية الإسلامية هي أعرق الهويات على مدار التاريخ وأكثرها أصالة، لارتباطها بالدين الخاتم ولغة القرآن العظيمة الخالدة؛ وقد استمدت اللغة من الشريعة الإسلامية العراقة والخلود وأصالة إلى أصالتها، كما أنها قد ضمنت الشريعة الإسلامية استمرار اللغة وعدم تحريفها بضمان أصالة الشريعة وعدم قابليتها للتحريف أو التبديل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(94)؛ فكان لزامًا علينا -نحن أبناء الهوية العربية الإسلامية- أن نعتني باللغة أولًا فهمًا دقيقًا؛ لكي نتمكن من استيعاب الشريعة استيعابًا صحيحًا، ثم التعمق بالنظر في الشريعة لفهم هويتها، فالتدقيق في الهوية لبيان مقاصدها، حتى نستطيع أن نجعلها قائمة بالمقاصد متغيرة الصور والمظاهر التي يمكن تغييرها حتى تكون عالمية معاصرة تصلح لكل زمان ومكان، وتستطيع الوقوف أمام تحديات العولمة، والعالم الصغير، وتمتلك الآليات التي تعزز بقاءها في مواجهة من يهابون نهضتها وإقامة حضارتها بفكر ووعي متعاصر مع الواقع المتغير، الذي لا نكاد نعتاده حتى يتغير مرات ومرات.

أولًا: مشكلة الدراسة:

الهوية الإسلامية في العصر الحاضر تتعرض لأزمة كبيرة وتحديات فرضتها العولمة واختلاط المفاهيم وتحول العالم إلى قرية صغيرة وذوبان الحدود الثقافية بين الأممالمختلفة، وصار العالم الإسلامي والعربي يحاكيان الثقافات الغربية الوافدة، ليس على مستوى أدوات الحضارة فقط، بل أيضًا في نمط التفكير وأسلوب الحياة والقيم والمثل؛ وهنا تكمن مشكلة الدراسة التي يحاول هذا البحث التصدي لها ببيانأسس الهوية الإسلامية ومظاهرها، والتحديات التي تواجهها، والآليات التي من خلالها يمكن الجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ لكيلا ينزوي المسلمون في هذا العالم الجديد الفضائي الرقمي.

ثانيًا: فرضيات الدراسة:

انطلق الباحث من عدة فرضيات؛ هي:

1- اللغة العربية هي الركيزة الأساسية للهوية الإسلامية والعقل العربي السليم.

2- علم مقاصد الشريعة يكسب الهوية سمة المعاصرة على مر الأزمان.

3- التعليم الذي يبتغي تحقيق رسالة الأمة هو صمام الأمان في عصر الفضاء.

ثالثًا: منهج الدراسة:

---

(94) سورة الحجر، الآية: 9.

استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يرصد الظواهر ويعمل على تحليلها؛ بغية الوصول إلى نتائج موضوعية.

رابعًا: أهداف الدراسة:

هناك عدة أهداف عملت الدراسة على تحقيقها؛ أهمها:

1- بيان مفهوم الهوية الإسلامية.

2- بيان أسباب تدهور مفهوم الهوية الإسلامية العربية لدى الشباب.

3- توضيح التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية في عصر العولمة.

4- اقتراح آليات من خلالها يمكن الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

خامسًا: مصطلحات الدراسة:

هناك عدة مصطلحات ترتكز عليها الدراسة، تتمثل فيما يأتي:

(1) **الهوية:**

عرفها الجرجاني بأنها: «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»[95]، وهي «علاقة منطقية بين شيئين»[96]، ومن الناحية الحضارية والثقافية يمكنني تعريف الهوية بكونها **السمات العامة المميزة لحضارة عن غيرها التي تعطي الشخصية تفردها، وتنعكس في المظهر والسلوك والفكر والرؤية تجاه الله والكون والحياة والإنسان.**

(2) **المعاصرة:**

العصر الدهر، والمعاصر مفاعل؛ أي: مشارك في زمن؛ سواء كان هذا الاشتراك لمجرد الوجود الزمني فقط، أم الحضور الفكري والثقافي فيما يتوافق مع العصر من العلوم والثقافة؛ ومن ثم فالمعاصرة مصدر عاصر؛ وتعني حضاريًّا **المشاركة في سمات العصر ومستجداته الثقافية والحضارية، وهي عكس الأصالة.**

(3) الأصالة:

يقال: أصل بمن باب (كرم)؛ أي: كان له أصل يستند إليه[97]، ويقال: هو ذو أصالة؛ أي: ذو إبداع، ولرأيه أصالة؛ أي: جودة، ولأسلوبه أصالة؛ أي: له ابتكار، والأصالة في النسب عراقته[98]؛ ومن ثم فالأصالة حضاريًّا تعني **السمات الأولى الأصلية لأي منجز حضاري أو طريقة تفكير أو نمط معيشي دون أن تمسه تغييرات الزمن وتطوراته الحضارية.**

(4) **التحديات:**

التحدي يعني المباراة والغلبة والمنازعة، ويقال: أنا حُدَيَّاك في كذا؛ أي: ابرز لي وجارني[99]، ويراد بها حضاريًّا **المعوقات التي تقف سدًّا مانعًا أمام إقامة حضارة إسلامية عربية عالمية.**

---

(95) الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 257.

(96)صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، (دط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، (531/2).

(97)ينظر: ابن القوطية (المتوفى: 367هـ): كتاب الأفعال، تحقيق: علي فوده، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م، ص 11.

(98)ينظر: صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، (96/1).

(5) **الآليات:**

الآلية مصدر صناعي من الالة، ويدل على صفات الآلة من حيث الدقة والعمل بطريقة منظمة منهجية؛ ومن ثم فإن **الآلية تعني طريقة أو أسلوب العمل، وفي هذه الدراسة تعني الوسائل التي من خلالها يمكن التغلب على التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.**

المبحث الأول: أسس الهوية الإسلامية

أ- العقيدة:

هي الركن الأول في الإسلام وفي الهوية الإسلامية العربية، وهي سر الفطرة الإنسانية التي فطر الله الخلق عليها؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [100]، ولا يعني وجود العقيدة أن يكون مجرد التصديق في أركان الإيمان (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، وما يترتب عنها من أمور فقط، بل هي أعمق من ذلك بكثير؛ فالإيمان بالله يترتب عليه أن الله -سبحانه- الخالق المدبر المقدّر المقادير، وبملائكته: ومن ملائكته الكرام الكاتبين قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[101]، وبالرسل شهداء على أقوامهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[102]، وبالكتب: دساتير حياة يسيرون على ضوئها قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[103]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[104]، واليوم الآخر وأنه سيسأل عن كل صغيرة و كبيرة وحده لا مدافع ولا من يُحَاجّ عنه الله قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[105]، وبالقدر أن حياته تسير وفق خطة إلهية محكمة لا شئ للصدفة، وأن كل ما أصابه مقدر من قبل حكيم عليم ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[106]؛ فمن كانت هذه وجهته الفكرية الأولى، سار على النمط العلمي والفكري الذى كان عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين- وسيعمل حينها وفق مبدأ أن هذه الدنيا دار اختبار وعمل وأن هناك دارًا أخرى هي دار الجزاء و الإقامة الدائمة.

ب. المعاملات:

---

(99)ينظر: الخليل الفراهيدي (المتوفى: 170هـ): العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دط)، دار ومكتبة الهلال، (دت)، (279/3).

(100) سورة الروم، الآية: 30.

(101) سورة الانفطار، الآيات: 10: 12.

(102) سورة الأحزاب، الآية: 45.

(103) سورة المائدة، الآية: 46.

(104) سورة البقرة، الآية: 2.

(105) سورة مريم، الآيتان: 94: 95.

(106) سورة القمر، الآية: 49.

وهي الركن الثاني للوجهة الفكرية؛ فمن استقر له صحة الاعتقاد، علم أن الله خلقنا شعوبًا وقبائل وأجناسًا وصورًا، مختلفين في الطبائع والأمزجة؛ ومن أجل ذلك حدد لنا قيمًا كلية وقيمًا جزئية نتعامل من خلالها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»[107]؛ فالأصل لنا جميعا التربة الأرضية؛ فهي الأم في الخلقة، وفى ذلك إشارة لقدسية الأرض، وأنها لا تقل اهتمامًا عن العرض، وهي من الأهمية بمكان حيث جعلنا الله بها من أجل عمارتها حتى تنافست الملائكة قبلنا على هذا الشرف العظيم الذى لا ندركه حق إدراكه...والأصل الثاني: أننا جميعا لآدم وحواء، فلا فرق بيننا ألبتة سوى بالإيمان؛ وهو أمر لا يعلم حقيقته سوى الله، فليس لنا معرفة مكنونات الصدور، ولكننا نعلم آثار الإتقان والعمل؛ وهو الأمر الذى يجب التنافس فيه، فكم من آية أو حديث نبوي شريف حث على حسن المعاملة، والعمل وإتقانه، وعمارة الأرض والمحافظة على بنيان الرب وهو الإنسان؛ فكل ذلك لم يأتنا من أجل الرواية أو القراءة أو يكون حبيس الأدراج، بل لنتخذه نهجًا نعيش به ونتعامل به؛ فالمسلم وغير المسلم في إعمار الأرض سواء، فمن قدم العلاج واخترعه أهم ممن يقتات على موائد العلم، ولهذا فإن المسلمين قد تفانوا في هذا الجانب الإنساني، وفاقوا سائر العالم إلى الآن؛ فمن يدرس علم الطب على حقيقته يعلم يقينًا أن كتاب الطب لابن سينا المسمى (قانون الطب)من أهم مراجع العلوم الطبية حتى الآن، بل قد يذهل أن أول من علم الدنيا علم الوقاية من الأوبئة التي كانت تسميها أوروبة الشياطين هوابن سينا نفسه[108]، وقد أشار الإسلام بمنهجه العقديوالمعاملاتيإلى الإعمار في الأرض وعدم التفرقة بين الخلق؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾[109]؛ إن الأئمة الأعلام نجوم الزمان من علماء المسلمين قد ضربوا أعظم المثل في خدمة البشرية دون تمييز على أساس الدين أو العرق أو اللون أو الجنس أو اللسان؛ واضعين بذلك الإعلانات الأولى لحقوق الإنسان على أخيه الإنسان؛ فإن ذروة سنام المعاملات وغايتها السامقة العالية إنما هي الخدمة وتقديم النفع وتذليل الصعاب أمام الناس في كل زمان ومكان.

<u>ج. الصورة الإعمارية:</u>

سبقت الإشارة أن الهدف من المعاملات هو الإعمار، ولكن ما المقصود بالإعمار؟

<u>الإعمارله عدة صورفي تاريخ الشعوب:</u>

1- إعمارمن لا يعتقد في نهاية الدنيا ويظن أننا مخلدون فيها: وهذا إعمار الفساد.

2- إعمار الأنا؛ وهذا ظاهره الإعمار، وباطنه الدمار.

3- إعمار الإنسانية على المراد الإلهي؛وهو الإعمار الموافق للمنهج الرباني الذي من أجله خُلِقَت البشرية، وأُنزِلتالكتب، وأُرسِل الرسل.

---

(107)رواه الترمذي في سننه، باب (وَمِنْ سُورَةِ الحُجُرَاتِ)، الحديث (3270).

(108)تناول ابن سينا من ضمن ما تناول تعريف الوباء وطرق مقاومته. ينظر: ابن سينا (المتوفى: 428هـ): دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، تحقيق: د. محمد زهير البابا، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 1984م، ص 30؛ ابن سينا (المتوفى: 428هـ): القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، 259.

(109) سورة المائدة، الآية: 32.

فصورة الإعمار الأولي؛ وهي إعمار الخلود، يمثلها الأمم التي أهلكها الله من قبل؛ مثل: عاد وثمود والفراعنة الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، وظنوا أنهم آلهة مخلدون؛ فأنشؤوا صورًا للإعمار في الأرض قمة العلم والإبداع والتطور، غير أنها احتوت في باطنها على الظلم والطغيان والاستعباد، و إن اشتملت علي جانب من الجوانب المرادة في استمرار الحياة؛ مثل: الاهتمام بالمزروعات، وشق المجاري العذبة إلى آخر صور الحياة، لكنها كانت لبنتها الأولى الفساد والظلم واستعباد الخلق والقتل والنهب، بيد أن الهوية الإسلاميةلا تعرف غاية تبرر الوسيلة، بل إن حسنت الغايات حسنت الوسائل، كما أن هذه الأخيرة تأخذ حكم الأولى، فإن كانت الوسيلة مشروعة والغاية غير مشرعة، حَرُمَت الوسيلة، والعكس صحيح.

وأما الصورة الثانية؛ وهي إعمار الأنانية،فهي أشبه ما تكون بما ينتج من الإعمار في هذا الزمان؛ فجُلّمساعيالإعمار اليوم هي في الحقيقة للإعمار الذاتي لكي يشار إلى أصحابه بالبنان ويشكرهم كل إنسان؛ هذا إعمار فلان، أو دولة كذا التي فعلت كذا، أو دولة كذا أنتجت كذا… علاوة على التربح والمتاجرة من وراء تلك المنجزات العلمية والحضارية، وليس السباق المحموم المستعر للفوز بإنتاج واحتكار لقاحا لفيروس كورونا؛ لكي تجني الدولة المصنعة المحتكرة من ورائه الأموالة الفلكية الطائلة بالمتاجرة في الآلام والأحزان، وما يدرينا أن الدواء قد اكتشفته إحدى تلك الدول، غير أنها تريد الإعلان عنه في وقت يناسب مآربها الربحية التجارية، دون الاكتراث بمن يُصابون أو يموتون يوميًّا في أنحاء العالم كافة، بما في ذلك مواطنيها ورعاياها، لكنه الوجه الآخر للحضارة المادية والمدنية الزائفة.

وأما الصورة التي -في رأيي- على مراد الله سبحانه، فإنها لا تكاد توجد اليوم، وما ذاك إلا لغياب المنهج، بيد أنها حاضرة في ذاكرة التاريخ؛ فمن سار في طرقات وشوارع القاهرة القديمة مثلًا، وجد الكثير من سُبُل المياه، بل المستشفيات التي كانت تسمى قديما (المارستان) وقفًا على الفقراء والمساكين بالمجان[110]، بل من منطلق مبدأ الوقف الإسلامي نفسه الذي خدم جوانب الحياة الإنسانية كافة؛ فالفارق بين ثلاث الصور واضح جلي لكل ذي عينين، وسيأتي على طول البحث ثمرات متناثرات لمن أراد جني ثمار القلب النابض بحب تاريخ مضى يمثل الأصالة، وكان مهتمًّابعودة تلك الصور الزاهيات المشرقات في حاضر تبدلت أدواته وتغيرت أسماؤه ومظاهره فيما يُعرَف بالمعاصرة.

د. الثقافة التعليمية:

إن الدين الإسلامي هو دين العلم والمعرفة والسعي والثقافة؛ فأول ما أنزل من القرآن على نبينا الكريم-صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[111]، وكم من آية وحديث يحثان على طلب العلم وخدمة الإنسانية وإعمار الحياة البشرية، لكن هذا العلم له أسس وركائز، وليس العلم المادي البحث الذي يصدره لنا الغرب؛ فالمتأمل في العلوم من منظور الهوية الإسلامية، يجدها على ركنين مهمين؛ هما: علم المادة، وعلم الروح.

وعلى سبيل المثالعلم الطب:

---

(110) ينظر: تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، (4/ 269).

(111) سورة العلق، الآية: 1.

فكانت كتابات علماء الطب قديمًا بارزة على طول الزمان، وفرقوا بين علم العقاقير وعلم الطب؛ فالمطالع لهذه الكتب يجد أنهم ينظرون أولًا لمسببات الأمراض، وقد جعلوها مركبة، فتارة قد يتعرض الإنسان لمرض عضوي نتيجة لسوء حالته المزاجية، وتارة نتيجة تعرضه لريح لم يَعْتَدْ عليها، وعدَّدوا من الأسبابما يجعل الطبيب الحاذق في أيامنا هذه يقف حائرًاراغبًا في دراسة علم الطب من جديد للدقة في معالجات الأمراض؛ فنظروا للإنسان على أنه روح وجسد، يتأثر بالحركة الكونية، والمزاجية قبل تأثره بالطعام والشراب؛ فلما نقل الغرب الحديث عنَّا هذه العلوم، قسموها بغرض تطويرها،وسموا العلوم الروحية بالميتافيزيقا، وعلوم المادة بالعلوم الطبيعية، ثم بدلوا أفكارنا بأن الميتافيزيقا هي علوم شعبذة، وأن العلوم الطبيعية هي العلم الحقيقي، وقد ساقونا لهذا المنحدر الفكري، ومع ذلك فقد طوروا علوم الميتافيزيقا؛ حتى إنهم صمموا لها الأجهزة لقياسها وبيان مدى تأثر صحة الإنسان بشدة الهالة وضعفها، ونحن الآن نحارب علوم الميتافيزيقا، بل أبسط صورها؛ وهي الاهتمام بالحالة النفسية للمريض، قلما يوجد في غالب مستشفياتنا العربية من يلحظ ذلك، مع كونه معلومًا ومنتشرًا.

المبحث الثاني: تحديات الهوية الإسلامية

التحدي الفكري الثقافي:

اتجه العرب الفاتحون إلى ترجمة العلوم والثقافات وأفنوا في ذلك طائل الأموال، حتى لم يبقَ علم من العلوم إلا وهو باللغة العربية مكتوب، وعكف أفذاذ العلماء لدراسة هذه العلوم حتى تفننوا فيها، وما ذاك إلا أنهم أضفوا عليها هويتهم العربية الإسلامية؛ فنقحوا العلوم بما يتوافق مع هويتهم، ومزجوا العلوم والمعرفة بالثقافة الإسلامية والعربية حتى ترسخت فيهم العلوم، فقلما تجد في هذا الوقت عالمًا اختص بعلم دون علم، بل لهم مشاركات في العلوم والفنون كافة جعلتهم علماء موسوعيين وهذا مثلًا البيروني[112] كان صاحب معرفة موسوعية في الرياضيات والفلك والطب والتاريخ والجغرافيا، وله بعض الأشعار وإن كانت غير مشهورة، وهذا العلامة الشهير الفيلسوف الرئيس ابن سينا[113] صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، وغيرها الكثير يضيق بحصره العدد؛ فكل هؤلاء كانوا سببًا في رسوخ العلم ورسوخ اللغة العربية؛ إذ هي لغة العلم والمعرفة وقتها؛ فلما نظر أعداء المسلمين إلى حالهم وحال الدولة الإسلامية، وأنهم لا يستطيعون زعزعة أركانها وإن مرت بضعف في السياسة، إلا أن قواعدها راسخة، لجؤواإلى تعلم هذه العلوم ومهادنة المسلمين تارة وغزوهم أخرى حتى فطنوا لمكمن قوتهم، وسر عزمهم الذي لا ينفد ولا ينهزم؛ وهوقوة اللغة، وأنهم يسعون في العلم لغرض إلهي لا لغرض دنيوي؛ فلكل أمة حضارة، ولكل حضارة عمر كما أن للإنسان عمرًا، ويُقاس هذا العمر بمدى اشتغاله بعظائم الأمور، لا بالترف والرفاهية[114]؛ وهما الأمران اللذان نهانا الله عنهما وحذرنا من عاقبة

---

(112) تنظر ترجمته في: الذهبي (المتوفى: 748هـ): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ترجمة رقم (396)، (9/ 489).

(113) ينظر: الذهبي (المتوفى: 748هـ): سير أعلام النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، (531/17).

(114)ينظر: ابن خلدون (المتوفى: 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص 175.

الاشتغال بهما؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(115)، وفي قراءة (أمَّرْنا)(116)، وعلى كلا المعنيين؛ سواء كانوا كُثُرًا أم كانوا أمراء على الناس، فالحاصل انتشار الترف؛ ومن هنا كان مدخل الأعداء في هدم الهوية؛ لأنها إذا سقطت الهوية كان سقوط الدين أسهل

ومن كبريات الطوام التي لحقت بالحياة العلمية والثقافية في عالمنا الإسلامي المعاصر دراسة علوم الآلة بلغات أجنبية؛ فلا مكان للعربية في الطب والصيدلة والهندسة والفلك والرياضيات...الخ، وكأنها لغة عاجزة قاصرة لا يمكنها استيعاب العلوم والمعارف كما استوعبت كتاب الله للإنسان؛ ذلك الكتاب الخالد الباقي ببقاء الدنيا يصلح لكل زمان ومكان بدقة هي الحكمة البالغة التي لا يمكن لأي لغة من لغات العالم أجمع أن تضاهيها أو تقاربها أو تصمد بدلالات ألفاظها وتراكيبها تتحدى الزمان والمكان والتغيرات والمستجدات؛ فكيف بلغة مثل العربية أن يقصر باعها عن استيعاب العالم كله بعلومه ومعارفه وماضيه وحاضره ومستقبله وقضه وقضيضه، بل إنها جديرة بأن تعبر عن علوم كل قوم أفضل مما تعبر عنها لغتهم نفسها.

التحدي الاجتماعي:

لا يتوقف تأثير المعاصرة في الأصالة على التحدي الفكري والثقافي أمام الهوية الإسلامية، بل يمتد هذا التأثير لينال الناحية الاجتماعية؛ فيلاحظ الآن ضعف الانتماء إلى الأمة الإسلامية في نفوس الشبيبة، وحل محله الانتماء الطائفي أو العرقي أو المذهبي، واسهم في تفاقم هذه الحالة الغربة الروحية التي تعانيها الكفاءات وتحطم طموحاتها وآمالها على صخور الطبقية والاحتكار(117)؛ فلا تجد الكفاءات والكفايات مناصًا من الهرب إلى الغرب والانغماس فيه وفي نمط معيشته وطريقة تفكيره، بل هويته التي توفر لها الوطن والأمن والأمان.

ولا يخفى على أحد ما نراه من تحديات احتماعية متمثلة في استقطاب المرأة المسلمة ومحاولة إقناعها بنمط المرأة الغربية المتحررة، والإيعاز للمرأة المسلمة بأنها مقهورة في مجتمع ذكوري سلبها كل حقوقها في الزواج والعمل والسفور(118).

التحدي السياسي:

ولعل التحدي السياسي هو أكبر تحديات الهوية الإسلامية في مجتمعاتنا المعاصر؛ ذلك أن الناس على دين مواليهم، ولا شك أن النمط الفكري أو القالب الثقافي الذي تتقولب فيه المجتمعات إنما هو راجع للإرادة السياسية التي

---

(115) سورة الإسراء، الآية: 16.

(116) قرأ أبو عثمان النهدي وأبو رجاء وأبو العالية، والربيع ومجاهد والحسن" أمَّرنا" بالتشديد، وهي قراءة علي رضي الله عنه، أي جعلناهم أمراء مسلطين. وقرأ الحسن أيضا وقتادة وأبو حيوة الشامي ويعقوب وخارجة عن نافع وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنهما (آمرنا) بالمد والتخفيف؛ أي: أكثرنا جبابرتها وأمراءها، قاله الكسائي، وعن الحسن أيضا ويحيى بن يعمر (أَمِرنا) بالقصر وكسر الميم على فعلنا، ورويت عن ابن عباس، قال قتادة والحسن: المعنى أكثرنا. ينظر: القرطبي (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، (دت)، (10/ 232، 233).

(117)ينظر: الجابري، محمد عابد: قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م، ص 40-41.

(118)ينظر: الظاهر، إبراهيم نعيم: إدارة العولمة وأنواعها، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م، ص 297.



تفرضه بقوة أبواقها الإعلامية وهيمنة آلتها الأمنية، وإن الناظر بعينين إلى كثير من الأنظمة المعاصرة التي تدعي أنها تمثل الأمة الإسلامية، ليجد أنها لا تحمل من رسالة الأمة إلا شعارات طنانة رنانة للاستهلاك المحلي كلما حانت مناسبة، أما توجهها الحقيقي، فهو توجه علماني محض وغربي قح؛ فلا الإعلام ومواده الدرامية والفنية يمثل الهوية الإسلامية، ولا قطاعات الثقافة تمثل تستهدف قيم الأمة، بل إن العمائم أنفسها لا تستطيع أن ترفع عقيرتها بالدعاء طلبًا لوحدة كبرى بين أبناء الأمة كما كان سلفها.

التحدي العالمي:

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر والمسلمون في موقف الدفاع عن النفس، لسان حالهم (نحن لسنا إرهابيين، من فعلوا ذلك فئة ضالة لم تفهم صحيح الدين، نحن وسطيون، وربما ليبراليون ومنفتحون أكثر منك أيها الغرب البائس...الخ)، لا شك أن تلك الأحداث التي مرّ بها العالم قد ألقت بظلال قاتمة على الهوية الإسلامية في عصر الشاشة؛ ذلك العصر الذي يمتلك فيه الحقيقة من يمتلك أدواته المعرفية التسويقية لأفكاره ورؤيته، في هذه الأجواء الضبابية التي تضيع فيها الحقائق انزوى المصلحون وأصحاب المنهج القويم، وصار الجميع على المستوى الرسمي، ومعظم الناس يتحاشون الهوية الإسلامية؛ سواء على مستوى الشكل والسمت، أم الفكر والثقافة، أم المعيشة والممارسة، ويظل هذا التحدي العالمي هو أخطر التحديات؛ إذ تتغلل آثاره وانعكاساته داخل النفس المسلمة التي ربما في لحظات ضعفها تستشعر أنها تحمل تركة ثقيلة من الموروثات الحضارية التي لم تعد مناسبة للمعاصرة في ظل العولمة.

التحدي المجتمعي:

المجتمعات المسلمة في مجملها صارت تعلي من شأن أرباب الصنائع الترفيهية؛ وهم أقوام بعيدون في مجملهم عن الهوية الإسلامية ورسالة الأمة العظيمة الخالدة، بل يسيرون في ركب الثقافات الغريبة الغربية الوافدة التي تدعو للانحلال والسفور، وتمهيد لصناعة جيل أجوف لا يعرف من العلم إلا اسمه ومن الكتاب إلا رسمه، وصار العلماء والمصلحون كاسدة بضائعهم قاحلة مرابعهم، تنبحهم بكل أرض النوابح، ويركلهم كل نافر وجامح؛ فتعايشوا مع الغربة بلا زاد ولا صحبة؛ ما بين ملاحقات وتضييق، وضيق ذوات الأيدي وقلة المساعد وندرة النصير وشح الموارد والإمكانات؛ فلم يعد هؤلاء الذين يمثلون الهوية الإسلامية يمثلون النموذج المرموق الذي يتطمح نفوس النشء لاحتذائه والنسج على غراره ومنواله.

المبحث الثالث: آليات الجمع بين الأصالة والمعاصرة

أولًا: التعليم:

يجب علينا إذا أردنا الإبقاء على الهوية الإسلامية العربية الاهتمام بالتعليم، والاهتمام لا يكون إلا بتحديد ثوابت الهوية من تعليم للغة العربية، ومقاصد الشريعة، وتعريب العلوم كافة، وطرق التدريس، وربط ذلك كله بما يدور في الأفق العالمي من توجهات فكرية، وأساليب تدعي التنوير ومناقشة ذلك بطرق علمية محضة؛ كي نضع أبناءنا في معترك

النقد الفكري منذ سن مبكرة؛ فيتولد لديهم ملكة النقد والتمحيص والغربلة؛ فلا ينساقوا وراء المستحدثات دون إمعان النظر والتأمل والوقوف على أرض صلبة.

ثانيا: اللغة العربية:

وليس المقصود منها مجرد الدراسة، فما أحوجنا اليوم لمجامع اللغة؛ لكي تنتج لنا قواميس علمية معاصرة تكون لبنة أولى لإعانة الشاب على الاهتمام بلغته، ويكون داعيًا لتعريب حقيقي للعلوم؛ فالألماني يدرس شتى العلوم بلغته، وكذلك الإنجليزي، والفرنسي، وجميع بلاد العالم إلا العربي، بل قد يضطر الإنجليزي لتعلم الألمانية إذا وجد مرجعًا مهمًّا بالألمانية غير مترجم؛ ومن ثم لا بد من تنشيط حركة الترجمة والتعريب، وأن يتعاطى المجتمع مع العربية دون سخرية أو إسفاف أو إجحاف أو جهالة؛ فهي لغة عظيمة مقدسة قادرة هادرة جامحة في الأعالي لا يحيط بها إلا نبي.

ثالثًا: تكثيف الجهود الثقافية العربية:

وذلك عن طريق إخراج كتب علمية باللغة العربية تناقش المفاهيم الغربية مناقشة علمية؛ إما بالشرح، أو بالنقض، أو بالموازنة العلمية مع ما تقتضيه قيمنا وفكرنا، ودعم ذلك وتيسيره بين يدي الشباب بجاذبية ومعاصرة.

رابعًا: دعم الوقف الخيري:

فكثير من العلم وتنمية المجتمعات انتشر عن طريق الوقف الخيري، فينبغي الرجوع إلى تلك الآلية الطيبة المباركةبإقامة وقف خيري كبير تتشارك فيه الكثير من الأيدي على مستوى العالم العربي والإسلامي يكون غرضه الاهتمام باللغة العربية وتعريب العلوم وتقديم مراجع علمية قيمة جدا باللغة العربية والتوسع في ذلك إلى إقامة جامعة عربية غير إقليمية تدرس العلوم باللغة العربية؛ فتكون لبنة أولى لاستقلالنا بلغتنا والعلوم التي كنا يومًا روادها للعالم أجمع بلغتنا العربية.

خامسًا: الابتعاد عن الترف:

فالترف والشهوات هما أولى خطواتنا عن ترك الغاية الحقيقة لبناء الإنسان وإعمار الأرض، والمستعرض لتاريخ السلف، يجدهم كانوا بسطاء في كل شيء غير مقبلين على الملذات والشهوات، بل يعنيهم الإنجاز العلمي والحضاري.

سادسًا: وحدة العالم الإسلامي:

يجب توحيد الخطط بين المسلمين على مستوى العالم الإسلامي كله؛ بحيث تتحد الأهداف والمقاصد والأدوات والمنهجية؛ فيكون تعاملنا مع الآخر من منطلق الندية، بل الثقة المفرطة في النفس التي تجعلنا نخاطبهم بلهجة معلمهم الأول؛ من منطلق عزة الإسلام، وفضل أسلافنا على الحضارة الإنسانية.

سابعًا: مد جسور التعاون مع الآخر:

ينبغي المبادرة بالتعاون والتشاور مع الغرب حول المستجدات الحضارية والثقافية، وتقديم الإسلام بوصفه دينًا عالميًّا يكفل السعادة في الدنيا والآخرة؛ من خلال تشريعاته الربانية التي تأخذ بيد العالمين من الظلمات إلى النور.

ثامنًا: تدعيم الأسرة المسلمة:



يجب إعداد الدورات والندوات والمؤتمرات لاتي تؤهل الشباب المقبل على الزواج؛ لتوعيتهم بأهمية الأسرة وطرق المحافظة عليها، وإعداد الأطفال وتنشئتهم على قيم الإسلام وهوية المسلمين المستمدة من شرعة الدين ومنهاجه.

تاسعًا: تسخير الإعلام لرسم ملامح الهوية الإسلامية:

الإعلام هو بوق الأمة المعبر عن آمالها وطموحاتها، يعكس هويتها ويرسخ قيمها، ويحقق رسالتها؛ ومن ثم فعلى الإعلام العربي والإسلامي أن ينهض بأعباء دوره العظيم؛ فيكون عامل بناء ودعم للقيم الإسلامية والشخصية القويمة، يدعو إلى الفضائل، ويحذر من عواقب الخروج عن أهداف الأمة ورسالتها، وبث الثقة في أبنائنا بماضيهم وحاضرهم، وغرس الأمل في نفوسهم بمستقبل مشرق ينتظر الأمة، وعلاوة على ذلك فعلى المنابر الإعلامية المتنوعة أن تعمل على إبراز خصوصيات الهوية الإسلامية وما يميزها عن غيرها من الهويات في العالم، وتأكيد أن هذه الهوية الإسلامية هي مصدر عز وتشريف وفخر لكل مسلم في العالم.

عاشرًا: استعمال أدوات العصر في مخاطبة الآخر:

لا شك أننا نمتلك من أدوات المعرفة والتواصل ما لم يكن متاحًا لأسلافنا العظماء؛ فينبغي أن نستغل تلك الأدوات المتمثلة في الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل، وكل أدوات الميديا في تقديم الصورة الصحيحة للهوية الإسلامية من منطلق الثقة والرفعة والتعريف بالنفس، لا من منطلق الاسترضاء والاعتذار والتمسح بالأعتاب.

الخاتمة

أولًا: النتائج:

- الهوية الإسلامية تعني السمات والخصائص التي تميز المسلمين عن غيرهم من الأمم؛ سواء على مستوى السمت والشكل، أم الفكر والثقافة، أم السلوك والتعاطي، علاوة على رؤية المسلم لله والكون والإنسان والحياة.
- اللغة العربية هي المكون الأساسي لعقلية الشاب المسلم، ومفتاح علومه ومعارفه.
- التخلي عن الاهتمام بجودة المحتوى العلمي يُعَدّ سبيلًا للتخلي عن الدين.
- البحث عن جوهر علوم الدين هو الأمان الفكري للهوية الإسلامية.
- الترف والرفاهية هما أساس دمار الحضارات.
- إذا ما أتقن أصحاب اللسان الواحد العلوم كافة بلسانهم، صنعوا حضارة يتعجب منها العالم.
- كان للوقف الخيري الدور البارز في تطور المجتمع العربي والإسلامي في نواحي الحياة كافة.

ثانيًا: التوصيات

- دراسة علم المقاصد في سن مبكرة من حياة الإنسان العربي.
- الاهتمام بإتقان العربي لغته من سن مبكرة؛ كيما تكون عونًا له على رسم ملامح هويته، وإنشاء مراجع عالمية في العلوم كافة باللغة العربية.
- إعادة تثقيف الشباب العربي عن نشأة العلوم وتطويرها ودور علماء العرب فيها.



- الاعتناء بإقامة الأوقاف الخيرية خدمة للعلم واللغة العربية.
- ضرورة استغلال أدوات العصر في تقديم الهوية الإسلامية للآخر.

قائمة المصادروالمراجع

- القرآن الكريم.
- تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ
- الجابري، محمد عابد: قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م.
- أبو الحسن الندوي (المتوفى: 1420هـ): السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، دمشق، 1425هـ
- ابن خلدون (المتوفى: 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م.
- الخليل الفراهيدي (المتوفى: 170هـ): العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دط)، دار ومكتبة الهلال، (دت).
- الذهبي (المتوفى: 748هـ): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.
- الذهبي (المتوفى: 748هـ): سير أعلام النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
- ابن سينا (المتوفى: 428هـ): دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، تحقيق: د. محمد زهير البابا، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 1984م.
- ابن سينا (المتوفى: 428هـ): القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
- الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، (دط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- ابن القوطية (المتوفى: 367هـ): كتاب الأفعال، تحقيق: علي فوده، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م.
- الظاهر، إبراهيم نعيم: إدارة العولمة وأنواعها، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م.
- القرطبي (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، (دت).







أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية

The impact of digital media on Arab cultural identity

الباحثان:

ب. عبير محمد الفليت   أ. سعيد محمد أبو رحمة

ماجستير صحافة – فلسطين   ماجستير صحافة - فلسطين

ملخص:

التعرف على أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية ومدي تغيرها لدي الكثير من الأفراد، ومعرفة أن الكثير من الشباب خاصة يحاولون التقليد والانغماس في ثقافات مختلفة وجديدة، حيث تشكل الهوية الثقافية العربية مع مرور الزمن حيث بدأت ترتقي وتزدهر بعد الحروب والغزوات التي حصلت في العالم العربي، وبعد التطورات التكنولوجية التي غيرت المفاهيم والأفكار وأثرت على تغير الثقافة لدي الأفراد في المجتمعات.

Abstract:

Knowing the impact of digital media on the Arab cultural identity and the extent to which it has changed for many individuals, and knowing that many young people in particular are trying to imitate and immerse themselves in different and new cultures, where the Arab cultural identity is formed with the passage of time as it began to rise and flourish after the wars and invasions that took place in the Arab world And after technological developments that changed concepts and ideas and affected the cultural change of individuals in societies.

مقدمة:

أحدثت التطورات التكنولوجيا الحديثة في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، نوعية وثورة حقيقية في عالم الاتصال، ارتبطت بها تغيرات عميقة في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، كما أثرت بشكل كبير على أنماط الاتصال الإنساني حيث فتح مجالاً واسعاً لتجسيد مفهوم القرية الكونية.

فيما أنه أثر الإعلام الجديد على الثقافة فهي المعبر الحقيقي عما وصلت إليه البشرية من تقدم فكري، فمن خلالها يتم رسم المفاهيم والتصورات كما يتم رسم القيم والسلوك.

ويعتبر الإعلام الجديد من أكثر الوسائل التكنولوجية التي تعتبر موسوعة غنية بالمعلومات والبيانات وتنوع الثقافات وكذلك وسيلة للتواصل بين البلدان مما جعلها تساهم في صياغة العلاقة بين ثقافة المجتمع والثقافات الأخرى.

وقد ارتبطت الثقافة بالوجود الإنساني ارتباطاً متلازماً تطور مع الحياة الإنسانية وفقاً لما يقدمه الإنسان من إبداع وإنتاج في شتى المجالات، فالثقافة هي "المنظومة المعقدة والمتشابكة التي تتضمن اللغات والمعتقدات والمعارف والفنون والتعليمات والقوانين والدساتير والمعايير الخلقية والقيم والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية والمهارات التي يمتلكها أفراد مجتمع معين.

وما زالت الهوية الثقافية هي المحرك الأساس للفعل الإنساني، فمقياس تحضر الأمم ورقيّها مرتبط بتقدمها الثقافي بكل دلالات اللفظ ومحتوياته، وهذا ما تشهد به المدنية المعاصرة فالأمم المتقدمة في عالمنا هي التي استطاعت أن تأخذ بتلابيب الثقافة في كافة جوانبها الإنسانية والعلمية وأن تحول وعيها الثقافي إلى فعل عام تتقدم به على غيرها، على الرغم من الخلل الذي يلف بعض جوانب ثقافتها.

ستناول في الورقة عن أثر الاعلام الرقمي في تشكيل الهوية الثقافية وما هي الموضوعات التي يتناولها الإعلام الرقمي لتعزيز الهوية الثقافية العربية.

الدراسات السابقة:

1. دراسة أحمد اسماعيلي (2019م)[1]:

يشكل الإعلام الجديد تهديداً للهوية الثقافية العربية وتحدياً ضارباً لها، من خلال استثمار مكتسبات العلوم والتقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصال والمعلومات، لتهميشها وخلخلة بنياتها والنيل من مكانتها التاريخية، وتأتي هذه الورقة للبحث والتحقيق في تأثير عصر المعلومات التي شكلتها وسائط الإعلام الجديدة على مقومات هذه الهوية ومدي قدرتها على الصمود بذاتها وخصوصياتها في ظل عالم متغير ومتسارع خاضع لسلطة الإعلام وجبروته.

[1] أحمد اسماعيلي، تأثير الاعلام الجديد على الهوية الثقافية العربية، **بحث منشور في مجلة الدراسات الاعلامية**، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، العدد السابع، 2019م، ص176.



2. دراسة نبيلة جفري (2017م)[2]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على انعكاسات استخدام موقع فيس بوك من طرف الشباب الجامعي الجزائري على معالم هويته الثقافية، بالتطبيق على عينة قصدية قوامه 147من الشباب الجامعي بجامعة أم البواقي بواسطة أداة استمارةالاستبيان، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة النتائج، أهمها: أن أغلبية المبحوثين يفضلون استخدام اللهجة العامية في موقع فيس بوك، الذي يعتبر الموقع المفضل لهم، ويفضلون كتابتها بحروف أجنبية أكثر حتى من الكتابة بالعامية بحروف عربية، ومحددات الهوية الثقافية لدى الشباب الجامعي عينة الدراسة تتمثل في الإسلام أولا، والجزائر ثانيا ثم اللغة العربية.

3. دراسة موسى سليمان القعايده (2016م)[1]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور وسائل الإعلام في توعية الشباب الجامعي العربي بالتحديات الثقافية التي تواجه الأمة العربية في عصر العولمة، وتعد الدراسة من البحوث الكمية الوصفية، التي اعتمدت على المنهج المسح لجمع العديد من البيانات عن الظاهرة موضع الدراسة ومعرفة العلاقة بين متغيراتها، استخدم الباحث أداة صحيفة استبيان عن طريق المقابلة الميدانية المباشرة، حيث يتمثل مجتمع الدراسة في الشباب الجامعي الأردني والعربي الدارسين في جامعة اليرموك مكونة من (100مفردة) تضمن تمثيل البلدان العربية التي يدرس بجامعة اليرموك، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: ثمة نسبة لا يستهان بها (36.6% من الإناث و 17% من الذكور) من الشباب ليس لديها أية خلفية عن طبيعة المخاطر الثقافية للعولمة, وجاءت الفضائيات والأنترنت في المرتبة الأولي عند الطلاب من بين الوسائل الأكثر تأثيراً في تنمية وعي الشباب العربي بمخاطر العولمة.

4. دراسة بالعربي سعاد (2015م)[1]:

---

[2]نبيلة جعفري، انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجامعي الجزائري، شبكة الفيس بوك نموذجاً، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلد 9، ص 81- 93، 2017م.

[1]موسي القعايدة، **دور وسائل الإعلام في توعية الشباب الجامعي العربي بالتحديات الثقافية التي تواجه الأمة العربية في عصر العولمة (دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي العربي)**، 2015م.

[1]بالعربي سعاد، أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية، دراسة ميدانية على عينة من طلبة مستخدمي من موقع الفيسبوك بجامعة مستغانم، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الإعلام والاتصال، 2015م.

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثراستخدامموقعالتواصلالاجتماعيعلىالهويةالثقافية،واستخدمت المنهج المسحي من خلال أداة الاستبانة، ونفذها على عينة من طلاب جامعة مستغانم والمكونةمن 100 مفردةقسمعلومالإعلاموالاتصال، وتوصلت الدراسة لمجموعة من النتائج، أهمها: أن نسبة الشباب التي تستخدم الفيس بوك بهدف التثقيف 10.13%، كشفت الدراسة أن 60.42% يعتقدون بأن الفيس بوك يساهم في تعميق قيمهم الدينية في حين 39.6% يعتقدون العكس.

5. دراسة أحمد عبد الهادي (2014م)[1]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين استخدام عينة من الشباب الجامعي المصريللمواقع الاليكترونية، وتبنيهم أنماط ثقافية غربية، واستخدمت المنهج المسح بالعينة ومنه التحليلي والميداني، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: جاء فيس بوك في مقدمة مواقع التواصل الاجتماعي التي يفضلها أغلبية المبحوثين التي تستعمل لفترات طويلةمن اليوم، وأن لهذا الموقع تأثير على أنماطهم الثقافية؛ حيث جاءت اللغة في مقدمة ترتيب هذه الأنماط، التي يرى المبحوثون أنها تؤثر في الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي، ثم السلوك، ثم العادات والتقاليد، وأخيرا البرامج الترفيهية، إن نسبة كبيرة من المبحوثين ترى أن لمواقع التواصل الاجتماعي تأثير على عادات وتقاليد وسلوكيات الشباب المصري إلى حد كبير.

مشكلة البحث:

تشكل الهوية الثقافية العربية مع مرور الزمن حيث بدأت ترتقي وتزدهر بعد الحروب والغزوات التي حصلت في العالم العربي، وبعد التطورات التكنولوجية التي غيرت المفاهيم والأفكار وأثرت على تغير الثقافة لدي الأفراد في المجتمعات.

من هنا تكمن مشكلة الدراسة في معرفة أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية ومدي تغيرها لدي الكثير من الأفراد، ومعرفة أن الكثير من الشباب خاصة يحاولون التقليد والانغماس في ثقافات مختلفة وجديدة، حيث من خلال ذلك يتم الإجابة على التساؤلات التالية:

[1] أحمد سمير عبد الهادي حسن، **استخدام الشباب المصري للمواقع الاليكترونية وعلاقته بتبني أنماط ثقافية غربية**، 2014م.



- ما هو الإعلام الرقمي؟ ما هي خصائص الإعلام الرقمي؟ وما أشكاله؟
- ما هي الهوية الثقافية العربية، وما هي مقومات الهوية الثقافية،وكيف أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية؟

أهمية البحث:

1. قلة الدراسات العربية التي تعرض الهوية الثقافية عبر شبكات الانترنت وتأثيرها على عقول الشباب.
2. انتشار التطورات التكنولوجية الحديثة والهواتف الذكية التي أصبحت تصل إلى ملايين البشر.
3. التعرف على أسباب نجاح الإعلام الرقمي في نشر الهوية الثقافية نحو البلدان العربية والدولية.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى رصد ووصف ظاهرة معينة أو موقف محدد وذلك من أجل الحصول على مجموعة من النتائج التي تصف الظاهرة موضوع الدراسة وتحدد خصائصها، وفي هذا الإطار فإن البحث يحاول عرض أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية.

مصطلحات البحث:

- الإعلام الرقمي: هو مجموعة من التقنيات الحديثة التي تعتمد على الإنترنت، وفي نفس الوقت على أسس الإعلام والتواصل، وهناك إجمالاً ثلاث خدمات رئيسية يقدمها الإعلام الجديد للمستخدمين:

الاتصال من فرد إلى فرد أو من فرد إلى جماعة أو من جماعة إلى جماعة أخرى وأكثر لأغراض شخصية أو عامة.

-الهوية الثقافية: هي معرفة إدراك الذات القومية ومكوناتها من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ودين وهي سمات وخصائص يتميز بها الشعب ما من غيره من الشعوب وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة أو هذا المجتمع.

الإطار النظري للدراسة

نظريةالغرسالثقافي:



يؤكد الباحثون على حقيقة أساسية تشكل إطاراً عاماً لمناقشة العلاقة بين الاتصال والثقافة، يعني أن الاتصال مهما كان محتواه، يظل ذا طبيعة ثقافية سواء كان الاتصال شخصياً أم جمعياً أم جماهيرياً، فالاتصال يعد في جانب أساسي منه ثقافة.

وقد تباينت وسائل الاتصال بين المجتمعات القديمة لأسباب ثقافية، حيث أقرت منظمة اليونسكو أن حقيقة الاتصال يعد أحد العناصر المكونة للثقافة، لأنه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وثرائها، وأنه يساعد على التعبير عنها ونشرها.

أما على صعيد الثقافة فإنها تنطوي على بعد اتصالي أساسي. فالثقافة لا تمنح وإنما تكتسب، أي لا تكتسب إلا من خلال الاتصال بين أفراد جماعة ما، في إطار مكاني وزماني معين. لا يمكن للثقافة أن تستمر عبر الأجيال، إلا من خلال قنوات اتصال.

في الواقع إنها الاتجاهات السائدة في بحوث الإعلام والثقافة على السواء، إذ تدعم العلاقة العضوية القائمة بين الاتصال الجماهيري والثقافة.

إن الاتصال والثقافة هما إفراز لواقع ثقافي معين، من الصعب فهم العمليات الاتصالية في المجتمع، بمعزل عن مجمل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة، فجميعها عوامل ثقافية، لكن من الصعب الوقوف على حدود العديد من الظواهر الثقافية في المجتمع وعوامل تطورها، بدون فهم النظام الإعلامي أو الاتصالي في المجتمع.[119]ترجع أصول هذه النظرية الى العالم الأمريكي جورج جيربز الذي درس تأثير وسائل الاتصال الجماهرية على البيئة الثقافية.

ويرجع ملفين ديفلير بدايات وجذور نظرية الغرس الثقافي إلى مفهوم والتر ليبمانللصورة الذهنية التي تتكون في أذهان الجماهير، من خلال وسائل الإعلام المختلفة سواء كانت عن أنفسهم أو عن الآخرين، أحياناً تكون هذه الصورة الذهنية بعيدة عن الواقع نتيجة لعدم وجود رقابة على المواد المعروضة في وسائل الإعلام، مما يؤدي إلى غموض في الحقائق وتشويه المعلومات وسوء فهم للواقع، بناء على هذا التصور حاول ديفلير تطوير نظرية الأعراف الثقافية Cultural Norms، التي تشبه إلى حد كبير نظرية الغرس.

في أواخر الستينيات، شهد المجتمع الأمريكي فترة الإضرابات بسبب مظاهر العنف والجريمة، في أعقاب اغتيال القس مارتن لوثر كينج والرئيس كينيدي، حيث تزايد الاهتمام بتورط الدولة في حرب فيتنام، في عام 1968 تم تشكيل لجنة قومية أمريكية لبحث أسباب العنف والوقاية منه.

يعرف جيربز مفهوم الغرس بما تفعله الثقافة من بناء، إنها الوسيط أو المجال الذي تعيش فيه الانسانية و تتعلم، حيث تهتم العملية باكتساب المعرفة أو السلوك، من خلال الوسيط الثقافي، الذي يعيش فيه الانسان، فكأن

---

[119] عبد العزيز تركستاني،**دور أجهزة العلاقات العامة في تكوين الصور الذهنية** للمملكة، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال المنتدى الإعلامي السنوي الثاني، اكتوبر 2004م.



البيئة الثقافية بأدواتها هي التي تقوم بعملية التشكيل والبناء للمفاهيم أو الرموز الثقافية في المجتمع ، ومن هذه الأدوات وسائل الإعلام التي أحتلت مكانا بارزا في عالمنا الثقافي المعاصر بأدوارها وتأثيراتها1 .

كما أظهرت بعض الدراسات عام 2005 أن اختبارات الغرس وآثارها يتم تطبيقها على الصحف أيضاً، من ثم لم يعد هناك اليوم أسس لمقارنة قوة الصحفية مقابل قوة التليفزيون، بشأن تكوين الرؤى عن العالم الخارجي، كما أظهرت النتائج أن هذه الرؤى تتشكل نتيجة التعرض لوسائل الإعلام على مدار الأيام، كما حاولت بعض الدراسات الحديثة عام 2005 أن تقيس الآثار السلوكية المترتبة على مشاهدة التليفزيون وعلاقتها بالصحة النفسية للأفراد قياساً بعدد الساعات التي يقضيها الفرد في مشاهدة التليفزيون، حيث توصلت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية قوية بين مشاهدة التليفزيون وبين الصحة النفسية للأفراد.

هذا يدعم فروض الغرس التي تشير إلى أن التعرض الكثيف لمجموعة من رسائل الإعلام، يمكن أن يؤثر في السلوك و القيم و المعتقدات و الاتجاه، حيث تمثل عملية التعلم الاجتماعية عملية غير مباشرة ، ترتبط ارتباطاً سلبياً بالصحة النفسية للأفراد1.

اتجاهات نظرية الغرس الثقافي:

1. الاتجاه السائد:

فكرة الاتجاه السائد تقوم على التقارب في وجهات النظر بين الجماعات المختلفة، اذ تميل الاختلافات التي ترجع الى عوامل ثقافية واجتماعية إلى التلاشي بين كثافتي المشاهدة، قد فسر هذا الاتجاه، بالتلاشي والاندماج والتحول، فتتكوّن من خلال هذا الاتجاه وجهة نظر مشتركة بين المشاهدين.

2. التضخيم:

المقصود به وسائل الاعلام تدعم ما يحدث في الحياة اليومية، أي أن ادراك الأفراد للعالم من خلال الصور التي تقدمها وسائل الاعلام يتطابق مع ادراكهم للواقع الاجتماعي، الذي قد يؤدي الى تأكيد عملية العرض1.

الانتقادات التي وجهت لنظرية الغرس الثقافي:

---

[1] توفيق السـعد، **الغرس الثقافي**، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3346، مقال منشور يوم 2011/04/24على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=256306

[1] وجدي عبد الظاهر، **المرجع السابق.**

[1] امينة صابر، **نظرية الغرس الثقافي**، كلية التربية، جامعة طنطا، ص11.12.





إن معظم الانتقادات تجاه هذه النظرية من خلال التأكيد على أن للتلفزيون مساهمات كبيرة في خلق التصورات عن الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمع، إذ نجد من بين منتقديها كل من دوب، كادولاند، هيرشو هيوج.

فقد طالب كل من دوبو هيرش على ضرورة مراجعة العلاقة بين التلفزيون و المشاهد. حيث توصل هيرش في دراسته الى أن العلاقة الانمائية ليست خطية أو تصاعدية مع نسبة المشاهدة، بل هي منحنية خطية تقارب اتجاهات عديمي المشاهدة والمدمنين أكثر من تقارب أي صنفين متتاليين من الأصناف الأخرى. شكك هيوج في فرضيات جربنر، ففي نظره ليس للتلفزيون علاقة بالخوف والاغتراب، أي نسبة المشاهدين للتلفزيون ليست سببا، بل هي نتيجة لمحددات أخرى أهم من مؤشرات انحراف الأحداث الذي ذكرها دوب ومكادولاند[1].

الإعلام الرقمي:

تمهيد:

يستخدم الاتصال في نقله للمعلومات الآن التقنية الرقمية الالكترونية التي تعتمد على نظام التشفير الرقمي، فنظام الحوسبة بكامله قائم على نظام رقمي ثنائي هو (1.0) تستخدم لتمثيل جميع البيانات العشوائية.

وقد أصبح بمقدور الإنسان بالتقنية الرقمية هذه تخزين المعلومات، والتعامل معها عن طريق الكمبيوتر، ووسائل أخرى متعددة الاستخدام مثل القرص المدمج والقرص الصغير وفلاش التخزين، والتلفزيون الرقمي والكتاب الالكتروني والانترنت – الشبكة الدولية العنكبوتية – والهواتف الجوالة وهواتف الجيل الثالث الجوالة وغيرها، مما يسمح بنقل جميع أنواع الرسائل الصوتية والمرئية بصورة آمنة ومطابقة الأصل، وبحيث يمكن بثها والوصول إليها واستخدامها فوراً من طرف المتلقي الذي بدوره يمكنه تخزينها والتصرف بها[1].

تمثل وسائل الإعلام الرقمية بحد ذاتها تطوراً كبيراً ومتفوقاً على وسائل الإعلام الأخرى التقليدية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن عملية تغيير إشارة البث من إشارات تماثلية إلى إشارات رقمية، تتم بواسطة محول خاص يقوم بعملية الترميز الذي يعتبر حسب نظرية المعلومات وكأنه اختزال لها، ومن أمثلة التسجيل الرقمي والفيديو الرقمي والتلفزيون الرقمي.

ويزود النظام الرقمي مستخدميه بقنوات فضائية متعددة ذات جودة عالية لأنه يعتمد بشكل أساسي على (النظام الثنائي 0-1) بالتالي يكون التشويش أقل وما يصدر عنه في النهاية بكون بثاً خالياً من تلك العيوب التي يتعرض لها البث

[1] بسام عبد الرحمان المشابقة، **نظريات الاتصال**، مرجع سبق ذكره، ص180.

[1]بورقية سمية، عقبة سعيدة، الهوية الثقافية في ظل الإعلام الرقمي، دراسة حالة لعينة من صحف الواب الجزائرية، جامعة عنابة، بحث منشور عبر الرابط: https://platform.almanhal.com/Files/2/97801



التماثلي (غير الرقمي) الذي يبث الأصوات والصور ضمن موجات متفاوتة متغيرة مما يجعله يعاني من ضعف البث ورداءة الصور والنقل2.

يعرف الإعلام الرقمي على أنه: وصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية مثل التلفزيون الرقمي، الراديو الرقمي وغيرهما، أو للإشارة إلى أي نظام أو وسيلة إعلامية تندمج مع الكمبيوتر3.

كذلك يعرف أنه الاتصال عن بعد بين أطراف يتبادلون الأدوار في إنتاج بث الرسائل والمضامين الإعلامية من خلال النظم الرقمية ووسائلها المختلفة لتحقيق أهداف محددة1.

خصائص الإعلام الرقمي[2]:

3. التفاعلية: حيث يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار وتكون ممارسة الاتصال ثنائية الاتجاه وتبادلية وليست في اتجاه أحادي بل يكون هناك حوار بين الطرفين.
4. اللاتزامنية: وهي إمكانية التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد، سوآءا كان مستقبلاً أو مرسلاً.
5. المشاركة والانتشار: يتيح الإعلام الجديد لكل شخص يمتلك أدوات بسيطة أن يكون ناشراً يرسل رسالته للأخرين.
6. الحركة والمرونة: حيث يمكن نقل الوسائل الجديدة بحيث تصاحب المتلقي والمرسل، مثل الحاسب المتنقل وحاسب الانترنت والهاتف الجوال، والأجهزة المكيفة، بالاستفادة من الشبكات اللاسلكية.
7. العالمية: حيث أصبحت بيئة الاتصال بيئة عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة.
8. تعدد الوسائط: في الإعلام الجديد يتم استخدام كل وسائل الاتصال مثل النصوص والصوت والصورة الثابتة والصورة المتحركة والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد.
9. الانتباه والتركيز: نظراً لأن المتلقي في وسائل الإعلام الجديد يقوم بعمل فاعل في اختيار المحتوى، والتفاعل معه، فانه يتميز بدرجة عالية من الانتباه والتركيز، بخلاف التعرض لوسائل الإعلام التقليدي الذي يكون عادةً سلبياً وسطحياً.
10. الأرشيفية والتخزين والحفظ: حيث يسهل على المتلقي أرشفة وحفظ الرسائل الاتصالية واسترجاعها كجزء من قدرات وخصائص الوسيلة بذاتها3.

---

[2] المرجع السابق، ص15

[3] مقلاتي صحراوي، غالية غضبان، إشكالية تأثير الاعلام الجديد في الهوية الثقافية في ظل العولمة، جامعة باتنة، **بحث منشور عبر مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العددان 12و13 ديسمبر 2014م، ص 214.

[1] مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، **الرقابة القانونية للإعلام الرقمي**، القاهرة، 2016م، ص5

[2] سميرة شيخاني، **الإعلام الجديد في عصر المعلومات**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 1و2، 2010، ص ص 446.

[3] إسلام حلس، مدونة عبر الرابط: http://islamhelles.blogspot.com/2014/09/blog-post_24.html ، تاريخ النشر 24 سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 21 نوفمبر 2020م.



11. تفتيت الاتصال: تعني أن الرسالة الاتصالية من الممكن أن تتوجه إلى فرد واحد أو جماعة معينة وليس جماهير ضخمة كما كان في الماضي، وتعني أن درجة التحكم في نظام الاتصال بحيث تصل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستهلكها.
12. كثافة المعلومات: أتاح الإعلام الرقمي للمستخدم وفرة هامة من المعلومات على اختلافها، وذلك بتعدد المواقع وتنوعها، من المواقع العامة إلى المواقع المتخصصة، إلى بنوك المعلومات، وبالتالي أًصبح أمام المستخدم مشكل وفرة المعلومات بعد ما كانت له مشكلة ندرة المعلومات في ظل الوسائل التقليدية.
13. الفورية: ألغت تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحواجز الزمنية، كما ألغت الحواجز المكانية، إذا يتم الاتصال بشكل فوري بغض النظر عن مكان المرسل والمستقبل بحيث لا تلحظ عند اتصالك بحاسب في الصين أنك استغرقت وقتاً طويلاً مما لو كان الاتصال بحاسب في مدينتك.

وسائل تتمثل في أهم الأشكال الرئيسية للإعلام الرقمي1:

1. الشبكات الاجتماعية: هي التي تسمح لمستخدميها بإنشاء صفحات ومساحات خاصة ضمن الموقع نفسه، ومن ثمة التواصل مع الأصدقاء ومشاركة المحتويات والاتصالات، ومن أشهرها الفيس بوك، التوتير، الواتس أب، الانستغرام، التلجيرام.
2. المدونات: التي تعتبر أشهر وأهم وسائل الإعلام الرقمي حيث يتم تدوين المذكرات بشكل مرتب من الأحدث إلى الأقدم، حيث تتيح للمتابعين التعليق والرد عليهم بسهولة ومن أشهر منصات التدوين: Bloggs, Wordpress
3. الويكي: هي المواقع التي تسمح للمستخدمين بإضافة محتويات وتعديل الموجود منها، حيث تلعب دور قاعدة بيانات مشتركة جماعية، وأشهرها وويكبيديا الموسوعة التي تتضمن ملايين المقالات بمعظم لغات العالم.
4. مشاركة الصور: مواقع مشاركة الصور تسمح لك برفع صورك إلى الموقع، ومشاركتها مع الآخرين مثل لبكر، كما توجد مواقع أخري عديدة لمشاركة الصور وتخزينها، مثلاً: سلايد، فوتو توغ1.
5. مشاركة الفيديوهات والصور: مواقع مشاركة الفيديوهات هي مواقع إعلام جديد، تتيح لك مشاركة مقاطع الفيديو الخاصة بك وصورك، مع أصدقائك على الموقع وأشهرها هي اليوتيوب، جوجل فيديو2.

أشكال الإعلام الرقمي[3]:

[1]دليلة غروبة، **الانترنت، الشبكات الاجتماعية وثورة الإعلام الجديد**، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 15، 2013م، ص303.

[1]ماهر الشمايلة، محمود اللحام، مصطفي كافي، **الإعلام الرقمي الجديد**، ط1، دار الإعصار للنشر والتوزيع، 2015م، ص34.

[2]المرجع السابق، ص34

[3]المرجع السابق، ص25

1. المواقع الإعلامية على شبكة الانترنت.
2. الصحافة الالكترونية وخدمات النشر الالكتروني عبر مواقع الشبكة.
3. خدمات الأرشيف الالكتروني.
4. بث خدمات الأخبار العاجلة.
5. الإذاعة الالكترونية وخدمات البث الحي المباشر على الانترنت.
6. القنوات التلفزيونية الالكترونية وخدمات البث الحي المباشر.
7. خدمات إعلانية ترفيهية.
8. المدونات.
9. خدمات الأرشيف الالكتروني.
10. قنوات التواصل الاجتماعي.

الهوية الثقافية العربية

تمهيد:

إن الثقافة والهوية شيئان متلازمان، فلا يمكن الفصل بينهما، وكل شعب له ثقافة خاصة به تكون بمثابة عنوان لهويته.

والثقافة تعني في مفهومها الواسع مجموعة من القيم والمبادئ والأسس التي تنفرد بها أمة أو جماعة عن غيرها، وكلما كان للثقافة خصوصية تميزها، كلما انعكست هذه الخصوصية على أصحابها. ولا تعني الثقافة بأي حال من الأحوال الانسلاخ عن التراث ونفيه لصالح أفكار حداثية، كما أنها لا تعني الانغماس في التراث والماضوية والهروب من الحاضر والآني وما فيه من طروحات وثقافات بحجة أنها ثقافات وافدة[1].

وثقافة الشعوب تعني السمات والخصائص التي تميز شعبا عن آخر وفق مجموعة من الأصول والجذور التاريخية والدينية والأدبية والتربوية والاقتصادية والمعرفية تجعل لهذا الشعب هوية خاصة في خارطة الثقافة العالمية.

إن الثقافة تعتبر قوّة من قوى التشكل الحضاري للأمة في مدلوله الشامل: الفلسفي الأدبي، السياسي والاجتماعي، كما أنها طاقةٌ للإبداع في شتّى حقول النشاط الإنساني، ولكي تتمكن الثقافة من أن تكون قوة فاعلة، لابد وأن تسعى، لأن ترقى بوجدان الإنسان، وتهذب روحه، وتصقل مواهبه، وتوظف طاقاته وملكاته في البناء والتعمير، والتي تعمل من أجل تحقيق الرقيّ والتقدّم والرخاء والازدهار.

[1] هويدا صالح، **صورة المثقف في الرواية الجديدة**، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ـ 2011، ص17

والثقافة بحسب تعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والذي يشير إلى أنها "تشتمل على جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطراز الحياة، كما وتشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته في إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته".

حين كانت الثقافة العربية في لحظات قوتها، وخاصة في العصر العباسي الأول والثاني، ازدهرت الترجمة من الثقافات الأخرى، وتميزت بأنها ثقافةَ حوار وتواصل، وكانت تقوم على التمازج مع الثقافات الأخرى.

فيما أن هناك علاقة بين الهوية والثقافة حيث لا يوجد هوية بدون ثقافة تستند إليها وتؤسس لها، وهما عنصران متلازمان من عناصر الذات ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية، أي أن لكل جماعة هوية تتميز بها، وثقافة معلومة تعرف بها، فما من هوية إلا وتختزل ثقافة.

أن هوية الفرد تتشكل من خلال الثقافة التي يحيا فيها، ودور الثقافة يتجلى في تعزيز وتكريس هذه الهوية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والاحتكاك بالمحيط، فالهوية معناها بالأساس، التفرد والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي بكل ما تتضمنه معني الثقافة من عادات وأنماط وسلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة.

تعد الهوية الثقافية خصوصية ما هوية ضيقة ومنغلقة تربطها بما هو ثابت لا يقبل التحول ولا يراد لها أن تتغير حتى لا تندثر معالم ما يحفظ للأمة تميزها.

يؤكد المفكر المغربي عابد الجابري[1] أن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور وليست معطياً جاهزاً ونهائياً، هي تصير وتتطور، أنما في اتجاه الانكماش وأما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم بانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلباً أو إيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما.

تعريف الهوية الثقافية: هي القدر الثابت والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية، أو القومية طابعاً يميزها عن الشخصيات الأخرى فهي الحلقة الأساسية التي تربط الانسان بتراب وطنه وبهذا المعني فإن الهوية الثقافية هي النقيض للعولمة التي تحويل العالم إلى قرية واحدة بلا حدود[2].

مقومات الهوية الثقافية:

---

[1] محمد عابد الجابري ـ **التراث والحداثة، دراسات ومناقشات** ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ المغرب ـ 1991 ـ ص 20

[2] فؤاده بكري، الهوية الثقافية العربية في ظل الاتصال والاعلام الجديد، **ورقة بحثية مقدمة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي – الإعلام الجديد: تكنولوجيا لعالم الجديد**، جامعة البحرين، 7 ابريل 2009م، ص379

1. اللغة[3]:

تعد اللغة هي المكون الأول والرئيس في الهوية الثقافية، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع، وبالتالي فالحفاظ على اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع.

فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، وتنفذ إلى جميع نواحي الحياة فيه؛ لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب، وقد أشارت منظمة اليونسكو على لسان مديرها إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات حيث قال:

إن " اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة، وللربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية، تعدد اللغات عن بصيرة هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن لجميع اللغات إيجاد متسع لها في عالمنا الذي تسوده العولمة ، لذلك تدعو اليونسكو الحكومات وهيئات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والجمعيات المهنية وجميع الجهات المعنية الأخرى إلى مضاعفة أنشطتها الرامية إلى ضمان احترام وتعزيز وحماية جميع اللغات، ولا سيما اللغات المهددة، وذلك في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية "

ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافية بين البلاد العربية لا تتم إلا بالمحافظة على اللغة العربية التي تؤدي إلي وحدة الشعور والفكر، كما كانت اللغة العربية هي الجسر الذي عبر عليه العرب والمسلمون جيلا بعدا آخر لتحقيق التواصل، ولهذا كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية، فهي لغة القرآن، كما أنها لغة ثرية في محتواها ومفرداتها، وقد حافظت اللغة العربية علي استمرارية الأمة العربية.

ومن المؤكد أن إتقان اللغة العربية يساعد على الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع، بل والاعتزاز بهويتهم؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والإسلامية.

إذن فالعلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليماً ونشراً وتيسيراً لصعوباتها، ونظرا للأهمية القصوى للغة العربية ، وكونها عنصراً رئيساً من عناصر الهوية الثقافية ، تعرضت لحملات كثيرة للقضاء عليها؛ بغرض القضاء علي الهوية الثقافية، وقد أشار "العقاد" إلي تلك الحملات بقوله" الحملة علي لغتنا الفصحى حملة علي كل شيء يعنينا، وعلي كل تقليد من التقاليد الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها

[3]نبيل المنصوري، الهوية الثقافية للمجتمع، مقال بحثي منشور عبر الرابط: https://www.facebook.com/596891393737420/posts/855705674522656/ تاريخ النشر 14 يونيو 2015م، تاريخ الزيارة 2020/11/23م



، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي المسلم قواما يميزه في سائر الأمم، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم ، فلا تبقى له باقية".

2. **الدين**[1]:

تستمد الهوية الثقافية العربية مقوماتها من الدين الإسلامي الذي يدعو إلي الحق ويتخذ من الإنسان موضوعا له، فالخطاب القرآني موجه للناس جميعا.

فالدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها علي الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في هويتنا الثقافية، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح، فهذا مكون رئيسي من مكونات الهوية الثقافية ، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد علي العقل والوحي بشكل متوازن، وهذا يمثل أيضا ملمحا من ملامح هويتنا الثقافية.

إذن لا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي، وبالتالي فأي هجوم علي الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية.

3. **التاريخ**[2]:

لا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها؛ الذي يمثل أحد قسمات هويتها، فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها، وهو آمالها وأمانيها، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة على الهوية الثقافية، وعلى ذلك يكون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه أو الالتفاف عليه هو أحد الوسائل الناجحة لإخفاء هويتها أو تهميشها.

وهذا معناه أننا الآن بحاجة إلي نهضة فكرية وثقافية لمحاربة الأساليب الجديدة التي تعمل علي محو ذاكرة التاريخ ، مثل ما يسمي بمشروع الشرق الأوسط الجديد ، وما يعنيه من محاولات إحداث تغييرات في الهيكل التنظيمي للمنطقة العربية ، الأمر الذي يؤدي إلي تقويض إمكانية بناء نظام عربي جديد، ولعل هذا التاريخ المجيد هو الذي يكمن وراء محاولات الغرب طمس معالم الهوية العربية والإسلامية، ومن الأهمية أن يتوفر للعرب وعي علمي بتاريخ مجتمعهم ا لعربي وتطوره وديناميانه، وقوانينه النوعية، مما يعينهم علي تأصيل هويتهم ، ومعرفة الملابسات التاريخية لحدودها.

---

[1] عماد عبد الغني، **سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم- والاشكاليات، من الحداثة إلى العولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006م، ص138

[2] إمام مختارة حميدة عبد الرؤوف محمد الفقي: القومية العربية كما تناولتها كتب التاريخ في المرحلة الثانوية العامة في مصر، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، العدد 31، 1995، ص ص 9-10



ولهذا لابد من الاهتمام بتطوير مناهج تعليم التاريخ العربي والإسلامي، فبدلاً من أن تركز بشكل رئيس علي عرض التاريخ في شكل حروب وصراعات وخلافات، فلابد من الاهتمام بعصور السلام والازدهار والرقي والتطورات الاجتماعية التي أحدثها الإسلام في البلاد التي دخلها ، وأنارها بنوره، والحديث عن تأثير كبار المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين مثل ابن رشد ، وابن سينا ، والفارابي، وابن النفيس، وغيرهم كثير ممن أثروا الحياة الفكرية وأسهموا في إحداث التقدم والازدهار الحضاري للمجتمع العربي والإسلامي، بالإضافة إلي الإشارة لدور المرأة في المجتمعات الإسلامية عبر العصور المختلفة .

فكل هذا يمكن أن يسهم بدور كبير في تأصيل الهوية الثقافية العربية والإسلامية، بل والمحافظة عليها من الأخطار التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة وأننا في عصر العولمة التي يمكن أن تكون أحد العوامل التي أدت إلى حدوث أزمة في الهوية الثقافية العربية.

أثر الإعلام الرقمي على الهوية الثقافية العربية:

1. التأثير على الانتماء: الانتماء هو أعلى سلم في الهوية كسمة تعبر عنها، واستخدام وسائل الإعلام الرقمي مع الكثرة يمكن أن يحدث تفككاً في الانتماء بكل أبعاده، حتى مع المكان والذي يمثل تمازج بين الطبيعة والقيم والثقافة وأنماط التعامل مع البيئة والآخر والعمران[1]، ومع استخدام الانترنت ووسائل الإعلام الرقمي عموماً فإنه قد تراجعت أهمية عامل المكان المعايش كمتغير أساسي في تأسيس ذات الفرد وانتمائه وشخصيته في المجتمع المعاصر إلى حد كبير[2]، بمعني هناك قضاء على الانتماء للمكان، هذا المكان الذي يمثل الوطن والأرض، فالفرد أصبح ينتمي في إطار مفهوم العولمة إلى مجتمعات وليس إلى المجتمع، ولأديان وليس لدينه ولثقافات وليس لثقافته، إنه ما اطلق عليه" مواطن الشبكة".
2. التأثير في اللغة: يتفق الباحثون على اختلاف مذاهبهم في العلوم الانسانية والاجتماعية على أن ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها، واللغة بلا منازع تبرز السمات الثقافية العربية بأنواعها[1].

وهذا ما يؤدي إلى طرح قضية استخدام الوسائط الجديدة وتأثيره في اللغة العربية، فالتأثير القائم في هذه الوسائل.

هو غلبة المحتوي باللغة الانجليزية، وبالتالي سيطرتها، ذلك أن استعمال اللغة الأجنبية يفرض مضموناً معيناً من التفكير والسلوك، المرتبطين بالتطورات التي تحدث في مجتمعات ما وراء البحار، أكثر مما تعبر عن واقع

---

[1]عزي عبد الرحمن، **دراسات في نظريات الاتصال، نحو فكر إعلامي حضاري متميز**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003، ص15

[2]المرجع نفسه، ص104

[1]على رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو اجتماعية، **بحث تحليلي في الآلية التقنية للأنترنت ونموذجة منظومتها الاجتماعية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، العدد 53،2005م، ص344

المجتمع العربي2، كذلك يطرح إشكال اللغة المستخدمة في التطبيقات أو الخدمات التي يوفرها هذا الإعلام، والتي يستعمل فيها الشباب مفردات لغوية دخيلة، وكذا استعمال حروف لاتينية لكتابة كلمات عربية، واستخدام اللهجات الأمر الذي من شأنه اضعاف حضور اللغة العربية لدي المستخدمين الذين خلقوا لأنفسهم لغة خاصة بهم.

1. التأثير في الدين الإسلامي: الدين الإسلامي من معالم ومرتكزات الثقافة العربية، ولقد أدى الإسلام دوراً هاماً في نشر الهوية والثقافة العربية، والاعتقاد الديني هو الأساس الذي تقوم عليه الثقافات3، وإذا كان هناك اعتداء على الخصوصيات الثقافية وملامح الهوية من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة، فالأكيد أن هناك اعتداء واضح عبر هذه الوسيلة على أحد معالم الثقافة وعناصرها "الدين" وهذا في إطار الغزو الثقافي للمجتمعات، حيث تعاني كل الشعوب والأمم منه، أما في جوهره وأساسه فإنه يستهدف الإسلام بالدرجة الأولي، يحاول تشويه حقائقه والتشكيك في أصوله، لان الإسلام هو الطاقة الوحيدة التي تصنع من ضعف المسلمين قوة، ومن تمزقهم وحدة.

2. التأثير في الأخلاق: لا أحد ينكر التأثيرات الأخلاقية للإعلام الرقمي، حيث أثبتت العديد من الدراسات أن نسبة كبيرة من مستخدميه يتعرضون للمواقع الإباحية بالدرجة الأولي، وهذا المشكل يأتي في المرتبة الأولي من بين مخاطر الإعلام الجديد، حيث أخذت الإباحية بشتى وسائل عرضها من صور وفيديو وحكايات تنشر وتصبح في متناول الجميع، ولا جدال أو شبهة في أن تلك الإباحية الالكترونية من أخطر يمس بفضيلة الحياء والقيم الدينية والخلقية التي ينبغي أن يتحلى بها كل فرد وفي أي مجتمع.

فسوء استخدام محتوي الإعلام الرقمي بهذا الشكل السلبي من شأنه إضعاف الحساسية والاستحياء من الممنوعات الأخلاقية وتكرار الفعل لمرات ربما يتجاوز هذا الممنوع إلى القيام به دون أدني وازع، بالتالي تصغير هذا الفعل والتأثير على القيم الأخلاقية كجزء من هويتنا الثقافية.

3. التأثيرات الاجتماعية: تأتي هذه التأثيرات نتيجة لكثرة الاستخدام والتي تؤدي إلى اضعاف بنية التفاعل الاجتماعي، فكثرة استخدام الزمن الإعلامي يؤدي إلى التأثير وربما التقليل على الزمن الاجتماعي بمعني آخر التأثير في الوقت المخصص للتواصل مع الأسرة والأصدقاء وهذا ما يؤدي إلى العزلة عن الآخرين وما يزيد ذلك

---

[2] عمار بوحوش، **لغتنا العربية، جزء من هويتنا**، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز الوحدة العربية، العدد 35، 1999، ص124

[3] محمد الجوهري، **العولمة والثقافة الإسلامية**، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص122.

سواء طبيعة الاستخدام المنفرد لهذه الوسائل وبالتالي التباعد بين أفراد الأسرة وكذا المجتمع، وغياب الاتصال الشخصي بينهم، وهذا كله يؤثر في التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع، وانحصار العلاقات الاجتماعية وتجميد التناقل والحراك الاجتماعي مما يؤدي بضعف علاقة الفرد بهويته ومجتمعه1.

4. التأثيرات الثقافية: أن الثقافة مرتبطة بوسائل الإعلام باعتبارها المضمون الذي تقدمه، فإن أكبر التحديات التي تواجه الهوية هي عولمة الثقافة فليست المشكلة في عولمة الأدوات والوسائل وإنما تكمن في عولمة المضمون المقدم عبرها والتي تحاول الدول المنتجة لهذه المضامين فرضه لصالح ثقافة عالمية واحدة2.

أن الدول التي تمتلك الوسائط الجديدة هي التي تتحكم في بناء الثقافات وفقا لقيمتها وأفكارها، وبثها إلى الدول التي لا تمتلك هذه الوسائط، لتستهلك تلك القيم والأفكار دون أن تشارك بقيمتها ونظمها، ومع ضعف البنية الثقافية في منطقتنا العربية الذي سهل عملية التأثير الثقافي وبالتالي الوقوع في حل التغريب الثقافي وتنامي الفردية وتراجع الجماعية، والتأثير على القيم والعادات والأفكار ووصول الفرد إلى الاغتراب عن مجتمعه وثقافته3.

خاتمة:

إن الإعلام الرقمي له مزايا وخصائص اتصالية متعددة ومختلفة عن الإعلام القديم، حيث أن الهوية الثقافية العربية لأي مجتمع تتضمن كل المكونات الثقافية لهذا المجتمع من عادات وتقاليد وأسلوب حياة ومن قبلهم الدين والتراث غير المادي.

إن التطور في مجالات ووسائل الإعلام الرقمي عمل على تغير أغلب المضامين التي تأثير على ثوابتنا وعاداتنا وتقاليدنا، ولذلك من المهم جداً التوعية والنهوض بأوضاع أمتنا والقيام بعملية إصلاح جذرية تخلص هويتنا من كل السلبيات والحفاظ على الهوية والثقافة العربية للحاضر والمستقبل، ويجب العمل على بث رسائل إعلامية ثقافية عربية قوية تساهم في بناء الوعي الجمعي للإنسان العربي.

المراجع:

1. أحمد اسماعيلي، تأثير الاعلام الجديد على الهوية الثقافية العربية، بحث منشور في مجلة الدراسات الاعلامية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، العدد السابع، 2019م.

---

[1]دحماني سمير، أثر استخدام شبكة الانترنت على الهوية لدي الشباب في ظل العولمة الإعلامية، **رسالة ماجستير غير منشورة في علوم الاعلام والاتصال**، جامعة الجزائر، 2009م، ص89.
[2]سامي شريف، **قضايا الاعلام الدولي**، القاهرة، دار النهضة العربية، 2007م، ص20
[3]عبد الباسط سلمان، **عولمة القنوات الفضائية**، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 2005م، ص5.



2. أحمد سمير عبد الهادي حسن، استخدام الشباب المصري للمواقع الاليكترونية وعلاقته بتبني أنماط ثقافية غربية، 2014م.
3. إسلام حلس، مدونة عبر الرابط:
http://islamhelles.blogspot.com/2014/09/blog-post_24.html ، تاريخ النشر 24 سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 21 نوفمبر 2020م.
4. إمام مختارة حميدة عبد الرؤوف محمد الفقي: القومية العربية كما تناولتها كتب التاريخ في المرحلة الثانوية العامة في مصر، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، العدد 31، 1995م.
5. امينة صابر، نظرية الغرس الثقافي، كلية التربية، جامعة طنطا.
6. بالعربي سعاد، أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية، دراسة ميدانية على عينة من طلبة مستخدمي من موقع الفيسبوك بجامعة مستغانم، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الإعلام والاتصال، 2015م.
7. بورقية سمية، عقبة سعيدة، الهوية الثقافية في ظل الإعلام الرقمي، دراسة حالة لعينة من صحف الواب الجزائرية، جامعة عنابة، بحث منشور عبر الرابط: https://platform.almanhal.com/Files/2/97801

توفيق السعد، الغرس الثقافي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3346، مقال منشور يوم 2011/04/24على الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=256306

8. دحماني سمير، أثر استخدام شبكة الانترنت على الهوية لدي الشباب في ظل العولمة الإعلامية، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2009م.
9. دليلة غروبة، الانترنت، الشبكات الاجتماعية وثورة الإعلام الجديد، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 15، 2013م.
10. سامي شريف، قضايا الاعلام الدولي، القاهرة، دار النهضة العربية، 2007م.
11. سميرة شيخاني، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 1و2، 2010.
12. عبد الباسط سلمان، عولمة القنوات الفضائية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 2005م.
13. عبد العزيز تركستاني،دور أجهزة العلاقات العامة في تكوين الصور الذهنية، للمملكة، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال المنتدى الإعلامي السنوي الثاني، اكتوبر 2004م.
14. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظريات الاتصال، نحو فكر إعلامي حضاري متميز، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003م.
15. على رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للأنترنت ونموذجة منظومتها الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، العدد 2005،53م.
16. عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم- والاشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006م.
17. عمار بوحوش، لغتنا العربية، جزء من هويتنا، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز الوحدة العربية، العدد 35، 1999م.
18. فؤاده بكري، الهوية الثقافية العربية في ظل الاتصال والاعلام الجديد، ورقة بحثية مقدمة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي – الإعلام الجديد: تكنولوجيا لعالم الجديد، جامعة البحرين، 7 ابريل 2009م.
19. ماهر الشمايلة، محمود اللحام، مصطفي كافي، الإعلام الرقمي الجديد، ط1، دار الإعصار للنشر والتوزيع، 2015م.
20. محمد الجوهري، العولمة والثقافة الإسلامية، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.
21. محمد عابد الجابري. التراث والحداثة، دراسات ومناقشات. مركز دراسات الوحدة العربية. المغرب. 1991م.
22. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، الرقابة القانونية للإعلام الرقمي، القاهرة، 2016م.
23. مقلاتي صحراوي، غالية غضبان، إشكالية تأثير الاعلام الجديد في الهوية الثقافية في ظل العولمة، جامعة باتنة، بحث منشور عبر مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العددان 12و13 ديسمبر 2014م.
24. موسي القعايدة، دور وسائل الإعلام في توعية الشباب الجامعي العربي بالتحديات الثقافية التي تواجه الأمة العربية في عصر العولمة (دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي العربي)، 2015م.





25. نبيل المنصوري، الهوية الثقافية للمجتمع، مقال بحثي منشور عبر الرابط:
https://www.facebook.com/596891393737420/posts/855705674522656/ تاريخ النشر 14 يونيو 2015م، تاريخ الزيارة 2020/11/23م

26. نبيلة جعفري، انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجامعي الجزائري، شبكة الفيس بوك نموذجاً، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 9، ص 81- 93، 2017م.

27. هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة. 2011م.

التشويه الثقافي للهوية بين الأنا والآخر
منطلقاته ومآلاته

Cultural distoration of the identity between the ego and the other, its back grounds and consequences

رضا شريف أستاذ محاضر

ملخص:

جدلية الأنا والآخر واحدة من المسائل التي شغلت فكر الفلاسفة والمفكرين والأدباء والسوسيولوجيين وغيرهم من الأكاديميين، كون هذه المسألة تعد من القضايا الفكرية المفصلية في عالم المابعديات، فالتحولات الحاصلة على المستوى العالمي جعلت من هذه الثنائية تعرف سجالا وصراعا على الهوية أخذ عناوين مختلفة كصراع الحضارات وحرب الهويات لذلك نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نشتغل على هذه المسألة من زاوية معينة يحملها عنوان هذه الورقة البحثية الموسوم بالتشويه الثقافي للهوية بين الأنا والآخر منطلقاته ومآلاته. حيث توقفنا من خلال هذه الدراسة على عناصر أساسية تمثلت في: تقديم توطئة إشكالية لموضوع دراستنا، فضلا عن إثارة مسألة التشويه الثقافي في المرجعية الإسلامية وكذلك بالنسبة للمرجعية الغربية، لأجل الكشف عن الصورة النمطية التي حاول البعض الترويج لها حول الآخر أو تجاه الذات، وبعد تحليلنا لهذه العناصر كانت لدينا رؤية حول المخرج الذي يفترض أن يشكل حالة من التقارب والتواصل والإلتقاء بين الأنا والآخر وهو الهدف الذي ترمي إليه هذه الدراسة لأننا بحاجة إلى تصحيح ثقافي ذاتي وموضوعي يسمح للذات باكتشاف الآخر كما يسمح للآخر باكتشاف الذات أملا في الوصول إلى مخرج للمأزق الحضاري للهوية في الوقت الراهن.

الكلمات المفتاحية: التشويه الثقافي- الهوية- الآخر- الأنا- المرجعية العربية الإسلامية- المرجعية الغربية.

Abstract:

The ego and other dialectic is one of the issues that preoccupied philosophers, thinkers, writers sociologists and other academics. The fact that this issue is considered as one of the articulated intellectual issues the world of abatement, the transformation taking place at the upnireese level have made this dualits know clear identity conflict that took different addresses, like the clash of civlizations and the war of identities, so we are trying, through this research paper to work on this issue from a specific angle carried by the title of this research paper tagged with : idedntity cultutral distotion of the identity betwen the ego and the other, its back grounds and consequences. Throught this study we have focused on basic elemnt presenting problematic introducion to the subject of our study as well as raising the issue of cultural distoration in the islamic and the western reference for the purpose of detection about the stereotypical image that some tried to propugate about the other or towards the self. After our



analysis of these elemnts we had a mission about the outlet that is supposed to form a state of closeness and communication and convergence betwen the self and other. Tthis is the aim of this study, because we need a cultural subjectife and objective correction. It allous the self to discover the other in the hope of reaching a way out civizational dilemma of idendity at the present time.

Key word : Western refernce- Islamic reference- Cultural distoration- Other- Ego

مقدمة.

تتأثر الذات أثناء عملية الاجتياز إلى الآخر بترسبات عالقة تحايث العقل في أطروحاته ومقارباته اتجاه المختلف والمغاير وهذه الوضعية تعود في جذورها وبداياتها إلى مفاعيل وخلفيات إيديولوجية مختلفة ومتعددة تؤدي إلى التأثير سلبا أو إيجابا على سيرورة العلاقة، فتجسير عملية التواصل والعبور بين الذات والغير مشدودة دوما بانحرافات الفكر المتواطئ ضمنا أو علنا عندما يضع ترتيباته غير البريئة لإضفاء الطابع الصدامي على هذه العلاقة التي هي في الأصل علاقة إنسانية بغض النظر عن المرجعية والقناعة التي تقف خلفها دينية أم عرقية، أم لغوية أو دون هذا كله.

إن مسألة الحديث عن ثنائية الأنا والآخر في بعدها الحضاري جعلتنا نثير قضية مفصلية وصميمية في هذا الاتجاه نفي بذلك إشكالية التشويه الثقافي الهوياني بين الأنا والآخر من حيث العودة إلى منطلقاته، والوقوف عند مآلاته، وهذه المقاربة البحثية تحيلنا بالضرورة إلى الحفر في بواطن النصوص التي اشتغلت على هذه المسألة، وهدفنا المنهجي من وراء ذلك هو محاولة الاستقصاء والبحث في خلفيات التشويه الثقافي والوقوف على منابته الأولى على مستوى المرجعيتين العربية والغربية، لأن وقوفنا على المنبت يجعلنا قادرين على استيعاب حيثيات المسألة التي لا تزال قائمة راهنيا فالصراع حول الهوية والثقافة والتاريخ واللغة وغيرها من العناصر الحضارية لا تزال تشكل بؤرة الخلافات والصراعات سواء على مستوى الثقافة العالمية، أو الثقافة الجماهيرية وهذا ما يحتاج في تقديرنا إلى حتمية القراءة النقدية الجادة التي من شأنها أن تزيح الكثير من الضبابية والغموض على إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر التي عرفت تشويها ثقافيا هوياتيا طالها لقرون من الزمن لأن الحديث عن البدايات والمنطلقات سوف يجرنا إلى تخوم التاريخ ومنعرجاته التي من خلالها نستدعي تلك الصورة التشويهية التي تجسدت في المخيال العربي الإسلامي تجاه الآخر، كما تجسدت في المخيال الغربي تجاه الذات العربية الإسلامية، وهذا التداخل الإشكالي أسس راهنيا لمفاهيم وتصورات وقراءات غير بريئة ظلت مشدودة في قرائتها لهذه العلاقة بلغة التشويه ومنطق الانغلاقية والفهم الأحادي وهذا ما جعلنا نشتغل على هذه المسألة بالتحديد لا لسرد نصوص كتبت في هذا السياق واستحضار صورة التشويه الثقافي التي حصلت فعلا بين المرجعيتين ولكن لأجل البحث عن خلفيات هذه التصورات ومحاولة تقديم الحلول المتاحة لأجل بناء رؤية حضارية وثقافية جديدة تحكم العلاقة بين الأنا والآخر، في إطار التساؤلات الحارقة في هذا الشأن وأبرزها ما هي الخلفيات التي تقف وراء التشويه الثقافي الهوياتي بين الأنا والآخر سواء في إطار الفكر العربي الإسلامي أو في إطار الفكر الغربي؟ وما هي إفرازات وتداعيات هذا التشويه على





الهويات؟ وما هي الآليات المتاحة والخيارات المنهجية الممكنة لإحلال التعايش والتقارب والتواصل والتثاقف كبدائل عن الصراع والتصادم والكراهية وغيرها من الصور البائسة التي ظلت تحكم علاقة الأنا بالغير أو الغير بالأنا؟

إن ورقتنا البحثية هذه وهي تطرح هذه التساؤلات تأمل أن تصل إلى نتائج وحلول من شأنها أن تساعد الهوية العربية الإسلامية على الإثراء وتجعلها في وضع حضاري قائم على الوعي الصحيح والفهم العقلاني للعلاقة الطبيعية بينها وبين الآخر، فمقاربتنا هذه تسعى إلى تأثيث الفكر العربي بأدوات منهجية عقلانية وموضوعية والتي من شأنها أن تنقله من الهامش نحو المركز بحثا عن التنافسية القائمة على إرادة المعرفة الصحيحة لا على أساس التصورات النمطية الجاهزة التي كرستها بعض الأفكار الظلامية اتجاه الآخر باسم الهوية المنغلقة والمكتملة التي لا تقبل المختلف والمغاير.

صحيح أن الكتابة والاشتغال على قضية الأنا والآخر ليست وليدة اللحظة على أساس أن الفكر العربي الحديث والمعاصر اشتغل عليها وقدم فيها الكثير ولكن نحن في هذه الورقة البحثية حاولنا تسليط الضوء على جزئية نراها جديرة بالطرح بالنظر إلى أهميتها في الوقت الراهن لأن فهم البدايات يدلنا على فهم الواقع والمستقبل معا، وعلى هذا الأساس كان اختيارنا لهذه المعالجة التي نأمل أن نقدم من خلالها تحليلا نقديا لمختلف النصوص والخطابات التي نستأنس بها في قرائتنا لهذه المسألة. وبالتالي نساهم في تقديم وجهة نظرنا اتجاه القضايا التي تخدم الفكر والثقافة داخل العالم العربي والإسلامي الذي نظل متفائلين بما يجوز عليه في قدرات وكفاءات وفرص لا تقل أهمية عن تلك المقدرات والكفاءات التي تتوفر لدى الآخر الغربي وهذه النظرة في وضع الهوية العربية الإسلامية على الأرضية الحضارية الصحيحة التي تليق بها والتي من وراء القصد.

1- المقاربة التحليلية:

1-1- الأنا والآخروالتشويه الثقافي المتبادل:

لاشك أن المهتم والمشتغل بإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب أو ما يعرف بالأنا والآخر يسجل تلك الدعوة المروج لها والتي يطالب أصحابها بالحوار بين الشعوب والأمم والحضارات والديانات لأجل تفادي الصراع بمختلف ضروبه خاصة والعالم اليوم يشهد المزيد من الاعتداءات والقتل والإساءة بمختلف أشكالها آخرها الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تلك الرسومات الكاريكاتورية التي يوظفها الإعلام الورقي من خلال مجلة شارل إيدو وغيرها لكن الدعوة إلى الحوار والتسامح التي تعد آلية من الآليات الممكنة لتجاوز حالة الاحتقان بين الحضارات والشعوب تقف أمامها عوائق تحول دون نجاحها ومن ضمنها تلك التمثلات والتصورات الثقافية التي تحملها كل ثقافة اتجاه الثقافة الأخرى سواء تعلق الأمر بالمرجعيات الغربية (الأوربية / الأمريكية) أو بالمجتمعات العربية الإسلامية (المجتمعات الشرقية) فإن كل طرف يحمل صورة نمطية عن الطرف الآخر وهي في الغالب صورة سلبية ومشوهة من هنا سنحاول توضيح هذه الصورة المشوهة من الطرفين لأجل تقديم قراءة موضوعية حول المضامين الخطابية سواء بالنسبة للغرب أو بالنسبة للشرق، وبالتالي نحاول الوقوف على الأرضية والمنبت الذي أسس خطاب كل جهة من الجهات فالأمريكيون مثلا خاصة بعد الأحداث التي عرفتها نيويورك العام 2001. "يحملون صورة عن العرب والمسلمين يقترن فيها المسلم والعربي بالإرهاب والعنف وقد ساهمت سياسة الإدارة الأمريكية ووسائل الإعلام في رسم هذه الصورة وأصبح الرأي العام الأمريكي سجينا



لهذه الصورة الجاهزة"[120] صورة يقدم فيها الإسلام كدين يشكل خطرا عظيما يهدد أمن المجتمع الأمريكي والقيم التي صنعتها الحضارة الأمريكية وبالتالي أصبح خطاب -فوبيا الإسلام- رائجا بقوة في دوائر مختلفة على مستوى المواطن الأمريكي وحتى على مستوى النخب السياسيين والمثقفين...الخ وهذه الصورة القاتمة التي لدى الغرب والأمريكان عن الشرق وبالخصوص الشرق المنتمي إلى الإسلام هي صورة فيها الكثير من التشويه والتلفيق اللاّمبرر واللاّمسؤول بل هي صورة محملة بتشويه ثقافي له جذور قديمة وأطروحات تقليدية حاولت تكريسه وترويجه بكل الإمكانيات المتاحة فعلاقة الشرق بالغرب ليست وليدة اليوم فقط إنها علاقة حروب وصراعات وسجالات حضارية وبالتالي قدم الفكر الإستشراقي فيها دورا بارزا تظهر نتائجه بجلاء ضمن هذه الصورة التشويهية للذات الإسلامية بمختلف مكوناتها وهذا ما سنحاول الوقوف عليه ضمن هذه المحطة، قصدا منا نحو الاستئناس ببعض النصوص التي اتجهت اتجاها تشويهيا لهذا الشرق الحامل لرسالة الإسلام ويمكن القول هنا بأن الصورة الأولى التي أصلت النظرة الغربية إلى الشرق كانت نتيجة للاحتكاك التاريخي إبان الحروب الصليبية والتي عملت الكنيسة على صياغتها بهدف تشويه مبادئ الدين الإسلامي وقيمه الحضارية ولازالت هذه الصورة معتمدة لدى المخيال الأوربي إلى اليوم وبالرغم من المنجزات المعرفية والثقافية التي جاد بها علماء وفلاسفة وأطباء العرب والمسلمين على الغرب حينما شكلت الحضارة الإسلامية رافدا من الروافد الثقافية لحضارة الغرب إلا أن الغرب في العموم يتنكر لهذه الصورة المشرقة وظل يستبعدها ليستحضر مكانها صورة المسلم والعربي الهمجي والبربري والمعادي للسلم والحضارة وهي الصورة التي غذت خطاب الكراهية بين الأنا والغير وجعلته يستقر في ذاكرة الشعوب والأمم وقد شكل غزو نابليون لمصر العام 1798م منعطفا تاريخيا دشن إستراتيجية جديدة في العلاقة بين الشرق والغرب فكما هو معروف فقد جلب نابليون جيشا من المستشرقين والباحثين في محاولة الجمع بين إرادة السيطرة وإرادة المعرفة وهذا في تقديرنا مشروع متكامل يبحث عن بسط السيطرة على الأنا كآخر بالنسبة إليه وفهم كل تفاصيله وجزئياته والعمل على إخصائه بلغة هشام شرابي "يخصيه بالمعنى الفرويدي للمصطلح كشرط للهيمنة عليه كليا وتبدو الصورة أكثر قتامة في التراث الشعبي الأمريكي الذي يعمل على مزيد من الحشد والتعبئة في إطار سياسات الكراهية"[121] وفي السياق نفسه يمكن الإشارة إلى كتاب "الشرق المتخيل" لمؤلفه "تري هانتش" الذي حاول القيام بحفريات في نظرة أو في صورة الغرب للعرب والمسلمين من حيث استقصاء الأشكال والصور المتخيلة التي نسجتها المخيلة الغربية عن العربي المسلم والإنسان الشرقي عموما منذ القرون الوسطى وإلى اليوم، وهي الصورة التي يزيد من وطأتها أن "رسالة نبي الإسلام تقف على نفس أرضية المسيحية وبالتالي يفرض فك الارتباط بين الدينين وشيطنة الإسلام لتجنيب المسيحيين الوقوع تحت تأثيره"[122] فضلا عن هذا ترى هذه النظرة المؤدلجة والمحكومة بمنطق عدائي صرف اتجاه الآخر أن الدين الذي جاء به محمد كشريعة وعقيدة يرتبط في النهاية بلغة الجسد ومطالب الشهوة واللذة مستندين في ذلك إلى

---

[120] هشام غصيب، تجديد العقل النهضوي، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2000، ص192.

[121] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، لبنان، ط3، 1986، ص32.

[122] تري هانتش، الشرق المتخيل رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، ترجمة وتحقيق خليل أحمد خليل وغازي برو، دار الفارابي، ط1، 2004، ص110.





مسألة تعدد الزوجات التي ينظر إليها مسيحيا بوصفها "مدعاة للإدانة مثلها مثل المثلية الجنسية (L'homosexualité) الموصوفة في القرآن بما هي فعل مباح في الجنة"[123]. وإلى جانب هذا تتجه هذه النظرة الإستشراقية إلى القول بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم استغل سذاجة شباب مكة وأغراهم بالجنة الموعودة وما فيها من حور العين ومغانم كثيرة تجعل الجهاد وسيلة لبلوغ هذه الملذات التي لم تراها عين قط، وعليه صار الفهم الوحيد للإسلام لديهم هو الجري وراء الماديات والمحسوسات وتلبية مطالب الجسد وهذا في حقيقة الأمر مكر إيديولوجي هدفه توطين الإسلام كرسالة سماوية ضمن إطار وثني أو دين طبيعي لا أكثر ولا أقل، بهذا يعترف "محمد أركون" أن قوة الصورة النمطية المتخيلة في المخيال الغربي حول الإسلام والمسلمين بأنهم همجيون وشهوانيون ودينهم كونهم تكوينا أحاديا أي تكوين مادي صرف أقوى من كل الصور الأخرى التي يعرف بها الإسلام كدين سماوي جاء للناس كافة أو بالنسبة للمسلمين وما يحملونه من معرفة وقيم وتسامح وإنسانية جسّدها النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعثته مرورا بتأسيسه لدولة المدينة مبررا صورة الأخوة والتسامح والتراحم وكل ما يعبر عن حاجة الإنسان لأخيه الإنسان مصداقا لقوله تعالى: "ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"* والأصل أن المتخيل الغربي اتجاه الشرق هو "نتاج تراكم تاريخي طويل غذته الحقبة المعاصرة بالمزيد نقرأ معطياته في وعي الجمهور الغربي المشحون بالأحكام السلبية المسبقة والعتيقة عن الإسلام والمسلمين"[124] هذه الصورة العدوانية والاحتقارية اتجاه الإسلام والمسلمين في نظر أركون سببها المباشر أن التيار العام الغالب على المجتمعات الغربية هو التيار المسكون بتأثير صورة نمطية عن الإسلام والمسلمين ترسخت في الوعي الجمعي الغربي منذ مئات السنين في سياقات تاريخية ميزها الصدام المستمر بين الإسلام والمسيحية. "وزادتها رسوخا حقبة التحرر الوطني في الخمسينات والستينات من القرن العشرين وصعود الأصولية الإسلامية وتجربة الثورة الإيرانية، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م وحرب الخليج من خلال احتلال العراق"[125]. ولعل الشيء الغريب أن الصورة النمطية القاتمة التي يصورها الآخر الغربي اتجاه الذات العربية الإسلامية على المستوى الشعبي الجماهيري لم تحرك أمامها الطلائع النخبوية والتنويرية ساكنا بالرغم من امتلاكهم حقائق تاريخية محكومة بقراءات تاريخية وإستشراقية علمية وهذا ما يعكس الموقف السلبي للنخب الغربية اتجاه هذه المسألة والأمر هنا ليس على التعميم لأن هناك بعض الكتابات حاولت إنصاف الشرق وتقديم صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين وهذا ما جعل أركون يكتب بالقول: "إني أحيي بكل اعتراف بالجميل جهود ومكتسبات رواد الإستشراق من أمثال يوليوس وهوبير غريم وفريديريك شفالي وتور أندري... كما ينبغي أن نحيي جهود تلامذتهم الذين واصلوا على نفس الدرب من أمثال بلاشير وهاريس بيركلاند وغيرهم من الذين قرؤوا العقل الإسلامي قراءة موضوعية منصرفين عن كل دغمائية"[126].

---

[123] المرجع السابق، ص115.

* سورة النحل، الآية 125

[124] محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 2001، ص198.

[125] المرجع السابق، ص203.

[126] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص276.



لقد لعبت السلطة الرابعة دورا جوهريا في تكوين صورة نمطية سيئة عن الإسلام والعرب، وفيما يلي عينة من المقالات الأمريكية والبريطانية التي غذت الحملة الغربية على الإسلام:

"بيتر رودمان" لا تبحث عن المعتدلين في الثورة الإسلامية International Herald Tribune 04/01/1995"

فرغوس بوردويش "الحرب المقدسة في طريقنا Reader's Digest 01/1995"

توماس كامان "صراع الثقافات: تصاعد الإسلام في فرنسا Wall Street Journal 05/01/1995"

"الرعب الإسلامي: انتحار شامل Sunday Telegraph 01/01/1995"

"الجزائريون في لندن مصدر الإرهاب الإسلامي Sunday Times 01/01/1995"[127].

بالإضافة إلى عناوين أخرى يتم تداولها في الإعلام الغربي مثل: الهلال الجديد في أزمة الانتفاضة العالمية والإسلام الصاعد يكتسح الغرب. ومقال في جريدة Le Figaro بعنوان هل سنكون فرنسيين في 2025؟ Seront nous des Français en 2025 يدل على مدى تخوف الأوربيين من أن يصبحوا أقلية من جراء غزو عرب شمال إفريقيا بالخصوص لفرنسا، وقد لخص الأستاذ س. باليدا S. Palida الأخطار التي يمثلها المهاجرون على المجتمع الفرنسي بقوله: "إن مجتمعات المهاجرين اليوم يشكلون العدو الجديد الذي قام بغزو المجتمعات الأوربية، وثقافتهم تشكل تهديدا للثقافة الغربية، فهم من حضارة مختلفة وغير قادرين على التوافق مع الحضارة الغربية المتقدمة .. هذه المجموعات ينبغي تشديد الرقابة عليها".[128]

كما ساهمت القنوات التلفزيونية في خلق جو أدى إلى موقف سلبي اتجاه الإسلام، "حيث نجد أن في مجموع 1151 شريط خصصته القناة الفرنسية الأولى (TF1) لموضوع الإسلام، قدم الإسلام السياسي كمرادف للإرهاب في 420 شريط (33%)، ومرادف للعنف في 154 حالة (13%). وتفسر هذه التغطية الإعلامية نتائج صبر الآراء الذي ينتهي بالنتائج التالية: 67% من الفرنسيين يعتبرون أن الإسلام يعني التمامية، ومعنى التمامية: التصور الشامل الذي ينادي بالعودة إلى القيم الدينية والأخلاقية الإسلامية وإقصاء كل ما هو مختلف ومغاير لها وهذا في نظر الآخر تهديد صريح للخصوصية الثقافية الغربية، 67% يربطونه بالخضوع، 51% يرفض القيم الغربية، 36% بالتطرف والعنف".[129]

ويعتبر الانفجار الذي وقع في مدينة أوكلاهوما في 1993م مثالا معبرا عن طبيعة الإدراك الأمريكي، حيث قامت أهم القنوات الثقيلة (CNN, CBS, New Times, Fox Station) بربطه مباشرة بانفجار المركز التجاري العالمي، ثم نادت بضرورة إعلان حرب مقدسة ضد الإرهاب الشرق أوسطي، "وقد تم تسجيل في الأيام الثلاثة الموالية أكثر من 200 حادث عنيف ضد أمريكيين مسلمين. إثر ذلك قامت مؤسسة فورد-جويس بعملية صبر الآراء سنة 1993م ووصلت إلى

---

[127] الويزة آيت حمادوش، الإسلام السياسي وإدارته في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر: معهد العلوم السياسية والإعلام، 2002، ص64.

[128] غالية بن زيوش، الهجرة والتعاون الأورو متوسطي منذ منتصف السبعينات، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، كلية الإعلام والاتصال، 2005، ص88.

[129] الويزة آيت حمادوش، مرجع سابق، ص8.



نتيجة أن 50% من الأمريكيين يعتبرون أن المسلمين معادون للغرب عامة وللولايات المتحدة خاصة، وأنهم يربطون الإسلام بإيران".[130] نفس النتيجة توصلت إليها الدراسة الميدانية التي أجرتها مجلة News Week في مارس 1998م، حيث أن أغلبية الأمريكيين يعتبرون الإسلام كدين أجنبي، والمسلمين كأصوليين نشيطين أو إرهابيين لا يمارسون إلا لغة العنف، "كما وصفت جريدة لوموند ديبلوماتيك Le Monde Diplomatique المسلمين في أوربا بأنهم يشكلون "قنبلة موقوتة ضد الغرب".[131]

وفي تقرير صدر عن المجمع الفرنسي ضد الإسلاموفوبيا عن وضع المسلمين في فرنسا سنة 2008م، يؤكد أن صورة الإسلام في فرنسا ينظر إليه على أنه ظاهرة اجتماعية جديدة ضد الحداثة، ضد الجمهورية، معادي للعلمانية، وضد الديمقراطية.

وفي هذا الإطار يرى الباحث الفرنسي فرانسوا بورغا أن الإعلام الأوربي يسعى دائما إلى إبراز الوجه السيئ للإسلام بدلا من إبراز الوجه الإيجابي، كما يركز على العناصر والحركات غير المنضبطة، وينسبها دائما إلى الإسلام، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة "الصنداي تلغراف" البريطانية تحقيقا صحفيا بعنوان " Husband order fatwa against british wife" حول سيدة بريطانية أصدر زوجها فتوى بهدر دمها بعد هروبها منه بسبب خلافات بينهما، كما أذاعت البي.بي.سي نفس الخبر في برنامج صباح الخير. وهنا تجدر الإشارة باعتراف بعض الصحف الأوربية، بالوقوع في تقديم صورة مغلوطة عن المسلمين في الإعلام الغربي، وخاصة من خلال اتهامهم بالأصولية، ففي مقال نشرته صحيفة (الأوبزرفر The observer) البريطانية بعنوان "من البيت الأبيض إلى هوليود" ذكرت فيه أن تصوير المسلمين والجماعات الإسلامية، بصفة خاصة، أنهم يتآمرون للسيطرة على العالم وإبرازهم بالميل للعنف وحمل السلاح، يعد من قبيل تكوينه صورة خاطئة تحمل خطورة بالغة.

ما يمكن الإشارة إليه أيضا في هذا الصدد أن صورة الآخر في مخيلة المواطن الأوربي تتأثر بعدة وسائل أهمها وسائل التنشئة السياسية، حيث تمثل الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام دورا هاما في بناء هذه الصورة، وتحتل المدرسة الصدارة من حيث التأثير في سلوك المواطن الأوربي والأمريكي اتجاه الآخرين، نظرا للحجم الساعي الذي يقضيه الطفل في المدرسة. ومن أجل الوقوف على صورة الإسلام في مخيلة الطفل الغربي، وتأثير ذلك على خلق حالة خوف لديه من المسلمين، "قام إياد القزاز أستاذ علم الاجتماع في جامعة سكرامنتو بولاية كاليفورنيا الأمريكية بتحليل محتويات 36 كتابا مدرسيا للعلوم الاجتماعية مقررة للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا، وفي غيرها من الولايات الأمريكية خلال فترة 1974-1975م، وقد وجد الباحث أن صورة الإسلام في المقررات تؤكد على طبيعة الإسلام العنيفة والمولعة بالقتال، وأنه يبيح العبودية واستعباد الرجل للمرأة، أما العرب فهم شعب بدوي يعيش في الصحراء ويستخدم الجمل كوسيلة وحيدة لمواصلاته، فالعرب شغوفون بالغزو والنهب والسلب".

---

130 محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1995، ص176.

131 المرجع نفسه، ص180.

وفي دراسة أخرى قامت بها الباحثة مارلين نصر شملت 16 مقرر في الطور الابتدائي، من إصدار أربعة من أكبر دور النشر في فرنسا (Hachette, Nathan, Magnard, Bordas)، وجدت "أن الصفات التي نعت بها العرب بأنهم متخلفون ذهنيا وعديمو القدرة على التأثير على الآخرين، وأنهم يعانون من تخلف اقتصادي وقلة الموارد، أما عن علاقة العرب بالفرنسيين فتراهم الكتب بأنهم متمردين، قطاع طرق، مخربون. في المقابل تظهر الكتب الفرنسيين الموجودين في العالم العربي بأنهم يتميزون بالتفوق الفكري، والتحكم في المناصب العليا السامية، وبالتفوق الاقتصادي فهم أرباب عمل وأثرياء".[132]

أما عن صورة العرب في كتب القراءة للمرحلة الثانوية، فمن خلال دراسة 16 مقررا، وجدت الباحثة أن "أغلب الكتب في هذه المرحلة تتناول في موضوعاتها العرب والعرب المهاجرين والعنصرية، حيث تزاوج 25% من المقررات بين العرب والهجرة والعنصرية، 12% تربط العرب بالصحراء، و16% تتناول موقف العرب من المرأة، أما 12% فتركز على المجابهة مع الغرب، و3% تتحدث عن الرحلة إلى الشرق".[133]

ومن خلال تحديد موقع العرب في هذه النصوص وجدت الباحثة أن العرب يتميزون بالصفات التالية:

- أعداء أو خاضعون للمستعمر الفرنسي: فهم إما رؤساء قبائل متمردين أو خدم وأدلاء عرب وطوارق، في مقابل ضباط وأسياد فرنسيين.
- التناقض والتبعية في الشخصيات العربية والفرنسية: فقراء ويعيشون عيشة الحرمان، أما الأدلاء (الحركى) فهم يعيشون عيشة أحسن لأنهم في رعاية أسيادهم الفرنسيين، أما عن العرب المهاجرين فهم عمال مهاجرون ويعملون في بلد أسيادهم.

أما عن صورة العرب في كتب التاريخ المقررة فهي ترى العلاقة بين الإسلام وأوربا من منطق المجابهة، حيث تتحدث عن الفتح الإسلامي والمجابهة الأولى، وتنعت المسلمين بالغزاة والقراصنة، ثم تتناول الكتب المجابهة الثانية من خلال الحروب الصليبية بوصفها حركة دينية تكفير المسيحيين عن ذنوبهم من خلال الهجرة إلى المشرق، دون التعرض إلى الأسباب الإقطاعية للحروب الصليبية، أما عن صورة العرب فهم كفار غير مؤمنين، ثم تتناول المجابهة الثالثة وهي ظاهرة الاستعمار بأنها حركة أوربية لاستعمار العالم نتيجة حمى اقتصادية شملت كل الدول الأوربية، وفيما يتعلق استعمار فرنسا للجزائر فتراه الكتب حركة إيجابية نتج عنها إعمار البلاد، فهو مشروع تعمير بلد من خلال إنشاء المزارع وإقامة الطرق.

لقد تمحورت صورة العرب والمسلمين، من خلال الكتب الفرنسية، حول محورين:

---

[132] Marlene Nasr, Les Arabes et l'islam vue par les manuels scolaires français (1986 et 1997), Paris: editions Kartala, 1995, P25-26.
[133] Ibid, P46.



- تجاهل الإسلام والعرب حضارتهم ودورهم في البناء الحضاري للإنسانية، من خلال عدم التطرق إلى المنجزات العلمية والفكرية للحضارة العربية الإسلامية، وعدم التطرق إلى المفكرين العرب المسلمين ودورهم في النهضة الأوربية، لأن ذلك يتنافى والصفات التي وردت حول العرب والمسلمين.

- تحقير وتشويه صورة العرب والمسلمين واختصارها في أفراد غير منظمين يعيشون في قبائل أو بدو رحل، بحاجة إلى من يرشدهم من أجل إعمار بلادهم، لأنهم كسولون وقليلوا الذكاء، وهذا ما قام به الاستعمار الفرنسي للدول العربية في شمال القارة الإفريقية.

إن خطورة الصورة النمطية التي يزرعها الغرب في مخيلة الأطفال والشباب الأوربي، تؤدي إلى تنشئتهم تنشئة خاطئة قائمة على أساس رفض الآخر، والنظر إليه نظرة استعلائية عنصرية، تجعله يرفض التعايش مع العرب المهاجرين في الدول الأوربية، ويخلق لديهم عقدة الكبر ورفض الحوار مع من هم أقل منهم شأنا وحضارة.

وبهذا يمكن القول أم الصورة التي يرسمها الغرب كآخر بالنسبة إلى الذات العربية الإسلامية ترجع أصولها ومنابتها إلى القرون الوسطى وهي وللأسف لا تزال قائمة إلى اليوم بل توسعت في نمطيتها التشويهية إلى أبعد الحدود في ظل الانفتاح الإعلامي المتعولم، فضلا عن انتشار ما يوف بالإسلام السياسي وظهور ما يعرف أيضا بالداعشية والجهادية في الغرب والتي نراها في النهاية مشروع مفخخ يحمل مزاعم مغلوطة وكاذبة اتجاه الإسلام والمسلمين وهذه الصورة التشويهية للهوية العربية الإسلامية يجب أن تصحح بآليات وأدوات متاحة سوف نتطرق إليها بعد أن نعرض صورة الآخر في المخيال الإسلامي فما هي الصورة التي يحملها العربي المسلم اتجاه الآخر؟ وما هي منابت وخلفيات هذه الصورة؟

1-2- الآخر الغربي في ذاكرة الأنا العربي المسلم:

لاشك أن العرب والمسلمين أيضا يحملون صورة عن الآخر المختلف عنهم في اللغة والدين والثقافة وهي في الحقيقة صورة ليست وليدة اللحظة فهي محصلة تراكم تاريخي يتداخل فيها الواقعي والمتخيل ففي لحظة القوة التي كانت عليها الحضارة العربية الإسلامية في تفوقها وتمركزها خلال القرون الوسطى وفي المقابل كان الظلام والتخلف يغطي العالم الغربي الذي كان يعيش تحت رحمة التعاليم اللاهوتية للدين المسيحي ويتغذى من تعاليمها وسطوتها باسم نظرية التفويض الإلهي كانت حضارتنا الإسلامية قد أنتجت من خلال مفكريها ومؤرخيها وفلاسفتها وجغرافييها ورحالتها وعلمائها الجهابذة علوما ونصوصا فلسفية وثقافية وتربوية وسياسية وطبيعة قدمت من خلالها خدمة جليلة للشعوب والأمم المجاورة من فرسي وروم وغيرهم وقد لعبت النصوص والمرويات السردية العربية حسب المفكر العراقي عبد الله إبراهيم طول القرن الوسطى دورا بارزا في الوعي الإسلامي حينها وإلى غاية اللحظة التي نعيشها فهي في نظرة تمارس تأثيرها على الكثير من الجماعات الإسلامية وتحدد علاقاتها بالآخر وبالغرب تحديدا.

حيث نشأت في المخيال العربي الإسلامي ثنائية خطيرة على الحوار الحضاري والتقارب الثقافي والتعايش الديني مهما كان شكل وطابع الاختلاف هذه الثنائية التي سماها المفكر "دار الإسلام، ودار الكفر" أو العالم الإسلامي في مواجهة العوالم الأخرى باعتبارها العدو والشر والحرب والكفر والصليب...الخ وقد احتل مفهوم دار الإسلام مكانة بارزة في الأدبيات الفقهية الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري في تعارض مع مفهوم آخر هو دار الحرب أو دار الكفر ذلك أن



"العالم حسب المفهوم الإسلامي كان ينقسم إلى دار الإسلام التي تضم المجتمعات الإسلامية ودار الحرب كانت تضم العالم المحيط بدار الإسلام وتضم جميع الشعوب والأقاليم غير الخاضعة للسيادة الإسلامية"[134] وكانت دار الحرب بهذا المعنى هي الهدف الذي يسعى إليه الإسلام بغرض إخضاعه باسم ما يعرف بالجهاد والشرع الإسلامي لم يكن يعطي لهؤلاء الناس في عالم الكفر حق التفاوض أو إقامة العهود والمواثيق كونهم غير مؤهلين شرعا لذلك أو كما يقول "فالمعاهدات معه لم يكن معترفا بها طبقا للشرع الإسلامي"[135] وبهذا المفهوم تكون ثنائية الأنا (دار الإسلام) والآخر (دار الكفر) مبنية على لغة الجهاد وضرورة الخضوع لأن المسلمين كانوا يملكون حينها كل شروط التفوق والغلبة فهدف المسلمين هو سيادة الإسلام وانتشاره في كل المعمورة باعتباره دين للناس كافة، ولأن صورة غير المسلمين في المخيال الإسلامي ظلت راسخة في اتجاه واحد وهو أن غيرهم ظالون وخارجون عن الملة وأن الإسلام هو الدين الأشمل والأمل فإن الحرب ستظل معلنة على كل من يختلف معهم في الملة حيث يبسط الإسلام شريعته وقيمه على ديار الكفر "فالسلام بين الدارين غير ممكن من ناحية شرعية لأنه مصالحة بين نقيضين (حق / باطل) (هدى / ضلالة) ووجود هدنة لا يعني أن تضع الحرب أوزارها دائما فالهدنة مؤقتة"[136] فدار الإسلام بهذا المعنى صار يمثل هوية ثقافية أكثر منها كيانا سياسيا وهذه الهوية الثقافية استمدت حيويتها من المركزية الدينية للإسلام باعتباره تلك البؤرة التي تنبثق منها قيم الحق والسيادة والقيادة إلى الأبد فقيم دار الإسلام هي الحقيقة الشاملة والمطلقة وبالتالي تكون في المخيال الإسلامي ما يعرف بالهوية الثقافية المكتملة والنهائية حيث لا يحق لأي كان التحدث خارج قيمها ومبادئها وتصوراتها وقناعاتها، وعليه كان الآخر الوثني أو المسيحي أو اليهودي غير معترف به لأن المرجعية الدينية لديه وضعت في مخياله حدود التعامل وأصول العلاقات /مؤمن/ كافر، مسلم/ كافر/ وحتى على المستوى الجغرافي كانت هذه الصورة حاضرة بقوة فكتاب (صورة الأرض) لابن حوقل القرن العاشر للميلاد يرسم صورة للأرض تقع فيها ديار العرب في قلبها تماما وفي المحيط الضيق لإطار المائي حول الأرض بالكاد تظهر من ناحية المشرق والمغرب ممالیك الكفار "فثمة تضخيم متعمد للصورة خاص فقط بدار الإسلام وكتاب بن حوقل بكامله خصص لتلك الدار وكأنها هي الأرض كلها"[137] والمسعودي في كتابه مروج النصب يكثر من قوله العراق شرف الأرض وصفوتها، لأن بغداد حينها كانت مركزا لدار الإسلام ويقدم المسعودي في مؤلفه تقسيما للبشر يرى فيه "بأن أفضل البشر هم الشرقيون لأنهم ذكور في جملة طباعهم والأسوء هم الغربيون لأنهم مؤنثون في طباعهم أما أهل الشمال والجنوب فهم خارج ذلك إنهم مقيدون بقيود الحيوانات المتوحشة وهم في الدرك الأخير من الحيوانية".[138]

والخلاصة من كل ما سلف ذكره من شواهد ندرك بأن العرب القدامى قد نظروا إلى الآخر نظرة تبخيسية دونية جعلته في مرتبة الحيوانية والتوحش فهذا الآخر الموجود خارج ديار المسلمين وضعت له صورة مشوهة تدخلت فيها بقوة

---

[134] عبد الله إبراهيم، المركزية الإسلامية، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 2001، ص128.

[135] المرجع السابق، ص135.

[136] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، المركز الثقافي العربي بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط2، 1997، ص211.

[137] المرجع السابق، ص212.

[138] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد مجي الدين عبد الحميد، ج1، دار الفكر بيروت، ط5، 1973، ص370.





المركزية الإسلامية هذه الصورة المثقلة بالمرجعية الدينية الاستعلائية المتمركزة حول الذات والمنتقصة من قيمة الآخر وإنسانيته وتحضره وتمدنه هي الصورة التي لا يزال يحملها وللأسف المخيال العربي الإسلامي على الآخر ولا تزال تروجها بعض الخطابات والنصوص الأصولية وبالتالي تشكلت نفس الصورة لدى الآخر الغربي على المسلمين بأنهم جهلة وقطاع طرق، وشهوانيون وداعشيون وغيرها من المصطلحات التي لا تزال مادة دسمة للإعلام اليوم في حرب الهويات والديانات والإثنيات وعلى هذا الأساس يحق لنا أن نبعث عن المخرج أو المخارج التي من شأنها أن تؤلف صورة للتثاقف أو المثاقفة من الأنا والآخر، وتسمح ببناء جسر للتواصل بين الشعوب والحضارات وتؤسس لعالم يقوم على قبول الاختلاف والتعايش الهوياتي مهما كانت مرجعياته وقيمه دون المساس بالخصوصية الهوياتية ومقتضيات كل ذات حضارية خاصة وأننا أدركنا في خلاصة هذا التحليل الأولي أن الصورة النمطية التشويهية التي يحملها المخيال الإسلامي اتجاه الآخر الغربي هي نفسها الصورة التي يحملها غير المسلم اتجاه المسلمين وعليه فإن المسألة لها جذورها التاريخية وخلفياتها الدينية والإثنية والحضارية وهذا ما جعل الهوة تتوسع أكثر بين المسلمين وغيرهم وجعل الكثير منهم يشتغل هذه الوضعية السجالية ويجعل منها محطة للكتابة أو ما يعرف بحرب الهويات وصراع الحضارات فالمفكر الأمريكي صومائيل هنديجنتون والأصول اليهودية صاحب نظرية صراع الحضارات استثمر كثيرا في هذه الوضعية المتأزمة بين الأنا والآخر حينما كتب مقالا بعنوان صدام الحضارات وطوره فيما بعد ليصبح كتابا أصدره العام 1996م حلل من خلاله أشكال الصراع التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية حيث كان الصراع بين المعسكرين إيديولوجيا كما أنه اتخذ أشكالا أخرى في صراع بين الدول القومية المختلفة، لكن الذي تنبأ به هنيجنتون في نظريته أن تكون الصراعات القادمة صراعات حضارية بمعنى أن يكون الصراع على سبيل المثال بين المسلمين ككل وبين الغرب ككل باعتبار أن العالم الإسلامي رغم الاختلافات الموجودة بداخله إلا أنه يصدر عن ثقافة وحضارة واحدة، وكذلك الحضارة المسيحية، لكن ليست المشكلة فقط في التصور والتخيل الذي قد يبدو مقبولا إلى حد بعيد من زاوية معينة لكن الإشكال في كونه اتخذ موقفا معاديا للإسلام والمسلمين بما سماه هو التطرف الإسلامي معتبرا إياه الخطر الأكبر أمام السلام العالمي فيعبر مثلا عن النمو السكاني عند المسلمين بقوله:

"الذين ينجبون أفواجا من المتطرفين مجندين جددا للأصولية والإرهاب والتمرد والهجرة".[139]

لقد اعتقد هنديجنتون أن هناك جوانب بعينها في كلتا الحضارتين الإسلامية والمسيحية أي الحضارة الغربية مقدر لها اصطدام إحداها بالأخرى ويرجع هذا التوقع بشكل خاص إلى "الطبيعة الصارمة للأديان إذ يعتقد أتباع كل دين أن إيمانهم هو القويم ويستخدمونه لتبرير أفعال قد تصل لحد العنف".[140]

ويمكن أن نضيف رأي هنديجنتون ضمن الآراء التشاؤمية كونه يرفض بالمرة مقولة فوكوياما نهاية التاريخ ويصفها بالوهم لأنه من المستحيل في نظره إمكانية الوصول إلى عالم واحد تحكمه ثقافة واحدة وبالتالي الاعتقاد بسيادة الليبرالية الأمريكية كأسلوب عالمي في الحكم، كما يؤكد أيضا على فشل نمط التحديث الغربي في جعل المجتمعات الغربية، على

[139] صامويل هنتجينتون، صراع الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، ط2، 1999، ص135.

[140] المرجع نفسه، ص140.

اعتبار أن المسلمون لا يفكرون في تحديث الإسلام وإنما يبحثون عن كيفية أسلمت الحداثة وبهذا المنحى الذي تقدمه هذه النظرية يمكن القول بأن صورة الصدام ونبرة العداء للإسلام والمسلمين تسير في اتجاه القطيعة مع الحضارة الإسلامية لأنها تشكل خطرا على الغرب المسيحي وثقافته وحتى وجوده ككل وهو ما يعكس لنا استمرار نفس التشويه الثقافي الكلاسيكي إلى اليوم وبخلفية تحمل مكرا إيديولوجيا لا يخدم إلا مصالح ضيقة لأن نظرية هنديجنتون في النهاية دخلت ضمن سياسة الإستشراق الأمريكي وتحولت إلى جملة من الممارسات السياسية على الشعوب والمجتمعات الإسلامية ظهرت معالمها من خلال الحروب والممارسات الاقتصادية الجائرة وغيرها من السلوكيات المكرسة لمنطق العداء والصراع بين الهويات والثقافات وهذا في اعتقادنا لا يخدم العلاقة الطبيعية التي يفترض أن تكون قائمة بين الهويات الثقافية والكيانات السياسية لأن منطق الصراع منطق لا إنساني ولا يعبر عن القيم الحضارية والإنسانية والثقافية التي ينشدها البشر في كامل المعمورة على هذا الاعتبار يحق لنا أن نتساءل مرة أخرى ما هي الحلول الممكنة لبناء فضاء حضاري قائم على التسامح والتعايش والتقارب والتثاقف بين الهويات الثقافية مهما كانت مرجعيتها الدينية ومنظومتها القيمية؟ كيف السبيل إلى إغناء الهويات الثقافية بروح الأنسنة ولغة الحوار الذي يحيل الأنا على الاعتراف بالآخر والعكس صحيح؟

1-3- المثاقفة أم التثاقف كأفق للتقارب بين الأنا والآخر:

في سياق الجدل القائم بين ثنائية الأنا والآخر أو ما يعرف بالمغايرة يتبادر الحديث غالبا إلى مسألة المثاقفة أحيانا والتثاقف أحيانا أخرى وكلا المصطلحين يطرح جملة من التساؤلات والقضايا الشائكة حول مدى استيعاب الهوية العربية الإسلامية لمضامين هذه المصطلحات أم لا، لأن المنطق الذي يفكر به الأنا يختلف عن المنطق الذي يفكر به الآخر، وهذا راجع لعدة اعتبارات وعليه تصبح مسألة الحديث عن المثاقفة شيء يحتمل تفسيرات وقراءات متباينة بين من يفكر من داخل الذات وبين الذي يفكر خارج هذه الذات وإذا كانت المثاقفة في معناها تعبر عن أوجه التبادل الثقافي بين الحضارات والشعوب المختلفة "كاتجاه ونظرة تسعى لأن تكون وسيط بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الآخر وبين الانغلاق المطلق الذي يؤول إلى الانعزال تماما عن الآخر والعالم بأسره"[141] بهذا المعنى تصير المثاقفة رافدا مهما تسعى كل حضارة وأمة من خلاله إلى التعرف على الآخر والاستفادة من تجاربه وخبراته المختلفة وبالخصوص على الصعيد الثقافي دون المساس بالكيان الثقافي الخاص بها أي المحافظة على الخصوصية الهوياتية بمختلف خصوصيتها ومكوناتها، كما أن هذا المفهوم يصلح لأن يكون بديلا عن مفهوم الغزو الثقافي الذي يفيد معنى الفوقية والاستعلاء من طرف له من المقومات والإمكانيات ما يؤهله للسيطرة على طرف آخر يفتقد لهذه المقومات والمؤهلات، وبالتالي فهو مفهوم غير بريء كونه يحمل مشروعا ثقافيا يريد من خلاله محو الهوية الثقافية وفرض التبعية عليها، وبالتالي تكون المثاقفة حالة وسطية تقوم على الاعتدال بدل التطرف وتنزع نحو التقارب بدل التعصب والتعاطي مع ثقافة الآخر بمنطق التصلب.

[141] محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص43.



وإذا نحن عندنا إلى مصطلح المثاقفة في إطار الثقافة الغربية (Acculturation) فإننا سنجده مختلفا تماما عما يطرح في محيطنا الثقافي العربي الإسلامي، حيث تطرح المثاقفة على أنها علاقة بين ثقافة متفوقة وثقافة متخلفة أو كما يرى المفكر المصري حسن حنفي أن: "المثاقفة التي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي والتبادل الثقافي هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها وهيمنتها على غيرها واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري"[142] والحال بالنسبة لواقع الممارسة لا يختلف عن المفهوم النظري لمعنى المثاقفة لأن الكثير من المثقفين العرب أو ما يعرف بالنخب العربية وبالخصوص أصحاب التوجه التغريبي قد وصل بهم المطاف من خلال المثاقفة إلى حالة لم يعد الواحد منهم قادرا على الإبداع قولا أو فعلا إلا إذا تمت إحالة إبداعه إلى مصادر خارجية منبتها العقل الغربي وهنا تحضرني بعض النصوص التي تحيل إلى هذا المعنى فالمفكر الليبرالي مصطفى عبد الرزاق يقر وبكل حماسة وإعجاب "أن أوربا هي المرشد الأول والقبلة التي يجب أن نحج إليها"[143] وهذا الإعجاب اللاّمحدود بالآخر العربي دلالة واضحة على الانهزامية التي يعانيها المثقف العربي في تقييمه لواقع الحداثة الغربية في مقابل ضعفه الذاتي وعدم إيمانه بقدراته الذاتية وفي السياق نفسه نجد عبد الله العروي في مؤلفه مفهوم الأيدلوجية يؤكد على ضرورة بل حتمية العودة إلى المرجعية الغربي إذا أردنا كذات عربية إسلامية أن نؤسس حداثة عربية ونبني دولة حداثية على شاكلة الدول الأوربية وفي هذا يقول ما نصه: "الآن أصبح النموذج الأوربي وحداثته هو المرجع الوحيد للمفاهيم التي تشيد على ضوئها السياسات الثورية الرامية إلى إخراج البلاد غير الأوربية من أوضاع وسيطية مترهلة إلى أوضاع صناعية حديثة"[144] واضح من خلال هذا النص أن العروي لا يراهن على مقدرات الذات العربية بقدر ما يؤمن بمرجعية الحداثة كأفق حضاري وعلى الذات العربية الإسلامية أن تنهل منه لأجل تحقيق النهضة المأمولة والتفوق الحضاري اللازم من هذا المنطلق صار المثقف العربي في عمومه وكيلا ثقافيا بالنسبة للآخر الغربي والأمثلة السابقة التي ذكرناها ما هي إلا حلقة في سلسلة من الأعلام والمفكرين الذين ظلوا أوفياء في تفكيرهم ومناهجهم للآخر الغربي على شاكلة الجابري وزكي نجيب محمود وحسين مروة، ونصر حامد أبو زيد وجورج طرابيشي وغيرهم كثير ممن جعلوا من المرجعية الغربية منطلقا لأعمالهم ومشاريعهم الفكرية والإصلاحية لذلك يعترف حسن حنفي بهذه الوضعية بالقول "منذ أكثر من قرنين من الزمان نترجم ونعرض ونشرح ونفسر التراث الغربي دون أن نأخذ منه موقفا صريحا واضحا، مازال موقفنا موقف الناقل فعصر الترجمة لدينا لم يتوقف بعد"[145] هذا الاعتراف الصريح من طرف هذا المثقف العربي يجعلنا نقر بهذه التبعية الثقافية والانخراط في فلك ثقافة الآخر وعليه فإن مسألة المثاقفة بهذا الشكل يقف ورائها اعتقاد سائد مفاده بأن الثقافة الغربية نتاج إنساني عالمي يتجاوز الزمان والمكان ويعبر حدود الجغرافيا والتاريخ وبالتالي لا يختص بحضارة دون أخرى، وهذا في تقديرنا أكبر وهم لا يزال يحتل مساحة شاسعة في تصور الكثير من المفكرين العرب لأن الفكر الغربي

[142] حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص82.

[143] مصطفى عبد الرازق، من آثار مصطفى عبد الرازق، جمع وتقديم دار المعارف، القاهرة، ط1، 1957، ص83.

[144] عبد الله العروي، مفهوم الأدلوجة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1983، ص32.

[145] حسن حنفي، التراث والتجديد، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1987، ص11.





والثقافة الغربية بشكل عام هي في النهاية محاولة إنسانية تضاف إلى المحاولات التي أنتجها وابتكرها الكثير من البشر عبر التاريخ من العرب وغير العرب كالهنود والصينيين وغيرهم من الشعوب التي ساهمت في صناعة الأفكار وتشييد النظريات في مختلف مجالات العلوم والمعرفة، وبالتالي صارت المثاقفة عندنا أو في البيئة العربية الإسلامية نموذجا للاستنساخ والاستتباع الحضاري والثقافي الذي لا يخدم الهوية الثقافية ولا يجعلها في موقف السيد والمتحكم في صورة العلاقة التي يفترض أن تكون بين هوية وهوية أخرى، لذلك نحن اليوم نحتاج إلى تصحيح ثقافي وتطهير فكري داخل المرجعية العربية الإسلامية هذا التصحيح ينبغي أن يتجه أولا إلى النخب التي يعول عليها في أي مشروع ثقافي، فالمثقف العربي يجب أن يتحمل مسؤولياته التاريخية اتجاه هويته وأول منطلقات هذه المسؤولية ضرورة الاعتراف بأن المثقف عندنا لا يزال مقيدا برؤية غربية وهو يعيش حالة من التيه الثقافي ولابد من إيقاظ الصورة الحقيقية لوعيه مع الآخر بأنه في النهاية إنسان اجتهد في توفير الشروط الموضوعية لبناء حضارته والارتقاء بثقافته حتى تصل إلى الكونية وتصبح بذلك مثلا ونموذجا للاقتداء.

وعليه يجب أن نفهم أن المثاقفة ليست كلها إيجابيات وفي صالح الهوية العربية الإسلامية وإنما يتحدد فيها الإيجابي من خلال الوضعية التي يكون عليها وعي المثقف ووعي النخب ووعي الجماهير بكل ما يحيط بها من ثقافات وتصورات وقيم تروج لها هويات أخرى بأدوات وأطر مختلفة خاصة في ظل العولمة وتوابعها. أما بالنسبة للتثاقف فهو في تصورنا شيء آخر لأننا إذا نظرنا إليه من زاوية الفعالية والوعي والحضور فهو شكل من الفعل العالمي الناجم عن إدراك التميز والاستقلال الحضاري لكن مع الرغبة في التعرف على ما عند الآخر من خصوصيات تحفظ استمراره لكن لا تمنعه من تكوين تواصلات واعية وحذرة اتجاه هذا الآخر من هنا علينا أن نتساءل كيف يصبح المثقف العربي تثاقفيا أو مثقفا يملك شروط الوعي بالذات وشروط الوعي بالآخر بالشكل الذي يسمح له بإحداث علاقة قائمة على الندية لا على الدونية والتبعية وأول خطوة لبناء ثقافة التثاقف في العالم العربي والإسلامي تكمن في تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية والأخطاء الراهنة أبرزها فكرة وجود هوية عربية إسلامية مكتفية بذاتها وكل ما هو خارج دائرتها الثقافية هو عدو ونقيض ومتربص بها لأن ثقافة الانغلاق تضعف الهوية أكثر مما تقويها وتحصنها من كل تأثير خارجي لأنه لا يمكن إطلاقا أن نستحدث عن التقارب والتفاعل والتثاقف الحضاري إذا كان أطرافه لا يؤمنون بقيم الانفتاح وقبول الآخر والاستماع إليه وفهم ما يريده كحال الأصولية المتطرفة التي اختزلت الهوية العربية الإسلامية في الإسلام كدين سماوي باعتباره المرجعية الوحيدة التي لا تقبل اجتهادات البشر وعبقريتهم وهذا من جملة الأخطاء التي يجب أن تصحح ويعاد النظر فيها لأنها أغلقت كل أبواب الحوار مع الآخر وجعلته العدو الأبدي والمهدد الحقيقي للذات "فحوار الحضارات ليس مجرد مناظرة ومقابلة بين ثقافة وأخرى من حيث قيمها وعقائدها وأفكارها بل هو فرصة للالتقاء مع الآخر واستيعابه بعقلانية وموضوعية"[146] بعيدا عن كل الخلفيات الإيديولوجية والرواسب التاريخية الضيقة، وهذا لن يحصل لذاتنا العربية الإسلامية في وقتنا الراهن إلا إذا استدركت أخطائها التاريخية وأسست لنفسها بداية جديدة، والأمر نفسه يجب أن

---

[146] محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، م.د.و.ع، بيروت، ط3، 2004، ص10.



يحدث مع الآخر المختلف لأن المسألة هنا ليست مسألة إمكانيات وقدرات وتفوق علمي ونفوذ سياسي صحيح أن هذه المقدرات تلعب دورا في بناء الحضارة وقوتها وتساعد الهوية على البروز والتعمق والظهور بشكل ملفت على الصعيد الثقافي والفني والعلمي كونيا، ولكن من ناحية أخرى الحوار الثقافي أو مشروع التثاقف ينبغي أن يترك هذه المقدرات جانبا ويلتفت إلى شيء أهم وهو البعد الإنساني والقيمي في التعامل مع الآخر أي التعامل معه كغاية في ذاته لا كوسيلة لأجل تحقيق غاية كما يقول فيلسوف الأخلاق إيمانويل كانط. فالذات العربية الإسلامية وإن كانت راهنيا تعيش مرحلة تراجع حضاري وثقافي يجعلها بعيدة عن المستوى الحضاري والثقافي الذي بلغه الآخر الغربي والأوربي على السواء إلا أن هذا لا يعني أن تصبح في نظر الآخر مجرد هامش تاريخي وجزئية لا جدوى منها في المعادلة الحضارية، لأنه من بين أسباب فشل أي حوار ثقافي أو حضاري هو شعور طرف من الأطراف بأن الآخر ينظر إليه من الأعلى وبالتالي الشعور بالدونية بداية فشل كل فرصة من فرص الحوار وهذا ما نعيشه اليوم الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى.

ومن جملة المسائل التي يجب أن تصحح أيضا في إطار الثقافة العربية الإسلامية الكف والامتناع عن الترويج الفاضح من طرف بعض النخب ذات التوجه الليبرالي في عالمنا العربي لفكرة أن الثقافة الغربية هي الثقافة النموذجية والمثال الكوني الذي يجب الاعتراف به والإيمان به كمسلّمة لا مجال للتشكيك فيها هذه الفكرة التي تعود إلى زمن العصر الحديث كما احتك بعض المثقفين من أدباء وفلاسفة وسوسيولوجيين بالثقافة الغربية خلال القرن التاسع عشر انبهروا بالتفوق الأوربي والأمريكي إلى درجة نكران الذات وبالمقابل الاعتراف بالآخر كمخلص لا مناص من العودة إليه هؤلاء الكتاب والأدباء والمفكرين أصبحت لديهم قناعة راسخة بأننا كذات وكهوية عربية إسلامية لا نملك إلا مخرجا واحدا هو العالم الغربي بثقافته وعلومه ورقي حضارته وهذه الفكرة لم تبق حبيسة فكر هؤلاء فقط بل صارت عملة اجتماعية جماهيرية متداولة بين عموم الناس وهذه الوظيفة المتأزمة نراها واحدة من الأخطاء التي يجب أن تصحح لأنها تعد سببا من بين الأسباب التي أدت إلى ما سميناه بالتشويه الثقافي، فالعودة إلى الذات كما يقول محمد علي شريعاتي "أولوية من الأولويات العودة الصحيحة التي تجعل هذا المفكر المغترب يعيد النظر في قيم وإطالة تراثه الفلسفي والأدبي والسياسي والأخلاقي وغيره"[147] ويحاول ن خلاله استجلاء الجوانب المشرقة فيه والنهوض به من جديد لمواجهة تحديات العصر وعلومه وفنونه ومختلف إفرازاته، إن العودة إلى ذواتنا والإيمان بمقدراتنا هي خطوة صحيحة نحو العلاج والتصويب للأخطاء التي لازالت تزاحم فكر الكثير من النخب التي فقدت الثقة في ما نملك من مقدرات داخل هويتنا العربية الإسلامية بل صارت لها حالة من اليأس والقنوط اتجاه هذه الذات وهذا في تقديرنا موضع العلاج الذي يجب أن تباشره هذه النخب إذا ما أرادت إحداث جسر للتواصل الحقيقي مع الآخر المختلف حوار قائم على الثقة بالذات وبمقدراتها وتراثها العريق الذي لا يمكن تهميشه بالنظر إلى القيمة التي يحوز عليها، وقد أشار إلى هذه المسألة بالذات المفكر السوري برهان غليون في مؤلفه "الوعي الذاتي" بقوله: "إنه كما ينبغي أن ننطلق إذن من أنفسنا ومن ثقافتنا مع الاعتراف بمحدوديتهما في سبيل تطويرهما، لا ينبغي أن يكون تعلقنا بالعصر والحضارة حافزا إلى تدمير ذاتيتنا وتهميش أنفسنا

[147] محمد علي شريعاتي، العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986، ص37.





والتضحية بمستقبلنا كجماعة إنسانية مستقلة وكمدينة متميزة فاعلة ومتجددة في ساحة الصراع التاريخي"[148] والذي يستفاد من هذا النص هو أن الالتقاء مع الآخر والاقتراب منه ثقافيا وعلميا لابد أن ينطلق من قناعة ذاتية بأن الهوية العربية لها من المقدرات والإمكانيات المتاحة مهما كان وضعها الحالي فإنها مطالبة بالمحافظة على قيمها وخصوصياتها أمام الآخر الذي يتقدمها علما وثقافة وتحضرا وحداثة ولكن هذا كله لا يجب أن يلغي فاعلية الذات في مسرح التاريخ الإنساني.

إن العلاقة السليمة والاختيار المعتدل الذي يجب أن يكون بيننا وبين الآخر لا يجب أن يتأسس على ما نحتاجه من الآخر من علوم ومعارف وصناعات وغيرها ومحاولة تحقيق علاقة مؤسسة على المصالح والمنافع بشكل آلي صرف، بل يجب أن نتعلم من الآخر كيف حقق هذه النتائج وكيف ارتقى بمنظومته الفكرية والتربوية والإعلامية والسياسية والاقتصادية وأصبح يملك وسائل التألق الحضاري، نعم علينا أن نستفيد من الدرس الحضاري بوعي وإدراك حقيقي للبدايات والتعثرات التي عاشها الآخر ونحاول استثمارها في إطار الجهود المبذولة، صحيح أن التجربة التي مر بها الآخر لها شروطها ومقتضياتها وأدواتها التي جعلتها تصل إلى أهدافها، ولكن علينا نحن أيضا أن نستفيد من هذه التجربة وفقا لخصوصياتنا ومؤهلاتنا ومرجعيتنا الأصيلة سواء ما تعلق بتراثنا الثقافي بضروبه المختلفة أو ما تعلق بمرجعيتنا الدينية من خلال الاستفادة الحقيقية بما يحمله الوحيين (الكتاب، السنة) من دوافع للتطور والرقي والارتقاء الحضاري، وهذا التوجه لا يجب أن يكون مجرد محاولة فردية بل يجب أن يكون في إطار مشروع ثقافي عربي إسلامي متكامل بإمكانه أن يعيد للهوية العربية الإسلامية قوتها وتوهجها الحضاري الذي افتقدته عبر تموجات التاريخ.

إن قراءتنا النقدية للذات وللآخر وبشكل موضوعي صرف بإمكانها أن تصحح لدينا الكثير من التشويهات الثقافية التي حصلت طيلة مسيرتنا الحضارية بيننا وبين الآخر المختلف عنا، علينا أن نجر ذواتنا إلى المساءلة التاريخية ونفضح كل ما هو مسكوت عنه في ذواتنا ونبحث عن عيوبنا وأخطائنا ومزالقنا في طريقة النظر إلى ذاتنا من جهة ومن جهة ثانية موقفنا من الآخر ومكانه الحضاري اليوم وما يملك وما لا يملك ونكف عن أسلوب المواجهة والصراع ونفتح مجالا للنقد الداخلي الذي يكفل لنا حق الحضور الثقافي الصحيح والسليم في عالم اليوم. وبالتالي توجه طاقاتنا الشبابية في العالم العربي وفي المهجر على حد سواء إلى ضرورة الفهم العقلاني للعلاقة بين الإسلام والغرب أو الأنا والآخر بشكل عام ونضع حدودا للتصورات العاطفية التي ظلت تغذي نفوس الشباب العربي خاصة في خضم التحولات القيمية التي يعرفها العالم وظهور الحركات الأصولية المتطرفة التي حاولت استغلال العواطف الدينية الجياشة لدى الشباب وبالتالي دفعتهم إلى مستنقع العنف والتعصب وكراهية الآخر.

خلاصة:

في خلاصة هذه الورقة البحثية يمكن أن نصل إلى جملة من النتائج التي نراها تقدم إضافة إلى المسألة التي تطرقنا إليها بحثا وتحليلا ونقدا نقصد بذلك مسألة التشويه الثقافي بين الأنا والآخر ومن جملة ما توصلنا إليه:

[148] برهان غليون، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1992، ص114.

- أن مسألة التشويه الثقافي بين الأنا والآخر ليست مجرد سلوك معزول وقضية هامشية في علاقتنا مع الآخر وفي علاقته بنا بل هي إشكالية صميمية ومفصلية في إطار هذه العلاقة الجدلية التي لا تزال إلى اليوم تكشف عن قراءات وتأويلات من هنا وهناك بدليل أن الأعمال الفكرية والثقافية وحتى الأدبية لازالت تكتب وتناقش بأسلوب التشويه الثقافي والحضاري وتتخذ منه مبررا للدفاع إما عن نفسها وإما لاتهام الآخر بمختلف التهم التي تجعل منه المسؤول عن الصدام والصراع والتنابز المختلف الجوانب، وعلى هذا الأساس علينا أن نعي جيدا بحجم هذه المسألة حتى نصل إلى الحلول المتاحة التي تجمع بين الأنا والآخر في فضاء إنساني لا غالب فيه ولا مغلوب.

- علينا أن ننظر إلى إشكالية الأنا والآخر وفق منظور عقلاني وعلمي وموضوعي نتحرر فيه من كل الأطر الضيقة والتصورات التي تحمل نظرة أحادية مفادها أن الأنا هوية مكتملة وجاهزة وتملك في ذاتها كل مكونات الوجود الحضاري ففكرة الإيمان المطلق باحتواء هويتنا على مقتضيات الوجود دون الحاجة إلى الآخر واحدة من أخطائنا التاريخية الجسيمة التي يجب أن تصحح لأن الآخر ليس كله شر فهو يتضمن العلم والتقنية وثورة المعلومات والاتصالات وغيرها، كما أنه أيضا يحمل طموحات امبريالية ورؤية استحواذية على الغير وهذه سنة التدافع في الحياة التي يجب الوعي بها.

- نستنتج أيضا أن تجاربنا التاريخية في علاقتنا مع الآخر المختلف فيها وجوه إيجابية وأخرى سلبية وهذا ناتج طبعا عن الاتجاهات والأفكار السائدة في فكرنا العربي الإسلامي فتنوع الخيارات المنهجية والرؤى الفكرية والقناعات المذهبية أدى إلى تشتيت الجهود وعدم القدرة على بناء مشروع حضاري متكامل يسمح بتقديم هويتنا اتجاه الآخر من موقع تكون قادرة من خلاله على المنافسة مركزيا لا هامشيا، صحيح أن الاختلاف والتنوع الفكري داخل المرجعية الواحدة أمر طبيعي بل فطري ولكن هناك مسائل وتفاصيل تقتضي التكامل والتعاون وحتمية الاستماع لبعضنا البعض، لأنه في النهاية الهدف واحد وهو بناء مشروع ثقافي عربي وإسلامي متكامل تعبر من خلاله هويتنا عن أنطولوجيتها الحضارية كباقي الهويات الأخرى المتنافسة على المركز.

- نستنتج أيضا أن إمكانية إيجاد الحلول لإشكالية التشويه الثقافي بين الأنا والآخر في إطار ما يعرف بالمغايرة، مرهون بمدى استجابة النخب الفاعلة في المجتمع، فالمثقف العضوي بلغة غرامشي بإمكانه أن يفتح أفق التقارب والتعايش والالتقاء وفق أسس إبستمولوجية بعيدا عن مختلف الخلفيات الدوغمائية المنغلقة والمسيحية وبالتالي فالحل الممكن لهذه الإشكالية يكون أولا عموديا على مستوى المثقف (العربي والغربي) ثم تأتي الحلول الأفقية التي تجعل المثقف بدوره يناضل لأجل إقناع الجماهير في إطار الثقافة المجتمعية بأنه لا خيار أمامنا سوى الإيمان بذواتنا ومقدراتنا مع ضرورة الاعتراف بأن هناك هويات وثقافات أخرى تشاركنا هذا الوجود ونحن مطالبون حضاريا وأخلاقيا ومنطقيا بضرورة التعامل معها والانفتاح على ثقافتها وجهودها المبذولة دون الانصهار في قوالبها بالضرورة، وهذا ما يمكن أن نصنفه ضمن الجهود الثقافية التي تندرج في إطار ثقافة الفعل والممارسة لا ثقافة الكتابة والتأليف النظري الصرف.

إن الفهم الصحيح لجدلية الأنا والآخر واستيعاب إفرازات التشويه الثقافي الذي ظل علامة مسجلة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية وكذا تاريخ الثقافة الغربية يقتضي جهودا نظرية كالكتابات والتأليفات حول هذه المسألة

فضلا عن الجهود الواقعية التي تعمل على إنزال هذه المشاريع الثقافية والفكرية والتواصلية إلى عمق الوعي الجماهيري والمجتمعي بمختلف طبقاته ومؤسساته من المسجد إلى الكنيسة إلى المدرسة والجامعة ودور الثقافة وغيرها من النقاط الاجتماعية، فضلا عن دور المؤتمرات والملتقيات واعتقد أن للإعلام دور بارز وأساسي في تقديم الإضافة المرجوة في هذا الشأن فضلا عن دور الوسائط الإعلامية والاجتماعية التي تعتبر وسيلة إعلامية مهمة في نشر قيم التسامح والتصالح والتقارب مع الآخر وبالتالي العمل على تصحيح الصورة التشويهية التي تعلقت بالمخيال العربي والغربي على حد سواء، وبهذا فقط نأمل أن يكون المشهد الثقافي والحضاري والهوياتي العالمي مؤسس على رؤية جديدة قائمة على الحوار الحقيقي لا الحوار الشقي البائس التعيس المحكوم بخلفيات غير بريئة مهما كانت مرجعياتها وخلفياتها.

قائمة المراجع:

1- هشام غصيب، تجديد العقل النهضوي، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2000.

2- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، لبنان، ط3، 1986.

3- تري هانتش، الشرق المتخيل رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، ترجمة وتحقيق خليل أحمد خليل وغازي برو، دار الفارابي، ط1، 2004.

* "سورة النحل، الآية 125"

4- محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 2001.

5- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996.

6- الويزة آيت حمادوش، الإسلام السياسي وإدارته في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر: معهد العلوم السياسية والإعلام، 2002.

7- غالية بن زيوش، الهجرة والتعاون الأورو متوسطي منذ منتصف السبعينات، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، كلية الإعلام والاتصال، 2005.

8- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1995.

9- Marlene Nasr, Les Arabes et l'islam vue par les manuels scolaires français (1986 et 1997), Paris: editions Kartala, 1995.

10- عبد الله إبراهيم، المركزية الإسلامية، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 2001.

11- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، المركز الثقافي العربي بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط2، 1997.

12- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الفكر بيروت، ط5، 1973.

13- صامويل هنتجينتون، صراع الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، ط2، 1999.



14- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 2006.

15- حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987.

16- مصطفى عبد الرازق، من آثار مصطفى عبد الرازق، جمع وتقديم دار المعارف، القاهرة، ط1، 1957.

17- عبد الله العروي، مفهوم الأدلوجة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1983.

18- حسن حنفي، التراث والتجديد، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1987.

19- محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، م.د.و.ع، بيروت، ط3، 2004.

20- محمد علي شريعاتي، العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986.

21- برهان غليون، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1992.



المفكر العربي المسلم في المهجر، بين كفاح الهوية، والاستلاب الحضاري.

The Arabic Muslim Thinker in western countries, between identity defends and cultural alienation

حنان برقرق، طالبة دكتوراه، الجزائر

philohananeber@gmail.com

الملخص بالعربية:

جسّد المفكر عبر تاريخه الشخصية الثقافية الراقية، والعقل الذي تعقد عليه الأمم والمجتمعات الآمال للنهوض والتقدّم، فكان المرآة العاكسة لثقافة وهوية مجتمعه، ولسان حال واقعه، ولما كانت ميزة وخاصية المفكرين تأبى الانصياع والانبطاح، وتَطلبُ المغامرة والكشف، كثيرا ما حملتهم هذه الأفكار خارج بلادهم، بحثا عن فضاء فسيح، يحتويهم من جهة ويحترم آراءهم الثورية من جهة أخرى، وعليه، يُناقش المقال قضية المفكر العربي المسلم بين طرائق وميكانيزمات دفاعه عن الهوية العربية بمختلف أبعادها من لغة ودين وتراث...، وبين تنكر لهذه الهوية، وقد وقع اختيارنا على نموذجين أحدهما من دافع وكافح عن الهوية، وآخر استلب حضاريا، و كان التقابل بين المفكرين كالتالي: رفاعة رافع الطهطاوي ومالك بن نبي، محمد أركون ويوسف الصديق

والإشكالية التي يدور حولها المقال هي: هل تمكّن المفكّر العربي المسلم من الحفاظ على مقومات شخصيته وتغيير الصور والكليشيهات المرسومة عليه كعربي أولا ومسلم ثانيا، وعلى مجتمعه، أم ابتلعته دوامة الحضارة الغربية؟ وقد استعنا بالمنهج التاريخي التحليلي لما تطلبته مقتضيات المقال,

الكلمات المفاتيح: المفكر، العرب، المهجر، الهوية، الإستلاب.

Abstract :

Thinkers Represent a High cultural personality, and the mind on which nations and societies hold hopes to progress, thinkers are also the mirror reflecting the culture and identity of their society, Outside countries.

So, this article discusses the issue of two types Arabic Muslim thinkers between who defense and support the Arabic islamic identity, and those who deny thier identity . we chose two models as follows: Rifa'a Al-Tahtawi and Malek bennabi, On the other hand Mohammed Arkoun and Youssef Seddik.

The problem issue of this article is: if the Arab Muslim thinker was an ambassador of the Arabic islamic identity in western countries, was he able to preserve the elements of his personality and change the images which depicted on him as an Arab Muslim, or was he swallowed up by the spiral of Western civilization? We have used the historical-analytical method, to discuss this article .

Key words: Thinker, Arabic, Western countries, Identity, Alienation







مقدّمة:

قد يحتاج منا الحديث عن المفكر العربي المسلم آلاف المؤلفات والكتب؛ لتحليل سمات هذه الشخصية التي لطالما كانت محصّلة تجارب داخلية (سيكولوجية) وخارجية (اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية...)، فالمفكر تركيبة معرفية ثقافية نشأت في خضم نسق عام، ولم يكن يوما في أطوار نشأته وتكوينه بعيدا عن هذه التجاذبات.

إن المفكر كان ولا زال تلك الكفاءة التي تعقد عليها المجتمعات الأمل للنهوض والرقي، وتنتظر منها إمدادها بسبل التقدّم الحضاري، أما وضعيته فقد تمثل مقياسا يقاس به المستوى الثقافي والفكري للشعوب.

وتأسيسا على ذلك فقد زخرت الثقافة العربية وكغيرها من الثقافات بأسماء العديد من المفكرين على مرّ العصور، وكانت آثارهم تسرد أزمنة مروا بها، ومؤلفاتهم لسان حال أوضاعهم، وكما اختلفت آراؤهم ومجالاتهم الفكرية اختلفت تبعا لذلك مصائرهم، فتعرّضوا مرة للنبذ والإقصاء ومرة كانوا من حرم البلاط وحاشيته، ومرة اختاروا مقاما مناسبا لعقولهم خارج الحيّز الجغرافي المتواجدين فيه، فهاجروا واغتربوا عن أوطانهم بحثا عن عالم آخر يحتويهم.

إذا، يُناقش المقال الذي بين أيدينا تجربة المفكر العربي المسلم في المهجر، بين كفاحه للحفاظ على هويته وتصحيح الصوّر النمطية المسكوبة عليه وعلى المجتمع القادم منه، وبين استلابه الحضاري من مغريات المنجز الغربي، وانسلاخه من هويته وعمله على بتر كل الأواصر التي تجمعه بذلك المجتمع.

والإشكالية التي يدور حولها المقال هي: إذا كان المفكر العربي المسلم سفيرا للهوية العربية المسلمة في المهجر، هل تمكّن من الحفاظ على مقومات شخصيته وتغيير الصور والكليشهات المرسومة عليه كعربي أولا ومسلم ثانيا، وعلى مجتمعه، أم ابتلعته دوامة الحضارة الغربية، وصار قلما من أقلامها، وفردا من أفرادها واستلب بالتعبير الماركسي؟

وحتى نتمكن من معالجة هذا الموضوع، ستكون خطة اشتغالنا وفقا لعنصرين:

أولا تأسيس مفاهيمي نتناول فيها ضبطا للمفاهيم التالية: المفكر، والهوية، والاستلاب، أما العنصر الثاني فسنذكر نماذج من المفكرين العرب في المهجر، ونناقش بعضا من أفكارهم لكي نحدد ملامح هذه الهجرة، وكيفية اصطدامه بالغرب هل كان اصطداما استلابا أم اصطدام تكوين مناعة إضافية للدفاع عن الهوية والانتماء.

وقد وقع اختيارنا على أربعة مفكرين؛ المفكر المصري "رافع رفاعة الطهطاوي"، والجزائريان "مالك بن نبي"، و"محمد أركون"، والتونسي "يوسف الصديق".

ولما كان المنهج يمثل خارطة الاشتغال لمناقشة أي موضوع، وهو ومن دون شك عصب العمل البحثي، والطريقة المثلى لمساءلة أي مشكلة بحثية بطريقة علمية، فإن المنهج المستخدم هنا هو المنهج التاريخي التحليلي، وذلك لمتطلبات المقال؛



حيث سنوظّف المنهج التاريخي لتتبع المسارات الكبرى التي كوّنت شخصية المفكر، وأهم أفكاره، أما التحليلي فلرصد المؤشرات الدالة على كفاحه الهوياتي أم استلابه الحضاري.

1- التأسيس المفاهيمي:

تُعد المفاهيم حجر الأساس لكافة المعارف والعلوم، وبضبطها تتضح جميع المقاربات والرؤى، لذلك أُعتبر تحليل المفاهيم وتوضيحها خطوة لا غنى عنها لولوج أي علم من العلوم، إنها وعلى حد تعبير المفكّر "طه جابر العلواني" «مستودعات كبرى للمعاني والدلالات، وكثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي، لتعكس كوامن فلسفة الأمة ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها»[149] فالمفاهيم ليست فقط ألفاظ وأوعية للكلمات، بل إنها تجسد حمولة من المعاني التي تشرّبت وتشكّلت عبر الأزمنة، وعليه كانت بدايتنا من التأسيس المفاهيمي.

1-1 المُفكّر:

تشتق كلمة مُفكّر من الناحية اللغوية في قاموس "لسان العرب" من كلمة «فَكْرٌ، وفِكْرٌ، إعمال الخاطر في الشيء، وقد حكى ابن الدريد في جمعه أفكار، والفكرة: كالفكر وقد فكّر في الشيء وأفكر فيه، وتفكّر، ورجل فكّير: كثير الفكر، والتفكر التأمل»[150] وكلها اشتقاقات لمعنى الفكر، وتعني إعمال الذهن والعقل في مسألة ما، والتفكير به وهي مهمة المفكّر.

وقد ربط المعجم الفلسفي لـ"لالاند" كلمة « عاقل Intellectuel (بمفكّر، مثقّف)، وهو : أ- صفة قابلة للإدراك العقلي والعقل، واللفظ المضاد يكون حينئذ حسيا أو محسوسا تارة، وحدسيا تارة. ب-صفة مقابلة للعاقلة: وعندها يكون اللفظ المضاد إما عمليا وإما عاطفيا، ج-صفة مقابلة للعاقلة. ب- وعندها يكون اللفظ المضاد حدسيا»[151]، تدل المفردتين (مفكر، ومثقف) التي ألحقهما "لالاند" بكلمة العاقل على جملة العمليات الذهنية التي من خلالها نتمكن من إدراك الأشياء، فقد يكون ذلك التعقل حسيا، ومرة حدسيا، وقد يكون عاطفيا، أو ضد الحدس، وكلها صيغ فلسفية لتمظهرات الفكر، إن التعريف الذي قدّمه "لالاند" يمتاز بالتجريد والتعقيد الفلسفي، هذا ما جعلنا نستعين بتعريف آخر للباحث "عبد الكريم بكار" يقول: «كل الناس يفكرون، لكن في اعتقادي أن المفكر يتبوأ منزلة ثقافية وعقلية هي فوق منزلة المثقف ودون منزلة الفيلسوف، وهذا التصنيف يقوم على أساس مقدار التجريد والتنظير والتعالي عن الواقع»[152] فالفرق بين الفيلسوف والمفكر والمثقف يكمن في درجات التجريد والتنظير العقلي، وليس استنادا إلى ما يقدّمه كل واحد منهم، إذ يعمد المفكر أن يطابق دائما بين فكره وواقعه، حيث «يُعمل فكره في تحديد المشكلات الراهنة، ويقوم بنقدها، ومحاولة العثور على حلول لها، ويُعدّل في رؤيته للواقع وفي حكمه عليه»[153] إن الميزة التي تجعل المفكر أهم هو أنه يتوسط

---

[149] إبراهيم البيومي غانم، وآخرون، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، مصر، (ط1)، 1998، ص.7

[150] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، مج5، حرف (الراء)، ص.65

[151] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، (ط2)، 2001، ص.687

[152] عبد الكريم بكار، تكوين المفكر خطوات علمية، دار السلام، مصر، (ط2)، 2010، ص.20

[153] المرجع نفسه، ص.21





جانبين فبين الفيلسوف الذي يهمه التشبث بالمذاهب والأسس، وبين المثقف الذي يغيّر وجهات نظره في كل ما سنحت له الفرصة، نجد المفكر يُعقلن الفكر والواقع؛ فيعدّل من آرائه ويصوبها مرات حتى يتكيف مع الواقع، ولا يتخلى عنها مطلقا، كما يعمل على تحيين أفكاره.

ولما كان الواقع الذي يوجد فيه المفكر غالبا لا ينسجم معه هو أو واقعه بالأحرى لا يتقبل فكره الثوري تارة، أو تعترضه بعض التحديات والعوائق التي تحد من حريته تارة أخرى، يدفعه هذا إلى البحث عن عالم أكثر ملاءمة، فيُهاجر*، وهناك أي في بلدان المهجر تظهر الفرق والمدارس عربية، ومفكريها.

1-2 الهُويّة:

تُعد الهُوية من بين المفاهيم الغامضة والزئبقية والمتسعة الدلالات أيضا، وهذا راجع لاختلاف التصورات والرؤى حولها، حتى أن الفيلسوف "جوتلوب فريجه"Gottlob Frege " عبّر عنها بقوله: «الهُويّة غير قابلة للتعريف، لأن كل تعريف هو هوية، والهُويّة في حد ذاتها لا يمكن أن تُعرّف»[154]ولعل مازاد من تعقيداتها اختلاف الترجمات والمعاني بشأنها؛ حيث تناولتها مختلف القواميس والمعاجم ، فعرّفها المعجم الوسيط كالتالي إنها «حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية»[155] ولذلك يُطلق على البطاقة الشخصية بالهوية، فهي تعرّف عن الشخص ومن يكون، حيث تعمل على إكسابه وجوده الاجتماعي.

أما في الفلسفة فقد قدّم "لالاند" تعريفا لها في موسوعته الفلسفية وحددها بـ«Idenitité، أي علامة ما هو متماهٍ، أو ميزة فرد، سمة موضوعين فكريين، متمايزين في الزمان أو في المكان، لكنهما قد يتسمان معا بالصفات عينها»[156] وذلك عند الالتقاء في شكل جماعات أين يشكلون هوية واحدة، ويظهر ذلك عند التقاء المهاجرين في بلد واحد، أو نجده أيضا عندما يشترك الطلاب في الإقامات الجامعية الواحدة فيعملون على جمع بعضهم بعضا، أين يكوّنون هويتهم بناءً على المكان القادمين منه، وبالتالي يكون المكان مؤشرا دالا على هوية الأفراد

* الهجرة خارج الوطن، الهجرة النازحة émigration / emigration: انتقال الناس من وطنهم إلى بلد آخر بقصد الإقامة الدائمة فيه، وقد لعبت الهجرة دورا هاما في مدى التاريخ واتخذت أشكالا عدة كالنزوح قبائل، ومجموع، وهناك الهجرة الإجبارية، والهجرة الاختيارية سعيا وراء فرص أرحب للعيش، ومع كل فالهجرة تُثير مشكلات بسبب اختلاف الأجناس، خاصة أن بعض المهاجرين ينتمون إلى مستويات ثقافية تقل عن المستويات الثقافية للبلاد المهاجر إليها.أنظر: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، لبنان، (د.ط)، 1982، ص.131.

[154] Gottlob Frege (1894) a observé que l'identité est indéfinissable : « Puisque toute définition est une Identité, l'identité elle-même ne saurait être définie. » Voir: Annie COLLOVALD, Fernando GIL, Nicole SINDZINGRE, Pierre TAP, « IDENTITÉ », Encyclopædia Universalis. URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/identite/

[155] مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، (ط4)، 2004، ص.998

[156] أندريه لالاند، المرجع السابق، ص.607



وبحسب معجم مصطلحات علم الاجتماع لـ"جيل فيريول" تنطوي الهوية على « معان متعددة إنها تُسمي، وتُبرز، (تُظهر)، وهي تُقوّم أو تميّز، تنتمي إلى مصطلحات علم النفس والتحليل النفسي والفلسفة وبدرجة أقل إلى علم الاجتماع (...) إنها إحساس ذاتي ومقوّي للوحدة الشخصية والاستمرارية »[157] فأوّل ما يبنيه الإنسان في أولى مراحل نموه هوية، حيث يتم تمييزه باسم ولقب وجنسية وتاريخ ميلاد...وأن غياب هذه السمات تجعل الأفراد فاقدين لهوياتهم، وألا أدل على كلامي الأشخاص ذوي النسب المجهول.

إن الهوية وعلى اختلاف التصورات والتعاريف المقدّمة، تُمثّل صيغة في التحديد الفئوي أو الطبقي للتمييز بين النحن ومن نعتبرهم هم أو الغير، ويبرز هذا الاحتدام بينهما عند التقائهما باعتبارهما هويتين مختلفتين، حيث تبذل كل واحدة سماتها للسيطرة، وفرض وجودها على الهويات الأخرى.

1-3 الاستلاب:

يأتي اشتقاق كلمة استلاب من الفعل "سَلَبَ" و«سَلَبَ الشيء سَلْبًا: انتزعه قهرا، و ـــ فلانة فؤاده أو عقلهُ، استهوته واستولت عليه. و ـــ فلانا: أخذه وسلبه، جرّده من ثيابه وسلاحه، و ـــ الشجر والنبات: قشّره أو جرّده من ورقه وثمره، و ـــ القضية (في علم المنطق): نفى فيها النسبة بإدخال أداة السلب.»[158] وهذا هو المعنى اللغوي لمفهوم الاستلاب والسلب الذي يعني الانتزاع، والتجريد، وهو تعريف يضيف إلى المعنى العام الذي سيتطرق إليه معجم الشواهد الفلسفية «فالاستلاب/ الاغتراب L'aliénation هو عموما حالة من يكون ملكا لشيء آخر غيره ويمكن تتبع مصادر فكرة الاستلاب (أو الاغتراب) عند مفكري عصر التنوير بفرنسا، وبألمانيا، حيث كانت تعبّر هذه الفكرة عن الاحتجاج ضد الصفة اللا إنسانية التي تتصف بها علاقات الملكية الخاصة، وقد اتخذت هذه الفكرة بعدا مثاليا مع هيغل، أما ماركس فربط الاستلاب بالملكية الخاصة»[159]، تشعّبت وتوسعت دلالات استخدامات مفهوم "الاستلاب/ الاغتراب" منذ ظهوره في القرن الثامن عشر، فمرة يكتسي روحا عقلية مثالية مثل التفسير الذي قدّمه "هيجل" ومن حذا حذوه، حيث يتمكن التطور من التغلب على الروح المستلبة وذلك بالوعي، أما لدى "ماركس" فالاستلاب يتعلق بالجانب الاقتصادي، بحيث يفقد الإنسان حريته ويصبح عبدا لغيره، ويمكن أن نصبغ هذا التعريف على جميع المستويات الثقافية، والفكرية والحضارية* أين يغترب «الإنسان عن نشاطه، ومنتوجات هذا النشاط، واغتراب

---

[157] جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ط1، 2011، ص.100-101

[158] مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المرجع السابق، ص.440

[159] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (د.ط)، 2004، ص.37

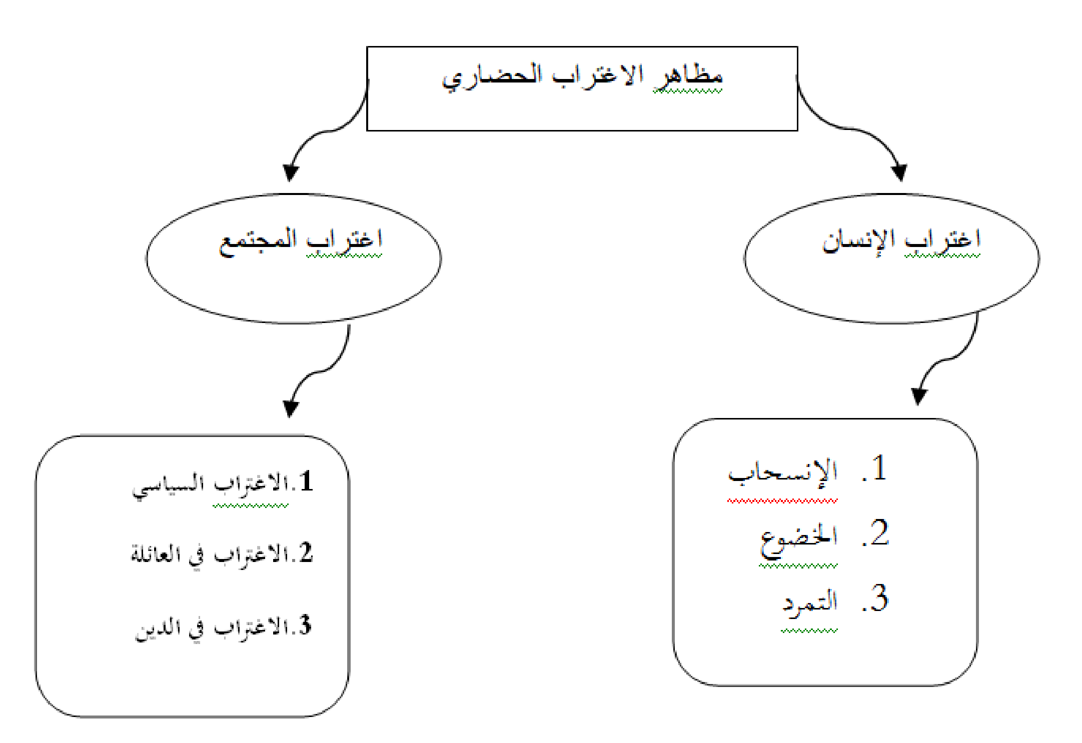
* الحضارة: كلمة الحضارة كما نستخدمها اليوم ترجع إلى عهد حديث نسبيا، صحيح أن اللغة العربية والأوروبية قد عرفت اللفظ منذ عهد بعيد، ولكن هذا اللفظ لم يتخذ معنى محددا إلا بعد أن نشأت الدراسة الخاصة المعروفة باسم " تاريخ الحضارة"، فالحضارة صفة للإنسان بوجه عام، وهي التي تُميّز مجتمع الإنسان عن مجتمع الحيوان، وهي تشمل على الأوجه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، والعلمية، والأدبية والدينية، إن لها معنى شامل يضم في داخله مختلف الثقافات. أنظر: فؤاد زكريا، الإنسان والحضارة مؤسسة هنداوي، مصر، (ط1)، 2017، ص.18،11.



الإنسان عن الإنسان، واستلاب ماهيته كجنس بشري»[160] لتتواصل عمليات نحت هذا المفهوم مع الفلاسفة المعاصرين، وكل حسب توظيفه له، فالسوسيولوجي وظفه بطريقته، والثيولوجي استعمله وفقا لتصوراته، وما يستنتج مما تقدّم أن الاستلاب هو فعل انتزاع الخصوصية البشرية، والهوية وخضوع هذا الفرد إلى شروط أو خصوصيات أخرى يفرضها عليه الوضع الجديد، وبالتالي يتضمن الاستلاب القوة المبررة بسلطة رمزية، من شأنها جذب الأفراد إلى نطاقها دون مقاومة منهم، وهذا ما عنيناه بالاستلاب الحضاري كنتيجة حتمية لاصطدام هويتين، فإما أن تتغلب واحدة وتتراجع الأخرى.

ولهذا تعامل المفكرون العرب مع منجزات الحضارة الغربية برؤى مختلفة، فمنهم من أقبل عليها وتقبّل كافة منتجاتها، وأشاد بها وهم من استلبت هوياتهم، ومنهم من وقف موقفا نقديا معارضا لها، ومُقصيا لكافة جوانبها وهم من مثلوا الكفاح الهوياتي.

ومن بين مظاهر الاغتراب الحضاري في الواقع العربي ما سنوضّحه في الشكل التالي*:



[160] فالح عبد الجبار، الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيجل، فيورباخ، ماركس، دار الفارابي، لبنان، (ط1)، 2018، ص.12

* لقد صممنا الشكل الموضح أعلاه للاختصار. أنظر: جوزة عبد الله، الاغتراب الحضاري والعنف الاجتماعي –دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي الراهن-، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012-2013، ص.101-102



إن من بين مظاهر الاغتراب الحضاري: اغتراب الإنسان وذلك بالانسحاب أو الخضوع أو التمرد، حيث ينسحب الإنسان المغترب حضاريا مرات من المواجهة ويرفض تقبل أنماط الحياة المتاحة، ومرات أخرى يلجأ إلى الخضوع ومحاولة التكيف مع الواقع على مضض، وفي الحالة الثالثة يتمرد؛ بمفرده أو بحركات سياسية جماعية.

أما الاغتراب الآخر فهو اغتراب عن المجتمع، كأن يغترب الإنسان عن الحياة السياسية والعائلية والدينية، حيث لا يمارسها مطلقا، أو يمارسها بشكليات فقط، وهنا تنتشر المفاهيم المغلوطة عن السياسة والعائلة والدين بكونها أنساقا إيديولوجية تعمّق الهوة بين الفرد العربي وواقعه ومجتمعه، مما تدفع به إلى البحث عن عوالم أخرى تشبع رغباته الإنسانية والاجتماعية والسياسية، وحتى الدينية.

2- المفكرين العرب بين الاستلاب الحضاري والكفاح الهوياتي:

-3 اشتمل الحديث في هذا العنصر عن آراء وتصورات المفكرين العرب المهاجرين، وكيف نظّروا للهوية العربية، وهل تمكنوا من الدفاع عن آرائهم وعن مجتمعاتهم، أم ذابوا وانصهروا داخل فضاء غربي، وانتهى بهم الأمر إلى تسليم حريتهم وهويتهم لإرضاء هذه الحضارة.

-4 وسنبدأ بالمفكرين الذين صاغوا أفكارهم وهم في ديار المهجر وكانت كتاباتهم نقدية من جهة، وتأسيسية من جهة أخرى حيث كافحوا عن هويتهم، ولم يسقطوا في فخ الاستلاب الحضاري.

2-1رفاعة رافع الطهطاوي** :

يمثل المفكر المصري "رفاعة رافع الطهطاوي" أحد رواد النهضة العربية والتنوير، وقد شكّلت رحلته إلى فرنسا عام (1830) تجربة فريدة من نوعها، مكّنته من أن يعقد مقارنة بين بلاده –مصر- وفرنسا، وقد ابتدأ "الطهطاوي" بالعلوم والفنون التي تفتقدها بلاده؛ فكانت تلك المهمة الحضارية التي نبّهت إليها «البعثة العلمية الفرنسية شعوب الشرق في مطلع القرن التاسع عشرة، حيث اختمرت هذه الأفكار في مصر أكثر من غيرها من بلدان الشرق العربي، لأن مصر أُتيح لها أن تضع العديد من الآمال والأحلام موضع التطبيق، ولقد كان من الطبيعي أن يُفرز هذا المجتمع من أحشائه قيادات جديدة تحمل على كاهلها مهمة إقامة هذا العصر الجديد، عصر البعث والنهضة والإحياء»[161]، ليُفسّر "الطهطاوي" سبب اختيار هذه البلاد دون سواها، فأورد أن «بلاد الإفرنج في غاية البراعة في العلوم الحكمية، وأعلاها في التبحّر، في ذلك بلاد

** رافع رفاعة الطهطاوي:(1801-1873) هو رفاعة رافع بن بدوي الحسيني، وُلد في مدينة طهطا، التحق بالأزهر الشريف عام 1808، وبعد تخرجه صار مدرّسا، ودخل الجيش وأصبح واعظا وإماما، ورافق بعثة عام 1826 إلى فرنسا، بوصفه إماما للبعثة التي تألفت من الأتراك الأرمن وقلة من المصريين، وكانت تتكون في جوهرها من الأعيان وأتباعهم، عاد إلى مصر عام 1831، وعين رئيسا للترجمة في المدرسة الطبية، وعهدت إليه مدرسة الألسن والترجمة 1835، نُفي إلى السودان في 1854، وتولى إصدار جريدة الوقائع المصرية، تأثر بالشيخ العطار الذي كان مفتونا بالحضارة الغربية. أهم كتبه: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الديوان النفيس في إيوان باريس، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية...إلخ .أنظر: أيوب أبو دية، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية، الأردن، (ط4)، 2019، ص.262-265

[161] رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، دار الشروق، مصر، (د.ط)، 2011، ص.21،20





الإنكليز والفرنسيس والنمسا، فإن حكماءها فاقوا الحكماء المتقدمين، كأرسطوطاليس، وأفلاطون، وبقراط، فأعظم المدن هي "لوندرة" وهي كرسي الإنكليز و"باريز" وهي قاعدة ملك فرنسا»[162] ثم راح "الطهطاوي" يبدي إعجابه الشديد بأجواء هذه المدن التي رأى فيها نموذج البلاد المثالية الراقية، التي تحترم الحريات «ففي بلاد الفرنسيس يُباح التعبد بسائر الأديان، فلا يُعارض مسلم في بنائه مسجدا، ولا يهودي في بنائه بيعة»[163] ولم يقتصر ولع "الطهطاوي" بالمنجزات الحضارية التي رآها في مدينة باريس بل امتد هذا الولع والاهتمام بترجمات الفكر الفلسفي الفرنسي؛ ككتاب "روح القوانين" لمونتسكيو، و"العقد الاجتماعي" لروسو، وكل ذلك لنقل الإرث الحضاري والاستفادة منه إلى بلادنا العربية الإسلامية، دون أن تمر هذه التجربة بالنقد؛ إذ لم يكتف "الطهطاوي" بتصوير الحياة المدنية في فرنسا، بل راح يسرد الجوانب السلبية فيها، فذكر أنها «مدينة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والاختلالات، ومن عقائدهم القبيحة قولهم: إن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأذكى منها، ولهم كثير من العقائد الشنيعة»[164] كما ركّز على أخلاق الرجال والنساء ووجدها مشوبة ببعض الرذائل، والتي لا يقبلها عقل، كفقدان رجالهم الغيرة على النساء، واختلاط الجنسين في أمكنة عامة وإقامة العلاقات الغرامية.

إذا حاول "الطهطاوي" نقل الحياة وتصويرها بدقة خالصة فأراد أن يُجيد بفضائل المدينة ومدى تنظيمها ونظافتها ورقي وثقافة سكانها، في المقابل وضّح مواطن الانحطاط والتراجع فيها؛ والذي قد نسميه الانحطاط الأخلاقي والفراغ الروحي للبعد عن الدين، الذي صار في "باريس" مجرد طقس يذكر بالاسم في المناسبات، أما في خضم الحياة العادية فلا دين لهم إلا الماديات.

إن هذا التميز بين إيجابيات وسلبيات نموذج من مدن الغرب –ألا وهو باريس-، جعل "الطهطاوي" يدرك ما يأخذه منها وما يتركه، فحافظ على هويته الإسلامية، بتركيزه على الدين كأرضية ومستند يعود إليه كل مرة ليصفي نتائج المدنية الفرنسية، كما استفاد من طرائق العلم والتعلم المنتشرة فيها، وقد حاول التوفيق بين النهج الذي رآه في فرنسا وبين النهج الإسلامي؛ إذ «لم تكن فكرته عن الدولة بالرغم من مشاهد في باريس فكرة ليبرالي القرن التاسع عشر، بل كانت الفكرة الإسلامية المأثورة، فللحاكم السلطة التنفيذية المطلقة إلا أن ممارسته إياها يجب أن يحد منها احتراما للشريعة ولحراسها (...) وعلى الحاكم أن يحترم ويكرّم العلماء»[165] وهذا ما استمده من تجربته بفرنسا، فكان بحق يرغب بصورة أو بأخرى أن ينتشل مصر ومن ثمة العالم العربي الإسلامي من براثن سطوة الجهل وقيود وإيديولوجيات السياسة بالفكر والعلم من جهة وروح الدين من جهة أخرى.

---

[162] رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (ط1)، 2012، ص.30، 31

[163] المرجع نفسه، ص.31

[164] المرجع نفسه، ص.89

[165] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، دار النهار، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص.96-98





2-2مالك بن نبي*:

تنقّل المفكر الجزائري "مالك بن نبي" من الجزائر إلى فرنسا وذلك عبر مرحلتين كانت الأولى استكشافية، أما الثانية فعلمية، ورغم الصعوبات التي لاحقته إلا أنها نحتت منه مفكرا فذا، وقد كانت جل كتاباته ردا على تجربة عاشها في العالم الغربي بنموذجه الفرنسي، في كتابه "الظاهرة القرآنية" وصف "مالك بن نبي" تلك العلاقة التي جمعت المسلمين بالغرب، والتي لم تخلُ يوما من الصراع الذي انتقل من الصراع العسكري، إلى صراع ثقافي فالأعمال الأدبية «للمستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الإشعاع لا نكاد تصوّرها، وربما أمكننا أن ندرك ذلك إذا لاحظنا عددًا من الرسالات التي يقدّمها الطلبة السوريون والمصريون كل عام إلى جامعة باريس، وفي هذه الرسالات يصرون كما أوجبوا على أنفسهم ترديد الأفكار التي زكّاها أساتذتهم الغربيون»[166] هي إذا الأزمة الثقافية بملمسها الناعم، وآثارها العميقة المدمّرة، التي تمر على العالم الإسلامي حيث أُستلب عقل شبابنا وهويته الفكرية، ولا أدل على ذلك أن «الشباب أصبح يتجه إلى المصادر الغربية، حتى فيما يخص معارفه الإسلامية الشخصية»[167]، فكانت بذلك كتب المستشرقين وقود أُشعل به فتيل فتنة الشك والريبة حول كل ما هو ثابت وحول الهوية الإسلامية بصفة خاصة، إذ لم يكن كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين، إلا صدى استشراق لتصورات "مرجليوث" عن الشعر الجاهلي.

أما في كتابه شروط النهضة، قدّم "مالك بن نبي" تحليلا لمشكلات الشعوب فذكر أن «مشكلة كل شعب في جوهرها هي مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، هكذا تلعب الشعوب دورها كل واحد منها يُبعث ليكوّن حلقته في سلسلة الحضارات»[168] فالتقدم والتحضر مصير كافة الشعوب والأقوام، ولم يكن يوما حليف الغرب وحدهم، فما إن توفر في أي قوم وشعب عناصر الإخلاص والعزم لنصرة قضيتهم والإيمان بتغيير مصيرهم سينالون من التخلف والهوان الذي لحقهم، وقد اعتبر "مالك بن نبي" أن دور السياسة والفكرة من عوامل قيام الحضارة* «فالكلمة: تساهم في خلق الظاهرة الاجتماعية، حيث يطلقها الإنسان وتستطيع أن تكون عاملا من العوامل

---

* مالك بن نبي: (1905-1973) مفكّر وفيلسوف اجتماعي جزائري، وُلد في مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري، حيث التحق بمدرسة اللاسلكي في باريس وتخرّج فيها مهندسا تقنيا، لكن تشاء الأقدار أن تحوّله عن مجال اختصاصه كمهندس تقني إلى فيلسوف اجتماعي، انخرط في الدراسة وفي الحياة الفكرية واختار الإقامة في فرنسا، وشرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي ككل، وسافر إلى القاهرة، وبعد استقلال الجزائر عاد إلى الوطن وتفرغ للكتابة حتى وافته المنية، عام 1973.من أهم مؤلفاته: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، ووجهة العالم الإسلامي. أنظر: أيوب أبو دية، المرجع السابق، ص.235، 236

[166] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط3)، 1987، ص.54

[167] المرجع نفسه، ص.55

[168] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط1)، 1986، ص.19، 20

* الحضارة لدى مالك بن نبي تتشكل من العناصر التالية: الحضارة= إنسان+تراب+وقت. أنظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ص.45





الاجتماعية حين تُثير عواصف في النفوس تغير الأوضاع العالمية»[169] ولا أدل على هؤلاء المصلحين الذين كانت كلمتهم كلمة مزلزلة في نفوس الشعوب، من أمثال "الأمير عبد القادر" و "الشيخ صالح بن مهنة" بقسنطينة, "وابن باديس"، وغيرهم.

وفي رد على جهود من سبقوه من رواد النهضة من أمثال "محمد عبده" و"جمال الدين الأفغاني" بيّن "مالك بن نبي" موقفه من الحضارة فقال: «هي من تلد منتجاتها، ونحن في القرن العشرين نعيش في عالم يبدو فيه امتداد الحضارة الغربية قانونا تاريخيا لعصرنا، ففي الحُجرة التي أكتب فيها الآن كل شيء غربي، فيما عدا (القلة) فمن العبث أن نضع ستارا حديديا بين الحضارة التي يريد تحقيقها العالم الإسلامي والحضارة الحديثة، ولكي ننشئ حضارة فلا يمكن أن تبيعنا كل منتجاتها»[170] ويقصد بمنتجاتها، الأفكار وروح هذه الحضارة، إن الصيغة التي تنشأ بها الحضارات ليس بعيدة عن مكونات الهوية والخصوصية، التي لا يمكن بيعها ولا شراؤها، وعلينا ألا ننظر للمدنية الغربية في حلقتها الأخيرة من التطوّر، ونبني تصورات جزافية أنها قامت على الفصل بين الدين والدولة، إن تجربة "مالك بن نبي" «تجربة الصدام بين المجتمع الأوروبي والمجتمع الإسلامي العربي، وكانت السنون الطويلة التي عاشها في أوروبا سببا في إظهار ذاتيته، لقد كانت أوروبا بالنسبة إلى الأستاذ مالك تربة صالحة لتنمية جذوره التي لا تزال متصلة ببلده مغموسة بتاريخ أمته»[171] على عكس الكُتّاب الآخرين الذين وقفوا اتجاه المدنية الغربية موقف التلميذ المولع بالأستاذ، المنبهر به، وفي كثير من الأحيان موقف المسلوب المنتزع الإرادة والهوية على السواء، كانت كتابات المفكر "مالك بن نبي" بروح مآساة بلاده وأحلام شعوب مقهورة تأمل في الخلاص.

إن الفكر وفي حلقات تطوّره لم ينشأ وفق تصوّر واحد أو وجهة نظر واحدة، بل كان دائما يظهر ويتطوّر استنادا لحركات مد وجزر، بين فئات كثيرة ومفكرين عديدين، وكما بيّنا ارتباط كل من المفكرين العربيين "الطهطاوي" و"مالك بن نبي" بالهوية الإسلامية ودفاعهم عنها، كان هناك من رأى العكس تماما، وأن الحضارة الغربية قدّمت أحسن نموذج للرقي، وحتى نقترب من منجزاتها علينا أن نتجاوز التراث بكل أبعاده، والهوية العربية والإسلامية بشكل خاص، فعاشت «الثقافة العربية صراع التناقض بين الحداثة والتقليد، والأصالة والمعاصرة، وضمن هذا الصراع تعددت الآراء والمواقف واختلطت التحليلات بين من ينكر على الثقافة العربية احتواءها على قيم التقدم والتغيير، ومن يؤكد فيها على عناصر هذا التقدّم، وبين من يدعو إلى تجاوزها»[172] فصرنا نتحدث عن معسكرين، أقطابهما مفكرين، فبين دعاة التحديث والتغريب الثقافي*، وجعل الحضارة الغربية مركزا، وتسليم العقل والروح والجسد

---

[169] المرجع نفسه، ص.22

[170] المرجع نفسه، ص.42

[171] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط5)، 1986، ص.9، 10

[172] برهان غليون، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، لبنان، (ط4)، 2006، ص.20

* التغريب: إن مصطلح التغريب بدلالته المعاصرة المعروفة، من نتاج الفكر الغربي، ويرتبط بالحركة الإمبريالية الأوروبية التي انطلقت في القرن التاسع عشر، فالتغريب ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم Westernization وكانوا يعنون به





استلابا لها، وبين من يوقظ في أتباعه الحماسة الفكرية وتقديس التراث والحفاظ على الهوية لأنها من ستحرّك الهمم نحو التقدم، لأن المسألة مسألة ثقافية لا غير، وقد برز من بين هؤلاء:

2-3 محمد أركون**:

تناولت أعمال المفكر الجزائري "محمد أركون" عدة قضايا مرتبطة براهن الفكر الديني الإسلامي في العالم العربي، وقد أتاح له التعلم والتعليم بعيدا عن بلاده من أن يكوّن فكرا تغريبيا؛ أين نلمح جوانب استلابه الحضاري، ويظهر ذلك في دعوته إلى الاستفادة من التجربة الغربية في بعدها العلماني الصرف، وإعادة قراءة القرآن والتراث الديني بمناهج غربية، اقتداءً بما قدّمه المستشرقون.

في بداية عمله وجّه "أركون" مطرقته النقدية نحو المؤمنين ووصفهم بـ«المنغلقون داخل السياج الدوغمائي يتبعون استراتيجية معينة ندعوها باستراتيجية الرفض، وهي تستخدم ترسانة كاملة من الإكراهات والمجريات الاستدلالية، والشكلانية التي تُتيح المحافظة على الإيمان أو تجييشه أو تعبئته إذا لزم الأمر»[173] إن القضية التي حاول "أركون" تبريرها عن الإسلام والمسلمين أنهم يدعون الإيمان لكن بطرق عنيفة (الإكراهات، التجييش...) وهي الفكرة ذاتها التي يحاول الغرب دوما إلصاقها بالإسلام والمسلمين، فهم مثال الفوضى والإرهاب، والعنف.

ليعود مرة أخرى ويُشيد بمنجزات الغرب العلمية، وهو الذي قال «أن الإنقاذ يجيء من الغرب لا من الشرق، من البيئات الأكاديمية الاستشراقية لا من البيئات العربية الإسلامية، هكذا بدأ مشروع انسيكلوبيديا القرآن، لقد كان الأحرى بالمسلمين أن يقوموا بهذا المشروع، (...) ثم يتحدثون عن عظمة التراث ويطنطنون به، ولكن دون أن يفعلوا له شيئا»[174] وقد اعتبر "أركون" التمسك بالتراث نوعا من التشبث بوهم لا ينفك أن يزودنا بأحلام وخيالات بعيدة عن واقعنا، وقد استمر في نقده للكتابات الإسلامية التي لازالت تناقش المسائل الدينية بكونها كتابات مقيّدة، ومسجونة «بالأدبيات التراثية أو التقليدية، الشعبوية والديماغوجية»[175] وكأن الموضوعية والعلمية في عُرف "أركون"

نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية، والأفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القوى المضادة، التي تحفظ لهذه البلاد كيانها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمها اللغة والدين، والتغريب الثقافي: يطلق على حالات التعلق والإنبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية، بحيث يهدف لإحلال ثقافة أجنبية محل الثقافة المحلية. أنظر: حذيفة عبود مهدي السامرائي، التغريب الثقافي آثاره وسبل مواجهته، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، مج10، ع3، 2019، ص.4-7

** محمد أركون: وُلد عام 1928، وتوفي عام 2010، مفكر من أصل جزائري، درس في فرنسا، وعمل أستاذا للإسلاميات في جامعة السربون، من أهم كتبه: الفكر العربي، تاريخية الفكر العربي-الإسلامي، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا في نقد العقل الديني. أنظر: السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، (ط1)، 2010، ص.139

[173] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، (ط1)، 1999، ص.66، 67

[174] محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص.59، 60

[175] المرجع نفسه، ص.18



لا تكتمل إلا بالاستهزاء بمؤلفات المسلمين الأوائل، وبتحطيم ثوابت الهوية من لغة ودين، وثقافة...إلخ، فهل الحرية في الكتابة التي دعا إليها "أركون" ووجدها في عالمه الغربي من دون قيود هي نموذجه المثالي –من خلال الانسلاخ الذاتي عن الواقع-، أم أن الكتابة هي رد فعل ومرآة عاكسة لواقع المؤلف، بدءا بكلماته أفكاره، وانتهاءً باستنتاجاته وخلاصاته، وأيديولوجياته التي مهما ادّعا أنه براء منها، تبقى تتمظهر وتطفوا كلما سنحت لها الفرصة لذلك، وهذا ما حدث مع "أركون" حيث كانت مختلف كتبه رد صدى لعالم غربي ينظر لكل ما هو عربي إسلامي نظرة احتقار وتقزيم، فإذا كان الغرب قد بيّن عن مراده بأساليب مكشوفة (الاستعمار العسكري قديما، والعولمة حديثا)، فإن "أركون" اختفى وراء لغته الناعمة، ليسدل ستائر انحيازه لهم، ويقدم ولاءه.

2-4يوسف الصديق*:

وقف المفكر التونسي "يوسف الصديق" هو الآخر موقفا معارضا لكل ما هو أصولي تراثي، وقد أبانت كتبه المنشورة بفرنسا، عن مشروع يستكمل الدعوة إلى التخلي عن الهوية العربية الإسلامية من خلال جعل النص القرآني نصا تاريخيا، وفي مقدّمة دعوته لذلك إعادة تأسيس قواعد لفهم القرآن يقول: «إننا الآن في زمن غير الزمن القديم، وبالتالي اتسعت رؤية النظر عندنا وتوسع التأطير بفعل تقدّم العلوم والبحوث، وعليه وجب أن تكون معارفنا للنص القرآني مخالفة لما كان يعرفه الخلفاء الرّاشدون، بل إن معارفنا متطوّرة عن معارف السلف ومعاصري الرسول»[176] إذا هذا التصوّر مدعاة إلى التخلي عن الاستفادة من تراث السلف الذي يرى أنه قد فقد صلاحيته، وضرورة الانطلاق من معارفنا الجديدة، لكونها أكثرا تطوّرا، إلا أنه تناسى أو يتناسى أن هذه العلوم الجديدة التي ولع بها وانتصر لها تنتمي إلى عالم غربي لا عربي، وأن مناهجها مستمدة من واقعهم لا من خصوصيات واقعنا، والحيثيات التاريخية لظهور الإسلام.

وحتى يبرر هذا التصوّرات التي تارة اقتبسها من آراء المستشرقين، وطورا ممن تنكروا لهوياتهم من (مفكرين حداثيين عرب) ، لجأ إلى نفي صفة الاصطفاء على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله مجرد «إنسان نشترك نحن معه في هذه الإنسانية»[177] هذا ما شجّع وبسط مجالات التطاول على شخص الرسول الأكرم، خاصة في فرنسا؛ ولا أدل على ذلك ما فعلته كاريكاتير شارلي إبيدو.

كما اعتبر إشاعة الكفر، والردة والاستهزاء بالقيم والمعتقدات الدينية حرية شخصية، وأنه إذا «صرّح أحدهم على رؤوس الملأ بأنه يفاخر بكفره ويتحدى المجموعة المسلمة فهو مجنون ووجب أن يُعالج، وأما إذا كتب أو فكّر أو قال: إن

---

* يوسف الصديق: ولد يوسف الصديق في توزر من بلاد الجريد التونسية سنة 1943م. فيلسوف كاتب و مفكّر ومتخصص في الانثروبولوجيا الأديان .درس ودرّس في جامعة السربون بباريس ،صدر له عديد المنشورات من آخرها : "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها ؟" عن داري التنوير ومحمد علي ، و يصدر له عن دار محمد علي/تونس و عن L'Aube/فرنسا "تونس بعد ثلاث سنوات ...الثورة المنقوصة ".أنظر:يوسف الصديق ،الآخر و الآخرون في القرآن، دار التنوير، تونس، (ط2)، 2015، (الغلاف).

[176] يوسف الصديق، الآخر والآخرون في القرآن، ص.33

[177] المرجع نفسه، ص.105



الله هو كذا...وأن النبي لم يولد في الوقت كذا، وأن الآية كذا تأويلها هو الآتي...فهذا الإنسان يُفكّر»[178] ويا لها من تأويلات وتبريرات واهية اختلقها "يوسف الصديق" لا سعيا منه لخلق رؤى جديدة، بل لعرض وتبرير أفكار غربية بألفاظ وكلمات تزعم أنها تنتمي إلى العالم العربي والإسلام وتمثّله.

ونجد الاستلاب الحضاري أيضا في كتابه "القرآن، قراءة أخرى، ترجمة أخرى" حيث اعتبر النص القرآني ملكية للعالم أجمع؛ إذ كيف يمكن للعالم (الكون) أن يترك العناية بهذا النص الضخم لرجال الدين واللاهوت؟ ولا نهتم إلا بطبيعته الجمالية، ومتعة قراءته وقدراته الأدبية كما طرحها "رولان بارت"، على القرآن أن يجد مكانة له ضمن أجمل عناوين التراث الإنساني[179].

إن التأثر الشديد بأفكار الغرب، وبمفكريهم جعل "يوسف الصديق" يتنازل عن خصوصيات النص القرآني، وطبيعته واعتبره مجرد نص تراثي إنساني يمكن أن نستخرج منه قيما جمالية، ضاربا عرض الحائط أنه قبل أن يكون النص القرآني نصا دينيا، فهو دستور لحياة المسلمين.

خاتمة:

نخلص إلى القول أن المفكر العربي في المهجر تأرجح بين استلاب حضاري، وولع بغالبه –على حد تعبير ابن خلدون- وبين حفاظ على هويته ودفاعه عنها، وكان من نتائج هذا المد والجزر أن ظهر صنفان من المفكرين؛ صنف حافظ على تراثه وهويته وجنّد قلمه للدفاع عنهما ، ويظهر هذا في أعمال "رفاعة رافع الطهطاوي" و"مالك بن نبي" ومن نحا على آثارهما.

وصنف آخر أغوته الحضارة الغربية، فما كان منه إلا أن يُشد الرحال بعقله وقلمه إليها فكانت كتاباته مجرد صدى لاستلابه الحضاري، وقد تمثل ذلك في صنف "محمد أركون" و"يوسف الصديق".

غير أن هذا لا يعطينا الحق في نفي وتقزيم إسهام قطبي هذين المفكرين، ولا يمكن البتة إلغاء مواطن الصحة والنية في قراءة الواقع العربي والغربي، سواء هؤلاء الذين تشبثوا أو انسلخوا عن هوياتهم، لأن لكل انتماء مبرراته.

التوصيات:

---

[178] المرجع نفسه، ص.92

[179] Comment le monde a-t-il pu laisser aux «soins» de seuls religieux et théologiens un aussi grand texte? A ne s'en tenir en effet qu'à sa nature esthé-tique de texte, à sa capacité d'offrir cette «jouissance à la lecture» évoquée entre autres par Roland Barthes, à sa très haute performance littéraire, le Coran aurait dû trouver place aux côtés des plus beaux titres du patrimoine humain. Voir:Youssef Seddik, Le Coran Autre lecture, Autre traduction, L'aube, Europe, 2016, P.10



- على المفكر أن يلتزم بقضايا بلاده وأن يصحح المفاهيم المغلوطة عنها ويعدل الأنماط والصور الجاهزة، ويعيد موضعة المفاهيم والقضايا وأن يكون التأسيس لها داخل البلاد وخارجها، وألا يجد المهجر فضاء للانسلاخ عن هويته ومجتمعه.
- يمثل التراث والثقافة واللغة والدين عناصر من مكوّنات الهوية العربية الإسلامية، علينا أن نتشبّث ونعتز بها ونداقع عنها
- الاستلاب الحضاري موضة جديدة للاستعمار الغربي، يعمل على امتصاص ثقافات الشعوب وهوياتها، ومن ثمة تدميرها للقضاء على الاختلافات الثقافية من جهة، ولتكريس نمط واحد هو الهوية الغربية بنموذجيها الأوروبي والأمريكي.
- الموضوعية العلمية تحتم على المفكر العربي أن يكون أكثر صرامة في التعامل مع قضايا وطنه ومجتمعه، فلا يغطي الواضح المكشوف (كتلك المشكلات المسكوت عنها)، ولا يختلق أكاذيبا لتبرير تصورات وأيديولوجيات تشبّع بها، أو زوّدته بها جهات معينة.
- المفكر العربي في المهجر يحمل مسؤوليات مزدوجة؛ فهو يمثل لسان حال مجتمعه وأمته، المعبّر عن قضاياها، ومن جهة أخرى يعمل على تصحيح الذهنيات والترسبات العالقة والصور النمطية المتوارثة عنه وعن مجتمعه، لهذا وجب أن يكون أكثر حيادية وكفاءة ومسؤولية لتحمل تبعات هذه المهمة.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم البيومي غانم، وآخرون، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، مصر، (ط1)، 1998
2. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، لبنان، (د.ط)، 1982
3. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، دار النهار، لبنان، (د.ط)، (د.ت)
4. السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، (ط1)، 2010
5. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، (ط2)، 2001
6. أيوب أبو دية، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية، الأردن، (ط4)، 2019
7. برهان غليون، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، لبنان، (ط4)، 2006
8. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (د.ط)، 2004
9. جوزة عبد الله، الاغتراب الحضاري والعنف الاجتماعي –دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي الراهن-، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012-2013
10. جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ط1، 2011

11. حذيفة عبود مهدي السامرائي، التغريب الثقافي آثاره وسبل مواجهته، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، مج10، ع3، 2019
12. رفاعة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، دار الشروق، مصر، (د.ط)، 2011
13. رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (ط1)، 2012
14. عبد الكريم بكار، تكوين المفكر خطوات علمية، دار السلام، مصر، (ط2)، 2010
15. فالح عبد الجبار، الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيجل، فيورباخ، ماركس، دار الفارابي، لبنان، (ط1)، 2018
16. فؤاد زكريا، الإنسان والحضارة مؤسسة هنداوي، مصر، (ط1)، 2017
17. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط3)، 1987
18. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط1)، 1986
19. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سورية، (ط5)، 1986
20. مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، (ط4)، 2004
21. محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، (د.ط)، (د.ت)
22. محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، (ط1)، 1999
23. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، مج5، حرف (الراء)
24. يوسف الصديق ،الآخر و الآخرون في القرآن، دار التنوير، تونس، (ط2)، 2015

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Annie COLLOVALD, Fernando GIL, Nicole SINDZINGRE, Pierre TAP, « IDENTITÉ », Encyclopædia Universalis. /URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/identite
2. Youssef Seddik, Le Coran Autre lecture, Autre traduction, L'aube, Europe, 2016



و اقع الثقافة الأمازيغية على مو اقع التواصل الاجتماعي في الجز ائر.

(دراسة تحليلية مقارنة على عينة من صفحة Amazigh cultureوصفحة تاريخ وتراث الأمازيغ على الفيسبوك)

The reality of Amazigh culture on social networks in Algeria. (Comparative analysis study on the "Amazigh History and Heritage" pages and the "Amazigh culture" Facebook page.)

وليد شايب الدراع : طالب دكتوراه جامعة محمد خيضر -بسكرة. علوم الإعلام والاتصال-صحافة مكتوبة.

-البريد الالكتروني : walid.chaibeddra@univ-biskra.dz

جهاد صحراوي: طالب دكتوراه جامعة محمد خيضر-بسكرة. علوم الاعلام والاتصال-اتصال وعلاقات عامة.

-البريد الالكتروني: djihadsahraoui319@gmail.com

الملخص:

تتمثل أهمية دراستنا أهميتها في كون الموضوع الذي سنتطرق اليه موضوع مهم في هذا السياق العالمي الذي أصبحت تسيطر عليه ثقافة واحدة في اطار ما يسمى بالعولمة، إذن فدراستنا هذه تحاول الكشف عن تناول المحتوى الجزائري الموجود على الفيس بوك لقضايا الثقافة الأمازيغية عبر الشبكات الإجتماعية، على اعتبار أن موضوع الثقافة الأمازيغية هو أحد أهم المواضيع التي أعيد فتح النقاش فيها خاصة في ظل انحسار الثقافات المحلية و الوطنية نتيجة للعولمة في مختلف تمثلاتها خاصة الإعلامية والتي تعتبر الشبكات الإجتماعية وغيرها من الوسائط ومنها موقع "فيس بوك" أهم أدرع العولمة الاعلامية، إلا أن هذا لا ينفي أن الكثير من صناع المحتوى والمدونين والصفحات يولون موضوع الثقافات المحلية ومنها الثقافة الأمازيغية أهمية كبرى وهذا هو ما تناولته دراستنا هذه.

ولأجل التعرف أكثر على هذا الموضوع أجرينا دراسة تحليلية على عينة من منشورات صفحتي «Amazigh culture" **وصفحة "تاريخ وتراث الأمازيغ"** على الفيسبوك وهما إحدى أكبر الصفحات المهتمة بنشر مواضيع متعلقة بالثقافة الأمازغية، وذلك عن طريق الاعتماد على المنهج الوصفي مع إستخدام تحليل المحتوى كأداة أساسية في جمع المعلومات، وهذا للوصول الى فهم كيفية معالجة عينة الدراسة للموضوع والتعرف على مدى مساهمتها في التعريف بالثقافة الأمازيغية عبر الشبكات الإجتماعية.

كلمات مفتاحية: الثقافة الأمازيغية، فيسبوك، الشبكات الإجتماعية، الجز ائر.



abstract:

The importance of our study is that the topic we are to address is an important topic in its global context, as the world has become dominated by a single culture within the framework of the so-called globalization. Considering that this topic is one of the most important topics that have been reopened, our study is aiming to analyse the Algerian content on Facebook in relation the issue addressed through social networks, especially with of the decline of local and national cultures as a result of globalization in their various representations . Media, including Facebook, is the most important shield of media globalization, but this does not deny that many content makers, bloggers and pages approach the subject of local cultures, including the latter which sheds light on the importance of this study.

In order to learn more about this topic, we conducted an analytic study on a sample of the publications of the "Amazigh culture" and "Amazigh History and Heritage" pages on Facebook, one of the largest pages interested in publishing topics related to Amazigh culture, relying on the descriptive approach with the use of content analysis as an essential tool in collecting information, and this to gain understanding of how the study sample processes the subject and recognizes its contribution to Introducing The Amazigh culture through social networks.

Keywords: Amazigh Culture, Facebook, Social Networks, Algeria.

مقدمة:

ساهم التطور التكنولوجي الحاصل منذ بداية أواخر القرن الماضي في حدوث تغير كبير في العديد من مناحي الحياة، ولعل أهم هذه التأثيرات هو تأثيره على أشكال التواصل الانساني، حيث فتح مجالا واسعا امام العولمة الثقافية في ان تبسط هيمنتها على حساب الثقافة المحلية للشعوب، كما أدت هذه التطورات للعديد من المخاوف التي قدمها باحثون يرون أنه وعلى الرغم مما حققه العالم من أشياء إيجابية نتيجة هذه التطورات، إلا أن هذه التطورات اصبحت تشكل خطرا على الهويات المحلية للأفراد والجماعات، ويمكن اعتبارها غزوا ثقافيا يمس بالأساس المجتمعات التي لا تنتج هذه التكنولوجيا ولا تتحكم بها، وهو ما يسير بنا نحو عولمة ثقافية تقضي على التنوع الثقافي والهوياتي في العالم.

وتعتبر الأنترنت عموما ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة من أحداث تجليات هذه العولمة الاعلامية فهي بما تقدمه من معلومات وخدمات لمستخدميها في مجالات عديدة مثل التواصل والتفاعل والنشر قد جلبت مئات ملايين المتابعين

وجعلت الفرد أمام فضاء مفتوح على ثقافات متعددة، ما خلق مشكلة في مسألة الخصوصيات الثقافية وكيف يمكن التعامل معها في ظل هذا الانفجار المعلوماتي.

إن موقع التواصل الاجتماعي وفي المقدمة منها موقع فيسبوك والذي يعتبر أكبر وأهم مواقع التواصل والذي يتعدى عدد المشتركين فيه الثلاث ملايين مشترك، يعتبر نوع جديد من الجماعات الإنسانية أو ما يطلق عليه اسم "الفضاءات الافتراضية" التي تعتبر ساحة للنقاش والحوار، كما تعتبر أداة لإعادة تحديد الهويات الثقافية للشعوب وتغيير خريطة التنوع الثقافي في العالم، ومن هنا جاء المشكل الذي تطرحه دراستنا هذه و هو محاوله التعرف مدى اهتمام القائمين على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي وفي المقدمة منها موقع فيسبوك بقضايا الثقافة الأمازيغية، وكذا التعرف على أهم مواضيع الثقافة الأمازيغية التي يتناولونها في منشوراتهم من خلال الصفحتين عينة الدراسة وهذا لنتمكن من معرفة كيفية تناول قضايا الثقافة الأمازيغية في هذه الفضاءات الإفتراضية.

ومن هنا نطرح التساؤل المحوري التالي: كيف عالجت صفحتي"Amazigh culture" **وصفحة "تاريخ وتراث الأمازيغ" مواضيع الثقافة الأمازيغية في عينة الدراسة؟**

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي كالاتي:

1- ماهي أهم قضايا "الثقافة المحلية" التي تناولها المدونون في صفحتي عينة الدراسة؟
2- ما هو أسلوب تقديم المنشورات المتعلقة بقضايا الثقافة الأمازيغية عبر صفحتي عينة الدراسة؟
3- ماهي أهم القيم المتضمنة في المنشورات عينة الدراسة؟
4- ماهي أهم القوالب الفنية المعتمدة في المنشورات عينة الدراسة؟

أهداف الدراسة:

1- التعرف أهم قضايا" الثقافة المحلية" التي تناولتها الصفحتين عينة الدراسة.
2- الكشف عن أسلوب تقديم المنشورات في الصفحتين عينة الدراسة اتجاه قضايا " الثقافة الأمازغية".
3- معرفة أهم القيم المتضمنة في المنشورات عينة الدراسة.
4- التعرف على أهم القوالب الفنية التي استخدمتها الصفحتين في المنشورات عينة الدراسة.

الجانب المفاهيمي للدراسة:

تعريف الثقافة:

يمكننا القول بأن الثقافة هي عبارة عن أنماط سلوكية معينة وتنظيم إقليمي للشعوب اضطلعت علها وتناقلتها الأجيال المتعاقدة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها، انها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغييرات والابداعات التي تتطور بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل



والاخذ والعطاء[180]، هذا كما يعتبرها المفكر الإنجليزي تايلور على انها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة العقيدة، الفن القوانين الاخلاق، العادات والتقاليد، والقدرات الأخرى التي يكتسبها الانسان بصفته عضوا في المجتمع[181]، ثم يقوم بنقلها الى الاخارين الذين يأتون من بعده انطلاقا من توظيف عمليات الاتصال الاجتماعي والحضاري بين كل جيل واخر حتى تصبح هذه الثقافة واحدة من اهم الثوابت المتغيرة للهوية الثقافية في المجتمعات الحديثة.

كما انه من الملاحظ أيضا ان الثقافة تشمل مجموع النشاط الفكري والفني وتنظيم جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية وجدلية، وتشمل مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والابداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسير السلوك والتصرف وطراز الحياة كما تشمل تطلعات الانسان للمثل العليا[182]، وفي بحثنا حول الثقافة الامازيغية وجدنا انها تمتلك كل تلك المقومات الثقافية التي تحدثنا عنها.

الثقافة الامازيغية:

تعد الثقافة الامازيغية مكونا ثقافيا أساسيا لدى شعوب شمال افريقيا وبخاصة الجزائر التي تعتبر أكثر البلدان المغاربية محافظة على هذه الثقافة العريقة، ولا سيما من خلال الالتفاتة الت قامت بها الدولة الى اللغة الامازيغية بالاهتمام الكبير التي توليه اياها[183]، انطلاقا من الاعتبار بان العنصر الامازيغي في الجزائر صورة لا تتجزأ عن الهوية الوطنية لما تقدمه الامازيغية من لغة وثقافة وحضارة ضاربة في العمق، لا تقل قيمة عن الثوابت الوطنية الأخرى بل انه لحري بنا القول ان تاريخ الامة الجزائرية من تاريخ الامة الامازيغية الضاربة في أعماق تاريخ منطقة شمال افريقيا[184]، وعلى ذلك فإن الثقافة الامازيغية تعد كما يقول الباحث في الثقافة الامازيغية الأستاذ محمد مرداسي بمثابة ذلك الحصن المنيع الحامي للهوية الوطنية بالجزائر رغم كل المحاولات بطمسها واذابتها من طرف الاستعمار[185]، ولذلك وجب المحافظة عليها قدر الإمكان باعتماد كل الطرق والأساليب الجديدة في نشرها على أوسع نطاق، خاصة ونحن نعيش في زمن تكنولوجيات مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها، التي تتيح نشر كل مكونات الثقافة من عادات، وتقاليد حضارية، ومعتقدات دينية، واللغة وأدبيتها، وايصالها الى العالم قصد المحافظة عليها وتطويرها في احسن شكل.

---

[180] مولود بوزيد: دور التليفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة اماشهوا انموذجا، مجلة دراسات معاصرة، المجلد03، العدد01، جانفي، 2019، ص247.

[181] مجاني باديس، مرازقة سارة: اثر وسائل الاعلام على الهوية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد04، العدد02، جويلية، 2019، ص18.

[182] حفيظة محلب: الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة بين جدلية القبول والرفض، مجلة الساورة، العدد1، 2016، ص66.

[183] ازراج عمر: الثقافة الامازيغية الجزائرية.. بين مخاوف السلطة وخلاف النخب، موقع العرب، 17 يناير 2020، https://alarab.uk/ تم الاطلاع بتاريخ 05 ديسمبر 2020.

[184] نجلاء نجاحي: مسيرة الامازيغية في الجزائر بين البناء الثقافي والمشروع السياسي والفعل التربوي، مجلة العلامة، العدد05، ديسمبر، 2017، ص369.

[185] لموشي حمزة: الثقافة الامازيغية حصن منيع للهوية حوار مع الباحث محمد مرداسي، موقع جريدة الشعب الالكترونية، 11 جانفي 2015، www.ech-chaab.com/ar/ تم الاطلاع بتاريخ 05 ديسمبر 2020.



وعلى العموم فان الظاهر في الثقافة الامازيغية ان لها شقان، أحدهما خاص بهم يمثل رصيدهم المتوارث عبر الأجيال، بعض مكوناته لا زالت مجمدة، محافظة على شكلها الأول الذي نشأت به منذ زمن بعيد، كالمعمار والزخرفة والنسيج والوشم والحلي، وشق استطاع ان يطور سماته تماشيا مع متغيرات الزمن كاللغة والادب الشفوي والرقص والغناء[186]، وهي بذلك وكما نرها اليوم قد تحولت من ثقافة شفوية الي ثقافة عملية وكتابية يمكن ان تبقى راسخة الى العديد من الازمة القادمة.

مو اقع التواصل الاجتماعي:

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي نتاج الثورة التكنولوجية للواب وما نتج عنها من تطوير في تقنيات التواصل عن بعد بين الافراد، وتطورها الى ان أصبحت قابلة لبناء دويلات افتراضية، مدن افتراضية، مجتمعات افتراضية تقوم على التواصل في الفضاءات العامة التي تتيحها هذه المواقع او في غرف الدردشة التي تتيحها أيضا انطلاقا من تبادل الحديث وانتقال الثقافات وترويج الأفكار والعادات والتقاليد مما وفر لنا بوابة جديدة لتمازج الثقافات مع بعضها البعض، لذلك فهي وكما يرى العديد من الباحثين انها عبارة عن مواقع تستخدم بين الافراد، من اجل التواصل الاجتماعي وإقامة العلاقات، والتعارف واقامة جماعات افتراضية ذات اهتمامات مختلفة، ويمكن للمستخدم عبرها ان ينشئ صفحته الخاصة، وينشر فيها سيرته وصوره ومعلوماته الخاصة، ويكتب مقالات ونصوص، وينشر الفيديوهات[187]، ويعرفها بلاس Balas على أنها برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الأنترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض للعديد من الأسباب المتنوعة[188]، وتكوين نوع من المجتمعات الإفتراضية، تسمح لمستخدميها بتبادل المعلومات في مختلف المجالات[189]، وفي هذا الإطار نجد تعريف مصطفى يوسف كافي هي مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للواب أو ما يعرف باسم (2.0)، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، مدرسة، شركة، ... الخ)، كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل الإجتماعي المباشر مثل إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين ومعرفة اخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض[190].

[186] مونيس بخضرة: فينومينولوجية الثقافة الامازيغية عبر موسيقى A Vava Inouva، مجلة تطوير، المجلد01، العدد01، سبتمبر، 2014، ص157-158.

[187] هواري حمزة: مواقع التواصل الاجتماعي واشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد20، سبتمبر، 2015، ص224.

[188] Kittwongreat wasinee, pimanpha rack knngan: facleooking your Dreams, master thésis, Scholl of sustainable development of societyamt technology, malar dalen university, sweden, 2010, p 20

[189] بن لكحل شهرزاد: الممارسات اللغوية في مواقع التواصل الإجتماعي (فيس بوك)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة وهران2، 2015/2014، ص 26.

[190] مصطفى يوسف كافي: الإعلام التفاعلي، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص 109.



وفي تعريف لمروى عصام صلاح في كتابها الإعلام الإلكتروني الأسس والأفاق نلاحظ تعريف دقيق لهذه المواقع بحيث قالت أن مواقع التواصل الإجتماعي هي مواقع إلكترونية على شبكة الأنترنت تؤسسها وتبرمجها شركات كبرى لجمع المستخدمين والاصدقاء والمشاركة في الانشطة والاهتمامات وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وانشطة لدى أشخاص أخرين[191]، لذلك فهي مواقع إلكترونية اجتماعية على الأنترنت، وأنها الركيزة الأساسية للإعلام الجديد أو البديل، والتي تتيح للأفراد أو الجماعات التواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الإفتراضي، عندما عز التواصل في الواقع الحقيقي[192]، انطلاقا من تكوين منظومة من الشبكات الإلكترونية عبر الأنترنت تتيح للمشترك فيها إنشاء مواقع خاصة به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع اعضاء أخرين لديهم الاهتمام والهوايات نفسها[193].

فايسبوك:

يعتبر من اهم مواقع التواصل الاجتماعي وأكثرها انتشار وشيوعا بين المستخدمين نظر للكثير من الميزات التواصلية التي يتيحها لهم، اذ يعرفه قاموس الإعلام والاتصال: على أنه موقع خاص بالتواصل الإجتماعي أسس عام 2004 ويتيح نشر الصفحات الخاصة (البروفايل Profile)، وقد وضع في البداية لخدمة طلاب الجامعة وهيئة التدريس، والموظفين، لكنه اتسع ليشمل كل الأشخاص[194]، ويعرف الفايسبوك كذلك على انه عبارة عن شبكة اجتماعية على الإنترنت تتيح لمستخدمها إدخال بياناتهم الشخصنة ومشاركتها مع بقية مستخدمي الموقع[195]

صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ: هي صفحة شعبية أي أنها ليست صفحة تديرها مؤسسة أو جهة رسمية تهتم بمسألة التراث والتاريخ الأمازغي بصورة عامة بكل ما تعلق بالثقافة الأمازيغية باللغة العربية يتعدى عدد المتابعين لها 33 ألف متابع.

صفحة Amazigh culture: هي صفحة مهتمة بكل ما له علاقة بالثقافة والفنون الامازيغية، وكذا تهتم بمسائل العادات والتقاليد الامازيغية يتابع صفحتها ما يقارب 70 ألف متابع.

[191] مروي عصام صلاح: الإعلام الالكتروني، دار ياف العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 165.

[192] محي الدين إسماعيل محمد الديهي: تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر، ص 439.

[193] رامي زاهر: استخدام مواقع التواصل الإجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، عدد 15، جامعة عمان الاهلية، عمان، 2003، ص 23.

[194] Marcel denies: dictionar of media and communication, United states of America, Library of congres cataloging -in-publication data, 2009, P117.

[195] محسن بن جابر عوض الزهارني: دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العامية واتجاهاتهم نحوها، أطروحة دكتوراه، تخصص مناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013، ص9.

*(المعلومات الواردة حول صفحتي مأخوذة من الموقعين الرسميين للمؤسستين)



منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات: تعتمد الدراسة على المنهج المسحي والذي يندرج ضمن البحوث الوصفية إضافة للمنهج المقارن وقد اخترنا هذا المنهج لعدة اعتبارات خاصة طبيعة الدراسة ومتطلباتها التي تتلاءم مع هذا المنهج على اعتبار أن منهج المسح هو دراسة للحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الناس، أو مجموعة الأحداث أو مجموعة الظواهر[196]، كما أنه من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية خاصة في البحوث الوصفية.

وبما أن الإشكالية المطروحة في دراستنا تتطلب دراسة وصفية للمادة الإعلامية محور الدراسة، وذلك بتحليلها تحليلا دقيقا، يوصلنا إلى استخلاص نتائج محكمة ومضبوطة فإننا ارتأينا الاعتماد على أداة تحليل المضمون على اعتبار أنها أداة منهجية للدراسة الكمية والكيفية لمضمون وسيلة الإتصال وهو أداة لملاحظة ووصف مادة الإتصال[197] ، حيث اتبعنا أسلوب العينة القصدية في اختيار ، لتحديد مجموعة من منشورات صفحتي الدراسة التي تتحدث عن الثقافة الأمازغي، حيث اخترنا المفردات في هذه العينة بطريقة عمدية، وذلك وفق الإمكانيات البحثية و الزمنية، وما رأيناه متوافقا مع أهداف البحث ، وهذا النوع من العينات يسهل علينا الوصول إلى مفردات العينة بطريقة مباشرة، وعليه فقد تم الاعتماد في اختيار مفردات العينة على خطوات التالية حيث، اخترنا 15 منشورا صفحتي"Amazigh culture" وصفحة "تاريخ وتراث الأمازيغ" على الفيسبوك، وبما أن النشر يومي في فقد اخترنا مجموعة منشورات في الفترة من15أوت2020 إلى 15نوفمبر 2020، حيث حاولنا أخذ منشورات العينة موزعة على طول فترة الدراسة للوصول الى نتائج معبرة عن مجمل المنشورات المتعلقة بموضوع الدراسة.

الدراسة التحليلية:

-جدول رقم (1) يمثل أهم مواضيع في منشورات عينة الدراسة.

معلومات	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture				
	الموضوع	تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
		تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
1	تاريخ أمازيغي	8	%53.34	1	%5.88
2	موسيقى أمازغية	1	%6.66	4	%23.53
3	عادات وتقاليد	5	%33.34	7	%41.18
4	صناعات تقليدية	1	%6.66	5	%29.41

[196] سمير محمد حسين: بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1995، ص132.

[197] محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2009، ص22.





	أمازغية				
المجموع		15	%100	17	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن أهم المواضيع المعالجة في عينة الدراسة يتبين لنا فيما تعلق بمواضيع الثقافة الأمازيغية عبر الشبكات الاجتماعية، جاء متباينة بين صفحتي الدراسة حيث كانت النسبة الأكبر وهي53.34% مخصصة لتاريخ الأمازيغي في صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ، حيث وجدنا عدة منشورات تتحدث عن هذه المسألة سواء من الناحية الإيجابية بتثمين هذا العنصر الأساسي في الهوية الأمازيغية حيث يعود لأحداث في التاريخ الأمازيغي القديم أو الحديث مستعينا بكتب و أبحاث في ذات الموضوع في حين جاءت منشورات صفحة Amazigh culture بالأساس عبارة عن عادات وتقاليد أمازغية بنسبة 41.18%، ثم جاء موضوع العادات والتقاليد الأمازيغية ثانيا بنسبة 33.34% وأخيرا جاءت مواضيع الموسيقى ومواضيع الصناعات التقليدية في صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ، في حين كانت المرتبة الثانية للمواضيع المتناولة في صفحةAmazigh culture لموضوع الصناعات التقليدية الأمازيغية بنسبة29.41%، وثالثا موضوع الموسيقى الأمازيغية التي أفردت لها الصفحة مساحة معتبرة بنسبة 23.53%.

وعموما من الملاحظ أن هناك اختلاف بين الصفحتين في طبيعة المواضيع التي يتم التركيز عليها حيث نلاحظ أن صفحة Amazigh culture تركز على العادات والتقاليد الأمازيغية والصناعات التقليدية والموسيقى الأمازيغية بهدف تعريفها لمتبعي الصفحة، في حين تركز صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ على المواضيع التاريخية التي تطرحها لنقاش معتمدة على كتب أو مقالات أو تصريحات مختصين.

-جدول رقم (2) يمثل أسلوب تقديم المضمون في منشورات عينة الدراسة.

أسلوب تقديم المادة	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
تقديم معلومات	11	%45.83	5	%72.22
تقديم أراء	13	%54.17	13	%27.78
المجموع	24	%100	18	%100

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إعتمدت في منشوراتها على أسلوب تقديم أراء بشكل كبير بنسبة54.17%، في عينة دراستنا حيث أن أغلب ما يرد في المنشورات هو عبارة عن أراء شخصية لمختصين والذين يعطون أراءهم حول الموضوع المتناول في الصفحة، كما نجد أن الصفحة إعتمدت على أسلوب تقديم المعلومات بنسبة45.83% وبالتالي يمكن القول أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ حاولت أن تعمل توازن بين تقديم المعلومات وتقديم الأراء، أما بالنسبة لصفحة Amazigh culture فنجد أنها إعتمدت على أسلوب تقديم المعلومات فيما يقارب72.22%من



منشوراتها والتي تتمثل في معلومات متعلقة بالثقافة والموسيقى والعادات والتقاليد الأمازيغية حيث تركز هذه الصفحة على هذا النوع من المنشورات خاصة أنها موجهة لتعريف بالثقافة الأمازيغية خارج المنطقة المغاربية.

-جدول رقم (3) يمثل اتجاه معالجة قضايا الثقافة المحلية في منشورات عينة الدراسة.

اتجاه المنشورات	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
سلبي	3	%20	/	/
إيجابي	11	%73.34	13	%86.67
محايد	1	%6.66	2	%13.33
المجموع	15	%100	15	%100

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن هناك توافق في اتجاه معالجة قضايا الثقافة الأمازيغية عبر الشبكات الاجتماعية في الجزائر من خلال صفحتي الدراسة، حيث نجد أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ على الفيس بوك، حاولت إبراز الجوانب الايجابية في القضايا المتناولة بنسبة 73.34%، حيث جاء في هذا الاتجاه محاولة ابراز التاريخ الأمازيغي بالاعتماد على مراجع مختلفة وكذا الحديث عن العادات والتقاليد الأمازغية، في حين جاء ثانيا الاتجاه السلبي بنسبة 20%، أما صفحة Amazigh culture فنجد أن الاتجاه الايجابي جاء أولا بنسبة86.67% حيث حاول القائمون على الصفحة إبراز سمات وخصائص مميزة لثقافة الأمازيغية دون أن ننسى بأن الصفحة موجهة لتعريف بالثقافة الأمازيغية للعالم من خلال استعمال لغات أجنبية ، كما نجد ثانيا الاتجاه المحايد بنسبة 13.33%.

-جدول رقم (4) يمثل الوسائط المرئية المستخدمة في منشورات عينة الدراسة.

الوسائط المرئية	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
مقاطع فيديو	/	/	9	%60
صور موضوعية	14	%93.34	5	%33.34
صورة شخصية	1	%6.66	1	%6.66
المجموع	15	%100	15	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ على الفيسبوك إعتمدت على الصور الموضوعية بنسبة93.34% من مجموع الوسائط المرئية المستخدمة ثم جاءت الصور الشخصية ثانيا بنسبة6.66%، أما بالنسبة لصفحة Amazigh culture فحققت مقاطع الفيديو ما قدره 60% من مجموع الوسائط المرئية ثم جاءت الصور الموضوعية ثانيا بنسبة33.34% .

إن هذا الاستخدام الواسع للفيديو في مختلف الوسائط الجديدة عموما وفي صفحة culture Amazigh خصوصا، وهذا ما توكده الكثير من الدراسات في ميدان الإعلام الجديد والتي تتوقع أن المستقبل في ميدان الاعلام الجديد في المحتوى المتاح على الأنترنت سيكون للفيديو وهذا مايؤكده الباحث التونسي "زرن جمال" في مقال له بعنوان(الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته) حيث يقول أنه في الولايات المتحدة الأمريكية كمثال يقضي الشخص الواحد ما يعادل ساعة و16 دقيقة من الوقت يوميا في مشاهدة مقاطع فيديو على الحوامل الرقمية كما يقع تحميل 300 ساعة كل دقيقة وهو ما يمثِّل رقمًّا خياليًّا يوازي 3.25 مليارات ساعة فيديو مشاهدة كل شهر حسب احصائية لعام 2015[198] ، وهذا ما يؤكد أهمية الفيديو والدور المحوري الذي يلعبه حاليا وسيلعبه مستقبلا في هذه الوسائط الجديدة كما يفسر هذه الأهمية التي توليها صفحتي الدراسة للفيديو كأداة في تغطية مختلف القضايا المطروحة على الساحة.

-جدول رقم (5) يمثل مصادر التغطية في منشورات عينة الدراسة.

مصادر المنشورات	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
دون مصدر	6	%25	15	%65.22
مصدر حكومي	5	%20.83	1	%4.34
مصادر شعبية	6	%25	5	%21.74
كتب ومجلات ودراسات	7	%29.17	2	%8.70
المجموع	24	%100	23	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن هناك تباين في مصادر منشورات صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture على الفيس بوك لموضوع الثقافة الأمازغية، هذا التباين يمكن ملاحظته على مستوى النسب المئوية، حيث نجد أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إعتمدت بنسب متقاربة على الكتب والمجلات والمصادر الشعبية بنسبة29.17% و25%

[198] زرن جمال: الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على الرابط التالي https://studies.aljazeera.net/ص7.

تواليا ثم المصادر الحكومية بنسبة20.83% ، في حين نجد أن صفحة Amazigh culture في جل منشوراتها وبنسبة كبيرة وصلت65.22% لم تعتمد أي مصادر وهذا أمر طبيعي كون الصفحة كما أسلفنا سابقا موجهة لتعريف بالثقافة الأمازيغية لغير المطلعين عليها عكس الصفحة الأخرى في الدراسة والتي تعطي أهمية أكبر لمسألة التوثيق كونها موجهة لرد على بعض خصوم الثقافة الأمازيغية ومن يحاولون تشويه هذه الثقافة، كما جاءت ثانيا المصادر الشعبية كمصدر لمنشوراتهم.

-جدول رقم (6) يمثل أشكال التفاعل مع منشورات صفحتي عينة الدراسة.

أشكال التفاعل	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
عدد التفاعلات (J'aime,Triste,Grrr, j'adore)	5264	%83.17	7337	%84.28
عدد التعليقات	928	%14.66	1014	%11.56
عدد المشاركات	137	%2.17	354	%4.07
المجموع	6329	%100	8705	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه والذي يمثل أشكال التفاعل مع منشورات عينة الدراسة من صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture على الفيس بوك، يتبين لنا أن التفاعل بالأعجاب وغيره من الردود في صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ يمثل 83.17% من مختلف أشكال التفاعل في حين تمثل والتعليقات ما نسبته 14.66%، ثم المشاركات أخيرا بنسبة 2.17%، وهي تقريبا نفس الأرقام بالنسبة لصفحة Amazigh culture حيث يمثل التفاعل بالإعجاب وباقي الردود 84.28%، ثم التعليقات ثانيا بنسبة11.56%، وأخيرا المشاركات ثالثا بنسبة4.07%، ومن المهم الملاحظة أن هناك تباين في نسب التفاعل بين الصفحتين وهذا راجع لاختلاف في حجم المتابعين بين الصفحتين.

-جدول رقم (7) يمثل الأساليب الإقناعية في منشورات عينة الدراسة.

أساليب إقناعية	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
عقلانية	7	%36.84	9	%50



عاطفية	9	%47.37	5	%27.28
تخويفية	3	%15.79	4	%22.72
المجموع	19	%100	18	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إستخدمت الأسلوب العاطفي بنسبة 47.37% ثم الأسلوب العقلاني ثانيا بنسبة 36.84% في حين جاءت الأساليب التخويفية أخيرا بنسبة 15.79%، أما بالنسبة لصفحة Amazigh culture على الفيس بوك فنجد أن بالأسلوب العقلاني جاء أولا فيما تعلق بالأساليب الإقناعية بنسبة50%، ثم جاء الأسلوب العاطفي ثانيا في المنشورات عينة الدراسة بنسبة 27.28%حيث نجد أن القائمين على الصفحة استخدموا الشعارات والرموز ومختلف الأساليب اللغوية مثل الاستعارة والتشبيه ومختلف الأساليب التي تخاطب عاطفة المتلقي لإقناعه بما يريدون إيصاله من رسائل، حيث تتضمن هذه الرسائل محتوى يشدد على الحاجات الفعلية والوهمية، كحاجة الحب والشعور بالأمن، والحاجة للتميز وتقدم إيحاءات من شأنها أن تؤثر بشكل مباشر على العاطفة[199]، في حين جاء أسلوب التخويف أخيرا في الأساليب التي استعملها القائمون على الصفحة في توصيل رسائلهم بنسبة 33.34%، وأخيرا جاء الأسلوب التخويف أخيرا بنسبة 22.72%.

-جدول رقم (8) يمثل أهم القيم المتضمنة في منشورات عينة الدراسة.

القيم	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
اعتزاز	7	%29.17	11	%47.83
أصالة	5	%20.83	5	%21.74
التنوع	3	%12.5	7	%30.43
العصبية	9	%37.5	/	/
المجموع	24	%100	23	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن قيم سلبية مثل العصبية جاءت أولا بنسبة37.5%في صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ، وهذا راجع لأن عدة منشورات من عينة الدراسة تناولت موضوع الثقافة الأمازيغية من باب العصبية والجهوية ومحاولة الانتصار لعرق أو جهة معينة في الوطن في حين جاءت قيمة الاعتزاز بالثقافة الأمازيغية ثانيا بنسبة 29.17%وجاءت في أغلبها ردود على بعض المهاجمين لتاريخ الأمازغي والثقافة الأمازغية، كما تظهر لنا في العينة فيما تعلق بصفحة Amazigh

[199] علي برغوت: دليل التصميم والإنتاج الفني ، جامعة الأقصى، غزة،فلسطين،ط1، 2005، ص15.



culture قيم منها قيمة الاعتزاز بالانتماء للهوية والثقافة الأمازيغية بنسبة47.83%، حيث تؤكد الصفحة من خلال منشوراتها على هذه القيمة كإحدى أهم القيم التي ترسخ الثقافة والهوية الأمازيغية، كما تظهر قيم مثل التنوع وقيمة الأصالة التي تؤكد عليهما الصفحة بشدة في تناولها لمسألة الثقافة الأمازيغية.

-جدول رقم (9) يمثل اللغة المستخدمة في منشورات عينة الدراسة.

لغة المادة محل الدراسة	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	تكرار	النسبة%	تكرار	النسبة%
عامية	3	%12.5	1	%4.55
فصحى	14	%58.34	/	/
فرنسية	4	%16.66	15	%68.18
أمازيغية	3	%12.5	6	%27.27
المجموع	24	%100	22	%100

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إستعملت اللغة العربية الفصحى في منشوراتها المتعلقة بموضوع الثقافة الأمازيغية بما نسبته58.34% من منشورات عينة الدراسة، في حين جاءت اللغة الفرنسية ثانيا بنسبة16.66%، ثم العامية والأمازغية أخيرا بنسبة 12.5% لكل منهما ومن المهم الإشارة أن اعتماد صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ اللغة العربية في منشوراتها راجع لكونها موجهة لناطقين باللغة العربية وهذا ما توكده التعليقات والأشخاص المتفاعلين في الصفحة، أما بالنسبة لصفحة Amazigh culture فنجد أنها إعتمدت في تناولها لموضوع الدراسة على اللغة الفرنسية بنسبة 68.18%، ثم اللغة الأمازيغية بنسبة27.27%، ثم العامية ثالثا بنسبة 4.55% .

من الملاحظ أن صفحة Amazigh culture اعتمدت بشكل كبير على اللغة الفرنسية وهذا لطبيعة الصفحة الموجهة لتعريف بالثقافة الأمازيغية للأجانب خارج منطقة شمال إفريقيا وهو الجمهور المستهدف للصفحة.

-جدول رقم (10) يمثل أهم الأهداف المتضمنة في منشورات عينة الدراسة.

الأهداف	صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture			
	صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ		صفحة Amazigh culture	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
هدف إخباري	8	%53.34	8	%50



هدف نقدي	6	%40	1	%6.25
تثقيفي	1	%6.66	7	%43.75
المجموع	15	%100	16	%100

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن أهداف أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ في تناولها لموضوع الثقافة الأمازيغية في عينة الدراسة تتنوع بين هدف إخباري بنسبة 53.34% وهدف نقدي ثانيا بنسبة 40%، والهدف التثقيفي ثالثا بنسبة 6.66%، حيث تركز الصفحة على الرد على بعض المنتقدين والمهاجمين لثقافة الأمازغية، أما بالنسبة لتناول صفحة Amazigh culture لموضوع الدراسة فنجد أنها ركزت على الهدفين الإخباري والتثقيفي بنسبة 50% و43.75% تواليا والملاحظ أنها ركزت بالأساس على الدور التثقيفي من خلال إثراء رصيد المتابعين للصفحة فيكل ما يتعلق بالثقافة الأمازيغية من خلال تخصيص منشورات وفيديوهات للحديث حول مختلف جوانب الموضوع .

نتائج الدراسة:

إن الهدف من أي دراسة هو الوصول إلى نتائج يتم تحديده مسبقا ضمن إطار البحث وضمن أهدافه وهذا ما قمنا به في بحثنا هذا المتعلق بواقع الثقافة الأمازيغية على شبكات التواصل الإجتماعي في الجزائر، وبالتي أخذنا فيها تناول صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture على الفيسبوك كعينة لدراستنا، ومن خلال كل ما قدمناه من أرقام في جداول الفئات المذكورة في الدراسة التحليلية، تمكننا من الوصول إلى النتائج التالية:

1) كشفت الدراسة على أن هناك فرق كمي بين صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture في تناولهما لمختلف القضايا المتعلقة بالثقافة الأمازيغية حيث أن الصفحة الأولى أعطت الأولوية القصوى لتاريخ الأمازغي بالدرجة الأولى ثم العادات والتقاليد الأمازيغية ثانيا في حين نجد أن صفحة Amazigh culture ركزت في منشوراتها بالدرجة الأولى على العادات والتقاليد الأمازيغية ثم جاء ثانيا موضوع الصناعات التقليدية الأمازيغية ثم الموسيقى الأمازيغية ثالثا.
2) بينت الدراسة أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إعتمدت بشكل أساسي على أسلوب تقديم الأراء في تناولها لموضوع الثقافة الأمازيغية في حين أن صفحة Amazigh culture إعتمدت أسلوب تقديم معلومات بدرجة كبيرة جدا في تناولها لموضوع الثقافة الأمازغية.
3) تبين لنا من خلال الدراسة أن هناك توافق في اتجاه معالجة صفحتي الدراسة لموضوع الثقافة الأمازغية، حيث نجد أن اتجاه المعالجة في صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture كان إيجابي على العموم مع اختلاف النسب المئوية.
4) كشفت الدراسة أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ إعتمدت بشكل كبير فيما تعلق بمصادر المعلومات الواردة في منشوراتها على الكتب والمجلات والدراسات بالدرجة الأولى ثم معلومات بدون مصدر ثانيا، في حين أن أغلب



ماورد في صفحة Amazigh culture هي منشورات دون مصدر بالدرجة الأولى ثم المصادر الشعبية بالدرجة الثانية.

5) بينت الدراسة على أن اشكال التفاعل في صفحتي الدراسة مع موضوع الثقافة الأمازيغية جاءت متوافقة بشكل كبير حيث نجد التفاعل بـ(J'aime,Triste,Grrr, j'adore) أولا ثم التعليقات على المنشورات على مختلف الوسائط ثانيا، ثم المشاركة أخيرا.

6) بينت الدراسة أن صفحة تاريخ وتراث الأمازيغ اعتمدت بشكل أساسي على الصور الموضوعية وهي صور متعلقة بالموضوع الذي يتحدث فيه المنشور أما صفحة Amazigh culture إعتمدت على مقاطع الفيديو بشكل أساسي فيما تعلق باستخدامهما للوسائط المرئية مع استعمالها أيضا للصور الموضوعية.

توصيات الدراسة:

1) استغلال الفضاءات الاتصالية الحديثة وفي مقدمتها مواقع التواصل الاجتماعي لترويج لثقافة المحلية في مواجهة مد العولمة الثقافية.

2) إستعمال الوسائط المرئية بشكل أكثر فعالية من خلال إنتاج فيديوهات قصيرة تعالج الموضوع وتتوافق مع خصائص هذه المنصات الإلكترونية.

3) العمل على جعل مواقع التواصل فضاءات لتواصل مع الأخر المختلف ثقافيا ولإثبات وجودنا الحضاري الضارب في التاريخ.

4) إستغلال هذه المساحة المفتوحة على مواقع التواصل الإجتماعي من أجل التأسيس لإعلام تثقيفي يقوم عليه متخصصون يساهم في الرفع من معرفة المواطنين لثقافتهم المحلية.

الخاتمة:

إن للإعلام عموما دور محوري في حياة الناس، فهو يساهم في الحياة الإجتماعية والاقتصادية كما يساهم في خلق عادات معينة والتحذير من عادات أخرى، ويزيد هذا الدور ويعظم إذا كانت هويات الناس وثقافتهم معرضة للخطر بفعل العولمة والغزو الثقافي، هنا يصبح دور الاعلام محوريا في الحفاظ على الثقافة المحلية ونشرها والتعريف بها، وهو ما تناولناه في دراستنا هذه حيث حاولنا التعرف على واقع الثقافة الأمازيغية على مواقع التواصل الاجتماعي في الجزائر.

ومن خلال دراستنا هذه حاولنا الوصول إلى فهم كيفية تناول صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture لموضوع الثقافة الأمازغية، كما حاولنا تقديم صورة من خلال عينة الدراسة لكيفية تقديم المواضيع ذات العلاقة بالثقافة الأمازيغية على مواقع التواصل الاجتماعي في الجزائر، وعموما يمكن القول أن تناول صفحتي تاريخ وتراث الأمازيغ وصفحة Amazigh culture كان تناول بسيط يفتقد للاحترافية ولكنه جهد لابد أن يثمن، كما أنه لابد أن تتولى



جهات رسمية الاشراف على صفحات ومواقع تقوم بهذا الدور المهم في سبيل التعريف بالثقافة الوطنية بمختلف أبعادها وفي مقدمتها موضوع الثقافة الأمازيغية كعنصر يشكل عامل توحيد لكل منطقة المغرب الكبير.

قائمة المراجع:

1. ازراج عمر: الثقافة الامازيغية الجزائرية.. بين مخاوف السلطة وخلاف النخب، موقع العرب، 17 يناير 2020، https://alarab.uk/ تم الاطلاع بتاريخ 05 ديسمبر 2020.
2. بن لكحل شهرزاد: الممارسات اللغوية في مواقع التواصل الإجتماعي (فيس بوك)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة وهران2، 2015/2014.
3. حفيظة محلب: الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة بين جدلية القبول والرفض، مجلة الساورة، العدد1، 2016، ص66.
4. رامي زاهر: استخدام مواقع التواصل الإجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، عدد 15، جامعة عمان الاهلية، عمان، 2003.
5. زرن جمال: الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته، مركز الجزيرة للدراسات، متاح على الرابط التالي https://studies.aljazeera.net/.
6. سمير محمد حسين: بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1995.
7. علي برغوت: دليل التصميم والإنتاج الفني، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، ط1، 2005.
8. لموشي حمزة: الثقافة الامازيغية حصن منيع للهوية حوار مع الباحث محمد مرداسي، موقع جريدة الشعب الالكترونية، 11 جانفي 2015، www.ech-chaab.com/ar/ تم الاطلاع بتاريخ 05 ديسمبر 2020.
9. مجاني باديس، مرازقة سارة: أثر وسائل الاعلام على الهوية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد04، العدد02، جويلية، 2019.
10. محسن بن جابر عوض الزهارني: دور مواقع التواصل الاجتماعي في حل المشكلات التي تواجه طلاب التربية العامية واتجاهاتهم نحوها، أطروحة دكتوراه، تخصص مناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013.
11. محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2009.
12. محي الدين إسماعيل محمد الديهي: تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر.
13. مروي عصام صلاح: الإعلام الالكتروني، دار ياف العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
14. مصطفى يوسف كافي: الإعلام التفاعلي، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
15. مولود بوزيد: دور التليفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة اماشهوا انموذجا، مجلة دراسات معاصرة، المجلد03، العدد01، جانفي، 2019.
16. مونيس بخضرة: فينومينولوجية الثقافة الامازيغية عبر موسيقى A Vava Inouva، مجلة تطوير، المجلد01، العدد01، سبتمبر، 2014.
17. نجلاء نجاجي: مسيرة الامازيغية في الجزائر بين البناء الثقافي والمشروع السياسي والفعل التربوي، مجلة العلامة، العدد05، ديسمبر، 2017.
18. هواري حمزة: مواقع التواصل الاجتماعي واشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد20، سبتمبر، 2015.
19. Kittwongreat wasinee, pimanpha rack knngan: facleooking your Dreams, master thésis, Scholl of sustainable development of societyamt technology, malar dalen university, sweden, 2010.
20. Marcel denies: dictionar of media and communication, United states of America, Library of congres cataloging -in-publication data, 2009.







التنوع الثقافي وكفائة التفاعل الثقافية. مقترب لتكيف الجماعات المغاربيةالمهاجرة بأوروبا

Cultural diversity and cultural interaction efficiency An approach to adaptation of Maghreb immigrant groups to Europe

حطاب حطاب .باحث دكتوراه ،جامعة محمد بن احمد وهران.02.الجزائر

البريد الالكتروني:hatab14000@gmail.com

ملخص:

الثقافة عملية مستمرة بأنساقها وسياقاتها في الاحتكاك والتفاعل الديناميكي فيما بينها، وقد أقرّت هذا عدة بحوث ميدانية في الاثنولوجيا والاثنوغرافيا والانثروبولوجيا، ولعل حركات الهجرة العابرة للقوميات من بين اهم العوامل المؤدية الى الاحتكاك بين الثقافات عبر الافراد وممارساتهم وتمثلاتهم، وهذا ما يجعل حتمية بعض العنف والصدمات متوقعة، الا ان عمليتي الاندماج والتثاقف تعد من المنطق العملي لثقافة الفرد والمجتمعات في التعايش وابراز اهمية التداخل الثقافي فيما بينهم ونبذ مظاهر الاقصاء والتعصب بين الافراد ومختلف الاطياف الثقافية والانتماءات الايديولوجية والدينية.على ضوء هذا نتسائل كيف يمكن قراءة تاريخ حركات الهجرة المغاربية الى اوروبا؟،هل المهاجرين المغاربة(تونس.الجزائر.المغرب) قد اندمجوا فعليا ونجحوا فعليا على مستوى التثاقف؟، والى اي مدى استجابة الكفاءة الثقافة الاوروبية في احتواء هؤلاء المهاجرين والقادمين من ثقافات ومجتمعات متابينة عنها ثقافيا؟

الكلمات المفتاحية:التنوع الثقافي.الكفاءة الثقافية.الهجرة.الجماعة.الاندماج.

Abstract:

Culture is a continuous process with its coordination and contexts in friction and the dynamic interaction between them, and this has been confirmed by several field researches in ethnology, ethnography and anthropology. However, the process of integration and acculturation is one of the practical logic of the individual's culture and societies in coexistence, highlighting the importance of cultural overlap among them, and rejecting manifestations of exclusion and intolerance between individuals and the various cultural sects and ideological and religious affiliations. Maghreb's immigrants (Tunisia, Algeria, Morocco) have actually integrated and succeeded in real terms at the level of acculturation ?, and to what extent is the response of the European culture competence in containing these immigrants and those coming from cultures and societies that follow them culturally?.

Keywords: Cultural diversity.Cultural competence .Immigration.Community.integration.



مقدمة.

الهجرة تعد من أهم المشكلات الاجتماعية لدى المجتمعات المصدرة او المستقبلة للمهاجرين خاصة من الناحية الثقافية لحمولة الفرد والمجتمع وقت التفاعل والاحتكاك، ويظهر هذا الاحتكاك الثقافي نتيجة التباين الثقافي للمجتمعين أو أكثر ، فالحياة اليومية للمهاجرين ليست تمس الاندماج على مستوى العمل والاقامة واللغة وحسب بالقدر الذي تلعب فيه الخلفيات الثقافية للأفراد الدور الحاسم في إنجاح هذه العملية من عدمها (التكيف الثقافي)،فجميع نواحي المعيش اليومي من ممارسة القوانين العامة و إنشاء الأسر وإدراج الأبناء في التعليم والتربية .و بلوغ المواطنة و ممارسة الحقوق والواجبات والتفاعل والتواصل بين الأفراد المهاجرين والسكان (الاصليين) لهذا البلد هي الامر الحاسم والذي يوضح هل الامتدادات الثقافية المتمايزة متصارعة ام متكيفة؟، انها شبكة من التواصل وتركيب معقد من الحيّز الثقافي الواحد والمتعدد، للأفراد والمجتمعات، والتصورات و التمثلات.

مشكلة البحث:

المهاجرون المغاربة مختلفون ثقافيا ومنسجمون في بعض الأطر ومقيميين بأوروبا داخل نسيج اجتماعي متنوع ومتعدد منذ فترة تفوق النصف قرن، وهذا الوضع يحتم علينا أن نتجه من إشكالية الاندماج الى فحص كفاءة طرفي التفاعل الثقافي أو أكثر كل حسب نسيجه الاجتماعي-الثقافي، وهنا يصبح التنوع الثقافي ليس ثابتا وواضحا بالقدر الذي يكون فيه ديناميا ومتغير يعكس تحدي للمصادر الثقافية والقيم والمعايير اثناء عملية التفاعل اليومية(الانجاز والاداء)، فالمهاجرين المغاربة مثلا: أغلبيتهم من المسلميين والناطقيين بالعربية ويحملون في وجدانهم قيم ثقافية ابوية ذكورية وهذا الامتداد الثقافي يجعلهم لا يتماشون مع طبيعة المواطنة والقانون الاوروبي الذي قيمه ترتكز على الفردانية والحرية والمساواة بين الجنسين وتظهر حقيقة هذا الصراع والاقصاء وقت الزواج او تربية الابناء او التعليم في المدارس او في فضاءات العمل فتبرز بحدة وتعيق من عملية التكيف الكفء للثقافات المختلفة ضمن الحيّز الاوروبي ، هذا فضلا عن الصراع العقدي والتعصب الايديولوجي سواء أكان إسلاميا او يمينيا متطرفا.ان التكيف الثقافي او التفاعل الثقافي ضمن التنوع والتعدد لا يمكن اعتباره ذات قيمة بمعزل عن الممارسات، فهوية المواطن الاوروبي تعني هذه هي القيمة والهوية الاجتماعية والسياسية ان الكل بلا تمييز تحت اطار قاوني عادل يضمن الحقوق والمساواة بدون طبقية ورفض لكل اشكال التمييز العنصري، لكن هذا واقعا ملغى من الطرفين سواء كان من المهاجرين او من ابناء المجتمع الاوروبي، فتيار سياسي يميني لديه حساسية تجاه الاجانب ضمن مشروع العودة للقومية الاوروبية وفي ذات الوقت هناك تعصب لبعض الفئات الاسلامية المتطرفة، خاصة ونحن نعلم ان الجزائر مثلا: تحاول دعم مذهبها على المنابر الفرنسية والدولة التونسية تدعم هي ايضا هذا نوع من المشاريع وكذا المملكة المغربية تدعم توجها دينيا معينا وهذا تنوع ضمن الجماعة المغاربية المهاجرة ناهيك عن كيفية تفاعل فيما بينها وتجاه الاخريين وتمثل هذه الممارسات امام المجتمع المضيف مشكلة فالإسلام لم يعد شكلا ذات رسم واحد بل تلون بتلون الثقافات والامتدادات السياسية لشعوبه الاصلية، الى حد الان ليس هناك مشكلة لكن حين تظهر نزعة تهجير وترحيل المهاجرين الى اوطانهم على يد اليمين المتطرف تطفو المشكلة الى السطح ويصبح اسلام المهاجرين مشكلة.فحرية المعتقد والممارسة الدينية بدأت تتراجع باوروبا وفي الوقت نفسه اصبح هناك تحدي للهوية الدينية للمغاربة المهاجرين امام القيم الاوروبية المعلمنة، فلقد انفجرت بفرنسا قضية ائمة مسلمين



يزوجون مثلين في نسخة مبتكرة لتقليد الكنائس فهل هذا تكيف ثقافي ام تماهي وذوبان في ثقافة واحد، فالتكيف لا يلغي الاختلاف والتنوع بل يضمن التعايش معه وهذا ما تفتقده فعليا الثقافتين.وهذا ما يتطلب تحديد ما هية التنوع الثقافي واليات التكيف الثقافي؟ وما هي معايير الكفاءة التفاعلية الثقافية؟طبعا عبر انموذج الهجرة المغاربيى كتجربة وواقع معاش.

فرضيات:

من خلال هذه الدراسة المتفحصة و البسيطة يمكننا ان نضع عدة افتراضات بحثية: ان تاريخ الهجرة المغاربية الى اوروبا يفوق الثلاث اجيال من حركات الكولون(الاستعمار) وهذا له سبب في نجاح بعض المجتمعات الاوروبية في استيعاب ثقافة المهاجرين ومنح تجربة كافية من التعايش الثقافي على جميع المستويات.

يصعب الاندماج الفعلي وكفاءة التفاعل الثقافي بين جماعة المهاجرين المغاربة والمجتمعات الاوروبية بسبب انتشار الاقصاء والتعصب الذي وسع فجوته الاعلام وافشل من مهمة بناء مجتمع التعدد الثقافي.

ان انتشار التعصب بكل انواعه والاقصاء وممارسة العنف تجاه الاخر المختلف مرده وجذوره في ثقافة ممارسيه ويجب ان نعالج هذا بشكل عملي على مستوى التربية والمعتقد والكلشيهات الاعلامية وخلق مساحة التداخل الثقافي عبر جميع الانساق والنظم والممارسات.

المنهج المعتمد:

لاجل الاجابة على هذه الاسئلة والفروض اعتمدت منهج التحليل لبعض المعطيات الميدانية والاحداث الجارية.

الاهداف:

نهدف من خلال ورقة البحث هذه الى توضيح اهم الاسس الموضوعية التي تتدخل في التكيف الثقافي والتي نركز فيها على اهمية الاطروحة الثقافية.

نهدف ايضا ارى ضرورة التوجه في دراسات الهجرة وعلاقتها بالتكيف والتفاعل الثقافي الى التركيز اكثر على اهمية التداخل البين-ثقافية.

نهدف ايضا الى اقرار اهمية التنوع الثقافي لاي مجتمع وبالاخص مجتمع المهاجرين المغاربة باوروبا لانه اتجاه دينامي لتشكل الهوية.

1-مدخل مفاهيمي -ثقافي :

1-1 مفهوم التنوع الثقافي

جاء في الموسوعة البريطانية على ان التنوع الثقافي هو : "ان الثقافات والاعراق والاعراف ولا سيما تلك الخاصة بمجموعات الاقليات تستحق اعترافا خاصا باختلافاتهم داخل الثقافة المهيمنة"[200].يصبح التنوع الثقافي قريب من ناحية التعريف الى مفهوم الاختلاف الثقافي والتعدد الثقافي الا ان هناك فرق بينهم ، فالاختلاف الثقافي لا يسعى دائما طرحه الى الانسجام الهرموني داخل المجتمع الواحد ويكون الاختلاف حالة من الانزواء لكل ثقافة علة نفسها وهويتها وهنا تكون حيوية التنوع الثقافي غير متحققة، اما التعدد الثقافي فهو مفهوم متطور من تشكل التنوع الثقافي داخل الجسم السياسي لثقافة مجتمع مهيمنة فالتعدد الشكل التنظيمي السياسي للثقافة المختلفة او المتنوعة، اما التنوع لفظ

200 www.uopeople.edu.2020.12.05





واصطلاح معترف متبادل وبشكل متعايش وحيوي ضمن التنوع الشديد داخل ثقافة المجتمع الواحد، فالتنوع وضعية ديناماكية داخل المجتمع.

ان للتنوع الثقافي اهمية وفوائد لذلك نصت عليه الامم المتحدة وساهمت في دفع هذه الفكرة الى واقع معزز داخل البلدان المتنوعة ثقافيا.تتجلى اهمية التنوع التنوع الثقافي تتجلى في :" في الاعتراف بوجود عدد كبير من الثقافات واحترام الاختلافات لبعضهم البعض والاقرار بأن اشكال التعبير الثقافي الصالحة وتقدير ما يجب على الثقافات تقديمه الى طاولة المفاوضات كما يمكن للجماعات المتنوعة من المساهمة والاحتفاء به وليس المسامحة وحسب" ([201])

ان الجزء الحيوي الديناميكي للتنوع الثقافي يظهر فعليا من خلال قدرة المجتمع وافراده على تبادل الاعتراف لاجل التمتع بفوائد التنوع والخروج من جدل الانقسامات الى افق التمايز الحيوي داخل المجتمع:"ان فوائد التنوع الثقافي تؤدي الى التواصل وفهم الاختلافات الى زيادة التعاطف بدلا من الحكم والابتكار (والانتاجية في دعم الاتجاه الاكثر فعالية وانتاجية) فالتنوع يفتح الباب لفرص جديدة ومزج الافكار وتجانسها، فالتنوع الثقافي يساعد في حال المشكلات واثراء المجتمع وليس العكس"([202])

1-2 مفهوم التكيف الثقافي

يقصد به:" العملية الواعية التي يحاول بها الافراد والجماعات ان يتلائموا مع الاوضاع المختلفة التي يوجدون فيها وان يتمكنوا من تغيير سلوكهم او تطويره طبقا للظروف المحيطة وهذا الامر يتم بالتدريج على نحو يتلون باختلاف الافراد والجماعات بصوره يتجلى فيها نمط السلوك الملائم للبيئة التي يعيش فيها الفرد او تتفاعل معها الجماعة"([203]) ، التكيف الثقافي لا يعني الاندماج الاجتماعي ولا يعني التماهي الثقافي فالتكيف يعتبر القدرة من الطرفين المختلفين ثقافاي او اكثر على التلائم وفي ذات الوقت يحافظون على امتدادهم وهذا ما يؤعلم ليصبحوا على مستوى الفرد والجماعات اكثر كفاءة للتفاعل ثقافيا،:" فالتفاعل بين الافراد وثقافة مجتمعهم يتم من خلال معيشة الناس في جماعات ومن خلال هذا التفاعل والتواصل الاجتماعي تنشا القواعد والنظم والمعايير والتقاليد والاعراف ، ومن ثم تصبح هذه الثقافة ملزمة للافراد وتطبع سلوكهم لانها ليست نتاجا للحظة الحاضرة وانما هي نتاج التفاعل الاجتماعي في الماضي والحاضر"([204])

ان التكيف الثقافي ضمن الجسم الاجتماعي المتنوع والمختلف تساعد على مستوى سطحي وعميق في تغير الثقافة واعادة تشكيلها حتى تلك المهينة منها وهذه هي طبيعة الثقافة الحية والمستدامة والتي تعود بالصالح العام والنفع العام لان :" الثقافة بشكلها العام هي نتاج اجتماعي وتفاعلهم مع بعضهم البعض ولا تنمو شخصيات الافراد الا في محيط ثقافي وعن طريق اكتسابهم للنظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع الذي يعيشون فيه، كما ان الثقافة تيئ للتكيف الداخلي بين الافراد والجماعات التي ينتمون اليها بحيث يصبح من الميسور متابعة الحياة الاجتماعية المنظمة" ([205]).

الثقافة هنا تصبح بهذا المفهوم وخاصة داخل الحيز الثقافي المحيط تشكلا بنائيا وليس مهطى يحمله الافراد معهم فالحمولة قد تكون سببا في فشل التكيف واضعاف قدرته على جميع المستويات، يثير "جنيفر.ج.ديل ودون برنس" في كتابها عن تنمية القدرة على التكيف الثقافي خاصة في ادارة الاعمال ذات المشارب الثقافية المتنوعة ان :" التكيف الثقافي

---

[201] www.uopeople.edu.2020.12.05 المرجع السابق.

[202] المرجع نفسه

[203] المرجع نفسه:

[204] -محمد امين عبد الصمد، التنوع الثقافي في مصر، الهيئة المصرية للكتاب.القاهرة ، دون طبعة ، 2015 ص 49.

[205] المرجع نفسه ص 49





هو توفر الارادة على معرفة الثقافات المختلفة وفهمها والعمل الفاعل وسطها" [206] وتتطلب :" القدرة على التكيف الثقافي ان تمعن النظر في اصولك الثقافية وان تتوقع مواجهة الاختلافات الثقافية وان تتعلم بنفسك المزيد عن الثقافات المختلفة وان تتعلم من تجاربك الثقافية"[207]

3-1 مفهوم كفاءة التفاعل الثقافي

يرى كل من "لونر وهيز" ان مفهوم الكفاءة البين-ثقافية هي:" مفهوم واسع ينطوي على عدد من المفاهيم المتداخلة مثل: الذكاء العاطفي والذكاء الموقفي والذكاء الاجتماعي وهذه الذكاءات مجتمعة تجعل الفرد مهتما عاطفيا وحساسا تجاه المتغيرات الاجتماعية ومتفهما للمواقف الاجتماعية المعقدة، فالفرد ذو الكفاءة البين- ثقافية هو ذلك المدرك للثقافة الخاصة ولديه توجهات ايجابية نحو الاختلافات الثقافية ويحمل المعرفة الكافية بالممارسات الثقافية الخاصة بالافراد المنتمين الى ثقافات اخرى ولديه القدرة على التواصل والتفاعل بشكل ايجابي مع البيئات المتنوعة ثقافيا" [208].ان الكفاءة الثقافية محصلة التفاعل واساسه في ذات الوقت فهي عملية متبادلة وهذا ما يجعل الحيز الاجتماعي والثقافي للافراد اساس اختبارهم اليومي، ان المهاجرين اغلبهم عرضة لهذا الموقف حين يحتكون بواقع يفرض عليهم اما التمسك بهوياتهم الثقافية القديمة او الاندماج والتكيف مع الثقافة الجديدة عليهم وهو الامر نفسه للجماعات المستقبلة، فكفاءة التفاعل الثقافي هي الحلة الرابطة بين الثقافة الاصلية والثقافة الواردة، كما انها الاداة الفعالة للتشكل الثقافي الجديد سواء للمهاجرين او المضيفين وهذا لا يتم الا عبر اليات معقدة من اللغة والتمثلات والممارسات اليومية،: تتصف الكفاءة بين-الثقافية بكونها قدرة تطورية تتكون وتتشكل عبر الزمن حيث يمر الفرد بثلاث مراحل لتشكل الكفاءة بين – الثقافية ")يوضح الجدول ادناه هذا التطور من البعد المعرفي والسلوكي والوجداني. مبارك الرشيدي المرجع السابق. ص23).[209]

جدول ١ خصائص مراحل تشكل الكفاءة بين- الثقافية لدى الفرد

المرحلة	التعريف	النظرة للثقافات الأخرى	شعار المرحلة
(١) الوعي الثقافي Cultural Awareness	المرحلة التي يكون بها الفرد مدركا لثقافته الخاصة وهويته الثقافية، وينكر وجود أي ثقافة أخرى مختلفة.	ينكر الفرد وجود ثقافات أخرى غير ثقافته، ويتميز الفرد بالاعتداد الثقافي.	ثقافتي هي الثقافة الوحيدة والحقيقية في هذا الوجود.
(٢) المعرفة الثقافية Cultural Knowledge	المرحلة التي ينظر الفرد من خلالها خارج حدود ثقافته الخاصة، فيكون ملما بخصائص الثقافات الأخرى، ويتميز بكونه مصدرا للأحكام.	يقر الفرد بوجود ثقافات أخرى، كما يبدأ بملاحظة الأمور المتشابهة والمختلفة بين ثقافته والثقافات الأخرى.	ثقافتي أفضل من الثقافات الأخرى / لا استطيع تقبل الاختلافات الثقافية.
(٣) الحساسية بين-الثقافية Intercultural Sensitivity	المرحلة التي يحمل بها الفرد وعيا كاملا بوجود اختلافات جوهرية بين ثقافته والثقافات الأخرى، ويتميز بكونه غير مصدر للأحكام.	يشعر الفرد بالتعاطف والاهتمام تجاه الاختلافات الثقافية فيحترمها، ويتقبلها ويتعامل معها بسعادة.	ثقافتي ليست أفضل ولا أسوأ من الثقافات الأخرى.

206 المرجع السابق، ص 50

2-جنيفر .ج. ديل و دون برنس ، تنمية القدرة على التكيف الثقافي نقلع الى العربية ، روزان ابراهيم، مكتبة العبيكان، السعودية الطبعة الاولى 2009، ص11و39

208 مبارك الرشيدي واخرون، الحساسية بين –الثقافية كمؤشر لتحديد مستوى الكفاءة بين –الثقافية لدى طلبة الدراسات العليا في كلية التربية .جامعة الكويت.2019 مجلد 19 العدد 02 مجلة التربية .الاسكندرية.مصر.ص23

209 مبارك الرشيدي المرجع السابق. ص23.



2-الهجرة المغاربية ومشكلة بناء مجتمع التعدد الثقافي

يتوزع المهاجرين المغاربة في دول اوروبية بشكل متفاوت ، فالدول الأكثر اقامة لهم باوروبا هي: فرنسا، اسبانيا المانيا ،ايطاليا ،وبلجيكا، وهولندا وغيرها من الدول، فلشبكة المهاجرين المغاربة اصبحت ذات نفوذ بهذه الدول من عدة نواحي، فهي ليست جالية وحسب بل تتميز بتنظيم اجتماعي مشترك القيم الاهداف .فالسمة الثقافية لهذه الدول المغاربية الثلاث جعلت من طبيعة تكوينها الاسري والمدرسي وفضاءات العمل تتلون باوروبا بالطابع المغاربي، فهي تشكيلة مميزة ثقافيا واجتماعيا بالرغم من اشتراكها اللغوي العربي مع بلدان عربية اخرى، هذا جانب مهم من حيث التكوين الديموغرافي والاجتماعي للجماعات المهاجرة باوروبا وهو في ذات الوقت قد يساعد المهاجرين في الصمود امام التحولات والتغيرات وهو ذاته المشكل الذي يعيق من عملية الاندماج الفعلي والتثاقف(التكوين الاثني المنغلق بالمهجر) مع المجتمع الاوروبي الذي يعد اليوم اكثر من ذي امس مفتوح امام ثقافات اوروبية متنوعة وغير اروبية حتى فالنسيج الاجتماعي الاوروبي متعدد الامتدادات الثقافية والعرقية، وطبيعة الاتحاد الاوروبي منشأها من هنا، لكن هذا يبقى قيد الفحص والنقد باستمرار لما يشهده المجتمع الاوروبي من تراجع على مستوى القيم الاوروبية المنفتحة.

يتم تصوير بعض القضايا مثل التعددية على انها افق متعالي على بعض القيم والعادات المختلفة خاصة تلك المنتسبة للثقافة الاسلامية او يتم وضع خطوط متوازية غير متداخلة بين القانون الاسلامي او حقوق الانسان ووضعية المراة. باتي في هذا المثال ما نهت اليه الباحثة الامريكية "جوديث بتلر" والباحثة الهولندية المتخصصة في شؤون المسلمات المغاربية باوروبا(ماري كلير فولبيه) على ان : المواطن الاوروبي قد تمت الاشارة اليه بشكل مجرد على انه حالة متجانسة عابرة للخصوصيات ومثالية الى درجة العالمية ، ان مثل هذه المقارنات التي اصبحت جزء من الخطاب الاوروبي الحالي حول المسلمين تتضمن نوعا من التعددية القائمة على الثنائيات التي تنطوي على الحصانة ضد الاعتراض والتي يتم ضبطها على اسس عقائدية..."[210](.تستخدم في هذا المجال الباحثة "بتلر "عدة امثلة منها :" اخضاع المسلمين المغاربة بقدرتهم على العيش في مجتمع ديموقراطي ، ففي هولندا على سبيل المثال يتعرض المتقدمون للهجرة الى النظر الى صورة رجلين يقبلان بعضهما ويطلب من الملتحقين الادلاء فيما اذا كانت هذه الصورة مهينةاو فهمها بانها تعتبر من الحريات الشخصية"([211]).هذه بعض الامثلة التي تجعلنا نقترب حقيقة من فكرة المجتمع الديمقراطي المتعدد ثقافيا ام انها مجرد وسيلة لاخفاء النعرة المركزية الاوروبية المتعالية، فمشكلة الاعتراف المتبادل هي الحلقة الضائعة في المسالة."ان القانون الاسلامي غالبا ما يتم تصويره على انه في حالة صراع جذري مع القيم الغربية"[212] هذا ما يتم تصويره وترسيخه اعلاميا بشدة وهذه هي شرارة انقسام مجتمع مثل فرنا حول قضية (اسلمة فرنسا او اوروبا) فهذه النزعة او النعرة تخفي روح قومية منغلقة.

تضيف باحثة هولندية(فولبيه) اخر التي تكتب باسهاب عن المراة المسلمة باوروبا:" ففولبيه هي احدى الباحثات اللواتي كرسن منشورات اكاديمية عدة حول النساء المسلمات في اوروبا وعن ضرورة تحريرهن وخصوصا المهاجرات المغربيات اللواتي كما تعرض "فوبليه" يخضعن لاطار قانوني ينتهك حقوقهن(اغلال التمييز ونساء عالقات في شرك كما تدعوهن بين بلدانهم الاصلية والمهجر." ([213])

---

210 نهضة شحادة، تجليات قانون الاسرة الاسلامي في اوروبا.من كتاب روجير هيكوك ادوارد كونت، البحث النقدي في العلوم الاجتماعية مداخلات شرقية وغربية. ترجمة اليز اغزيريان جامعة بيرزيت .2011.الطبعة بيرزيت فلسطين1) ص 205

211 المرجع نفسه،ص207

212 المرجع نفسه، ص 208

213 المرجع نفسه، ص208



تتسم هذه الاتجاهات بالمعيارية ووضع المهاجرين في ثنائية تعسفية بين الامتداد لثقافتهم ام الانصهار الكلي في القيم الاوروبية وقوانينها لكن هذا يجعل مت التعددية والثقافية والقانونية شيء غير قابل للتعايش.

3-المهاجرين المغاربة والتكيف الثقافي

من خلال بعض الابحاث الميداني التي اقوم بها من حيث الاستبيان والمقابلات الميداني مع بعض المبحوثين الذكور من الجزائرين المهاجرين بالمانيا اكتشفت خلال هذه السنوات الاربع الاخيرة انه عملية الاندماج والتثاقف صعبة جدا كما ان تفاصيل التكيف الثقافي من جهة هذه الشريحة المهاجرة بالمجتمع الالماني تجد صعوبة تدفعها احيان الى العودة وهذا له اسباب عدة على راسها الازمة الثقافية.فهنالك حمولة ثقافية لهؤلاء المهاجرين تجعلهم يعانون من صدمات ثقافية فور وصولهم او وقت بدء عمليات الاندماج من حيث اللغة والعمل والزواج وممارسة الحياة اليومية في الفضاء العام، "ففي عام م2016 حدثت اعتداءات جنسية في مدينة كلونيا الالمانية ليلة راس السنة ضد نساء المانيات من طرف شبان عرب من شمال افريقا وجاء على اثرها قرار الترحيل وتجريم هؤلاء المعتدين"[214]. هذا الحدث وغيرهم من تلك الاحداث العنيفة بايطاليا "دهس بالشاحنة لاحمد العمري ببرلين وميلانو" هذا من ناحية المهاجرين ضد الاوروبين وهناك حوادث اخرى التي نشهدها مثل التنمر والعنف اللفظي والجسدي ضد العرب والمسلمين بفرنسا وهولندا ولندن وغيرها من البلادان التي تتدعي قيم الانفتاح :" تاجج الوضع العرقي بهولندا نتيجة دهس هولندية لشاب مغربي.."([215])

لاجل بناء مخطط التكيف الثقافي وجب الاعتماد على منطق عملي صريح يمس الاتجاهات الثلاث: **الاتجاه الاول:طبيعة تكوين الاسرة** والقيم التربوية سواء من حيث السكان الاصلين او المهاجرين وهذا يتطلب الاهتمام كثيرا بالقدرة على تنمية التكيف الثقافي لان جل المعتقدات والاراء والحوارات تتشكل في هذه المؤسسة الاجتماعية الاولى التي تتاثر طبعا بالطبيعة الثقافية والقانونية التكوينية لها اما **الاتجاه الثاني هو المدرسة لان** المهاجرين وابنائهم سوف يتفاعلون ضمن حيز تربوي مدرسي وهي المؤسسة الثانية بعد الاسرة الكفيلة على زرع قيم التكيف والتفاعل الكفء بين مختلف الاطياف ، فالكتاب المدرسي مثلا: اذا كانت به صور وتمثلات مركزة على تمركز عرقي او اثني اقصائي فلا نستطيع بناء هوية المواطنة بالاخص وان هذه الحلقة التفاعلية التي تنتج نوع من العلاقات في الشارع ، **الاتجاه الثالث** ادراك والتميز الفعلي للمهاجرين ان **الفضاء العام** لا علاقة له بممارسة خصوصيتك دون الاخر فهناك حدود فاصلة لضمان الاختلاف والتكيف لكل اشكال التنوع الثقافي المعترف بعا سواء للمهاجرين كلية او اصحاب البلد.فكثيرا ما تصبح الممارسات الدينية التعصبية محتكرة للفضاء العام وهو الامر ذاته في الممارسة السياسية، فالاعتراف بتمايز الفضاء العام والخاص هي الذي يحدد ما هو مشترك وما هو فردي منعزل.

4-الهجرة ككاشف لكفاءة التفاعل الثقافي

نسمع كثيرا عن افكار ومشاريه وبرامج وحوارات ضخمة مثل :التعايش.التسامح.حوار الاديان.المجتمع الديمقراطي.الديمقراطية التشاركية.لكن هذا قد يكون تجليا او تشكلا للثقافة الني يبنى وعليها وهنا يكون العمق والعمل الجبار المنتظر على مستوى الثقافة والمعتقدات والسلوكات اليومية على مستوى الافراد والمجتمع ككل، خاصة حين يكون الامر مثل ظاهر الهجرة هذه الحركة التي لا تلبث في التطور والتجلي والمعاودة على حسب العوامل والاسباب المحركة لها، فالهجرة هي حركة عابرة للحدود الجغرافية والدولية والقومية وهي في الوقت ذاته عمل الاحتكاك بين الثقافات والصور والتمثلات، الى حد الان يبدوا الامر طبيعيا وشي من حاصل التحصيل، الا اننا حين نرى ان ثقافة فرد

214https://www.dw.com/ar/التعرف-على-هوية-ثلاثة-مشتبه-بهم-في-اعتداءات-كولونيا-الجنسية/

المرجع نفسه 215

او جماعة ما تختلف عن الاخرى وقد يصل هذا الاختلاف الى درجة الاقصاء سواء على مستوى النصوص المؤسسة او العقائد، او السلوكيات والافكار يكون الامر اعسر لما يجتمعان بحيز اجتماعي واحد.ان التعصب الديني او التطرف السياسي يتغذيان من اساس ثقافي ، بحيث تكون الثقافة الاسلامية لدى مهاجر مغاربي او باكستاني او سوري لا تتماشى مع القيم الثقافية لدى مجتمع البريطاني او الالماني او الفرنسي

وهذا الاختلاف والتباين غير واضح خاصة لدى المهاجرين الى وقت الدخول في المعيش اليومي والممارسات اليومية للحياة، وهذا العمق الثقافي يتجلى اكثر وقت الزواج بالاجانب وتربية الابناء وممارسة الحياة العامة او السياسية.

تكمن الصعوبة في اننا لم نتمكن بعد من ادراك الاسس العملياتية للثقافة وهي كالاتي :

- ✓ الهجرة عملية تستدعي جهود التداخل الثقافي(الاسرة-المدرسة-المؤسسات الدينية).
- ✓ الهجرة عملية تتكشف من خلالها القنوات البين-ثقافية للتواصل والتماسك والتعايش الثقافي. الفعلي(التعددية القانونية والمواطنة والحق في الاعتراف المتبادل).
- ✓ الهجرة عملية حيوية للتنويع الثقافي للمجتمع الواحد.(التماسك الحيوي).
- ✓ الهجرة عملية شاملة من التفاعلات العبر-ثقافية(الانفتاح.التمايز.التعدد).

هنالك برامج ساعدت كثير من الدول نذكر منها امريكا في بناء الهوية المشتركة(مشروع فرانسيس فوكو ياما) او مجتمع متعدد ([216])(في التقليد الانجلو ساكسوني في بريطانيا وكندا واستراليا وجنوب افريقيا او مجتمع التداخل الثقافي(مشروع فرنسي تربوي بالاساس ([217])

او ذلك المشروع الحديث للمجتمع الصيني الذي تصبح فيه الثقافة رقمية الى حد تصبح فيه هذه التجربة الرقمية محتوية لكل الهويات الثقافية التقليدية وهذا لزال قيد التجريب.

انّ ما يميز هذه الاصطلاحات :التداخل الثقافي/البين –ثقافية/العبر-ثقافية على ان الهوية عملية تاملية وتتكل دوما وهي ليست ثابتة وكلما كانت عملية الهجرة اوسع تصبح عملية التشكل متنامية ومطردة هذا **اولا** ،**وثانيا** تصبح هذه المصطلحات والنظريات والتيارات التي تجاوزت مفهومي التثاقف والاندماج مركزة اكثر على الاعتراف أي **لا غلبة ولا هيمنة ثقافة على اخرى**، واجرائيا ما يعرقل بلوغ هذه المرونة الثقافية بالرغم من العولمة وفكرة الاتحاد الاوربي ،هي ان المهاجرين المغاربة يريدون الدفاع والتقوقع على هوياتهم داخل المجتمع الاوروبي وهذا يظهر في عدة ممارسات بنفس الوقت تتجلى النزعة الاورو-مركزية بقيمها على الهيمنة السياسية الثقافية وهذا وجه الصراع.

ثالثا: الروح القومية العائدة الى اوروبا هي ايضا عامل تاريخي وثقافي وسياسي افشل حتى مشروع الوحدة الاوروبية الاقتصادية فهاهي بريطانيا تتراجع عن انتمائها للوحدة الاوروبية تفضل استقلالها السياسي والاقتصادي صعود تيارات سياسيا يمينية متطرفة ببولندا والمانيا وفرنسا بالخصوص ترفض الاحنبي على ارضها وتريد ترحيل المهاجرين، وهذا ما يكشف هشاشة النسيج الثقافي-الاجتماعي باوروبا لان مشروع المواطنة لم يتحقق بعد ولم يندمج كل المهاجرين فعليا في الحياة السياسية والتاثير فيها.

رابعا هجرة المسلمين الى اوروبا ليست من انتماء ديني موحد بالرغم من ان الدارسين الغربيين يسمون فقط المهاجرين المسلمين وفي الحقيقة المسلميين الاتراك في المانيا ليس هم نفسهم المسلمين المغاربة من حيث التركيبة والبنية

---

216 انظر كتاب :اوديسا التعددية الثقافية لـ ويل كمليكا ترجمة امام عبد الفتاح امام .ج1+ج2 عالم المعرفة الكويت2011"

217 انظر التربية والتداخل الثقافي ل:عبد الله بريتساي ترجمة جورجيت الحداد ، دار عويدات للنشر والتوزيع.بيروت لبنان 2020.



الاجتماعية وحتى السياسية-الدينية.، فالبلدان المغاربية مثل: تونس والجزائر والمغرب تريد عكس تجربتها الدنية ومزجها بثقافتها ومذهبها على الاراضي الاوروبية وهنا يظهر حتى التباين بين المسلمين من الشرق الاوسط والادنى والمغارب، فالأتراك المسلمين في المانيا يختلفون عن المغاربة في شتى المجالات فالمساجد التي تبنى لا تقدم لها المساعادات من تركيا كدولة ومؤسسة رسمية ، والممارسات الدينية التركية للجالية المسلمة اكثر استقلالا عن بلدانهم منا نحن المغاربة. وهذا له اثره في التكيف والتفاعل الثقافي.

خاتمة:

لعبت الهجرة المغاربية دورا بارزا في تاريخ الجالية المغاربية بأوروبا سواء من حيث تنوع اماكن تواجدها بأوروبا او من حيث الممارسات التي سجلتها هذه الجالية منذ الحقبة الاستعمارية والاجيال الاولى من المهاجرين/والمهجرين/واللاجئين، طبعا كل دولة ومجتمع من المغارب مر بتطورات تاريخية وسياسية واقتصادية لعبت السبب في الهجرة نحو اروبا وهذا من حيث المبدأ ساعدة على الاندماج الاولي في مجتمعات أوروبا خاصة المغاربة في فرنسا واسبانيا وايطاليا، لكن هذا الجيل الاول من المهاجرين المغاربة تختلف معطياته عن الجيل الثاني والثالث، الذي شهد مشروع اوروبا الاتحادية ومشروع التعددية السياسية والثقافية والعولمة وتشابك الثقافات فيما بينها ما خلق في الرحلة الاولى للمهاجرين نوعا من الازدواجية الهوياتية، بظهور ابناء المهاجرين وتزايد الكثافة السكانية من المهاجرين المغاربة باوروبا وبروز هويات اسلامية مغاربية بكثرة على ارض المهجر بدات تتعالى اصوات نحو (التحول الكبير لفرنسا) او اصوات مندد ضد بقاء الاجانب(حركة بيغيدا بالمانيا والنازيون الجدد) ورغبة ملحة في ترحليهم(ايريك زيمور والتيار اليميني المتطرف) الى اوطانهم وتعدد الاسباب من اقتصادية واجتماعية وسياسية وبطالة الا ان **الازمة الثقافية** عاودت الظهور بقوة وفشلت اطروحات الاندماج وبدأت رحلة استرسال برامج ما بين-الثقافات، والكفاءة التفاعلية الثقافية ، و الحث على اهمية التنوع الثقافي. وبناء مجتمع التعدد الثقافي لاجل نبذ خطاب الكراهية ونبذ التعصب وممارسات العنف(حادثة اطلاق النار على مسجد في نيوزيلندا 2019)([218]). وتجسيد قيم المواطنة بين ابناء المجتمع الواحد مهما كانت اختلافاتهم وطوائفهم واقلياتهم واثنياتهم. ان وضعية المهاجرين باوروبا عموما سواء كانوا من السوريين او من المغاربة لا تختلف وضعياتهم داخل النسيج الاوروبي لان اوروبا اليوم تتغير بسرعة وهناك عدة عوامل تدخلت لتغير وجه الاتحاد الاوروبي كما ان التماسك المجتمعي هو مسؤولية الجميع وحان الوقت للتكلم عن **هوية وطنية مشتركة** يبنيها جميع الشرائح والطوائف،لان هناك جيل ثالث من ابناء المهاجرين المغاربة باوروبا وهذا كفيل بتبني سياسة هوية تعددية ثقافية، فالتعصب والعنف والتطرف لا يخدم احدا وامر تنوع النسيج الاجتماعي وتعدده اصبح واقعا وحقيقة لا مفر منها وجب التجاوب معها بكل مسؤولية وعقلانية.

---

218 https://www.aljazeera.net/news/international .17-11-2020-



المراجع:

-1www.uopeople.edu.2020.12.05

المرجع نفسه).2-

المرجه نفسه:3-

4-محمد امين عبد الصمد، التنوع الثقافي في مصر، الهيئة المصرية للكتاب .القاهرة ، دون طبعة ، 2015 ص 49.

5-المرجع نفسه ص49

6-المرجع نفسه ص50

7-جنيفر .ج. ديل و دون برنس ، تنمية القدرة على التكيف الثقافي نقلع الى العربية ، روزان ابراهيم، مكتبة العبيكان، السعودية الطبعة الاولى 2009، ص11و39).

8- المرجع نفسه.ص39

9-مبارك الرشيدي واخرون، الحساسية بين –الثقافية كمؤشر لتحديد مستوى الكفاءة بين –الثقافية لدى طلبة الدراسات العليا في كلية التربية .جامعة الكويت.2019 مجلد 19 العدد 02 مجلة التربية .الاسكندرية.مصر.ص23

10-مبارك الرشيدي المرجع السابق. ص23.

11-نهضة شحادة، تجليات قانون الاسرة الاسلامي في اوروبا.من كتاب روجير هيكوك ادوارد كونت، البحث النقدي في العلوم الاجتماعية مداخلات شرقية وغربية. ترجمة اليز اغزيريان جامعة بيرزيت .2011.الطبعة بيرزيت فلسطين1) ص 205

12- روجيه هيكوك واخرون .مرجع سابق. ص.207.

13- روجيه هيكوك واخرون.مرجع نفسه.ص208

14- روجيه هيكوك واخرون.مرجع نفسه.ص208

15- ويل كمليكا اوديسا التعددية الثقافية ترجمة امام عبد الفتاح امام .ج1+ج2 عالم المعرفة الكويت.د.ط2011

16- عبد الله بريتساي.التربية والتداخل الثقافي ترجمة : دار عويدات للنشر والتوزيع. د.ط.بيروت لبنان 2002.

https://www.aljazeera.net/news/international-17

/التعرف-على-هوية-ثلاثة-مشتبه-بهم-في-اعتداءات-كولونيا-الجنسية/https://www.dw.com/ar-18



التكيف الثقافي والتعايش المشترك بين المالكية والأحناف في مجال التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني

Cultural Adaptation And Coexistence Between The Maliki And The Hanafi Muslims In The Educational Field During The Ottoman Period In Algeria

د. عبد الحفيظ موسم ،أستاذ محاضر"أ" ، جامعة سعيدة (الجزائر)

dr.moussem@gmail.com

abdelhafid.moussem@univ-saida.dz

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع التكيف الثقافي والتعايش المشترك بين المالكية والأحناف في مجال التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، كتجربة تاريخية واقعية لترسيخ قيم التنوع الثقافي في نطاق قبول ثقافة الآخر والإقرار بتعدد الثقافات بالمجتمع العربي، وتحديدا في الجزائر على عهد العثمانيين. فكما هو معلوم أن المذهب المالكي هو المذهب الفقهي الذي ظل سائدا في الجزائر إلى غاية بداية أمر العثمانيين فيها، هؤلاء الذين استقدموا معهم المذهب الحنفي الذي أصبح يحمل صفة مذهب السلطة الرسمية في إيالة الجزائر طيلة فترة التواجد العثماني، دون أن يتعرض المذهب المالكي للتهميش أو المضايقة من طرف العثمانيين، بل العكس من ذلك، فقد بقي سكان الجزائر الأصليين على مذهبهم المالكي في معاملاتهم اليومية والفقهية والاجتماعية، وهو ما انعكس على واقع التعليم الذي غلب عليه طابع التكيف الثقافي والتعايش الودي بين المالكية والأحناف؛ بعيدا عن التعصب والخطاب المكروه.

الكلمات المفتاحية: التكيف الثقافي، التعايش المشترك، المالكية، الحنفية، الجزائر، العهد العثماني.

Abstract:

This study addresses cultural adaptation and coexistence’s topic between the Maliki and the Hanafi Muslims in the educational field during the Ottoman period In Algeria. It was a real historical experience to consolidate the values of cultural diversity within the context of Arabic multiculturalism acceptance and tolerance. As known, the Maliki is the doctrine that prevailed in Algeria until the beginning of the Ottomans, those who brought the Hanafi doctrine that became the official ruling doctrine in Algeria’s Eyalet throughout the Ottoman period. Hence, Algeria's indigenous people remained on their Malki doctrine in their daily, doctrinal, and social dealings without being marginalized or harassed by the Ottomans. Moreover, this was reflected in the reality of education, which had been characterized by cultural adaptability and friendly coexistence between the Maliki and the Hanafi Muslims, far from intolerance and hate speech.

Keywords: Cultural Adaptation, Coexistence, The Maliki, The Hanafi, Algeria, Ottoman Period.



مقدمة:

عرفت الجزائر على إثر خضوعها لحكم العثمانيين لمدة تزيد عن ثلاثة قرون (1519- 1830) تغيرات ومستجدات عديدة؛ انعكست آثارها بصورة واضحة على واقع المجتمع الجزائري. فكما هو معلوم أن العثمانيين استقدموا معهم المذهب الحنفي الذي كانوا قد اتخذوه مذهبا رسميا لهم، ليصبح بذلك مذهبهم هو مذهب السلطة الرسمية في إيالة الجزائر، دون مضايقة أتباع المذهب المالكي من سكانها الأصليين.

وأمام هذا الوضع أصبح المجتمع الجزائري مُلزما بالتكيف مع هذا التحول، الذي أضحت آثاره حتمية على مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية كالتعليم؛ الذي جمعت مؤسساته وهياكله بين مُدرسين وفقهاء عن المذهبين، وبمنهج تدريس يشتمل على فقه المالكية والأحناف، مع ترك الحرية التامة للأفراد في التعلم وفق أحكام المذهب الذي يختارونه. وهو ما انعكس إيجابا على واقع المجتمع الجزائري، من خلال بروز نوع من التفاهم والتعايش الودي بين أتباع المذهبين في مجال التعليم، خاصة بعدما أصبحت ثقافة الجزائريين من المالكية في تواصل واحتكاك مستمر مع ثقافات العثمانيين الأحناف.

ولأجل توضيح ملامح هذا التكيف الثقافي بين أتباع المذهبين في مجال التعليم، ارتأينا المشاركة في هذه التظاهرة العلمية القيمة بدراسة عنوانها: التكيف الثقافي والتعايش المشترك بين المالكية والأحناف في مجال التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، وهي الدراسة التي تهدف إلى الكشف عن تجربة تاريخية واقعية للتواصل والاحترام المتبادل بين الجزائريين والعثمانيين في مجال التعليم؛ من منطلق تقبل ثقافة الآخر لتجسيد واقع مسالم بعيدا عن خطاب التعصب والكراهية. وسنحاول من خلالها الإجابة على التساؤلات التالية: كيف كان الواقع العام للتعليم في الجزائر على عهد العثمانيين؟، ما هو السيّاق التاريخي للمالكية والأحناف بالجزائر العثمانية؟، وكيف كانت انعكاساته على واقع التكيّف والتعايش بين المذهبين؟، فيما تمثلت ملامح ومظاهر التكيف الثقافي والتعايش المشترك بين المالكية والأحناف في مجال التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني؟.

1- تحديد المفاهيم الأساسية المتعلقة بالدراسة:

1- تحتوي هذه الدراسة على مجموعة من المفاهيم ذات الأهمية الكبرى والمكانة المتميزة في بناء مضمون الإشكالية ومعالجته، إذ أن تحديدها بدقة يُسهل علينا مهمة البحث وتوجيه فائدته بطريقة جيدة للمتلقي. ومن أهمها:

1-1- التكيف الثقافي: هو تكييف عنصر ثقافي مع عناصر ثقافية أخرى أو مركب ثقافي آخر، ضمن عملية مستمرة يحاول من خلالها الفرد أو الجماعة مواجهة المستجدات المحيطة بهم لأجل متابعة الحياة، بحيث تنشأ لديهم مجموعة من الخصائص التي تجعلهم أكثر استعدادا للتلاؤم مع الظروف المحيطة بهم[219]. وهو يدل في معناه الإجرائي على تبادل الثقافات الرئيسية أو فروعها ضمن عمليات تفاعلية بين الأفراد والجماعات؛ تحاوراً وتعارفاً وتلاقحاً، لأجل تحقيق التوازن في العلاقات الاجتماعية، بما يُعزز تماسك المجتمع ووحدته، ويُساعد على تقارب المجتمعات المتشابهة في أصولها الثقافية وتعايشها[220].

1-2- التعايش المشترك: التعايش أمر إنساني صرف يقود إلى التعامل مع الغير ببعدٍ إنساني؛ بعيدا عن التعصب أو تصنيف الناس حسب الدين أو الجنس أو اللون أو غيرها من التصنيفات والتحيزات. وهو يدل في جوهره على إبراز

---

[219] - محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، ط 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 51.

[220] - طلعت مصطفى السروجي، السياسة الاجتماعية في إطار المتغيرات العالمية الجديدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص 193.

مظاهر السلم والأمان للآخر المختلف مع الاعتقاد بحقوقه في ذلك يقينا، والنظر إلى كونه إنسانا وليس كونه عدوا مغايرا في العقيدة أو المذهب؛ فتحل دماؤه وتُستباح أعراضه وممتلكاته[221]. ويُستخدم مصطلح التعايش المشترك للدلالة على العيش المتبادل مع الآخرين؛ القائم على المسالمة والمهادنة ونبذ الاضطهاد والعنف والصراع. وغالبا ما يتم التعبير عن العيش والتعايش بعدة مصطلحات كالتسامح، التقارب، التساكن، التعاون، التكافل، التجانس...[222].

1-3- تعريف المذهب المالكي: المذهب المالكي، هو كل ما اختص به الإمام مالك بن أنس بن مالك[223] رحمه الله؛ من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وهو أيضا ما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجاج المثبتة لها[224]. وهو أيضا كل ما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية؛ التي بذل وُسعه في تحصيلها[225]، أو كل ما قاله هو وأصحابه على طريقته ونُسب إليه مذهبا، لكنه يجري على قواعده وأصوله التي بنى عليها مذهبه، وليس المراد ما ذهب إليه وحده دون غيره من أهل مذهبه[226]. وبعبارة مختصرة يمكن أن نعرف المذهب المالكي على أنه الاتجاه الذي سلكه الإمام مالك ومن تبعه في التشريع[227]، والذي يستقي أصوله من شيوخ المدينة المنورة وكبار محدثيها؛ أمثال ابن شهاب الزهري، نافع مولى ابن عمر، هشام بن عروة بن الزبير[228].

1-4- تعريف المذهب الحنفي: المذهب الحنفي هو عبارة عن آراء الإمام أبي حنيفة النعمان[229]، وأصحابه المجتهدين في المسائل الاجتهادية الفرعية، وتخريجات كبار العلماء من أتباعهم، بناء على قواعدهم وأصولهم، أو قياسا على مسائلهم وفروعهم[230]. وقد ظهر هذا المذهب في البداية بمسقط رأس الإمام أبي حنيفة في الكوفة، وما حولها في بلاد العراق من

---

221 - محمود كيشانة، أن نتعايش، مجلة دوات، العدد 58، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2019، ص 106.

222 - عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، مجلة الإيسيسكو، العدد 12، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 2018، ص 27.

223- هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي اليمني، ولد سنة 712م، وتوفي عام 795م؛ أي أنه عاش ما يزيد عن الثمانين سنة؛ من عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد. وقد أمضى منها حوالي سبعين سنة في التدريس. وهو ثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. أنظر: محمد أبو زهرة، مالك: حياته وعصره. آراؤه وفقهه، ط04 ، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، 2002، ص ص 16. 17 .

224 - شهاب الدين القرافي، الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، عناية عبد الفتاح أبو غدة، ط 02، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص 195.

225 - أحمد الدردير وأحمد الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 13.

226 - كمال العوفي، المدرسة المالكية القيروانية (سماتها وأعلامها)، ورقة بحث مقدمة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني حول مذهب إمام دار الهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، 21. 22. 23 جوان 2012، ص 62. (عمل غير منشور).

227 - الصحبي بن منصور، الموجز في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية التونسية، تقديم الأستاذ الدكتور محمد الشتيوي، منشورات المعهد العالي للخطابة والإرشاد الديني بالقيروان، تونس، 2018، ص 63.

228 - محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكلم الطيب للطباعة والنشر، دمشق، 1995، ص 108 .

229 - هو أبو حنيفة، واسمه النعمان بن ثابت مولى لبني تيم الله بن ثعلبة، من بكر بن وائل، ولد سنة 699م، توفي عام 767م؛ وعاصر بذلك الدولتين الأموية والعباسية. نشأ في الكوفة واشتغل أول أمره بالتجارة، ثم اتجه إلى طلب العلم حتى أصبح أحد الأئمة الأعلام وفقيه أهل العراق، فعُد من الأئمة المجتهدين، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي. أنظر: أبو عبد الله المقدسي، مناقب الأئمة الأربعة، تحقيق سليمان مسلم الحرش، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1995، ص ص 58 . 59.

230 - أحمد بن محمد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي (مراحله وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته)، ج 01، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 2001، ص 39 .



البصرة وبغداد. ويعود سبب انتشار المذهب الحنفي في تلك البلاد؛ إلى اهتمام الدولة العباسية –التي كانت عاصمتها بغداد- عليه كمذهب رسمي، فليس أدل على هذا من أن القضاة كانوا من الحنفية؛ وعلى رأسهم أبو يوسف الذي جعله الخليفة هارون الرشيد في منصب قاضي القضاة[231]؛ إذ يقول ابن حزم في هذا الشأن: «مذهبان انتشرا -في بدء أمرهما- بالرياسة والسلطان؛ مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه، والمذهب الآخر هو المذهب المالكي»[232].

1-5- **تعريف العثمانيين:** هم من الأتراك، ينتسبون إلى الجنس الأصفر أو الجنس المغولي، موطنهم الأول آسيا الصغرى؛ في البوادي الواقعة بين جبال آلطاي شرقا وبحر قزوين في الغرب. ويعود أول كيان سياسي لهم إلى دولة "السقه" (القرن 07 – 03 ق م) التي بسطت نفوذها على إيران وأوروبا الشرقية والبلقان؛ لتستقر أخيرا في الأناضول[233]. وتتكون الشعوب التركية من عدة قبائل أهمها: التتار، الكازاخ، القرقيز، التركمان، الأويغور، الأوزبك، الهون، البلغار، القبجاق، الآفار.... وقد اعتنق الأتراك الإسلام زمن الدولة الأموية في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (705- 715م)[234]. وإليهم يرجع الفضل في تأسيس الدولة العثمانية التي نُسب اسمها لمؤسسها عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه التركماني، هذه الدولة التي شهدت توسعات كبيرة إلى أن أصبحت إمبراطورية قوية، خاصة بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة 1453[235].

2- أضواء عن الواقع العام للتعليم في الجزائر خلال العهد العثماني:

إن قراءة متأنية في واقع التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، تجعلنا نُقرّ بمدى انتشار النشاط التعليمي الذي غطى كل المناطق تقريبا بما في ذلك القرى والمداشر[236]. فعلى الرغم من عدم وُجود سيّاسة واضحة للحكومة العثمانية في مجال التعليم بالجزائر، إلاّ أن التعليم قد عرف انتشاراً وازدهاراً واسعين وسط الجزائريين على عهد العثمانيين[237].

ولعلّ ما يلفت انتباه الدارسين لواقع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني أيضاً، هو أنّ التعليم لم يكن نظامياً معتمداً من طرف الحكومة، فرغم كون الأتراك قد عمّروا بالجزائر لمدّة زمنية تزيد عن ثلاثة قرون، أقاموا خلالها الكثير من التنظيمات السيّاسية والمالية والعسكرية التي عادت عليهم بالفائدة، إلاّ أنهم لم يلتفتوا إلى التعليم؛ أي أنهم لم يكن لهم أي دخل أو إشراف عليه[238]، بدليل أنه لم تكن توجد على عهدهم أي مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم مثل

---

231 - أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين، ط 01، دار القادري للنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص 50.

232 - شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 02، ط 01، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص 06.

233 - يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية. السياسي والحضاري والاجتماعي، ج 01، ط 01، ترجمة: عدنان محمود سليمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ص 18.

234 - عبد العليم رضوان طه، في جغرافية العالم الإسلامي، ط 01، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص 124.

235 - محمود شاكر شاكر الحرستاني أبو أسامة، التاريخ الإسلامي، ج 08، ط 04، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 61.

236 - عبد الحميد آيت حبوش، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، دورية كان التاريخية، العدد 37، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، سبتمبر 2018، ص 26.

237 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، ط 03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990، ص 159.

238 - صبيحة بخوش، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 01، العدد 02، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، جانفي 2018، ص 135.



المؤسسات المعروفة حالياً كالوزارة أو المديرية أو غيرها من المؤسسات الحكومية الأخرى التي تختص بالشأن الثقافي والتربوي؛ من حيث تأسيس المدارس، وتحضير المدرسين، وتنظيم التّلاميذ، ووضع البرامج الدراسية لذلك[239].

فكما هو معلوم أن هموم الدولة أي حكومة الأتراك بالجزائر، كانت منحصرة حينذاك في المحافظة على الاستقرار السيّاسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال (الخزينة)، وهي الضرائب التي كانت تُنفق على الجند والتجهيزات العسكرية وتبادل الهدايا مع الباب العالي والحرمين الشريفين، دون إيلاء الأهمية لشؤون المجتمع التربوية كنشر التعليم وترقيته، إذ لم يكن أمر التعليم يعنيها سواءً انتشر أو تقلص، مع العلم أن ما يحفظ للأتراك كحكومة هو أنه وإن لم يشجعوا على التعليم فإنهم لم يعرقلوه[240].

إن هذا الوضع هو الذي جعل غالبية الدراسات التي أرّخت للمشهد الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني، تؤكد على عدم تدخل السلطة العثمانية في شؤون التعليم، وهذا إذا ما استثنينا من حكمها تلك المساهمات الفردية الخاصة بنشر التعليم، التي كان يقوم بها بعض البايات في إطار الأعمال الخيرية، مثل الباي محمد الكبير وصالح باي بصفتهم كأفراد وليس كمسئولين أو حكام[241].

وبناءً على ما سبق يمكن القول أن الجزائر قد عرفت على عهد العثمانيين وضعاً تعليمياً خاصا غلب عليه الطابع الذاتي الحر[242]. فعلى الرغم من عدم وُجود سيّاسة رسمية واضحة لحكومة الأتراك في مجال التعليم، إلاّ أن التعليم قد عرف انتشاراً واسعاً؛ بسبب المبادرات الفردية وجُهود المؤسسات الخيرية التي ارتقت إلى مستوى الظاهرة[243]، إذ لا نكاد نجد قرية أو حي يخلو من مدرسة قرآنية، كما كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن الكريم والحديث والعلوم العربية والإسلامية؛ لأن دراسة مثل هذه العلوم هي السبيل الأمثل لمعرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة، حيث كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانوياً أو عالياً[244].

ومما لا شك فيه أن هذا البعد الشعبي في الاهتمام بالنشاط التعليمي، قد انعكس إيجاباً على الواقع الثقافي للجزائريين خلال العهد العثماني، حيث تراجعت نسبة الأمية بشكلٍ ملفتٍ للنظر، كما شاعت الثقافة الموسوعية وحفظ القرآن الكريم وسط الجزائريين[245]. وهو المشهد الذي وقف عليه وأشاد به الكثير من الباحثين؛ من أمثال الكاتبة ايفون توران التي تحدثت عن واقع التعليم في الجزائر على عهد العثمانيين قائلة: "إن التعليم الابتدائي كان كثير الانتشار بالجزائر، أكثر مما نعتقد عادة، وإن الذكور يحسنون القراءة والكتابة، ويستطيعون تأدية صلواتهم وقراءة بعض الصوّر القرآنية...، لقد كانت لكلّ القبائل وكل الأحياء الحضرية تقريباً مدارس بمعلميها..."[246].

---

239 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998، ص 313.

240 - عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 109.

241 - بوفلجة غياث، التربية والتكوين في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 22.

242 - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسيّاسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص 90.

243 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 314.

244 - صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، العدد 11، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، جوان 2018، الجزائر، ص 129.

245 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 94.

246 -Yvonne Turin, Affrontements culturels dans L'Algérie coloniale, SNED, Alger, 1983, p 127.



وبخصوص ممارسة التعليم في الجزائر على عهد العثمانيين، فإنها كانت تتم في المدارس، التي كان يتم تأسيسها بمجهود شخصي وبمبادرة من الأفراد، إذ تدلنا الكتابات التاريخية على الاهتمام الكبير للمحسنين بإنشاء المدارس، علماً أن هذه المدارس كانت تموّل بالأوقاف التي يحبسها أصحاب النفوس الخيرة التي ترجو الخير وتسعى إلى وهب عقاراتها لبنائها[247]. وللإشارة فقد أُطلق توصيف المدرسة على كل المؤسسات ذات الطابع الديني من مساجد وزوايا وكتاب، وهذا بحكم اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم، حيث كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، كما كانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد، وكثيراً ما نصت الأوقاف على تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في الوقت نفسه، لذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات؛ مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء على الدين، وتلعب فيه المساجد والزوايا الدور الرئيسي[248].

أمّا عن طبيعة التعليم الذي كان سائداً في الجزائر خلال العهد العثماني، فهو التعليم العربي الإسلامي، الذي يقوم أساساً على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية، مع قليل من الدراسات العلمية[249]. وقد شمل التعليم في أطواره الرئيسية كلاّ من التعليم الابتدائي لمدة زمنية تقدر بحوالي أربع سنوات، يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة مع حفظ القرآن الكريم وأركان الإسلام وشعائر الدين[250]، وكذا الطور الثانوي الذي كان يتلقى خلاله التلاميذ بنوع من الشرح والتحليل؛ معرفة علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وبعض العلوم العملية كالحساب وعلم الفلك، هذا فضلاً على علمي التاريخ والجغرافيا وعلم التوحيد والمنطق والفلسفة وقواعد اللغة والبلاغة[251].

وعن التعليم العالي، فإن ما يمكن تسجيله عنه هو خلو الجزائر العثمانية من مؤسساته[252]، فعلى الرغم من كون الرحالة الفرنسي "فانتور دي بارادي" قد تحدث في القرن الثامن عشر ميلادي عن وُجود ثلاثة جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر لوحدها[253]، إلاّ أن الواقع هو أنه لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه اليوم، ومع ذلك فإن دروس جوامعها الكبرى، كانت تُضاهي دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين؛ لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[254].

3- السيّاق التاريخي للمالكية والأحناف بالجزائر العثمانية وانعكاساته على واقع التكيّف والتعايش بين المذهبين:

247 - فاطمة دخية، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014 – 2015، ص 21.

248 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 279.

249 - أحمد حريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 13.

250 - صليحة بردي، المرجع السابق، ص 129.

251 - صبيحة بخوش، المرجع السابق، ص 143.

252 - عمار عمورة، المرجع السابق، ص 127.

253 -Venture de Paradis, Alger au 18 eme siècle, 2 ème édition, Edition Bouslama, Tunis, (S.D), P 158.

254 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 273.



لقد تبنى المجتمع الجزائري المرجعية الفقهية المالكية عن قناعة، واختارها كمنهجٍ لفهم الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها، بما يضمن وحدة الجزائريين الروحية والعقائدية طيلة قرون من الزمن[255]. والحقيقة أن الجذور التاريخية للمالكية في الجزائر تعود في أصلها إلى حاضرة القيروان بتونس، التي سبقت بلاد الأندلس والمغرب في تبني المذهب المالكي من حيث التدريس والتأليف[256]، خاصة بعدما استقر بها تلميذ "الإمام مالك" أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي؛ الذي يرجع إليه الفضل في المجيء بكتاب "الموطأ" إلى بلاد إفريقية. إذ بقي فيها منشغلاً بالتدريس وإفادة طلبة العلم من خلال "موطأ الإمام مالك" والجامع الكبير لسفيان الثوري[257]، مما جعل الجزائريين يفضلون الارتحال نحو تونس لطلب الفقه المالكي من أقطاب مدرسة القيروان، والرجوع فيما بعد لنشر كتب المذهب في محاضر الجزائر ومدارسها[258].

كما ساعدت الرحلات العلمية للجزائريين نحو الحجاز والمدينة المنورة، والأخذ عن علمائها وعن شيخهم وإمامهم آنذاك الإمام "مالك بن أنس" على انتشار المذهب المالكي بالجزائر، هذا فضلاً على رغبة الحكام في نشر المذهب والتمكين له باعتبار القواسم المشتركة بين أهل الحجاز والجزائر، والمتمثلة أساساً في التشبث بتقاليد العرب وعدم اندماجهم في الحضارة الوافدة عليهم[259].

أما بخصوص المذهب الحنفي فإن انتشاره بالجزائر على عهد العثمانيين، لا يعني في حقيقته أن العثمانيين هم من كان لهم السبق في إدخال المذهب الحنفي إلى الجزائر، بل أن تاريخ ذلك يعود إلى قرون عدّة في بداية الخلافة العباسيّة؛ حيث بدأ المذهب ينتشر في شرق الجزائر وتونس على أيدي ممثلي الخلافة وولاة بني الأغلب بداية من سنة 800 م. وكان أوّل من أظهر المذهب الحنفي وعمل على نشره هو أبو محمد عبد الله بن عمر بن فروخ الفارسي، الذي كان من أبرز شيوخ إفريقية؛ التي كانت تضم آنذاك الجزء الشرقي من المغرب الأوسط (الجزائر)، ليستمر بذلك وُجود المذهب الحنفي إلى جانب المذهبين المالكي والإباضي لغاية القرن الحادي عشر ميلادي، حيث انقطع وُجوده، وبقي المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للجزائر ودول الجوار إلى غاية بداية أمر العثمانيين فيها[260].

وخلال العهد العثماني فإن المتتبع لمسار الحركة الفقهية في الجزائر، سوف يتضح له أن الجزائر قد عرفت مذهبين في الفقه الإسلامي، هما المذهب المالكي والمذهب الحنفي. فكما هو معلوم أن انضواء الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية، قد سمح بعودة المذهب الحنفي إلى الصدارة السّياسية فيها بعد غياب دام قرون طويلة، غير أن ذلك لا يعني أبداً أن المذهب المالكي قد تعرض للتهميش أو المضايقة من طرف العثمانيين. فالإدارة العثمانية لم تفرض المذهب الحنفي على بقية السكان على حساب المذهب المالكي، بل العكس من ذلك، فقد بقي السكان الأصليون على مذهبهم المالكي في

---

[255] - نور الدين بوكرديد، المذهب المالكي في الجزائر: واقعه وآفاق ترقيته وتقنينه، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد 36، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، نوفمبر 2014، ص 487.

[256] - الصحبي بن منصور، المرجع السابق، ص 76.

[257] - صالح بوبشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 01، العدد 01، مخبر التربية بجامعة الجزائر، الجزائر، 2008، ص 145.

[258] - رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية من البدايات: النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي، ط 03، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص 107.

[259] - عياض القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هشام، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 157.

[260] - صالح بوبشيش، المرجع السابق، ص 154.





معاملاتهم اليومية والفقهية والاجتماعية[261]. إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن السّياق التاريخي لمسار الحركة الفقهية قد غلب عليه طابع الازدواجية بين المالكية والأحناف في الجزائر أثناء العهد العثماني، وهو ما ساعد على ترسيخ أواصل التكيف والتعايش الودي بين المذهبين على أكثر من صعيد.

ففي مجال القضاء برز التكيف واضحاً على مستوى المؤسسات والهياكل القضائية التي أصبحت تتصف في مجملها بالازدواجية والثنائية بين الأحناف والمالكية[262] من خلال الجمع بين ممثلي المذهبين ضمن الهيئة العلمية للمجلس العلمي الكبير الذي كان يعتبر بمثابة المحكمة العليا في الجزائر خلال العهد العثماني، وكذا وُجود قاضيين ومفتيين من مذهبين مختلفين ضمن أجهزة القضاء[263]، هذا فضلاً على تنوع المحاكم في المدن الكبرى، إذ توجد محاكم مالكية وأخرى حنفية[264]، مع ترك الحرية التامة لأفراد المجتمع في التقاضي بحسب المذهب الذي يختارونه دون تدخل السلطة الحاكمة في ذلك[265].

وفي مجال الأوقاف فإن المحبس في إيّالة الجزائر كانت له الحرية التامة في اختيار إحدى المدرستين؛ الحنفية أو المالكية عند رغبته في وقف أملاكه[266]، إذ نجد الكثير من الجزائريين يفضلون حبس ممتلكاتهم تبعاً لأحكام المذهب الحنفي، الذي أقر عدّة تسهيلات في هذا المجال باعتبار أنه كان يسمح بجواز انتفاع الواقف وعقبه بما حبسه من وقف، بحيث لا يعود الوقف إلى الغاية التي حُبس من أجلها إلاّ بعد انقراض الورثة أو الأعقاب المنصوص عليهم في وثيقة الوقف[267]. وفي مقابل ذلك فإننا نجد أيضاً أن الكثير من الواقفين الحنفيين قد جعلوا منفعة أملاكهم الموقوفة مشتركة مع أتباع المذهب المالكي، من ذلك مثلاً وقف السيّد مصطفى خوجة بن حسن التركي الذي حبس جزء من ممتلكاته على أولاده وكذا أئمة المذهب الحنفي وقراء القرآن الكريم بالجامع الأعظم، مع صرف جزء منها على ترميم الجامع الأعظم وهو جامع مالكي، رغم كون الواقف من أتباع المذهب الحنفي[268].

وإذا كان المجال لا يسعنا في هذه الدراسة لعرض كل الميادين التي تميزت بالثنائية في مسارها بين المالكية والأحناف، فإنه يمكننا القول، أن هذا الواقع الفقهي قد ساهم وبصفة فعالة في دعم عُرف التواصل والتعايش السلمي بين أتباع المذهبين طيلة فترة التواجد العثماني بالجزائر.

4- مظاهر التكيف الثقافي والتعايش المشترك بين المذهبين في مجال التعليم بالجزائر العثمانية:

لقد تأثر التعليم بواقع الثنائية والازدواجية الذي شهدته الحركة الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث طغى عليه طابع التكيف والتنوع الثقافي بين ما هو مالكي وما هو حنفي؛ كتجربة ميدانية حقيقية للتعايش المشترك

---

[261] - عبد الحفيظ موسم، المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني: قراءة في مظاهر التعايش السلمي بين المذهبين، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 178، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2020، ص 257.

[262] - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ – العهد العثماني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 22.

[263] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 258.

[264] -Shuval Tal, La ville d’Alger vers la fin du 18 siècle, CNRS, Paris, 1998, p 191.

[265] -Venture de paradis, Op.cit,p 260.

[266] - وافية نفطي، التعايش المذهبي بالجزائر العثمانية، مؤسسة الوقف أنموذجا (التحبيس على المذهب الحنفي)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 05، العدد 03، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سبتمبر 2016، ص 345.

[267] - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 150.

[268] - الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة رقم: 18 – 02، الوثيقة: 13.



ودّيا بين إتباع المذهبين، بعيداً عن التعصب الديني والخطاب المكروه[269]. فعلى الرغم من الدور الكبير الذي لعبه العثمانيون، لأجل دعم حضور المذهب الحنفي في الحياة العلمية تدريساً وتصنيفاً وتشريعاً، إلاّ أن الانتصار للمذهب المالكي قد ظل هو الآخر قائماً على المستوى العلمي للجزائريين طيلة فترة الحكم العثماني[270]. وهو ما يدل على وُجود نوع من التكيف والانسجام بين المذهبين في مجال التعليم. ويمكن الوقوف على ملامح هذا التكيف من خلال النقاط التالية:

- احتفاظ الجزائر العثمانية بمكانة فقهاءها المالكيين، واستمرار غالبية سكانها على المذهب المالكي باعتبار أن السلطة الجديدة (العثمانية) لم تفرض مذهبها بالقوة على الجزائريين[271].

- دعم السلطات العثمانية التي كانت تُقر بالمذهب الحنفي كمذهب رسمي لها في الجزائر، لنشاط وجُهود المدرسة المالكية تدريساً وتصنيفاً وقضاءً وفتيا؛ لتعم بذلك مختلف مناطق البلاد. فلم يثبت على العثمانيين أنهم ضيقوا عن نشاطات المالكية، بل العكس من ذلك فقد سعوا إلى توطيد علاقات التكيف معهم في نطاق قبول ثقافة الآخر، من خلال الإصرار على تواجد ممثلين عن المذهب المالكي إلى جانب نظرائهم من المذهب الحنفي في عدة مؤسسات دينية، ذات الصبغة التعليمية أو التشريعية في الجزائر خلال العهد العثماني[272]. ولعل من أبرز الأمثلة عن المؤسسات التعليمية التي ضمن هيئاتها العلمية علماء وفقهاء من المذهبين، كدليل على التعايش والتآخي القائم بينهم في مجال التعليم والتدريس نذكر: الجامع الكبير أو الأعظم (مالكي)، مسجد الأحناف المعروف باسم خيضر باشا، مسجد الجامع الجديد الحنفي...[273].

- اهتمام رجالات السلطة من الأتراك الأحناف بعلماء وفقهاء المذهب المالكي، كدليل على روح التآخي والتعايش فيما بينهم، وفي هذا السياق أشارت العديد من الدراسات والكتابات التاريخية إلى المكانة المميزة التي حُظي بها عدد كبير من فقهاء المالكية لدى بعض الحكام العثمانيين؛ من ذلك مثلاً الفقيه أحمد بن هطال التلمساني الذي شغل منصب مستشار الباي محمد الكبير وكاتبه الخاص ومبعوثه في المهام الخارجية[274]، وأبو راس الناصري الذي كان قد عينه الباي الكبير مفتيا وقاضيا بمدينة معسكر[275]. كما تمتع كل من الفقيهين المالكيين أحمد البوني ومحمد بن ميمون الجزائري بسمعةٍ عالية ودينية عند الباشا محمد بكداش (1706- 1710)[276]. هذا الأخير الذي اشتهر بتقريب كثير من علماء

---

[269] - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ...، المرجع السابق، ص 157.

[270] - عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 269.

[271] - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510 – 1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 72.

[272] - عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، ط02، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 106.

[273] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 256.

[274] - محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 03، العدد 02، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، جوان 2018، ص 571.

[275] - يحيى بوعزيز، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 53- 54، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1989، ص 245.

[276] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 413.



المالكية ومنحهم الهدايا والعطايا مقارنة بسابقيه على حسب رواية الفقيه والعالم المالكي محمد بن ميمون الجزائري[277]. هذا فضلاً على الاحترام الواسع الذي كان يتمتع به فقهاء وعلماء أسرة الفكون المالكية من قبل العثمانيين[278].

- عناية الحكام الأتراك- بصفتهم كأفراد- الذين كانوا ينتمون للمذهب الحنفي ببناء المساجد والمدارس المالكية، وهو ما يعكس بعمق صدق نيتهم في ترسيخ قيم التنوع الثقافي بمجتمع إيّالة الجزائر، ويمكن الإستشهاد على ذلك بالمدرسة المحمدية التي أسّسها الباي محمد بن عثمان الكبير بمعسكر سنة 1781، والتي اختصت في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد إلى جانب علوم اللغة العربية، رغم كون مؤسسها حنفي المذهب[279].

- اهتمام المدارس الكبرى المتواجدة في العاصمة على غرار مدرسة القشاشية، مدرسة الأندلسيين، مدرسة شيخ البلد بإلقاء الدروس على شكل حلقات من قبل أساتذة ومدرّسين من المذهبين، ومنهج تدريس يشتمل على الفقه الحنفي والمالكي، وهو ما عزّز دعائم التواصل والترابط الثقافي بين المالكية والأحناف في مجال التعليم[280].

- ابتعاد علماء وفقهاء المذهبين عن التعصب في المجال العلمي بينهم، إذ لم يكن علماء المذهب المالكي متعصبين ضدّ علماء المذهب الحنفي، بل العكس من ذلك فقد اعتبر علماء المالكية وفقهاؤها المذهب الحنفي مذهباً سنياً يتفق مع منهجهم في العمل بالكتاب والسنة والإجماع والرأي[281]، لدرجة أن بعض علماء المالكية كانوا يُصدرون في تدريسهم وفتواهم عن روح متحرّرة من التعصّب للفروع المذهبية الأخرى، على غرار المذهب الحنفي دون خروجهم عن القواعد العامة للمذهب المالكي، كما هو الحال بالنسبة إلى كل من أحمد بن عمار ويحيى الشاوش وأحمد المقري وعبد الكريم الفكون[282]. ونفس الأمر كذلك بالنسبة إلى علماء وفقهاء المذهب الحنفي، فقد أشارت العديد من الكتابات التاريخية إلى تحرّرهم من التعصب ضدّ فقهاء المالكية وعلمائها بالجزائر العثمانية، وصوّرت لنا بعض ملامح التعايش القائمة بينهم من خلال الإشارة إلى علاقة التواصل العلمي التي تجمعهم. ولعل من أبرز الأمثلة عن ذلك مصطفى بن رمضان العنابي الذي كان كثير التنقل إلى مدينة الجزائر للأخذ عن شيوخ الحنفية بها، وعن شيخ المالكية ابن شقرون التلمساني[283].

خاتمة:

يمكننا القول في خاتمة هذه الدراسة أنّ التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني قد غلب عليه طابع التكيف الثقافي والتعايش ودّيا بين أتباع المذهبين المالكي والحنفي، فعلى الرغم من كون المذهب الحنفي مذهباً رسميّاً للسلطة في إيّالة الجزائر، إلاّ أن هذا لا يعني أبداً أن العثمانيين قد مارسوا سيّاسة التضييق على أتباع المالكية في مجال التعليم والتعلم، بدليل احتفاظ فقهاء المالكية وعلمائها بمكانتهم العلمية التي عهدوها قبل أن تكون الجزائر ولاية من ولايات

---

[277] - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 58.

[278] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، المرجع السابق، ص 522.

[279] - محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص 573.

[280] - محمد بلقاسم، المؤسسات الدينية التعليمية في الجزائر خلال الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 03، مختبر الجزائر والحوض الغربي للمتوسط، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص ص216، 217.

[281] - حميدة أعميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 70.

[282] - مسعود بن موسى فلوسي، المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 01، العدد 01، مخبر التربية بجامعة الجزائر 01، 2012، ص 73.

[283] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص 246.



الدولة العثمانية، وأكثر من ذلك فإن الحكام ورجال السلطة من الأتراك العثمانيين أنفسهم قد عملوا على استمالة وتقريب علماء المالكية وفقهائها؛ عن طريق تعيينهم في المناصب المقربة لهم ومنحهم الهدايا والعطايا في كثير من المناسبات، كما عملوا-بصفتهم كأفراد- وفي إطار مساعيهم الخيرية على بناء المدارس والمساجد التي اختصت بتدريس الفقه المالكي، رغم كونهم من أتباع المذهب الحنفي. وفي نطاق الممارسة التعليمية فإننا نلاحظ تواجد ممثلي المذهبين جنباً إلى جنب في مختلف المؤسسات الدينية؛ ذات الصبغة التعليمية المعروفة في الجزائر العثمانية، علماً أن فقهاء المالكية وعلمائها قد كان لهم على غرار نظرائهم من المذهب الحنفي دور مميز في إعداد القواعد الناظمة لشؤون التعليم وتسييره، الذي كان يتم بمنهج تدريس يشتمل على فقه المذهبين. هذا ما يجعلنا نقر بواقع التعايش السلمي بين المالكية والأحناف؛ كتجربة تاريخية واقعية لترسيخ قيم التنوع الثقافي في إطار قبول ثقافة الأمر والإقرار بتعدد الثقافات بالمجتمع الجزائري على عهد العثمانيين، بعيداً عن أي تعصب ديني أو خطاب مكروه.

المراجع:

الوثائق:

- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة رقم: 18 – 02، الوثيقة: 13.

الكتب:

- أبو زهرة محمد، مالك: حياته وعصره. آراؤه وفقهه، ط04 ، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، 2002.
- أوزتونا يلماز ، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية. السياسي والحضاري والاجتماعي، ج 01، ط 01، ترجمة: عدنان محمود سليمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.
- أعميراوي حميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- بن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- بن منصور الصحبي، الموجز في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية التونسية، تقديم الأستاذ الدكتور محمد الشتيوي، منشورات المعهد العالي للخطابة والإرشاد الديني بالقيروان، تونس، 2018.
- الدردير أحمد والصاوي أحمد، بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
- حربوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- الحرستاني أبو أسامة محمود شاكر شاكر ، التاريخ الإسلامي، ج 08، ط 04، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.
- طه عبد العليم رضوان، في جغرافية العالم الإسلامي، ط 01، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسيّاسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
- المقدسي أبو عبد الله المقدسي، مناقب الأئمة الأربعة، تحقيق سليمان مسلم الحرش، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1995.
- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 02، ط 01، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.
- نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، ط02، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

- النقيب أحمد بن محمد نصير الدين، المذهب الحنفي (مراحله وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته)، ج 01، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 2001.

- السويدي محمد، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، ط 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.

- سعد الله أبو القاسم، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، ط03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998.

- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية من البدايات: النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي، ط 03، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- سعيدوني ناصر الدين سعيدوني وبوعبدلي الشيخ المهدي، الجزائر في التاريخ – العهد العثماني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- السروجي طلعت مصطفى، السياسة الاجتماعية في إطار المتغيرات العالمية الجديدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004.

- العوفي كمال، المدرسة المالكية القيروانية (سماتها وأعلامها)، ورقة بحث مقدمة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني حول مذهب إمام دار الهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، 21. 22. 23 جوان 2012.

- عمورة عمار ، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

- الفرفور محمد عبد اللطيف صالح، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكلم الطيب للطباعة والنشر، دمشق، 1995.

- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هشام، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

- القرافي شهاب الدين، الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، عناية عبد الفتاح أبو غدة، ط 02، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510 – 1541، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- تيمور باشا أحمد، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين، ط 01، دار القادري للنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

- غياث بوفلجة، التربية والتكوين في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

المجلات والدوريات:

- آيت حبوش عبد الحميد ، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، دورية كان التاريخية، العدد 37، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، سبتمبر 2018.

- بوبشيش صالح، المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 01، العدد 01، مخبر التربية بجامعة الجزائر، الجزائر، 2008.

- بوكرديد نور الدين، المذهب المالكي في الجزائر: واقعه وآفاق ترقيته وتقنينه، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد 36، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، نوفمبر 2014.

- بوعزيز يحي، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 53- 54، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1989.

- بلقاسم محمد، المؤسسات الدينية التعليمية في الجزائر خلال الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 03، مختبر الجزائر والحوض الغربي للمتوسط، جامعة سيدي بلعباس، 2016.

- بردي صليحة، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، العدد 11، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، جوان 2018، الجزائر.

- بخوش صبيحة بخوش، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 01، العدد 02، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، جانفي 2018.



- الجراري عباس، مفهوم التعايش في الإسلام، مجلة الإيسيسكو، العدد 12، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 2018.

- دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014 – 2015.

- كيشانة محمود، أن نتعايش، مجلة دوات، العدد 58، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2019.

- موسم عبد الحفيظ، المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني: قراءة في مظاهر التعايش السلمي بين المذهبين، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 178، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2020.

- نفطي وافية، التعايش المذهبي بالجزائر العثمانية، مؤسسة الوقف أنموذجا (التحبيس على المذهب الحنفي)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 05، العدد 03، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سبتمبر 2016.

- فلوسي مسعود بن موسى ، المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 01، العدد 01، مخبر التربية بجامعة الجزائر 01، 2012.

- شرويك محمد الأمين، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 03، العدد 02، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، جوان 2018.

المراجع الأجنبية:

-Yvonne Turin, Affrontements culturels dans L'Algérie coloniale, SNED, Alger, 1983.

-Venture de Paradis, Alger au 18 eme siècle, 2 ème édition, Edition Bouslama, Tunis, (S.D).

-Shuval Tal, La ville d'Alger vers la fin du 18 siècle, CNRS, Paris, 1998.



"الغيرية والآخرية في البيئة التونسية: الأثر الثقافي والاجتماعي"

الدكتور صابر منصور فريحه: (باحث في علم اجتماع الاتصال والميديا والثقافة)، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية (جامعة المنستير) –تونس– saber.assabahh@gmail.com

الدكتورة منال بالحائزة العربي، باحثة في علوم التّراث والفنون، أستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف بقفصة (جامعة قفصة) –تونس– manel.belhaiza1@gmail.com

الملخص:

يطرح مفهوم الشخصية ضمن مباحث الهوية الثقافية وفي إطار العلاقات الحضارية مع "الغير" أو"الآخر"، جدلا واسعا بين مختلف الطّروحات الفكرية والدراسات الحضارية والبحوث الاجتماعية والنفسية.. ولربما يحتدم الجدل وتتعقد مداراته حين اندراجه ضمن سياقات التأصيل الحاصل بعد الاستقلال لمفهوم "الشخصية القطرية" بالبلاد التونسية، والتي يُرى فيها جنوحٌ تغريبيٌ، تغلفه دعاوى العلمانية أو ومسوغات تأسيس مشروع الدّولة الأمة قُطريا. بيد أن مسألة "الشخصية القطرية" في تونس تُحدث أزمة وأثرا أعمق، ولا سيما في تصوّرات بعض الاتجاهات الإيديولوجية المتضادة وبخاصة الجناح القومي، والتيار العروبي والاتجاهات اليسارية والإسلامية إلى حد توصيفها "بصراع الهوية في تونس". ولينخرط الجميع في سجال فكري وتجاذبات منذ ستينات القرن الماضي، مازالت تلقى بظلالها حتى بعد هامش الحرية المتوفر بعد الثورة التونسية للعام 2014، وما أعقبها من اعتمالات فكرية عن محددات الهوية التونسية المشكلة للذاتية التونسية وأبعادها الثقافية والحضارية. ونحن ضمن هذه المقاربة نطرح القضية في سياق الحدود العلمية بين مختلف المواضعات المعرفية والمرجعيات الفكرية في تأصيلاتها لمفاهيم متضادة نظريا وواقعيا على غرار "الشخصية القومية" و"الشخصية القطرية" و"الشخصية القاعدية" ضمن محددات إطلاقاتها الإيديولوجية والسوسيولوجية ومباحث الأنثروبولوجيا الثقافية في الحالة التونسية، وعلى مدار تاريخ تونس الحديث ومختلف منعطفات تاريخ "إفريقية" وهو الاسم التاريخي لتونس القديمة التي تشكلت ضمن مسارات علاقات التونسي الحضارية بالغير والآخر ملامح شخصية هجينة ظلت تتصف بالاستنفار وعدم الاستقرار.

*الكلمات المفتاحية: الآخر - الغير - الصراع- الحوار- الهوية الثقافية- الشخصية التونسية.

Abstract:

The concept of personality ,within the topics of cultural identity and the context of civilizational relations with "others" or "the other" , raises a wide debate between the various intellectual propositions, cultural studies, and social and psychological research . The controversy may become complicated in terms of originality of "diametric personality" concept after the Tunisian independence . It is seen as a Western delinquency and shrouded in claims of secularism or just justifications for establishing the nation-state project. However, the issue of the "Diametric personality" in Tunisia is controversial and having a deep impact, especially in the perceptions of some opposing ideological trends like the national wing, the Arab party, leftist and Islamic trends, to the point of describing them as "the identity struggle in Tunisia." Since the sixties , everyone has become involved in an intellectual debate and interactions, which still cast shadows even after the margin of freedom available after the Tunisian revolution of 2014, and the intellectual possibilities that followed on the determinants of the Tunisian identity that formed the Tunisian subjectivity and its cultural and civilizational dimensions. This approach is presented in a scientific context as well as the various intellectual references from their original, theoretical, realist and ontradictory concepts such as the "national personality", "the diametric personality" and "the base personality". Not to gorget the determinants of their ideological and sociological releases and the investigations of cultural anthropology in the Tunisian case . All in the context of Tunisia's modern history and the various junctions in the history of "Ifriqiya", the historical name for ancient Tunisia that was formed within the paths of the Tunisian civilized relations with others as well as the other features a hybrid personality characterized by mobility and instability.

Key words: the other - the others - the conflict - the dialogue - the cultural identity - the Tunisian personality.

مقدمة:

سادت إبان الحرب الباردة مقولات حضارية غربية لا تخلو من التطرف مفادها أن انهيار الاتحاد السوفييتي هو منتهى التاريخ بعد انتصار الديمقراطية الليبرالية الغربية وسيادتها العالم، وقد نظّرت لهذا التوجه أطروحات الأمريكي من الأصول اليابانية فرنسيس فوكوياما (Fucuyama Francis) في كتابه الشهير "نهاية التاريخ وخاتم البشر"284 وكذلك أطروحات الأمريكي صموئيل هنتنغتون (Huntington Samuel) المبشرة بـ"صدام الحضارات" 285 ، ولتنشأ عبر هذه المقولات سياسات استراتيجية مدارها " الفوضى الخلاقة أو البناءة" على قاعدة الشرق –أوسطية (الشرق الأوسط

[284] – فوكوياما، (فرنسيس)، نهاية التاريخ وخاتم البشر، (ترجمة حسين أحمد أحمين)، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.

[285]– صموئيل، (هنتنغتون)، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، (ترجمة د. مالك عبيد أبو شهيوة، محمد محمود خلف)، الجماهيرية العربية الليبية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1999.

الكبير)، وما أفرزته عالميا من وضع متفجر بالحروب وبؤر التوتر والصراع لتعيد إلى السطح أمشاجا من مقولات التشرنق على الذات أو محاولات إثباتها ومغالبة إرادات طمسها من قبيل: الذاتية والهوية والقومية والأنا والآخرية والغيرية والاختلاف والتعايش.. ولتضع على المحك مستقبل العلاقات الدولية وطبيعتها القانونية القائمة ولتهز الثقة في الحقوق والحريات الإنسانية وتجعلها محل التشكيك والمراجعات، بعد أن كانت شبه قناعات إنسانية على قاعدة الأممية، ومن ثم أعادت أطروحة "صدام الحضارات الجدل الفكري حول دور الدين والعوامل والمؤثرات الدينية في مستقبل النظام الدولي الجديد بتفسير الجماعات الدينية أن كل ما يأتي من (الغير والآخر والمختلف دينيا) يجب أن يسلك في إطار الصراع والصدام لا غير. لقد حاولت تلكم المقولات التي استشرت في الدوائر الفكرية الغربية صياغة خطاب استراتيجي جديدي مكن الغرب وزعيمة العالم الحر من بسط هيمنتها على العالم في ظل الأحادية القطبية، الذي وضع العالم العربي والإسلامي موضع الاتهام ومصدر التهديد للغرب ومصالحه ووجوده بدء بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 المثيرة للجدل والتشكيك.

بين البناء والتشكيك عاد الغرب خلال العشرية الأخيرة إلى بسط قضايا الهوية ومقولات التنوع والحساسية ضد الأجانب في ظل أزمة المهاجرين واللاجئين من دول "الربيع العربي" لتحتل صدارة المناقشات وسرعان ما سلَّطت الضوء على التجارب المروعة والصادمة أظهر صعوبة البحث بحياد وموضوعية وشفافية واعتدال عن "الآخرين" دون صور نمطية وتحيز وتمييز وتمهين واحتقار..286 ومثل ذلك نشأت بعيد وخلال الحقبة الامبريالية مقولات أنثروبولوجية تؤسس للتعايش والتكامل الحضاري على غرار التثاقف أو المثاقفة أو (التكيف الثقافي) Acculturation وهي العملية التي يستطيع الفرد أو الجماعة عن طريقها اكتساب الصفات الحضارية لجماعة أخرى من خلال الاتصال أو التفاعل الإيجابي بينهما. وإذا كان التثاقف بالنسبة للفرد هو عملية تعلم اجتماعي أشبه بعملية التنشئة الاجتماعية التي تلعب فيها اللغة دوراً جوهرياً، فإنه بالنسبة للمجتمع يعتبر عملية انتشار القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعية إلى المجتمعات الأخرى مع تعرضها لعملية التبدل التي تجعلها منسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها. لذلك فهي غالباً ما تسبب لها ظاهرة الصراع الحضاري أي الصراع بين القيم الأصيلة والقيم الدخيلة.

1- **في** دلالات الآخرية والغيرية

يطرح البحث في دلالات (الآخر) و(الغير)، ببيئة ما في بعده الأنثروبولوجي ضرورات التداول على الأبعاد المعرفية والتاريخية والدينية بل وحتى الإيديولوجية المشكّلة للذاكرة الجماعية المشتركة والمخيال الجمعي للجماعات بشرية.

1.1- مفهوم الآخر

[286] – أصبحت كلمة "التنوع" في الإعلام الغربي مدار حديث الساعة، وتزايد الضغط على دور النشر ومؤسسات الإعلام لتمثيل مفهوم التنوع، الذي لم يتبلور بعد، في برامجها، فاتجهت إلى توظيف نوع من المراقبين المحكمين Omdudsmen يُطلَق عليهم " قراء ومراقبو حساسية المحتوى" (Sensitivity Readers) وتتمثَّل مهمتهم في تفقُّد المحتويات من حيث الدلالات العنصرية أو الاستعمارية أو التمييزية أو التهميشية. https://ar.qantara.de/

الآخر لغة: يعبر لفظ "الآخر" في المدونات المعجمية العربية عن: "أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد"، أو بمعنى "غير"، جاء في اللسان: "والآخر: بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر"، والجمع آخرون، ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث والجمع آخرون.287

جاء في القاموس محيط المحيط: "الآخر في الأصل الأشد تأخرا في الذكر ثم أجري مجرى غير، ومدلول الآخر وأخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته، وقولهم جاءني في أخريات الناس وخرج في أوليات الليل يعنون به: الأواخر والأوائل"288

أما دلالة "الآخر"في معجم الوسيط: من تأخر، والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه، والأخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد.289

➔ مما تقدم نستشف أن دلالة (الآخر) في المدونات اللغوية العربية تفتقر لأية دلالة لـ (الآخر) بما يحدد السمات الحضارية والثقافية واللغوية التي تعيّن هوية جماعة بشرية ما. بيد أنه يمنح لفظ (الآخر) في دلالة مثيلُ (الذات) ونقيضها، وهو ما يحيل أيضا للبعد الأنثروبولوجي والفلسفي القائل بأن تشكّل وعي الإنسان بصورةٍ حقيقيَّةٍ لا يتحقق إلاَّ بوعي علاقته مع الآخر.

2.1– مفهوم الغير

الغير لغة: - [غَير] دون تعريف: (اسم)، اسم يستعمل للاستثناء، يجري عليه أحكام المستثنى بـ (إلاّ/ سوى) ويكون ما بعده مجرورًا بالإضافة جاء الطلاب غيرَ محمدٍ، يقال جاء ببنات غَيْر: بأكاذيب، فعله غيرَ مرَّة: أكثر من مرَّة، لا غيرَ/ لا غيْرُ: فقط

- أما [الغير] معرفة بالألف واللّام، فهو اسم وجمعه أَغْيَارٌ، والغَيْرُ: هو التغيير، والغير: ضدُّ الذاتُ.290

➔ من هذا التعريف نستشف أن الدلالة المعجمية العربية، تُظهر أن لفظ (الغير) مشتقا من كلمة (غير) التي تستعمل عادة للاستثناء (بمعنى سوى). ومن ثم يتخذ مفهوم الغير معنى [التميز والاختلاف]، كما يلاحظ ترادف بين معني المصطلحين المتجاورين في الدلالة على الاختلاف أو الإتلاف بين أمرين [الغير = الآخر].

➔يختلف الأمر في الدلالة المعجمية الفرنسية، من حيث التمييز بين مصطلحي الغير (Autrui) والآخر (L'autre). إذ يأخذ مفهوم الآخر معنى أوسع ويفيد: "كل ما يختلف عن الموضوع والذات"، وبالتالي فهو يشمل مختلف الأشياء أيضا.. أما مفهوم الغير، فيحصر الاختلاف في مجال الإنسان فقط، أي أن الآخر مضيق يشمل فقط الأناس الآخرين. 291

287 – ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (محمد بن مكرم بن على)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط 3، – 1414 هـ، المجلد الأول، مادة[أخر] ص13.

288 – البستاني (بطرس)، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ط 4، ص 5.

289 – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، دار الدعوة – تركيا، دت، ص 9.

290 – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قسم المعاجم والقواميس، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004.



الأخر- الغير: دلالات القاموس الفلسفي

← موسوعة لالاند: إن الحد الفلسفي لمفهوم الآخر كما جاء في موسوعة "لالاند"الفلسفية يعتبر: "الآخر أحد المفاهيم الأساسية والأولى للفكر، وبالتالي يستحيل تعريفه بوصفه مفهوما أوليا بسيطا يتأسس عليه التفكير ولا يمكن تعريفه إلا من خلال مرادفاته أو مقابلاته. وبهذا فهو يتقابل مع الهو هو(le même)، كما يعبر عنه بالمتنوع (le divers)، وبالمختلف (le différent)، وكذلك المتميز (le distinct)". بيد أن مفهوم "الغير" في دلالته الفلسفية حسب "لالاند" يتخذ معنيين متقابلين، إذ يتحدد في "الأنا -الآخر" (Alterego) بما يجعله متطابقا أو متماهيا مع الأنا. وأما عند "سارتر" فهو يتخذ معنى "الأنا الذي ليس أنا"، فهو مختلف ومتعارض مع الأنا.. يمكن القول أن مفهوم "الغير" يتأسس على مفارقة معنوية تجعله في ذات الوقت، متطابقا مع "الأنا"= (أنا آخر مثلي)، وفي ذات الأوان مخالفا لها=/= (أنا ليس أنا).. وكل هذه المقاربات اللغوية سوف تنعكس على مختلف القضايا والأطروحات المرتبطة بهذا المفهوم في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر بخاصة. 292

← في الظاهراتية: يشير مصطلح الآخَر إلى الإنسان الآخر من حيث كونه غير الذات (Self/Moi)، بوصفه عاملًا تأسيسيًّا مشكِّلًا للصورة الذاتية للشخص، أي بوصفه إقرارًا من المرء بواقعيته، وهو من ثَم شيء آخر غير الذات الفردية (Self/Moi)، ولا الجماعية (Us/Nous)، ولاالمماثِلة (Same/Même). الآخر التأسيسي هو العلاقة بين شخصية الإنسان (طبيعته الجوهرية الأساسية) وشخصه (جسده). إنه علاقة الخصائص الجوهرية والظاهرية للهوية الشخصية، العلاقة التي توازيها علاقة الخصائص المتقابلة للذات - المتقابلة، ولكن في ارتباط، ذلك أن الاختلاف في حقيقته اختلاف داخلي، أي داخل الذات. 293

← المؤاخرة أو المغايرة (Othering): يشير هذا مصطلح إلى التصنيف الاختزالي لشخص وحسبانه مواطنًا ثانويًّا، وشخصًا من فئة "الآخر" كما في الديمقراطية اليونانية القديمة. فالمؤاخرة ضرب من استبعاد مَن لا يسايرون الأعراف الاجتماعية للجماعة، التي هي من صور الذات. أما في الجغرافيا الإنسانية: فالمؤاخرة استبعاد وتهميش أشخاص لمجرد كونهم "آخرين" وإقصاؤهم من صلب المجتمع الذي لا يحترمون أعرافه ونواميسه القائمة. 294

2–مباحث سوسيوثقافية تونسية مرجعها "الآخر"

لقد سادت الفلسفة السياسية بنظرياتها التقليدية عصر ما قبل الصناعة سياسيا واجتماعيا ومؤسسيا، مثلما سيطرت النظريات الاقتصادية على العصر الصناعي، ويغلب الظن أن مجال السيادة باتت اليوم في عصر ما بعد الصناعة أو ما

[291] -Le Petit Robert - Dictionnaire de la langue française / Paul Robert, Alain Rey, Josette Rey-Debove, Henri Cottez. – Paris : Société du nouveau Littré, Le Robert, 1967.

[292] - موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة، تحقيق: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، ط2، بيروت – باريس، 2001.

[293] -"The Other", The New Fontana Dictionary of Modern Thought, Third Edition, (1999) p. 620.

[294] "Othering", The New Fontana Dictionary of Modern Thought, Third Edition (1999), p. 620.






بعد الحداثة بإحكام علم الاجتماع وفروعه المعرفية لارتباطه بشتى المتغيرات وآلياتها ورصد آثارها .. وذلك عكس ما بشر به عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران Alain Touraine (1925) من موت للمجتمعات وعلم الاجتماع وعلمائه. [295] تجزم نظريات علم اجتماع المعرفة أن ظهور أي مصطلح أو مفهوم أو انقراضه، هو نتاج تفاعل مجموعة من العوامل الثقافية والسياسية والاقتصادية.. وبالتالي فإن مصطلحات مثل:"الآخر" و"الغير" و"الذات" و"الهوية" و"الشخصية" و"التعايش" و"الحوار" و"الصراع".. نمت كمفاهيم نتاجا ومحصلات لعوامل حضارية متعددة مدارها التركيز مظاهر وعوامل الاختلاف القائمة بين المجموعات البشرية والمجتمعات الإنسانية وما أعقبها من تفاعلات إيجابية أو سلبية. من هذا المنطلق لا يمكننا الخوض في مسألة الغيرية والآخرية في البيئة التونسية دون العودة إلى محدداتهما الأنثروبولوجية، والأبعاد المعرفية والتاريخية والدينية والأيديولوجية.. باعتبارها تشكل الذاكرة المشتركة لكل جماعة بشرية، التي على أساسها تتشكل القواعد الصلبة للمتخيَّل المنتج لتصورات (الذات) و(الآخر) و(العالم)، إذ تغدو التجربة التاريخية والثقافية وحتى الدينية لكل جماعة بشرية، -التجربة الجماعية أو الفردية- محركا فاعلا ورافدا من التصورات والأفكار والرؤى الإقصائية أو التحيُّزية، في ظل التفاعل الذي تفرضه سياقات قد تشكل القناعة المطلقة والمسلمة بالهوية الذاتية وتشكل الثقافة الجماعية وبروز الشخصية القاعدية لمجتمع ما.

3- الآخر والمجتمع التونسي: أي أثر في تشكل الهوية الثقافية والشخصية التونسية؟

إن مجرد محاولة رسم جوانب من الشخصية التونسية وتمظهراتها الثقافية والحضارية والتارخية يفاجئ الباحث المتجرد بالطابع السلبي لملامح تكوين وتأصل الشخصية التونسية، لما يراه البعض اغترابا أو تغربا أو استنفارا أو انبتاتا ثقافيا .. غير أنه ليس سوى هو اثر تراكمي لفواعل حضارية حاصلها تعاقب المد الاستعمار والغزو والاحتلال والوصاية والتبعية والحماية...الأجنبية التي حولت "إفريقية" في تاريخها القديم، و"تونس" في عهودها المعاصرة والحديثة والراهنة، ولعوامل جغرافية صرف تتصل بموقعها ووجودها الجيواستراتيجي عنوانا متقدما لأجندات "الآخر" الإمبريالي ثقافيا وفكريا ومجتمعيا وسياسيا تماما مثلما كما كانت مطمورا للإنتاج الفلاحي للإمبراطوريات القديمة. ضمن هذا الخطاب الواعي بتحديات بناء شخصية تونسية متجذرة في أصولها ومعتزة بهويتها، تؤكد الطروحات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والفلسفية أن هويّة المجتمعات إنما تحددها الثقافة بمفهومها الشمولي الواسع رموزا وأشكالا وممارسات... وتطرح مسألة الهوية الثقافية نظاما من العلاقات الثقافية يؤصل لبناء مفهوم الهوية الذاتية (الشخصية الفردية) والهوية الاجتماعية (الشخصية القومية) مع ما ينضوي تحت هذين المصطلحين الاجتماعيين من محددات تشكل ملامح "الشخصية القاعدية" وتشخيص سمات "الشخصية الأساسية" بالمفهوم الأنثروبولوجي.

---

[295] – سنة 2014، نعى عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران Alain Touraine (1925) علماء الاجتماع بموت المجتمعات في كتابه المثير للجدل والموسوم بـ "نهاية المجتمعات"، إذ لم يعد من دور أو مكان للاجتماعي في زمننا الراهن، بسبب موت المؤسسات الاجتماعية وعلماء الاجتماع معا حسب رأيه.

➔وبالتالي نطرح في هذه الورقة إشكاليات سوسيوثقافية وأنثروبولوجية مرجعية مازالت تثير جدلا فكريا واجتماعيا وسياسيا إلى يوم الناس هذا في تجليات الراهن ما بعد ثوري ومنذ العصور القديمة ونعني بذلك المتغيرات التالية:

1-روم هذا العرض الكشف عن نظام العلاقة القائم بين البيئة الثقافية في أثرها التراكمي وانعكاساته على تشكل الشخصية التونسية بمواصفات ظلت على الدّوام في نظر الأدبيات التراثية منذ ابن خلدون وأدباء الرحلة والمستكشفين الغربيين وفي جوانب كبيرة منها "شخصية سلبية" ودور الآخر في ذلك.

2-النبش في أصول ومرجعيات "الشخصية التونسية المستنفرة" من منطلق التناولات السوسيولوجية للمسألة وردها وإرجاعها إلى حالات الارتباك والتوجس من الآخر "التونسي" كالعوامل التارخية، والتي تتناقض معه أوصاف "مودودية الإنسان التونسي" ولطفه في علاقاته بالآخر الأجنبي.

3-سبر أغوار مدارات مفهوم الهوية حسب مقاربات مختلفة أو مؤتلفة بدءا من المقاربة التراثية لمفهوم "الهوية" و مقاربات العلوم الإنسانية والاجتماعية في سياق اندراجاتها ضمن الثقافة العربية الإسلامية في صلتها باللغة والدين والعادات... وجدلية التراث والحداثة وجهود التحديث، وإرادات التغيير بين ثوابت الإنية وتأثيرات الآخرية على صعيد البيئة العربية الإسلامية ككل.. فبين تلكما "الإنية" و"الآخرية"، تتشكل شخصية تونسية التي هي ليست سوى امتداد لبيئة ثقافية ما فتئت تفاعل مع طبيعة الحراك الثقافي والاجتماعي الذي طبع الجغرافيا التونسية ووسم تاريخها قديما ووسيطا ومعاصرا وحديثا وراهنا..

➔ ضمن مسارات الوقائع العلمية وصيرورات الواقع الحضاري تشتغل مقاربتنا المنهجية حول مدارات تتشكل معالم الهوية الثقافية/الحضارية التونسية في بيئة ذات رمال تاريخية وجيوبولوتيكية وحضارية متحركة ناحتة تضاريس الشخصية التونسية بمواصفاتها المميزة والمتميزة التي نسعى إلى عرض حوصلة لمختلف المناهج والأساليب المعتمدة في دراسة الشخصية عربيا وغربيا وفي سياقات الدراسات الاجتماعية والإنسانيات والبحوث الحضارية ونقدها.. عارضين في المقابل أهم المقاربات التطبيقية لدراسة الشخصية التونسية محايثتين للبيئة الحضارية التونسية في الصدد.

1.4- الآخرية كمحدد للهوية

1.1.4- مدارات مفهوم الهوية:

يثير مفهوم "الهوية" العديد من الإشكاليات والقضايا الخلافية والخلط المفاهيمي الناجم عن التداخل بين التعريفات المتداولة في أبواب العلوم الإنسانية لمصطلح "الهوية" في حد ذاته أو المفاهيم القريبة منه على غرار مفهوم "الشخصية"



و"الذاتية" و "القومية" و"الإنية"... وغيرها من المصطلحات المتقاطعة مع مفهوم "الهوية" ودلالاته الاصطلاحية ومدلولاتها اللغوية، هذا فضلا عن غياب الدقة اللغوية لمصطلح الهوية كلفظ مشتق من "الهو" في وضع لغتنا العربية.296

2.1.4- المقاربة التراثية لمفهوم "الهوية":

لا أثر في المدونة المعجمية اللغوية للفظ "الهُوية" بضمّ الهاء* لا في استخداماته الاجتماعية اليوم أو لمواضعات دلالية أخرى، إلا أنّ المدونة التراثية العربية عرضت استخدامات فلسفية وكلامية وصوفية باستعمالات متقاربة كما أوردها التهانوي بقوله: "الهوية بضمّ الهاء وياء النّسبة هي عبارة عن التشخّص وهو المشهور بين الحكماء والمتكلمين وقد نطلق على الوجود الخارجي، وقد تطلق على الماهية مع التّشخص وهي الحقيقة الجزئية.. وهي مأخوذة من لفظة "هو" الذي هو للإشارة إلى الغائب وهو حقّ الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبة ذلك..."297 ويعرفها الحرجاني بأنها: "الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار"، وكتب ابن رشد في تلخيص ما بعد الطبيعة: "تقال بالتّرادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود وهي مشتقة من "الهو". كما تشتق الإنسانية من الإنسان، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنّها أقل تغليفا من اسم الوجود، إذا كان شكله شكل اسم مشتقّ وهي خاصية ماهو واحد أي متفرّد حتى وإن أدركناه من وجهات متباينة". وورد في كليات أبي البقاء "مابه الشئ هو يسمّ ماهية إذا كان كليا كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيا كحقيقة زيد".298

2.2.4- مقاربات العلوم الإنسانية والاجتماعية لمفهوم الهوية

**. فلسفيا: الهوية (Identité/identity) مقولة تعبّر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة جامع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة، فالموضوعان(أ) و(ب) يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا كانت كل الصفات و(العلاقات) التي تميز(أ)، مميزة أيضا للموضوع (ب) والعكس بالعكس(حسب قانون لايبنتس). ولكن لمّا كان الواقع المادي يعتريه تغيّر مستمرّ، فإنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية. والهوية متعينة وليست مجردة، أي أنها تحتوي على تمايزات كامنة، وتناقضات يتم حلها خلال عملية التطور التي ترجع إلى شروط معينة. ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا، ومن ناحية أخرى فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها. (بهدف تصنيفها مثلا) وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصمه بالتمييز كما أنها نسبية، وكل هوية مؤقتة وانتقالية، بينما تطورها وتغيرها مطلقان.299 ومبدأ الهوية عند

296- من أبرز المصطلحات القريبة من مفهوم "الهوية"/"القومية"/ وهي مفهوم سياسي مجرد يبرز تأكيد الوحدة وعدم التبعية القانونية وهي تعبير عن "الأمة" التي هي جماعة من البشر مستقرة تكونت تاريخيا من جراء وحدة الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتاريخي./" الصورة القومية"/ وهي كيفية تصور شعب لسمات شعب آخر./"الثقافة السياسية"/ وهي مجموعة القيم والمعتقدات السياسية السائدة في أي مجتمع.

* الهَوية بفتح الهاء هي الهوة السحيقة كما عرضها على سبيل المثال صاحب القاموس المحيط الفيروز أباي في (باب الواو والياء،فصل الهاء).

297 - التهانوي (محمد علي)،كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد وجيه وآخرون، كسته (1862)، ج (2)، حرف الواو، ص (1539-1540).

298 - التونسي الزواري (سارة)، المعجم الفسفي النقدي، مطبعة التسفير الفني،صفاقس، تونس(2005)، حرف "الهاء" ص (443-440).

299 – الموسوعة الفلسفية : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت (1974) ط (1)، حرف الهاء، ص (517).





المناطقة هو مبدأ أساسي، ويعبر عنه كالتالي: "ما هو هو وما ليس هو ليس هو أي (أ) =(أ)، ويعبر مبدأ الهوية عن الاتساق المطلق للفكر مع نفسه وقد عد أساس كل برهان.

** – في علم النفس: الهوية هي وحدة الشخص الذي يملك شعورا يتمثل في البقاء هو نفسه مهما كانت الحالات التي يمر بها.300 ومن أوضح تعريفات الهوية أنها "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره"،ولهذا قال الفارابي :"هوية الشيء وجوده المنفرد له الذي لا ينفع فيه اشتراك".301

** – في علم الاجتماع: مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب ويمكن مقاربته من عدة زوايا. فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم. ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة، ومن مصادر الهوية : الجنوسة، والتوحد الجنسي، والجنسية، أو المنطلقات الإثنية، والطبقة الاجتماعية. ويتحدث علماء الاجتماع في العادة عن نوعين من الهوية وهما الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية)، ويمكن التمييز بين هذين النوعين عن طريق التحليل غير أنهما مترابطان بشكل وثيق. ويمكن النظر إليهما من خلال علامات ومؤشرات تجدد موضوع الشخص بين أفراد آخرين يشاركونه الخصائص نفسها، ومن الأمثلة على الهوية الاجتماعية : الطالب، الأمم، المحامي، الإفريقي، الكاثولوكي،المتزوج وغيرها... فقد يكون المرء في الوقت نفسه، أمّا، مهندسة، مسلمة، تونسية، برلمانية...

← وهكذا تتعدد الهويات الاجتماعية وتعكس أبعادا عديدة من حياة الناس. وقد تكون التّعددية في الهويات الاجتماعية مصدرا محتملا للصراع بين الناس، غير أنّ الأفراد في العادة ينظمون معاني حياتهم وتجاربهم حول هوية محورية أساسية تتميز بالاستمرارية النسبية عبر الزمان والمكان (المواطنة/القومية). وعلى هذا الأساس فإن الهويات الاجتماعية تتضمن أبعادا جماعية، فهي تعطي مؤشرا على أن الأفراد "متشابهون" مثلهم مثل غيرهم من الناس. والهويات المشتركة التي ترتكز على منظومة من الأهداف والقيم والتجارب المشتركة تستطيع أن تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية. ومن الأمثلة على ذلك الحركات النّسوية والبيئية والعمالية وأنصار الحركات الأصولية الدنيوية أو الوطنية (القومية). ففي مثل هذه الحالات تتخذ الحركات من الهوية الاجتماعية المشتركة مرتكزا ومصدرا قويا لتوجهاتها وأنشطتها.

وإذا كانت الهويات الاجتماعية دليلا على التشابه بين الأفراد فإن الهوية الذاتية أو (الهوية الشخصية) تضع الحدود المميزة لنا بوصفنا أفرادا. وتشير الهوية الذاتية (أوالهوية الشخصية) إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح متميزة لأنفسنا ولعلاقاتنا مع العالم حولنا. وتستمد فكرة الهوية الذاتية كثيرا من عناصرها من أعمال المدرسة التفاعلية الرمزية إذ يسهم التفاوض المستمر بين الفرد والعالم الخارجي في رسم وإعادة تشكيل تصوره /تصورها عن

300– التونسي الزواري (سارة)، المعجم الفسفي النقدي ، مصجر سابق، ص (443–440).

301– صليبا (جميل) المعجم الفلسفي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت (1973) ج (2)، ص (530).



نفسه/نفسها. كما يسهم التفاعل بين الذات والمجتمع في ربط العالمين الشخصي والفردي بعضهما ببعض. وفيما تعمل البيئة الثقافية والاجتماعية عملها في تشكيل الهوية الذاتية، فإن العامل والخيار الفرديتين يقومان بدور مركز مهم في هذا المجال.302

3.4 – منظومة الهوية الثقافية العربية الإسلامية:

يمكن القول إن الهوية هي أولا ما يعرف به في ذاته أيّ فرد أو مجتمع معرفة تميزه عن "الآخر المختلف عنه أو المغاير له".303 وهذا التعريف يصاغ في التدليل على مفهوم مستحدث وهو "الهوية الثقافية" التي تجمع "كل ما يمنح الناس مشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة حيث تزودهم بالمعايير المشتركة والتي تمكنهم من التواصل والتفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة وبإمكانيات التوقع بسلوك الآخرين مما يساهم ببناء شعور الثقة بين الناس، ومكونات الهوية تشير إلى ما يمكن تسميته بالرأسمال الاجتماعي حيث تساهم الهوية الثقافية إلى درجة كبيرة في التمييز بين الجماعات. ومن هذا الفهم فإن المحافظة على الهوية الجماعية يرتبط ارتباطا وثيقا بمطلب الاستقلالية الثقافية، فالثقافة والهوية مفهومات يحيلان إلى الواقع نفسه، فالهوية الثقافية تتضمن منظومة القيم أو المعايير القياسية التي تميز بها جماعة أو مجتمع بين ما هو جيد وما هو سيّء، بين ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب".304

وفي هذا الإطار تتحدد الهوية بالإجابة عن السؤال من نحن؟ ما خصائصنا؟ بماذا تتميز شخصيتنا؟ وبماذا نختلف عن الآخرين؟ وما هي العوامل المشتركة بيننا؟ الثوابت وما المتغيرات في تكوين شخصيتنا؟ ما المتغيرات التي يمكن أن تحدث أو التي يمكن إحداثها دون أن تتشوش هويتنا؟

إن تناول إشكالية "الهوية الثقافية" يتطلب ضرورة تبني النهج المنظومي (approuch system) ضمانا للشمولية في التناول ولا يكفي في تناول هذه المنظومة على عناصرها المكونة بل يتوجب علينا أن نتناول بنفس الدرجة من الأهمية شبكة العلاقات البينية التي تربط بين هذه العناصر وهي : اللغة، والمعتقدات ومنظومة القيم، والتراث، والإنتاج الفكري الإبداعي. على هذا فإن الهوية الثقافية العربية الإسلامية ترتبط بمجموع السمات الحضارية (اللغة، الدين، الأديان والمعتقدات، التراث، التاريخ...) المرتبطة بعمق المجال التاريخي والتي تميز شعبا من الشعوب أو أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات عن غيرها.305

وتتسم منظومة الهوية في الثقافة العربية الإسلامية بالتماسك وبقوة الصلة بين عناصرها ومكوناتها، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة وأهمها:

---

302 – غدنز (أنتوني)، علم الإجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم د. فايزالصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، ط (1). بيروت أكتوبر (2005) ص (90 – 91)

303 – كوش (دوني)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب الرب، دمشق (2002) ص (08).

304 – حسن (سمير إبراهيم)، الاستراتيجيات والسياسات الثقافية الوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي، المجلة العربية للثقافة، العدد (46) مارس (2005)، ص (9 -45).

305 – خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي : محصول الجغرافيا والتاريخ، تونس (د ت) ص (08).





- علاقة اللغة بالمعتقدات ومنظومة القيم: فقد قامت الحضارة العربية الإسلامية على نصوص لغوية حاكمة محكمة في نفس الوقت الذي يعد فيه النص القرآني المصدر الأساسي لقواعد اللغة العربية: صرفا ونحوا ودلالة وبلاغة.
- علاقة اللغة بالتراث: حيث يعد تراث اللغة العربية من أدب ونثر وشعر أهم فروع التراث العربي بلا منازع.
- علاقة اللغة العربية بالإنتاج الفكري والإبداعي: كما كان علم الكلام أحد الركائز الأساسية للفكر الإسلامي فيما مضى، وتعدّ اللغة العربية حاليا مدخلا أساسيا لتجديد الفكر العربي خاصة في ضوء تعاظم دور اللغة في مجتمع المعلومات فلسفيا وعلميا وإعلاميا وإبداعيا وتكنولوجيا.
- - علاقة المعتقدات بمنظومة القيم وبالتراث: يمثل التراث الديني وما ارتبط به من تراث فلسفي ولغوي وتشريعي وتربوي أهم فروع التراث العربي الإسلامي قاطبة في حين يمثل الموقف من التراث الديني أبرز قسمات حوارنا مع أنفسنا ومع الآخرين.
- - علاقة المعتقدات ومنظومة القيم بالإنتاج الفكري والإبداعي: وهي تتمثل في موقف الإسلام من الإبداع الفني، وكذلك من المدارس الفكرية الحديثة، يضاف إليه ظهور اتجاهات فكرية تسعى إلى التجديد الديني، فضلا عن تيارات إسلامية ينادي بعضها بأسلمة المعرفة بصورة شاملة أو بصورة انتقائية حسب الرؤى الفكرية لمختلف التيارات الإسلامية.
- - علاقة التراث بالإنتاج الفكري والإبداعي: يمثل التراث العربي الإسلامي في العلوم والأدب والشعر والموسيقى والعمارة والتراث الشعبي أهم موارد إنتاجنا الثقافي الملهمة في عصر المعلومات والتقدم العلمي والتكنولوجي.[306]

5.4– الهوية الثقافية بين الثوابت والآخرية:

لا شك أن الهوية الثقافية هي بالضرورة انتماء وتميز وخصوصية باعتبار أن مطلق الهوية هو "ما تكون به أنت وليس غيرك"[307] وعلى هذا فإن لكل منظومة ثقافية ثوابتها التي نتمسك بها ونناضل من أجل الحفاظ عليها تأكيدا على أصالتها وتجدرها، فالحفاظ على الأصالة والتميز هو عنصر ثابت وأساسي في الهوية[308] وإذا أردنا إثبات الذات والمحافظة عليها فإن ذلك يقتضي قطعا الانتماء بمكوناته المادية والمعنوية، والانتماء المادي ينشد به الإنسان أولا إلى أرض وثانيا إلى مجموعة بشرية وهذه من الثوابت في هوية الفرد والجماعة، والإنسان العربي بهذا الفهم تشده إلى أهله وأرضه العربية روابط ظاهرة وباطنة ووشائج منغرسة في ملكاته العقلية والروحية في العناصر المكونة للشخصية إذ مجرد الانتماء إلى الرقعة الجغرافية يبقى قاصرا عن تحديد مفهوم الهوية إذا لم يصحبه تحديدا للمميزات والخصوصية والذاتية. وهذا يجرنا إلى

[306] – علي (نبيل)، استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية وإثرائها والتحدي الإسرائيلي المعلوماتي، المجلة العربية للثقافة، العدد (46)، الألكسو، تونس مارس آذار (2005) ص(99).

[307] – بن عامر (توفيق)، الهوية الثقافية بين الثبات والتغير، مجلة الحياة الثقافية، العدد (197) تونس نوفمبر (2008)، ص (18–22).

[308] – القباج (مصطفى)، إسهام الثقافة في الحفاظ على القيم الحضارية والإنسانية، مجلة الحياة الثقافية العدد (187) تونس نوفمبر (2007)ن ص (50–56).



مكامن الاختلاف عن الآخر والفرادة والخصوصية عن آخر يشاركنا في الأصل الطبيعي (الإنسانية)، فالثقافة هي القيمة المضافة على الطبيعة وهي التي تشكل نواة الهوية، فتفاعل الإنسان مع محيطه الطبيعي والحيوي هو الذي ينتج الثقافة، تصفها جملة العناصر الروحية والمشاعر والمثل لمجموعة بشرية معينة في زمان ومكان معين، إذن فجوهر الهوية ونواتها هي للثقافة، وهذا معنى قولنا :"إن كل هوية تتمسك بتميزها وتنال من أجل الحفاظ على أصالتها309. لذلك تكون التنشئة الأولى لكل جيل في إطار الرصيد الحضاري للأمة من لغة وعقيدة وقيما وتقاليد وذوقا وسلوكا" تلك المقومات المؤسسة لمفهوم الضمير الجمعي، تلك الصفات المشخصة لمفهوم الهوية بثوابتها ومتغيراتها، بمنجزات الماضي ومكتسبات الحاضر، فالإنسان كائن رهن الزمان والمكان يعتز بميراثه ويتصرف بتوقه وعقله وخياله، فليست الهوية معطى ناجزا ونهائيا بل هي طاقة فعل متحركة وعبقرية باحثة عن إمكان التحقق في الوجود وجهد متواصل يستلهم من التجارب السابقة واللاّحقة في سبيل البقاء المتواصل للكيان. وهكذا تغدو الثوابت في الهوية هي بدورها عاملا من عوامل دفع عجلة التطور وأداة من أدوات التغير لأنه لا ثابت في النهاية سوى آلات الجماعية الفاعلة عبر التاريخ310 كما أن تفاعل الذات مع المحيط ومكوناته المغايرة ومؤثراته المخالفة تجعل من الغيرية ثابتا من ثوابت الهوية وصون محايد لها، تثبت بثباتها وتتغير بتغيرها لأن الغيرية مرآة للذاتية وهل يرى المرء نفسه إلا في المرآة.311 إن طبيعة الهوية المزدوجة تجعلها متوفرة على مجموعة من الثنائيات كالثبات والتغير والمحافظة والإبداع والذاتية والغيرية والموروث والمكتسب والماضي والمستقبل، وكل هذه الثنائيات هي الدالة والضامنة في آن واحد لحركيتها وحيويتها ولتوازنها وتفتحها، وهذه الصفات كلها هي المحققة لعضويتها وقدرتها على التجدد وتأكيد الذات في عالم البقاء والتغلب على عوارض العدم والفساد. 312

5- معالم الهوية الثقافية/ الحضارية التونسية:

1.5- أهمية البيئة الثقافية:

أمكن لبعض الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية تحديد أهمية الروابط القائمة بين البيئة والثقافة في ضوء الهدف العام وهو استخلاص قوانين نمو الثقافات. وبهذا المعنى فالكرة الأرضية كلها مناطق ثقافية، بعضها بدائي والآخر متمدن حسب التعريفات الأنثروبولوجية على أن التطورات التي شهدتها الأنثروبولوجيا الثقافية في النصف الثاني من القرن العشرين خاصة مع "وايت White" كتابه "مفهوم الثقافة the concept of culture" والذي تمكن من تحديد الأشياء والأفعال التي يضيف عليها الإنسان معاني محددة بالأفكار والعقائد والاتجاهات والعواطف والعادات والقوانين والنظم والأشكال الفنية واللغات، وهذه المعاني يمكن اختبارها بالملاحظة والتحليل والمقارنة في أحد إطارين الأول شخصي

309- المصدر السابق ص (53-55) / (4) عفت الشيخاوي، مشكلة الهوية بين الثابت والمتحول في الفكر الإصلاحي. ملتقى الذات والآخر، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس (2003) ص (105-124).

310 -محفوظ (محمد) الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي ط (1)، الدار البيضاء، المغرب.(1999) ص (174-175).

311 - جاكوب (فرانوا)، لعبة الممكنات، بحث في تباين الحي، دار الحصاد، دمشق (1991) ص (20).

312 - حرب (علي)، مصيدة الأسماك والهويات، ندوة الآخر، منشورات كلية الآداب صفاقس، ط1، نوفمبر ، صفاقس (2000) ص (50-56).





(somatic) والثاني غير شخصي (extrasomatic) فالأول هو تحليل الشيء في علاقته المباشرة بنفسية الفرد والجماعة، أما الثاني فهو يحلل علاقة الأشياء بعضها البعض خارج الشخصية الإنسانية.

هكذا نقترب من صيغة "البيئة الثقافية" وهي شديدة الاختلاف عن "المنطقة الثقافية" فالعالم مقسم أنثروبولوجيا إلى مناطق ثقافية بدائية ومدنية وغير ذلك، ولكن البيئة الثقافية تحتاج إلى مقومات من دونها قد توجد ثقافة بالمعنى البالغ التعميم، ولكن لا توجد البيئة القادرة على تنمية الثقافة وشحذ ديناميكيتها في صقل الشخصية الإنسانية للفرد والمجتمع أي أن انعدام "البيئة الثقافية" هو غياب مطلق للتطور البشري وهو الغياب الذي قد يفضي إلى الانقراض.313 لقد أكدت عديد الطروحات الفلسفية والاجتماعية على أن هوية المجتمعات تحددها أساسا الثقافة باعتبارها تمثل مجموع المعايير الاجتماعية القيمية التي تحدد سلوك المجموعة البشرية على رقعة أرض محددة في فترة زمنية معينة من التاريخ البشري. فالثقافة هي المحدد المحوري لملامح المجتمع والضامن لبقائه والمميز بينه وبين الكيانات الاجتماعية والثقافية والحضارية الأخرى. لذلك يعتبر آخرون الثقافة "القلعة الأخيرة لمعاقل الصراع من أجل البقاء الثقافي" ذلك أن مختلف القيم والمعايير والأفكار والإبداعات والتغييرات الملازمة لمجتمع ما، تبقى أقدر على الصمود حين انهيار القوى المادية والعسكرية والأجهزة السياسية لذلك تبقى المسألة الثقافية موضوع تحفيز وتجديد وإصلاح عند الشعوب والأمم المستيقظة والساعية إلى النهوض ومقاومة مظاهر التبعية والغلبة والانكسار، لا بل بات الفعل الثقافي مؤشرا أساسيا للنهضة والتطور والإقلاع بالإضافة إلى عناصر النمو المادي.314

2.5 – في تشكّلات البيئة الثقافية التونسية:

لقد أسهمت جملة من العوامل التاريخية والجغرافية والحضارية عموما في تشكل الهوية الثقافية التونسية، إذ تعتبر "فريقية" (الاسم التاريخي) لتونس اليوم بوابة إفريقيا على المتوسط ودول الشمال وهي من أقدم بلدان المغرب العربي حدودا وأعرقها بنية جيوسياسية، وأعرفها بالغزو الخارجي والاحتلال الاستيطاني، بالنظر إلى انفتاحها المتوسطي وموقعها الاستراتيجي المذكور فضلا عن امتداد سواحلها (1300 كم) وانفتاحها على الصحراء الكبرى جنوبا، هذا دون إغفال شساعة سهولها الخصبة وحسبها أنها عرفت بـ"مطمورة روما" كناية عن أنها مخزن القمح الأول بالنسبة إلى العالم القديم كما جاء على لسان الأمير الألماني.315 ولعل الخصائص الجغرافية المتقدمة جعلت إفريقية (تونس) مطمع الغزاة ولقمة سائغة للإمبراطوريات وقطّاع الطرق وقراصنة البحر وغيرهم... ويمكن ضبط أهم الأدوار التاريخية التي عاشتها تونس من السيطرة والحكم الأجنبي الذي تعاقب على إدارة تونس، الدور القرطاجني (814-146 ق م) الدور الروماني (146ق م-430 م) الدور الوندالي (439م – 534 م) الدور الروماني البيزنطي (534م – 642م) والدور العربي الإسلامي (647م – 1476م) والدور التركي العثماني (1476م – 1957 م) والدور الفرنسي التركي (1881م – 1956م)، على أن

[313]– نقلا عن كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية للدكتور عاطف وصفي، دار النهضة العربية بيروت (1971)، ص (47).

[314]– بوطالب (محمد نجيب) الثقافة عنصرا فاعلا في التنمية والحياة الثقافية العدد (197) تونس، نوفمبر 2008، ص (28-31).

[315] – بوكلير موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية 1835م) عربه منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (1989)، ص (101).



القاسم المشترك بين هؤلاء الغزاة هو البعد الإستيطاني حيث اعتبرت إفريقية في مختلف هذه الأدوار جزء لا يتجزأ من بلدانهم وعوملت كمقاطعة تابعة. كما أن مختلف أنظمة غزاة إفريقية عرفت بطابعها الاستبدادي وحكمها التعسفي وسوء معاملة السكان الأصليين، ومورست تبعا لذلك مظاهر مختلفة من المعاملات القاسية والوحشية من قتل وسبي وتهجير ونهب للممتلكات والأراضي والمحاصيل وتسليط ضرائب مجحفة وجبايات وإتاوات أنهكت الأهالي وروعت العباد واستبعدتهم عن أي دور فعّال في الحكم. هذه الغزوات المتعاقبة والحضارات المتداولة على البلاد التونسية طبعت تاريخ افريقية بمعالم حضارية ورموز ثقافية وقيم معنوية وأجناس وإثنيات شخّصت الهوية التونسية تاريخيا، ومن أهمها :

– اللغات: الفينيقية/ البونيقية/ اللاتينية/ الإغريقية/ الوندالية/ العربية / التركية/ الفرنسية.

– الديانات والمعتقدات: قرطاجية وثنية/ رومانية وثنية/ مسيحية/ إسلامية.

– الأعراق والأجناس: الإفريقية / زنجية / بربرية/ أوروبية/ تركية/ ..

ولعل أصعب ما يعترض الباحث تبين مدى تأثير هذه الحضارات الغازية في شخصية السكان المحليين والأصليين اجتماعيا وثقافيا.316

3.5– الإرهاصات التاريخية لقيام القطرية التونسية

إن مشكلية الأمة في البلاد العربية أفرزت ثلاثة اتجاهات متباينة حولها تتراوح بين الشمولية والخصوصية:

- النزعة الأولى: تعتبر أن الأمة العربية هي حقيقة تاريخية حضارية تتسع إلى كل البلدان العربية كأداة تخاطب في مستوى النخبة والعامة أيضا 317 سمير أمين.

- النزعة الثانية: فهي تتسم بالنظرة الإقليمية للذاتية 318 عبد الله العروي.

- النزعة الثالثة: اتخذت موقفا ائتلافيا بأن ذللّ الازدواجية وجعل منها مستويين لنفس الظاهرة 319.

وهكذا تتراوح المواقف بين التأكيد على القواسم المشتركة أو التركيز على عناصر التنوع بين مقاربتي "العروي" و"سمير أمين" العروبية رغم انضوائهما تحت مفهوم القومية. وإذا كانت فكرة "القومية التونسية" نموذجا أقرب إلى قناعات

---

[316] – خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي، محصول الجغرافيا والتاريخ، تونس (د ت)، ص (12)

[317] -Amin,Samir, La nation arabe.Nationalisme et lutte de classes,les eduions de Minuit-Paris colin,1974, P (76-81).

[318] -Irwi,Abdallah, L'origine sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912),Paris,1977.

[319] –chesneaux, Jean,Le processus de formation des nations en Afrique et en Asie(Essais d'analyse marxiste).la pensée,n°119,1965,P76 .







"العروي" ومنطلقاته فإن الواقع التاريخي أثبت تداعيات متعددة حول "التونسية" والتّونسة Tunisation كمدخل للقومية القطرية في تونس لها سندها التاريخي ومؤثراتها ودواعيها قبل انتصاب الحماية الفرنسية، أي منذ عصر النهضة بحيث يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

– إن انبثاق مفهوم الأمة التونسية كان وليد تصدع الامبراطيورية العثمانية منذ القرن السادس عشر، وأدى هذا التطور إلى تكوين مصالح سياسية قطرية تخص أتراك إفريقية (الحسينيون).

– تراجع دور التشكيلة الاجتماعية التركية المتنفذة والمتمتعة بالإمتياز الإداري الذاتي في المنتصف الأول من القرن 19، ممّا مكّن السكّان الأصليين بالبلاد من المشاركة في أجهزة الدولة أكثر، وهو أمر سينعكس على خيارات النخبة الوطنية أثناء الحقبة الاستعمارية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى على أقل تقدير.

- حالة الاصطدام بين السلطة الحسينية الحاكمة بالإيالة التونسية مع الباب العالي رفضا لهيمنته المباشرة على تونس، أفرزت مظاهر من الاستقلالية الوطنية وانجرار إلى واقع "الهوية الذاتية" للبلاد التونسية والقومية القطرية بها.

- حالة الاندماج الثقافي والاجتماعي للأثنية التركية الحاكمة ضمن أغلبية من أهل البلد ولا سيما بعد زوال الازدواجية اللّغوية في مستوى الإدارة (العربية/التركية) والتي اضمحلت وتراجعت بتدهور حكم الأتراك ابتداء من عهد امحمد باي مما خفض من وطأة الفئوية في صلب المجتمع الذي يمثل السلطة الحسينية بالمعنى الواسع.

– حالة العداء الدائمة بين بايات تونس ودايات الجزائر دعّم الشعور "الموطني". وجذر لدى السكان المحليين الانتماء إلى "كرسي تونس" أي السيادة الحسينية منذ القرن السابع عشر حتى تفاقم التحدي الاستعماري.

– اعتراف الدول الغربية بالجنسية التونسية أثناء حالات الصدام مع الجزائر وطرابلس خلال القرن التاسع عشر، وذلك على حساب التمثيل العثماني للمصالح التونسية بالخارج في توجه يتوّج تعيين القناصل (الاستقلال الذاتي للديبلوماسية التونسية) 320.

– نشوء القومية القطرية وهي ظاهرة جديدة في تونس ولكنها ليست غريبة في ظرفية تأقلمت فيها الطبقة الحاكمة وتأثر فيها بعض المثقفين بالأفكار الغربية.

4.5– الإرهاصات السياسية لقيام القطرية التونسية

لمسنا فيما سبق توجهات فكرية واتجاهات سياسية ووعي اجتماعي بتميز الخصوصية التونسية، لقد حقق الأب "أ. ديمرسمان" سبقا حين تعقب "فكرة الوطنية في الإنتاج الفكري" التونسي قبل الحماية (1881) وقد جمع أحد عشر(11)

[320] – بشروش (توفيق)،القومية القطرية في تونس قبل الحماية، ملتقى الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع، مصدر سابق ، ص (97-119).

لفظا له صلة بفكرة الوطنية وهي: [تونس/ بلد/ قُطْر/ أُمّة/ إيالة/ بيت/ مملكة/ دولة/ وطن/ استقلال] 321 وقد استعمل ابن أبي دينار ألفاظا مثل: (بلد/ مملكة/ دولة/ دار/ وطن/ أهل/ إخوان/ ملّة) 322.

أما مفردات القرن التاسع عشر والأكثر استعمالا فهي: (قطر/إيالة/إستقلال)، وقد ورد "الوطن" بمعنى "المدينة" أو "تراب القبيلة" أو "تراب السيادة" أو "الانتماء الجغرافي" بعد الهجرة أو "الانتساب الإداري" أو بمعنى "الجهة". ويرجع د.عفيف البوني نشأة ما أسماه "الكيان التونسي" إلى فترة الحضور العثماني في تونس لتستمر إلى حدود الاحتلال الاستعماري الفرنسي طارحا بذلك "قضية الحدود": في أبعادها الرّمزية والسّيادية الممهّدة لنشأة القطر التونسي ككيان سياسي:

– أصبحت لتونس حدودا غربية بعد احتلال الجزائر، وكانت الصراعات على الحدود يحركها ويشجع عليها الحكام الأتراك في كل من الجزائر وتونس، وحتى بعد استقلال كل من تونس والجزائر ظلت مشكلة الحدود قائمة بين حكومتي القطرين ولم يقع تسويتها إلا عام 1967، بعد إبرام اتفاقية حدودية على أساس الخرائط الإدارية الفرنسية التي وضعتها سلطات الاحتلال الفرنسي للبلدين، وحتى خلال التسعينات جدّت خلافات حدودية تم على أساسها الترسيم النهائي للحدود بين البلدين.

– أما الحدود بين كل من تونس وليبيا فلم تكن مؤشرة إلى أن سعى الاستعمار الفرنسي بالاتفاق مع تركيا إلى وضع هذه الحدود التي ضبطتها معاهدة الحدود بين البلاد التونسية وطرابلس الغرب بتاريخ 19 ماي عام 1910 من الطرفين المحتلين التركي323.

عن ليبيا والفرنسي عن تونس، ولازالت قضية الترسيم النّهائي للحدود معروضة على محكمة لاهاي بالاتفاق بين البلدين324.

–مازالت المسألة الحدودية بين تونس والجزائر ومع ليبيا تطرح إلى اليوم إشكالات على غرار ما سلف من شأن قضايا القبائل المختلطة على المناطق الحدودية مثل قبائل "أولاد سعيد والحنانشة"، مثلا، والتي تعلن تبعيتها لقسنطينة مرة وتعلن تبعيتها لتونس خلال القرن 17 ولا زالت هذه القبائل تتواصل فيما بينها، والأمر ذاته يذكر بشأن قبائل أقصى الجنوب التونسي و كذا الشأن بالنسبة إلى جربة التي كانت تلحق مرة بطرابلس وأخرى بتونس...

🡸وهذا أمر لا يترك مجالا للشك بأن الحدود المرسّمة سياسيا لا تثبت حقيقة تاريخية ولم تقم أبدا على أساس جغرافي أو ثقافي أو حضاري أو لغوي أو اقتصادي أو ديني.

5.5– الإرهاصات الفكرية الثقافية لقيام القطرية التونسية

---

[321] – البشروش (توفيق)، القومية القطرية في تونس قبيل الحماية، مجلة مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة الاجتماعية، العدد(4) ندوة (الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع) تونس، 1989، ص(102) .

[322] – القيرواني (ابن أبي دينار) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، مطبعة الدولة التونسية ، 1967، ص (16).

[323] – البشرورش (توفيق) المصدر السابق.

[324] – انظر حيثيات ونصوص ومحاضر هذه المعاهدة في كتاب (المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881–1913) للدكتور عبد الرحمان تشايجي، نقله عن الفرنسية وعلق عليه الدكتور عبد الجليل التميمي، طبع دار الكتب الشرقية ، تونس، 1973، ص(279–293).





إن الحديث عن تونس ككيان ماثل في التاريخ الحديث لم يكن حكرا على أصحاب النفوذ السياسي، بل نلمس آثاره أيضا في أنماط الإنتاج الفكري والثقافي من خلال جملة من مؤلفات أبناء تونس ومن أهم تلك المدونات التي التصقت بالقطرية التونسية نذكر:

عنوان التصنيف	المؤلّف	تاريخ التأليف	الموضوع المتناول
"المؤنس في أخبار إفريقية وتونس"	محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المشهور بابن أبي دينار (ت1092ه)	1681م	- تاريخ إفريقية وتونس منذ الفتح الإسلامي.
الحلل السندسية في الأخبار التونسية	الوزير السراج	(1728-1724)	
الخلاصة النقدية في أمراء إفريقية	محمد الباجي المسعودي (1225ه-1297ه)	1273هجري	تاريخ افريقية منذ الفتح الاسلامي حتى حياة الكاتب.
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان	أحمد بن أبي الضياف (1803م61874م)		عن أمراء إفريقية في القيروان والمهدية وتونس وركز على العهد الحسيني والتاريخ الحديث والمعاصر للمؤلف.
صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار	محمد بيرم الخامس (1840م بتونس/1879 بالقاهرة)		التاريخ العربي لتونس مع الحرص على اعتبارها ولاية عثمانية باعتبار أصوله التركية مع حبه لتونس التي عرّفها على أنها مملكة مستقلة بالإرادة.
الكتاب الباشي	حمودة بن عبد العزيز ولد في (1202ه/1785م)	فترة حكم الباشا علي بن حسين (1782-1759)	أحداث البلاد وتعاقب الأمراء عليها منذ العهد الحفصي وخلال عهد الباشا علي بن حسين تلبية لرغبة هذا الباي ووفق رؤيته.



➜وهكذا يخلص الأستاذ خليفة شاطر إلى أن تونس انفصلت عن البلاد العربية الإسلامية إثر احتلالها سنة (1881) بدعوى "الحماية" *325 وأصبحت تنتمي إلى منطقة النفوذ الاستعماري، وتوخت السلطة الاستعمارية سياسة استيطانية وشجعت نشر اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية الإسلامية، لكن تونس لم تفقد ميزتها كشعب قط ، فنشأت حركات قومية وطنية لكنها لم تفكر قط في الانعزال داخل المجال التونسي، بل وسّعت تعاونها مع الحركات القومية الاستقلالية في أنحاء البلاد الإسلامية وخاصة شمال إفريقيا. ويمكن ذكر تحركات علي باش حامبة مؤسس حركة الشباب التونسي في المجال العثماني، والتنسيق بين حركات التحرر المغاربية (باريس جنيف) وكذلك تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة إثر الحرب العالمية الثانية. كما خلقت الأنظمة الاستعمارية ظروفا خاصة في كل بلد مغاربي، وبعد أن تمكنت حركات التحرر من كسب معارك الاستقلال، خاضت كل نخبة حاكمة فتية في الدولة الوطنية الناشئة تجربتها التنموية الخاصة أغرقتها في الاستقلالية، وهو ما عمق مدلول الهوية القومية القطرية خاصة زمن الحكم البورقيبي في النموذج التونسي.

6 – مقاربة نظرية لدراسة تشكلات الشخصية التونسية في ضوء الآخرية والغيرية:

1.6– في مناهج دراسة الشخصية:

إن الاختلاف والتعدد الحاصل في تحديد طبيعية " الشخصية القومية" سوف ينعكس ضرورة على المناهج والأساليب المستخدمة في دراسة مفهوم الشخصية القومية لدى مختلف الباحثين المتدارسين لهذا المفهوم، فالعديد من الدراسات القديمة استخدمت أساليب غير "علمية"، "فالاعتقاد بأن لكل شعب طابع خاص مستمر طوال العصور يمكن تتبعه من خلال التاريخ كله هو اعتقاد قديم "مثل تفسير ذلك بتأثير القوى الطبيعية مثل النجوم والمناخ على غرار هيبوقراط وبطليموس وجالينوس في العصور القديمة، وفي عصر التنوير تعرض مونتسكيو إلى مفهوم "روح الأمة" القريب من "الشخصية القومية"، ولم تغفل الدراسات الإتنولوجية والأنثروبولوجية الأولى من بدايات القرن العشرين عن تشخيص لمفهوم "الشخصية القومية" على نحو دراسة روث بيندكت (Bénedict Ruth) "للشخصية اليابانية"، ثم ليظهر مؤلف (M. Mead) مرغريت ميد عن الجنس والمناخ في المجتمعات البدائية والذي بلورت فيه وجهة نظرها عن هذا المفهوم في مؤلفها الشهير "الشخصية القومية والأنثروبولوجي اليوم". وفي منتصف القرن العشرين اهتم (Geoffry Gorer) جوفري جورر ب"الشخصية القومية" في عدة مؤلفات مثل "شعب روسيا" و"اكتشاف الشخصية الانجليزية" و"الشعب الامريكي". لدراسة "الشخصية القومية".326 ثم تتالت الدراسات والبحوث من رالف لينتون (Rolph Linton) وإيريك فروم (Erick Fromm) وغيرهم ممن استخدم أساليب علمية لدراسة "الشخصية القومية"، وفي بيئتنا العربية الإسلامية يمكن اعتبار

---

325 - *شجعت كل من فرنسا وبريطانيا المجتمعات المستعمرة وغيرها من القوى الإقليمية على التنصل من الحكم العثماني بدعوى تحرير هذه الشعوب من سيطرة الدخيل وإقامة المشاريع الوطنية المحلية (القطرية) وذلك من خلال عديد المعاهدات والاتفاقيات المشتركة على غرار الحماية بتونس أو الانتداب بالشرق.

326 – سالم (نادية)، الشخصية القومية بين الدراسات الوضعية والدراسات القومية، الملتقى الأول للجامعيين التونسيين والمصريين، "الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع"، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالاشتراك مع المركز لقومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. تونس 12–17 أفريل (1978). ص (28–29).



أهم من تطرق إلى مناهج البحث في الشخصية القومية الدكتور عزت حجازي والذي استعرض الأساليب التالية (الملاحظة/ الاستبار/ الاستخبار/ تحليل المضمون)327 ، فيما تميل نادية سالم إلى حصر أبرز الأساليب العلمية لدراسة الشخصية القومية في ثلاث أساليب : هي (الأسلوب التحليلي / الأسلوب البنائي/ الأسلوب الكلي)328، وبالرغم مواقف دارسي الشخصية القومية التي تتراوح بين التحفظ والرفض للمفاهيم والتعاريف للشخصية القومية ولمناهج وأساليب دراساتهم فإنهم يكتبون دراساتهم وأبحاثهم ومقالاتهم ويصلون فيها إلى نتائج تتميز بالثقة والتأكيد والاطمئنان.329 لذلك نعتقد أنه رغم هذا التعدد في أساليب دراسة الشخصية القومية فإنه ثمة تداخل وتقاطع فيما بينها دون تحديد صارم لمنهج ما، ذلك أن الأسلوب التحليلي مثلا يعتمد طرق قياسية مرجعها المقابلة والاستمارة وتحليل الوثائق، كما أن الأسلوب البنائي يعتمد آلية الملاحظة والتحليل أيضا. ويستخدم الأسلوب الكلي أدوات تحليل المضمون للثقافة واللغة والوثائق وتحلي النفس... وهكذا يمكننا الجزم بأن دراسة الشخصية لا تقتضي صرامة الوسائل والأدوات والمناهج بقدر ما تتطلب استيعابا للخصائص الموحدة والمتميزة "للشخصية القومية" ومقومات "الذاتية الاجتماعية" ورصد سمات "الجماعة الاجتماعية".

2.6– نقد المناهج النظرية الغربية في دراستها للشخصية العربية الإسلامية:

إن مختلف الدراسات التي أنجزت في سبر أغوار الشخصية العربية الإسلامية والكشف عن العديد من جوانبها لا تنفك عن اعتماد الأساليب الثلاثة المذكورة على أن الدكتورة نادية سالم لا تستبعد أن تشوبها جملة من المآخذ التي قد تذهب بجدواها أو مصداقيتها أو إطلاقيتها أو موضوعيتها وتسجل تبعا لذلك تحفظاتها التالية:

- البعد الإقليمي لغالبية تلك الدراسات التي ركزت على دراسة السمات الخاصة بشعب ما من الشعوب القطرية العربية معزولا عن الشعب العربي ككل باعتباره تركيبة واحدة قوميا ودينيا.

- تعالي أدوات ووسائل البحث المعتمدة عن البيئة العربية ومقارعتها لخصائص الطبيعة والواقع العربي باعتبارها أدوات غربية استنبطت لتلبي احتياجات البحث للشعوب الغربية المتقدمة.

- تكريس مختلف البحوث المنجزة مظاهر الاختلاف بدل التركيز على عوامل الوحدة وهو ما قد يخدم التجزئة القائمة في الوطن العربي

327 – حجازي (عزت)، الشخصية العربية، وحدة أم تنوع، ص (10).

328– سالم (نادية)، المرجع السابق ص (29).

329 – مختار(علي)، المرجع السابق ص(59).



- تعسف بعض نتائج تلك الدراسات التجريبية بنزوعها إلى التعميم والحال أنها أجريت على عينات معزولة أو محدودة إقليميا أو وطنيا فلا يعقل أن تسحب على الشخصية العربية بكليتها.

- تعمد بعض تلك الدراسات عزل المواطن العربي عن سياقاته وظروف مجتمعه أو معيشه أو طبيعة نظامه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي القائم باعتبار أن البحوث التجريبية تنطلق من موقف نظري يتبناه الباحث مسبقا في نظرته إلى الشخصية القومية العربية.

- الطابع الإطلاقي لنتائج تلك الدراسات الذي يميل إلى النظر إلى الشخصية في ضوء القوالب الجامدة، حيث تميل إلى الإطلاق التاريخي دون اعتبار عنصر النسبية التاريخية والظروف الاقتصادية والاجتماعية في التحليل.

- استخدام أسلوب التحليل النفسي أوقع تلك الدراسات في تعميمات خاصة بالمرضى النفسيين وقع سحب نتائجه على مجتمع بأسره، فلا يعقل وسم شعب بأسره انه مريض بالشيزوفرينيا أو بمركز نقص ما.

- الانحيازية المفضوحة لبعض الدراسات ضد الشخصية بالمجتمعات العربية الإسلامية المتعمدة لوصف العرب بالعدوانية أو العاطفية أو الانفعالية المفرطة.. أو النتائج التي اعتبرت اللغة العربية لغة مبالغة فهذا تحيز ناجم عن إغفال حقيقة انه لا توجد لغة لها سمات مطلقة ودائمة، فالسمات تتعلق فقط بكيفية استخدامها بواسطة مجموعة بشرية معينة في إطار تاريخي محدد وبكيفية محددة فلا مشكلة في اللغة في حد ذاتها بل في درجة النضج العلمي والاجتماعي لمستخدمه.

7. مقاربة تطبيقية لدراسة تشكل الشخصية التونسية من خلال الآخر:

1.7 – العوامل الحضارية المشكلة للشخصية التونسية:

اعتبارا للأسباب المتقدمة فان دراستنا للشخصية الاجتماعية التونسية والهوية الثقافية في تونس سوف لن تتعصب لمنهج ثابت في تحليلها أو تلتزم أسلوبا بحثي محددا قدر اعتمادها على منهج الاستقراء التاريخي ورصد مقومات وخصائص الشخصية التونسية وملامحها الإجرائية العامة بعيدا عن التعميم المتعسف بل من خلال التراكم التاريخي الذي تناولته البحث الاجتماعية والدراسات الثقافية التي تناولت بالدرس الثقافة والهوية والشخصية والفكر في تونس. وذلك من خلال تلقف بعض معالم الشخصية التونسية كما ارتأته بعض الدراسات الاجتماعية وفي سياقات المباحث الحضارية والمؤلفات الأدبية والتاريخية وغيرها من رؤى المفكرين والمثقفين. قبل الإسلام والحضور العربي بإفريقية يمكن اعتبار الحضارتين القرطاجنية والحضارة الرومانية الأكثر تأثيرا في شخصية السكان الأصليين (البربر/ الأمزيغ) لكن كلتا هتين الحضارتين عاملت "أبناء البلاد" المحافظين على شخصيتهم الأمزيغية على اعتبارهم "غير مواطنين" بل كعبيد أقنان أو مسخرين كفلاحين في أراضيهم فرضت عليهم ضرائب سنوية مجحفة تتضاعف قيمتها زمن الحروب مما يولد ثورات



متتالية، وحتى أولئك الذين تعاونوا مع سياسة هتين الحضارتين (بربر تقرطجوا أو ترومنوا) فتشبهوا بهم وتعلموا لغاتهم ومارسوا الدعاية لقرطاج وروما لم يحظوا بالمواطنة المأمولة على غرار (أبوليوس/ ويوبا..)، هكذا يمثل الأثر الحضاري الاجتماعي أشكالا يتحدى قاعدة معروفة وهي أن الهجرة الخارجية تؤدي إلى التجانس أما الهجرة الداخلية فتؤدي إلى التنافر، لأن كل غزاة افريقية أو تونس أو كل من هاجروا إليها بقوا متنافرين مع أبناء البلاد ما داموا محافظين على "شخصيتهم الحضارية"."ولكن تصدق قاعدة أخرى وهي أن البلدان المنفتحة جغرافيا مثل "افريقية" المغربية بخصوبة أراضيها وامتداد حدودها البحرية سهلة الاستحواذ تجتذب الغزاة والمهاجرين والمغامرين لكنها تبقى عصية يحتد فيها التنافر الجنسي"بل العكس من ذلك أيضا اعتبر العنصر الأجنبي الوافد، افريقية أرضه فاستوطنها وعاملها بخلفية الأجنبي المتفوق جنسا وعنصرا وحضارة وفضيلة (1500سنة) مكثها الغزاة الروم والقرطاجينيون قبلهم وغيرهم تكرست أسس مجتمعين متمايزين : مجتمع أمزيغي أهلي مهمش ومطارد في الجبال والصحاري (مجتمع بدائي/sicietas). ومجتمع أجنبي في عمومه متعدد الأعراق "متآلف" (الأفارقة/الروم) يسكن المدن ويسيطر على الاقتصاد متواطئ مع الغزاة (مجتمع مدني/ civitas). ولعل هذا الانقسام وهذه التركيبة المتمايزة أصلت لشخصية "إفريقية" غير مستعدة لمقاومة الغازي الأجنبي مقاومة طويلة وعنيفة كما هو الحال بالنسبة للمغربين الأوسط والأقصى الذين لا يكتفيان بالذود عن حياتهم بل يهبون للذود عن المغرب الأدنى كلما حدث زحف أجنبي، وحتى الإسلام لم يفلح في علاج هذه الظاهرة أو تغيير هذا الواقع إذ انحاز العرب تاريخيا للوافدين الأجانب، لذلك تكررت ثورات السكان الأصليين بتكرر الاستبداد والجور.. ويمكن اعتبار مقاومة كسيلة والكاهنة البربريين من قبيل ذلك. لكن بعد تأسيس القيروان توقفت مقاومة البربر للإسلام بل نبغ من البربر قادة وفاتحون على غرار طارق بن زياد وتأسست دول مستقلة أو شبه مستقلة عن مركز الخلافة قامت على القاعدة البربرية على غرار الدولة الفاطمية.

ومن أهم أسباب هذا الاندماج إسلاما وتعريبا يعود إلى عوامل أهمها :

- قيام دعوة الإسلام على السماحة والعدالة والمساواة والإخاء ..
- العلاقة التاريخية بين البربر وحضارة وادي النيل باعتبارهم ينتمون والمصريين إلى مجموعة المحامين الشرقيين جنسا فضلا عن تشابه لغاتهم والعوامل الجغرافية والمناخية والحضارية حتى (البداوة)
- التوافد العربي على القيروان وترحال البربر إلى المشرق للنهل من علوم الدين واللغة (مثل أبو القاسم المالكي/ وسحنون).



- إن الفتوحات والحضارة العربية الإسلامية أعادت لقسم كبير من البربر من داخل البلاد (سكان الجبال والأرياف والصحاري) ثقتهم بأنفسهم من الغبن التاريخي على مدى (1500سنة) لذلك يمكن القول أن الإسلام تدارك النفس الافريقي قبل أن تنكسر نهائيا بفعل قهر الغزاة واستبدادهم.330

على أن الدور العثماني التركي في تونس أعاد الذاكرة إلى مظاهر التعسف التي طوحت بسكان تونس الأصليين (حادثة عسكر زراوة/ التصدي العنيف لانتفاضة على بن غذاهم وما خلفته من قمع دموي تجاوز 20 ألف ضحية..)، وغيرها من الأحداث التي روى بعضها ابن أبي الضياف في إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، من ذلك المعاملة الطبقية والتمايز الاجتماعي، فقد انقسم المجتمع التونسي إلى طبقات متفاوتة:

- أعيان المخزن أصيلو مناطق داخل الإيالة (أغلبهم من البدو) ذوي البطش والغلظة سلّطتهم البايات على سكان الأرياف التونسي وصحاريه أمثال "اللزامة" وقادة الميليشيات العسكرية والصباحية وبعض الكتاب والقادة الذين نكّلوا بالتونسيين.

- البَلْدِيَّة (سكان مدينة تونس القدامى/ تدفقوا على تونس من الأقطار العربية والأجنبية) وهم يقدمون أنفسهم على أنهم صفوة المجتمع" التونسي الأهلي مثل: (آل بن عاشور/ والثعالبي/ والنيفر/ والبارودي/ والرصّاع/ والبكري/ والدرناوي/ ومحسن...) وقد افتك الأتراك منهم هذه المنزلة فتدحرجوا إلى الطبقة الثانية.

- ويليهم سكان الإيالة الآخرون الذين ينعتون من قبل البلدية "بالبرَّانِيَّة" أو "البْرايْنِيَّة" أي الآفاقيين الذين يمنع سكانهم بالمدن (داخل الأسوار) ويحرم الزواج منهم أو سفر النساء إلى مناطقهم.331 ولكن مع استيلاء الأتراك الأحناف على البلاد حتى تولى الخطط العلمية والدينية والإدارية عائلات تركية سليلة الأسر التركية الأولى المحتلة لتونس، مما اضطر العائلات المالكية العالمة تحترف حرفا تقليدية أخرى والتجارة تعويضا على العلم مثل أسرتي النّيْفر وابن عاشور... وقد حاول أحمد باي نتيجة للضغوط والتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في القرن التاسع عشر (ق19) أن يساوي بين علماء332 المذهبين الحنفي والمالكي في المرتبات والتعيينات الجديدة في العام (1225هـ /1842م).

إن الظلم السياسي والحيف الاجتماعي والتهميش الثقافي والاستهداف الاقتصادي... عوامل تضافرت لتحطيم الشخصية التونسية وتفتيت هويتها الثقافية وكسر نفسيتها كسرا لاحظه رحالة ألماني فصرح قائلا : "إن الجرائم والمآسي التي تعرض إليها هذا الشعب طيلة تاريخه، وخاصة في العهد التركي الحسيني، قد خلفت في طباعه آثارا سيئة من شأنها أن تطمس فيه مشاعر الشرف وتخمد فيه مفاهيم الولاء والإخلاص.. إن الاستبداد يبطل الشعور بالطمأنينة ويؤدي إلى الكسل الفطري الذي يتميز به أهل هذه البلاد". ثم استحضر المراحل الكبرى لتاريخ تونس خاتما ب"لا يسعنا عقب هذه الورقة التأمّلية إلا

[330]- خوالدية (الضاوي): شخصية التونسي محمول الجغرفيا والتاريخ، مصدر سابق، ص (13-16).

[331]- خوالدية (الضاوي): الذوات والأسرة التونسية في القرن التاسع عشر، مطبعة(JMS)، (دت) ص(68-69).

[332] – ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر تونس (1989) ج (4) ص (73-76)







أن نتساءل عن العبرة من كل هذه الأحداث وعن الشر في ابتلاء هذا القطر بمصائب ورزايا متتالية لنجده في آخر المطاف يزل في هوية الهمجية الراجية ويرسخ فيها، فأي لعنة يا ترى حتمت هذا المصير القاسي".333 وقد استمر هذا النهج التعسفي في ما عرف بالحماية الفرنسية مع شيء من تبادل الأدوار حيث احتل الفرنسيون المحتلون المنزلة الأولى في المجتمع والسلطة والاقتصاد والإدارة والفلاحة حيث وضع المعمرون أيديهم على أخصب الأراضي، يليهم الأتراك والمماليك والمخازنية وأعوانهم الذين تمسكوا بوظائفهم وازدادوا مع ذلك شراسة وفتكا بالأهالي إرضاء لحماتهم الفرنسيين، ويلخص المؤرخ الفرنسي شار أندريه المختص في تاريخ المغرب العربي حالة تونس والتونسيين فيها في مطلع القرن العشرين (ق 20) "الإيالة التونسية يفترش الفلاحون فيها الأرض، ويخربشون أديمها بمحاريث خشبية ولا تتجاوز كنوزهم بعض الخرفان، ورغم ذلك يدفعون الأداء الفردي (ضريبة).. ويقتاتون غالبا بالخبّيزة ويسمون من قبل الفرنسيين "بيكو" (Bicot) احتقارا، ويحرمون من التعليم العصري لأنه يزيدهم حقدا على الفرنسيين".334 ثم نقل رأي بعض المسؤولين الفرنسيين في التونسيين "هم لا يهابون إلا القوة من دون اعتبار للقانون وللعدالة وهم أذلاء أمام الأقوياء وقحون أمام الضعفاء.. فدعوني أضحك.. فمتى وجد أهلي إنساني.335 هذه النظرة الدونية المهينة للشخصية التونسية من قبل الآخر الأجنبي أسست عمليا إلى ردود فعل مقابلة ومضادة ومتوجسة من الآخر حتى وإن كان أخيه التونسي، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور محمود الذوادي الذي رصد سلوكات التونسي العادي اعتمادا على ملاحظاته الميدانية أثناء احتكاكه بالتونسي "الآخر" فتجلى له أنّ تفاعل التونسي مع التونسي الآخر* يغلب عليه التوجس والخوف والارتياب والاستنفار، وعليه يجوز وصف شخصية التونسي في ظروف تفاعله هذا بأنها "شخصية مستنفرة**336 ، وهذا سلوك يتعارض مع ما يشاع عن أن التونسي مودودي ولطيف وحفي بالآخر الأجنبي أو ما يعرف بالأغيار.337 كما سنعرض له في عوامل تشكل الصورة السلبية للشخصية التونسية.

2.7 – تشكّلات تاريخية للصّورة السّلبية للشّخصية التّونسية:

إن الشخصية نظام سلوكي ونظام ذهني والنظامان متداخلان متكاملان ينشآن بالتدريج نتيجة لعوامل الجغرافيا والزمان والتربية... فيشكلان الشخصية الفردية كما يشكلان السمات الأساسية المشتركة للشخصية الجماعية أو الوطنية أو القمية، والسمات المشتركة التي ترسم ملامح شعب ليست وليدة الحاضر ولن تكون إنما هي وليدة الماضي أي عشرات القرون السابقة بما فيها من رفاهية أو بؤس أو عدل أو تعسف أو علم أو جهل أو هزات أو استقرار أو خصوبة ارض أو فقرها أو مجاب عادية أو مشط أو حرية أو عبودية أو نقاوة جنس أو أخلاط... ولعل هذه الثنائيات المذكورة هي البانية

[333] -Pellissier, description de la régence de Tunis,2 ect, Bouslama,Tunis,1980 p(330-333).

[334] -Dr. L.Frank et J.J. Marcel : Histoire de Tunis, 2éd. Bouslama Tunis, p (100-104).

[335]– شارل اندريه جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية للتوزيع (دت) ص (21).

*تعني كلمة "الآخر" في هذا التناول الغريب أو (البراني) بتعبير اللهجة التونسية العامية.

[336] – خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي، مصدر سابق ص (22).

[337]– الذوادي (محمود)، الوجه الأخر للمجتمع التونسي، عبر الزمان، تونس 2006. ص (65).

** تستخدم كلمة "المستنفرة" في هذا الإطار كرديف للمتخوفة والمتوجسة والمرتابة.





للشخصية الجماعية فإذا سادت السلبية كانت الشخصية في عمومها سلبيات، وإذا سادت الايجابيات كان الشخصية في عمومها ايجابية.

1.2.7 – أبعاد ورؤى حول الشّخصية التّونسية السّلبية:

لعل التحليل التاريخي يحيلنا إلى عديد المكونات السّلبية لشخصية التونسي فيما يراه الدكتور الضاوي خوالدية في دراسته للشخصية التونسية المشكلة.338 من خلال استعراضه لحوادث تاريخية بعينها ورؤى بعض الشخصيات التاريخية الذاتية لحقيقة التونسي، ومن أهمها:

- رؤية ابن خلدون السلبية لشخصية التونسي، مع أنه تونسي المولد والمنشأ تعلما وثقافية، وهي عوامل لم تمنعه من وصف التونسي بـ:"القهر الباطش، والتنقيب في عورات الناس وتعديد ذنوبهم يؤدي إلى التطبع بالكذب والمكر والخديعة وفساد البصائر والأخلاق".339

- مضمون رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمر بن العاص المانعة من فتح إفريقية الواصفة لأهلها بـ"الغدر وافتراق الكلمة".340

- تعديد محمد بيرم الخامس سلبية التونسي بطباع:"عدم الانقياد لأخيه التونسي والانقياد للأجنبي والميل المفرط لخويصة النفس".341

- توجه المستشرق لويس فرانك Louis Frank الذي عاش في تونس طويلا وخلط طباع نماج مختلفة من البدو والحضر التونسيين لتعديد خصال سلبية وجارحة للشخصية التونسية بوصفها بثمان نعوت حاصلها: (البخل/والجشع/ والحقد/ والبغض/ والأنانية/ والإدمان على المسكرات بكل أنواعها/ والشذوذ الجنسي/ والغش/ والكتمان المفرط على ما يملك / وعدم الوفاء بالوعد).342

- تعديد المستشرق بيليسييه (E. Pellissier) صفات مستهجنة عن التونسيين بمختلف انتماءاتهم الاجتماعية والطبقية ناجمة عن مخالطته لهم فقد لفت انتباهه في هذا السياق : (ضعف وفقدان الحيوية لدى حضر تونس/ قوة وحيوية لدى البدو في تونس/ ذكاء في البوادي وغباء في المدن /عدم إيلاء العفة في تونس العاصمة ساردا حكايات غريبة في هذا الصدد).343

- تطابق ملاحظات الأمير الرحالة الألماني سميلاسو بعد زيارته إلى الإيالة التونسية في العام 1835 مع ملاحظات سابقيه مُرجعا أسباب سلبية طباع الشخصية التونسية إلى الطغيان والعنف حيث قال : "إن الجرائم المرتكبة في حق الشعب

---

338 – خوالدية (الضاوي) : شخصية التونسي محصول الجغرافيا والتاريخي مصدر سابق ص (28).

339– ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد (د ت) ص (188).

340– ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة، مصدر سابق ص (142).

341– بيرم الخامس (محمد): القطر التونسي في صفوة الاعتبارن تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس (1989) ص(62-63).

342 -Dr. Luis Frank, et J.J.Marcel.Histoire de Tunis, 2émeéd, Bouslama Tunis P(100.102.103.104.330).

343 - E.Pellissier, Description de la regence de Tunis, 2eme ed, E. Bouslama .Tunis (1980), P (330.331.332.338).







التونسي قد خلقت في طباعه إثارات سيئة من شانها أن تطمس فيه مشاعر الشرف وتخمد فيه مفاهيم الولاء وأبطلت لديه الشعور بالطمانينة وطبعته بكسل فطري".344

- تأكيد ما نقله المستشرقون الغربيون الثلاثة السابقين من مواقف إزاء الشخصية التونسية من قبل إعلام من المثقفين والمصلحين والمفكرين التونسيين المنتمين إلى فترات مختلفة من تاريخ تونس الحديث على غرار الطاهر الحداد ومحمد الهادي بن القاضي وخاصة هشام جعيط الذي عرض ثلاث سمات سلبية للشخصية التونسية وهي: (انتشار ظاهرة اللواط/ علاقات العداء بين التونسيين وبين الأخ وأخيه: من عنف وحقد وحسد وضغائن واستهزاء وشائعات واستنقاصية/ والاعتقاد في السحر وممارسته).345

2.2.7 – المبررات التاريخية لرؤى الشخصية التونسية السلبية:

وعموما تؤكد مختلف هذه المواصفات للشخصية التونسية وسماتها النفسية وتجليتها السلوكية ذات الطابع السلبي على عدم قدرة التونسي على التعاون والتكاتف مع أخيه التونسي وحالة التنافر المانعة لأي دور للتونسي في عمل جماعي التونسي – التونسي وهو ما أطلق عليه الأستاذ محمود الذوادي "الشخصية المستنفرة" ومن أهم مظاهرها في التاريخ التونسي :

– حالة الصراع بين علماء الدين والفقهاء والمتكلمين المتأسس على الخلافات المذهبية والتحاسد والوشايات، مثل محنة المؤرخ ابن خلدون مع الفقيه المالكي ابن عرفة / أو الخلافات الحاصلة بين الفقهاء المالكية والأحناف.

– انتفاضة علي بن غذاهم وما تسببت فيه من تهديد حكم البايات وما أعقبها من خيانات وتحول ولاءات بعض قادتها الى المخزن (السلطة) فكانت نهايتها المأسوية من مذابح وتنكيل بالأهالي).

- موقف الحزب الحر الدستوري السلبي من حركة محمد علي الحامي النقابية والاجتماعية بلغ حد الاستقواء بالسلطة الاستعمارية والتآمر على إجهاضها في مهدها.

- سحب الزعيم الحبيب بورقيبة البساط من الشيخ عبد العزيز الثعالبي وصحبه من مؤسسي الحزب الدستوري الذي وصف بـ"القديم" بعد انعقاد مؤتمر قصر هلال سنة 1934.

- استقواء الزعيم بورقيبة ورفاقه بفرنسا لمقاومة صالح بن يوسف ذي التوجهات العروبية.انتهت أطواره بتصفية بن يوسف جسديا وملاحقة أتباعه فيما عرف عند بورقيبة بالفتنة اليُوسفية.

---

[344] – – بوكلير موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية 1835م) عربه منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (1989)، ص (88.101).

[345]– جعيط (هشام)، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة ط (1) بيروت، (1984) ص (84 . 92 .168).





3.7 – الشّخصية التّونسية بين الإنية والآخرية:

في ضوء ما تقدم تنسج الشخصية التونسية لنفسها صورة متضخمة تعكس نرجسية ذاتية وأنانية فردية سرعان ما جرته إلى بناء مواقف كبريائية وعدائية من الآخر القريب (ابن جلدته وأخوه التونسي عموما)، واتخاذ موقف مضاد لذلك من الآخر الأجنبي إذ يكون فيها التونسي أكثر مودودية ولطفا وقربا منه وكان من نتائج هذا السلوك المتناقض:

- محدودية انتشار التونسيين واشتهارهم من فنون واختصاصات برعوا فيها وتفوقوا في إبداعاتهم وما أغرقهم في محلية إقليمية ضيقة مهما علا شأنهم في العلم والفكر والثقافة والأدب أمثال (ابن خلدون/ ابن عرفة/ محمد الأخضر بن حسين / أبو القاسم الشابي/ الطاهر الحداد/ عبد العزيز الثعالبي...).

- تمثل التونسي بصفات "القنوع، الراضي بالموجود' النافر من المغامرة غير الحالم بالمجد والتميز/ المعلي لصوت "أناه" فوق كل الاعتبارات بما فيها الوطن / المختزل لوطنه في مدينته/ المعتبر لمن هو خارج المدينة براني وآفاقي..346

- عقدة الأجنبي عند التونسي المتمثلة في احترام وتبجيل ومساعدة "الأغيار" الوافدين الأجانب وقد بلغت ذروتها عندهم تقديس الأولياء وأصحاب الزوايا الذين لولا أصولهم الأجنبية الحقيقية أو المزيفة والمفتعلة لما قدسوا في تونس ولما اتبعوا ولما أسموا أبناء على أسمائهم.347

- انصياع وخضوع التونسي للحكام الأجانب للبلاد التونسية في مختلف أحقاب التاريخ من قرطاج إلى فرنسا تحت نفس مسوغات العقدة من الأجنبي الناتجة للسياسات الترهيبية لأولئك الحكام وبطشهم بأهل تونس على أن انبهار الرحالة العرب القدامى بالشخصية التونسية الودودة الطيعة الهشة الباشة إنما هي شخصية مدخرة للوافد "المخيف" فقط.

- الكراهية الدائمة للحكام الأجانب لرعاياهم التونسيين مع الحرص على عدم الاحتكاك بهم أو الاندماج معهم مهما طال استقراره بتونس واحتقارهم للشّخصة التونسية: (العربي خذ ماله واقطع رأسه/ التونسي لا يصلح للحكم/ أولاد تونس زقايط لا يصلحون لشيء).

- انبهار التونسي بالآخر في رموزه وأشكاله إلى غاية تبديل اللباس وتقليد الآخر مظهرا. فكلما رأى "جديدا" لدى الأجانب قلّده مما حدا بأحد الكتاب باستهجان هذا السلوك: "قد أبدلوا أزياءهم البهيجة بملابس قبيحة تخلط بين الطراز التركي والطراز الأوروبي".348

- تميز التونسي عن سائر سكان المشرق والمغرب العربيين بقدرة عجيبة على نطق اللّغات الغربية واللّهجات، والسبب هو مدنيته وتعدد الأصول والجذور التونسية نتيجة التعاقب الحضاري على تونس بفعل الحراك التاريخي الذي عاشته

346- الحداد (الطاهر)، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس (1987) ص (23-24).

347 - خوالدية (الضاوي)، الذوات والأسر التونسية في القرن التاسع عشر مطبعة (JMS) تونس، (د ت) ص (110) .

348- سميلا سو في إفريقيا (مصدر سابق) ص (69).



البلاد التونسية في مختلف أحقاب التاريخ التونسي.349 هذا التعظيم للآخر "الأجنبي" والتوجس من الآخر "الأخ التونسي" يطرح تقطع الشخصية التونسية بين إعلائها الذات المتضخمة والتناقض الحاصل بين سلوكاتها الحميمية للآخر الأبعد (الأجنبي) والارتيابية من "الآخر الأقرب" (ابن البلد) وهو ما يوقع الشخصية التونسية في صراع مع احتياجات هويتها الذاتية ومقتضيات "هويتها الجماعية" ، وهذا مبرر للبحث عن معالم الشخصية القاعدية المستنفرة كما شخصها الأستاذ الدكتور محمود الذوادي.

خاتمة

إن مختلف المقومات والمكونات الثقافية التي تناولناها بالعرض تساهم في تشكل المجتمع التونسي تاريخيا رسم جوانب من الشخصية التونسية وتمظهراتها الثقافية في علاقة بالآخر القريب والبعيد، وإن غلبة الطابع السلبي لملامح تكوين الشخصية التونسية، لما يراه البعض اغترابا أو تغربا أو استنفارا أو انبتاتا ثقافيا ..إنما هو اثر تراكمي لفواعل حضارية حاصلها تعاقب المد الاستعمار والغزو والاحتلال والوصاية والتبعية والحماية...الأجنبية التي حولت إفريقية في تاريخها القديم وتونس في عهودها المعاصرة والحديثة ولعوامل جغرافية صرف تتصل بموقعها ووجودها الجيواستراتيجي عنوانا متقدما للأجندات الامبريالية وحديثة ثقافية خلفية ربما كما كانت مطمورا للإنتاج الفلاحي للإمبراطوريات القديمة. فالبرغم من محاولات التأصيل الحضاري وتجذير الهوية، وبرامج التعريب اللغوي والثقافي وخصوصا منذ سنة 1981 ثم في التسعينات ، إلا أن الاستهلاك الثقافي لا يزال يستخدم لغة أجنبية هي الفرنسية او لغة هجينة تعرف بالفرانكو أراب وهي لغة مزدوجة تهدد نقاء وبقاء اللغة الوطنية والهوية الجماعية وهو ما رأى فيه الأستاذ محمود الذوادي تخلفا آخر "أو هو بالأحرى" عنده تجل لوجه آخر للمجتمع التونسي الحديث"* وسواء أكانت اللغة عربية أم فرنسية أم هجنته لخليط منهما فان الطابع الاستهلاكي اليوم يهدد التطور والتأصل والبقاء الثقافي.

قائمة المراجع

1- فوكوياما، (فرنسيس)، نهاية التاريخ وخاتم البشر، (ترجمة حسين أحمد أحمين)، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.

2- صموئيل، (هنتنغتون)، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، (ترجمة د. مالك عبيد أبو شهيوة، محمد محمود خلف)، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1999

3- ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (محمد بن مكرم بن على)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط، 3- 1414هـ

4- البستاني (بطرس)، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ط 4 دت.

5- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، دار الدعوة – تركيا، دت.

6- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قسم المعاجم والقواميس، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004.

349- L. Frank, Histoire de Tunis,ibid,P (99).



7- -Le Petit Robert - Dictionnaire de la langue française / Paul Robert, Alain Rey, Josette Rey-Debove, Henri Cottez. – Paris : Société du nouveau Littré, Le Robert, 1967.

8- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة، تحقيق: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، ط2، بيروت – باريس، 2001.

9- مجلة "تبين" للدراسات الفكرية والثقافية، العدد 11 - المجلد الثالث - شتاء 2015.

10- "The Other", The New Fontana Dictionary of Modern Thought, Third Edition, (1999).

11- "Othering", The New Fontana Dictionary of Modern Thought, Third Edition (1999).

12- التهانوي (محمد علي)،كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد وجيه وآخرون، كسته (1862).

13- التونسي الزواري (سارة) : المعجم الفسفي النقدي، مطبعة التسفير الفني،صفاقس، تونس(2005).

14- الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت (1974).

15- صليبا(جميل) . المعجم الفلسفي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت (1973).

16- غدنز (أنتوني)، علم الإجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم د. فايزالصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، ط (1). بيروت أكتوبر (2005).

17- كوش (دوني)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب الرب، دمشق (2002).

18- حسن (سمير إبراهيم)، الاستراتيجيات والسياسات الثقافية الوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي، المجلة العربية للثقافة، العدد (46) مارس (2005).

19- خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي : محصول الجغرافيا والتاريخ، تونس (د ت).

20- علي (نبيل)، استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية وإثرائها والتحدي الإسرائيلي المعلوماتي، المجلة العربية للثقافة، العدد (46)، الألكسو، تونس مارس آذار (2005).

21- بن عامر (توفيق)، الهوية الثقافية بين الثبات والتغير، مجلة الحياة الثقافية، العدد (197) تونس نوفمبر (2008).

22- القباج (مصطفى)، إسهام الثقافة في الحفاظ على القيم الحضارية والإنسانية، مجلة الحياة الثقافية العدد (187) تونس نوفمبر (2007).

23- عفت الشيخاوي، مشكلة الهوية بين الثابت والمتحول في الفكر الإصلاحي. ملتقى الذات والآخر، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس (2003) ص (105-124).

24- محفوظ (محمد) الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي ط (1)، الدار البيضاء، المغرب.(1999).

25- جاكوب (فرانوا)، لعبة الممكنات، بحث في تباين الحي، دار الحصاد، دمشق (1991).

26- حرب (علي)، مصيدة الأسماك والهويات، ندوة الآخر، منشورات كلية الآداب صفاقس، ط1، نوفمبر، صفاقس (2000).

27- الأنثروبولوجيا الثقافية للدكتور عاطف وصفي، دار النهضة العربية بيروت (1971).

28- بوطالب (محمد نجيب) الثقافة عنصرا فاعلا في التنمية والحياة الثقافية العدد (197) تونس، نوفمبر 2008.

29- بوكلير موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية 1835م) عربه منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (1989).

30- Amin,Samir, La nation arabe.Nationalisme et lutte de classes,les eduions de Minuit-Paris colin,1974.

31- Irwi,Abdallah, L'origine sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912),Paris,1977.




32- chesneaux, Jean,Le processus de formation des nations en Afrique et en Asie(Essais d'analyse marxiste).la pensée,n°119,1965.

33- البشروش (توفيق)، القومية القطرية في تونس قبيل الحماية، مجلة مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة الاجتماعية، العدد(4) ندوة (الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع) تونس، 1989.

34- القيرواني (ابن أبي دينار) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، مطبعة الدولة التونسية ، 1967.

35- سالم (نادية)، الشخصية القومية بين الدراسات الوضعية والدراسات القومية، الملتقى الأول للجامعيين التونسيين والمصريين، "الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع"، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالاشتراك مع المركز لقومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. تونس 12-17 أفريل (1978).

36- خوالدية (الضاوي): الذوات والأسرة التونسية في القرن التاسع عشر، مطبعة(JMS)، (دت).

37- ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر تونس (1989).

38- Pellissier, description de la régence de Tunis,2 ect, Bouslama,Tunis,1980 .

39- Dr. L.Frank et J.J. Marcel : Histoire de Tunis, 2éd. Bouslama Tunis.

40- شارل اندريه جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية للتوزيع (دت).

41- الذوادي (محمود)، الوجه الأخر للمجتمع التونسي، عبر الزمان، تونس 2006.

42- ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد (د ت).

43- بيرم الخامس (محمد): القطر التونسي في صفوة الاعتبارن تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس (1989).

44- Dr. Luis Frank, et J.J.Marcel.Histoire de Tunis, 2émeéd, Bouslama Tunis.

45- E.Pellissier, Description de la regence de Tunis, 2eme ed, E. Bouslama .Tunis (1980).

46- بوكلير موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية 1835م) عربه منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (1989).

47- جعيط (هشام)، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة ط (1) بيروت، (1984).

48- الحداد (الطاهر)، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس (1987).

49- فريحه (صابر)، "حادثة حفل ستار أكاديمي صفاقس: حادثة تدافع أم اندفاعية شباب ؟ ومن الحب ما قتل، "الشعب التونسية العدد (917) ، 12 ماي 2007.

50- شكري (غالي) الثقافة العربية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1986.



بأي معنى تكون الجغرافيا أصلا من أصول خطابات التمركز الأوربي والتعصب للذات ورفض الأخر.

In any sense, geography is one of the origins of the discourses of European centralization, fanaticism and rejection of the other.

خالد بالضياف : طالب دكتوراه سنة ثالثة قسم الفلسفة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر-

البريد الإلكتروني:khaledbeddiaf@gmail.com

ملخص:

إن كل مركزية نحو الذات والثقافة المحلية لا تنشأ من فراغ، حيث أن كل تمركز حول الذات سواء كان تمركز ثقافي أو ديني أو عرقي يكون نتيجة تراكم معرفي وثقافي وإيديولوجي، فلا يمكننا الحديث عن بدايات مطلقة لا يوجد قبلها شيء، وبعبارة أخرى لا ظاهرة بدون أسباب وجذور وخلفيات،ولذلك فظواهر كالعنصرية والتعصب والتمركز الأوربي لها جذورها العلمية والعرقية والدينية والفلسفية ،التي مهدت له، وسنحاول في هذه الورقة البحثية الموسومة ب: بأي معنى تكون الجغرافيا أصلا من أصول خطابات التمركز الأوربي ،والتعصب للذات ، ورفض الأخر أن نسلط الضوء على الجذور البيئية والجغرافية لظاهرة التمركز الأوربي والتعصب والعنصرية . لاسيما وأن العامل البيئي والجغرافي كثيرا ما لا يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة ظواهر كالتعصب والعنصرية في مقابل التركيز على عوامل أخرى مثل العرق ،والدين واللون.

الكلمات المفتاحية: المركزية ، التعصب ،الجغرافيا، العنصرية ،الهيمنة.

Summary:
All self-centeredness and local culture do not arise out of a vacuum, since every self-centeredness, whether cultural, religious or ethnic, is the result of a cognitive, cultural and ideological accumulation, so we cannot talk about absolute beginnings before which there is nothing, in other words there is no phenomenon without reasons And roots and backgrounds, and therefore phenomena such as racism, intolerance and European centralization have their scientific, ethnic, religious and philosophical roots, which paved the way for it, and in this research paper tagged with: In what sense is geography originally from the origins of European concentration discourses, intolerance of the self, and rejection of the other, to shed light on the roots Environmental and geographic phenomena of European concentration, intolerance and racism, especially since the environmental and geographical factor is often not taken into account when studying phenomena such as intolerance and racism, as opposed to focusing on other factors such as race, religion and color.

Key words: centralization, intolerance, geography, racism ,domination







مقدمة:

عمل الفلاسفة والمفكرون الغربيون منذ اليونان على أن يؤصلوا لظاهرة التمركز الغربي ،والتفوق الأوربي حيث سعوا لإيجاد أسس علمية وفلسفية ودينية لتبرير الهيمنة على الأخر وإحالته إلى مكون هامشي،ولذلك فإن المركزية الأوربية وما نتج عنها من هيمنة واستعمار لم تكن حتمية تاريخية أو قدرا إلهيا كما يريد البعض تسويغ ذلك في الأدبيات الغربية ، فهي ظاهرة أنتجها تخطيط الإنسان الأبيض الأوربي،وكانت نتيجة لحراك اجتماعي وثقافي وسياسي عرفته أوربا عبر تاريخها، لاسيما مع بداية عصر النهضة ، ولا بد من الإشارة إلى أن المركزية الأوربية استندت إلى عدة خطابات ترتبط بالتوظيف الأيديولوجي لنتائج أبحاث علمية وتأملات فلسفية حيث تم توظيف هذه النتائج لتبرير أحكام مُعدة مسبقا ، بهدف تبرير الهيمنة وحفظ المصالح، وعلى هذا الأساس يكون بحثنا عن هذه الأصول المُشكِلة للتمركز الأوربي والتعصب لكل ما هو غربي له ما يبرره،وذلك من أجل فهم بنية التمركز الأوربي والمرجعيات التي يستند إليها،فهناك دائما خلفيات معرفية وأيديولوجية تقف وراء التعصب الغربي ،وتمثل جذور يستند إليها .وسنحاول في هذه الورقة البحثية الموسومة ب: بأي معنى تكون الجغرافيا أصلا من أصول خطابات التمركز الأوربي،والتعصب للذات وإلغاء الأخر ،أن نبين أثر العامل البيئي والجغرافي في إنتاج خطابات الهيمنة والإقصاء والتعصب في الفكر الغربي.وتحمل هذه المداخلة فرضية مفادها أن العوامل الطبيعية والجغرافية والمناخية تمثل أساس من الأسس الكثيرة للمركزية الأوربية ،وتكتسي هذا الدراسة أهميتها من كون الباحثين في ظواهر العنصرية والمركزية والتعصب لا يأخذون العامل الجغرافي بعين الاعتبار أثناء حفرياتهم حول هذه الظواهر ،وانطلاقا من هذا سنحاول أن نجيب عن التساؤلات الآتية:ما مفهوم المركزية الأوربية والتعصب؟ وكيف ساهم العامل الجغرافي في التأسيس للتمركز الغربي ،والتعصب للأنا وإلغاء الأخر؟.

1- مفهوم المركزية الأوربية:

- 1-1 مفهوم المركزية في اللغة والاصطلاح:

- أ/ **لغة:**

- إن مصطلح المركزية هو مصدر مأخوذ من الفعل ركز،وقد جاء في لسان العرب بأن: **" الرُكزُيعني غَرزُك شيئا منتصبا كالرمح،ونحوه تركُزُه رَكزا في مركزه،ونقول رَكَزَه بمعنى غرزه في الأرض.**[350]

- يتضح لنا من هذا أن المركز يشير إلى معاني الثبات والشموخ والقوة والتوسط.

- ونقول مركز الدائرة بمعنى وسطها، ومركوز في الأرض أي ثابت ،والركيزة هي القطعة من جواهر الأرض المركوزة فيها، والرَّكزُ بمعنى الرجل العاقل الحليم السخي[351].

- إن ما يمكن استنتاجه من هذا هو أن المركز يعني الأمر الثابت الذي يكون في الوسط وضده المتغير و الهامشي ، أي أن المركز هو القلب الذي ترجع إليه كل الأشياء كونه الأصل والمبدأ والمصدر .

[350] ابن منظور :لسان العرب،ج5 ، دار صادر، بيروت.2000،ص355.

[351] راجع نفسه، ص356.



- **ب/اصطلاحا :**

- عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي بقوله:**"مركزية الانسان هي المذهب الذي يجعل الإنسان مركز العالم ،ويعد، خير الإنسانية علة غائية لكل شيء**[352]. ومركزية الذات Egocentrism **هي:**

"مصطلح استخدمه عالم النفس السويسري جان بياجيه للدلالة على نزعة الطفل في سنوات حياته الأولى، حيث يعتبر نفسه مركزا للعالم ومحورا لكل شيء،وأصبحت هذه التسمية تطلق على كل من يجعل الأنا محورا للأشياء ، وإعطاء الذات الاهتمام الأول... وتصبح مرضية إذا مارسها البالغ"[353].

يحتوي هذا النص على فكرة أساسية تتمثل في أن مصطلح مركزية مصطلح موجود في ميدان علم النفس حيث أن التمركز حول الذات هو حالة طبيعية يعيشها كل إنسان في طفولته المبكرة أي بين أربع وست سنوات حيث لا يُعير أي اهتمام للآخرين، إضافة إلى تقديس الذات وإيلائها الأهمية في كل شيء، وهي أشبه بسلوك غريزي يعبر عن أنانية الذات ونرجسيتها ،وتعتبر هذه الحالة غير طبيعية إذا استمرت مع الإنسان بعد الطفولة،حيث يعمل نزوع الطفل الاجتماعي بعد ذلك في المدرسة وفي اللعب على التقليل منها،بمعنى أن تمركز الطفل حول ذاته يتناسب عكسا مع تقدمه في السن، فكلما كبر الطفل كلما نقصت عنده غريزة التمركز حول الذات.

" أُستخدم هذا المصطلح في بدايات القرن19 في فرنسا عندما زادت قوة الحكومة على المنظمات السياسية المحلية وطغت عليها ، وهو تعبير يستخدمه علماء الاجتماع بمفهوم اجتماعي وجغرافي للدلالة على العلاقة القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة" [354].

إن ما يمكن استنتاجه من هذا النص هو أن بدايات استعمال مصطلح المركزية كانت في المجال السياسي، ثم أُستعمل في الدراسات الاجتماعية، ليعبر عن علاقة العواصم والحواضر بالأطراف والهوامش، وعلى كل حال فإن مفهوم المركز يُحيلنا إلى مفاهيم الهيمنة والسلطوية والقوة والنفوذ حيث مراكز اتخاذ القرار.وهو بذلك يخالف الهوامش والأطراف، بل إن له قوة لجذب هذه الهوامش والتأثير عليها.فالحديث عن المركز يسوقنا دائما إلى الحديث عن الهوامش والأطراف، فبضدها تعرف الأشياء كما يُقال، حيث تشير معاني الهامش إلى الضعف والعزلة إضافة إلى الانبهار بسمات المركز.

- كما عرفها مراد وهبة مركزية الأنا في المعجم الفلسفي حيث يقول:**"تقدير الأمور من وجهة نظر الذات وحدها ،وهو اتجاه قريب من الانطواء"**[355].

- 2-1 **مفهوم ظاهرة التمركز الأوربي:**

---

[352] جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،الجزء الثاني ،دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982،ص365.

[353] كميل الحاج :الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي،ط1،مكتبة لبنان ناشرون بيروت،2000،ص562.

[354] ميشال مان:موسوعة العلوم الاجتماعية،ترجمة عادل مختار الهواري،سعد عبد العزيز مصلوح،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،الكويت،1994، ص99.

[355] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة ،مصر،2007، ص590.

يعرف عبد لله إبراهيم ظاهرة التمركز بأنها " **نسق ثقافي محمل بمعان ثقافية (دينية فكرية ،عرقية) تكوّن تحت شروط تاريخية معينة، إلا أن ذلك النسق سرعان ما تعالى على بعده التاريخي، فاختزل أصوله ومقوماته إلى مجموعة من المفاهيم المجردة التي تتجاوز ذلك البعد إلى نوع من اللاهوت غير التاريخي ، ويمكن اعتبار التمركز تكثف مجموعة من الرؤى في مجال شعوري محدد يؤدي إلى تشكيل كتلة متجانسة من التصورات المتصلبة التي تنتج الذات المفكرة ومعطياتها الثقافية على أنها الأفضل**".[356]

يبدو لنا من خلال هذا النص أن التمركز هو نوع من الشعور الثقافي والديني والعرقي ،نشأ في إطار ثقافي معين، محدد بأطر زمانية ومكانية ، ثم تحول إلى إيديولوجيا كونية تلغي الإطار الثقافي التي نشأت فيه، وتنتهي للقول بأفضلية الأنا وتقزيم الأخر.

كما يعرفها سمير أمين وهو أحد المشتغلين بموضوع المركزية الأوربية بقوله :"**التمركز الأوربي مجموعة رؤى ثقافية الطابع، تقوم على افتراض تواجد مسالك تطور خاصة لمختلف الشعوب لا يمكن إرجاعها إلى فعل قوانين عامة تنطبق على الجميع...وهي تقترح على الجميع محاكاة النمط الغربي بصفته الأسلوب الفعال الوحيد لمواجهة تحديات العصر**".[357]

يظهر من هذا النص أن المركزية الأوربية نسق ثقافي يقول بالخصوصية المطلقة لتاريخ أوربا ، وعلى كل الأمم التي تريد أن تبلغ درجة التقدم التي وصلتها أوربا أن تأخذ بنفس الأسباب التي انتهجتها أوربا، وفي نفس الوقت التخلي عن خصوصياتها الثقافية باعتبار أن هذه الخصوصيات هي السبب في تخلفها،فأوربا هي الأفضل عرقا ،وثقافة ، وتاريخا ومعتقدا ،وبذلك تكون الثقافة الأوربية لا تاريخية أي صالحة لكل المجتمعات في شتى الأزمنة والأمكنة.

كما يمكن أن نعرف المركزية الأوربية بأنها "**الممارسات الواعية أو غير الواعية التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة**"[358].

يظهر جليا من خلال هذا التحرير بأن التمركز الأوربي هو عقدة ملازمة للأوربيين بوعي منهم أو من غير وعي ، أساسها اعتبار النموذج الغربي عامة والأوربي خاصة هو النموذج الأوحد و الأصلح لكل البشرية في شتى المجالات، ويجب العمل على تجسيده بكل الطرق والوسائل، وهي بذلك تعتبر العالم خارج أوربا والغرب عالما من الفراغ الحضاري لا بد من ملؤه بالثقافة الأوربية الغربية.

[0356] عبد الله إبراهيم:المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1997،ط1، ص10.

[0357] سمير أمين:التمركز الأوربي نحو نظرية للثقافة ، موفم للنشر ،الجزائر ،1992، ص85.

[358] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي،المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان،ط1،مركز التأصيل للدراسات والبحوث ،جدة 2014 ص28.



هذا وقد جاء في كتاب دراسات ما بعد الكولونيالية تعريفا مماثلا للمركزية الأوربية فهي :"**العملية الواعية أو غير الواعية ، التي من خلالها تشكل أوربا والافتراضات الثقافية الأوربية بوصفها أو يفترض أنها المألوف أو الطبيعي أو العالمي ...وبحلول القرن 18 أصبح هذا الإدراك لأوربا بوصفه علامة على التفوق وفي مواجهة ثقافات بقية العالم أصبح متوطدا بشكل ثابت**"(359)

يبدو لنا من خلال هذا التعريف بأن ظاهرة التمركز الأوربي هي إيديولوجيا تعني التقوقع على الثقافة الأوربية والنظر إلى غيرها من الثقافات نظرة احتقارية وهي الوقت نفسه تعظم ذاتها وتستقبح الأخر وتصفه بالهمجية والبربرية.

من الواضح أن التعريفات السابقة تتفق في اعتبار المركزية الأوربية أيديولوجيا تقوم على التمركز حول الذات الأوربية، فتجعل منها مركزا للعالم أما العالم خارج أوربا فهو مجرد هوامش وأطراف، وهي بذلك تعتبر بأن النموذج الأوربي هو النموذج العالمي والصالح لكل الإنسانية ، بل يجب أن يكون الطريق الوحيد للتحضر والتقدم وبذلك يمكن اعتبارها ظاهرة ثقافية تختزل كل ثقافات العالم في أوربا فهي تجعل الثقافة الأوربية النموذج للشعوب المختلفة.

وهي النظرة التي أكدها بعض المستشرقين الغربيين صراحة على غرار المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون حيث قال :" **إن تشجيع التمركز حول الذات هو صفة طبيعة في الأوربيين كانت موجودة دائما لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين.**" (360).

ما يمكن أن نفهمه من هذا النص أن نزعة التمركز ظاهرة شبه فطرية لدى أغلب الأوربيين ، فاستقراء التاريخ يثبت هذا عند أغلب فلاسفتهم ومفكريهم وأدبائهم ،ولكنها اتضحت أكثر وتجلت بقوة بفعل حركات الإستدمار والرغبة في الهيمنة في العصر الحديث.

هذا و يعتبر مالك بن نبي بأن القرنين التاسع عشر والعشرين هما منطلق المركزية الأوربية بسبب المد الاستعماري حيث يقول :"**وفي هذا الجو المفعم بالتفوق نشأت النفسية الأوربية وظهرت كتابات تنظر إلى تاريخ البشرية وكأنه بدأ مع الإغريق والرومان ثم حدث فيه تقطع أو جمود ثم عاد للظهور في باريس ولندن من جديد**"(361).

إن مالك بن نبي يريد من خلال التحرير السابق أن يبين أثر حركات الاستدمار في العصر الحديث وما خلفته من شعور بالقوة والتفوق عند الأوربيين، جعلتهم يبالغون في تهميشهم لكل ما هو غير أوربي ، إلى درجة اعتبارهم حركة التاريخ كانت في أوربا وحدها.

---

(359) بيل أشكروفت وآخرون : دراسات ما بعد الكولونيالية ، ترجمة أحمد الروبي وآخرون،المشروع القومي للترجمة ،القاهرة ،2010،ط1، ص ص (164.165).

(360) ماكسيم رودنسون : الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية، نقلا عن محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء،القاهرة ،2005.ص65.

(361) مالك بن نبي : في مهب المعركة ،دار الفكر ، دمشق،2002،ص16.



وإلى نفس المعنى يشير ادوارد سعيد أيضا في كتابه الإستشراق **"بأن الغربي أو الأوربي الأبيض يعتقد أنه يتمتع بمزية إنسانية تمنحه الحق لا في إدارة العالم غير الأبيض فحسب ، بل أيضا في امتلاكه ، لمجرد كون ذلك العالم تعريفا لا ينتمي للإنسانية تمام الانتماء مثلنا نحن".** [362]

نفهم من هذا أن المركزية الأوربية تتأسس على تقديس كل ما هو أوربي وتهميش كل ما هو ليس أوربيا، دافعة به خارج الفلك التاريخي التي أصبحت أوربا مركزه ، فتاريخ أوربا تطور في شكل مستقيم صاعد، وأن الروح الأوربية الغربية هي السبب وراء هذا التطور بدءا من اليونان إلى يومنا هذا.

إذن نستنتج من خلال ما سبق ذكره بأن ظاهرة التمركز الأوربي هي إيديولوجيا نرجسية متشددة تؤمن بتميز وتفوق أوربا بسبب خصائص تنفرد بها دون غيرها ، حيث هيمنت عقدة التمركز الأوربي وكادت تمحو التنوع الإنساني . فهي نوع من التفكير المتعالي الذي ينغلق على نفسه ولا يحكم على الأشياء إلا عبر رؤيته ومقولاته ، ويوظف كل الحجج من أجل تأكيد صحة أفكاره.

2- مفهوم التعصب:

أ/ التعصب لغة:

مشتق من العصبية، والعصبية تعني أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته "جماعته" والتألب معهم على من يعاديهم ظالمين كانوا أو مظلومين.

وجاء في المنجد في اللغة والإعلام **" العصبية هي: شدة ارتباط المرء بعصبته أو جماعته، والجد في نصرتها. والتعصب لمبادئها"**[363].

ب/ التعصب اصطلاحا:

هناك تعريفات عديدة وكثيرة للتعصب، سواء كانت في معاجم الفلسفة، أو علم الاجتماع، أو علم النفس نذكر بعضها:

جاء في المعجم الفلسفي جميل صليبا **"تعصبَ للرجل، أي مال إليه وجد في نصرته، وتعصب عليه قاومه في الدين والمذهب كان غيورا عليه ومدافعا عنهما. والمتعصب للشيء هو المتصف بالميل الشديد إليه، ويطلق اسم المتعصبين على كهنة الآلهة القديمة الذين كان من عاداتهم في عباداتهم أن يعتريهم هذيان يحملهم إلى طعن أجسامهم بالمدي حتى يسيل منهم الدم"** [364].

---

[362] ادوارد سعيد : الإستشراق،ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة 2006، ط1،ص192.

[363] لويس معلوف :المنجد في اللغة والإعلام دار المشرق،ط42، بيروت ،1992 ،ص508.

[364] جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص305.



في حين يعرفه محمد عاطف غيث في قاموس علم الاجتماع بأنه: **"اتجاه سلبي نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها، ويتميز التعصب بوجود معتقدات نمطية، وغالبا ما يستخدم هذا المصطلح في العلوم الاجتماعية في مجال البحث عن الجماعات السلالية أو العنصرية"** [365].

وإذا انتقلنا إلى مجال علم النفس، فإن أصل كلمة تعصب آتية من الكلمة اللاتينية(pyejudicum أي الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل اختبار الحقائق وفحصها أي أنه حكم متعجل(366).

وقد اكتسب هذا الموضوع خاصية الانفعالية مع أو ضد شخص أو جماعة ،هذه الانفعالية تكون حكما مسبقا دون دليل ويصبح بالتالي التعصب حكما جامدا مشحونا انفعاليا وليس من السهل تغييره حتى لو ألزمت صاحبه الحجة الصحيحة بالمعلومات المناقضة لرأيه(367).

وما تجدر الإشارة إليه أن التعصب نوعان سالب وموجب فالاتجاه التعصبي السالب يعرف أنه اتجاه سالب نحو شخص أو ضد جماعة أو أنه اتجاه سالب لا يمكن تبريره إزاء جماعة ما ،يقومون على حكم مسبق يجعلنا نتحيز ضد أعضائها لأنهم ينتمون إلى تلك الجماعة (368).

يتضح من هذا أن التعصب يرتبط بمشاعر موجبة أو سالبة ويرتبط بسلوك تحيزي ضد أو لصالح أفراد هذه الجماعة ويقوم على أساس عنصرية الجماعة وليس على العيوب الفردية.

وأما في المجال الاجتماعي فيعرف التعصب بأني اتجاه سالب أو موجب إزاء جماعة ما ،يقوم فقط على أساس عضويتهم من هذه الجماعة ، بمعنى أن التعصب يميل إلى تقسيم أعضاء الجماعة بطريقة محددة ، سالبة كانت أو موجبة فقط لمجرد أنهم ينتمون لهذه الجماعة وليس وفقا لسلوكهم وخصائصهم الشخصية ،وأنهم مكروهون أو محبوبون لأنهم ينتسبون إلى جماعة اجتماعية محددة.(369).

كما جاء في الموسوعة العربية العالمية :" **إن التعصب اتجاه مع تلون انفعالي معاد أو في صف أفعال أو أشياء من نوع معين، أو أشخاص معينين، أو مبادئ معينة،قد صنع مقدما دون توفر أدلة كافية ،وهو يهيئ الفرد سلفا للسلوك أو للتفكير بطريقة معينة تجاه بعض الموضوعات المعينة الواضحة أشخاص أو مبادئ**"[370].

إذن إن التعصب في أصله سلوك فردي ثم يتحول إلى سلوك اجتماعي ،ولذلك نرى أن هناك تداخلا بين التعريف النفسي والتعريف الاجتماعي لهذا المفهوم.

---

[365] محمد عاطف غيث :قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2006،ص345.

(366) أنظر: هاني الجزار في أسباب التعصب ،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ،مصر الهرم،ط2005،1،ص19.

(367) أنظر معتز سيد عبد الله :الاتجاهات التعصبية ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت،1990،ص22.

(368) أنظر هاني الجزار : في أسباب التعصب ،مرجع سابق ،ص21.

(369) أنظر أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان ،بيروت ،1988،ص ص27،28.

(370) الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،ط1 ،الرياض،1996،ص ص12.13.



أما عن المفهوم الفلسفي للتعصب فإن مصطلح التعصب يطلق على الانحياز التحزبي إلى شيء أو فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص...وهنا تقترب فكرة التعصب من فكرة الأصولية أو الارتباط المطلق بالأصول أو الأصولية أو التزمت أو الانحياز المطلق

ويرى جون لوك في كتابه رسالة في التسامح أن المتعصب هو كل من سخر عقله لهواه ونصر رأيه بالعنف ولا يتحمل النقاش أو الجدال حتى إذا ألزم الحجة والدليل(371).

ومن الإشكاليات الاصطلاحية أن ثمة تشابكا كبيرا في المصطلحات ذات الصلة بالتعصب فمن ذلك أن بعض الباحثين يستخدم المصطلحين التعصب والعنصرية بمعنى واحد على الرغم من أن البعض الأخر يمايزون بينهما بأكثر من طريقة ،ومن ذلك أن البعض يرى بأن التعصب ظاهرة تتعلق باتجاهات وممارسات فردية، في حين أن العنصرية ظاهرة تتعدى نطاق الأفراد إلى الاتجاهات والممارسات الجماعية أو المؤسسية التي تتمركز حول تفوق عرق على أخر لأسباب بيولوجية أو ثقافية .

كما ترتبط كلمة التعصب بمصطلح الدوغمائية التي تدل على التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة معينة دون القبول بالنقاش فيها أو الإتيان بأي دليل، و الدوغمائية تعني لدى الإغريق الجمود الفكري أو هي تعني التشدد في الاعتقاد الديني والإيديولوجي،وأصل الكلمة اليونانية يعني الرأي أو المعتقد الأوحد الذي يزعم أن قولا معينا غير قابل للدحض على الإطلاق(372).

وما تجدر الإشارة إليه أن التعصب أنوع :كالتعصب الديني،والتعصب الفكري والتعصب القومي والتعصب العنصري للجنس أو العرق أو اللغة ...

3- التبرير البيئي والجغرافي للعنصرية والتعصب والتمركز:

تعتبر نظرية الحتمية البيئية هي إحدى النظريات الثلاثة الأساسية التي وظفت لتفسير التفوق الأوربي، إضافة إلى نظرية العرق والثقافة ،فقد تم استخدام نموذج جغرافي وعرقي معين من أجل رسم صورة نمطية للأخر تتسم بالكثير من الاستعلاء والتفوق.

وقد وضعت المركزية الأوربية أصولا جغرافية لتفسير الممارسات الفكرية والثقافية للبشرية، حيث لعبت نظرية الحتمية البيئية دورا هاما في التأسيس للتمركز الأوربي حيث:

---

(371) أنظر جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة مراد وهبة،المجلس الأعلى للثقافة ،المشروع القومي للترجمة الإسكندرية،ط1997،1،ص12.

(372) أنظر عبد القادر العميي: الحوار المتمدن ،محور الفلسفة وعلم النفس ،وعلم الاجتماع، العدد13،ص3.





"تقوم هذه النظرية على اعتبار البيئة الطبيعية جزء من كل تصرف إنساني كما أنها تلعب دورا فيه "[373].

يتضح من خلال التحرير السابق أن الحتمية البيئية تقوم على اعتقاد مفاده بأن البيئة الطبيعية تفسر بعض حقائق الحياة البشرية ،ولاسيما النواحي الفكرية والنفسية والاجتماعية .

حيث تم اختراع عنصرية جغرافية تحل محل العنصرية العرقية تقوم على مسلمة أن الظروف الجغرافية تحدد سمات الشعوب.[374].

ويرى أنصار الحتمية الجغرافية بأن جغرافيا أوربا وطبيعتها أفضل من أي جغرافيا وطبيعة أخرى في العالم، وهذه الأفضلية هي التي جعلت الأوربيين أرقى مجتمعات العالم فهي المسؤولة عن خصائص المجتمعات وسلوكياتها.

أي أن العوامل الجغرافية هي التي قررت أن تطبع الأوربيين بفضائل معينة وفي نفس الوقت تطبع الشرقيين برذائل معينة ، ولعل هذا يبرر لأوربا أن تسيطر على غيرها من الشعوب الشرقية لكي تنتشلها من هذا التخلف، وتبث فيها الحيوية والقوة والخصوبة اللازمة للدخول في حركة التاريخ .

فالملاحظ للتاريخ يستطيع أن يستنتج بأن كل الأحداث التاريخية الهامة وكل الحضارات ظهرت في مناطق خطوط العرض المتوسطة المعتدلة في أوربا الأسيوية (أي كتلة اليابسة التي تتكون من أوربا وأسيا)لأن البيئة الطبيعية في هذا الإقليم الكبير أفضل للتقدم البشري منها في المناطق الأخرى من العالم[375].

إن الهدف من تصنيف العالم جغرافيا شرق وغرب أو شمال وجنوب ،مركز ومحيط خارجي هو وضع أوربا مركزا للعالم وبؤرته ، باعتبار جغرافيتها ،لأنها تمتلك الجغرافيا التي جعلت مقياسا ، فكل تصنيف يخفي ورائه دائما تحيز وتمركز، أي أن التقسيم الجغرافي عادة ما يكون محمل بأبعاد قيمية وثقافية،ومدفوع بنوازع الإقصاء والتمركز حول الذات.

فلقد عمل المفكرون الغربيون الواقعون تحت تأثير عامل المركزية أن يلصقوا بالشرق طبائع وسلوكيات معينة انطلاقا من العوامل الجغرافية كالحرارة والبرودة والتضاريس والمياه،ويكون بهذه العوامل تفسير الجوانب الحضارية والثقافية.

وما يجب أن نؤكد عليه أن استخدام العوامل الجغرافية في تفسير سلوك الشعوب فكرة قديمة لا تتعلق بالعصر الحديث فقط ، فقد كان أبقراط أول من لاحظ تأثير المناخ في طباع وأمزجة الناس وأخلاقهم، إضافة إلى تبينه لأثر

---

[373]() جي .إم .بلاوت : ثمانية من مؤرخي المركزية الأوربية ،ترجمة هبة الشايب ،فيصل يونس ،المشروع القومي للترجمة،ط1 القاهرة ،2010 ،ص205.

[374]() أنظر سمير أمين:التمركز الأوربي نحو نظرية للثقافة، مرجع سابق106.

([375]) أنظر جي .إم .بلاوت : ثمانية من مؤرخي المركزية الأوربية ، مرجع سابق ص207.

الأنظمة السياسية في أخلاق المواطنين حيث أرجع التكاسل العام لشعوب أسيا إلى الأنظمة الملكية والحكومات الاستبدادية [376].

وبالعودة إلى كتاب القوانين لأفلاطون نجد أنه يحتوي على جزء من هذه الأفكار ،حيث يقول أفلاطون على لسان الأثيني محاورا كلينياس:

"إن البعض فيما أتصوريبسبون ما هم فيه من خلق طيب أوسيء أورديء، إلى تغييرات الرياح ودورة الشمس ،والبعض ينسبها إلى المياه ، بينما ينسبها البعض إلى محصولات الأرض التي لا تمد الجسم بالحيوية الأفضل أو الأسوأ، ولكنها تؤثر بالمثل في العقل تأثيرا حسننا أو سيئا"[377].

ما يفهم من هذا النص الأفلاطوني هو إرجاع أخلاق الناس وسلوكياتهم إلى ظروف طبيعية تدفعهم للقيام بها، سواء كانت هذه الظروف تتعلق بالعوامل المناخية أو التضاريس وطبيعة الوسط الذي يعيشون فيه، أو إلى عامل التغذية من حيث طبيعتها وقيمتها.

ولكن فكرة تأثير العوامل الجغرافية على طباع الناس وسلوكياتهم أخذت بعده الأكبر مع أرسطو من خلال ما سماه بالكيوف.

4- نظرية الكيوف :

إن أرسطو في كتابه السياسة يشير إلى أن الإنسان لو ألقى نظرة على المجتمعات الإنسانية سيخرج بفكرة هي أن:

" الشعوب التي تقطن الأقطار الباردة حتى في أوربا ،هم على العموم ملؤهم الشجاعة ،لكنهم على التحقيق منحطون في الذكاء وفي الصناعة ،من أجل ذلك هم يحتفظون بحريتهم، لكنهم من الجهة السياسية غيرقابلين لنظام ولم يستطيعوا أن يفتحوا الأقطار المجاورة ،وفي أسيا الأمر ضد ذلك شعوبها أشد ذكاء وقابلة للفنون ،ولكن يعوزهم القلب ويبقون تحت نيراستعباد مؤبد ،أما العنصر الإغريقي الذي هو بحكم الوضع الجغرافي وسط فإنه يجمع بين كيوف الفريقين فيه الذكاء والشجاعة معا،إنه يعرف أن يحتفظ باستقلاله وفي الوقت نفسه يعرف أن يؤلف حكومات حسنة جدا،وهو جدير إذا اجتمع في دولة واحدة بأن يفتح العالم"[378].

---

[376]() أنظر أرسطو طاليس :السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد،الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة1979 ،ص254.

[377]() أفلاطون القوانين : ترجمة محمد حسن ظاظا ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986.ص264.

[378]() أرسطو طاليس: السياسة، مرجع سابق،1979،ص ص255،254.



لقد تعرض أرسطو من خلال هذا النص إلى فكرة تأثير العوامل الجغرافية على سلوك الناس ،حيث قسم شعوب الأرض إلى ثلاث أقسام :القسم الأول هم الشعوب التي تعيش في المناطق الباردة وهم يتميزون بالشجاعة ،غير أنه ينقصهم الذكاء والأعمال اليدوية ،لم يرضخوا لنير العبودية ومارسوا حياتهم بكل حرية ،غير أنهم عجزوا على أن ينظموا وجودهم في دولة منظمة، والقسم الثاني فهم الشعوب الأسيوية فضيلتهم الذكاء والإبداع الفني غير ما ينقصهم هو الروح ،وهو ما جعلهم يرضخون للاستعباد والطغيان ، أما القسم الثالث فهو الشعب الإغريقي الذي يحمل مزايا الشعبين السابقين وذلك بسبب موقعه الجغرافي ، فقد تميز بكل الصفات التي تمكنه من السيطرة على العالم.

ويمكننا أن نقدم بعض الملاحظات على هذا النص الأرسطي:

- وصفه للشعوب الأوربية بأنها شعوب ضعيفة منحطة من حيث الذكاء، وهم أقرب إلى البربرية عندما لم ينجحوا في العيش داخل نطاق دولة منظمة وهذا قدح وذم لهم.

- إن قبول الأسيويين أو الشرقيين عموما بالاستعباد لا يتعلق بطبع فيهم كما يريد أن يروج له الكثير من المفكرين المحدثين ،بل هو سلوك اجتماعي فرضته ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية معينة، وهذا ما يشكك في نظرية العرق التي تعتبر رافد من روافد المركزية الأوربية.

- إشادة المعلم الأول بالشرقيين من خلال وصف الآسيويين بالذكاء والإبداع الصناعي والفني ومن مزاياهم أنهم استطاعوا العيش في ظل دولة وسلطة حاكمة تمتعوا بفضلها بالاستقرار فتفرغوا لممارسة الأنشطة الزراعية والصناعية ، غير أن المشكلة أنهم بالغوا في الانصياع لهذه السلطة الحاكمة حتى فقدوا حريتهم وصارا الاستعباد صفة تميزهم.
- الأغارقة بحكم موقعهم الجغرافي الذي يتوسط القسمين السابقين حملوا أحسن ما في القسمين ولذلك يظهر التمركز حول الذات الإغريقية حاضر بقوة في هذه النظرية .

وما يجب أن نشير إليه أن نظرية تأثير الجغرافية على أخلاق الناس وسلوكياتهم كانت حاضرة أيضا في الفكر الإسلامي وفي الفكر الغربي بعد عصر النهضة ،حيث أن ابن خلدون تحدث عن دور العوامل الطبيعية في التأثير على طباع الناس في ما عنونه ب في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم،وكذلك في ما عنونه ب: في أثر الهواء في أخلاق البشر(379).

كما يؤكد الفيلسوف الفرنسي جان بودان(1530،1596)في كتابه الجمهورية على أن التاريخ من وظائف الجغرافيا ،فالعوامل الجغرافية(الحرارة ، الماء ، نوعية التربة)تحدد الناس والناس يحددون التاريخ ، فاختلاف الناس في سلوكهم وأخلاقهم يرتبط بالجغرافيا التي يقطنونها كالساحل أو الجبال أو الصحراء أو الأودية...

379() أنظر عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت،2004. ص ص،90-94.



ويعطي جان بودان دورا كبيرا لخطوط العرض التي بواسطتها يصنف الناس إلى ثلاثة أصناف يتميزون عن بعضهم البعض بشكل كبير، فسكان الشمال يمتازون بالقوة بينما يتميز سكان الجنوب بالحساسية والعصبية والعاطفة أما سكان المناطق المعتدلة (مثل شعوب البحر الأبيض المتوسط)فإنهم يجمعون بين خصال سكان الشمال وسكان الجنوب، لذلك لا بد لكل نظام سياسي أن يعمل على التكيف مع طبيعة شعبه الذي تصنعه طبيعة جغرافيته ، فأهل الشمال يُحكمون بواسطة القوة ، وأهل الجنوب يحكمون بواسطة الدين ،وأهل الوسط يتميزون بالاعتدال ويحكمون أنفسهم بواسطة العقل والعدالة[380].

كما تناول جان بودان في كتابه الجمهورية موضوع تكييف القوانين البشرية مع القوانين الطبيعية وقد كان يقصد بأهل الوسط الذي وسمهم بالاعتدال الفرنسيين ومن جاورهم باعتبار أنه فرنسي.

كما نلمس أثر العوامل الجغرافية في التأصيل للعنصرية عند أحد فلاسفة التنوير وهو مونتيسكيو من خلال تأكيده على أن مقارنة جغرافيا أسيا بأوربا تبين أن المناطق المعتدلة في أوربا كبيرة وواسعة ، والمناخ فيها بارد في أغلبه ،وهذا على النقيض من أسيا التي تتميز بالحرارة وقلة مناطقها المعتدلة ، فالحرارة تؤثر على قوة البشر وشجاعتهم ،وهذا بخلاف المناطق الباردة التي تتميز بقوة ساكنيها جسما وروحا ،وتمكنهم من العمل لساعات طويلة والقيام بأعمال شاقة ،أما في أسيا فالشعوب كسولة ومخنثة وخجولة ، فالعوامل الطبيعية هي السبب في ضعف أسيا وعبوديتها وقوة أوربا وهذا ما يبرر أن يكون الأوربي فاتحا والشرقي مفتوحا [381].

إن مونتيسكيو يكون بذلك قد جعل من العوامل البيئية أساسا لتكريس الفوارق بين الشعوب الشرقية الضعيفة والخاملة والمنقادة ، وبين الشعوب الأوربية القوية والنشطة والقائدة.

كما يرجع المفكر الشيوعي الألماني كارل ويتفوغل (1896،1988)في كتابه الاستبداد الشرقي قيام الأنظمة الشمولية المستبدة في الشرق إلى طبيعة نظام الري فيها إذ يتطلب ذلك سلطة مركزية قادرة على تعبئة السكان لبناء السدود والمجاري والتحكم والسيطرة على المياه وتنظيم توزيع، أي أن تنظيم الموارد المائية يحتاج إلى سلطة قوية تفرض نفسها على الجميع ، ومن يمتلك السلطة على موارد الماء يتسلط تبعا لذلك على كل شيء من تجارة وصناعة، وهذا ما يسميه ويتفوغل بالنظرية الهيدروليكية (المائية).

5- أهم النتائج :

يمكن لنا في النهاية أن نصل إلى بعض النتائج:

---

[380]() أنظر جان جاك شوفالييه تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1995،ص295.

[381]() أنظر دوفيز أوربا والعالم في نهاية القرن 18، ترجمة الياس مرقص ، دار الحقيقة بيروت،1980 ص 21.



- إن الحتمية الجغرافية هي أيضا تفتقد للأساس العلمي،صحيح أن للعوامل البيئية والجغرافية تأثيرها على حياة الناس ولكن تم العمل على تضخيم أثرها .
- فالحتمية الجغرافية يمكن دائما قلب استنتاجاتها لصالح الذات المتمركزة، فقد كان الرحالة العربي ابن بطوطة يرى عكس ما ذهب إليه الفلاسفة الأوربيين الذين ذكرناهم، حيث رد تخلف أوربا إلى الظروف المناخية غير الملائمة وهو يقصد هنا البرد الذي يدفع الناس إلى الكسل،في حين أرجع أنصار الكيوف الكسل إلى الحرارة،وهذا ما يدل على أن كلا الحكمين سطحيين ومتعارضين وغير علميين [382].
- لقد كانت الحتمية الجغرافية بمثابة المقدمات لنظرية الطبائع العنصرية التي قالت بتفوق الجنس الأوربي والتي جرت على العالم الكثير من الويلات والمآسي.
- لقد تم تعديل نظرية الكيوف الأرسطية بما يتوافق مع رغبة الذات الأوربية في الاستعلاء والهيمنة ، حيث تم إجراء الكثير من التعديلات عليها ، وذلك من خلال إلغاء التميز بين الإغريق والشعوب الأوربية الأخرى ، فتم إدماجهم تحت صنف واحد،فعممت الفضائل التي وضعها أرسطو للإغريق (حرية ،ذكاء ،شجاعة ،حب النظام ،التفكير)على جميع شعوب أوربا، وفي المقابل تم محو كل الفضائل التي وسم بها أرسطو الأسيويين أي الشرقيين ووضعت في مكانها رذائل كالعبودية والإذعان والطغيان وحولت إلى طبائع قارة وثابتة فضلا عن ذلك تم تعميم كل الرذائل التي ألصقت بالأسيويين لتشمل كل ما هو غير أوربي إفريقيا كان أو أسيويا .
- ما يجب أن نشير إليه أن أنصار نظرية الطبائع استمدت مقدماتها من العوامل البيئية والجغرافية (برودة ،حرارة ،مناخ ،موقع) ثم تم تحويل تلك السمات والطبائع التي اكتسبتها المجتمعات بفعل تلك العوامل إلى عناصر قارة وثابتة.

خاتمة:

إن ما يجب أن نؤكد عليه في ختام هذه الدراسة هو أن العامل الجغرافي كان له حضور قوي ودور أساسي في تشكل خطابات التمركز الأوربي والعنصرية والتعصب.وذلك منذ الفلسفة اليونانية كما رأينا مع أفلاطون وأرسطو ،ثم في الفلسفة الحديث مع فلسفة هيجل فيلسوف المركزية الأوربية بدون منازع.وبذلك يكون العامل البيئي والجغرافي أحد الأصول الأساسية لظواهر العنصرية والتعصب والتمركز، إضافة إلى العوامل الأخرى كالعامل الثقافي،والديني،والفلسفي،والعلمي.

قائمة المراجع:

- ابن منظور :لسان العرب،ج5 ، دار صادر، بيروت.2000.
- أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ،بيروت ،1988.
- ادوارد سعيد : الإستشراق،ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ،ط1،القاهرة 2006.
- أرسطو طاليس السياسة: ترجمة أحمد لطفي السيد،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة1979 .
- أفلاطون القوانين : ترجمة محمد حسن ظاظا ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986.

[382]() أنظر سمير أمين:التمركز الأوربي نحو نظرية للثقافة ،مرجع سابق،ص106 .

- بيل أشكروفت وآخرون : دراسات ما بعد الكولونيالية ، ترجمة أحمد الروبي وآخرون،المشروع القومي للترجمة ،ط1،القاهرة ،2010.
- جان جاك شوفالييه تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1995.
- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،الجزء الثاني ،دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.
- جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة مراد وهبة،المجلس الأعلى للثقافة ،المشروع القومي للترجمة، الإسكندرية،1997.
- جي .إم .بلاوت : ثمانية من مؤرخي المركزية الأوربية ،ترجمة هبة الشايب ،فيصل يونس ،المشروع القومي للترجمة،ط1 ،القاهرة ،2010 .
- دوفيز ميشال: أوربا والعالم في نهاية القرن 18، ترجمة الياس مرقص ، دار الحقيقة بيروت،1980 .
- سمير أمين:التمركز الأوربي نحو نظرية للثقافة ، موفم للنشر ،الجزائر ،1992.
- عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت،2004.
- عبد القادر العميمي: الحوار المتمدن ،محور الفلسفة وعلم النفس ،وعلم الاجتماع، العدد13.
- عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي،المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان،مركز التأصيل للدراسات والبحوث ط1،جدة 2014.
- عبد الله إبراهيم:المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1997.
- كميل الحاج :الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي،ط1،مكتبة لبنان ناشرون بيروت،2000.
- لويس معلوف :المنجد في اللغة والإعلام ،دار المشرق،ط42، بيروت ،1992 .
- ماكسيم رودنسون : الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية، نقلا عن محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء،القاهرة ،2005.
- مالك بن نبي : في مهب المعركة ،دار الفكر ، دمشق،2002.
- محمد عاطف غيث :قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2006.
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة ،مصر،2007.
- معتز سيد عبد الله :الاتجاهات التعصبية ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت،1990.
- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،ط1 ،الرياض،1996.
- ميشال مان:موسوعة العلوم الاجتماعية،ترجمة عادل مختار الهواري،سعد عبد العزيز مصلوح،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،الكويت،1994.
- هاني الجزار : في أسباب التعصب ،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ،مصر الهرم ،2005.






دورطرائق تدريس التَّعليم الأساسي في تعزيزقيم المواطنة (الانتماء، وقبول الآخر) لدى التلاميذ في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي

The Role of Teaching Methods of Basic Education in Development Some of Values of Citizenship (Belonging and Acceptance of Others) in Light of Modern Media Communication and The Digital Age

فاطمه العليان، مدرِّسة في قسم تربية الطفل في كلية التَّربية الثَّالثة- جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية

البريد الالكتروني:fatmahriri@gmail.com

الملخَّص:هدف البحث إلى تعرف دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل معلّمي الصفوف في الحلقة الأولى من التَّعليم الأساسي في تعزيز بعض قيم المواطنة (الانتماء، وقبول الآخر) في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي لدى عينة من تلاميذ التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق، وأثر متغيّرات الجنس وسنوات الخبرة وحضور دورات تدريبية من قبل المعلمين، في تقدير هذا الدور. ولتحقيق أهداف البحث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وأعدَّت استبانة تكونت بصورتها النهائية من (30) بنداً، موزعة على محورين، تمّ توجيهها إلى (230) من المعلمين. وقد أظهرت النتائج وجود درجة كبيرة لدور طرائق التدريس الاعتيادية في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر)، ووجود درجة كبيرة جداً لدور طرائق التدريس القائمة على وسائل الاتِّصال الحديثة في تعزيزها لدى التلاميذ. بالإضافة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين في إجابات المعلمين لتقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل معلّمي الصفوف في الحلقة الأولى من التَّعليم الأساسي في تعزيز بعض قيم المواطنة (الانتماء، وقبول الآخر) في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي لدى التلاميذ، وفق متغيرات الجنس وسنوات الخبرة وحضور دورات تدريبية.

الكلمات المفاتيح: طرائق التدريس، المواطنة، العصر الرَّقمي.

Abstract : The research aimed to know the role of the teaching methods used by teachers of grades in the first cycle of basic education in promoting some of the values of citizenship (belonging and acceptance of others) in light of modern means of communication and the digital age of a sample of students of basic education in schools in Damascus, and the impact of gender variables Years of experience and attendance at training courses by teachers, in appreciation of this role. To achieve the objectives of the research, the researcher used the descriptive and analytical method, and prepared a questionnaire that consisted in its final form of (30) items, distributedon two axes, which were directed to (230) teachers. The results showed that there is a great degree of the role of the usual teaching methods in promoting the values of citizenship (belonging and acceptance of others), and a very large degree of the roleof teaching methods based on modern means ofcommunication in strengthening them among students. In addition to the absence of statistically significant differences between teachers' answers to assess the role of teaching methods used by classroom teachers in the first cycle of basic education in promoting some values of citizenship (belonging and acceptance of others) in light of modern means of communication and the digital age of students, according to variables Gender, years of experience and attendance at training courses.

Key words: Teaching Methods, Citizenship, Digital Age.



مقدّمة.

من المعروف أنّ طرائق التَّدريس المستخدمة من قبل المعلّمين، لا سيّما في مراحل التَّعليم الأولية، تشكّل حجر الأساس في بناء المعارف والمفاهيم والقيم لدى المتعلّمين، وكلما كانت قدرة المعلّم جيدة في اختيار واتباع طرائق التَّدريس المناسبة والفعالة، كان اكتساب الأطفال لتلك المفاهيم والقيم بالشكل الأفضل والمرغوب. وهذا يتطلّب من المعلّم أن يكون متمكّناً من اختصاصه العلمي، وقادراً على تحديد طرائق التدريس وفق احتياجات الأطفال وقدراتهم وميولهم من جهة، ومتطلبات التكنولوجيا والعصر الحديث من جهة أخرى. فقد بات واضحاً في الفترات الأخيرة، شيوع وسائل الاتصال الحديثة في العصر الرقمي الحالي، كأجهزة الحواسيب والهواتف الذَّكية وشبكات التواصل الافتراضي، واستخدامها من قبل جميع شرائح المجتمع ومن ضمنهم الأطفال، ساعد ذلك على تعزيز قدراتهم على استخدامها لأغراض تعليمية أو تثقيفية أو ترفيهية. كما أنّ هذا الانتشار الكبير لوسائل الاتصال الحديثة وشبكات الانترنت، وارتباطها تقريباً بمناحي الحياة كافة، وانشغال أفراد المجتمع بها قد ساعد نوعاً ما، على تغيير أشكال قيم المواطنة والانتماء المشترك وقبول الآخر، ممّا دعا حكومات الدول للاستجابة لتلك التطورات من خلال ظهور عدة مفاهيم ومصطلحات إلكترونية جديدة تتلاءم مع العصر الرقمي ومفرزاته، بما يخدم مواطنيها، ويعكس علاقتهم بها. كما تسارعت توجهات تلك الحكومات بضرورة الاستجابة التربوية لمواكبة وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرقمي، وزرع تلك القيم بصورتها الصحيحة لدى الجيل وحمايتها من التدهور، خاصّةً أنّ المواطنة والانتماء وقبول الآخر هي من المحركات الرئيسة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات، بكلّ ما تتضمنه من قيم تحدد علاقة الإنسان بمجتمعه، وثقافته الوطنية، والتي أصبحت تواجه تحديات جديدة ومختلفة وفقاً لظروف الهيمنة الثقافية التي تفرضها العولمة. ويكون ذلك من خلال تضمين هذه القيم في المناهج، فضلاً عن استخدام طرائق التدريس المحفّزة لنشاط المتعلّم. وذلك لأنّ ميادين التربية والتَّعليم والثقافة هي العماد القوي للحفاظ على هوية الأمة وخصوصيتها، وهي أساس التنمية الشاملة، ومن خلالها يتمّ بناء النهضة الإنسانية وتطورها. فقد أكدت مؤتمرات عدّة مثل مؤتمر الثقافة والمتغيرات في القاهرة (2016) أنّ العملية التَّعليمية التّعلُمية، بأساليبها المتطورة واحدة من مُدخَلات ومُخرَجات الثقافة، تتطلب تعلم المسؤولية، وامتلاك مهارات التفكير والبحث[383]، ومؤتمر باكو الدولي الإنساني [384]الذيأكّدَ على تعزيز قيم قبول الآخر. كما أشار أيضاً مؤتمر الأطراف في الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبيرالثقافي إلى أهمية المواطنة لدى الأطفال.

بالتالي لا بد من تطوير البيئات التعليمية من أجل التربية على المواطنة من خلال تمكين المتعلِّمين، وإمدادهم بإطار معرفي يؤهلهم لفهم تأثير العصر الرقمي على حياتهم وكيفية تحقيق الفوائد المرجوة منه بطريقة إيجابية وآمنة،

---

[383]- أبو سماقة، محمد. (2016). تعزيز ثقافة المواطنة والانفتاح والتسامح وقبول الآخر في المجتمعات العربيّة. *ورقة عمل مقدمة إلى ورشة متخصصة لمؤتمر الثقافة والمتغيرات*. القاهرة: المركز الثقافي الملكي، مؤسسة الفكر العربي وجامعة الدول العربية – القاهرة 6و7 ايلول 2016. تم نشره في الاثنين 5 أيلول / سبتمبر 2016. 08:00.

[384] - منتدى باكو الدولي الإنساني، الدورة السنوية الرابعة. (2014). التربية على حقوقالإنسان والمواطَنة. باكو، يومي فاتح وثاني أكتوبر، 2014. جريدة الدستور. أُخذ من :(https://www.addustour.com/articles/18108). تاريخ الزيارة: 21-10-2020.



واستخدام تقنياته[385]. وتبعاً لذلك ينبغي توجيه الاهتمام نحو مجال طرائق تدريس التَّعليم الأساسي، وعلاقتها بالقيم الوطنية كالمواطنة والانتماء المشترك وقبول الآخر، بوصفها انعكاساً للثقافة الوطنية للأفراد، تنشأ وتتأسس في مرحلة الطفولة.من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة البحثية لتحديد العلاقة بين طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين وقيم المواطنة والانتماء المشترك وقبول الآخر لدى التلاميذ.

1- الإشكالية: إنّ التطوّرات والتغيرّات السريعة التي ظهرت في العالم، والتي انعكست بشكل مباشر وقوي على جميع الشعوب، جعلت العالم قرية صغيرة بسبب انتشار وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية، مما فرض إحداث التغيير المطلوب من أجل التكيف معها في هذا العصر الرقمي على الجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية كافة. وقد أنتجت هذه الحالة دوراً جديدًا للتربية في مواجهتها، لتصبح شاملةً لجوانب نموّ الإنسان كاملةً، ومراعاة حاجات المتعلم وخصائصه، وتعزيز القيم الوطنية لديه، والاهتمام بالتراث والانفتاح على التجارب والخبرات والثقافات المختلفة، والتركيز على حقوق الإنسان، والتوازن بين الفرد والمجتمع. إذْ يأتي العصر الرقمي كأحد الروافد المهمّة في التأثير على القيم الوطنية كالمواطنة، فقد وفر مساحة واسعة من حرية التعبير عن الرأي، وبمختلف الأشكال والوسائل والوسائط[386]، نظراً للأهمية المجتمعية التي تأخذها هذه القيم. فقد أكدت دراسة الخزاعي والشمايلة (2014) على العلاقة الإيجابية للمواطنة والانتماء. في حين أكّد عدد من الدراسات على التحديات التي تواجه تنمية قيم المواطنة والانتماء وقبول الآخر في بعض المجتمعات كدراسة الرفاعي (2011)[387] والتي أوصت باختيار أفضل وسائل الاتصال وأشكاله والمعلومات الملائمة لكل فئة من فئات الجمهور المستهدف كالأطفال. كما أكدت دراسة يعقوب وآخرين (2012)[388] أنّ قيم المواطنة التي تتضمنها مناهج التربية المدنية والوطنية في بعض الدول، ضئيلة وضعيفة ولا تتناسب مع الدور الذي يمكن أن تقوم به كمناهج في عملية إكساب القيم للمتعلّمين. ونتيجة لذلك تولّد إحساس الباحثة بأهمية دور طرائق التدريس خاصةً في ظل وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرقمي، فقامت بدراسة استطلاعية على عينة من المعلّمين في مدينة دمشق بلغ عددهم (34) معلماً ومعلمة، من خارج عينة البحث الأساسية، حول وجود دور لطرائق التدريس في تعزيز المفاهيم والقيم بشكل عام لدى الأطفال، وقد أجاب (98%) منهم بنعم. انطلاقاً ممّا سبق إنّ نوع

385- اليونسكو. (2015). *مؤتمر الأطراف في الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي الدورة العادية الخامسة*. أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة: من المواطن العادي إلى المواطن الرقمي، باريس.. 12-10يونيو/حزيران 2015 أُخذ من (https://en.unesco.org/creativity/ sites/creativity/files/sessions/5cp_4_draft_summary_record_ar_0.pdf) :.

386- نصار، سامي نصار. (2011). *قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة. القاهرة*: الدار المصرية اللبنانية، ص:1.

387- الرفاعي، محمد. (2011). دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية "دراسة تحليلية". *مجلة جامعة دمشق. 27 (1+2)*. ص ص: 687- 743.

388- يعقوب،محمد. (2012). *المواطنة منمنظورحقوقالانسان فيمناهجالتربية الوطنيةفيالأقطارالعربية، دراسة حالةلكل منالأردنومصرولبنان.* معهد ارؤول ولينبرغ لدراسات حقوق الانسانوالقانون.





طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلّمين بوصفها عنصراً مهمّاً في المنهاج، هي من المحرّكات الأساسية بأيدي المعلّمين في مرحلة التعليم الأساسي، أثناء إكسابهم قيم المواطنة في عملية التّعليم، وقد تؤثر إيجاباً أو سلباً في اكتسابهم لها.

في ضوء ذلك حاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال الآتي: ما دور طرائق تدريس التَّعليم الأساسي في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء، وقبول الآخر) لدى التلاميذ في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي من وجهة نظر المعلّمين؟

2- أهمية البحث:تأتي أهمية البحث من النقاط الآتية:

2-1- أهمية قيم المواطنة، ولفت الانتباه إلى أهمية موضوع طرائق التدريس وأثرها في غرس قيم المواطنة في المراحل الأولى للتعليم، والاستجابة للدعوات التربوية حول دور طرائق التدريس في ظل العصر الرقمي.

2-2- يعدّ من أوائل البحوث العلمية، في حدود علم الباحثة، قد يشكل نقطة انطلاق لإجراء بحوث ودراسات حول قيم المواطنة وعلاقتها بالمناهج في التعليم الأساسي.

3- أهداف البحث: هدف البحث الحالي إلى:

3-1- تعرف دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل معلّمي الصفوف في الحلقة الأولى في تعزيز بعض قيم المواطنة (الانتماء، وقبول الآخر) في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي.

3-2- تعرّف أثر متغيّرات الجنس وسنوات الخبرة وحضور دورات تدريبية في تقدير هذا الدور.

4- متغيرات البحث وفرضياته:وتضمنت متغيرات مستقلة: طرائق التدريس، الجنس، سنوات الخبرة، حضور دورات. ومتغيرات تابعة: الانتماء، قبول الآخر. وقد تم اختبار الفرضيات الآتية عند مستوى دلالة (0.05):

4-1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) من وجهة نظر أفراد عينة البحث تبعاً لمتغير الجنس.

4-2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) من وجهة نظر أفراد عينة البحث تبعاً لمتغير سنوات الخبرة.

4-3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) من وجهة نظر أفراد عينة البحث تبعاً لمتغير حضور دورات تدريبية.

5- حدود البحث:وهي كالآتي:

5-1- حدود بشرية: عينة من معلمي الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق.

5-2- حدود زمانية: تم تطبيق أداة البحث في العام الدراسي (2019- 2020).

5-3- حدود مكانية: مدينة دمشق.

5-4- حدود الموضوع: الكشف عن تقدير المعلمين لدور طرائق التدريس المستخدمة في تعزيز الانتماء وقبول الآخر.

6- المصطلحات والتَّعريفات الإجرائية: وتضمّنت ما يلي:



6-1- طرائق التدريس Teaching Methods: هي ما يقوم به المعلّم وما يطلب القيام به من المتعلمين من إجراءات منظمة وموجهة لتحقيق الأهداف المنشودة من عملية التعليم والتعلّم[389].

طرائق التدريس إجرائياً: هي مجموعة طرائق التدريس الاعتيادية (العرضية والتفاعلية والكشفية) والإلكترونية التي يستخدمها المعلمون في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي.

6-2- المواطنة Citizenship: تعرفها دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة.[390]

المواطنة إجرائياً: المسؤولية الملقاة على عاتق الأفراد تجاه الدولة والمواطنين، بما في ذلك: الانتماء وقبول الآخر.

6-3- قيم المواطنة Values of Citizenship: هي مجموعة من المعايير الخاصة بإعداد المواطن الصالح الذي يؤمن بالديمقراطية واحترام الرأي الآخر والالتزام بالانتماء للوطن والدفاع عنه[391].

قيم المواطنة إجرائياً: تعرَّف في البحث الحالي بأنها مجموعة القيم المتصلة بالانتماء للوطن والحقوق والواجبات وقبول الآخر، وتُقاس بالدرجة التي يحصل عليها أفراد عينة البحث من خلال الاستبانة المعدَّة لهذا الغرض.

6-4- الانتماء Belongingness: ورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة، حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة[392].أي انتماء الفرد لأمته وتمتعه بحقوق مقابل أدائه لواجباته التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن انتهاءً بماركته في قضايا مجتمعه[393].

والانتماء إجرائياً: هو المشاركة الفعلية في أنشطة الوطن كافة والالتزام في الحقوق والواجبات.

6-5- قبول الآخر Acceptance Other: احترام الآخر وتقدير وتفهم ما لدية من مجموع المفاهيم التي ذكرت سابقاً من أفكار وتقاليد وقيم الخ، وهو يرتبط بتقبل الذات بكل ما فيها من قوة وضعف[394].

6-6- مرحلة التعليم الأساسي Basic Teaching: مرحلة تعليمية مدتها تسع سنوات تبدأ من الصف الأول وحتى الصف التاسع وهي مجانية وإلزامية. إذ تبدأ الحلقة الأولى للتعليم الأساسي من الصف الأول وحتى الصف السادس وتبدأ الحلقة الثانية للتعليم الأساسي من الصف السابع وحتى الصف التاسع[395].

6-7- العصر الرقمي The digital age: يُطلق هذا المُصطلح على العصر الحالي وذلك بعد أن تم الاندماج بين تكنولوجيا المعلوماتيات والاتصال، وتعني كلمة رقمي من الناحية التقنية أن الحروف والصور والأصوات يتم تحويلها إلى بيانات

---

[389]- سعادة، جودت. (2001). *صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية*. عمّان: دار الشروق، ص: 31.

[390]- الخزاعي،حسين. (2009) . *التشريعاتالاجتماعيةوحقوقالإنسان*. عمان:يافاللنشروالتوزيع، ص: 8.

[391]إدريس، محمود. (2016). *التربية على المواطنة وحقوق الإنسان*. المجلس الأعلى لحقوق الإنسان. الرياض، ص: 26.

[392]- إيبرلي،دونآي. (2003).*بناءمجتمعنالمواطنين*ترجمة،هشامعبد الله . عمان: الأهليةللنشروالتوزيع، ص: 21.

[393]–Veera, Ilona Ija. (2011). *An Analysis of Citizenship. Legal Political and Social Dimenesion*. University of Helsinki. 2011,227, p: 14.

[394]-)https://sites.google.com(

[395]- وزارة التربية. (2015). *النظام الداخلي لمدارس التعليم الأساسي*، المادة الأولى، الجمهورية العربية السورية، ص: 2.





رقمية: آحاد وأصفار، ويمكن تخزينها ومعالجتها وإرسالها بواسطة أجهزة الحاسوب، وذلك من خلال القدرة على خلق الاتصال الفعال من مُختلف الوسائل الرقمية (عبد الحميد، 2007).

7- دراسات سابقة:ضمّت الدراسات السابقة بعض الدراسات العربية والأجنبية كما يلي:

دراسة حاج بشير (2019) في الجزائر[396]، التي تناولت مسألة المواطنة والشعور بها وممارستها في ظل الثورة الرقمية والثورة المعلوماتية وما أجرته من تطور في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وبروز ثقافة التواصل الاجتماعي وغلبة مضامين الإعلام الجديد وتقهقر الإعلام التقليدي الجماهيري، حذا بقطاع كبير من أفراد المجتمع إلى ممارستها بشكلها الإلكتروني بالانغماس المخيف في الفضاء السيبراني العام، فتحول المواطن عبرها إلى مواطن رقمي يمارس حبه للوطن ورغبته في سلامة أفراده عبر الانترنت وتطبيقات الإعلام الجديد، مما أفقد المواطنة بعدها الحقيقي وصورتها الواقعية، وذلك بغياب وجود المواطن في ساحة العمل السياسي والتطوعي الفعلي في الشارع.

وهدفت دراسة السليحات والفلوح والسرحان (2018) في الأردن[397] إلى تعرف درجة الوعي بمفهوم المواطنة الرقمية لدى طلبة مرحلة البكالوريوس في كلية العلوم التربوية، وتحديد أثر الجنس أو العمر أو مكان السكن أو درجة استخدام الإنترنت. من خلال المنهج الوصفي، واستخدمت استبانة على عينة من (240) طالباً وطالبة. وتوصلت الدراسة إلى أن درجة وعي الطلبة بمفهوم المواطنة الرقمية متوسطة. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للجنس أو مكان السكن أو درجة استخدام الإنترنت أو العمر. **وقد هدفت دراسة بركات وعلي ويونس (2018) في سورية**[398] إلى معرفة درجة تمثل تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي لقيم المواطنة في ظل الأزمة السورية تبعاً لمتغير نوع الإقامة (تلميذ وافد - تلميذ مقيم) ومتغير حالة الأسرة (تلاميذ ذوي شهداء - تلاميذ عاديين من غير ذوي شهداء). ولأجل ذلك تم إعداد استبانة اشتملت على (35) بنداً طُبقَت على عينة من تلاميذ الصف السادس الابتدائي وبلغت (240) تلميذ وتلميذة، توصلت الدراسة بالنتائج إلى أن درجة تمثل التلاميذ لقيم المواطنة في ظل الأزمة السورية كانت متوسطة وجاءت قيم الحقوق والواجبات بالمرتبة الأولى، وتبعاً لنوع الإقامة، باستثناء محور التفاعل والمشاركة، لصالح التلامذة الوافدين. **وهدفت دراسة شوي وجلسمان وكريستول Choi, Glassman & Cristol (2017) في أمريكا**[399] إلى تطوير مقياس يتمتع

---

[396]- حاج بشير، جيدور. (2019). المواطن الرقمي: *أثر الاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي علي مفهوم المواطنة. ملتقى الباحثين السياسيين العرب*، جامعة بسكرة. الجزائر، 14 ديسمبر، 2019. أُخذ من: (http://arabprf.com/?p=2310)، تاريخ الزيارة: 2- 12- 2019م.

[397]- السليحات، روان يوسف؛ والفلوح، وروان فياض؛ والسرحان، خالد علي. (2018). درجة الوعي بمفهوم المواطنة الرقمية لدى طلبة مرحلة البكالوريوس في كلية العلوم التربوية بالجامعة الأردنية، وقائع مؤتمر كلية العلوم التربوية " التعليم في الوطن العربي نحو نظام تعليمي متميز". *دراسات العلوم التربوية، 45 (3)*. ص ص: 19-33.

[398]- بركات، غسان؛ وعلي، وفيقة؛ ويونس، هدى. (2018). درجة تمثل تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي لقيم المواطنة في ظل الأزمة السورية. *مجلة جامعة تشرين. 40 (3). 159- 170.*

[399]Choi, M. and 33- Glassman, M., &Cristol, D. (2017). What it means to be a citizen in the internet age: Development of a reliable and valid digital citizenship scale. *Computers & Education, 107*, 100-112.









بالصدق والثبات لقياس المواطنة الرقمية، وقد قام الباحثون بتطوير استبانة وتطبيقها على عينة مكونة من (508) طالباً جامعياً من طلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا في جامعة ميدويسترن في، وكان من أبرز النتائج وجود موثوقيةجيدة لمقياس المواطنة الرقمية، ووجود علاقة متقاربة مع كفاءة الإنترنت مع الخوف منه.

وهدفت دراسة طوالبة (2017) في الأردن[400] إلى تعرّف درجة تضمين مفاهيم المواطنة الرقمية في كتب التربية الوطنية والمدنية ومدى المام المعلمين بها. تألفت العينة من (43) معلماً من معلمي التربية الوطنية والمدنية في مديرية قصبة اربد تم اختيارهم بالطريقة القصدية، ومن جميع كتب التربية الوطنية والمدنية، واعتمدت الدراسة على المقابلات لجمع البيانات. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها خلو جميع كتب التربية الوطنية والمدنية من استخدام مصطلح المواطنة الرقمية، وتدني معرفة معلمي التربية الوطنية والمدنية بشكل كبير بمحاور ومفاهيم المواطنة الرقمية.

وهدفت دراسة عطية (2017) في العراق[401] إلى تعرف دور التربية الوطنية في مفهوم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والفروق بين المعلمين والمعلمات لغرس مفهوم المواطنة وتنمية تلاميذ المرحلة الابتدائية حسب متغير النوع (ذكور - إناث)، وتحديد الفروق بين المعلمين والمعلمات لغرس مفهوم المواطنة والتنمية حسب متغير التحصيل العلمي (بكالوريوس - معهد). إذ استخدم الباحث المنهج الوصفي، ومقياس توزع على قسمين يتكون من (46) وتكونت العينة من (200) معلماً. وتم استخلاص النتائج على النحو التالي: الدور التربوي الوطني في تحديد مفهوم المواطنة، قرارات دور المدرسة في تطوير المفهوم، دور المعلم في تحقيق أهداف التربية الوطنية وغرس مفهوم المواطنة لدى طلاب المرحلة الابتدائية من خلال التدريس. لا توجد فروق بين الذكور ولا بين الحاصلين على درجة البكالوريوس والحاصلين على درجة البكالوريوس من معهد الشهادة في ترسيخ وتطوير المفهوم المواطنة بين تلاميذ المرحلة الابتدائية.

وهدفت دراسة كمال (2017) في الجزائر[402] إلى إدراك مدى تأثيرات تكنولوجيا الاعلام والاتصال على قيم المجتمع الجزائري (المواطنة والانتماء) وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي واستمارة تكونت من (61) سؤالاً، بالإضافة إلى المقابلات على (100) مبحوث من مختلف التخصصات بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، وبينت النتائج الانفتاح ايجاباً وسلباً على عادات وثقافات جديدة، ويميل بعض الشباب الى تبني نمط حياة يتماشى مع قيم المجتمع الجزائري، ولكنهم داخليا يشعرون بنوع من الاغتراب وعدم التناغم والانتماء لهذا المجتمع.

400- طوالبة،هادي. (2017).المواطنةالرقميةفيكتبالتربيةالوطنية والمدنية، دراسة تحليلية.*المجلةالأردنيةفيالعلومالتربوية، 13 (3)*. ص ص: 291-308.

401- عطية، تمارى عبد الرزاق. (2017). دور مادة التربية الوطنية في اكتساب المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات. كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية. *مجلة كلية التربية الأساسية.23 (97)*. ص ص: 921-960.

402- كمال، عايد. (2017). *تكنولوجيا الاتصال والإعلام وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري الشباب الجامعي لتلمسان نموذجاً*. رسالة دكتوراه. جامعة أبي بكر بلقايد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر.

وهدفت دراسة هندي (2017) في سورية[403] إلى تحديد دور القيم القانونية والسياسية والاجتماعية للمواطنة في مناهج علم الاجتماع من وجهة نظر طلبة جامعة دمشق "قسم علم الاجتماع"، واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستخدمة استبانة كأداة للبحث، طبقت على عينة مكونة من (135) طالب وطالبة، وقد توصلت الدراسة إلى أن متوسط درجات إجابات الطلبة حول قيم المواطنة الواجب توافرها في مناهج علم الاجتماع بالدرجة الكلية بلغ وبمستوى جيد، وللقيم القانونية بمستوى جيد، وللقيم السياسية بمستوى متوسط، وللقيم الاجتماعية بمستوى ممتاز، ووجود فروق دالة إحصائياً تبعاً لمتغير السنة الدراسية ولصالح السنوات الأعلى، في حين لم توجد فروق دالة تبعاً لمتغير الجنس.

وهدفت دراسة الخزاعي والشمايلة (2014) في الأردن[404] إلى قياس مستوى المواطنة والانتماء لدى العاملين في المؤسسات الأردنية، ولتحقيق هذا الهدف تم تطوير مقياس مكون من (39) فقرة توزعت على خمسة مجالات، وتم تطبيق المقياس على عينة عشوائية طبقية شملت (296) موظفاً، وتوصلت الدراسة إلى أن المواطنة ودورها في تعزيز الانتماء كانت بدرجة إيجابية في جميع مجالات المقياس وأن أكثر تأثير إيجابي في المجال الثقافي والمعرفي، وأدنى تأثير إيجابي في المجال الديني. **وهدفت دراسة أسمان وجونجيرون (2013) Isman & Ozlem في تركيا**[405] إلى تطوير مقياس لتقييم المواطنة الرقمية، وتكونت العينة من (4395) طالباً وطالبة من طلبة البكالوريوس في كلية التربية في احدى الجامعات التركية. واعتمدت الدراسة على الأدب النظري في تكوين مجموعة من العوامل المستخدمة في قياس المواطنة الرقمية، وتوصلت الدراسة إلى إمكانية قياس المواطنة الرقمية باستخدام عوامل عدة منها: الأمية الرقمية، والقانون الرقمي، والواجبات والمسؤوليات الرقمية. **كما هدفت دراسة سعد الدين (2011) في سورية**[406] إلى تعرف مدى توافر قيم المواطنة في محتوى منهاج الدراسات الاجتماعية للحلقة الأولى في التعليم الأساسي، وقامت الباحثة بإعداد قائمة بالقيم اشتملت على (25) قيمة واستمارة تحليل محتوى، بالإضافة إلى توزيع استبانة على (76) معلماً ومعلمة. وقد توصلت الدراسة إلى وجود تفاوت في مدى توافر القيم في المنهاج للصفين الرابع والخامس، إضافة إلى احتوائها على حقوق الإنسان والواجبات بدرجة متوسطة، وتبين أيضاً أن لهذه المواد دور مرتفع في مع وجود فروق بين الصفين الرابع والخامس وعدم وجود فروق تبعاً لمتغير الجنس. **في حين هدفت دراسة همفريس (Humphreys, 2011) في ليتو انيا**[407] إلى تعرف القيم والاتجاهات لدى الطلبة في أجل مواطنة فاعلة، باستخدام أداة مكونة من (68) فقرة. وتكونت عينة الدراسة من (421)

---

[403]- هندي، هبة. (2017). دور مناهج قسم علم الاجتماع في تنمية قيم المواطنة من وجهة نظر طلبة جامعة دمشق " قسم علم الاجتماع ". *مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية. 39 (10)*. ص ص: 91- 128.

[404]- الخزاعي، حسين والشمايلة، إيمان. (2014). مستوى المواطنة والانتماء لدى العاملين في المؤسسات الأردنية "دراسة اجتماعية تطبيقية ". *دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية. 41 (1)*. ص ص: 347- 372.

[405]- Isman, A. & Gungoren, O. (2014). Digital citizenship. Turkish Online *Journal of Educational Technology, 13(1)*, 73-77.

[406]- سعد الدين، هدى. (2011). *قيم المواطنة في محتوى منهاج الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في سورية – دراسة تحليلية*. رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة البعث، سورية.

[407]- HUMPHREYS, M. Anew Generation of Leaders for Eastern Europe: Values and Attitudesmas for Active Citizenship. (2007). *Chistian Higher Education, F16, N (23*), 2007, 215-236.



طالباً وطالبة من طلبة جامعة ليتوانيا. وأظهرت النتائج أن طلبة الجامعة لديهم قيم واتجاهات تقود إلى مواطنة فعالة، وأن الطلبة الذين قيم الانتماء والتكافؤ أكثر مشاركة في إيجاد تغييرات إيجابية.

*** التعقيب على الدراسات السابقة:** من خلال قراءة الدراسات السابقة يُلاحظ أنّ بعض الدراسات ركزت على موضوع المواطنة الرقمية مثل دراسة بشير (2019)، والسليحات والفلوح والسرحان (2018)، وشوس وجلسمان وكريستول (2017)، وطوالبة (2017)، أسمان وجونجيرون (2013)، أما دراسة سعد الدين (2011) هدفت إلى تحليل المنهاج لتعرف قيم المواطنة المتضمنة فيه، في حين استهدفت بقية الدراسات المواطنة، ودرجة تمثلها أو الوعي بها، وبذلك اختلفت العينات التي تناولتها هذه الدراسات، بين التلاميذ والطلبة مثل دراسة كل من السليحات والفلوح والسرحان (2018)، ودراسة غسان وعلي ويونس (2018)، وشوس وجلسمان وكريستول (2017)، وهندي (2017)، وهمفريس (2011)، أو على المعلمين كما في البحث الحالي كدراستي كل من طوالبة (2017)، وعطية (2017). وقد تمت الإفادة من هذه الدراسات من خلال الاستعانة بالمراجع ذات الصلة، والفرضيات والمتغيرات، والمنهج المتبع والأداة. ويتصف البحث الحالي بأنه يركز تحديداً على دور الطرائق في تعزيز قيم المواطنة من وجهات نظر المعلمين.

8- الإطار النظري: دور طرائق التدريس في تعزيز قيم المواطنة لدى التلاميذ في ظلّ وسائل الاتصال الحديثة والعصر الرَّقمي: أولاً- مفهوم المواطنة وأسسها و أبعادها: المواطنة والمواطن مأخوذة في العربية من الوطن: المنزل تقيم به وهو "موطن الإنسان ومحله"، وطن يطن وطناً: أقام به، وتوطنت نفسه على الأمر: حملت عليه، والمواطن: الذي نشأ في وطن ما أو أقام فيه، ومواطنة: مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولداً لأن الفعل على وزن (فاعل). أما المواطنة فهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات [408].

أ- أسس المواطنة: للمواطنة كمفهوم نظري وتطبيقي مجموعة من الأسس، ومنهم من لخّصها في أساسين اثنين هما:

1- الحرية وعدم الاستبداد: حيث يدل على تمتع قطاع المواطنين جميعهم على أرض الدولة التي تمنحهم هذه الصفة بالحريات المتعلقة بالرأي والفكر والإقامة والتنقل وغيرها، كما تحميهم في الآن نفسه من ممارسة تسلط واستبداد وديكتاتورية الحكام فتجعل للأول (المواطن) حدوداً في ممارسة المواطنة، وللثاني (الحاكم) ضوابط في ممارسة السلطة.

2- توافر المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات: وذلك بغض النظر عن الدين أو المذهب أو العرف. ولا يتوافر هذان الأساسان إلا بوجود نظام سياسي لخدمة الديمقراطية التي هي حكم الشعب بالشعب وللشعب، ونظام قانوني

---

[408] 17- العامر، عثمان بن صالح. (2011). مفهوم المواطنة وعلاقتها بالانتماء مركز آفاق للدراسات والبحوث 2011/06/30، أُخذ من: (https://aafaqcenter.co/index.php/post/743).



لمعرفة حقوق الإنسان المواطن وواجباته[409]. وتتبلور فكرة المواطنة لترتبط بالتساوي في الحقوق والواجبات لكل حاملي جنسية الدولة، لتجد في المشاركة السياسية بمفهومها الواسع التعبير المباشر عن فكرة المواطنة في ظل مفهوم الدولة الديمقراطية[410].

ب- قيم المواطنة:تُعرَّف القيم على أنها مجموعة العادات والأعراف ومعايير السلوك والمبادئ المرغوبة التي تمثل ثقافة مجموعة من الناس أو جماعة أو فرد[411]. ويمكن إجمالها بما يلي:

1- قيم المواطنة ذات البعد السياسي: العدل، المساواة، الولاء الوطني، الاعتزاز بالوطن، المشاركة السياسية، الانتخاب.

2- قيم المواطنة ذات البعد الاجتماعي: التعاون، حسن الجوار، العمل التطوعي، التكافل الاجتماعي، احترام الآخرين، النظام، المسؤولية الاجتماعية، مساعدة المحتاجين، حب الناس والوطن.

3- قيم المواطنة ذات البعد الاقتصادي: الاستثمار، الكسب، الإنفاق.

4- قيم المواطنة ذات البعد الإنساني: احترام الإنسان، احترام الأديان الأخرى، احترام التنوع العرقي، احترام التنوع.

5- قيم المواطنة ذات البعد التربوي: طلب العلم، تقدير العلماء، تشجيع البحث العلمي[412].إذاً قيم المواطنة: هي المعتقدات التي تحدد سلوك الفرد نحو الدولة. ويقصد بها في هذا البحث: الانتماء، وقبول الآخر.

ب-1- الانتماء: يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحداً معه مندمجاً فيه، باعتباره عضواً مقبولاً وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، وهذا يعني تداخل الولاء مع الانتماء والذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذي ينتمي إليه. ولقد ورد في الانتماء آراء شتى للعديد من الفلاسفة والعلماء وتنوعت أبعاده ما بين فلسفي ونفسي واجتماعي، ففي حين تناوله ماسلو من خلال الدافعية، اعتبره إريك فروم حاجة ضرورية على الإنسان إشباعها ليقهر عزلته ووحدته، متفقاً في هذا مع وليون فستنجر الذي اعتبره اتجاهاً وراء تماسك أفراد الجماعة من خلال عملية المقارنة الاجتماعية، وفيما يلي أبعاد الانتماء:

ب-1-1- أبعاد الانتماء: يعد مفهوم الانتماء مفهوماً مركباً يتضمن العديد من الأبعاد والتي أهمها:

1- الهوية: يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية، وهي في المقابل دليل على وجوده، ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء.

2- الجماعية: ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التي ينتمون إليها، وتؤكد الجماعة على كل من التعاون والتكافل والتماسك، والرغبة الوجدانية في المشاعر الدافئة للتوحد. وتعزز الجماعية كل من الميل إلى المحبة، والتفاعل والاجتماعية، وجميعها تسهم في تقوية الانتماء من خلال الاستمتاع بالتفاعل الحميم للتأكيد على التفاعل.

---

[409]- الخشت، محمد عثمان. (2010). *تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي*. متوفر على الرابط التالي: (http://anfasse.org)،ص:9.

[410]- ولديب، سيدي محمد. (2010). الدولة وإشكالية المواطنة. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص: 59.

[411]- نيازي، عبد المجيد بن طاش محمد. (2000). *مصطلحات ومفاهيم إنجليزية في الخدمة الاجتماعية*. الرياض: مكتبة العبيكان.، ص: 260.

[412] -الخزاعي،حسين. (2009) . مرجع سابق، ص: 201.



3- الولاء: الولاء جوهر الالتزام، يدعم الهوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويركز على المسايرة.

4- الالتزام: حيث التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعية على الانسجام والتناغم والإجماع، ولذا فإنها تولد ضغوطاً فاعلة نحو الالتزام بمعايير الجماعة لإمكانية القبول والإذعان كآلية لتحقيق الإجماع وتجنب النزاع.

5- التواد: ويعني الحاجة إلى الانضمام أو العشرة، وهو- التواد- من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصداقات. ويشير إلى مدى التعاطف الوجداني بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة، وينمي لدى الفرد تقديره لذاته وإدراكه لمكانته، وكذلك مكانة جماعته.

- الديمقراطية: هي أساليب التفكير والقيادة، وتشير إلى الممارسات والأقوال التي يرددها الفرد ليعبر عن:

أ – تقدير قدرات الفرد وإمكاناته مع مراعاة الفروق الفردية، وتكافؤ الفرص، والحرية الشخصية في التعبير عن الرأي.

ب- شعور الفرد بالحاجة إلى التفاهم والتعاون مع الغير، ورغبته بأن تتاح له الفرصة للنقد مع امتلاكه لمهارة تقبل نقد الآخرين بصدر رحب، وقناعته بأن يكون الانتخاب وسيلة اختيار القيادات، مع الالتزام باحترام النظم والقوانين.

ج- اتباع الأسلوب العلمي في التفكير.

ومن ثم تعد المواطنة هي البوتقة التي تضمن انصهار جميع الانتماءات لصالح الوطن ضمن أطر نظامية ومن خلال الالتقاء على أرضية المصلحة الوطنية العامة، ويتم ذلك بناء على معطيات الفكر العالمي اليوم والتي يروج لها في ساحاتنا الفكرية ومنتدياتنا الثقافية من خلال الهوية والانتماء، والتعددية، والحرية والمشاركة[413].

ب-2- قبول الآخر: إنّ قبول الآخر: قيمة وطنية تقوم على حفظ الحقوق وعدم التعدي على الآخرين. انتشار روح المحبة والإخاء بين الأفراد، وتؤدي إلى تحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة.

ب-2-1- أهمية قبول الآخر: نحن بحاجة الى قبول الآخر وتحويل الآخر الى اللاآخر عبر الإيمان بأن الذي يجمع المجتمع يتجاوز ما هو ظاهري وشكلي. وسيقودنا ذلك إلى التغيير، تغييرنا نحن كي نتمكن من قبول الآخر. وعلى المستوى الشخصي ترسيخ مفاهيم كالموضوعية على حساب الذاتية ونشر ثقافة التنوع والاختلاف على حساب ثقافة التجانس والتشابه والتحول من ثقافة القهر الى ثقافة المشاركة ومن السلبية الى الإيجابية، وللوصول الى ثقافة قبول الآخر يجب البدء مع الصغار، وترسيخ ثقافة الحوار وتعليم الطفل التنوع في الإجابات معتمداً على القدرة على إيجاد الحلول المناسبة، وبذلك يعتاد على ثقافة الاختلاف. كما يجب تغيير وتعديل مناهج التعليم لزرع ثقافة قبول الآخر. فثقافة اللون الواحد وثقافة إلغاء الآخر وتهميشه وسيادة المفاهيم الاقصائية سوف لن تؤدي إلا إلى المزيد من التفكك المجتمعي والعنف وسيادة العنف بدل اللاعنف وتزايد الحقد والكراهية والتعصب بين ابناء المجتمع الواحد.[414]

ب-2-2- مكونات قبول الآخر: وتتضمن الآتي:

- الاهتمام بمشاعر الآخرين: واحتياجاتهم وآلامهم وأفراحهم، وهو من أهم أسرار قبول الآخر.
- دعم أواصر المحبة والترابط بيننا وبين الآخرين في محيط الأسرة، وعلى نطاق الدراسة أو العمل.

---

[413]- العامر، عثمان بن صالح. (2011). مرجع سابق.

[414]- ملوكا، عامر. (2017). مرجع سابق.



- امتداح الآخرين وتقديرهم، فالحاجة إلى التقدير، تعتبر من أهم احتياجات البشر ورغبة متأصلة في النفس الإنسانية.

- الابتسامة والوجه البشوش.

- المحبة واحترام الاخر وتشجيعه والانصات اليه وسماعه واعطاؤه فرصة للتعبير عن رأيه.

- الإنصات والحوار، والتضحية من أجل الآخر[415].

ثانياً- طرائق التدريس و أثرها على قيم المواطنة في ظل العصر الرقمي:

يرى عديد من الباحثين أن الثورة التقنية المعلوماتية للعصر الرقمي ماهي في جوهرها إلا ثورة تربوية بالدرجة الأولى، ذلك لأنه مع بروز المعرفة تصبح تنمية الموارد البشرية هي العامل الحاسم في تحديد وزن الدول والمجتمعات المعاصرة والمستقبلية، ومن ثم أصبحت التربية هي المشكلة وهي الحل، لأن الفشل في إعداد القوى البشرية القادرة على مسايرة مقومات التغيير في العصر الرقمي ومواجهة التحديات المتوقعة سيؤدي إلى فشل جهود التنمية حتى لو توافرت الموارد الطبيعية والمادية. فوظيفة التربية هي تنشئة الأفراد على درجة من الوعي والقدرة والكفاءة في تغيير واقع المجتمع والتصدي لسلبياته من أجل الوصول إلى حياة أفضل، وخير مثال على ذلك اليابان التي أعلنت في عام (1976) م عن خطتها التجديدية الشاملة للوصول إلى التقدم التكنولوجي عام (2000) م وركيزتها في ذلك النظام التعليمي. وقد تأثرت المدارس بما حدث من تغييرات مصاحبة للثورة الرقمية، فقد ظهرت مجموعة من المصطلحات المصاحبة لذلك، مثل المدرسة الذكية والمدرسة الافتراضية ونظام الأنشطة الرقمية والتعليم من خلال التكنولوجيا الحديثة ونظام الاختبارات الرقمية، والتي يلزم التعرف عليها، لكي يعرف المهتمون ماذا يريدون من عصر الثورة الرقمية في تغيير بيئة المدرسة. ويمكن القول إنّ المواطنة هي مجموع القيم الإنسانية والمعايير السياسية والقانونية والممارسات الاجتماعية التي تمكن الفرد من الانخراط في مجتمعه والتفاعل معه إيجابيا والمشاركة في تدبير شؤونه والحفاظ على تماسكه ووحدته الوطنية، وهي الحصن الحصين ضد ثقافة التثبيط والسلبية والانهزامية وتفتح آفاقا ملؤها الثقة في استشراف مستقبل أفضل وتشجيع ذوي الأفكار النيرة البناءة لارتياد آفاقه. وفي الجمهورية الغربية السورية بذلت وزارة التربية مجموعة من الجهود التي بخصوص التربية على المواطنة من خلال إكساب الجيل مجموعة من المعارف والمهارات والخبرات والقيم والمثل التي تندرج تحت مفاهيم كثيرة منها المواطنة، وانطلاقاً من فلسفتها التربوية وبدءاً من المعايير الوطنية وأدلة التأليف خططت الوزارة لتضمين مفهوم المواطنة وتفرعاتها في الوحدات الدرسية. كما تم تشريب التدريبات والأنشطة والتقويمات هذا المفهوم في كل المواد الدراسية (السيد، 2015)[416]. وكما ذُكر سابقاً فإنّ تضمين قيم الانتماء وقبول الآخر وغيرها من قيم المواطنة في المناهج الدراسية لا يكفي وحده لتمثل التلاميذ لها، إذ يأتي هنا دور المعلم الأساسي في تعزيزها من خلال ما

---

[415]-الأنبا، موسى. (2020). ثقافة قبول الآخر.. كيف نقبل الآخر؟ أُخذ من: (https://www.almasryalyoum.com/news/details/1994493). 05-07-2020 00:23.

[416]- السيد، محمود. (2015). *التربية والمواطنة. ندوة كلية التربية بجامعة دمشق*، 27- حزيران- 2015. أُخذ من: (**http://new.damascusuniversity.edu.sy**).



يستخدمه من طرائق تدريسية ناجعة، وتركز على أهداف اكتسابهم لها. مما يدعو إلى القول بأن دور طرائق التدريس هنا هو دور مكمّل مهم لضمان اكتساب التلاميذ لقيم المواطنة.

9- منهج البحث وأداته: أُستخدِم المنهج الوصفي لجمع المعلومات وتحقيق الأهداف نظراً لملاءمته للبحث.

9-1- أداة البحث والدراسة الاستطلاعية: قامتالباحثةبإعدادالاستبانةمن خلال مراجعةالأدبالتربويوالدراساتذاتالعلاقة. وقدطُبقتعلىعينةاستطلاعيةقوامها (32)معلماً ومعلمة في مدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي بمدينة دمشق،منخارجالعينةالأساسية،بهدفمعرفةمدىملاءمةووضوحالبنود، وقدتمتعديلبعضها.وبلغعددهاالنهائي (30)بنداً.ودُرّجت الاستبانةخماسياً حسب(ليكرت) إذوزعتالدرجاتكالآتي: كبيرةجداً(5) درجات،كبيرة(4) درجات،متوسطة (3) درجات،قليلة(2) درجتان،قليلةجداً(1) درجة.

9-1-1- صدقالمحتوى: وذلك من خلال عرضهاعلىمجموعةمنالأساتذةللوقوفعلىآرائهم ومقترحاتهمواجراءالتعديلاتاللازمةعلىصياغة الاستبانةالنهائية. وبذلك عُدت الاستبانةجاهزة لاستخدامها في البحث.

9-1-2- الصدق البنيوي: تم التأكد من الاتساق الداخلي للاستبانة عن طريق تطبيقها على العينة المؤلفة من (32) معلماً ومعلمة، وحساب معاملات الارتباط بين محوري الاستبانة مع الدرجة الكلية كما هو موضح في الجدول (1).

الجدول (1): معاملات ارتباط محوري الاستبانة مع الدرجة الكلية لها

المحور	الطرائق الاعتيادية	الطرائق الإلكترونية	الدرجة الكلية
الطرائق الاعتيادية	1		
الطرائق الإلكترونية	0.52**	1	
الدرجة الكلية	0.90**	0.83**	1

يتبين أن معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) وهذا يعني أنها تتصف باتساق داخلي.

9-1-3-ثباتالاستبانة: تم التحقق من ثبات الاستبانة من خلال:

9-1-3-1- ثبات التجزئة النصفية: وذلك من خلال استخراج معامل ثبات التجزئة النصفية على العينة الاستطلاعية السابقة، باستخدام معادلة سبيرمان – براون كما هو موضح في الجدول (2).

9-1-3-2- ثبات الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ: تم حساب معامل الاتساق الداخلي كما يلي:

الجدول(2): ثبات الاستبانة بطريقتي التجزئة النصفية وألفا كرونباخ

المحور	التجزئةالنصفية	ألفاكرونباخ
الطرائق الاعتيادية	0.83**	0.76**
الطرائق الإلكترونية	0.79**	0.80**
الدرجة الكليةللاستبانة	0.85**	0.84**



وبالنظر إلى الجدول يُلاحظ أن معامل ثبات التجزئة النصفية بلغ للدرجة الكلية (0.85)، ولمحور الطرائق الاعتيادية (0.83) ولمحور الطرائق الإلكترونية (0.79). أما معامل ثبات الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ للدرجة الكلية فقد بلغ (0.84) ولمحور الطرائق الاعتيادية (0.76) ولمحور الطرائق الإلكترونية (0.80) وهي معاملات جيدة.

10- مجتمع البحث وعينته: تكوَّن مجتمع البحث من جميع معلمي التعليم الأساسي في مدارس الحلقة الأولى بمدينة دمشق، وقد بلغ العدد وحسب إحصائية مديرية تربية مدينة دمشق (6368) معلماً ومعلمة للعام الدراسي (2019 – 2020). وتكونت عينة البحث من(230) معلماً ومعلمة والجدول الآتي يبيّن توزع أفراد العينة وفق المتغيرات:

الجدول (3): توزّع عينة المعلمين وفق المتغيرات

المتغيرات	الجنس		سنوات الخبرة			حضور دورات تدريبية			
الفئات	ذكور	إناث	أقل من 5	من 5- 10	أكثر من 10	دورة واحدة	دورتان	ثلاث دورات	أربع فأكثر
العدد	110	120	92	52	86	57	65	44	64
المجموع	230		230			230			

11- الأساليب الإحصائية المستخدمة: تمت معالجة البيانات بواسطة برنامج (SPSS)، وذلك باستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية، واختبار (t) للمجموعتين المستقلتين (Independent T-test)، واختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova).

12- نتائج البحث ومناقشتها:

12-1- نتيجة السؤال الرئيس للبحث: ما دور طرائق تدريس التعليم الأساسي في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) في ظل العصر الرقمي من وجهة نظر المعلمين؟ للإجابة عن هذا السؤال تمحساب المتوسط الحسابيلحساب درجة كل بند حسب فئات تدرج المقياس الخماسي، ثم حساب طول الفئة فأعطيت كل درجة من درجات الدور قيماً متدرجة وفق مقياس ليكرت، وذلك للحكم على أهمية كل بند من الاستبانة وفق القانون الآتي:

طول الفئة = أعلى درجة للاستجابة في القائمة - أدنى درجة للاستجابة في القائمة

عدد فئات تدرج الاستجابة، فكان طول الفئة: 5-1 = 0.8.

5

الجدول (4): معيار تصنيف قيم بنود الاستبانة لدى العينة

قيم المتوسط الحسابي	درجة تقدير للبنود
من 1 حتى 1.8	ضعيفة جداً
من 1.81حتى2.60	ضعيفة
من2.61حتى 3.34	متوسطة
من 3.35 حتى 4.20	كبيرة
من 4.21 حتى 5.00	كبيرة جداً





12-1-1- نتيجة المحور الأول (طرائق التدريس الاعتيادية): تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وترتيب البنود وفق قيمة المتوسط الحسابي لمحور طرائق التدريس الاعتيادية وفق الجدول الآتي:

الجدول (5): المتوسطات والانحرافات لمحور طرائق التدريس الاعتيادية

الترتيب	البند	المتوسط	الانحراف	تقدير الدرجة
6	تعزيز الولاء للأرض وجغرافيا الوطن	4.72	.755	كبيرة جداً
4	تعزيز قيمة تقديمالمصلحةالعامةعلىالمصلحةالخاصة	4.48	1.056	كبيرة جداً
14	تعزيز قيمة النقد البنّاء للآخر	4.47	.965	كبيرة جداً
2	تعزيز الافتخاربالمسيرةالسياسة للوطن	4.45	.768	كبيرة جداً
12	تعزيز قيمة السلام مع الآخر	4.45	1.017	كبيرة جداً
8	تفهم أفكار الآخر	4.39	1.276	كبيرة جداً
10	نبذ العنففيالتعبيرعن الرأي	3.70	1.729	كبيرة
5	تشجيع العملالفكريوالإبداعيلأبناءالوطن	3.67	.757	كبيرة
7	تعزيز الإيمان بتعدديةالأفكارالسياسية والثقافية	3.63	.791	كبيرة
3	تعزيز الإيمان بأهميةالوحدةالوطنية	3.63	.871	كبيرة
1	تعزيز قيمة الحفاظعلىمصلحةالوطن واستقراره	3.55	.864	كبيرة
9	نبذ التعصب ضدّ الآخر	3.53	.961	كبيرة
13	تعزيز قيمة احترام الآخر	3.52	.933	كبيرة
15	تعزيز قيمة تقبل رأي الآخر	3.38	.989	متوسطة
11	المشاركة بالأعمال التطوعية والخيرية	3.08	1.018	متوسطة
	متوسط المحور	**3.93**	**1.00**	**كبيرة**

يُلاحظ من الجدول السابق وجود درجة تقدير (كبيرة جداً) أمام ستة بنود وهي بمجملها تشير إلى قيم الانتماء للوطن وقبول الآخر. ويمكن تفسير ذلك بإدراك المعلمين بأن اكتساب هذه القيم في العملية التعليمية يكون من خلال استخدام طرائق التدريس سواءً مها التقليدية أو التفاعلية أو الكشفية المستخدمة من قبلهم، وأهمية ذلك وانعكاسه على مستويات امتلاك التلاميذ لها. كما يُلاحظ من الجدول السابق وجود درجة تقدير (كبيرة) أمام سبعة بنود وهي أيضاً من قيم الانتماء وقبول الآخر. وتعزو الباحثة ذلك إلى تأكيد المعلمين والمعلّمات على دور طرائق التدريس في إكساب هذه القيم لدى التلاميذ، وإمكانية طرح تنويع القيم الخاصة بالمواطنة. كما يُلاحظ من الجدول السابق وجود درجة تقدير (متوسطة) أمام بندين وهما تعزيز قيمة تقبل رأي الآخر، بالإضافة إلى المشاركة بالأعمال التطوعية والخيرية. ويمكن



تفسير ذلك إلى إدراك المعلمين إلى ضعف طرح موضوع الأعمال التطوعية في المناهج الموجودة. والمتوسط الكلي جاء بدرجة كبيرة، وهذا يدلّ على إيمان المعلّمين بأن الطرائق الاعتيادية التي يستخدمونها، تسهم بدرجة كبيرة في تعزيز قيم الانتماء وقبول الآخر لدى التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي وبغض النظر عن نوعها، ورغم انتشار العصر الرقمي.

2-1-12-نتائج المحور الثاني (طرائق التدريس الإلكترونية القائمة على وسائل الاتصال الحديثة): تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وترتيب البنود وفق قيمة المتوسط الحسابي للمحور وفق الجدول الآتي:

الجدول (6): المتوسطات والانحرافات لمحور طرائق التدريس الإلكترونيةالقائمة على وسائل الاتصال الحديثة

الترتيب	البند	المتوسط	الانحراف	التقدير
30	نبذ العنففيالتعبيرعن الرأي	4.33	1.350	كبيرة جداً
26	تعزيز قيمة الحفاظعلىمصلحةالوطن واستقراره	4.24	1.036	كبيرة جداً
24	تعزيز الإيمان بتعدديةالأفكارالسياسية والثقافية	4.17	1.434	كبيرة
28	تعزيز قيمة احترام الآخر	4.72	.755	كبيرة جداً
22	نبذ العنففيالتعبيرعن الرأي	3.67	1.752	كبيرة
29	تعزيز قيمة تقبل رأي الآخر	4.24	1.036	كبيرة جداً
27	نبذ التعصب ضدّ الآخر	3.67	1.752	كبيرة
21	تفهم أفكار الآخر	3.18	1.368	متوسطة
25	تعزيز الإيمان بأهميةالوحدةالوطنية	4.47	.965	كبيرة جداً
23	تشجيع العملالفكريوالإبداعيلأبناءالوطن	4.33	1.350	كبيرة جداً
16	تعزيز الولاء للأرض وجغرافيا الوطن	3.12	1.115	متوسطة
18	تعزيز قيمة النقد البنّاء للآخر	4.47	.965	كبيرة جداً
17	تعزيز تقديمالمصلحةالعامةعلىالمصلحةالخاصة	4.48	1.056	كبيرة جداً
19	تعزيز الافتخاربالمسيرةالسياسة للوطن	4.45	.768	كبيرة جداً
20	تعزيز قيمة السلام مع الآخر	4.45	1.017	كبيرة جداً
	متوسط المحور	36.4	1.24	كبيرة جداً

يُلاحظ من الجدول السابق وجود درجة تقدير (كبيرة جداً) أمام أغلب البنود، بالإضافة إلى المتوسط الكلي، وهذا يدلّ على إدراك المعلمين على الدور الكبير لطرائق التدريس الإلكترونية القائمة على وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) لدى التلاميذ في ظل العصر الرقمي، بشكل أكبر من طرائق التدريس الاعتيادية كما اتضح من نتائج المحور السابق. ويعد هذا مؤشراً لأهمية استخدام هذه الطرائق الحديثة لمواكبة مستجدات التكنولوجيا



الحديثة في ظل العصر الرقمي، بما يسهم بشكل أكبر في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء، قبول الآخر) لدى التلاميذ. كما تعكس هذه النتيجة ما أفرزه العصر الرقمي من مفاهيم مواطنة جديدة مثل المواطنة الرقمية وغيرها، مما يستدعي إدخال طرائق التدريس الإلكترونية أو القائمة على وسائل الاتصال الحديثة من قبل المعلمين.

12-2- عرض نتائج الفرضيات وتفسيرها:

12-2-1- نتائج الفرضية الأولى: لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) تبعاً لمتغير الجنس. ويبين الجدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للدرجة الكلية للاستبانة وفئات متغير الجنس:

الجدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للدرجة الكلية للاستبانة وفئات متغير الجنس

	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	ذكور	110	116.02	13.960	1.07	0.282
	إناث	120	114.10	13.003		

يبين الجدول (7) أن مستوى الدلالة للدرجة الكلية للاستبانة أكبر من مستوى الدلالة الافتراضي (0.05)، وبالتالي يشير هذا إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات معلمي التعليم الأساسي (الحلقة الأولى) لمتغير الجنس في الدرجة الكلية للاستبانة، وبالتالي ترفض الفرضية البديلة وتُقبل الفرضية الصفرية التي تقول: لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) من وجهة نظر أفراد عينة البحث تبعاً لمتغير الجنس. ويمكن تفسير عدم وجود فروق في الجنس بين إجاباتمعلمي التعليم الأساسي الحلقة الأولى نحو استبانة البحث في الدرجة الكلية إلى أن جميع عينة المعلمين ذكوراً وإناثاً يدركون دور طرائق التدريس،وهذا الأمر طبيعي نتيجة التطور في المناهج الدراسية وطرائق التدريس وتقنيات التعليم، وإدخال مفاهيم جديدة. تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة السليحات والفلوح والسرحان (2018)، ودراسة عطية (2017)، ودراسة هندي (2017)، ودراسة سعد الدين (2011).

12-2-2- نتائج الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) تبعاً لمتغير سنوات الخبرة. ويبين الجدول (8) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للدرجة الكلية للاستبانة وفئات سنوات الخبرة:

الجدول (8) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للدرجة الكلية للاستبانة وفئات متغير سنوات الخبرة

	المتغير/ سنوات الخبرة	العدد	المتوسط	الانحراف
الدرجة الكلية	أقل من 5 سنوات	92	115.82	11.337
	من 5 إلى 10 سنوات	52	112.27	12.700
	10 سنوات فأكثر	86	115.83	15.772
	الكلي	230	115.02	13.474



يتضح من الجدول السابق وجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجات معلمي التعليم الأساسي باختلاف متغير سنوات الخبرة: (أقل من 5 سنوات، من 5 إلى 10 سنوات، و10 سنوات فأكثر)، على الدرجة الكلية للاستبانة، وللكشف عن الدلالة الإحصائية لهذه الفروق، تمّ استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) كما هو موضّح:

الجدول (9): نتائج تحليل التباين لأثر متغير سنوات الخبرة لاستجابات المعلمين

	مصدر التباين	مجموع المربعات	د.ح	متوسط المربعات	(ف)	الدلالة	القرار
الدرجة الكلية	بين المجموعات	507.457	2	253.729	1.403	.248	غير دال
	داخل المجموعات	41066.473	227	180.910			
	الكلي	41573.930	229				

يُلاحظ من الجدول السابق عدم وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) لدى المعلمين وفق متغير سنوات الخبرة، أي تُقبل الفرضية القائلة: لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات المعلمين على الاستبانة تُعزى إلى متغير سنوات الخبرة.ويمكن تفسير ذلك أن المعلمين رؤيتهم واحدة حول دور طرائق التدريس في تعزيز قيم المواطنة، سواءً كانوا من المعلمين الحديثين أو قديمي العهد في التعليم أي من لديهم الخبرة الطويلة؛ وذلك لأن ممارسة طرائق التدريس لها أهمية في تطوير المهارات التدريسية وخاصة إذا كانت الطرائق متنوعة، وبما يواكب الحداثة في مجال طرائق تدريس التعليم الأساسي، بما يزيد من خبراتهم، ووضوح رؤيتهم حول دور هذه الطرائق في تعزيز قيم الانتماء وقبول الآخر.

3-2-12- نتائج الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في تقدير دور طرائق التدريس المستخدمة من قبل المعلمين في تعزيز قيم المواطنة تبعاً لحضور دورات تدريبية. وذلك كما يبيّن الجدول الآتي.

الجدول (10): المتوسطاتالحسابية والانحر افات المعيارية للاستبانة وفئات متغير الدورات التدريبية

	الدورات التدريبية	العدد	المتوسط	الانحراف
الدرجة الكلية	دورة واحدة	57	115.54	9.430
	دورتان	65	112.25	13.573
	ثلاث دورات	44	118.68	16.407
	أربع دورات فأكثر	64	114.84	13.870
	الكلي	230	115.02	13.474

يتضح من الجدول السابق وجود فروق بين المتوسطات الحسابية لدرجات المعلمينباختلاف عدد مرات حضور الدورات التدريبية: (دورة واحدة، دورتان، ثلاث دورات،أربع دورات فأكثر)، على الدرجة الكلية للاستبانة، وللكشف عن الدلالة الإحصائية لهذه الفروق، تمّ استخدام تحليل التباين الأحاديOne Way ANOVA) ، كما يشير الجدول الآتي:

الجدول (11): نتائج تحليل التباين لأثر متغير الدورات التدريبية لاستجابات المعلمين

الدرجة الكلية	مصدر التباين	مجموع المربعات	د.ح	متوسط المربعات	(ف)	الدلالة	القرار
	بين المجموعات	1107.746	3	369.249	2.062	.106	غير






	داخل المجموعات	40466.185	226	179.054			دال
	الكلي	41573.930	229				

يتضح من خلال الجدول السابق عدم وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) لدى المعلمين باختلاف الدورات التدريبية: (دورة واحدة، دورتان، ثلاث دورات،أربع دورات فأكثر)، على الدرجة الكلية للاستبانة وبالتالي تُقبل الفرضية القائلة: لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات درجات المعلمين على الاستبانة تُعزى إلى متغير الدورات التدريبية. ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى دور الدورات التدريبية المهم في العملية التعليمية، وإلى اشتراك وجهة نظر المعلمين بتعدد الدورات التي اتبعوها في استفادتهم منها ورؤيتهم في تقدير دور طرائق التدريس المستخدم في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر)، وذلك لما لهذه الدورات من أثر فعال لديهم.

13- المقترحات:تبيَّن وجود دور كبير لطرائق التدريس الاعتيادية المستخدمة في تعزيز قيم المواطنة (الانتماء، قبول الآخر)، بينما وجود دور كبير جداً لطرائق التدريس الإلكترونية. وفي ضوء ذلك يمكن تقديم المقترحات الآتية:

13-1- تكثيف محتوى مناهج مرحلة التعليم الأساسي بمفاهيم وقيم المواطنة، وتزويد معلّميالحلقة الأولى من التعليم الأساسي الذين يستخدمون طرائق تدريس حديثة مواكبة للعصر الرقمي، بالمكافآت والحوافز المادية والمعوية.

13-2- إجراء عدد من الدورات التدريبية للمعلمين في مجال طرائق تدريس التعليم الأساسي.

13-3- إدخال التكنولوجيا كأجهزة الحاسوب وأجهزة العرض والوسائل والتقنيات الحديثة إلى الدورات التدريبية.

13-4- حثّ المعلّمين على التركيز على قيم المواطنة (الانتماء وقبول الآخر) لدى التلاميذ.

13-5- إجراء دراسة عن درجة احتياجات معلمي التعليم الأساسي من الدورات التدريبية في مجال طرائق التدريس.

قائمة المراجع:

- أبو سماقة، محمد. (2016). تعزيز ثقافة المواطنة والانفتاح والتسامح وقبول الآخر في المجتمعات العربيّة. *ورقة عمل مقدمة إلى ورشة متخصصة لمؤتمر الثقافة والمتغيرات*. القاهرة: المركز الثقافي الملكي، مؤسسة الفكر العربي وجامعة الدول العربية – القاهرة 6و7 ايلول 2016. تم نشره في الاثنين 5 أيلول / سبتمبر 2016. 08:00.

- الأنبا، موسى. (2020). ثقافة قبول الآخر.. كيف نقبل الآخر؟ أُخذ من: (https://www.almasryalyoum.com/news/details/1994493). 2020-07-05 00:23.

- إيبرلي،دونآي. (2003).*بناءمجتمعنالمواطنين*ترجمة،هشامعبد الله . عمان: الأهليةللنشروالتوزيع.

- إدريس، محمود. (2016). *التربية على المواطنة وحقوق الإنسان*. المجلس الأعلى لحقوق الإنسان. الرياض. 161.

- الإيسيسكو. (2015). *أنشطة المنظمة لسنة 2014المجلس التنفيذي الدورة السادسة والثلاثون*. باكو، أذربيجان. من: 12-11 حتى 24 نوفمبر، 2015. أُخذ من:(http://www.icesco.org/wp-content/uploads/2019/12/2.1-EC36-Ar.pdf) .

- بركات، غسان؛ وعلي، وفيقة؛ ويونس، هدى. (2018). درجة تمثل تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي لقيم المواطنة في ظل الأزمة السورية. *مجلة جامعة تشرين. 40 (3). 159-170.*

- حاج بشير، جيدور. (2019). المواطن الرقمي: *أثر الاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي على مفهوم المواطنة. ملتقى الباحثين السياسيين العرب*، جامعة بسكرة. الجزائر، 14 ديسمبر، 2019. أُخذ من: (http://arabprf.com/?p=2310)، تاريخ الزيارة:

- الخزاعي،حسين (2009). *التشريعاتالاجتماعيةوحقوقالإنسان*. عمان:يافاللنشروالتوزيع.

- الخزاعي، حسين والشمايلة، إيمان. (2014). مستوى المواطنة والانتماء لدى العاملين في المؤسسات الأردنية "دراسة اجتماعية تطبيقية ". *دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية. 41 (1)*. ص ص: 347- 372.



- الخشت، محمد عثمان. (2010). *تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي*. متوفر على الرابط التالي: http://anfasse.org.

- الرفاعي، محمد. (2011). دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية "دراسة تحليلية". *مجلة جامعة دمشق. 27 (1+2)*. ص ص: 687- 743.

- سعادة، جودت. (2001). صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية. عمّان: دار الشروق.

- السليحات، روان يوسف؛ والفلوح، وروان فياض؛ والسرحان، خالد علي. (2018). درجة الوعي بمفهوم المواطنة الرقمية لدى طلبة مرحلة البكالوريوس في كلية العلوم التربوية بالجامعة الأردنية، وقائع مؤتمر كلية العلوم التربوية " التعليم في الوطن العربي نحو نظام تعليمي متميز". *دراسات العلوم التربوية، 45 (3)*. ص ص: 19-33.

-سعد الدين، هدى. (2011). *قيم المواطنة في محتوى منهاج الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في سورية – دراسة تحليلية*. رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة البعث، سورية.

15- السيد، محمود. (2015). *التربية والمواطنة. ندوة كلية التربية بجامعة دمشق*، 27- حزيران- 2015. أُخذ من:

(http://new.damascusuniversity.edu.sy/2011-09-11-08-43-14/2011-09-11-08-58-20/1213-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%82%D9%8A%D9%85-
-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86%D8%A9
-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89
-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%88%D9%83-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86%D9%8A
-%D9%81%D9%8A-%D9%86%D8%AF%D9%88%D8%A9-%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9
-%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%A9
%D8%AF%D9%85%D8%B4%D9%82).

- طوالبة،هادي. (2017).المواطنةالرقميةفيكتبالتربيةالوطنية والمدنية، دراسة تحليلية.*المجلةالأردنيةفيالعلومالتربوية، 13 (3)*. ص ص: 291-308.

- العامر، عثمان بن صالح. (2011). مفهوم المواطنة وعلاقتها بالانتماء مركز آفاق للدراسات والبحوث 2011/06/30، أُخذ من: (https://aafaqcenter.co/index.php/post/743).

- عطية، تمارى عبد الرزاق. (2017). دور مادة التربية الوطنية في اكتساب المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات. كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية. *مجلة كلية التربية الأساسية.23 (97)*. ص ص: 921-960.

- كمال، عايد. (2017). *تكنولوجيا الاتصال والإعلام وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري الشباب الجامعي لتلمسان نموذجاً*. رسالة دكتوراه. جامعة أبي بكر بلقايد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر.

- ملوكا، عامر. (2017). ثقافة قبول الآخر. قراءات: 14008. أُخذ من: (http://www.alnoor.se/article.asp?id=327044). 21-09-2017

- منتدى باكو الدولي الإنساني، الدورة السنوية الرابعة. (2014). *التربيةعلىحقوق الإنسانوالمواطَنة*. باكو، يومي فاتح وثاني أكتوبر، 2014. جريدة الدستور. أُخذ من:

(https://www.addustour.com/articles/18108-%D8%AA%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2-
%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85 %D9%88%D 8%A 7%D8%B
7%D9%86%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D 9%84%D8%A7%D9%86 %D9%81 %D8%AA%D8%A7% D8%AD-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D 9%8 5%D8%AD-
%D9%88%D9%82%D8%A8%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8 %A2%D8%AE%D8 %B1-%D9%81 %D9%8A-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D 8%AC%D8%A A%D9% 85%D8%B 9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%
D8%B1%D8%A8%D9% 8A%D9%91%D8%A9). تاريخ الزيارة: 21- 10- 2020.

- نصار، سامي نصار. (2011). *قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

- نيازي، عبد المجيد بن طاش محمد. (2000). *مصطلحات ومفاهيم إنجليزية في الخدمة الاجتماعية*. الرياض: مكتبة العبيكان.

- وزارة التربية. (2015). *النظام الداخلي لمدارس التعليم الأساسي*، المادة الأولى، الجمهورية العربية السورية.





- هندي، هبة. (2017). دور مناهج قسم علم الاجتماع في تنمية قيم المواطنة من وجهة نظر طلبة جامعة دمشق " قسم علم الاجتماع ". *مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية. 39 (10)*. ص ص: 91- 128.

- ولديب، سيدي محمد. (2010). الدولة وإشكالية المواطنة. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

- يعقوب،محمد. (2012). *المواطنةمنمنظورحقوقالانسان فيمناهجالتربيةالوطنيةفيالأقطارالعربية، دراسة حالةلكل منالأردنومصرولبنان*. معهد ارؤول ولينبرغ لدراسات حقوق الانسانوالقانون.

- اليونسكو. (2015). *مؤتمر الأطراف في الاتفاقية الدولية لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي الدورةالعاديةالخامسة*. أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة: من المواطن العادي إلى المواطن الرقمي، باريس.. 10-12يونيو/حزيران 2015أُخذ من : (https://en.unesco.org/creativity/sites/creativity/files/sessions/5cp_4_draft_summary_record_ar_0.pdf).

- Veera, Ilona Ija. (2011). *An Analysis of Citizenship. Legal Political and Social Dimenesion*. University of Helsinki. 2011,227.

- HUMPHREYS, M. Anew Generation of Leaders for Eastern Europe: Values and Attitudesmas for Active Citizenship. (2007). *Chistian Higher Education, F16, N (23*), 2007, 215-236.

-Isman, A. & Gungoren, O. (2014). Digital citizenship. Turkish Online *Journal of Educational Technology-TOJET, 13(1*), 73-77.-

-Choi, M. and 33- Glassman, M., &Cristol, D. (2017). What it means to be a citizen in the internet age: Development of a reliable and valid digital citizenship scale. *Computers & Education, 10*7, 100-112.



الظاهرة الإجرامية بين الموروث الأنثروبولوجي وتجليات التغير الإجتماعي، رؤية في أنثروبولوجيا الجريمة.

The criminal phenomenon between the anthropological heritage and the manifestations of social change, A vision in the anthropology of crime.

رزاق رزيقة، طالبة دكتوراه، جامعة باجي مختار-عنابة-، الجزائر

البريد الإلكتروني: rezakrazika@gmail.com

ملخص: تتموقع الظاهرة الإجرامية ضمن جدلية يتشكل قطبها المعارض بالضرورة في المعيار الذي تتخطاه، ويبقى الوسط العلائقي بين مدخلات منطقة الحظر المتمثلة في الرفض الإجتماعي للسلوك من جهة، وترشيم هذا الرفض واللاتجاوب الإجتماعي الذي يقع بين الفرد والمجتمع من جهة أخرى، في شخصية الفرد، بإعتباره الموجه الأساسي للسلوك الإنساني. وقد تبلورت الأطروحة الأساسية من حيث الإتفاق الجمعي -لعلماء أنثروبولوجيا الجريمة- من مسلمة أساسية مفادها أن الفرد المجرم هو المفتاح الموضوعي للفعل الإجرامي، وقد ساهمت مرحلة حداثة أنثروبولوجيا الجريمة في توضيح الرؤى، حول ضرورة الإهتمام بالآداء الوظيفي للأنساق الإجتماعية المختلفة وتأثيرها على نسق الشخصية، ذلك أن التحولات القيمية والثقافية التي أفرزها التغير الإجتماعي تلقي بظلالها على المجتمع من منطلق أن الفرد يجسد الإخفاق الإجتماعي. تناولت الدراسة إشكالية الظاهرة الإجرامية إنطلاقا من موروث العناصر الأنثروبولوجية، التي تستند حصرا على النزعة الفردية للمجرم كتركيبة بيولوجية، نفسية وفيزيولوجية بالغة التعقيد، تتداخل فيه مجموعة من العناصر الموضوعية التي تندرج ضمن سياق تغير وحركية المجتمع. تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية إذ إستهدفت تصوير، وصف وتحليل الظاهرة الإجرامية إنطلاقا من المسلمات الأنثروبولوجية إلى التغير الإجتماعي كمرحلة أخيرة من سيرورة معقدة أنتجت فعلا إجراميا . إن هذا المنحى الحوصلي يتطلب تركيب الكل بإعتبار أن منهج البحث الأنثروبولوجي يعتمد الشمولية، العلائقية والحركية. وعلى إثر هذا التوجه المنهجي والنظري ترسم ملامح أنثروبولوجيا الجريمة.

الكلمات المفتاحية: الجريمة، الأنثروبولوجيا، التغير الإجتماعي، أنثروبولوجيا الجريمة.

Abstract The crime is located within a dialectic whose opposing pole is necessarily shaped by the standard that it surpasses, and the relational milieu remains between the entries of the exclusion zone represented by the social rejection of behavior on the one hand, and the demarcation of this rejection and the social non-response that occurs between the individual and society on the other hand, in the personality of the individual, as he is the guide Basic of human behavior. The basic thesis in terms of collective agreement . crystallized from a basic premise that the criminal individual is the objective key to the criminal act. The value and cultural transformations produced by social change cast a shadow on society on the basis that the individual social failure. The study deals with the problem of the crime on the basis of the legacy of the anthropological elements, which are exclusively based on the individual tendency of the criminal as a highly complex biological, psychological and physiological structure, in which a group of objective elements that fall within the context of change and mobility of society overlap. This study falls within the descriptive research as it aimed at photographing, describing and analyzing the crime on the basis of anthropological axioms to social change as the last stage of a complex process that produced a criminal act. This approach requires the synthesis of the whole, considering that the anthropological research method depends on comprehensiveness, relational .

Key words:the crime, anthropology, social change, anthropology of crime



مقدمة:

إن الجريمة في الأصل ظاهرة مادية أنثروبولوجية، وبما أن الأنثروبولوجيا تستند على التاريخ وتقوم على العلوم الإنسانية كفرضية أساسية، فلابد لنا في هذا المقام ونحن نطرح الموروث الأنثروبولوجي للجريمة، أن نستهل الثبات النسقي للبنية الإجرامية في تاريخ البشرية كأول تجسيد للشر، وتوضيحا لذلك لابد أن ننوه لقصة إبني سيدنا آدم حين أراد قابيل زوجة هابيل لنفسه فدعاهما أبوهما أن يقدما قربانا لله، فتقبل الله من هابيل ولم يتقبل من قابيل فإكتنفه الحسد وأقدم على قتل أخيه، هنا يظهر جليا أن الفعل الإجرامي –كما يطلق عليه علماء الأنثروبولوجيا- أول سلوك مخالف للطبيعة، إلا أن الظاهرة الإجرامية لم تكن مصب إهتمام الأنثروبولوجيين، فقد إنصب إهتمامهم في البداية بالمشكلات التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية كدراسة نظم الزواج والقرابة والشعائر الدينية المرتبطة بالطوطم، ومع تحرر الإنسان من هاجس البدائية وإنتقاله إلى مستوى التحضر والإنفتاح العولمي بفعل التغير الإجتماعي تم إهتمام الأنثروبولوجيا بالظاهرة الإجرامية كتبشير بظهور حقل أنثروبولوجيا الجريمة. ترسم ملامح هذا الفرع من خلال سؤال محوري حير النخبة المختصة، فكيف ينحرف الفرد عن القيم التي سطرها المجتمع؟

إختزالا للإجابة عن هذا التساؤل فإن علماء الأنثروبولوجيا يفسرون الظاهرة الإجرامية بأنها ثمرة تفاعل الشخصية مع ظروف العالم الخارجي، وعلى هذا فإن مسببات الفعل الإجرامي تتمثل في تلك الشخصية عند إصطدامها بالوسط الإجتماعي المحيط . ووفقا لهذا المبدأ فإن علماء أنثروبولوجيا الجريمة تجاوزوا العقيدة البيولوجية البحتة التي ظلت بحوثهم أسيرة لها، ومنذ المؤتمر الدولي –الأنثروبولوجيا الإجرامية- المقام في العاصمة الفرنسية باريس سنة 1889م لم يعد التركيز منصبا على العوامل الفردية كعامل أساسي مسبب للجريمة بل إنصب التركيز على العوامل الإجتماعية المحيطة كعوامل مكملة للأسباب البيولوجية. وعليه لابد أن نشير لمسألة بالغة الأهمية هي وأن أنثروبولوجيا الجريمة أضحت تجمع بين المتأصل والمكتسب من خلال دراسة العوامل الفردية الداخلية الأصيلة كالوراثة، النوع الإجتماعي والتكوين الطبيعي للمجرم، والعوامل الفردية المكتسبة كالصفات التي يكتسبها الإنسان في حياته. هنا تظهر بوادرة الصحوة على علماء أنثروبولوجيا الجريمة حين أيقنوا بأنه لابد من ربط الموروث التي تأصله العوامل الفردية للفرد، بالمكتسب التي تصبغه العوامل الخارجية التي أفرزتها ضروب التغير الإجتماعي بإعتباره سمة أساسية لطبيعة الإنسان الإجتماعية. هنا تركب جدلية التكيف الثقافي بين الأصالة والمعاصرة.

وتبعا لذلك وإستنادا لما تم تقديمه في ماسبق، يمكننا أن نصوغ علاقة الموروث والمكتسب في هذه الورقة البحثية إنطلاقا من الظاهرة الإجرامية بإعتبارها حقلا خصبا للدراسة الإجتماعية، تتأتى كينونة تحليلها من هاجس الإعتداء على الحياة الإجتماعية التي تقوم على التضامن بين أبناء المجتمع، فضلا عن إنعكاساتها الخطيرة على توازن قيم المجتمع. وعلى إثره فقد ضمت الدراسة شقين أساسيين، عالج الشق الأول إشكالية الظاهرة الإجرامية على أساس الجذور الأنثروبولوجية، أما الشق الثاني فقد عالج الظاهرة تماشيا وتجليات التغير الإجتماعي. وقد هيكلت الدراسة في ترابط وثيق منهجيا من العام إلى الخاص تحت رداء أنثروبولوجيا الجريمة.



مشكلة الدراسة:

إستفحلت ظاهرة الجريمة في المجتمعات البشرية، منذ وطأت قدما سيدنا آدم الأرض، إذ تغلغلت جذورها في عمق المجتمع ونخرت أبعادها نسيج الرابطة المجتمعية،فقد تعددت المقاربات وإختلفت الرؤى بإختلاف منظوراتها المنهجية، ومن بين أهم المداخل المفسرة للفعل الإجرامي المدخل الأنثروبولوجي، إذ يفسر الظاهرة إعتبارا من أنها جزء من النسق الكلي بصبغة الشمولية والعلائقية. في هذه الورقة البحثية حاول الباحث تسليط الضوء على المقاربات الأنثروبولوجية وتفسيرها للظاهرة الإجرامية إنطلاقة من العناصر الأنثروبولوجية كنقطة البداية، الأمر الذي دفعنا إلى البحث المنهجي في مختلف الأبعاد ذات العلاقة بأنثروبولوجيا الجريمة، ومنه تبلور التساؤل المركزي كالآتي: كيف تأثر الصفات الموروثة وتجليات التغير الإجتماعي بالسلوك الإجرامي؟

وكان لابد من طرح أسئلة فرعية، والتي إعتمدت كوحدات أساسية في هذه الدراسة، جاءت كالآتي:

-هل الظاهرة الإجرامية موروث عناصر أنثروبولوجية؟

-هل الظاهرة الإجرامية تتجلى والتغير الإجتماعي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الضوء على الظاهرة الإجرامية، وماينجم عنها من خلل يهدد القيم والأنظمة الإجتماعية، حيث تتطور الظاهرة الإجرامية بتطور المجتمعات، وتتحول بفعل التحولات القيمية من حقبة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر، وعلى إثره تكونت تلك الضرورة الماسة لمناقشة إشكالية التغيرالإجتماعي وربطه بالموروث الأنثروبولوجي.

في إطار هذا العرض بقيت حصيلة أنثروبولوجيا الجريمة في الوطن العربي هزيلة جدا ومغيبة تماما عن الدراسات المختصة بعلم الجريمة، وكل مايمكن الحديث عنه اليوم هو –لومبروزو- كمبشر لظهور الأنثروبولوجيا الجنائية، بل إن مانجهله عن هذا الفرع أكثر مما نعلمه، وضآلة مالانعلمه يشكل حافزا للتنقيب والبحث لمعالجة هذا الوضع.

1- الإطار المفاهيمي للدراسة:

إن طبيعة الموضوع المدروس،يستوجب تحديد الأبعاد والمفاهيم الأساسية، وبما أن الظاهرة الإجرامية متعددة الأبعاد فمن خلال المفاهيم ذات الدلالة والأبعاد المتعددة يمكننا التحكم في دراسة الظاهرة وتفسيرها من منظور تعددي.

1-1-الجريمة: تعرف الجريمة من المنظور:

الإجتماعي: كل فعل ضار بالمصالح الإجتماعية، وفيه إنتهاك لحرمة العادات، التقاليد والأعراف، يقتضي المساءلة لصاحبه.[417]

[417] سليم نعامة: **الإنحراف**، مكتبة الخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 1980، ص145.

الأنثروبولوجي: خرق للعادات تثير طلب تطبيق العقوبات على القائم بذلك السلوك.[418]

والجريمة كظاهرة إنسانية هي كل سلوك يثير الإستنكار،يصدر عن شخصية غيرسوية، يناوؤه المجتمع ويعاقب عليه القانون.

2-1-الأنثروبولوجيا: العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي عضوي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق إجتماعية في ظل ثقافة معينة.[419]

كتعريف إجرائي فإن الأنثروبولوجيا تعرف بعلم الأناسة، إذ تدرس الشعوب البدائية والمتحضرة على أنها ظاهرة جزئية من النسق الكلي المركب.

3-1-التغير الإجتماعي: كل تحول يحدث في النظم والأنساق الإجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة، خلال فترة زمنية معينة.[420]

يشير التغير الإجتماعي إلى التحول الذي يطرأ على البناء الإجتماعي، يستهدف ذلك التحول القيم ،المعايير والمبادئ.

4-1-أنثروبولوجيا الجريمة: علم طبائع المجرم و مضمون هذا العلم هو دراسة المظاهر العضوية و النفسية للمجرمين ،سواء مايتعلق بخصائصهم البدنية الظاهرة أو بأجهزة جسمهم الداخلية،غرائزهم،عواطفهم وعلاقة هذه المظاهر بخصائص الجريمة.[421]

2-الظاهرة الإجرامية موروث أنثروبولوجي.

البداية كانت آدم وحواء حين أمرهما الله أن لايقربا تلك الشجرة، ولكن الشيطان وسوس لهما أنها الشجرة التي تخلد فأكلا منها وأصبحا على مافعلاه نادمين،لقوله تعالى:"..ياآدم أسكن أنت وزوجك الجنة .فكان جزائهما أن أنزلهما الله إلى الأرض.إن تصرف آدم وحواء هو تخطي أمر إلهي ويعد ذلك بمثابة معصية. فجميع الكتب السماوية تسجل أول معصية، أول خطيئة، أول مخالفة وأول جريمة إقترفها الإنسان متجاوزا بذلك الحظر الإلهي. فقد خلق آدم بكل مواصفات وخصائص الكمال،لكنه عندما أكل من شجرة المعرفة طرده الله من الفردوس إلى الأرض لقوله تعالى في الآية 30 من سورة البقرة: وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. لقد أقنعت ألف سنة من التعاليم الدينية العديد من البشر أن آدم قد طرد من الجنة وأن الإنسانية محكوم عليها باللعنة الأبدية. يترتب عن هذه الفكرة أن الهدف من حياة الإنسان هو التكفير عن ذلك الذنب بواسطة الألم، ويصبح الطموح الأول للإنسان هو بلوغ النجاة والخلاص من الظروف العامة للشرور التي يواجهها في بيئته الجديدة، هكذا يفتتح سجل الجريمة في شكل

[418] نبيل السمالوطي: **علم الإجتماع العقابي**، دار الشروق للنشر، القاهرة، مصر، 1983، ص36.

[419] عيسى الشماس: **مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)**، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004، ص13.

[420] دلال ملحس إستيتة: **التغير الإجتماعي والثقافي**، داروائل للنشر، ط3، عمان، الأردن، 2010، ص121.

[421] [421] إسحاق منصور إبراهيم: **الموجز في علم الإجرام والعقاب**، ديوان المطبوعات، الجزائر، ص19.



جدلية بين الطاعة والمعصية لأمر رباني، ثم تلت هذه الواقعة في عهد آدم إقدام إحدى أبنائه على إقتراف جريمة قتل في حق أخيه، مثلما جاء في قوله تعالى في الآية 30 من سورة المائدة: فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين.هنا تفند سمة الشر منذ آبائنا الأولين. في هذا المقام يطرح إشكال في غاية الأهمية: هل الجريمة موروث أنثروبولوجي ؟ للإجابة عن هذه العقدة النظرية لابد لنا من إستعراض مختلف المقاربات التي ساهمت في تحليل هذا التساؤل في صورة رؤى ودراسات.

إن الجريمة أصل البشرية، إذ بعد قطع رأس أخيه يكون قابيل (الإله البابلي) قد أعطى إشارة على نشأة البشر الذين إنحدروا من دم العملاق الجبار في الأسطورة الإغريقية ومن دم بروشا في الديانة الهندوسية، وكما يبدو فإن المجتمع الإنساني يقوم بدوره ويتأسس على القتل الجماعي مثلما يصفه-سيغموند فرويد- في مؤلفه "الطوطم والطابوه". إن قصة قابيل وهابيل وإغتيال الأخ لأخيه التي تبعت ذلك بإعتبارها أثرا حتميا لقصة النزول، قد تم تأوليه بصورة مختلفة من قبل علماء اللاهوت، الأنثروبولوجيين والمحللين النفسانيين. فأسطورة الأخوين المتصارعين تعتبر قاسما مشتركا بين العديد من الحضارات والأديان. ومن هنا يمكننا التذكير بالتوأمين الأوليين في الأساطير، عند سكان سيبيريا والقبائل الأمريكية الأصلية، الأخوين شون وياو في الميثولوجيا الصينية ورمولوس وريموس في أسطورة بناء روما، وبقطع النظر عن خصوصية جريمة قتل الأخ ذاتها فإن الأمر يتعلق دوما بقتل الإنسان للإنسان.[422]

وقدجاء في بعض قوانين المحاكمات في العصور الوسطى، أنه إذا إشتبه القاضي بشخصين عن جريمة واحدة ولم يتهيأ له الدليل الكافي لإدانة أحدهما عن تلك الجريمة، فإنه في هذه الحالة يعتبر أقبحهما وجها وأقلهما وسامة أقرب إلى إرتكابه للجريمة من الشخص الآخر، إن مثل هذه الأحوال تتصل بما يعرف بالفراسة، تلك المعرفة التي عشقها الإنسان منذ فجر حياته الفكرية، فمنذ أن وقف الإنسان في حيرة إزاء مجاهل نفسه، رجع إلى جسمه ينشد بين مظاهر الجسم وملامح الهيئة والجسد، ما يساعده على كشف أسرار النفس وفهم طبيعة السلوك. وهو حين سعى إلى ذلك وقف أمام مجموعة كبيرة من السمات والصفات والملامح. بعضها يشترك فيها الإنسان مع بقية أفراد المملكة الحيوانية والبعض الآخر يختص بها الجنس البشري دون غيره، والبعض الآخر يتميز بها الإنسان عن غيره من بني جنسه. وقد بدأ الإنسان أول الأمر يصنف سمات الإنسان، في صنوف ومجموعات ظنا منه أن هذا التصنيف هو غايته إلى فهم مشكلة السلوك الإنساني، عن طريق كشف العلاقة بين تركيب الجسم وملامح الجسد، وبين طبيعة خلق الفرد وسلوكه، وبدأت مجالات الفراسة تتسع حتى كادت موضوعاتها تتناول كل جزء من أجزاء الجسم الظاهرة.[423]

كذلك بحث-**أرسطو**-في علم الفراسة وحاول إعطاء تفسيرات لها، لما في ذلك من علاقة بأخلاقيات وسلوكيات البشر وخصالهم أو حظوظهم ومستقبلهم، حيث أكد أنه من الممكن التعرف على الكثير من أخلاق الفرد، عن طريق دراسة سماته الجسمية وعلاماته المميزة التي تظهر في لون شعره. وفي نفس السياق حاول قدماء المصريين كذلك ربط السمات

[422] بوبكر بوخريسة:**أنثروبولوجيا الجريمة من أسطورة قابيل إلى المجرم بالولادة**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2020، ص18.

[423] عدنان الدوري: **أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي**، منشورات دارالسلاسل، ط3، الكويت، 1984، ص114.

والخصائص الجسمية بطباع النفس وأخلاق الإنسان وسلوكه، أما قدماء العرب فقد بحثوا هم أيضا في علم الفراسة وذلك عند تعرضهم لمواضيع مثل القيافة والعيافة والكهانة، أما القيافة فتعني الفراسة أومعرفة أوجه التشابه بين الولد وأقاربه، وتحولت إلى التنبؤ بسلوك الفرد وطباعه عن طريق دراسة سماته الجسمية، أما العيافة فتعني فن معرفة الدواب والأشخاص عن طريق دراسة آثار أقدامهم، في حين تعني الكهانة محاولة الإدعاء بمعرفة المستقبل.[424]

وبتطور بعض علوم الحياة وظهور النزعة التطورية كمنهج علمي من البحث والدراسة. ظهر لنا علم جديد هوعلم الأجناس البشرية، الذي غالبا مايشار إليه بعلم الإنسان ويختص بدراسة التأريخ الطبيعي للإنسان، وإذا كان ظهور هذه النزعة الأنثروبولوجية في دراسة الإنسان ليست سوى إمتداد للنزعة التطورية، التي طغت على مناهج دراسة جميع الكائنات الحية، فقد شملت هذه النزعة مختلف ميادين الدراسات الإنسانية والسلوك الإنساني، وليس بغريب أن يتجه البحث إذا نحودراسة التركيب البيولوجي ووظائف الإنسان العضوية، ومدى علاقة ذلك بطبيعة السلوك الإنساني الفردي، أو في إطار الحياة الجمعية، ومن هنا بالذات إتخذ مثل هذا الإتجاه البيولوجي طريقه إلى دراسة الجريمة، فدرست الجريمة كظاهرة بيولوجية تخضع لما خضع له بقية الظواهر البيولوجية الأخرى، ومن هنا ظهر السلوك الإجرامي في ثوب بيولوجي جديد، حيث صار إستعداد تكوينيا حيويا يدفع الفرد إلى إرتكاب الجريمة. وهكذا بدأ معنى الجبرية البيولوجية يظهر رويدا رويدا كفرضية أساية لتفسير الجريمة والسلوك الإجرامي.بعدها بدأت فروع علمية تنشق عن علم الإنسان وقد إنفصل عن علم الأجناس البشرية حقل الأنثروبولوجيا الجنائية، حيث يدرس جميع الخصائص البيولوجية،التشريحية، الفيزيولوجية والعقلية والنفسية للإنسان المجرم، وهذا مايجعل من الأنثروبولوجيا الجنائية علما تركيبيا يختلط نطاقه بعلم البيولوجيا من جهة والفيزيزلزجيا من جهة أخرى، وقد إستعان هذا العلم بقواعد البحث العلمي من ملاحظة علمية مقصودة إلى فحوص مختبرية وتشريحية.[425]

بالرغم من أن علم الأنثروبولوجيا الجنائية ظل خاضعا للحتمية اللومبروزوية، إلا أن التأريخ العلمي لنشأة علم الإجرام لايرتبط بالإنجازات العلمية للعالم- **تشيزاري لومبروزو**-، بحيث أن هذا الأخير لايعتبر مؤسسا بل وريثا لهذا الحقل المعرفي، حيث أظهرت الكثير من الدراسات وحتى نهاية القرن 19، أن موضوع الجريمة كان يشكل التخصص الرئيس للعلوم الطبية، وفسرت الجريمة من قبل الإهتمام المركزي للأطباء على أنها مرض، إذا كيف نفسر هذه المقاربة؟. إن هذا المقام يسمح لنا بإستعراض مكانة الأنثروبولوجيا الجنائية قبل لومبروزو.

1-2-الأنثروبولوجيا الجنائية قبل لومبروزو:

عرفت العلوم الطبية تحولات جذرية بفعل تأثير فلسفة الأنوار وعلى وجه الخصوص فلسفة الموسعيون، الذين وضعوا حدا للإعتقاد الذي كان سائدا بأن الإنسان خليقة إلهية مقدسة، لكنه عبارة عن آلة مشكلة من العواطف والغرائز الفطرية، التي يمكن إخضاعها للإختبار والتجربة، والإختبار في علوم الحياة لايعني الإكتفاء بالملاحظة الخارجية وحسب، لكن جوهر العملية محاولة فهم طبيعة العضو من خلال ملاحظته من الداخل، ومن هذا المنطلق عرف -علم البنية

---

[424] حسن أكرم نشأت: **علم الأنثروبولوجيا الجنائي**، دار الثقافة للنشروالتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص25.

[425] عدنان الدوري: **مرجع سبق نشره.**



العضوية للجسم المريض- تطورا وتقدما ملحوظا مع منتصف القرن الثامن عشر وهذا بظهور عمليات التشريح، وهذا إنطلاقا من فكرة كانت رائجة بين الأطباء. مفادها أن كل مرض مرده بالأساس التلف والإصابة العضوية ذات خصوصية معينة، ومن ثم فإن هذه الفكرة الشائعة ساهمت بطريقة أو بأخرى في ظهور الطب الشرعي وتطوره، وفي هذا الإطار أطلق الطبيب –فرانسوا إكزافيي بيشا-المقولة الشهيرة:"إن تشريح بعض الجثث من شأنه أن يزيح العتمة التي تعجز عن إزاحتها الملاحظة الخارجية". وقد أجريت العديد من الدراسات الطبية مفادها أن الجريمة مرض، مازاد من ترسيخ الأطروحات السائدة التي تؤكد أن الفقر والأمراض بمختلف أنواعها تفرز الجريمة، وأن الجريمة مرض الفقراء.[426]

وبدأت ملامح أنثروبولوجيا الجريمة تظهر تدريجيا، من خلال كتاب –دي لا بورتا- الشهير" السمات الخارجية للفرد"، التي تعرف حاليا بعلم دراسة التكوينات الخارجية للفرد أو التركيز على دراسة قياس الجمجمة أو دراسة شكل وتضاريس المخ، ويعتبر دي لابورتا أول من قال بأن سمات المجرمين تشبه إلى حد كبير جماجم بعض الحيوانات المتوحشة، وهي الفكرة التي أخذها عنه فيما بعد لومبروزو وطورها إلى فكرة الردة الوراثية. نذكر هنا أيضا الباحث والطبيب الفرنسي –بول بروكا- الذي ربط بين شكل الجمجمة والقامة أو ملامح الوجه، وأضاف إليها التكوين النفسي والعقلي للفرد وعلاقته بالسلوك الإجرامي، إضافة إلى جهود الباحث الفرنسي-دو لاشومبر- الذي لفت الأنظار إلى أهمية البيئة الجسمية وعلاقتها بالأخلاق أو السلوك.[427]

وفي فرنسا فقد كان –ألكسندر لاكاساني- من بين العلماء التي أثارت إنتباهه ظاهرة الأوشام عند المجرمين، إجرام الحيوانات، الرزنامة الإجرامية. وأسس هذا الأخير في مدينة ليون بفرنسا أرشيفات الأنثروبولوجيا الإجرامية. وتحت إلهام لاكاساني تناول إميل لوران- ونشر كتابه الموسوم "المعتادون في سجون باريس"، كما عالج-غابريال تارد- من جهته إشكالية علم الإجرام المقارن والفلسفة العقابية الذي يعنى بالجزء السوسيولوجي الذي يتعلق بنشأة وأسباب الجريمة. وفي روسيا أجرت بولين تارنوسكي دراسة علمية مونوجرافية مستفيضة عن النساء السارقات والمومسات،كما أجرى -ديميتري دريل- دراسات جد معمقة حول الأطفال المجرمين.[428]

إن المقاربة الطبية التطبيقية للجريمة تفسر الجريمة كمرض والتي تتمظهر في السلوك الإنساني، وخلال القرن التاسع عشر أصبحت الأنثروبولوجيا الإجرامية تحت طائلة أعمال-فرانز جوزيف غايل- .الذي فسر السلوك الإجرامي تفسيرا بيولوجيا بحثا، من خلال مقاربة الفرينولوجيا، أوعلم فراسة الدماغ .

ظل علم الفراسة مدينا للطب، بإعتبار أن علم الفراسة فرع قديم من فروع المعرفة الإنسانية، وهو على علاقة محددة بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء والطب، فقد كانت نقطة البداية من ملاحظة التشابه بين حيوانات معينة وأناس معينين، ويعتبر علمي الفرينولوجيا والجماجم فرعان من علم الفراسة وقد دافع عنها بحرارة –سبورزهايم- سنة

---

[426] علي سموك: **مقياس أنثروبولوجيا الجريمة**، محاضرة قدمت لطلبة الماستر (2013-2014) لم تنشر، جامعة باجي مختار-عنابة-، الجزائر.

[427] أحسن طالب: **سوسيولوجية الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية**، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص51.

[428] بوبكر بوخريسة: **مرجع سبق ذكره**.ص77.









1862م في كتابه الشهير الموسوم- علاقة الفرينولوجيا بفراسة الدماغ- وكذلك الأبحاث النفسية ل-موريل و مورو دي تور- في الإنحلال النفسي والعقلي والخلقي، حيث مهدا تقريبا بتأسيس علم الطب النفساني.[429]

تقوم النظرية الفرينولوجية بزعامة جوزيف غايل وتلميذه سبورزهام، على مسلمة أساسية مفادها وجود علاقة بين الشكل الخارجي للجمجمة وسلوك الإنسان، وتتركز نظريتهم في التسليم بحقيقة علمية قائمة على ملاحظاته الإمبريقية، وهي أن الشكل الخارجي للجمجمة يتطابق مع شكلها الداخلي الذي يحكم المخ وعلى وجه الخصوص التمركزات العصبية، حيث أكد غايل أن العقل يحوي 26 ملكة والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق في المخ. تحتوي كل منطقة منها جهازا معينا يشتغل على طائفة من تلك الملكات التي تقوم بوظائف معينة في العقل وهي:الغرائز الدنيا، المشاعر الأخلاقية والملكات الذهنية. وقد أكد الطبيبان أن طائفة الغرائز المتمركزة في المنطقة الأولى،إليها وحدها ترجع الجريمة وبصفة خاصة إلى كل من غريزة الجنس، غريزة النضال،غريزة حب التملك وغريزة الكتمان.[430]

وبناء على ماتقدم فقد أعتمدت المقاربة العضوية تزامنا وإزدهار الأنثروبولوجيا والطب العقلي، إذ زاد هذان التخصصان من تأكيد وتدعيم مقاربة-لومبروزو- التي شكلت القاعدة النظرية للمقاربة الأنثروبولوجية التي عاودت الإزدهار والظهور مع نهاية القرن التاسع عشر بزعامةتشيزاري لومبروزو رائد المدرسة الوضعية الإيطالية. وتعليقا وتحليلا لهذه النزعة البيولوجية البحثة لابد من طرح محطة الأنثروبولوجيا الإجرامية والحتمية البيولوجية التي أقرها تشيزاري لومبروزو وتلميذيه جاروفالو وفيري كمرحلة أساسية في تاريخها العلمي.

2-2-الأنثروبولوجيا الإجرامية والمدرسة الوضعية.

لقد تبنت المدرسة الوضعية فكرة الإختلاف بين المجرم والشخص العادي،لتبين أن المجرم مضطر لإرتكاب الجريمة بسبب نقص أوتشويه في تكوينه الجسمي،النفسي والعقلي، وفي هذا الإطار تبلور التفسير البيولوجي العلمي لمفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية على يد العالم الإيطالي-سيزاري لومبروزو- الذي أسس المذهب البيولوجي في تفسير الجريمة وزعيم المدرسة الوضعية الإيطالية، عندما قام ولأول مرة ببحث العوامل البيولوجية للجريمة على أساس علمي منظم معتمدا على المنهج التجريبي. حيث قام بدراسة 400 مجرم خلص إلى أن الإنسان المجرم يتميز بسمات وصفات شاذة والتي تشبه خصائص الحيوانات السفلية والقردة والتي مردها الردة الوراثية للإنسان البدائي أو النكسة. وتقوم فرضية لمبروزو ومقاربته الأنثروبولوجية في تفسير السلوك الإجرامي على فكرة الحتمية أو الجبرية البيولوجية، ومفادها أن المجرم يولد وسمات الجريمة مطبوعة على جسمه، ومثل هذه السمات تخلق فيه إندفاعية فطرية طبيعية تجعله لأكثر من غيره إندفاعا نحو إرتكاب الجريمة،وبذلك فإن أهم ماإستحدثته المدرسة الوضعية هومبدأ الجبرية في تفسير السلوك الإجرامي.[431]

---

[429] مراد وهبة: **الفراسة عند العرب وكتابة الفراسة لفخر الدين الرازي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1982، ص20.

[430] إسحاق منصور إبراهيم:**مرجع سبق ذكره**،ص 19.

[431] رزاق رزيقة وجهيدة زرزوني:**قراءات في الأنثروبولوجيا الجنائية**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد06، العدد02، ديسمبر 2020، ص214.





لقد بدأت جهود لمبروزو العلمية بالتأمل في سلوك بعض الجنود المنحرفين. من خلال فحصهم ودراسة المظاهر العضوية والتكوين الجسماني لهم من أجل التوصل إلى تحديد الخصائص المشتركة بينهم، ومن ثم مقارنتها مع الخصائص المشتركة مع الجنود الأسوياء، وقد لفت إنتباه لومبروزو الوشوم القبيحة على أجساد الجنود الأشرار ووجود الشذوذ البدني لبعض المجرمين الذين إقترفوا جرائم متسمة بالعنف والقسوة، وعليه تولدت لديه القناعة بوجود نموذج للإنسان المجرم، وعلى إثره قام بتصنيف المجرمين لخمسة أصناف في مؤلفه الشهير"الإنسان المجرم": المجرم بالفطرة أو الميلاد، المجرم المجنون، المجرم بالعاطفة، المجرم بالعادة، المجرم بالصدفة. ومن أبرز الحالات التي بحثها لومبروزو التي كان لها فيما بعد التأثير الواضح على آرائه وإستنتاجاته، حالة أحد المجرمين الخطيرين يدعى فيبلا حيث كان من أشهر اللصوص وقطاع الطرق، قام بفحصه أثناء حياته وتولى تشريح جثته بعد وفاته، وقد وجد نتيجة تشريحه تجويفا آخر الجمجمة مشابها لما هو موجود لدى بعض الحيوانات الدنيا، كما توصل من خلال فحص فيبلا إلى إستنتاج أنه كان شخصا يتميز بخفة غير عادية في الحركة، كما كان مغرورا بنفسه ومحبا للسخرية والإستهزاء بالآخرين، ومن الوقائع الأساسية التي بنيت عليها أسس النظرية البيولوجية أيضا هي جريمة القتل التي إقترفها أحد الجنود الإيطاليين يدعى مسيديا بسبب سخرية أحد رؤسائه إذ كان لهذه السخرية وقعا سيئا في نفس مسديا، فما كان من هذا الأخير إلا أن إنفعل إنفعالا شديدا فقد معه أعصابه وقتل ثمانية من رؤسائه وزملائه، وسقط مغشيا عليه فاقدا للوعي لإصابته بنوبة صرع .حينها أقر لومبروزو العلاقة الوثيقة بين الصرع والجريمة وأن المجرم الصرعي يمكن تصنيفه ضمن فئة المجرمين بالميلاد أو الفطرة.[432]

ومن أبرز تلامذة لومبروزو والرائد الثاني للمدرسة الوضعية الإيطالية –رافاييل جاروفالو-، حيث ساهم بقسط كبير في وضع المقاربة الأنثروبولوجية إلا أنه خالف أستاذه رافضا مبدأ الإختيار والمجرم بالميلاد، تقوم فرضية جاروفالو على مسلمة أساسية مفادها أنه من أجل أن نفهم المجرم لابد لنا من فهم الجريمة، ومن هنا يصنف جاروفالو الجريمة إلى صنفين أولهما الجريمة الطبيعية حيث أولاها أهمية بالغة، ورأى أنها لاتحترم مسألتين إيثاريتين بالنسبة للمجتمع وهي العاطفة أو الشفقة ووجدان المجتمع، وهي رفض إيقاع الأذى والمعاناة على الآخرين والأمانة، وعليه فإن المجرم تنقصه الأمانة والشفقة تجاه الآخرين وملكياتهم، فالجريمة الطبيعية أنانية لولا عدم التجربة الإيثارية التي يقوم عليها المجتمع. إضافة إلى الصنف الثاني للجريمة المتمثلة في الجريمة المصطنعة ومع ذلك نجد أن جاروفالو يرفض التعريف القانوني للجريمة والذي ينص بشكل عام على أن الجريمة هي فعل مخالف للقانون الجزائي والذي يتطلب تحديد عقوبة أو إجراء إحترازي. وقد قسم جاروفالو الجرمين إلى أربعة أقسام المجرم القاتل، المجرم العنيف، المجرم السارق،المجرم الجنسي.[433]

أما الرائد الثالث للمدرسة الوضعية الإيطالية-أنريكو فيري- فقد ذهب إلى أبعد ماذهب إليه أستاذه. في حين كان مسؤولا عن مصطلح الإجرام الفطري الذي إستخدمه لومبروزو فقد أدخل العديد من العوامل الهامة المسببة للوضعية الإيطالية. ووفقا لفيري فإن الجريمة تنتج عن عدد من العوامل منها العوامل المادية كالعرق، السمات

[432] محمد شلال العاني وعلي حسن طوالبة: **علم الإجرام والعقاب**، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 1998، ص58.

[433] عابد عواد الوريكات: **نظريات علم الجريمة**، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1998،ص58.



الجغرافية ، درجة الحرارة والمناخ. والعوامل الإجتماعية مثل العادات، الدين والكثافة السكانية. ويؤيد فيري الفكرة القائلة بأنه في أي بيئة إجتماعية معينة ومع شروط ثابتة يمكن أن تتحقق الجريمة، وهذا ماسماه بقانون التشبع الجنائي وربط حتمية الجريمة بحالة التشبع الجنائي. كما وضع أيضا تصنيفا رباعي لجرائم القتل التي ظهرت في كتابه الموسوم " جرائم القتل" إستنادا إلى المجرم المجنون، المجرم الإعتيادي،المجرم بالفطرة فضلا عن المجرم بالعاطفة.[434]

بالرغم من ما تلقته المقاربة الوضعية من سيل جارف من الإنتقادات، إلا أنه لاننكر أن علم الجريمة يدين بالفضل والولاء للرائد لومبروزو كمبشر لتفسير الظاهرة الإجرامية على أساس وضعي علمي، متجاوزا بذلك الميتافيزيقا التي ظلت أسيرة لتفسيرات الظواهر الإجتماعية لعهد ليس ببعيد. وتقديرا بالعرفان لدراسات المدرسة الوضعية فإن علماء تلك المرحلة توجهوا إتجاه الحداثة، متجاوزين بذلك العوامل البيولوجية البحتة بإعتبار أن الجريمة علة باثولوجية يتم معالجتها على أنها مرض عضوي أصاب إحدى أجزاء الجسد، من هذه المقاربات الواهية بدأت بوادر الصحوة تبدو تدريجيا على أعمال ودراسات علماء الجريمة، وهذا ماسنعرضه في الطرح الآتي.

3-2-الأنثروبولوجيا الإجرامية بعد لومبروزو

إن تصدع نظرية لومبروزو لايعني عدم صحة إتجاه المذهب البيولوجي بوجود عوامل بيولوجية للإجرام، بل على العكس فقد كانت لهذه النظرية أثر كبير في فتح الطريق أمام الباحثين والعلماء، للبحث والتعمق أكثر في دراسة أثر العوامل البيولوجية على الجريمة، ولكن على أسس حديثة غير التي قال بها لومبروزو، ويمكن أن يعد كل إتجاه ظهر بعده وحاول ربط السلوك الإجرامي بالعوامل البيولوجية إتجاها نيولومبروزيا، وهكذا ظهرت مدرسة علمية جديدة عرفت بمدرسة لومبروزو الجديدة، وهي بوجه عام ركزت على فكرة التكوين الفطري في تفسير السلوك الإجرامي. فقد أوضح الطبيب الإيطالي -نيكولاس بندا- التكوين الفطري بإعتباره تكوينا خاصا يشتمل على بعض الصفات المورفولوجية، الفيسيولوجية والنفسية للفرد، وهذه تعزى إلى تركيبات وعوامل خاصة تنتقل إلى المجرم عن طريق الوراثة، ومثل هذه التركيبات تقرر إلى حد كبير شكل الجسم ومدى قابليته المختلفة للإستجابة لكافة المنبهات التي يتعرض لها من خلال البيئة.[435]

وعلى الرغم مما إتسمت به هذه المدرسة الأنثروبولوجية الجديدة من طابع أروبي بوجه عام وإيطالي بوجه خاص، فقد إمتد نطاقها عبر المحيط لتستقر في القارة الأمريكية، وبوجه الخصوص جامعة هارفرد منذ الربع الأول من القرن العشرين. فقد وجدت بعض أفكار لومبروزو أرضا بكرا لتبعث أصول مدرسته من جديد وهكذا برزت مدرسة لومبروزو الأمريكية لتمد علم الإجرام الحديث بدراسات أنثروبولوجية متعددة.

---

[434] فرانك ويليامز: **نظرية علم الجريمة**، ترجمة ذياب البداينة وآخرون، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2013،ص65.

[435] حسن أكرم نشأت: **مرجع سبق**، ص25.





وعلى الرغم من أن بعض علماء الإجرام لازالو يقلدون رائدهم لومبروزو وفرضيات مدرسته الإيطالية، إلا أن غالبية علماء الجريمة الذين ساروا في ركاب الإتجاه البيولوجي لايؤيدون فكرة المجرم المطبوع أو فكرة نموذجية المجرم بالولادة. ذلك أنهم وجدوا أن الإستعداد نحو الجريمة لايورث بالذات، وإنما الذي ينتقل بالوراثة هو ذلك الإستعداد نحو الفشل في تحقيق التوافق والإنسجام الإجتماعي وهذا بدوره يقود إلى سلوك لاإجتماعي، كنتيجة لضغط ظروف الحياة بحيث تصبح الحياة صراعا عنيفا متواصلا بين الفرد وبيئته. ومع ذلك فلم يخفي هؤلاء العلماء إعتقادهم بوجود بعض الإستعدادات التكوينية التي تنتقل إلى الفرد بالوراثة، وهذا ماجعلهم يسيرون في فلك علم البيولوجيا الجنائية ولكنهم لايسيرون في منطقهم البيولوجي إلا المغالاة بدور الوراثة المطلقة، بل يرون أن هذه الإستعدادات التكوينية لاتؤدي بالضرورة للسلوك الإجرامي، فقد يفلح الفرد في طمس أثر هذه الإستعدادات والتغلب على مفعولها إذا ما تهيئت له ظروف العيش في بيئة ملائمة لاتضع في طريقه الصعاب والعوائق التي تعيق مسيرته في الإتجاه الإجتماعي السوي والسلوك السليم.[436]

هكذا نلاحظ كيف بدأت الأنثروبولوجيا الجنائية تشق طريقها ببطء، هدوء وثبات. فقد جمعت ندوة الأنثروبولوجيا الإجرامية التي إنعقدت في روما عام 1885م عددا كبيرا من العلماء من كافة بلدان العالم، كما وقعت مجريات الندوة الثانية في العاصمة الفرنسية باريس عام 1889م وقد شارك وسارع إليها أكبر عدد من العلماء من كل أصقاع العالم. لكن يبدو أن أطروحات لومبروزو قد وجدت صعوبة كبيرة في التصدي للإنتقادات التي طالتها، وقد تمكن هذا المؤتمر من تسليط الضوء على غلبة ورجحان العوامل الإجتماعية للجريمة، وجراء ذلك على ضرورة معالجة ودراسة الأنثروبولوجيا الإجرامية بإعتبارها سيكولوجيا وسوسيولوجيا إجرامية قبل كل شيء، كما إنعقد المؤتمر الثالث للأنثروبولوجية في العاصمة البلجيكية بروكسل سنة 1892م.[437]

في خضم هذا الكل المركب من التجاذبات، بدى جليا أن الظاهرة الإجرامية مكثت مطولا تحت طائلة المسببات الفردية، إلا أنه ومع فتح البنيات الإجتماعية الباب على مصراعيه أمام العولمة، هنا برزت ثنائية قطبية إجتماعية، طبعت المجتمع بالحركية والتحول إلى مستوى مرادف للنمو والتقدم، ترسم أبعاده في المجتمع: كالتحضر، الهجرة، الصراع الثقافي، لكن تظل الظاهرة الإجرامية هي المؤشر الأهم في مجموع التحولات الإجتماعية، وأبرز إفرازات التغير الإجتماعي. هنا لايتسنى لنا سوى تحليل هذه العلاقة من خلال الشق الآتي، ولإستهلاله لابد لنا من طرح التساؤل الآتي:ماهي علاقة الظاهرة الإجرامية بالتغير الإجتماعي؟

3-الظاهرة الإجرامية وتجليات التغير الإجتماعي:

بقي صراع الإنسان مع الطبيعة دائما، فهو يسعى إلى السيطرة على مختلف عناصر الطبيعة لإشباع حاجاته المعاشية المتعددة المتزايدة، فالمجتمعات البدائية السحيقة في القدم لم تفلح إلا بالسيطرة على جزء صغير من عناصر البيئة الطبيعية، وكلما تقدمت المجتمعات في سلم التطور الثقافي تضاعفت قابليتها على إبتكار الأساليب المختلفة للسيطرة على



[436] عدنان الدوري: **مرجع سبق ذكره.**

[437] بوخريسة بوبكر: **مرجع سبق ذكره**، ص77.



الطبيعة. إن الجهود التي يستخدمها الإنسان للسيطرة على بيئته الطبيعية هي جزء من ثقافته العامة، وهو الجزء الذي غالبا ما يعرف بالتكنولوجيا او التقنية وهذا معناه أن جزءا كبيرا من ثقافة المجتمع يتوجه إلى تأمين سيطرة الإنسان على عناصر الطبيعة، ولذلك يسمون هذا الجانب بالجانب المادي للثقافة تمييزا له عن ذلك الجانب المعنوي الآخر، فالثقافة تصاحب نمو حاجات الإنسان وتزايد رغباته وهذا مايشارإليه بالتغير بوجه عام، والواقع أن علماء الإجتماع يفضلون التمييز بين التغير الإجتماعي والتغير الثقافي.[438]

يوجد خلط بين التغير الإجتماعي والتغير الثقافي، ولاتميز بعض النظريات بين المفهومين وربما يرجع ذلك إلى الإرتباط بين مفهومي الثقافة والمجتمع بوصفهما من المفاهيم الأساسية في الدراسات الإجتماعية. وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة فيشير التغير الإجتماعي إلى التحول في أشكال التفاعل الإجتماعي في حين أن التغير الثقافي يشير إلى التغير في أنساق وأفكار متنوعة من المعتقدات والقيم والمعايير، وهذا يعني أن التغير الثقافي يضم التغير الإجتماعي ضمن المفهوم العام لهذه الدلالات الإجتماعية وكذلك يحدث التغير الإجتماعي في التنظيم الإجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائفه، وهنا يصير التغير الإجتماعي جزءا من التغير الثقافي الذي يشمل جميع المتغيرات التي تحدث في أي فرع من الثقافة والتغيرات التي تحدث في التنظيم الإجتماعي.[439]

لم يقتصر إهتمام علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا في دراستهم للثقافة على دراسة أثنوجرافية عن ثقافات شعوب مختلفة ومتباينة، بل حاول بعضهم أن يقدم صياغات نظرية منظمة تفسر حدوث التغير الثقافي، فكيف يحدث التغير الثقافي؟

1-3-المقاربة التطورية: تمثل مختلف المحاولات التي تبذل لتفسير وفهم التغير الثقافي من منظور العملية التطورية، التي إستعارت فكرتها من علم البيولوجيا وتأثرت في تطبيقها بالنظرية التطورية التي قدمها داروين في كتابه" أصل الأنواع"، وتشتمل هذه النظرية بوجه عام كمدخل تحليلي وتفسيري للتغير الثقافي على فكرتين أساسيتين، تتعلق الأولى بإنتظام السلوك الإنساني في علاقته بموضوعات مادية بحتة، وعلى ذلك تتصور نظرية التخلف الثقافي أن مانحتاج إليه بالفعل وبخاصة المجتمعات الحديثة، هو التسريع في التغيرات في الجانب اللامادي للثقافة لتتواكب مع تغيرات الجانب المادي السريعة والمتلاحقة، أما فيما يتعلق بالفكرة الثانية فهي تقوم على أساس تحديد المراحل التطورية للتغير الثقافي، حيث نجد أن علماء الأنثروبولوجيا الأوائل قد شغلوا بفكرة الأشكال البدائية والحديثة للثقافة. كماقدم أوجست كونت نظرية تطورية في الثقافة البشرية تمثلت في ماعبر عنه بقانون المراحل الثلاث(المرحلة اللاهوتية، المرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية) التي يسير فيها التقدم التاريخي. أما السير هنري مين وهو عالم أنثروبولوجي بريطاني، فقد قدم في كتابه" القانون القديم" تمييزا بين شكلين مختلفين للثقافة، شكل بدائي يستند على المكانة أو المركز، وشكل حديث يستند على العقد، وهو في ذلك يتخذ من المقارنة بين الأشكال البدائية والحديثة للزواج أساسا للإشارة إلى مابين شكلي الثقافة من إختلاف: ففي الزواج البدائي تعتبر المرأة ملكية خاصة للزوج شأنها شأن ممتلكاته الأخرى، بينما تتحرر الزوجة في الشكل

---

[438] عدنان الدوري:**مرجع سبق ذكره.**

[439] يوسف عناد زامل: **سوسيولوجية التغير قراءة مفاهيمية**، كلية الآداب جامعة واسط، بدون سنة نشر.




الحديث من قيود الرجل، بمعنى أن نكفل لها حرية إبرام عقد الزواج أو فسخ الرابطة الزوجية الأمر الذي يجعل الزواج في النهاية مستندا على تبادل الإلتزامات بين الزوجين.

2-3-الحتمية البيولوجية: تتأسس الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس وجماعات متميزة بيولوجيا، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الإجتماعية وتنميتها، وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدراتها البيولوجية والعرقية. وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق بين الشعوب كما تفسر التغيرات الإجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب، سواء التغيرات السلبية المرتبطة بالتخلف أو التقهقر الحضاري، أو التغيرات الإيجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامن في شعب من الشعوب، وتقوم الحتمية البيولوجية على فرضية سادت في مجتمعات قديمة، وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات داخل المجتمع الواحد على طبقات أخرى وإرتبط هذا التفوق بالخصائص البيولوجية.[440]

تظهر حالة التناشز أو حالة من التخلف التي يشير إليها بعض علماء الإجتماع أحيانا بحالة التناشز الثقافي، إنطلاقا من أن التغير الذي ينصب على بعض قطاعات الثقافة المادية وغيرها من العناصر الأخرى التي ترتبط بالبيئة الطبيعية والأشياء المادية، وقد حاول بعض علماء الجريمة أن يجد مايربط حالة التناشز الإجتماعي هذه بالجريمة، وتقوم فرضيتهم على أساس أن الجريمة تشيع في الثقافات التي يختل فيها التوازن بين الجانبين المادي والمعنوي. والمعروف أن القوانين العقابية ذات طبيعة مستقرة ثابتة وهذا يجعل أن كل تغير مفاجئ سريع في طبيعة الحياة المادية للأفراد، لايستتبع بالضرورة تعديلا فوريا في نصوص القوانين العقابية السائدة في المجتمع. وهذا يعني أن القوانين العقابية السائدة في المجتمع قد تعجز عن مواجهة بعض الحالات الجديدة، التي ظهرت نتيجة للتغير الإجتماعي الذي لحق بثقافة المجتمع. وهذا معناه أن هذه الحالات والظروف الجديدة تخلق جرائم جديدة، لم تتضمنها نصوص هذه القوانين التقليدية. وهذا بدوره يضاعف حجم الجريمة.[441]

وبناءا على ماسبق يتمظهر التغير الإجتماعي في أنه، قد يجد الفرد نفسه أحيانا مشدودا بين ثقافتين متعارضتين، لكل منهما نمط سلوكي مخالف الأمر الذي يجعل من فعله في بعض الأحيان مشكلا لجريمة في نظر إحدى الثقافتين، وماقد يعتبر سلوكا منحرفا في جماعة أو مجتمع معين قد يظهر أنه سلوك عادي أو سوي، في جماعة أو مجتمع آخر وكل ذلك يأخذ صورا متباينة بحسب البيئات الإجتماعية والثقافية، هذه الثقافة المضادة تعارض القيم السائدة في المجتمع التي تفرز الصراع الثقافي. فماهو التأطير المفاهيمي للصراع الثقافي؟

تعني مقاربة الصراع الثقافي تعارض و تضارب ثقافات ومبادئ وقيم تسود في إحدى الجماعات مع إحدى ثقافات ومبادئ جماعة أخرى، ويتخذ هذا الصراع مظهرين أولهما صراع خارجي، ويعني التعارض بين ثقافة مجتمعين مختلفين، ويرى العلماء أن أسباب هذا الصراع الخارجي مرده الإستعمار، الهجرة والإتصال في مناطق الحدود، أما الصراع الداخلي فيحصل نتيجة تعارض الثقافات والأفكار السائدة لدى مجموعات داخلة في مجتمع حضاري واحد، كالصراع بين جماعة



[440] دلال ملحس إستيتة: **مرجع سبق ذكره**.ص21.

[441] عدنان الدوري: **مرجع سبق ذكره**.



الأسرة وجماعة الرفاق مثلا، وربما يكون سلوك إحدى الجماعات غير مشروع فينساق الفرد إلى الجماعة الأخرى ليرضي تلك الجماعة.[442]

خلاصة:

بناءا على ماتم طرحه آنفا، يستخلص أن الظاهرة الإجرامية لها نسقها التاريخي الخاص المتمظهر في مدى كينونة غريزة الموت والشر الكامنة في الذات البشرية، وبما أن الإنسان يتسم بطبيعة التغير والحركية مواكبة للمجتمع المعاصر، فإن هذه العلائقية الثنائية تحول دون الإهتداء ل نقطة التقاطع بين الأصالة والمعاصرة، ونقصد بنقطة التقاطع إرهاصات الموروث الأنثروبولوجي، والمكتسب لكل ماهو قيمي أخلاقي يتغلغل في التغير الإجتماعي من الثنائية إلى التعددية.

التوصيات والإقتراحات: في الأخير لابد لنا من إلتماس بعض التوصيات والإقتراحات لعلها تبلغ الغاية المنشودة

-ضرورة الإهتمام بأنثروبولوجيا الجريمة في الوطن العربي كعلم مستقل بذاته.

-ضرورة التركيز على دراسات الظاهرة الإجرامية من الناحية الأنثروبولوجية، كبيبليوغرافية بإستطاعة الباحث العربي العودة إليها.

-إعادة النظر في تخصصات وفروع علوم الجريمة بإعتبار أن تخصص أنثروبولوجيا الجريمة تكاد تكون مغيبة في الجامعات الجزائرية.

-إنشاء مراكز علمية خاصة بالمهتمين والمختصين بأنثروبولوجيا الجريمة بهدف إثراء الحصيلة العلمية في هذا المجال.

قائمة المراجع:

1-احسن طالب: ***سوسيولوجيا الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية***، دار الطليعة للطباعة والنشر.،بيروت،لبنان.2002.

2- إسحاق منصور إبراهيم: ***الموجز في علم الإجرام وعلم العقاب***، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر،1979.

3- بوبكر بوخريسة: ***أنثروبولوجيا الجريمة من أسطورة قابيل إلى المجرم بالولادة***، مركز الكتاب الأكاديمي. عمان، الأردن،2020.

4- حسن أكرم نشأت: ***علم الأنثروبولوجيا الجنائي***، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.

5- دلال ملحس إستيتة: ***التغير الإجتماعي والثقافي***، دار وائل للنشر، عمان، الأردن،2010.

6- رزاق رزيقة، زرزوني جهيدة: **قراءات في الأنثروبولوجيا الجنائية**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 06، العدد02، ديسمبر 2020.

7- عايد عواد الوريكات: ***نظريات علم الجريمة***، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 2004.

8- عدنان الدوري: ***أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي***، منشورات دار السلاسل، الكويت، 1984.

9- علي سموك: ***مقياس أنثروبولوجيا الجريمة***. جامعة باجي مختار،كلية الآداب و العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم علم الإجتماع،عنابة-الجزائر-: محاضرة قدمت لطلبة الماستر تخصص علم الإجرام.(لم تنشر).

10- عيسى الشماس: ***مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)***، منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق، سوريا،2004.

---

[442] محمد أحمد المشهداني: **أصول علمي الإجرام والعقاب في الفقهين الوضعي والإسلامي**،دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2008،ص64.







11- فرانك ويليامز: ***نظرية علم الجريمة***، *ترجمة ذياب بداينة وآخرون*،دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2013.

12- محمد أحمد المشهداني: ***أصول علمي الإجرام والعقاب في الفقهين الوضعي والإسلامي***، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.

13- محمد شلال العاني و علي حسن طوالبة: ***علم الإجرام والعقاب***، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998.

14- نبيل السمالوطي: ***علم الإجتماع العقابي***، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1983.

15- نعامة سليم: ***الإنحراف***، مكتبة الخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 1980.

16- يوسف عناد زامل: **سوسيولوجية التغير قراءة مفاهيمية**.*كلية الآداب، جامعة واسط.*

17- يوسف مراد : ***الفراسة عن العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي***، *ترجمة مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.*



الهوية العربية في ظل البيئة الرقمية: بين تأثير المتغير التكنولوجي وسبل الحفاظ عليها

Arab identity in the digital environment: between the impact of the technological variable and methods of preservation

د/ أوشن سمية، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة 3 - الجزائر-

ouchensoumia@yahoo.fr

د/ مغزيلي نوال، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة3 -الجزائر-

meghzili_n@yahoo.fr

الملخص:

أمام ما تشهده المنطقة العربية من أحداث وصراعات متتالية، خلص الكثير من المحللين إلى أن المشاكلالهوياتية تعد من أبرز العوامل المساعدة على نشأة هذه المشاكل وتطورها، والاشكالية الكبرى ليست في الهويات بحد ذاتها، لكن في انفعالها وانفلاتها وما يرتبط بها من افتعال سياسي وإيديولوجي مؤطر هوياتيا.

وكثيرا ما تطرح اشكالية العلاقة بين الهوية والتكنولوجيا الرقمية بسبب أن الهوية تتعرض للاختراق من طرف قوى العولمة وخاصة التكنولوجيا وتدفق المعلومات. إن فكرة أن العالم أصبح قرية صغيرة حسب ماكلوهان بفعل تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة، لم تعد كافية لتوصيف الواقع الاجتماعي، لأن العالم أصبح بمثابة عمارة ضخمة على حد تعبير ريتشارد بلاك.

لذا فإننا نعالج من خلال هذه المداخلة واقع الهوية العربية في ظل التحولات التكنولوجية والتغيرات المعرفية الراهنة، وذلك من خلال دراسة التأثيرات العميقة لهذه التكنولوجيا على الهوية العربية والعمل على نشر هوية عالمية واحدة، وكذا محاولة تحديد سبل الحفاظ على هويتنا العربية.

وعليه تدور إشكالية دراستنا هذه حول مدى تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على مقومات الهوية العربية؟.

Abstract:

Through the successive events and conflicts that the Arab region is witnessing, many analysts concluded that identity problems are among the most prominent factors that help in the emergence and development of these problems, and the major problem is not in the identities themselves, but in their emotion and dislocation and the political and ideological fabrication associated with them framed by identities.

The relationship between identity and digital technology is often problematic because identity is being penetrated by the forces of globalization, especially technology and information flow. The idea that the world has become a small village, according to McLuhan, due to modern information and communication technology, is no longer sufficient to describe the social reality, because the world has become like a huge architecture, in the words of Richard Black. Through this intervention, we deal with the reality of the Arab identity in light of the current technological changes and knowledge changes, by studying the profound effects of this technology on the Arab identity and working to spread a single global identity, as well as trying to determine ways to preserve our Arab identity.

Accordingly, the problematic of our study revolves around the extent of the impact of information and communication technology on the components of the Arab identity?

Key words: Identity, information and communication technology, Arab identity, identity stability,







مقدمة.

يعتبر موضوع الهوية من بين المواضيع المستعصية في التناول، خاصة لارتباطها بمصير اية امة وأية جماعة بشرية. وقد اخترنا ليكون موضوعا للدراسة نظرا لأهميته الراهنة خصوصا مع ظهور موجات الربيع العربي التي خلفت ما يسمى بـ **التيه الهوياتي**، والمخلفات التي اعقبته من عدم الاستقرار والصراع الإثني، الديني والقبلي، بين مكونات بعض الاقطار التي عاشت هذا الربيع (بالرغم من اختلاف حدة الصراع). والهوية هي القدر الثابت والجوهري من السمات التي تميز أمة بعينها عن غيرها من الأمم. وتمثل هذه السمات مركبا متجانسا من التصورات والقيم والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية.

ويشهدالعالم العربي إرهاصات مرحلة تاريخية جديدةلا تزال الأحداث في كثير منها متواصلة، ما أثر على خصوصية المنطقة وبخاصة على المستوى الهوياتي. وقد جاء هذا المقال ليتناول جملة الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى ما تعرفه الدول العربية اليوم، هاته المرحلة التاريخية التي تعد خطّا فاصلا بينها وبين المرحلة التي قبلها.

وعليه يتضح أن الموضوع يبحث في اتجاه نحو تفكيك طبيعة ومحددات العلاقة التفاعلية العامة، والتي مثلت التحولات والرهانات والتحديات الجديدة التي تمظهرت بقوة في العقد الأخير من القرن العشرين، مجموعة متغيرات مستقلة أثرت على الهويات المختلفة، بما شكل جملة انعكاسات وتداعيات خطيرة على الدول العربية في خضم الانتشار الواسع والمذهل لقيم الهوية، وتموقعها عمليا ضمن العلاقات الدولية وهيكل السياسة العالمية.

إن الأهمية العلمية والأكاديمية للموضوع، تكمن في كونه بحث يفيد في الكشف عن حقيقة واقع الدولة ضمن تحديات مرحلة ما بعد الحداثة فهو موضوع الساعة. فقد أضحت الهوية في الدولة من الإشكاليات التي تطفو على السطح، كونها أصبحت تخضع لتجاذبات متقاطعة وعنيفة، ورهانات التغيرات الدولية الحديثة نظرا للاتجاهات التي تستهدف نشر هوية واحدة عالمية، تخدم مصالح الدول الكبرى في العالم، ويأتي هذا خاصة في ظل الانتشار الواسع للتكنولوجيات الحديثة والتي أصبحت لها تأثيرات جمة على المجتمعات والدول على حد سواء.

لذلك فإن المقال يعالج الهوية في الدول العربية في ظل التغيرات التكنولوجية، ومن ثم فإن الإشكالية الرئيسية التي تتمحور حولها الدراسة هي: **كيف يمكن المقاربة للتأثيرات التكنولوجية على الهوية العربية، وهل تنجح المحاولات المؤسسية المخططة وفق استراتيجيات وإيديولوجيات محددة في تشكيل و اقعنا الهوياتي والقيمي، لتصوغ في النهاية المنتج الهوياتي الذي نرى ونعتقد بأنه خيارنا؟.**

وسيتم التطرق للموضوع من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: تحديد مفاهيم الدراسة: الهوية، التكنولوجيا

المحور الثاني: مقومات الهوية العربية

المحور الثالث: تأثير التكنولوجيا الرقمية على الهوية العربية

المحور الرابع: سبل الحفاظ على الهوية العربية من التطور التكنولوجي الرقمي.



المحور الأول: تحديد مفاهيم الدراسة: الهوية، التكنولوجيا

أولا: مفهوم الهوية

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزا كبيرا من تفكير الباحثين، ومصطلح الهوية له دلالاته اللغوية والفلسفية والاجتماعية.

تعني الهوية: مجموعة من الخصائص المميزة للفرد أو الجماعة تُنمي شعور الفرد بالانتماء إلى المجموعة، مما يخلق وعيا بتميز الجماعة/المجتمع واختلافها عن الجماعات/المجتمعات الأخرى، والهوية من هذا المنظور هي وعيالإنسان بانتماءاته إلى مجتمع أو وطن أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام"[443].

ويعني بها أيضا "ثوابت الشيء التي لاتتجدد ولاتتغير، فهيكال بصمة بالنسبة للإنساني تميزها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلماأ زيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب ،دون أن تخلي مكانها لغيرها من البصمات"،حيث تستعمل كلمة هويةفي الأدبيات المعاصرة لأداء معنى Identity، التي تعبر عن خاصية" المطابقة " أومطابقة الشيء لنفسه، أولمثيله ، وفي المعاجم المعاصرة فهي لاتخرج عن هذا المضمون باعتبارها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية،والتي تميزه عن غيره،وتسمىأيضاوحدةالذات.

أما Deng فير بأن الهوية هي"التي يستخدمها الأفراد والجماعات في تعريف أنفسهم وذلك عل بأساس العرق والدين واللغة والثقافة التي ينتمون إليه"،ويشير Bloom بأنهاالطرق التي تميز الأفراد والجماعات في علاقاتهم مع الآخرين،ويذهب Katzenstein إلى القول بأن مصطلح الهوية" يعني مجموع المراجع التي تشكل تمنخلالتطوير الصور الذاتية للفرد باعتبارها تدمج بين مختلف الأدوار،الصور والمواقف الداخلية للإنسان".

أما Hall أوضح أن مسألة الهوية" هي نوع من أنواع الفضاءات غير المستقرة،أومسألة لمتحل بعد،...فهنا كمن يعتقد بأنالهوية هي نقطة ثابتة من الفكر والكيان، قاعدةأساسية ومنطق الذاتا لحقيقية، ...لكن الهوية هي في الحقيقة عبارة عن صيرورة تتفرع إلى أقسام عديدة،الهوية ليستنقطة ثابتة لكنها نقطةذات عدة أوجه،الهويةهيأيضا علاقةالآخرينمعالذات"[444].

وتنقسم الهوية حسب الدكتور أحمد بن نعمان إلى نوعين أساسيين هما:

أ / الهوية الفردية: وهي تشمل جميع السمات الفيزيولوجية والحيوية الخاصة التي تميز الانسان عن غيره من الناس.

1- سعاد بضياف، لبوخ بوجملين، أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الاثر، العدد25/ جوان 2015، ص.196.

[444]- ناسلية رباحي، استخدام الوسائط الجديدة واشكالية بناء الهوية الافتراضية، مجلة دراسات انسانية و اجتماعية، المجلد 9، العدد2 (2020)، ص.160.



ب/ الهوية الوطنية أو القومية: تنسب هنا الهوية الى الوطن أو القوم أو العشيرة التي ينتمي إلیها الفرد وهي عبارة عن مجموعة من الخصائص الثقافية التي تميز جماعة أو مجتمع ما مع غيره[445].

ثانيا :مفهوم التكنولوجيا :

ويقصد بها "مجموعا لتقنيات أوالوسائل أوالنظم المختلفة التي توظف لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عمليةالاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أوالجمعي، والتي من خلالها يتم جمع المعلومات والبيانات المسموعة والمكتوبة والمصورة أو الرقمية من خلال الحاسبات الإلكترونية ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات واسترجاعها في الوقت المناسب".

فالتكنولوجيا هي مجموعة المعارف والخبرات والمهارات المتاحة والمتراكمة والمستنبطة المعينة بالآلات والأدوات والسبل والوسائل والنظم المرتبطة بالإنتاج والخدمات، وتستفيد التكنولوجيا من العلم في تقدمها، وتعتمد على القاعدة الإنتاجية المرتبطة بالتنمية الشاملةمن أجل نموها وتطورها[446].

المحور الثاني: مقومات الهوية العربية

تقوم الهوية العربية على مجموعة من المقومات الا اننا ارتأينا ان نحدد بعضا منها وهي كالتالي:

1/ الدين الاسلامي: يعد الدين ركيزة اساسية من الركائز التي تساهم في تشكيل الهوية بل أنه معيار أساسي من المعايير التي تحدد انتماء الفرد أو الجماعة الى هوية معينة لان الدين يجسد نسق المعتقدات التي يؤمن بها أفراد المجتمع وهو الذي يشكل مصدر القيم والتصورات والممارسات الأخلاقية التي يشترك فيها ابناء الديانة الواحدة والتي تساهم في توجيه سلوكهم وتحثهم على التلاحم والتماسك وتشعرهم بانتمائهم الى هوية مشتركة ويعتبر الدين الاسلامي مكون اساسي لهوية أي امة وذا اهمية كبيرة في حياة الامة العربية والاسلامية.

2/اللغة العربية: تلعب اللغة دورا اساسيا في تأسيس الهوية وفي الحفاظ عليها فهي التي تحدد انتماء الفرد أو الجماعة الى هوية بعينها وهي الوسيلة التي تمكن الفرد من التعبير عن هويته كما انها تعد في لوقت نفسه من أهم وسائل الحفاظ على الهوية ذلك لان اللغة هي الوعاء الحاوي انظمة التفكير والادراك فنحن نفكر باللغة ونتواصل من خلالها[447].

وللعربيةمكانةمتميزةبينلغاتالأمم،لالأنهامنأقدماللغاتالحيةفقط،وإنما لأنتكوينهاوخصائصهايسرالهاالقدرةعلىالتعبيرعنمختلفالأشياءالمادية،وأدقالأفكارالمجردة، ولذلكنجدالكثيرمنالمفكرينالعرب ساهموافيتبييننظراتهمالقوميةوالتأكيدعلىاللغةالعربيةكلغةجامعةومقومأساسيفي

---

[445]- عزالدين ريطاب، طمس تكنولوجيات الاعلام والاتصال للهوية الوطنية -دراسة حالة المجتمعات العربية-، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 20 (2016)، ص.222.

[446]- الثقافة التكنولوجية ومآل الهوية في عالم متغير (دراسة استشرافية)، مجلة الحقيقة، العدد 40 (2017)، ص.110.

[447]- شما بنت محمد بن خالد آل نهيان، التنمية الثقافية وتعزيز الهوية الوطنية: دراسة ميدانية على مواطني دولة الامارات العربية المتحدة (الاسكندرية: دار العين، 2013)، ص.ص.64، 65.



الهويةالعربية، إذأنهميؤكدونعلىأنإصلاحاللغةالعربيةيعنيإصلاححالالأمةالعربية، ويبقىذلكمرهونبمدىالاهتماموالمحافظةعلىاللغةوآدابهاوأنزوالاللغةيعنيزوالالهوية[448].

3/**التاريخ:**يعد التاريخ المشترك مصدر أساسي من مصادر تشكيل الهوية ذلك التاريخ الذي يصنعه الافراد ويجسد مسيرة تطورهم في علاقتهم بماضيهم وتفاعلهم مع حاضرهم وتطلعهم نحو المستقبل[449].

ويعتبر التاريخ بمثابة وعي وشعور الأمة فالتاريخ المشترك إل جانب اللغة من أهم عوامل الهوية بالنسبة للعالم العربي، وهناك اتفاق واسعبينالباحثين على أن التاريخ من أهم دعائم القومية العربية، فالأمة لاتتوحد إلا بتاريخها .فهو السجل الثابت لماضي الأمة، ومفاخرها ومدخر ذكرياتها، وعلى ضوئه تسير الأمة إل بمستقبل أفضل، وبهذا فكل اللذين يشتركون فيماض واحد يعتزونبه، ويفخرون بمآثره، وينتسبون إليه هم أبناء أمة واحدة.

ونظرا لهذه المكانة التي يمتازبها التاريخ كمقوم أساسي لهوية الأمة العربية، فقد لاقى اهتمام كبير من طرف الدول المستعمرة، حيث أعطته أهمية كبيرة، وبذلت مافيوسعها من مجهودات من أجل طمس التاريخ الأصل يلدول المستعمِرة، عن طريق إماتة الشعور بالوحدة للأمم، وتبذل ما استطاعت من الجهودلإقصاءذلكالتاريخمنالأذهان[450].

المحور الثالث: تأثير التكنولوجيا الرقمية على الهوية العربية

ان المشكلة التي نود طرحها في هذا الصدد ترتبط اشد الارتباط بانعكاسات واثار وعواقب التقدم التكنولوجي في مجال الاتصال الجماهيري على المنطقة العربية على اعتبار ان التقدم التكنولوجي خاصة في مجالات الفضاء والذي اثار الكثير من الجدل سواء على المستوى الدولي أو العربي حول أثاره السلبية والايجابية أصبح يشكل محورا من لمحاور الرئيسية التي تحتل اهتمام الباحثين في مختلف الدول، وهذا لكون التكنولوجيا لم تعد عنصرا من عناصر التسلط الاقتصادي والسياسي فحسب بل اصبحت عنصرا من عناصر التسلط الفكري والثقافي.

ان الهوية العربية الاسلامية شأنها شأن بقية الهويات العالمية لم تسلم من مخاطر التكنولوجيا الاعلامية المتطورة وتحول المجتمع الاسلامي في هذه المرحلة الراهنة يعيش بفعلها صراعا مزدوجا صراعه مع ذاته في زمن العولمة وحضارة الثورة المعلوماتية المذهلة لتحقيق هويته المشتتة ولاسيما بين فئة الشباب.

فعلى المستوى العربي وفي إطار ابعاد العولمة التكنولوجية فان اسئلة كثيرة تطرح نفسها ولعل اهمها السؤال عن اثار التكنولوجيا الاتصالية الرقمية الجديدة على الهوية العربية؟.

---

[448]-اوشن سمية، دور المجتمع المدني في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي-دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجيستير في العلوم السياسية (جامعة الحاج لخضر باتنة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2010/2009)، ص.76.

[449]- شما بنت محمد بن خالد أل نهيان، مرجع سابق الذكر، ص. 64.

[450]- أوشن سمية، مرجع سابق الذكر، ص.77.

فالمضمون الفكري الغربي الوافد من المجتمعات المتقدمة الصناعية الذي تحمله وسائل التكنولوجيا الرقمية يعمل على نشر أفكار قادمة من أرض ليست ارضنا وأيديولوجية مجتمعات لا تمثل فكرنا وعقيدتنا وتاريخنا وتراثنا وهذا يمثل أكبر خطر يهدد مجتمعاتنا العربية.

إلا اننا وامام مفاعيل ثورة تكنولوجيا الاعلام والاتصال المتواصلة قد جعلت من محاولات الانغلاق والانكفاء الثقافي مجرد ردود فعل سلبية وغير فاعلة طالما بقي الواقع الراهن لعدم تكافؤ القوى، وهو ما أدى بفئة ثانية من مفكرينا الى النظر للتقنية الاتصالية الحديثة بموضوعية بأن لها جوانب ايجابية كما لها جوانب سلبية على الهوية العربية[451].

فتكنولوجيا الاتصال الحديثة -باعتبارها مقوما أساسيا للعولمة- ولاسيما الانترنت تزيد من ضعف الشعور بالانتماء المحلي والوطني و تعمل على تقويضه وتنسيج هويات غير متعلقة بالحيز المكاني وتقلل من شعور الانتماء إليه[452]،فشبكةالانترنت اليوم أصبحتوسيلةهامة للعولمةالثقافية،بماتحملهمنمعلوماتوأفلاموصور وأفكارثقافيةتطيحبمعالمالهويةالوطنيةالخاصةبالشعوبوالأفراد،خاصةتلكالثقافةالماديةالتيتسيطر علىالشبكة،والإطاحةبالأخلاقالفاضلةمنخلالالمواقعالإباحية،إضافةإلىالدعايةالسلبيةالتيمنشأنهاقلبالوضعالثقافيوالسياسيللبلدانبتغييروجهةالرأيالعاموإقامةالنزاعاتبينالشعوب[453].

ويمكن تلخيص اهم التأثيرات التي مست الهوية العربية من جراء الإكتساع التكنولوجي في النقاط التالية:

1. **نشر الثقافة الغربية**: تهدف تكنولوجيا الاعلام والاتصال خاصة القنوات الفضائية إلى المساس بالانتماء الثقافي للشباب العربي عن طريق بسط أبواب الانفتاح الثقافي بتشجيع الشعوب العربية بتكريس مظاهر العولمة الثقافية بالاختلاط الفكري مع الاخرين من خلال مسايرة الموضة فيما يخص الملابس والعلاقات.. الخ.

فتجسد التكنولوجيا كل مظاهر الانحلال الخلقي تحت ذريعة حقوق الانسان الشخصية والتحرر الفكري والعقلي، كما تعمل بعض القنوات العربية على استنساخ التجربة التلفزيونية الغربية خاصة برامج تلفزيون الواقع لهدم القيم والاخلاق للشباب العربي على اساس الغزو الثقافي الممنهج والذي يسير بديناميكية ثابتة نحو غسل عقول المسلمين.

2. **خلق هوية عالمية موحدة**: تسعى التكنولوجيا في جعل العالم قرية واحدة وهو التصور الذي جاء به كلا من مارشال ماكلوهان وكوانتين فيوري، لكن من يعيش في هذا العالم الرقمي الجديد يجب أن يتخلى عن مبادئه التي

451- سامية جفال، مسعودة طلحة، الهوية الثقافية في ظل تكنولوجيا الاتصال الرقمي الجديد وانحسار ثقافات المجتمعات، مجلة route educational of social journal ,volume5(14) december 2018 ، ص ص.354-356.

452- مصطفى عوفي، زينب عمراني، «الهوية الوطنية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة "، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 4، (2012)، ص.41.

453- محمد زغو،"أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب "، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 4، (2010): ص. 95.



يؤمن بها، حيث انه من يرفض الدخول في متاهات هذه الثوة الرقمية فيهمونه تارة بالإرهاب وتارة بالتخلف وأحيانا بخطر يهدد البشرية.

3. **التأثير على الاخلاق:** تؤثر تكنولوجيا الاعلام والاتصال على الاخلاق العربية من خلال شبكة الانترنت حيث تتعارض هذه الاخيرة وماتحتويه مع الاخلاق الإسلامية، فتعمل هذه الشبكة على توفير المحتويات الرقمية (الصور والفيديوهات) للقنوات والمواقع الاباحية التي تفسد قيم الشباب وتقضي على الأخلاق الفاضلة والحميدة التي يتمتع بها الشباب العربي[454].

فعلى سبيل المثال ومن جهة تأثير التطور الهائل لتكنولوجيا الاعلام والاتصال على الهوية الوطنية الجزائرية كإحدى البلدان العربية نلاحظ أنها أحدثت تأثيرات على المجتمع الجزائري ويتضح في الاستخدام المفرط والعشوائي للغات غير اللغة الأم كوسيلة للتخاطب والتواصل مع الآخرين وخاصة اللغة الفرنسية، حيث أصبح معظم الجزائريين يميلون إلى استخدامها أكثر فأكثر خاصة عند التخاطب مع الأصدقاء والأقران وكذا مع رؤساء العمل وأضحى هذا الفعل ينم عن مستوى الشباب باللغة العربية الفصحى بل أصبح هذا الفعل مدعاة للضحك والسخرية ومؤشر عن تخلف وتدني مستوى من يتحدث بها.

ويندرج هنا تحدي آخر للّغة العربية إزاء اللّغة الإنجليزية، بعد الانتشار الكبير للشركات المتعددة الجنسيات بالجزائر.

نقص واضح في الروح الوطنية لدى الشباب يتمظهر في عدم إقباله على الرموز الوطنية، وفقدان واضح للثقة في الذات الوطنية، وقد أدركت وزارة التربية الوطنية حقيقة الأمر، حيث فرضت منذ سنة 2008 رفع العلم الوطني وتأدية النشيد الوطني يوميا في المؤسسات التربوية لإعادة إحياء الحس الوطني وحب الوطن في أوساط الشباب والمراهقين.

طمس واضح لمقومات الشباب الدينية والأخلاقية، فإلى جانب إقبال نسب معتبرة من الشباب على التدين عن اقتناع، اتجهت مجموعات أخرى للابتعاد عن دينها[455].

كما اثرت التكنولوجية الحديثة حتى على طبيعة اللباس حيث أصبح معظم الشباب الجزائري يختارون لباسهم على أساس الأزياء والموضة الغربية، كما أدت إلى انحلال الأخلاق وانتشار العلاقات غير الشرعية ما يتعارض والدين الإسلامي[456].

المحور الرابع: سبل الحفاظ على الهوية العربية من التطور التكنولوجي الرقمي

---

[454]- عزالدين ريطاب، مرجع سابق الذكر، ص ص.224، 225.

[455]- أمنة ياسين بلقاسمي، محمد مزيان،" العولمة الثقافية وتأثيراتها على هوية الشباب والمراهقين الجزائريين دراسة تحليلية "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن (2012)، ص. 52.

[456]- وارم العيد،"البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي الشباب الجامعي الجزائري نموذجا"، مركز جبل البحث العلمي، العدد 02، جوان (2014)، ص ص. 13-23.



الهوية تعد عنصرا لا غنى عنه من عناصر النهضة الاجتماعية، ومظهرا من مظاهر القدرة على التحرر من المؤثرات الخارجية الوافدة، فهو أعلى مظاهر استرداد الهوية، التي سعت وتسعى مختلف القوى عبر التاريخ إلى جعلها تابعة لها بشكل أو بآخر، كخطوة أولى لعملية السيطرة والاحتواء.

لكن السؤال المطروح هو كيف السبيل إلى الحفاظ على الهوية العربية هل بخيار الانطوائية والانغلاق والانعزال، وهذا نموذج شاذ لحماية الدولة، الذي اعتمدته بعض الدول مثل كوريا الشمالية في ظل نظام " كيم جونغ"، هذا الأخير الذي حاول بكل وسائل الانغلاق المتاحة التصدي للتأثيرات الخارجية على العقلية الكورية الشمالية وثقافتها.

أما الخيار الثاني فهو الانفتاح المحصن بمعنى التفاعل مع باقي الحضارات العالمية، فتح النقاش حول التراث وآليات تجديده لكن دون تشويهه، وهكذا نكون قد تقدمنا خطوات مهمة نحو صناعة **هوية** صعبة الاختراق، ويكون هذا من مركز قوة لأن الدولة التي تعاني من الضعف السياسي والعسكري والثقافي.. هي أيضا معرضة لغياب أمن حقيقي لهويتها، يحفظ أسسها ويضمن تطورها واستمرارها. وكمثال على ذلك سنغافورة التي تعتبر نموذجا جديرا بالدراسة فيما يتعلق ببناء الهوية الوطنية ومدى نجاح تلك المقاربة في جعل سنغافورة بلدا حديثا يعتمد على التكنولوجيا ومقاربة الانفتاح على العالم، لكنه في الوقت نفسه يحافظ على هويته وملامحه الثقافية التي تستوعب التنوع العرقي والثقافي في البلاد، وتأثير التكنولوجيا وازدهار التجارة والشركات العابرة للقارات وتحفظ للبلاد استقرارها وتماسكها، وكل هذا تحت شعار التحديث والريادة والرغبة في الازدهار الإسلامي[457].

إن الوصول إلى تحقيق الهوية العربية ليس بغلق الأبواب وتكثير لائحة الممنوعات، والابتعاد عن وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، بل إنه يعني بناء قوة الوجود الذاتية، التي لا تقوى على المقاومة والصمود فحسب، وإنما على الاندفاع والفعل المؤثر، بمعنى ينبغي أن تتغير وتنتقل المجتمعات العربية من موقع المستهلك إلى المنتج. ولذلك فإن تحقيق الهوية يقوم على عنصرين أساسيين:

1- الإعتزاز بالذات الثقافية الحضارية، لأنها بمثابة الإطار أو الوعاء الذي يمثل رموز وأفكار وقيم المجتمع، وبهذا نعطي للذات الأفق الطبيعي للدفاع عن كينونتها الاجتماعية والتاريخية وهو الخيار الاستراتيجي الذي نتمكن من خلاله من تحقيق الهوية العربية.

2- الانفتاح والحوار مع الثقافات والهويات المعاصرة، ويعني ذلك الاعتزاز بالذات الحضارية مع هضم معطيات الآخر الحضاري، ومجارات انجازات العصر والتطور والتكنولوجيا.

وعندما تحاول الدول العربية اليوم حماية هويتها، فلن يتحقق لها ذلك إلا إذا استطاعت أن تحصن تلك الهوية بتعميقها واصطناع كل تقدم تكنولوجي وإعلامي في حمايتها ونشر إشعاعها. كما ينبغي أن يتحقق المزج الآمن والمثمر بين الهوية من جهة والهوية الرقمية من جهة أخرى، بل إنه يتحتم علينا أن ننتقل في الحفاظ على هوياتنا، من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة، ونعني بالمواجهة العمل على نشر إشعاع ثقافتنا، وتعميق قيمنا الروحية والدينية، وسط الفراغ الذي تعانيه الأجيال وذلك بوضع سياسات ثقافية شاملة توازي سياسات التنمية وتحتويها، مع دعم الفكر الحر الملتزم بتلك القيم الروحية العليا، لأنه بقدر ما يتسع الفراغ الروحي وتهتز القيم الروحية، ويشيع التطرف في أي اتجاه

[457]- عمرو صالح، " بناء الهوية في المجتمعات التكنولوجية... سنغافورة نموذجا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 16 جانفي 2017، تم تصفح الموقع بتاريخ: 30/ 11/ 2020.





ويسوده النظام الاستبدادي، بقدر ما يكون المجتمع أكثر تطلعا إلى من يخرجه من متاهاته ويدله على فطرته، وينقذه من المادية ومن الأنانية. وبهذا المنهج قد تتحول تحديات العولمة إلى استنهاض الإرادات نحو النضال من أجل استعادة حرية الإنسان في أن يتماهى مع هويته، ويحقق فيها ذاته عن طريق الإبداع والتميز والاختلاف.

خاتمة.

وختاما لما تم ذكره يبقى الحديث عن تأثير التكنولوجيا الرقمية على الهوية العربية موضوع مستمر ومتواصل كوننا نعيش امام ثورة رقمية لا نعلم نهايتها وتأثيراتها على المجتمعات العربية بصفة عامة وعلى مقومات الهوية العربية بصفة خاصة.

وعليه لقد توصلت دراستنا التحليلية لواقع الهوية العربية في ظل المتغير التكنولوجي الجديد وسبل الحفاظ عليها الى النتائج التالية:

- ان تكنولوجيا الاعلام والاتصال تشكل سلاح وهيمنة كاسحة على الساحة العالمية بما فيها الدول العربية.
- ان التطور التكنولوجي الجديد بوسائله المتعددة أثر على مقومات هويتنا العربية والعمل على محو حضاراتنا واضمحلال هويتنا عبر نمذجة الثقافات وجعلها تسير وفق نموذج ثقافي غربي واحد والعمل على نشر هوية عالمية واحدة.
- لا يمكن للتجانس الهوياتي أن يكون إلا في ظل دولة قانونية تكفل الحقوق وتحميها.
- اعتماد استراتيجية اعلامية مهمتها توعية المجتمع بالمخاطر المحيطة.
- تدعيم مؤسسات العمل العربي المشترك التي من المفروض أن تكون في كل المجالات وخصوصا في هذا المجال لأنه المدخل الرئيسي الذي تنفذ منه مشاريع التجزئة والتفكك.

توصيات: وبناءً على ما تم التوصل إليه من نتائج يمكننا طرح بعض التوصيات:

- ✓ من اجل الحفاظ على الهوية العربية في ظل تكنولوجيا الاتصال الرقمي الحديث فانه وجب علينا كعرب ان نحدد المضمون الايجابي للتطور التكنولوجي وانا نتماشى ونتعايش مع هذا الزخم الرقمي ولكن بلغتنا ورموزنا وثقافتنا ومنظومتنا القيمية والاخلاقية المبنية على القيم الاسلامية.
- ✓ العمل على الترويج للثقافية العربية والتراث العربي كاحدى مقومات الهوية العربية على مواقع شبكة الانترنت.
- ✓ الحفاظ على اللغة العربية والعمل على احيائها وذلك باستعمالها أكثر في المحادثات اليومية والمعاملات الادارية.



قائمة المراجع.

1- الكتب:

- آل نهيان شما بنت محمد بن خالد، التنمية الثقافية وتعزيز الهوية الوطنية: دراسة ميدانية على مواطني دولة الامارات العربية المتحدة (الاسكندرية: دار العين، 2013).

2- المقالات:

- الثقافة التكنولوجية ومآل الهوية في عالم متغير (دراسة استشرافية)، مجلة الحقيقة، العدد 40 (2017).

- العيد وارم،"البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي الشباب الجامعي الجزائري نموذجا"، مركز جبل البحث العلمي، العدد 02، جوان (2014).

- بلقاسمي أمنة ياسين، محمد مزيان،" العولمة الثقافية وتأثيراتها على هوية الشباب والمراهقين الجزائريين دراسة تحليلية "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن (2012).

- بضياف سعاد، لبوخ بوجملين، أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الاثر، العدد25/ جوان 2015.

- جفال سامية، مسعودة طلحة، الهوية الثقافية في ظل تكنولوجيا الاتصال الرقمي الجديد وانحسار ثقافات المجتمعات، مجلة route educational of social journal ,volume5(14) december 2018

- رباحيناسلية، استخدام الوسائط الجديدة واشكالية بناء الهوية الافتراضية، مجلة دراسات انسانية و اجتماعية، المجلد 9، العدد2 (2020).

- ريطاب عزالدين، طمس تكنولوجيات الاعلام والاتصال للهوية الوطنية -دراسة حالة المجتمعات العربية-، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 20 (2016).

- زغو محمد،"أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب "، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 4، (2010).

- عوفي مصطفى، زينب عمراني، «الهوية الوطنية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة "، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 4، (2012).

3- المذكرات:

- اوشن سمية، دور المجتمع المدني في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي-دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجيستير في العلوم السياسية (جامعة الحاج لخضر باتنة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2010/2009).

4- مو اقع الأنترنيت:

- صالح عمرو ، " بناء الهوية في المجتمعات التكنولوجية... سنغافورة نموذجا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 16 جانفي 2017، تم تصفح الموقع بتاريخ: 30/ 11/ 2020.

<futureuae.com>

الهوية والثقافة وقبول الآخر في رواية حلم وردي فاتح اللون

Identity, culture, and acceptance of the other in the novel A Light Pink Dream

أ.م.د.محمد صائب خضير

استاذ مساعد دكتور

جامعة بغداد /كلية تربية ابن رشد / العراق

م.د. سرى احمد صالح

مدرس دكتور

كلية أصول الدين الجامعة الأهلية / العراق

ملخص:

المجتمع العراقي معروف بتنوع هوياته وثقافته وأقصد بالهوية (لغوية كانت أم دينية أم سياسية) ، وكما معروف أن الأزمات تولد حالة تأزم في تشكيل الهويات لأن الهوية بطبيعتها ليست ثابتة أنما متغيرة وفقاً للعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع ، وسببت الأزمات التي مرّ بها العراق بعد 2003 إلى ظهور أزمة في تشكيل الهوية وعلى نظرة عدم تقبل من الآخر سواء الغرب أقصد الوجود الأمريكي أم من السلطة التي تتبنى هوية على حساب هويات أخرى ، كل ذلك أدى إلى ظهور مايسمى الهوية القاتلة في العراق التي دعت كثير منهم يطلبوناللجوء الى البلدان الأخرى .

ولأن الرواية مرآة عاكسة للواقع، كان لابد أن تحتوي الرواية العراقية على هذه الثيمات ورصد أسبابها وانعكاساتها على المجتمع، وظهرت في هذا المجال الكثير من الروايات ، منها روايات ميسلون هادي التي غالبا ماتتسم بالواقعية ورصد الأحداث التي يمر بها العراق ، وقد اخترنا رواية (حلم وردي فاتح اللون) لانها تعكس واقع أزمة الهويات في العراق سواء كانت الهوية دينية أوثقافية أو لغوية وتقبل الآخر لها ، ورصد أسباب هذه الازمة، إضافة إلى تدخل الروائية في إيجاد حلول لهذه الأزمة عن طريق الثقافة وإيمان أصحاب العقول المثقفة بأن لاوجود لهوية دون الأخرى تحت هوية أكبر وهي الهوية الوطنية العراقية .

الكلمات المفتاحية : (الهوية – الثقافة – الآخر – حلم وردي – ميسلون هادي)





Abstract Iraqi society is known for its diversity of identities and culture, and I mean identity (linguistic, religious or political), and it is also known that crises generate a state of crisis in the formation of identities because identity by its nature is not fixed but is changed according to the historical, social and cultural factors prevailing in society, and the crises that Iraq has gone through after 2003 led to the emergence of a crisis in the formation of identity and on the view of non-acceptance of the other, whether the West meant the American presence or from the authority that adopts an identity at the expense of other identities, all of this led to the emergence of the so-called fatal identity in Iraq, which called many of them to seek asylum in other countries.

the novel is a mirror of reality, the Iraqi novel had to contain these themes and monitor their causes and reflections on society, and many novels appeared in this field, including Maysalun Hadi's novels, which are often characterized by realism and the monitoring of events that Iraq is going through, and we have chosen the novel (novel A Light Pink) because it reflects the reality of the identity crisis in Iraq, whether the identity is religious, cultural, or linguistic, and the other's acceptance of it, and the monitoring of the causes of this crisis, in addition to the intervention of the novelist in finding solutions to this crisis through culture and the belief of educated minds that there is no identity without the other under the largest identity is the Iraqi national identity.

Key words: (identity - culture - otherness - pink dream - Maysaloon Hadi)

المقدمة :

الاحتفاء بالكتابة الإبداعية التي توثق ما يمر به الإنسان من فرح ووجع وألم يجعل الدراسات تتجه له نقداً وتحليلاً ، ولعل موضع الهوية من أخطر الموضوعات التي تلامس حياة الإنسان ، وقد عمدت الرواية للحديث عن هذا الموضوع لقابلية هذا النوع على احتواء قضايا الإنسان المصيرية ، فالوعي بإشكالية الهوية أصبح يشكل ظاهرة واضحة في الرواية العراقية بعد حرب 2003 ، حيث بدأت الرواية العراقية بيان حدود الهوية في خطابها يحث بدأ الروائيين يحتفوت بالاختلافات الموجودة في المجتمع العراقي والاختلاف في ظل مفهوم الأنا والآخر .

ولعل ما أغنى الخطاب الروائي العلاقة مع العالم الخارجي للعراق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الأحداث المتسارعة التي اجتاحت المجتمع العراقي بعد حرب 2003 ، فأخذت الرويات تثير مسألة هذه العلاقات ومعرفة أسبابها ونتائجها ، فضلا عن الوقوف على اشكالية الهوية ودراسة المآزق التي بدأت تهدد الهويات بمختلف أنواعها ، مما جعلت بعضهم يفتش عن ملاذ آمن بعيداً عن الوطن حتى وإن كان هناك صعوبة بالعيش ، نتيجة الواقع السياسي الذي فكك الواقع

الهوياتي الثابت في العراق المعروف بتنوع هوياته دينية ، وقومية ، ولغوية فضلا عن تعدد أطيافه ، وتحول هذا التعايش إلى صراع واقتتال .

مما يثير قارئ هذا البحث لماذا اخترنا عنوان الهوية والثقافة وقبول الآخر في الرواية العراقية ؟ ولماذا إخترناها في هذه الرواية وعند هذه الروائية بالذات ؟ فالإجابة ستكون إن سبب اختيار هذا العنوان هو قوة إشكالية الهوية والثقافة في المجتمع العراقي بعد حرب 2003 ونظرة الآخر وتقبله لوجود هذه الهويات ، وظهور هويات مهمشة على حساب هويات آخرى ، كما انشغال الرواية في هذه الإشكالية أدى بنا إلى اختيار هذا العنوان ، أما سبب إختيارنا لهذه الرواية والراوية ، فمعروف عن ميسلون ولعها بالكتابة عن واقع المجتمع العراقي بكل تفاصيله فكان لابد من التطرق لهذه الإشكالية في رواياتها بشكل عام ورواية حلم وردي بشكل خاص ، لذلك أردنا تتبع هذه الإشكالية وطرق الكاتبة في طرقها ورأيها بها ، وتفكيرها في معالجة هذه الإشكالية .

وقد قام البحث على الإجابة عن الإشكالات الآتية :

- كيف كانت الهوية في المجتمع العراقي قبل وبعد حرب 2003 ، وما مدى تقبل الآخر للتنوع الهوياتي الموجود في هذا المجتمع.
- الوقوف على أسباب ظهور إشكالية الهوية في المجتمع العراقي ، وهل كانت هوية واحدة ، وكيفية تعامل الأفراد مع هوياتهم ، وطريقة تعاملهم مع الآخر وتقبله لوجودهم .
- كيف طرحت ميسلون هادي إشكالية الهوية في روايتها ، وما سبب وجود هذه الإشكالية ، وكيف عالجتها

أما طبيعة البحث فقد قسم إلى محورين رئيسيين الأول تحدثنا به عن مفهوم الهوية وتتبعها في العلوم اللغوية والإجتماعية والنفسية ثم الحديث عن مفهومها في المجتمع العراقي والرواية العراقية ، أما المحور الثاني فتحدثنا به عن الكاتبة حياتها ومؤلفاتها والدراسات التي درست انتاجها ، لنتبع فيما بعد مفهوم الهوية والثقافة وتقبلهما من الآخر في رواية حلم وردي فاتح اللون ، وهناك خاتمة تضمنت مجموعة من النتائج التي توصلت لها الدراسة ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي احتاجتها الدراسة .

نظرة عن مفهوم الهوية ووجوده في المجتمع العراقي والرواية :

مفهوم الهوية :

هناك الكثير من المفاهيم للهوية قد ذكرتها المصادر ، ويعد هذا المفهوم مفهوماً معقداً غامضاً فيه كثير من المحاور لغوية واجتماعية وتاريخية وفلسفية، فلغوياً وعند الرجوع إلى المعاجم العربية لم يذكر ما المقصود بالهوية فالأصل



اللغوي لها : "بئر بعيدة المهواة وقيل الهوة الحفرة البعيدة القعر وهي المهواة"(458) فليست هناك علاقة بين المعنى اللغوي الموجود في المعجم وبين دلالتها الحديثة ، لكن نجد قول لصاحب المعجم الوسيط بأن الهوية تعني "حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره"(459) ، ويقابل المصطلح في الفرنسية كلمة (Identite')،وتعني مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف وبالانكليزية كلمة (identity) (460) ، ويختلط مفهوم الهوية مع مجموعة من المفاهيم التي تتداخل معه أو تقع معها علاقة ، ومن أبرز هذه المفاهيم الولاء والانتماء والثقافة ، لأن كل ذلك له معنى إن الهوية هي انتماء فرد إلى جماعة .

أما من الناحية الاجتماعية، فمن وجهة نظر علم الإجتماع بأن الهوية تعني "السمات المشتركة التي تتميز بها جماعة معينة من الناس وتعتز بها" (461)، معنى ذلك إن هذا المفهوم أعم وأشمل فتشتمل على الهوية الاجتماعية والثقافية والعرقية، وهي تشير إلى علاقة فرد بمجتمع، فعلم الإجتماع يدرس الأثر الذي ينتجه علاقة الأفراد فيما بينهم أي أنه لايتحدث فيما يجري داخل النفس الإنسانية إنما فيما يحدث بين أفراد المجتمع لأن الفرد أساس المجتمع، فالمجتمع وسيلة لتحقيق سعادة الفرد، وهؤلاء الأفراد يكونون هوية المجتمع الذي ينتمون له.

أما من ناحية علم النفس ، فيعرفون الهوية بأنها "وحدة الشيء وجوده، وهي بمعنى التشخيص والشخص نفسه والوجود الخارجي، إذ قالوا ما به الشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً . باعتبار تشخصه يسمى (هوية) وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية" (462) ، وعرفها المفكر إليكس ميكشلي بأن الهوية تعني "منظومة متكاملة من المعطيات المادية ، والنفسية ، والمعنوية ، والإجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز وحداتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، والهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي" (463)، معنى ذلك أن هناك مايميز كل شخص عن الآخر وهذا التمايز هو الهوية.

أما تاريخياً فيُرى أن الهوية تتشكل بفعل التغيرات التاريخية معنى ذلك أن الهوية ليست ثابتة إنما متغيرة تكتسب وجودها من التأريخ وهذا ما أكده إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق حيث قال: "رؤية ما بعد الحداثة تصدر عن اعتقاد بأن الطبيعة والبشر والهويات والأحداث والظواهر والأفكار لاتتشكل مرة واحدة وإلى الأبد ، بل كلها نتاج لحظة تاريخية وسياقات ثقافية تعطى لهذه الأشياء خصوصيتها التي لا يمكن تجاهلها كما لا يمكن تجريدها منها" (464)، وهذا ما أكده

---

(458) لسان العرب : مادة هوى

(459) المعجم الوسيط ،254

(460)ينظر : التحولات السياسية وأثرها في أزمة الهوية :40

)461 دراسات في الثقافة والتراث والهوية : 70

)462 التعريفات : مادة هوية ، المعجم الفلسفي : 503

(463) الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي :32

(1) الاستشراق : 51





ستيوارت هال الذي يرى أن الهوية بعد الحداثة "ليست هوية ثابتة ولاهوية دائمة وتفترض هويات مختلفة في أزمنة مختلفة" (465) ، ولكن عاكسهما بالرأي أحمد النورة جي فيرى أن الهوية "عملية تمييز الفرد لنفسه من غيره ، أي تحديد حالته الشخصية" (466) ، وكان مع رأي أحمدالنورة بعض علماء الفلسفة ، فنجد هذا الموقف طرح في قصيدة لبارمندس كتبها في القرن الخامس قبل الميلاد ، فيرى أن الهوية كائنات تبقى ثابتة دون تأثر بتغييرات الحياة(467) ، ولكن هناك موقف آخر للفلسفة يتجه الإتجاه الذي ذهبه إدوارد سعيد وستيوارت هال وهو ينسب إلى هيراقلطيس إذ يقول أن كل شيء في سيلان ثابت (468) ونحن مع الموقف الثاني في عدم ثبات الهوية ، فلو كانت الهوية ثابتة معنى ذلك أهملنا دور الاختلافات الفكرية ، والثقافية ، والأحداث المفاجئة التي تصيب الأوطان ولبقيت الهوية معزولة عن أي علاقة مع الآخرين . ومن هذه العلاقات الثقافة فهناك ارتباط وثيق بين الإثنين ، فتشكل الثقافة جوهر الهوية ، والعلاقة بينهما وطيدة ، ولايمكن العزل بينهما فمن الصعب أن تتشكل الهوية خارج نطاق الثقافة ، كما إن الأخيرة هي التي تعطي للهوية معناها ومبناها معنى ذلك الأفراد هم من يكونون الثقافة وتعطي معنى الهوية التي تميزهم عن غيرهم ، والهوية الثقافية تمثل كل جوانب الحياة الإجتماعية ، والسياسية ، والحضارية وينتمي لها اللغة والدين والعقيدة ، فمن الإطلاع على مفاهيم الثقافة ممكن استخلاص تعريف جامع لها بأن الثقافة هي مجموعة خبرات وتجارب يمتلكها الأفراد لتميز هوياتهم ، كذلك هناك علاقة تجمع بين المفهومين هو أن ثقافة الأنا تحدد هوية الآخر بمعنى مدى ثقافة الشخص تجعله يتقبل هوية الآخر أو لا يتقبلها وهذا ما سنلاحظه في الجانب التطبيقي من البحث .

اشكالية الهوية والثقافة وتقبل الآخر في العراق والرواية العراقية :

بما إن الهوية كيان يتأثر بالتغييرات وسيرورة الثقافة ونظرة الآخر لهذه الهوية ، وقبل الدخول بالحديث عن اشكالية الهوية والثقافة وتقبل الآخر في رواية (حلم وردي فاتح اللون) لميسلون هادي ، لابد من معرفة كيف كانت هذه الإشكالية في المجتمع العراقي والرواية العراقية.

يعد العراق انموذج متكامل للتنوع الهوياتي الذي يتسم به أكثر من غيره من المجتمعات ، واقصد بالتنوع الهوياتي (هوية لغوية أو دينية أو قومية) ، ولكل من هذه الهويات ثقافة وطقوس خاصة بها ، إن الهوية العراقية أخذت لها معالم أكثر وضوحا مع تشكل الدولة العراقية لكنها لم تصل إلى حد تكوين هوية وطنية محددة المعالم بل كان هذا التشكل في طور المرحلة الجنينية فقد حاول الملك فيصل الأول توحيد هوية الشعب عن طريق تحقيق تعادل اجتماعي متوازن يشرك العراقيين في العمل داخل مؤسسات الدولة لتقوية شعورهم بالإنتماء للدولة بدلأ من الطائفة ، لكن محاولاته هذه كانت محدودة غير فعالة بدرجة كبيرة ، ولكن استمر احترام الهويات المتعددة في العراق واحترام طقوسهم كل ذلك من أجل

---

(465) الايدلوجية والهوية : 40

(466) مفاهيم في الفلسفة : مادة هوية

(467) ينظر : من نحن التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية : 37

(468) ينظر : أزمة الهويات : 16





هوية أكبر وهي الهوية الوطنية العراقية فتكون هي هوية موحدة للجميع ، لكن عراق ما بعد عام 2003 وبسبب ماتعرض له من احتلال وتدمير ، فقد أصبحت هويته مهددة غابت عنه الوحدة الوطنية ودخل في مسألة نزاع الهويات ، ومن أسباب ضعف هذه الهوية في عراق ما بعد الاحتلال هو تبني السلطة أساس الطائفية والقومية في عملها ، أي اعتمادهم في عملها على التمييز الطائفي والقومي وغالباً ما يتم التعبير عن عملهم هذا بصيغ دينية محاولة منهم اضفاء نوع من الشرعية على عملهم وفهمهم للهوية الوطنية على إنها إلغاء الذات ، وتقمص ذات أخرى تفرض قسراً ، وكذلك الاحتلال الذي بدأ يسعى إلى تشكيل هذه الانقسامات من أجل تفكيك الهوية العراقية وذلك لمعرفتهم أن توحد هذه الهوية هو دمار لوجودهم فسعى جاهداً إلى تفكيكها ، فهذه السياسة واضحة منذ قيام مجلس الحكم وهو أول حكومة بعد تتشكل بعد حرب 2003 ، وهي حكومة قامت على أساس تقسيم طائفي لكن أصحابها رضوا بهذا التقسيم الذي كان منطلق لترسيخ مبدأ الصراع الهوياتي في العملية السياسية ليمتد للحياة الإجتماعية ، كذلك غياب ممارسة الديمقراطية في عراق ما بعد 2003 وضعف الثقافة بها أدى إلى تمسك كل شخص بهويته الذاتية وعدم تقبل وجود الآخر معه ، وكذلك عامل الأمن والأمان واستقرار الحالة الإقتصادية والسياسية في البلد ، فشعور الفرد بالأمن والأمان يجعله لايفكر بالهوية الذاتية ، إنما تطغى الهوية الوطنية وهي الهوية العراقية .

وبما إن الرواية انعكاس للواقع ونقله ، أصبحت الهوية وتقبل الآخر من أهم ثيمات العمل الروائي العراقي بعد 2003 ، فبدأت تتحدث في مضموناتها عن معطيات الاختلاف والتغاير في ظل مفهومي الأنا والآخر وهويتهما ولعل ما أغنى الرواية العراقية بمثل هذه الثيمات هو الإنفتاح على العالم الخارجي ، والأحداث المشاركة التي طالت العراق بعد 2003 فبدأت الرواية تتحدث عن أزمة الهويات التي جعلت أصحابها يجدون ملاذاً آمناً خارج وطنهم .

لقد طرحت الرواية العراقية مجموعة أسئلة من واقع أزمة الهويات ، وهي ما الهوية الطاغية على المجتمع العراقي بعد 2003 ، وكيف تشكلت هذه النظرة ، والمسألة الأكبر كيفية تعامل الآخر من وجود هذه الهويات وأقصد بالآخر المحتل وكذلك صاحب الهوية الأخرى أو السلطة التي تحكم البلد كيف تنظر إلى الهويات وتعددها ومدى تقبلها لمثل هذا الشيء ، فوجود الآخر مهم في إثبات الهوية ، لأن الهوية إذا كانت إحساس الأنا – سواء فردية أو جماعية كانت - بالإنتماء ، فإن هذه الأنا لا تتحد إلا بوجود الآخر إنطلاقاً من علاقة الأنا بالآخر ، وهذا يؤدي إلى فهم ضرورة وجود الآخر في إثبات الهوية لأنه "ليست هناك هوية للأنا دون هوية للنحن"(469) ، فهذا تأكيد لعدم القدرة على فصل الفرد من الجماعة ، لكن الصدمات والنزاعات جعلت بعض الهويات يتقوقعون حول ذاتهم ولا يتقبلون غيرهم .

لقد أخذت الرواية إلى استيعاب كل الصراعات وأزمة الذات والوجود الهوياتي وهي أزمة تتعلق بوعي الفرد ، وتجسيد الروابط بين الذات وبين الوطن .

---

[469] أزمة الهويات :40



بدأت الرواية العراقية تقدم قراءة انثروبولوجية لواقع الهجرة في العراق فضلاً عن الجدل الحضاري بين الأنا والآخر لبيان ملامح تقبل هوية الآخر ، لاسيما إن هناك فئات اتجهت إلى الهجرة للابتعاد عن عدم قبولها ، وهذه ظاهرة لابد للرواية أن تقف عند فهم حدودها وأسبابها وتداعياتها .

حيث انتجت هذه الإشكالية أزمة تقبل هوية الآخر ، وضرورة معالجة هذه الإشكالية لجعل الآخر يعي بحتمية وجود هوية الآخر .

الهوية والثقافة وقبول الآخر في رواية حلم وردي فاتح اللون

الروائية في سطور

هي روائية وقاصة عراقية ولدت في بغداد تخرجت في كلية الإدارة والإقتصاد ، عملت بعد ذلك سكرتيرة تحرير لعدد من الدوريات الثقافية كالموسوعة الصغيرة ومجلة الطليعة الأدبية (470) ، ثم في القسم الثقافي لمجلة ألف باء الإسبوعية العراقية ، بدأت الكتابة في بداية العشرينات من عمرها ، وكانت تعبر عن العالم المحيط بها ، وهو عالم الشباب والفرح والحب ، فراحت تكتب ما يتناسب مع هذه الموضوعات ، وقد توجت هذه البداية الإبداعية بقصتها (أجنحة للفراشات) التي نشرتها في مجلة الطليعة الأدبية عام 1978، ولكنها فيما بعد تحول اهتمامها بقضايا الحياة العامة ، ولكنها لم تهجر الموضوعات الأولى مع هيمنة المنحى الثاني على كتاباتها (471) ، وكان لكتابات الكاتبة بين أدب أطفال وقصص الخيال العلمي وغيرها أثر في جعل اسلوبها يختلف عن باقي الكاتبات.

حصلت على جوائز عدة خلال مسيرتها الأدبية كان أولها الجائزة الذهبية لمنتدى المرأة الثقافي في العراق عن مجموعة (لاتنظر إلى الساعة) عام 1997 ، وجائزة أندية الفتيات في الشارقة عن رواية (العيون السود) عام 2001 ، كما نالت جائزة باشراحيل لأفضل رواية عربية عن روايتها (نبوءة فرعون) لعام 2008، فضلا عن ترشيح روايتها (شاي العروس) للقائمة القصيرة لجائزة الشيخ زائد عام 2011، وحصلت ميسلون على جائزة كتارا عن روايتها العرش والجدول (472).

وتعد ميسلون هادي من الروائيات العراقيات المدافعات عن الأدب النسوي حيث قالت : "آن الأوان لكي يروى العالم من وجهة نظر إمرأة وعلى الرجال الذين ينزعجون من الإهتمام بالأدب النسوي لمجرد إنه نسوي ، أن يعرفوا أن قمع المجتمع سلاح ذو حدين ، سيحجم المرأة ظاهرياً ، ولكنه من جهة أخرى سيطلق طاقاتها" (473).

---

(470) الفراشة والعنكبوت دراسات في أدب ميسلون هادي القصصي والروائي :10

(471) ينظر : م.ن : 15

(472) ينظر : العراقية ميسلون هادي واقعنا يرتدي قميصاً كونياً يخلخل معادلة الأدب الكلاسيكي ، لقاء في جريدة القدس العربي https://www.alquds.co.uk/%ef% 15/يونيو / 2015

(473) حوار مع القاصة والروائية ميسلون هادي ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ، http://www.alnoor.se/article.asp?id=76676، 2010/5/8





من يقرأ روايات وقصص الكاتبة يرى أنها تنبض بالحديث عن الواقع العراقي بكل معاناته وقوته ، باسلوب يجعل القارئ يعيش مع أحداثها وشخصياتها وكأنه جزء منها ، من مؤلفات الكاتبة:

- الشخص الثالث ، مجموعة قصصية ، 1985
- الفراشة ، مجموعة قصصية ، 1986
- أشياء لم تحدث ، مجموعة قصصية ، 1992
- رجل خلف الباب ، مجموعة قصصية ،1992
- الطائر السحري والنقاط الثلاث رواية للفتيان ، 1995
- العالم ناقصاً واحد ، رواية ، 1999
- لاتنظر إلى الساعة ، مجموعة قصصية ، 1999
- رومانس ، مجموعة قصصية ، 2000
- يواقيت الأرض ، رواية ، 2001
- العيون السود ، رواية ، 2002
- الحدود البرية ، رواية ، 2004
- نبوءة فرعون ، رواية ، 2007
- حلم وردي فاتح اللون ، رواية ، 2009
- شاي العروس ، رواية ، 2010
- حفيد البي بي سي ، رواية ، 2011
- الليالي الهادئة ، قصة ، 2011,
- ماما تور بابا تور ، قصص خيال علمي ، 2012
- زينب وماري وياسمين ، رواية ، 2012
- أقصى الحديقة ، قصص ، 2013
- أجمل حكاية في العالم ، رواية ، 2014
- شاهدتهم وحدي ، مجموعة روايات للفتيان ، 2015
- جائزة التوأم ، رواية ، 2016
- العرش والجدول ، رواية ،2016






وكان لإنتاجها الكبير ، ورواياتها الواقعية الأثر الكبير الذي يجعل الباحثين يدرسون انتاجها ، فلم يدرس انتاجها الكتاب والباحثين في كتب تتحدث عن الأدب النسوي فحسب ، بل نتاجها دفع بطلبة الدراسات العليا في الجامعات الأخرى يتجهون لدراسة انتاجها الأدبي والوقوف عند ميزاته ، من هذه الدراسات :

- القصة القصيرة عند ميسلون هادي (دراسة موضوعية وفنية) ، رسالة ماجستير ، ايمان حسين محيي ، جامعة بغداد ،2009.
- البنية السردية في روايات ميسلون هادي ، رسالة ماجستير ، دعاء قحطان عباس ، جامعة بغداد ، 2012
- الحضور والغياب في الخطاب الإنثوي (رواية نبوءة فرعون)، رسالة ماجستير ، حسين أحمد ابراهيم ، جامعة الموصل ، 2013
- عالم ميسلون هادي الروائي (دراسة في الأشكال والمضامين) ، اطروحة دكتوراه ، فاضل عبود التميمي ، جامعة ديالى ، 2017 .
- وهناك رسائل وأطاريح تحدثت عن انتاج ميسلون هادي لكن بضمن الدراسة أي مع مجموعة من الكتاب ، وليس دراسة مخصصة عنها .

الهوية والثقافة وقبول الآخر في رواية حلم وردي فاتح اللون :

شكلت الهوية اشكالية كبيرة في السرد العراقي المعاصر ، ولاسيما بعد حرب 2003 ، حيث يظهر بشكل واضح الإنفتاح على الأمم الأخرى واختلاف الثقافات ، كذلك ظهور صراعات كبيرة في المجتمع العراقي ، كل ذلك أدى إلى ظهور اشكالية كبيرة في الهوية والثقافة وتقبل الآخر لهما في العراق ، ولأن الرواية بطبيعتها انعكاس للواقع ولإحساس الأديب بهذا الواقع الذي يعيشه أو يحيط به ، فقد جاءت رواية حلم وردي فاتح اللون لتمثل هذا الإنعكاس ، فمحور هذه الرواية قائم على علاقة كبيرة بين الهوية والثقافة ، ولعل أبرز ما يدل على ذلك قول ياسر ، الشخصية الرئيسة في الرواية ، "حكايتي غريبة ومتشعبة من عازف بيانو إلى متعبد ورع ، ومن متعبد ورع إلى عاشق ولهان ... ألم أقل لكِ نحن نتغير على الدوام" (474) ، وقوله كذلك : "فجأة أصبحوا يعاملوني بشكل أفضل عندما علموا بأني كنت طالباً للموسيقى في بلادهم ؟ ثم عادوا وتركوني عندما وجدوني أصلي وأقرأ القران" (475) فمن النصين يظهر للقارئ أن هناك علاقة قائمة بين الهوية والثقافة ، هي علاقة صراع على البقاء ، وأقصد باهوية هنا الهوية الدينية ، حيث أصبح ينظر إلى الدين بأنه جهل ، ولا يمكن الدمج بين الإثنين في شخصية واحدة ، أما أن تكون متدين جاهل ، أو مثقف كافر ، والدين لا نقصد به الإسلام فحسب بل كل الديانات بأنواعها الموجودة في العراق .

[474] الرواية : 126

[475] م.ن : 128

ومن قراءة للرواية كاملة يتضح أن الكاتبة أقامت روايتها على هذه العلاقة – علاقة الهوية والثقافة - ، وقد جعلت في روايتها شخصيات ذات ثقافات وهويات متعددة ، لتبين مدى تأثير الواقع والإنفتاح وكل التغييرات التي أصابت البلد بعد 2003 على مختلف الشخصيات باختلاف ثقافاتهم وهوياتهم .

مسألة الهوية التي تطرحها الروائية في روايتها تشير بها إلى مايمكن أن يحدث نتيجة تهديد تلك الهويات وقد تكون مصيرها الإعتقال أو القتل ، فتكون كما سماها الكاتب أمين معلوف (الهويات القاتلة) ، فنتيجة هويتها يكون مصيرها القتل ، وقد بين في كتابه أن "التكفير صيغة مرتبطة بالدين بصورة عامة ، لكنها ليست صورة للدين بقدر ما هي صورة لتبني الدين"(476) ، وهذا ما نراه في رواية حلم وردي فاتح اللون ، فالسبب في مطاردة ياسر واعتقاله هو هويته الدينية ، ففي الحوار الدائر بين أم ياسر وفادية تقول الأولى : "لا أدري كيف انتهينا إلى أن يصبح الدين بيننا مشكلة ؟ إنه يتردد على الجامع ... هذا كل ما في الأمر ... ولكنه ليس قاتلاً ، ألم أقل لكِ أن الدين أصبح عندنا مشكلة ، بل شبهة تؤدي إلى التهلكة"(477) وهذا مايدلنا إن مشكلة الهوية الدينية في البلد أدت إلى حدوث صراعات ويمكن أن تكون لعدم تقبل الآخر أو الجهل بوجوده ، وهنا مايثبت علاقة الثقافة بالهوية من منظور آخر فعدم وجود ثقافة تقبل هوية الآخر أدت إلى ظهور مثل هذه الصراعات ، بحيث أصبح "التصور الأعمى للهوية واحداءِ من أهم العوامل المسببة لهذا الإنخراط في التكفير"(478) .

إن مفهوم الهوية مختلف من بلد لآخر ولكن في العراق الهوية متعددة بشكل كبير سواء كانت هذه الهوية (هوية لغوية أو دينية أو قومية) ، لكن الأحداث التي شهدها العراق بعد 2003 زاد من اشكالية الهوية لتطغى هوية على حساب هوية أخرى ، هذا جعل الروائي العراقي ومن بينهم ميسلون هادي إلى استحضار الهويات العراقية لأنه واقع ثابت في ذهنهم ومعروف لديهم .

إن من أهم ما يميز الخطاب الروائي قدرته على استحضار الهوية بكل أشكالها والحديث عن الصراعات التي تعترض وجودها بشكل أعمق وأكثر جرأة ، فشخصيات رواية حلم وردي فاتح اللون ذات هويات متعددة ، ففي حديث آني - أم ياسر – يتبين كيف كان العراق مزيج من الهويات المتعددة في أسرة واحدة ، فهي تقول لفادية : "انظري أنا مسيحية وأبوه مسلم ، ونحن الإثنين من أهل الموصل ، وحمايّ متزوج من كردية ويعيش معها في دهوك"(479) ، فمن هذا القول يتضح تعدد الهوية الدينية واللغوية داخل اسرة واحدة فما بالك بالعراق بأكمله لكن هذه الهويات كانت تعيش دون أن يمسها الخطر قبل حرب 2003 ، كانت هناك هوية أقوى وهي الهوية الوطنية العراقية أن الجميع باختلاف ثقافاتهم هم يندرجون تحت مسمى هوية واحدة وهي الهوية العراقية ، وكان هناك تقبل للآخر مهما اختلفت هويته ، لكن بعد حرب

---

(476) الهويات القاتلة : 24

(477) الرواية : 98-99

(478) الهويات القاتلة: 24

(479) الرواية : 98





2003 أصبحت الهوية بكل أنواعها تشكل رفضاء من قبل الآخر ، كذلك كان للهوية السياسية وتعددها مكاناً في رواية حلم وردي فاتح اللون ، ففي حديث فادية مع ياسر تقول له : "جدك قومي وأبوك شيوعي وأن الآن هل أقول اسلامياً"(480) لكن هذا الصراع الهوياتي لم يكن موجودا كما قلنا سابقاً أو بمعنى آخر لم يكن يشكل تهديداً ، وهذا ما أكده ياسر بإجابته لسؤال فادية "ألا يجوز لعازف البيانو أن يصلي ويذهب إلى الجامع ؟ ، أم إننا لا نتغير طوال الوقت ؟ أم إن جدي ووالدي لا يذهبان إلى الجامع ؟ كل واحد منهما ترك أثراً في نفسي ، وكل ما هو جميل لا يتعارض مع الدين" (481) .

أدى عدم تقبل الآخر إلى هجرته خارج البلاد والبحث عن بلاد يؤمن بها على حياته ، ونلاحظ تركيز الروائية على إن سبب هجرة العراقيين من بلادهم هو عدم تقبل هويتهم من الآخر ، والآخر سواء كان المحتل القادم من خارج البلاد أو من سياسة الدولة أو الجماعات التي بدأت تظهر بعد حرب 2003 ، ولكل منهم آراءها التي تؤكد على عدم تقبل الآخر ، وهذا ما نلاحظه في قول ياسر: "إنهم يهربون من الموت إلى الحمى ، وقد أصبحت مفردات المعونة وطوابع الطعام أجمل في أفواههم من هذا الوطن التعيس" (482) ، هذا يدل أن على الرغم من ضيق المعيشة في الخارج لكنها أهون من أجل الحفاظ على النفس التي تموت في بلد بدأ فيه القتل والإعتقال يعتمد على هوية الإنسان .

ولم تكن عدم تقبل الآخر والهجرة بسبب الهوية فقط ، إنما بسبب ما يقع مع الهوية من علاقة وهي الثقافة ، فقد أصبح المثقفين مذمومين ينظر لهم نظرة عدم تقبل في عراق ما بعد 2003 ، فصديق ياسر في الشقة بأمريكا قد ترك مهنة الطب وبدأ يطلب اللجوء بسبب عدم تقبل بعض الجهلة للثقافة بعد 2003 وهذا ما قاله عندما تحدث عن سبب عدم عودته للعراق وترك مهنة الطب على لسان ياسر إنه "حاول العثور على عمل كطبيب ولم يفلح ، وإن عودته إلى العراق مستحيلة ، لأن زميله في المنحة الدراسية التي حصل عليها بعد الحرب قُتل أول عودته إلى العراق ، فخاف هو من العودة" (483) .

وقد دعت هجرة المثقفين وأصحاب الهويات المرفوضة في العراق إلى عقد مقارنة بين العراق وخارجه ، وبين واقع العراق قبل وبعد حرب 2003 ، لإبراز معاناتهم في رفض هوياتهم وثقافاتهم ، فعندما عاد ياسر بذاكرته إلى العراق القديم ليثبت لفادية أن العراق هو واحد بكل ثقافته وهوياته فقال : "جدي لأبي مسلم من بيت الرسام وجدي لأمي مسيحي من بيت الرسام ، ولم أجدهما قد اختلفا في يوم من الأيام ، بل كانت أمي تقول لأبي إن المكتبة اختراع رافديني بحت ، وإن أحد أجدادها هو الذي اكتشف مكتبة آشور بانيبال ... فيقول لها إن أجداده استماتوا في الدفاع عن سور الموصل وهم يرممونه كلما هدمته مدفعية قوات نادر شاه"(484) ، في هذا القول تأكيد أن اختلاف الدين أو اللغة أو الثقافة أو أي

(480) م.ن : 103

(481) م.ن : 103

(482) م.ن : 132

(483) الرواية : 130

(484) م.ن : 134





هوية ينتمي لها الشخص في العراق كلها كانت موجودة للدفاع عن هوية أقوى وهي الهوية العراقية على الرغم من تعدد الهويات داخلها ، وأحياناً يترك عراق ما قبل وبعد 2003 ليقارن بينه –أي العراق- وبين أمريكا البلد التي كان يسكنها قبل عودته فيقول : "في بلاد الكفر يذهب الناس بحرية إلى جوامعهم ، ونحن هنا لم نعد قادرين على الوصول إليها"(485) ، وقوله : "في وجودي في بوسطن ، لم يكن هناك من يمنعني من ممارسة عباداتي ، بل اقامة صلاتي في الجامع ، أو يجدها متعارضة مع دراستي للموسيقى"(486) ، في هذا النص بالتحديد يوضح لنا اشكالية العلاقة بين الهوية والثقافة ، ففي عراق ما بعد 2003 بدأ ينظر إلى صاحب الدين ، أو الذي يقيم عبادته بأنه مذموم حتى لو كان يملك من الثقافة القدر الكبير وكأن الثقافة أصبحت ضد الهوية الدينية .

لكن كل هذه الاشكاليات التي رافقت المثقفين وأصحاب الهويات المرفوضة ، يبقى للروائي حلمه الذي يرسمه ويكتبه بفكره وقلمه، فمن ذلك الروائية ميسلون هادي التي جعلت وجود مثقفين وأناس يدركون ضرورة وجود الآخر في حياتهم وبأن وجوده هو تأكيد لوجوده ذاتياً ، ولتؤكد الروائية حلمها بتوحيد الهويات تحت هوية واحدة هي هوية الوطن ، جعلت إنقاذ ياسر الشاب المطارد من قبل الحكومة الرافضة لوجوده بسبب تدينه وارتياده للجامع ينقذ على يد شخصية ختام صاحبة هوية دينية أخرى وهي الصابئية ، بل براعة الروائية جعلت عيد من أعياد الديانة الصابئية هو الذي ينقذه ، وهذا ما قيل في حوار بين ياسر و ختام في عرضها لإنقاذه حيث قالت: "عندي فكرة أفضل .. العيد الصغير بعد أيام ، وسنذهب إلى المندى في القادسية من أجل المصبتا والإرتماس في ماء دجلة .. إنه عيد الإزدهار للصباغة والتطهر بالماء الجاري وعقد الصلح بين المتخاصمين . سأعطي ياسر رستة أبن عمي غزوان البيضاء وسنأخذه معنا إلى النهر بحجة الرشامة ، ولن ينتبه حرس السيطرات لذلك لأنهم يعرفوننا جيداً ، وفي سيارة بيت أختي يمكنه الإختباء بالملابس البيض ، سنأخذه معنا إلى النهر حيث يتصافح الجميع بعد أن يضعوا خواتم الياس في خناصر أيديهم اليمنى .

صمتنا جميعا كم حط على رأسه الطير ، وسألها ياسر :

- هل أنت صابئية ؟

قالت وهي تنظر إلى آبي :

- نعم .. ألم تخبرك أمك ؟

نظرنا نحن الإثنين إلى آبي نبحث في وجهها عن تأكيد ، فوافقت على كلامها ثم قالت :

هذا أفضل ما سمعته لحد الآن .

ولكي تكتمل غرابة المشهد ، وافق ياسر على كلامها فوراً ، وقال لها :

---

(485) م.ن : 99

(486) م.ن : 132







- لديكم عيد للصلح وعيدنا أصبح ثلاثة أعياد من شدة الخلاف . هات ملابس ابن عمك البيض"(487) ، فلو دققنا في النص نلاحظ نقاط عدة تؤكد أن الروائية تريد تماسك الهويات وهي :

- جعلت هناك ثلاث هويات دينية موجودة في اجتماع انقاذ صراع الهويات كما يمكننا أن نسميه ، فياسر وفادية يمثلان الديانة المسلمة ، وآني تمثل الديانة المسيحية ، وختام تمثل الديانة الصابئية ، وهي الديانات الثلاث الرئيسة في العراق .
- تأكيدها على إن اللباس الذي سيرتديه ياسر في انقاذه هو الأبيض ، كأنها تريد القول أن هذا اللباس وهو الذي يعد من الأشياء التي تحدد الهوية هو خلع لباس السواد الخاص بالصراعات الهوياتية وإرتداء لباس البياض الخاص بوجود هوية أقوى من هذه الصراعات وهي هوية الوحدة العراقية التي لا يستطيع أي شخص أن يفرقها .
- الشيء الآخر التي أرادت أن تؤكده الروائية هو أن الهويات المرفوضة دائما ماتعقد مقارنة بينها وبين غيرها كما سيبق وأن ذكرناها عندما قارن بين العراق وأمريكا ، والعراق قبل وبعد 2003 ، وهنا تعقد مقارنة بين الديانتين الإسلامية والصابئية في عراق ما بعد حرب 2003 .
- أن الإختلافات الهوياتية لم تطال الهويات الدينية المختلفة ، إنما ظهرت إختلافات داخل الدين الواحد فقسمته إلى أكثر من طائفة ، كل ذلك سببه الإحتلال وسياسة البلد الجديدة .

الخاتمة :

بعد الإنتهاء من رحلتنا البحثية التي عسى أن نكون وفقنا في الوقوف على مسألة الهوية وإشكالاتها في المجتمع العرافقي بعد 2003 وكيفية طرحها من قبل الروائي ، توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات ، وأهم تلك النتائج .

- أن قضية الهوية ليست مسألة هينة ، فالهوية ليس لها اسس ثابتة وحدود معينة .
- ظهر موضوع الهوية وإشكالاتها في النص الإبداعي الروائي ، بوصفه أحد خطاباتها الذي يوثق الصلة بالمجتمع فكرياً وثقافياً .
- الروايات سلطت الضوء على تهميش الهويات ، وعدم تقبلهم من الآخر ، وكانت هوياتهم تقودهم للإعتقال أو القتل ، مما جعل أصحابها يبحثون عن ملاذ آمن خارج بلادهم .

(487) الرواية : 117-118

- أن هناك علاقة كبيرة بين الهوية والثقافة ، فالثقافة هي التي تحدد هوية صاحبها ، كما إن لها دور كبير في تقبل وجود أصحاب الهويات المتنوعة في المجتمع العراقي ، فالمثقف يتقبل نظرة وجود الآخر وأما عدم تقبل التنوع الهوياتي فهو سببه الجهل .
- أن الثقافة والهوية كلاهما عاشا واقعا مريرا في عراق ما بعد 2003 ووجدا تهميشا من قبل الآخر .
- إن الروائية في روايتها طرحت لأسباب وجود هذه الإشكالية في المجتمع والتي تعود إلى وجود الإحتلال الذي لايريد توحد البلاد ، إضافة إلى حكومة قامت على أساس حزبي وفرقت المجتمع إلى أحزاب .
- إن أصحاب الهويات المهمشة بدأوا يقارنون بين وضعهم ووضع العالم الخارجي وبين حالهم الآن وحالهم قبل 2003 ، وهذا ما أكدته الروائية في روايتها ، من أجل توضيح حجم المعاناة التي يعانيها أصحاب الهويات المهمشة .
- أن الرواية العراقية عموما ورواية حلم وردي لم تطرح أسباب إشكالية الهوية ونتائجها ، إنما بدأت تعالج هذه الإشكالية ، ففي رواية حلم وردي ركزت الباحثة على وحدة الهويات تحت هوية واحدة هي هوية العراق عندما جعلت هوية ثالثة تنقذ الهوية المطاردة بالإعتقال .

أما التوصيات :

- إجراء بحوث مماثلة تتحدث عن القيم والعادات التي تميز الهوية العراقية .
- اجراء بحوث تعزز من قيم الإنتماء والهوية الوطنية .
- التأكيد على قيم الإنتماء والهوية الوطنية في المناهج الدراسية .
- دراسة إشكالية الهوية في المجتمع العراقي وانعكاسها على الهوية العراقية .

المصادر والمراجع :

الكتب :

- أزمة الهويات ،كلود دوبار ،ترجمة : رنده بعث ، المكتبة الشرقية ، ط1، 2008.
- الاستشراق ، إدوارد سعيد ،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت ، ط5 ، 2001.
- الايدلوجية والهوية ، جورج لارين ، ترجمة فريال حسن ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، ط1، 2002.
- التعريفات ، الجرجاني ،بغداد ، د.ط ،1986 .
- دراسات في الثقافة والتراث والهوية ، شريف كناعنه ، تحقيق : مصلح كناعنه ، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية ، 2011.
- رواية حلم وردي فاتح اللون ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 2009 .
- الفراشة والعنكبوت دراسات في أدب ميسلون هادي ، د.نجم عبد الله كاظم ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1، 2006 .
- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر بيروت



- المعجم الوسيط ، اخرجه ابراهيم أنيس وأخرون ، مجمع اللغة العربية ط1 .
- مفاهيم في الفلسفة ، أحمد النوره جي ، بغداد ، ط1 ، 1990.
- من نحن التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية ، صاموئيل هنتنغتون ، ترجمة حسام الدين خضور ، دار الراي ، دمشق ، 2005.
- الهويات القاتلة ، أمين معلوف ، ترجمة :د. نبيل محسن ، ورد للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،1999 .
- الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي ، عبد العزيز بن عثمان التويجري ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسيسكو ، 1997.
- الدوريات :
- التحولات السياسية وأثرها في أزمة الهوية وتأرجحها في رواية عشاق وفونوغراف وأزمنة ، أ.م.د إسراء حسين جابر ، مجلة آداب جامعة الخرطوم ،عدد 40 يوليو 2018 .
- المواقع الألكترونية :
- حوار مع القاصة والروائية ميسلون هادي ، مؤسسة النور http://www.alnoor.se/article.asp?id=76676 ، 2010/5/8 .
- العراقية ميسلون هادي واقعنا يرتدي قميصاً كونياً يخلخل معادلة الأدب الكلاسيكي ، لقاء مع جريدة القدس العربي
- https://www.alquds.co.uk/%ef% 15/يونيو / 2015



دور الاعلام في دعم الهوية المصرية

The role of the media in supporting the Egyptian identité

دراسة مطبقة علي الادارة العامة لإعلام غرب الدلتا (البحيرة وكفر الشيخ)

د/عبدالفتاح أحمد زيدان السيد
المعهد المتوسط للخدمة الاجتماعية بكفر الشيخ
abdelftah.zidan@yahoo.com
aabdelftah,zidan@gmail.com

ملخص:

تسعي الدول الي الحفاظ علي هويتها التي تميزها عن باقي الدول ومن بينها مصر ولمراكز الاعلام دور في المجتمع ولذا فان الدراسة تسعي الي التعرف علي هذا الدور من خلال هدف عام وهو تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية من خلال :- تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية الوطنية للمجتمع ، تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية الثقافية، تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية السياسية، التعرف علي التحديات التي تواجه الهوية المصرية في المرحلة الحاليةالتعرف علي المعوقات التي تواجه مركز الاعلام في القيام بدورها لدعم الهوية المصرية ، تحديد أليات تفعيل العمل بمركز الاعلام لدعم الهوية المصرية، محاولة الوصول لرؤية تصورية لطريقة تنظيم المجتمع لتفعيل دور مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية وتفترض الدراسة وجود علاقة دالة احصائيا بين دور مراكز الاعلام ودعم الهوية المصرية من وجهة نظر العاملين بها باستخدام دراسة وصفية تحليلية ومنهج المسح الشامل لمراكز الاعلام لمنطقة وسط الدلتا لمديري واخصائي الاعلام والعاملين بالمركز وعددها تسعة مراكز منهم 7 مركز أعلام و2 النيل للأعلام.

الكلمات المفتاحية :- الدور ،الاعلام ، مراكز الاعلام ،الهوية



Abstract

ountries seek to preserve their identity that distinguishes them from other countries, including Egypt. Media centers have a role in society. Therefore, the study seeks to identify this role through a general goal, defining the role of media centers in supporting the Egyptian identity throughDefining the role of media centers in supporting the national identity of society, defining the role of media centers in supporting cultural identity, determining the role of media centers in supporting the political identity, identifying the challenges facing the Egyptian identity in the current stage

Identifying the obstacles facing the media center in carrying out its role to support the Egyptian identity, determining the mechanisms of activating the work of the media center to support the Egyptian identity, trying to reach a conceptual vision of the way to organize society to activate the role of media centers to support the Egyptian identity. The study assumes the existence of a statistically significant relationship between the role of media centers and the support of the Egyptian identity From the point of view of its employees.

Using an analytical descriptive study and a comprehensive survey methodology for media centers for the Central Delta region

For media managers and specialists and the center's workers, the number is 9 centers, including 7 flags centers and 2 Nile Media Centers.

Key words: - Role, media, media centers, identity

1-.مقدمة

ان لكل دولة من دول العالم ثقافتها وهويتها من لغة وعادات وتقاليد وقيم أصيلة تميزها عن باقي الدول ،ولقد تأثرت بعض الدول بالثقافات الوافدة من الخارج في ظل أنتشار العولمة حتي اصبح العالم قرية واحدة ,وكان لمواقع التواصل الاجتماعي والانترنت وكل أشكال التكنولوجيا الحديثة بالرغم من الايجابيات الكثيرة لها دور سلبي علي هوية الدول ،ومن بينها مصر ,ونظرا لما يقوم به الاعلام من دور في الحفاظ علي تلك الهوية ومن بين تلك الوسائل مراكز الاعلام التابعة للهيئة العامة للاستعلامات وما يمكن ان تقوم به من دور في دعم والحفاظ علي الهوية المصرية (الوطنية والثقافية والسياسية)تأتي أهمية تلك الدراسة للتعرف علي دور تلك المراكز في دعم الهوية والتحديات التي تواجه الهوية المصرية وكذلك مراكز الاعلام في القيام بدورها للوصول الي أليات لتفعيل دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية.



2- مشكلة الدراسة--:

حرصتْ شعوبُ العالم منذُ بداية البشريّة حتّى هذا اليوم إلى المُحافظةِ على تميُّزها وتفرُّدها اجتماعيّاً، وقوميّاً، وثقافيّاً، لذلك اهتمتْ بأن يكون لها هويّةٌ تُساعدُ في الإعلاءِ من شأن الأفراد في المُجتمعات، وساهم وجود الهويّة في زيادةِ الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ممّا ساهمَ في تميُّزِ الشّعوب عن بعضهم بعضاً، فالهويّة جزءٌ لا يتجزّأ من نشأة الأفراد منذُ ولادتهم حتّى رحيلهم عن الحياة (محمد ابو خليف ، ١٢ فبراير، 2018[488])

إن وسائل الإعلام هى الأقوى على وجه الأرض، وهذه القوة التي تتحكم في عقول الجماهير وهذا ما دفع بعض الدول أن تتبنى فكرة الإعلام بوصفة قوة داعمة ومؤثرة فى المجتمع، ورصدت بعدها المادي والمعنوي من أجل حسم بعض القضايا، ويجب أن يدار الإعلام بشكل احترافى سواء هذا الإعلام مرئيا أو مسموعًا أو مقروءا.

وأكد الدكتور حاتم ربيع، أنه آن الأوان أن يقوم الإعلام بدوره للحفاظ على الهوية الثقافية والتاريخية والوطنية، وذلك من خلال قيام دور وسائل الإعلام بدقة وحسم،(حاتم ربيع ،2019)[489]

إن تعزيز الهوية الوطنية يجب أن لا تعتبره وسائل الإعلام وظيفة موسمية، ترتبط بمناسبات وطنية ينشط فيها الحديث عن حب الوطن ثم تعود أدراجها، ولكن ينبغي أن تنبع من رؤية استراتيجية توضع الخطط البرامجية على أساسها، وتنطلق منها كافة القوالب والأشكال والبرامج، من خلال ربط المواطن بواقعه، وتحفيز الانتماء الوطني، وتحقيق الإنجازات، واستنفار الطاقات، وإلقاء الضوء على الكفاءات الوطنية، ورعاية الموهوبين، وتنمية التفكير المبدع في كافة المجالات، وتقديم النموذج والقدوة والمسؤولية والمهنية في التعاطي مع القضايا عبر تجارب واقعية، فضلا عن تعريف الأجيال بتاريخ وطنهم والوفاء لاتحاده وما بذل من أجله.. كل ذلك مع أهمية الانفتاح على كافة الثقافات، والاستفادة من علوم العصر ومعارفه الحضارية المتطورة، وأن نتعامل مع الغير على قدم المساواة، أخذا وعطاء.. عندئذ يكون إعلامنا بحق قد قام بالدور المأمول في تعزيز الهوية الوطنية.(خالد الخاجة ،2013)[490] وتبحث الدراسة الحالية القضايا التالية:

ما دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية (الوطنية ، الثقافية ، السياسية)؟ ما التحديات التي تواجه مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية ؟ ما التحديات التي تواجه الهوية المصرية في المرحلة الحالية ؟ ما اليات تفعيل مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية ؟

3- الدراسات السابقة-

دراسة Anne mette Kjærgaard,(2011)[491]

---

[488] محمد أبو خليف : (فبراير 2018) تعريف الهوية رابط https://mawdoo. com.

[489]-حاتم ربيع (2019) دور الإعلام فى دعم الهوية المصرية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة.-

[490] خالد الخاجة (2013) اعلامنا والهوية الوطنية ، جريدة البيان ، الامارات العربية

[491] Annemette Kjærgaard.2011 Mediating Identity: A Study of Media Influence on Organisationnel Identity Construction in a Celebrity Firm. Stockholm School of Economics, Copenhagen Business School .University College London

دراسة حول آثار التغطية الإعلامية الإيجابية على إعادة بناء الهوية التنظيمية. تسلط الدراسة الضوء على مدى تأثير التغطية الإيجابية المكثفة لدرجة تحويل منظمة إلى شخصية مشهورة على طريقة فهم الأعضاء لمنظمتهم (تأثير صناعة الحواس) والإشباع الذي يحصلون عليه من تمثيلها الإيجابي (تأثير التعزيز الذاتي). وتوصلت الدراسة الي أن التمثيلات الإعلامية الإيجابية تعزز توافق الأعضاء حول فهم جديد ناشئ لماهية مؤسستهم. .

دراسة (Uğur Gündüz,(2017[492]

) تأثير وسائل الاعلام على المجتمع، توصلت الدراسة الي أن وسائل التواصل الاجتماعي تتيح التعبير عن الهوية والاستكشاف والتجريب تمكين الأفراد من تقديم أنفسهم للآخرين وتحديد الطريقة التي يرغبون في أن يكونوا مدركين لها بالإضافة إلى مساعدتهم على التواصل والتفاعل مع الناس والمشاركة في الأنشطة التي يرغبون فيها. يوفر الاتصال عبر الإنترنت العديد من الطرق للتواصل مع الآخرين: قد يستخدموا أسمائهم الحقيقية وقد لا يستخدمونها ، ويمكنهم فتح العديد من الحسابات كما يريدون .

دراسة (Catherine Happer * a , Greg Philo a.2013)[493]

تأثير وسائل الإعلام في بناء المعتقدات والمواقف العامة وعلاقتها بالتغيير الاجتماعي. ماتأثير التغطية الإعلامية في مجالات مثل الإعاقة وتغير المناخ والتنمية الاقتصادية. واظهرت النتائج، حول الإعاقة أن العلاقة بين التغطية الإعلامية السلبية للأشخاص الذين يتلقون إعانة الإعاقة وتصلب المواقف تجاههم، وجدنا أن وسائل الإعلام تحد بشدة من المعلومات التي يفهم بها الجمهور هذه القضايا وأن الحلول البديلة للمشاكل السياسية يتم إزالتها بشكل فعال من النقاش العام. وجدنا أدلة أخرى على الطريقة التي يمكن أن تعمل بها التغطية الإعلامية للحد من فهم إمكانيات التغيير الاجتماعي. في دراستنا للتقارير الإخبارية عن تغير المناخ ، تتبعنا الطريقة التي بنت بها وسائل الإعلام حالة عدم اليقين حول هذه القضية..

د راسة (Madison Ganda.2014)

بحثت هذه الدراسة شرح تأثيرات التغذية الراجعة المرتبطة بالأنترنت ومواقع الشبكات الاجتماعية المرتبطة بها

على تطوير الهوية في وضع عدم الاتصال والعرض. تم استخدام استبيان مقياس ليكرث على الإنترنت للمشاركين ، المشاعر تجاه مواقع التواصل الاجتماعي التي استخدموها. تحليل البيانات المجمعة

استخدم نموذج الانحدار لاستكشاف الروابط المحتملة بين التعليقات على المشاركات عبر الإنترنت

لدراسة الجوانب العملية لبناء الهوية ، فيما يتعلق بقضايا المجتمعات الافتراضية ووسائل التواصل الاجتماعي .

---

[492] Uğur Gündüz(2017) The Effect of Social Media on Identity Construction Mediterranean Journal of Social Sciences 8(5) Istanbul University

[493] Catherine Happer * a , Greg Philo a.2013) The Role of the Media in the Construction of Public Belief and Social Change.] Glasgow University Media Group, University of Glasgow, Glasgow. United Kingdom.





دراسة (رفيق يونس صالح (2016)[494] تهدف الدراسة الي التعرف علي تأثير وسائل الاعلام الرسمية علي تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية ،وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها أن تقوم القناة الفلسطينية الفضائية بتناول موضوع الوطنية الفلسطينية ،ضرورة تنمية الانتماء الوطني لدي المواطنين ، غرس حب الوطن لديهم من خلال الرجوع للتراث الفلسطيني

أوجه استفادة الباحث من الدراسات السابقة:

.1- بلورة مشكلة الدراسة الحالية أبعادها ومفاهيمها-

2-.وجهت الباحث الي الاطار النظري لفهم مشكلة الدراسة-

3- ساعدت الباحث في اعداد الأسئلة والفرضيات.

. 4- تساعد في الفهم والتفسير للنتائج التي توصلت اليها الدراسة

4- أهمية الدراسة-

: ترجع أهمية الدراسة الي ما يلي:-

1-الحفاظ علي القومية والوطنية كقيم أصيلة للمجتمع في ظل أنتشار الثقافات الوافدة من الخارج-

2- يؤدي الحفاظ علي الهوية الي تنمية وتطور المجتمع -

3 - قد تساهم تلك الدراسة في تنمية القيم الايجابية بين المواطنين -

. 4- ما يمكن أن تقوم به مهنة الخدمة الاجتماعية في تنمية الهوية المصرية-

5- .قد تلعب مراكز الاعلام دورا في مواجهة التحديات التي تواجه الهوية-

-5-,أهداف الدراسة-:-

تهدف هذه الدراسة الي :-

الهدف العام للدراسة :-

تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية

من خلال عدة أهداف فرعية وهي :-

1-تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية الوطنية.

[494] رفيق يونس صالح (2016) : تأثير وسائل الاعلام الرسمية علي تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية ،ماجستير، جامعة النجاح ، كلية الدراسات العليا





2-تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية الثقافية.

3-تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية السياسية.

4-التعرف علي التحديات التي تواجه الهوية المصرية في المرحلة الحالية .

5-التعرف علي المعوقات التي تواجه مركز الاعلام في القيام بدورها لدعم الهوية المصرية .

6-تحديد أليات تفعيل العمل بمركز الاعلام لدعم الهوية المصرية .

7- محاولة الوصول لرؤية تصورية لطريقة تنظيم المجتمع لتفعيل دور مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية

6-فروض الدراسة :-

تقوم هذه الدراسة علي فرض رئيسي وهو :-

توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين دور مركز الاعلام ودعم الهوية المصرية (من وجهة نظر العاملين بتلك المراكز)

وعدة فروض فرعية وهي :-

1-توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين دور مركز الاعلام ودعم الهوية الوطنية(من وجهة نظر العاملين بتلك المراكز)

2-توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين دور مركز الاعلام ودعم الهوية الثقافية (من وجهة نظر العاملين بتلك المراكز)

3-توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين دور مركز الاعلام ودعم الهوية السياسية (من وجهة نظر العاملين بتلك المراكز

7- مفاهيم الدراسة :-

أ-مفهوم الدور

دور ، في علم الاجتماع ، والسلوك المتوقع من فرد يشغل منصبًا أو وضعًا اجتماعيًا معينًا. الدور هو نمط شامل للسلوك المعترف به اجتماعيا ، ويوفر وسيلة لتحديد ووضع الفرد في المجتمع. كما أنه بمثابة استراتيجية للتعامل مع المواقف المتكررة والتعامل مع أدوار الآخرين (مثل أدوار الوالدين والطفل). يؤكد المصطلح ، المستعير من الاستخدام المسرحي ، على التمييز بين الممثل والجزء. يظل الدور مستقرًا نسبيًا على الرغم من أن الأشخاص المختلفين يشغلون هذا المنصب: أي فرد يعين دور الطبيب ، مثل أي ممثل في دور هاملت، من المتوقع أن يتصرف بطريقة معينة. قد يكون للفرد أسلوب فريد من نوعه ، ولكن يتم عرض ذلك ضمن حدود السلوك المتوقع[495].

تتضمن توقعات الدور كلاً من الإجراءات والصفات: قد يُتوقع من المعلم ليس فقط إلقاء المحاضرات وتعيين الواجبات المنزلية وإعداد الاختبارات ولكن أيضًا أن يكون متفانيًا ومهتمًا وصادقًا ومسؤولًا. عادة ما يشغل الأفراد عدة مناصب ،

[495] Adam Augustyn (2020),role sociology,Encyclopaedia,Britannicahttps://translate.google.com





- السلوك او الواجب الذي يقوم به الفرد او المؤسسة تجاه الوطن .
- لهذا الدور متطلبات تختلف باختلاف الأدوار.
- يقصد بالدور بالدراسة الحالية مجموعة الانشطة والبرامج التي تقوم بها مراكز الاعلام في الحفاظ علي هوية الوطن .

ب-مفهوم الاعلام :- هو نشر وتقديم معلومات وحقائق ،وأخبار وموضوعات ،للجماهير من مصادرها

(عبدالفتاح محمد(1999)[496]

يشير الخطاب الإعلامي إلى التفاعلات التي تحدث من خلال منصة البث ، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة ، والتي يتم فيها توجيه الخطاب إلى قارئ أو مستمع أو مشاهد غير موجود. لم يكن المستلم قادرًا على الرد فورًا على تعليقات المنتج ، على الرغم من أنها تغيرت مع ظهور الوسائط المتعددة أو ما يسمى بالوسائط الجديدة. (Mariia Kuznetsova Ievgenia Chetvertak.2019)

يقصد به تزويد الناس بالأخبار او المعلومات الصحيحة والسليمة بالإضافة الى الحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين راي سليم لواقعة من الوقائع او مشكلة من المشاكل بحيث يعبر هذا الراي السليم تعبيرا "موضوعيا" عن عقلية الجماهير وميولهم ويقول عبد اللطيف في الاعلام الاتي: "الاعلام وسيلة من الوسائل الديمقراطية تستخدم في توعية الناس وتبصيرهم وكذلك في الرقابة[497](علي إسماعيل حمة الجاف2012(0:

العملية الاعلامية تتلخص في (المصدر الرسالة ،الوسيلة ، المستقبل ، التأثير ،رد الفعل)محمد مصطفي (2000)[498]

الهيئة العامة للاستعلامات

الهيئة العامة للاستعلامات هي هيئة حكومية تتبع رئاسة الجمهورية وتضطلع بدورها " كجهاز الإعلام ومنذ إنشائها عام 1954 قامت الهيئة العامة للاستعلامات بأدوار عديدة على الصعيدين الداخلي والخارجي لشرح سياسة الدولة في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومواقفها إزاء مختلف القضايا (الهيئة العامة للاستعلامات (2018)[499].

وفى الوقت الراهن .. تقوم الهيئة بعدد من المهام الأساسية منها:--

تقديم صورة مصر إلى الرأي العام العالمي ،توفير التسهيلات للصحفيين والمراسلين..

---

[496]-عبدالفتاح محمد (1999)سيكولوجية الاتصال والاعلام ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .

مفهوم الاعلام وعناصر،كتاب ألموقع، مجلة تللسقف .[497] (2012)علي إسماعيل حمة الجاف

3- محمد مصفي محمد (2000) الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية

الهيئة العامة للاستعلامات (2018) ، مدينة نصر ، القاهرة رابط[499]- https://www.sis.gov.eg





-التثقيف السياسي والتوعية الاجتماعية للمواطنين ،توعية بالقضايا والمشكلات الوطنية (مثل قضية زيادة السكان وقضايا البيئة) في المناطق الريفية والنائية في أنحاء مصر من خلال مراكز النيل للإعلام ومراكز الإعلام الداخلي

قطاع الاعلام الخارجي :من خلال مكاتبه الإعلامية في الخارج الملحقة بالسفارات وهي همزات الوصل بين مصر ودوائر الإعلام في دولة المقر مما يسهم في طرح جوانب الصورة المصرية وكافة أبعادها على العام بالعالم الخارجي.

قطاع الإعلام الداخلي

، وتدور أهم محاور العمل في مراكز الإعلام الداخلي حول القضايا المحلية وذلك من خلال مراكز الإعلام الداخلية المنتشرة في جميع المحافظات والبالغ عددها (64 مجمعاً ومركزاً) و(27) مركز نيل و(44) نادياً للطفل و(49) نادياً للاستماع والمشاهدة و(36) فصل لمحو الأمية وتعليم الكبار و(60) مركز لتنظيم الأسرة و(38) مكتبة عامة و(63) وحدة رأى عام و(30) نادى للتكنولوجيا و(36) نادى أصدقاء البيئة و(40) نادى أصدقاء الإعلام

أهداف رسالة الإعلام الداخلي الهيئة العامة للاستعلامات (2018)[500]:

تنمية الشعور بالمسئولية السياسية والاجتماعية والقومية،- القيام بدور الوسيط فى عمليات التنمية ..

،مواجهة القيم وأنماط السلوك السلبية والمضادة لجهود تنمية المجتمع المحلى، والحفاظ على القيم وأنماط السلوك الإيجابية، والمساندة لخطط التنمية، والقيام بدور مكمل فى نشر وتدعيم القيم الجديدة.

التصدي للمشكلات القومية مثل المشكلة السكانية والأمية، البيئة، التعرف على اتجاهات الرأي العام.

ويمكن تعريف مراكز الاعلام إجرائيا علي النحو التالي :

مؤسسات تتبع الهيئة العامة للاستعلامات التابعة لرئاسة الجمهورية.(مراكز أعلام، النيل للإعلام) -

تهدف تلك المراكز الي مناقشة القضايا المجتمعية ، وقياس اتجاهات الآراء حولها بالنسبة للمواطنين-

الادارة العامة لإعلام غرب الدلتا تضم كفرالشيخ وبها (اعلام كفرالشيخ ، النيل للإعلام ،اعلام دسوق، اعلام قلين ، مطوبس) والبحيرة وتضم (مجمع أعلام دمنهور أعلام كفرالدوار،اعلام مديرية التحرير بحيرة)

ج-مفهوم الهوية :

تُعرفُ الهويّة في اللّغة بأنّها مُصطلحٌ مُشتقٌّ من الضّمير هو؛ ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضاً تُستخدمُ للإشارةِ إلى المَعالم والخصائص التي تتميّزُ بها الشخصيّة الفرديّة،[501] أمّا اصطلاحاً فتُعرفُ الهويّةُ بأنّها مجموعةٌ من المُميّزات التي يمتلّكها الأفراد، وتُساهمُ في جعلهم يُحقّقون صفة التفرّد عن غيرهم، وقد تكون هذه المُميّزات مُشتركة بين جماعةٍ من

[500] المرجع السابق

[501] إسلام حجازي، (2008)أستاذ العلوم السياسية (كلية اقتصاد وعلوم سياسية، جامعة القاهرة)، دراسة " الثقافة الافتراضية، وتحولات المجال العام السياسي: ظاهرة الفيس بوك في مصر نموذجا".،(

النّاس سواءً ضمن المجتمع، أو الدّولة. ومن التّعريفات الأُخرى لمصطلحِ الهويّة أنّها كلُ شيءٍ مُشترك بين أفراد مَجموعةٍ مُحدّدة، أو شريحة اجتماعيّة تُساهمُ في بناءِ مُحيطٍ عامٍ لدولةٍ ما، ويتمُ التّعاملُ مع أولئك الأفراد وفقاً للهويّة الخاصّة بهم.[502]

تُقسمُ الهويّة إلى مجموعةٍ من الأنواع، وهي :-٢

-الهويّة الوطنيّة: هي الهويّةُ التي تُستخدَمُ للإشارةِ إلى وطن الفرد، والتي يتمُ التّعريفُ عنها من خلال البطاقة الشخصيّة التي تحتوي على مجموعةٍ من المعلومات والبيانات التي يتميّزُ فيها الفرد..

-الهويّة الثقافيّة: هي الهويّةُ التي ترتبطُ بمفهومِ الثّقافة التي يتميّزُ فيها مُجتمعٌ ما، وتعتمدُ بشكلٍ مُباشرٍ على اللّغة؛ إذ تتميّزُ الهويّة الثقافيّة بنقلها لطبيعة اللّغة بصفتها من العوامل الرئيسيّة في بناءِ ثقافة الأفراد في المجتمع.

-الهويّة العُمْريّة: هي الهويّةُ التي تُساهمُ في تصنيفِ الأفراد وفقاً لمرحلتهم العُمْريّة، وتُقسَمُ إلى الطّفولة، والشّباب، والرّجولة، والكهولة، وتُستخدَمُ عادةً في الإشارةِ إلى الأشخاص في مَواقفَ مُعيّنة، مثل تلقيّ العلاجات الطبيّة

- الهوية السياسية :

التعريف الاجرائي للهوية : يقصد بالهوية في هذه الدراسة

- القيم الاصيلة التي تميز المجتمع المصري عن المجتمعات الأخرى
- تشمل الهوية (الوطنية وتعني الانتماء والولاء والحب لارض الوطن والحفاظ عليه، الثقافية عادات وتقاليد وقيم المجتمع المصري واحترام الكبير والعطف علي الصغير ، السياسية الحفاظ علي التراث الحضاري وتوعية الشباب بالقيادات الوطنية والرموز العلمية التي أثرت في المجتمع لتكون القدوة والمثل الأعلى .-

8-المنطلقات النظرية للدراسة:-

1-نظرية الدور

هي الدراسة الاجتماعية لتنمية الدور ، وتهتم بشرح القوى التي تدفع الناس إلى تطوير توقعاتهم الخاصة وسلوكيات الآخرين. .(Biddle, BJ (1986)[503]- وفقًا لعالم الاجتماع بروس بيدل (، فإن النماذج الخمسة الرئيسية لنظرية الدور تشمل : :[504] -

[502] 1- -محمود عبدالرؤوف كامل، (2007)"دور الإعلام في البناء الثقافي والاجتماعي للمصريين"، دراسة ميدانية لدور وسائل الإعلام في بناء الشخصية المصرية علي عينة من رواد معرض الكتاب، مدخل تكاملي من نظريات التعلم الاجتماعي والاعتماد على وسائل الإعلام والتنمية، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الثالث عشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة

[503] -Biddle, BJ (1986). "Recent Developments in Role Theory". Annual Review of Sociology . 12 : 67–92.



Flynn, Robert John; Raymond A. Lemay (1999)

نظرية الدور الوظيفي ، التي تدرس تطوير الدور كأعراف اجتماعية مشتركة لموقف اجتماعي **معين،**

نظرية الدور التفاعلي الرمزي ، التي تدرس تطوير الدور كنتيجة للتفسير الفردي للاستجابات للسلوك ،

نظرية الدور الهيكلي ، التي تؤكد على تأثير المجتمع بدلاً من الفرد في الأدوار وتستخدم النماذج الرياضية

نظرية الدور التنظيمي ، التي تبحث في تطوير الدور في المنظمات ، و

نظرية الدور المعرفي ، والتي لخصها فلين وليماي على أنها "العلاقة بين التوقعات والسلوكيات

2-نظرية الاتصال:

الإطار المرجعي تتطلب القيام بعمليتين في وقت واحد للوصول إليها :

أولا: القيام باختيار المعلومات اللازمة والمؤثرة وتصنيفها، وذلك حسب الاستعدادات الشخصية والقوانين(عمر نصر الله (2011)[505] .

ثانيا: القيام بعملية تمرير للمعلومات التي قبلت وإدخالها إلي دائرة ما يسمي بالمخزون المعرفي .

3- نظرية تحليل الثقافة : تدرس الوحدات الصغرى ، واستخدام الناس للوسيلة ، والكشف عن النتائج المترتبة علي استخدام وسائل الاعلام في حياة الفرد ، وتؤكد علي اساليب للكشف عن تأثير الاعلام في الثقافة وتنمية هذه الاساليب طه عبد العاطي نجم (2013) [506]

اوجه استفادة الباحث من المنطلقات النظرية للدراسة :

1-تساعد الباحث في صياغة مشكلة الدراسة.

2- تساعد في وضع أليات تفعيل دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية ،

3- تساعد في وضع التصور المقترح لدور طريقة تنظيم المجتمع للعمل مع مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية

9-الاجراءات المنهجية للدراسة :-

أ- **نوع الدراسة:**

---

[504] -Flynn, Robert John; Raymond A. Lemay (1999). A Quarter-Century of Normalisation and Social Rôle Valorisation: Evolution and Impact . Université of

1-عمر عبد الرحيم نصر الله(2011)نظريات الاتصال ، موسوعة مهارات مقالات النجاح مساهمة فعالة في بناء مجتمع المعرفة رابط h ttps://sst5.com/Article/2011

[506]-طه عبد العاطي نجم (2013) الاعلام والمجتمع ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ص 65





تعد هذه الدراسة من أنواع الدراسات الوصفية التحليلية وذلك طبقا لمعطيات الدراسة النظرية وأهدافها ، حيث تستهدف هذه الدراسة تحديد دور مراكز الاعلام في دعم الهوية الصرية من خلال جمع البيانات وتفسيرها وتحليلها والوصول للنتائج .**المنهج المستخدم :-**

منهج المسح الشامل لكل العاملين من مديري وأخصائي أعلام وإداريين بالإدارة العامة لإعلام غرب الدلتا (البحيرة وكفرالشيخ)

ج- أدوات الدراسة :-

تمثلت أدوات جمع البيانات في :-

- المقابلة مع مدير عام الادارة العامة لإعلام غرب الدلتا ومديري مراكز الاعلام لجمع المعلومات اللازمة لاجراء الدراسة .
- استمارة استبيان لمديري المراكز وأخصائي الاعلام والإداريين العاملين بها .
- الرجوع للتراث النظري الموجه للدراسة ،والدراسات السابقة لتحديد العبارات المرتبطة بمتغيرات الدراسة .
- صدق الاداة :تم عرض الاستمارة علي عدد من أعضاء التدريس وتم الاعتماد علي نسبة أتفاق لا تقل عن 80% وحذف بعض العبارات واعادة صياغتها.

- **أساليب التخليل الإحصائي :**

طبقت بالدراسة الأساليب الاحصائية التالية :

- التكرارات والنسب المئوية
- الوزن المرجح ومجموع الاوزان.
- المتوسط الحسابي .
- الانجراف المعياري.
- معامل ارتباط بيرسون لتحديد العلاقة بين المتغيرات

د- مجالات الدراسة :-

1- المجال المكاني : يتمثل المجال المكاني للدراسة في الادارة العامة لإعلام غرب الدلتا وتشمل مراكز الاعلام ومراكز النيل للإعلام التابعة لمحافظتي البحيرة وكفرالشيخ.

-2 المجال البشري : يتحدد المجال البشري للدراسة في مديري مراكز الاعلام ومديري مراكز النيل للإعلام واخصائي الاعلام والإداريين العاملين بتلك المراكز علي النحو التالي :-

جدول (1) يوضح المجال البشري للدراسة

م	المؤسسة	العدد
1	مركزا علام كفرالشيخ	8
2	مركز النيل للإعلام	4
3	مركز اعلام دسوق	8
4	مركز أعلام قلين	4
5	مركز أعلام مطوبس	4
6	مجمع اعلام دمنهور ويشمل :	
أ	مركز اعلام دمنهور	4
ب	مركز النيل للإعلام	4
7	مركز اعلام كفر الدوار	3
8	مركز اعلام مديرية التحرير بالبحيرة	3
	الاجمالي	40

10- نتائج الدراسة :-

اولا :-جدول (2) يوضح وصف مجتمع الدراسة :

م	النوع	ك	%	م	السن	ك	%
1	ذكر	27	%67.5	1	-25	4	%10
2	أنثي	13	%32.5	2	-35	4	%10
	المجموع	40	%100	3	-45	20	%50
	المؤهل الدراسي			4	55فأكثر	12	%30
1	مؤهل متوسط	12	%30	5	المجموع	40	%100
2	مؤهل فوق المتوسط	0	%0				
3	مؤهل جامعي	25	%62.5		الوظيفة		
4	دراسات عليا	3	%7.5	1	مدير مركز اعلام	9	%22.5
	المجموع	40	%100	2	نائب مدير	0	%0
	سنوات الخبرة			3	اخصائي اعلام	20	%50

1	اقل من 5سنوات	2	%5	4	اداري	11	%27.5
2	-5	2	%5	5	المجموع	40	%100
3	-10	6	%15				
4	-15	30	%75				
	المجموع	40	%100				

بالنظر الي الجدول السابق نجد أن معظم العاملين بتلك المراكز من الذكور بنسبة 67.5%والاناث 32.5%، ما بالنسبة لمؤهل الدراسي فان معظم العاملين بتلك المراكز من الحاصلين علي المؤهل الجامعي بنسبة 62.5%،يليها المؤهل المتوسط 30%، ام اعمار المبحوثين فكان النسبة الاعلي 45- بنسبة 50% يليها 55 فأكثر بنسبة 30% ،ويوج بهذه المراكز 20اخصائي أعلام بنسبة 50% من المبحوثين والباقي مديري المركز 22.5% والإداريين 27.5%، ولا يوجد نواب للمدير بتلك المراكز.

ثانيا :-جدول (3) يوضح دورمراكز الاعلام في دعم الهوية الوطنية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	لا	مجموع الاوزان	المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
1	تكريم النماذج الوطنية المحبة للوطن داخل المركز	25	12	3	102	2.55	.64	موافق
2	تساهم في تعريف المواطنين بواجباتهم تجاه الوطن	29	7	4	100	2.5	.67	موافق
3	تنفيذ محاضرات لحث المواطنين بأهمية تعلم اللغة العربية	10	5	25	65	1.62	.86	الي حد ما
4	تعريف المواطنين بقيمة الوطن والحفاظ عليه	33	2	5	107	2.67	.69	موافق
5	تشارك المؤسسة في الاحتفال بالمناسبات الوطنية للمجتمع	26	12	2	100	2.5	.67	موافق
6	تحرص علي تعريف المواطنين بحقوقهم	25	14	1	104	2.6	.54	موافق
7	تقدم المؤسسة نشرات تحث علي حب الوطن	14	10	26	82	2.05	.81	الي حد ما





8	اعداد ندوات لتنمية الانتماء للوطن .	38	2	0	118	2.95	.22	موافق
9	اقامة الانشطة الرياضية المختلفة في المناسبات الوطنية	8	5	27	61	1.52	.82	الي حد ما
10	اجراء مسابقات علمية داخل المركز عن الحضارة المصرية	5	6	29	56	1.4	.71	لا
	المجموع						6.72	

باستقراء الجدول السابق نجد أن معظم المبحوثين وافقوا علي دورهم في دعم الهوية الوطنية تتمثل في :- اعداد ندوات لتنمية الانتماء للوطن بمتوسط 2.95، تعريف المواطنين بقيمة الوطن والحفاظ عليه بنسبة 2.67، تكريم النماذج الوطنية المحبة للوطن داخل المركز2.6 ، تحرص علي تعريف المواطنين بحقوقهم 2.6، تشارك المؤسسة في الاحتفال بالمناسبات الوطنية للمجتمع2.5، تساهم في تعريف المواطنين بواجباتهم تجاه الوطن2.5،ويجب علي تلك المراكز مستقبلا اجراء مسابقات علمية داخل المركز عن الحضارة المصرية، وان يكون هناك نشرات دورية بأنشطة المركز .

ثالثا :- جدول (4)دورمراكز الاعلام في دعم الهوية الثقافية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	غير موافق	مجموع الاوزان	الوزن المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
12	تساهم المؤسسة في برامج الحفاظ علي القيم الايجابية	20	10	10	90	2.25	.83	الي حد ما
13	يساهم المركز في برامج التثقيف والتوعية بالعادات الاصيلة	21	15	4	97	2.42	.67	الي حد ما
14	يعمل المركز علي نشر ثقافة التعاون بين المواطنين	25	12	3	99	2.47	.64	الي حد ما
15	اعداد برامج لنشر ثقافة تقبل الاخر	27	8	5	100	2.5	.75	موافق
16	اجراء ندوات بالمدارس للدعوة لنبذ العنف بين الطلاب	35	5	0	115	2.87	.34	موافق
17	يعمل المركز علي التوعية	20	10	10	89	2.22		الي حد ما

	بخطورة بعض الثقافات الوافدة من الخارج						.83	
18	اعداد محاضرات للدعوة للحفاظ علي القيم الوطنية الاصيلة	24	6	10	94	2.35	.86	الي حد ما
19	تنفيذ برامج للتوعية بخطورة التنمر بين الشباب	26	8	6	100	2.5	.75	موافق
	المجموع						5.67	

باستقراء الجدول السابق نجد أن المبحوثين وافقوا علي أن دور المركز في دعم الهوية الثقافية يتمثل في :اجراء ندوات بالمدارس للدعوة لنبذ العنف بين الطلاب بمتوسط 2.87، اعداد برامج لنشر ثقافة تقبل الاخر2.5, . تنفيذ برامج للتوعية بخطورة التنمر بين الشباب2.5،وكانت اجاباتهم محايدة في باقي العبارات مثل : يساهم المركز في برامج التثقيف والتوعية بالعادات الاصيلة، يعمل المركز علي نشر ثقافة التعاون بين المواطنين، يعمل المركز علي التوعية بخطورة بعض الثقافات الوافدة من الخارج، اعداد محاضرات للدعوة للحفاظ علي القيم الوطنية الاصيلة.

رابعا :-جدول (5)دور مراكز الاعلام في دعم الهوية السياسية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	غير موافق	مجموع الاوزان	الوزن المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
20	عمل ندوات للتوعية بضرورة المشاركة السياسية	29	2	9	100	2.5	.85	موافق
21	المشاركة في الاحتفال بذكري السادس من أكتوبر 1973	30	3	7	103	2.57	.78	موافق
22	اعداد دورات تدريبية للشباب لتنمية المهارات القيادية بالمجتمع	8	8	24	64	1.6	.81	الي حد ما
23	المشاركة مع المجلس القومي للمرأة في تنمية المشاركة السياسية لها	24	10	6	98	2.45	74.	الي حد ما
24	أعداد محاضرات لتوعية المواطنين بالقوانين وأهمية الالتزام بها	29	2	9	100	2.5	.85	موافق

25	اجراء مناقشات حول القضايا السياسية المختلفة	26	7	7	99	2.47	.86	الي حد ما
26	يقوم المركز بدعوة الرموز الوطنية لنقل خبراتهم للشباب	6	10	24	62	1.55	.75	الي حد ما
27	التوعية بالأثار المصرية القديمة وضرورة الحفاظ عليها	25	4	11	94	2.35	.89	الي حد ما
28	تكريم القيادات المهنية الناجحة داخل المركز	4	13	23	63	1.57	.68	الي حد ما
29	توعية الشباب بأهمية الحفاظ علي سلامة وأمن الوطن	30	8	2	107	2.67	.57	موافق
	المجموع						7.78	

بالاطلاع ع غلي نتائج دور مراكز الاعلام في دعم الهوية السياسية نجد ان المبحوثين وافقوا علي أهم تللك الادوار ما يلي :- المشاركة في الاحتفال بذكري السادس من أكتوبر 1973 ، عمل ندوات للتوعية بضرورة المشاركة السياسية ، أعداد محاضرات لتوعية المواطنين بالقوانين وأهمية الالتزام بها، توعية الشباب بأهمية الحفاظ علي سلامة وأمن الوطن . بينما كانت استجابتهم محايدة في باقي العبارات مثل :- اعداد دورات تدريبية للشباب لتنمية المهارات القيادية بالمجتمع، المشاركة مع المجلس القومي للمرأة في تنمية المشاركة السياسية لها، يقوم المركز بدعوة الرموز الوطنية لنقل خبراتهم للشباب ، التوعية بالأثار المصرية القديمة وضرورة الحفاظ عليها، تكريم القيادات المهنية الناجحة داخل المركز

خامسا :-جدول (6)المعوقات التي تواجه مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	غير موافق	مجموع الاوزان	الوزن المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
30	قلة الدورات التدريبية لتنمية مهارات العاملين بالمركز	21	6	13	88	2.2	.91	الي حد ما
31	نقص الامكانيات المالية المخصصة للمركز	20	14	6	94	2.35	.74	الي حد ما
32	ضعف مشاركة المواطنين في حضور الندوات المقامة بالمركز	23	7	10	93	2.32	.86	الي حد ما
33	ضعف تعاون المراكز الأخرى مع مركز الاعلام	11	4	25	66	1.65	.89	الي حد ما

34	صعوبة التواصل مع الهيئة يؤثر علي تحقيق الاهداف	7	21	12	75	1.87	.69	الي حد ما
35	نقص التوعية بدور مراكز الاعلام	15	4	21	74	1.85	.95	الي حد ما
36	قلة الكوادر البشرية العاملة بمراكز الاعلام	11	14	15	76	1.9	.81	الي حد ما
37	ضعف التنسيق بين المركز وقصور الثقافة	15	10	15	80	2	.88	الي حد ما
	المجموع						6.73	

بالنظر الجدول السابق والمتعلق بالتحديات التي تواجه مراكز الاعلام في القيام بدورها لدعم الهوية المصرية نجد أن أهم النقاط التي أجمع عليها المبحوثون ما يلي :- نقص الامكانيات المالية المخصصة للمركز 2.35 ، ضعف مشاركة المواطنين 2.32 ، قلة الدورات التدريبية لتنمية مهارات العاملين بالمركز 2.2 ، ضعف التنسيق بين المركز وقصور الثقافة بمتوسط 2، قلة الكوادر البشرية العاملة بمراكز الاعلام1.9، صعوبة التواصل مع الهيئة يؤثر علي تحقيق الاهداف 1.87، نقص التوعية بدور مراكز الاعلام 1.85،

سادسا :-جدول (7)التحديات التي تواجه الهوية المصرية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	غير موافق	مجموع الاوزان	الوزن المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
38	تأثير الثقافات الوافدة من الخارج	11	26	3	88	2.2	.56	الي حد ما
39	التقليد الأعمى من الشباب دون التدقيق	19	19	2	93	2.32	.66	الي حد ما
40	وجود صراع بين الاجيال	34	4	2	112	2.8	.52	موافق
41	اختفاء بعض القيم الاصيلة بعد الثورات	32	5	3	109	2.72	.60	موافق
42	التأثير السلبي للأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي	22	10	2	105	2.62	.59	موافق
43	الدور السلبي للمسلسلات	29	2	9	100	2.5	.85	موافق

	والافلام في نشر القيم السلبية							
44	قلة الاطلاع علي التراث المصري الأصيل	30	6	4	106	2.65	.66	موافق
45	ضعف قيام قصور الثقافة بدورها بالتوعية بالمواطنة	11	22	7	84	2.1	.67	الي حد ما
46	انتشار العولمة وتأثيرها علي ثقافة المجتمع	27	11	2	105	2.62	. 59	موافق

باستقراء الجدول السابق التحديات التي تواجه الهوية المصرية فقد أجمع المبحوثون علي التحديات التالية :- وجود صراع بين الاجيال 2.8، اختفاء بعض القيم الاصيلة بعد الثورات2.72 ، قلة الاطلاع علي التراث المصري الأصيل2.65، انتشار العولمة وتأثيرها علي ثقافة المجتمع 2.62 ، التأثير السلبى للأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي 2.62 ،الدور السلبي للمسلسلات والافلام في نشر القيم السلبية 2.5، بينما كانت الاجابات محايدة في باقي العبارات مثل التقليد الأعمى من الشباب دون التدقيق 2.32 ، تأثير الثقافات الوافدة من الخارج2.2 ، ضعف قيام قصور الثقافة بدورها بالتوعية بالمواطنة2.1

سابعا :-جدول (8)أليات تفعيل دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية

م	العبارة	موافق	الي حد ما	غير موافق	مجموع الاوزان	الوزن المرجح	الانحراف المعياري	متوسط الاستجابة
47	زيادة الموارد المالية المخصصة للمركز	28	3	9	99	2.47	.85	موافق
48	التركيز علي القضايا الخاصة بدعم الهوية المصرية	28	3	9	99	2.47	.85	موافق
49	ان يكون للمركز دور رقابي علي المسلسلات والأفلام	14	9	17	77	1.92	.89	الي حد ما
50	تنفيذ زيارات للاماكن السياحية لدعم القيم الاصيلة لدي الشباب	25	11	4	101	2.52	.68	موافق
51	التنسيق مع الجامعات للأعداد برامج لدعم الهوية 25	36	2	2	114	2.85	.48	موافق
52	اعداد برامج بالتنسيق مع الشباب والرياضة لدعم الهوية المصرية	36	3	1	115	2.87	.41	موافق
53	ضرورة وجود مكتبة حديثة لاطلاع الشباب علي كتب لدعم الهوية	36	4	0	116	2.9	.30	موافق
54	أعداد ندوات لتوعية الشباب	34	3	3	108	2.7	.65	موافق

	بأهمية الحفاظ علي التقاليد والقيم الايجابية							

5.1

بالنظر الي الجدول السابق بآليات تفعيل دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية نجد ان المبحوتون أجمعوا علي العبارات التالية :- ضرورة وجود مكتبة حديثة لاطلاع الشباب علي كتب لدعم الهوية 2.9 ، اعداد برامج بالتنسيق مع الشباب والرياضة لدعم الهوية المصرية2.87 ، التنسيق مع الجامعات للأعداد برامج لدعم الهوية ، 2.85، أعداد ندوات لتوعية الشباب بأهمية الحفاظ علي التقاليد والقيم الايجابية 2.7 ، تنفيذ زيارات للاماكن السياحية لدعم القيم الاصيلة لدي الشباب2.52 ، زيادة الموارد المالية المخصصة للمركز2.47 ، التركيز علي القضايا الخاصة بدعم الهوية المصرية2.47 .

بينما كانت استجابتهم محايدة في عباراه:- ان يكون للمركز دور رقابي علي المسلسلات والأفلام

جدول (9) يوضح اختبار العلاقة بين دورمراكز الاعلام ودعم الهوية (الوطنية ، الثقافية ، السياسية)

المتغيرات	دور مراكز الاعلام	الدلالة	التحديات التي تواجه مراكز الإعلام	الدلالة
دعم الهوية الوطنية	1.01	دال عند 01.	15.-	غير دال عند مستوي 05.
دعم الهوية الثقافية	1.18-	دال عند مستوي 01.	001.-	غير دال عند مستوي 01.
دعم الهوية السياسية	98.	دال عند مستوي 01.	5.4-	دال عند مستوي 01.

معامل الارتباط الجدولية عند درجة حرية 38 = ر عند 05.=30. وعند 01.= 39. اذا كانت ر المحسوبة أكبر من أو يساوي الجدولية توجد دلالة والعكس صخيخ ،باستقراء الجدول السابق نجد أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين دور مركز الاعلام ودعم الهوية الوطنية ، وعلاقة ارتباطية موجية بين دور مراكز الاعلام ودعم الهوية الثقافية ، والسياسية ، وفيما يتعلق بعلاقة التحديات التي تواجه مراكز الاعلام وادوارها في دعم الهوية الوطنية نجد ان العلاقة سالبة مما يعني أن هناك علاقة عكسية اي انه كلما زادت التحديات قلت الأدوار ، وكلما قلت التحديات زادت الادوار ، وكذلك تلك العلاقة بين دور المراكز ودعم ا لهوية الثقافية و السياسية ، فكلما زادت تلك التحديات قلت ادوار المراكز في دعم الهوية الثقافية والسياسية والعكس صحيح .

11-النتائج العامة للدراسة :-

-معظم العاملين بتلك المراكز من الذكور بنسبة 67.5%والاناث 32.5%، ما بالنسبة لمؤهل الدراسي فان معظم العاملين بتلك المراكز من الحاصلين علي المؤهل الجامعي بنسبة 62.5%،يليها المؤهل المتوسط 30%، ام اعمار المبحوثين فكان النسبة الأعلى 45- بنسبة 50% يليها 55 فأكثر بنسبة 30% ،ويوج بهذه المراكز 20اخصائي أعلام بنسبة 50% من المبحوثين والباقي مديري المركز 22.5% والإداريين 27.5%، ولا يوجد نواب للمدير بتلك المراكز



2-النتائج المتعلقة بدور مراكز الاعلام في دعم الهوية الوطنية وافق المبحوثون غلي :- اعداد ندوات لتنمية الانتماء للوطن بمتوسط، تعريف المواطنين بقيمة الوطن والحفاظ عليه بنسبة ، تكريم النماذج الوطنية المحبة للوطن داخل المركز، تحرص علي تعريف المواطنين بحقوقهم ، تشارك المؤسسة في الاحتفال بالمناسبات الوطنية للمجتمع، تساهم في تعريف المواطنين بواجباتهم تجاه الوطن،ويجب غلي تلك المراكز مستقبلا اجراء مسابقات علمية داخل المركز

3-النتائج المتعلقة بدور مراكز الاعلام في دعم الهوية الثقافية: اجراء ندوات بالمدارس للدعوة لنبذ العنف بين الطلاب بمتوسط ، اعداد برامج لنشر ثقافة تقبل الاخر, . تنفيذ برامج للتوعية بخطورة التنمر بين الشباب

4-النتائج المتعلقة بدور مراكز الاعلام في دعم الهوية السياسية: المشاركة في الاحتفال بذكري السادس من أكتوبر 1973 ، عمل ندوات للتوعية بضرورة المشاركة السياسية ، أعداد محاضرات لتوعية المواطنين بالقوانين وأهمية الالتزام بها، توعية الشباب بأهمية الحفاظ علي سلامة وأمن الوطن .

5-بالتحديات التي تواجه مراكز الاعلام في القيام بدورها لدعم الهوية المصرية نجد أن أهم النقاط التي أجمع عليها المبحوثون ما يلي :- نقص الامكانيات المالية المخصصة للمركز ، ضعف مشاركة المواطنين ، قلة الدورات التدريبية لتنمية مهارات العاملين بالمركز ، ضعف التنسيق بين المركز وقصور الثقافة بمتوسط ، قلة الكوادر البشرية العاملة بمراكز الاعلام، صعوبة التواصل مع الهيئة يؤثر علي تحقيق الاهداف ، نقص التوعية بدور مراكز الاعلام ،

6-التحديات التي تواجه الهوية المصرية :-وجود صراع بين الاجيال ، اختفاء بعض القيم الاصيلة بعد الثورات ، قلة الاطلاع علي التراث المصري الأصيل، انتشار العولمة وتأثيرها علي ثقافة المجتمع ، التأثير السلبى للأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ،الدور السلبي للمسلسلات

7- صحة الفرض الرئيسي للدراسة ان توجد علاقة ايجابية دالة احصائيا بين دور مراكز الاعلام ودعم الهوية (الوطنية ، الثقافية ، السياسية)

12-توصيات الدراسة :-

1- تجهيز مكتبة حديثة لاطلاع الشباب علي كتب لدعم الهوية علي النظام التكنولوجي الحديث .

2- اعداد برامج بالتنسيق مع الشباب والرياضة لدعم الهوية المصرية من خلال مديريات الشياب ومراكز ها علي مستوي الجمهورية .

التنسيق مع الجامعات لأعداد برامج لدعم الهوية من خلا توفير محاضرين واجراء دورات تدريبية للشباب .

أعداد ندوات لتوعية الشباب بأهمية الحفاظ علي التقاليد والقيم الايجابية ونبذ العنف .

تنفيذ زيارات للاماكن السياحية لدعم القيم الاصيلة لدي الشباب

زيادة الموارد المالية المخصصة لمراكز الاعلام





اعداد نشرات او جريدة لمركز الاعلام وتحدد اسبوعيا او شهريا لعرض أنشطتها المتعلقة بالحفاظ علي ثقافة وتراث الوطن

اقامة مؤتمر سنوي بمشاركة مراكز الاعلام والثقافة والشباب والرياضة والجامعات لحث الشباب علي قيم الانتماء والولاء ونبذ العنف والالتزام بالتراث المصري الاصيل .

13-رؤية مستقبلية لتفعيل دور مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية _(من وجهة نظر طريقة تنظيم المجتمع)

-الرؤية (معا للحفاظ علي الهوية المصرية في المرحلة الحالية)

-الرسالة :- تفعيل دور مراكز الاعلام في دعم الهوية المصرية .

-الركائز والاسس التي تقوم عليها الرؤية

- نتائج الدراسات السابقة - الاطار النظري للدراسة - الموجهات النظرية للدراسة .

-الاهداف المقترحة :

- تعزيز دور مراكز الاعلام لدعم الهوية المصرية .
- مواجهة التحديات المتعلقة بالهوية المصرية .

-مقومات نجاح الرؤية المستقبلية

أ- الاستعانة بمهارات طريقة تنظيم المجتمع (الاتصال ، الحوار والمناقشة ،المهارات الحياتية)

ب- الاستعانة بالأدوار الخاصة بالأخصائي الاجتماعي (المنشط ، الخبير ،

ج- ادوات طريقة تنظيم المجتمع (الندوات ، المحاضرات ، الاجتماعات ، المناقشة الجماعية)

هـ- استخدام استراتيجيات الطريقة (الاقناع ، التفاوض)

المراجع

1- محمد أبو خليف : (فبراير 2018) تعريف الهوية رابط

2-حاتم ربيع (2019) دور الإعلام فى دعم الهوية المصرية ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة.

3-خالد الخاجة (2013) اعلامنا والهوية الوطنية ، جريدة البيان ، الامارات العربية : -

4-Annemette Kjærgaard.(2011) Mediating Identity: A Study of Media Influence on Organizational Identity Construction in a Celebrity Firm. Stockholm School of Economics, Copenhagen Business School .University College London





5-Uğur Gündüz(2017) The Effect of Social Media on Identity Construction Mediterranean Journal of Social Sciences 8(5) Istanbul University

6-Catherine Happer * a , Greg Philo a.2013) The Role of the Media in the Construction of Public Belief and Social Change.] Glasgow University Media Group, University of Glasgow, Glasgow. United Kingdom.

Madison Ganda.2014 Social Media and Self: Influences on the Formation 7- of Identity and Understanding of Self through Social Networking Sites. Portland State University

8-Adam Augustyn (2020),role sociology,Encyclopaedia,Britannicahttps://translate.google.com

9- عبدالفتاح محمد (1999) - سيكولوجية الاتصال والاعلام ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .

10-Mariia Kuznetsova Ievgenia Chetvertak.(2019) Genesis of the Media Concept, researchgate, https://www.researchgate.net/publication

11-مفهوم الاعلام وعناصر كتاب ألموقع، مجلة تللسقف . (2012) علي إسماعيل حمة الجاف

12- محمد مصفي محمد (2000) الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية

13-الهيئة العامة للاستعلامات (2018) ، مدينة نصر ، القاهرة رابط https://www.sis.gov.eg-

14-إسلام حجازي، (2008)أستاذ العلوم السياسية (كلية اقتصاد وعلوم سياسية، جامعة القاهرة)، دراسة " الثقافة الافتراضية، وتحولات المجال العام السياسي: ظاهرة الفيس بوك في مصر نموذجا"،).

15- -محمود عبدالرؤوف كامل، (2007)"دور الإعلام في البناء الثقافي والاجتماعي للمصريين"، دراسة ميدانية لدور وسائل الإعلام في بناء الشخصية المصرية علي عينة من رواد معرض الكتاب، مدخل تكاملي من نظريات التعلم الاجتماعي والاعتماد على وسائل الإعلام والتنمية، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الثالث عشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة

.16-Biddle, BJ (1986). "Recent Developments in Role Theory". Annual Review of Sociology . 12 : 67–92-

17-Flynn, Robert John; Raymond A. Lemay (1999). A Quarter-Century of Normalization and Social Role Valorization: -Evolution and Impact . University of

18-عمر عبد الرحيم نصر الله(2011)نظريات الاتصال ، موسوعة مهارات مقالات النجاخ مساهمة فعالة في بناءمجتمع المعرفة رابطhttps://sst5.com/Article/2011

19-طه عبد العاطي نجم (2013) الاعلام والمجتمع ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ص 65-






من أجل هوية حاضنة للعيش المشترك في العالم العربي

For the sake of the identity of a common living in the Arab world

عزالدين رمول ، أستاذ مكون وأستاذ مشارك بجامعة 08 ماي 1945 بقالمة . الجزائر

alla.ramoul11@gmail.com

ملخص:

تسائل هذه الدّراسة موضوعا إشكاليا يعدّ أكثر الموضوعات حضورا في الساحة العربية سيّما على مستوى التجاذبات الفكرية والسياسية في العالم العربي، إنه موضوع الهوية في علاقتها بالمواطنة والعيش المشترك في ظل ما يشهده عالمنا اليوم من صراعات وتفككات في بنيته ومكوّنه الاجتماعي نتيجة صراعاته العقائدية والإيديولوجية والثقافية والعرقية، كان للطرح الهوياتي في هذه الخطابات العامل الأقوى في تسعير جنون هذه الصراعات، لذلك تأتي هذه الدراسة كمقاربة جديدة لمفهوم الهوية خارج تلك البراديغمات التي جعلت من الهوية عاملا للصراع بدلا من أن تكون عاملا للعيش المشترك، لكن بين الواقع العربي المأزوم والخطاب المأمول تواجهنا الإشكالية التالية: كيف السبيل إلى هوية حاضنة لعيش إنساني مشترك في عالمنا العربي في ظل ما يشهده من تعقد في مشهده اليومي والذي ما فتئ يتباعد واقعيا عن كل ما يؤسس لهذا المشترك الإنساني؟كيف يمكن تهذيب التعارض القائم بين ما يسعى إليه خطاب الهوية من تحقيق حاضنة تؤسس لعيش مشترك في ظل ما يتميز به المجتمع العربي من خصوصية عقائدية إثنية وعرقية وطائفية ومذهبية كخصوصيات صراعية؟

.ترتبط هذه الإشكالية أفقيا بمشكلات جزئية بخيط ناظم لتسلسها المنطقي،كما ترتبط عموديا بمضامين معرفية أفردنا لها محطات ثلاث، المحطة الأولى مثلت إطارا نظريا مفاهيميا ،وجاءت الثانية في العلاقة بين الهوية و العيش المشترك، لتحط الثالثة عند الخطاب الهوياتي الحاضن للعيش المشترك.

الكلمات المفتاحية الهوية ..العيش المشترك . التأصيل التراثي . المواطنة . الاعتراف التذاوتي



Abstract : This paper deals with a problematic topic that is considered the most present in the Arab arena, especially at the level of intellectual and political interactions in the Arab world. It is the issue of identity in its relationship to citizenship and coexistence in light of the conflicts and disintegrations in the structure and social component of our world today.

This study comes as a new approach to the concept of identity considered as a factor of coexistance;outside of those paradigms that made identity as factor of conflict instead of being, but between the crisis in the Arab reality and the hoped-for discourse, we face the following problem

How can an identity be an incubator for a common human coexistence in our Arab world in light of what the complexity of its daily scene is witnessing and which is diverging in reality from everything that establishes this common human? In light of the specificities of the Arab community in terms of the specificities of the ideology, ethnic, racial, and sectarian, as conflict specificities ?

Key words : identity – coexistence – rootingheritage – citizenship – collaborative recognition .

مقدمة

.إن ظاهرة الانتشار الثقافي التي ساعدت عليها العولمة بشكل كبير بعد أن تحوّل العالم إلى قرية صغيرة لم يعد فيها لحدود الجغرافيا معنى، إذ لم تعد مانعا يحول دون اختلاط الشعوب والأقوام وتلاقيهم ، هذا التواصل أدى من جانب إلى التعارف والتآلف بين أبناء المجتمع الواحد أو حتى بين أمم و شعوب مختلفة فيما بينها ، كما أدى من جانب آخر إلى الصراع والتصادم سواء بين أبناء الوطن الواحد أو بين هذه الشعوب والمجتمعات نظير اختلاف خصوصياتها ومكوّناتها ، فلم تكن مثلا حملة " نابليون بونابرت " على مصر (1798 . 1801 م) بغض النظر عمّا يقال بشأنها من مواقف ، لم تكن هذه الحملة باعتبارها محطة تاريخية هامة وقفت فيها الذات العربية المتراجعة حضاريا في التاريخ على مقربة من الذات الغربية المنتصرة عصريا ، لم تكن محطة لبداية صراع حقيقي فكري وعقائدي بين الأنا العربية والآخر الغربي فحسب ، بل شكلت أيضا بداية لصراع حقيقي بين أبناء الأمة الواحدة ، وتعمقت جذور الصراع في الإجابة عن ذلك السؤال المحوري الذي طرحه " شكيب أرسلان " : لماذا تقدم الغرب وتأخر العرب المسلمون ؟ ، إنه سؤال النهضة المتناسل عن سؤال الهوية ، إذ أفضت الإجابة عنه إلى ظهور تيارات فكرية متعددة المشارب والألوان الإيديولوجية داخل العالم العربي ذاته وزادت معها حدة الصراع بين مكوّنات المجتمع العربي حتى داخل الدولة القطرية الواحدة ، ففي ظل هذا الجو المشحون بالصراع والتوتر بات الأمر ينذر بتفكك وحدة الأمة نتيجة ضربها في هويتها ، لذلك كان من



المنطقي جدا أن تظهر دراسات تحمل على عاتقها حلولا لأجل لم شمل الأمة والحفاظ على أمنها واستقرارها ، سواء تعلق الأمر بالدفاع عن وحدة الأمة وتماسكها أو وحدة الدولة القطرية التي باتت هي الأخرى مهددة في كيانها ، هنا ظهرت مقولة شكلت أهم مقولات الخطاب السياسي العالمي المعاصر مثلت سببا ونتيجة في آن ، سببا من حيث هي أفضت إلى تلك الصراعات والتجاذبات التي يشهدها العالم اليوم بصفة عامة ، والعالم العربي الإسلامي بصفة خاصة ، وكانت نتيجة من حيث أصبحت تعلق عليها الآمال في لملمة التصدعات والتشققات داخل الاجتماعات الإنسانية ، إنها مقولة الهوية في علاقتها بالعيش المشترك سواء تعلق الأمر ببني الإنسان على سطح هذه المعمورة أو تعلق الأمر بأبناء الوطن الواحد ، لكن بين الواقع العربي المأزوم والخطاب الهوياتي المأمول تواجهنا إشكالية محورية كبرى : كيف السبيل إلى هوية حاضنة لعيش إنساني مشترك في عالمنا العربي في ظل ما يشهده من تعقد في مشهده اليومي الذي ما فتئ يتباعد واقعيا عن كل ما يؤسس لهذا المشترك الإنساني ؟ ، كيف يمكن تهذيب التعارض القائم بين ما يسعى إليه خطاب الهوية من تحقيق حاضنة تؤسس لعيش مشترك في ظل ما يتميز به المجتمع العربي من خصوصية عقائدية إثنية وعرقية وطائفية ومذهبية كخصوصيات صراعية ؟

. هذه الإشكالية ترتبط أفقيا بمشكلات جزئية بخيط ناظم لتسلسها المنطقي على شاكلة : ما المقصود بالهوية ؟ ، ما المقصود في المقابل بالعيش المشترك ؟ ، هل للعيش المشترك حضور في الميراث العربي الإسلامي ؟ ما علاقة الهوية بالعيش المشترك ؟ ، ما السبيل لهوية حاضنة لعيش مشترك سواء تعلق الأمر بالنسبة لأبناء الدولة القطرية الواحدة أو أبناء الأمة العربية ككل؟ ماذا يتحقق من أبعاد إنسانية جراء تحقق العيش المشترك بين أفراد المجتمع الإنساني ؟ ، كما ترتبط هذه الإشكالية عموديا بمضامين معرفية أفردنا لها محطات ثلاث ، جاءت المحطة الأولى كإطار نظري مفاهيمي تحدّد ماهية حدود الهوية والعيش المشترك ، في حين جاءت المحطة الثانية لتتوقف عند التأصيل التراثي العربي للعيش المشترك والتعالق بين الهوية وفكرة العيش المشترك ، في حين جاءت المحطة الثالثة والأخيرة كمحطة اقتضتها المحطتان السابقتان من حيث هي محطة حدّدت خصوصية الخطاب الهوياتي الحاضن للعيش المشترك وقيمة هذا العيش في واقع حياة المجتمعات الإنسانية .

1. الإطار المفاهيمي / الهوية والعيش المشترك

.إن ضبط المفاهيم وتحديدها يشكل بداية اللحظة العلمية ، وبداية الخيط الناظم القادر على تجاوز أي انزياح مفهومي يخرج الحدود من سياقاتها الصحيحة خاصة وأن هذه الحدود عادة ما تتحرك مفهوماتها داخل حقول معرفية جد متداخلة مما تزيدها غموضا والتباسا ، لذلك كان الجهاز المفاهيمي يعدّ بالمعنى الإبستمولوجي القاعدة الأساس التي تمنح الشرعية العلمية للدراسة البحثية وتؤجل الحكم على الموضوعات إلى غاية اكتمال مرحلة تصوراتها ، من هاهنا جاءت أهمية تحديد مفاهيم الهوية والعيش المشترك .

1.1 مفهوم الهوية



. **الهوية** : تعرف الهوية بالمفهوم المنطقي على أنها ((حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية))[507] ، فالهوية تتحدّد بالصفات الجوهرية ، وهي الصفات التي يكون الشيء موجودا بوجودها وينعدم بانعدامها ، وقد مثّل صاحب " التعريفات " " الشريف علي بن محمد الجرجاني " (1340 . 1413 م) الهوية بعلاقة الشجرة بنواتها ، فالشجرة لا تكون كذلك ، أعني لا تكون شجرة إلا إذا كانت تحمل أوراقا وأزهارا وثمارا ...، وذلك عبر ما تمر به من لحظات ، زيادة على ذلك أن الزهرة تتحول إلى ثمرة ، والثمرة تنبت شجرة مرة أخرى ، والواضح من خلال هذا التمثيل أن الهوية ليست شيئا ستاتيكيا ثابتا ، بقدر ما هي تتفاعل لتجدّد نفسها حتى لا تفقد صلاحيتها ، ويكون بمقدورها مواكبة التطورات والتغيرات ، مع بقاء عنصر دائم أصيل في ماهية الشيء دالا على كينونة مطلقة ، وهي رؤية للهوية قد لا تبتعد كثيرا عن مفهومها في سياقها الاجتماعي ، من حيث هي تعني انتماء الشخص إلى وطن ما أو مجتمع ما ، وتكون وسيلته في ذلك لإدراك ذاته ووعيها في مقابل الآخر المختلف ، وهي تتحدّد في إطارها الاجتماعي وفقا لمكوّنات ثلاثة ، بداية بالمكوّن الاجتماعي ، وهو مكوّن يتحدّد هو الآخر بالطبقة والمكانة والوظيفة ، ثانيا ، المكوّن الثقافي ، يتحدّد من خلال الدين ، واللغة ، والعادات والتقاليد والعرف (القيم الاجتماعية المشتركة)، وأخيرا المكوّن السياسي ، يتحدّد بالدولة الوطنية أو القومية ، ونظام الحكم وشكل الدولة ، والجنسية ، والإيديولوجيا الموجهة للبناء السياسي . فالهوية بالمفهوم الثقافي الاجتماعي ليست نتاجا آنيا بقدر ماهي نتاج عملية تاريخية طويلة اسهمت في تشكلها عبر مراحل ، عوامل تاريخية و ثقافية و فكرية ودينية ، وسياسية وبيئية واجتماعية واقتصادية ... هذه العوامل تعبر عن كيان تنصهر فيه هذه الجماعة ، وبتأثير من هذه العوامل يتولد لذيهم شعور بانتمائهم لبعضهم بعضا.

.لقد شكلت الهوية مقولة من مقولات الخطاب السياسي العالمي بصفة عامة والخطاب السياسي العربي بصفة خاصة ، إذ انقسم بشأنها الخطاب السياسي العربي المعاصر على نفسه إلى خطابات متلونة إيديولوجيا ظلت تتعاطى مع موضوع الهوية ببراديغم كلاسيكي ، حيث ارتبط خطاب الهوية عندها بالمقابلة بين ثنائيات مكررة بلغة " علي حرب " كالعلاقة بين الماضوية والحداثة ، الأصالة والمعاصرة ، الأنا والآخر، الشرق والغرب ... لذلك جاء خطاب الهوية منطلقا من " ليست " ، فالهوية في الخطاب العربي تتعيّن باعتبارها ماهية ليست ، فهي لا تتحدّد انطلاقا من واقعها ومستقبلها مما زاد في تعميق أزمتها ، وزاد في اتساع دائرة الهوة بين المكوّنات الاجتماعية للدولة الواحدة ، إذ لم يتأسس خطاب الهوية على قيم المواطنة والعيش المشترك كمفاهيم متحاضنة .

2.1 مفهوم العيش المشترك

العيش المشترك : العيش المشترك في مفهومه العام هو احترام للآخرين والاعتراف بهم والتعامل معهم كند في الإنسانية ، أي التعامل معهم على مسافة واحدة في الاعتراف بمختلف أبعادهم الإنسانية وإشراكهم في المسؤولية والحقوق ، سيّما في كل ما يتعلق بديناميات العيش اليومي ، ويعد العيش المشترك اليوم أحد أهم المقولات العالمية باعتباره نتيجة حتمية

[507] مجموعة من الباحثين : المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق .بيروت .ط38 ، 2000 م ، ص : 875



لموضوع المواطنة والهوية ، ((إن العيش المشترك بين أبناء المجتمع وبين شعوب الإنسانية هو غاية نبيلة تسعى إليها سائر الأديان والشرائع الدينية ، ويدعو لها العقلاء والحكماء في سائر العالم . وإنه لمن المهم أمام المشكلات والتحديات التي تعيشها البشرية في علاقات الناس بعضهم ببعض أن يتم التأكيد على أهمية العيش المشترك ومقتضياته))[508]، فالعيش المشترك هو أن تتوحد جماعة بشرية في مكان ترتبط فيما بينها بوسائل عيش مشتركة من مأكل وملبس ومشرب . بل ترتبط في أساسيات الحياة ، وذلك بغض النظر عن الانتماءات الدينية والمذهبية والثقافية والسياسية والعرقية ... لهذه الجماعة ، حيث يتفاعل أفرادها فيما بينهم لأجل تحقيق حياة كريمة ومستقرة داخل مجتمع واحد ، فالعيش المشترك يعني بالمحصلة أن تتعايش مختلف الهويات الفرعية وتتفاعل داخل الهوية الوطنية كهوية كبرى جامعة ، أن يتعايش جميع أفراد المجتمع الإنساني رغم اختلاف ثقافاتهم وإيديولوجياتهم وعرقهم تحت راية واحدة بحكم مشتركاتهم الإنسانية ، فهل كان لفكرة العيش المشترك بهذا المفهوم حضور في الميراث التاريخي العربي الإسلامي ؟ ما العلاقة بين الهوية والعيش المشترك ؟

2. الهوية والعيش المشترك / من التأصيل التراثي إلى التعالق

1.2. التأصيل التراثي العربي للعيش المشترك

. العيش المشترك مقولة من مقولات الخطاب السياسي العالمي المعاصر ، إذ لا نعثر على هذا المصطلح في المصادر التراثية القديمة للمجتمعات بما في ذلك المجتمع العربي الإسلامي ، لكن عدم العثور على المصطلح في التراث العربي الإسلامي لا يعني بالضرورة عدم وجوده كواقع أو كثقافة ، فالإسلام من حيث المبدأ يجيز الاختلاف والتعايش في ظل هذا الاختلاف ، لقوله تعالى ((**لا إكراه في الدين قد تبيّن الرّشد) من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم))**[509] ، فالدين الإسلامي يحفظ حرية الاعتقاد ولا يرغم عليها ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر مع ضمان سلامة هذا المختلف ..لقد جاء الإسلام داعيا للعيش المشترك سواء للمسلمين فيما بينهم أو في علاقاتهم بغير المسلمين ،محترما في ذلك الاختلاف والتنوع بين الأفراد والجماعات والشعوب والقبائل واعتبار ذلك سنة كونية ، وفطرة فطر البشر عليها على أن يكون هذا الاختلاف أساسا للتعارف والتعايش بين هذه الشعوب والقبائل ، قال تعالى : ((**يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم مّن ذكرو أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير))** [510]، وفي ذلك إقرار واعتراف بالتعدد والتنوع في اللغة في العرق في الأفكار ، وأن هذا التنوع لا يعيق التعايش بين الأفراد والجماعات بقدر ما أن التعايش يقتضيه

[508] وثيقة مبادئ العيش المشترك : قرارات الدورة العادية الخامسة والعشرين للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، قرار 25/ 1 ، المنعقد من 6 .10 أكتوبر 2015 م

[509] القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية 256

[510] القرآن الكريم : سورة الحجرات ، الآية : 13

. إن الإسلام يفرّق بين العقيدة التي تؤصّلها الشريعة وبين التعايش الذي يقره ويفرضه الواقع الاجتماعي ، لذلك جاء في الحديث النبوي الشريف ((ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ؛ فأنا حجيجه يوم القيامة)) [511]، إذ جاء في السيرة أن النبي عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم خلق في المدينة مزيجا إنسانيا متنوعا بين ألوان مختلفة في الدين والعقيدة، بين المهاجرين من قريش و المسلمين من الأوس والخزرج ، والوثنيين من الأوس والخزرج ، واليهود من الأوس والخزرج ، وقبائل اليهود من بني قريظة ، وبني النظير ، وبني قينقاع والأعراب الذين يتواجدون مع أهل يثرب إضافة إلى الموالي والعبيد وغيرهم ، وفي الوقت الذي وضع فيه مواثيق الأخوة لتؤمّن العيش المشترك بين المسلمين وضع أيضا مواثيق وأبرم معاهدات مع غير المسلمين ، إذ بمقتضى هذه المواثيق يصبح الجميع يعيشون تحت راية واحدة في أمن واستقرار وتآخ وإن اختلفت معتقداتهم وشرائعهم وأعراقهم.

. إن حضور العيش المشترك في التراث العربي الإسلامي له ما يبرّره ، فهو مشترك إنساني يرتبط بأنطولوجية الإنسان ، وأنه أبعد من أن يتمثل في أفراد أو جماعات بعينها ، بل هو يختص به الإنسان من حيث هو إنسان ، لذلك كان من البديهي جدا أن يكون حاضرا في كتاب الله وسنة رسوله.

. إن حضور العيش المشترك في التراث العربي الإسلامي يبرّره اختلاف الأفراد في قدراتهم وبنياتهم وثقافاتهم وميولاتهم واعتقاداتهم ، بل اختلافهم أيضا في بيئاتهم الجغرافية التي يتواجدون فوقها ، وما لهذه البيئة من تأثيرات في أفكارهم وسلوكاتهم ، لذلك كنا نرى واقعيا أن أبناء الدولة القطرية الواحدة وهم يتوزعون فوق أقاليم جغرافية مختلفة تتنوع ثقافتهم وعاداتهم وسلوكاتهم ، فهذا التنوع هو إغناء للثقافة وليس عائقا من شأنه أن يفرق ويفكك سواء أبناء الوطن الواحد أو أبناء العروبة ككل .

. وخلاصة ما يمكن قوله أن ثقافة العيش المشترك تجد مرجعياتها في التراث العربي الإسلامي كمرجعية تتأسس على قيم حفظ الحياة وحقوق الإنسان ، قيم التعارف والاختلاف والمساواة والحرية والديمقراطية ، قيم العدالة ، بل قيم حفظ كرامة الإنسان كغاية أسمى لمختلف ما يدعو إليه الإسلام كقيم .

2.2 العلاقة بين الهوية والعيش المشترك

. إن أهم ما يميّز المجتمعات العربية كخصوصية أنها مجتمعات قبلية ، لذلك يذكر " الجابري"(1935 . 2010 م) في مؤلفه " العقل السياسي العربي " أن هذا العقل ظل محكوما على امتداده التاريخي بثلاثة محدّدات أو مفاتيح هي بمثابة بناءات كبرى ظلت ترسم مساره ، هذه البناءات هي : القبيلة و العقيدة والغنيمة ((و" المفاتيح " ، أو المحددات ، التي نقترح هنا قراءة التاريخ السياسي العربي بواسطتها ثلاثة نطلق عليها الأسماء التالية : القبيلة ، الغنيمة ، العقيدة)) [512]، بل تاتي القبيلة على رأس هذه البناءات الثلاثة ، لذلك وبحكم هذه التركيبية الاجتماعية كنا أمام تعدد للهويات داخل

---

[511] الحديث النبوي : سنن أبي داود 187 / 2

[512] محمد عابد الجابري : نقد العقل العربي (3) العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت . لبنان ، ط 4، 2000 م ، ص : 48

الدولة الواحدة ، وأن الفهم الخاطئ للهوية والتعامل معها كهوية مغلقة يهدد بتفكك الأمة سواء في صورتها الكبرى أو في صورتها المصغرة (كدولة قطرية) ، لذلك وجب النظر للهوية ليس كمعطى قبلي بقدر ماهي تشكلات تاريخية لا تتقوى بذاتها بقدر ما تتقوى بغيرها ((لا تستمد الهوية كينونتها من ذاتها فقط ، بل من المفارق لها أيضا ؛ أي مما ينفصل عنها وليس فقط مما يتصل بها ، و من ثم لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف اللذين يمثلهما الآخر ... ولذلك بقدر ما تتجه الهوية باتجاه التوحد بقدر ما تتجه نحو المزيد من التعدد ، فكلما كان سعينا نحو التميز قويا كان هذا التميز علامة على المزيد من الهويات ، ولذلك تعتبر الهوية في ذاتها دعوة مستمرة لمزيد من الهويات))[513]

. إن الهوية من الناحية الأنطولوجية تقتضي التعدد والاختلاف ، إذ يعدّ التميز صفة ملازمة لوجودها ، وأنه كلما زاد تمسك جماعة ما بهويتها زاد في المقابل بروز هويات تقابلها ، لذلك كانت الهوية تحيل إلى الاخر وجوديا ((فالهوية هي الاعتراف بالآخر كوجود ، فكل جماعة تحتاج لغيرها ؛ أي تنشد إلى الجماعة المغايرة لها كلما انشدت نحو ذاتها ، لأنها لا تعرف نفسها إلا ضمن هذه العلاقة ، وبمعزل عنها لا معنى للهوية)) [514] ، فقوة الهوية وفعاليتها مشروطة بانفتاحها على الآخر من الهويات ، ومن ثمة فالهوية ليست ما تكون عليه الذات فحسب وإنما هي ما يكون عليه واقع الوجود المشترك ((الهوية تجربة إنسانية خاضعة لصيرورة العيش مع الآخر)) [515] ، فالهوية إنما هي محصلة لعلاقة الذات مع نفسها ومع الآخر في تقاطعها في المشتركات الإنسانية .

. إن الحديث عن أمة عربية واحدة هو حديث عن هوية عربية في إطارها الثقافي والحضاري ومقاييسها التاريخية والجغرافية ، فالأمة العربية يوحدها إطار عام يؤسس لهوية وطنية متشبعة بعناصر اللغة والثقافة والتاريخ والتضاريس ، إن الهوية العربية سابقة لظهور الإسلام ، ومجيء هذا الأخير زادها قوة من حيث دعوته إلى ضرورة التماسك والتآخي والتعاضد والعيش المشترك في مقابل ما تتميز به الأمة العربية من اختلافات في العرق والمذهب ... وإن هذا التعدد والتنوع أيا كان شكله ونوعه هو سنة الله في خلقه ، لذلك فقد تقوت الهوية العربية بفضل الإسلام من حيث أنّها توسعت لتصبح حاضنة للعيش المشترك بين مختلف الأطياف والطوائف المكونة للمجتمع ، فالهوية العربية أصبحت أوسع من أن تختزل فيما هو عربي الأصل ، فالتاريخ شاهد على أن الهوية العربية كانت هوية حاضنة لتعدد الأجناس والشرائع ولا نقول تعدد" الأديان" [516] ، وفي هذا السياق يورد " عبد الحقّ لبيض " قائلا : ((الهويّة ، بحسب ابن سينا ، هي " معرفة الذات بالذات " والإقرار بمبدأ الهويّة إقرار بارتباطاتها بالتاريخ والمجتمع ؛ وهو ما يقودنا إلى الإقرار بمبدأ التنوّع والتعدّديّة على

---

[513]محمد الغيلاني : الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع : الهوية هي الاختلاف ، قسم الدراسات الدينية mominoun.com /articles/54 ، 23 سبتمبر 2020 م ، يوم 02 / 11 / 2020 م ، الساعة 22 و 30 د

[514]محمد الغيلاني : الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع : الهوية هي الاختلاف (المرجع نفسه)

[515]محمد الغيلاني : الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع : الهوية هي الاختلاف (المرجع السابق)

[516]يخلط الكثير حتى من المثقفين لما يتحدثون عن أديان، كاليهودية والمسيحية والإسلام ، ويذهبون إلى القول بحوار الأديان ، لكن في الحقيقة لا وجود لأديان إلا الدين الإسلامي لقوله تعالى غن الدين عند الله الإسلام وما البقية إلا شرائع ، لذلك لم يرد لفظ الدين في القرآن جمعا ، وإنما جاء مفردا مخصصا ألا وهو الدين الإسلامي .



اعتبار أنّ التاريخ دائم المدّ والجزر ، وقائم على الانصهار وإعادة البناء و " التهجين ")) [517] ، لذلك فلا يمكن النظر للهوية على أنها موضوع حدّدت ماهيته تحديدا قبليا ، بقدر ما أن خصائصها متخلقة في التاريخ قابلة للتجدّد والتطور حتى تستوعب الكل وتواكب مختلف التطورات والتحولات المستجدة.

. إن علاقة الهوية بالعيش المشترك علاقة جدلية كل منهما يدفع بالآخر للتحقق في الوجود ، فإذا كانت الهوية الفاعلة المتفتحة على الآخر ، هي الهوية التي تسمح بالعيش المشترك للمكونات الاجتماعية داخل جغرافيا واحدة ، فإنه في المقابل أيضا أن ثقافة العيش المشترك في مجتمع إنساني ما يسمح بتعايش بين مختلف الهويات ، و حتى يتحقق هذا التعايش وجب أن تتحقق جملة من العناصر يأتي في مقدمتها :

. **تحقق العدالة الاجتماعية** : تعد العدالة الاجتماعية أهم القضايا التي إن تحققت في مجتمع ما أدت إلى تعايش مشترك بين مختلف الهويات ، وقد تطور مفهوم العدالة الاجتماعية وفقا لبراديغم جديد من حيث أنّها أصبحت تعني الاعتراف (Die anerkennung) فهو ((أهم براديغم عرفه الفكر الفلسفي السياسي في السنوات العشر الأخيرة ، ولعلّ المكانة المركزية والمهمة لهذا المفهوم تكمن في كونه قدّم إطارا فكريا وجهازا مفاهيميا جديدا يمكن أن يكون أساس مقاربة وتحليل كبريات المسائل والقضايا والمعضلات السياسية والاجتماعية والأخلاقية المطروحة بحدة في السنوات الأخيرة في عالمنا المعاصر كمعضلة العدالة الاجتماعية)) [518]، لقد كان البراديغم الكلاسيكي الذي قدّمه الفيلسوف الأمريكي "جون راولس " (1921 . 2002 م) في كتابه " نظرية العدالة " 1971 م يقصر العدالة الاجتماعية على التوزيع العادل والمتساوي للمواد الأولية بين مختلف المواطنين الذين يعيشون تحت سقف دولة واحدة ((قدّم راولس نظريته في العدالة قصد تجاوز هذه الأزمات ، وهي نظرية قامت على جملة من المبادئ والإجراءات التي يمكن أن تضمن في رأيه توزيعا عادلا ومتساويا للموارد الأولية بين مختلف الأفراد ضمن تصوّر أسماه العدالة بوصفها إنصافا justice as fairness)) [519]، إلا أن هذا البراديغم لم يعد كافيا للإلمام بموضوع العدالة فمع الفيلسوف الألماني " أكسل هونيت " (ت . م 1949 م) ، والذي يعد أحد كبار ممثلي الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت ، مع هذا الفيلسوف ظهر براديغم جديد لإقرار العدالة الاجتماعية بين المواطنين ، إنه براديغم " الاعتراف التذاوتي " الذي تضمنه كتابه **" الصراع من أجل الاعتراف "** 2015 م ، ((إنّ العدالة كما يرى هونيت لا تفهم بمعناها الكلاسيكي ، أي عدالة التوزيع أو إعادة التوزيع للخيرات والثروات ، التي تقوم على علاقة المساواة ... وإنما تشترط الاعتراف الشخصي الإنساني ، وبكرامته وقيمته . فبالنسبة إلى الشخص فإن الحصول على علاقة إيجابية مع الذات مرتبط بالاعتراف المتبادل بين الذوات)) [520]، لذلك فإن الدعوة

[517] عبد الحقّ لبيض : ندوة الهويّة المغربية وقضايا العيش المشترك (1 من 2) ، 24 / 04 / 17 ، /www.al-adab.com/article يوم 06 / 11 / 2020 م ، الساعة 21 و 30 د

[518] الدكتور كمال بومنير : من أزمة العدالة إلى أفق الاعتراف ، نحو مقاربة جديدة لنظرية العدالة (الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي ، مجموعة من الأكاديميين) ، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، أعمال ملتقى 2016 م ، ص : 129

[519] الدكتور كمال بومنير : المرجع نفسه ، ص : 129

[520] الدكتور كمال بومنير : المرجع السابق ، ص : 130






إلى عدالة اجتماعية لا تقتصر على تقاسم الثروة بالتساوي بين أفراد المجتمع من غير إقصاء لأي مكوّن تحت أي مبرر كان وتعديها إلى عدالة الاعتراف " كفيل بتحقيق تعايش الهويات داخل المجتمع الواحد ((تأسيس العدالة على الاعتراف يسمح بأن نأخذ بعين الاعتبار أشكال رفض الاعتراف والاحتقار الاجتماعي ، وبالتالي فإنّ العناصر الأساسية لهذا التمثل الجديد للعدالة ... الكرامة الإنسانية ونزاهة الأفراد واستقامتهم ، بهذا تقاس العدالة الاجتماعية بدرجة قدرتها على ضمان شروط اعتراف متبادل))[521]، إنه البراديغم الذي يؤسس للعيش المشترك بين مختلف الهويات انطلاقا من عدالة اجتماعية تضع قيمة الإنسان أولى أولوياتها ، وهو ما يسمح بالتعايش بين مختلف المكونات الاجتماعية ما دام وأن الفرد كفرد هو المحور الذي يدور حوله كل شيء.

. **احترام الحقوق الثقافية :** الوصول إلى عيش مشترك بين الهويات مشروط بأحقية الأفراد والجماعات بالتمتع بحقوقهم الثقافية ، فالحقوق الثقافية تقابل الهويات الثقافية ، وتتخذ في ذلك منحنيين ، منحى أول بتعلق بعلاقة الهوية الثقافية الوطنية في علاقتها بالآخر لأجل عيش مشترك إنساني عالمي ، ومنحى ثان يتعلق بعلاقة الهويات الثقافية الفرعية بالهوية الثقافية الوطنية لأجل عيش مشترك بين أفراد الأمة أو المجتمع الواحد ، على اعتبار أن الثقافة تمثل تلك السمات والخصائص التي تتفرد بها جماعة أو أمة عن غيرها ، وتتمثل هذه السمات والخصائص في الدين ، اللغة ، العرق ، التاريخ ، الإيديولوجيات ، العادات ، التقاليد والأعراف ، وغيرها من المكوّنات الثقافية ، فالهوية الثقافية بهذا هي تلك الأصول والجذور التاريخية والدينية والعقائدية والتربوية والمعرفية التي تجعل هذه الأمة أو الجماعة تختلف وتتمايز عن غيرها ((فهي تعبر عن هويتها وشخصيتها وذاتيتها))[522] ، لذلك الهوية الثقافية بمثابة بطاقة هوية تحدد خصوصية الجماعة وتميزها عما يختلف عنها ، ومن ثمة أمكن القول أن الهوية الثقافية تمثل ((العامل الموحد للجماعات التي تنتمي إليها ، كما أنها عالم مميز للجماعات التي تختلف عنها ، وعليه إذا زالت الهوية زالت معها المجتمعات التي تنتمي إليها))[523] ، لذلك وجب احترام الخصوصيات الثقافية لكل هوية فرعية ، والابتعاد عن خطاب التسلط واحتواء الآخر الذي يحول دون تعايش الأفراد والجماعات .

3. الخطاب الهوياتي الحاضن للعيش المشترك / الخصوصية والأبعاد

1.3 في سبيل خطاب حاضن للعيش المشترك

كيف السبيل إلى هوية حاضنة للعيش المشترك ؟

. إن كان موضوع الهوية .كما تمظهر في الخطابات السياسية العربية سواء الخطابات الكلاسيكية أو المعاصرة . خطابا عاطفيا مغلقا يقدس الأنا ويبخس الآخر حقه ، خطابا ينطلق من دوغمائية نرجسية قادت إلى التعصب والعنصرية

---

[521] الدكتور كمال بومنير : المرجع نفسه ، ص : 130

[522] الدكتور عبد الغني بوالسكك : فلسفة الثقافة ورهان الانتقال من الصدام إلى الحوار (فلسفة الثقافة : السياقات . الأبعاد . الرهانات) ، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية بالتعاون مع جامعة ابن خلدون . تيارت ، أعمال ملتقى 2015 م ، ص : 137

[523] الدكتور عبد الغني بوالسكك : المرجع نفسه ، ص : 138



قادت إلى صراعات وتفكك في بنيات المجتمع ، فمن الضروري إعادة مساءلة الهوية بخطاب جديد كما يرى " فتحي التريكي " فعلى خطاب الهوية الجديد ((أن يتعالى عن هذه الثقافوية الضيقة ولا بدّ أن يأخذ تصورها صبغة الانفتاح والحركة كي لا تؤدي في واقع الأمر إلى استبعاد الآخر)) [524] ، خطاب ينظر للهوية على أنها ليست حقيقة قبلية سكونية سابقة في تشكلها للأفراد الذين يحملونها ، بقدر ما هي نتاج عملية تاريخية تتقاطع في تشكيلها عوامل سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية حتى ((تحيل الهوية إلى كيان ليس معطى جاهزا أو نهائيا ، وإنما إلى أمة ما تفتأ تتكون وهي تعتني بتجارب أهلها ، ومعاناتهم ، وانتصاراتهم ، وتطلعاتهم ، وأيضا بسبب احتكاكها سلبا أو إيجابا بالهويات الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما ، دون فرض نمط ثقافي على الأنماط الثقافية المتعددة القائمة والمتعايشة عبر تاريخها الطويل))[525]، لذلك فمن الضروري إعادة مساءلة خطاب الهوية خارج أية إيديولوجيا بما يسمح أن تكون هوية مفتوحة ، لأن الهوية في النهاية ترتد كما يرى " عبد الكريم الخطيبي " في مؤلفه " النقد المزدوج " ترتد إلى مجتمع الإنتاج المتعين بحدود تاريخية وزمنية وأن كل هوية مرغمة على التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية والتفتح على العالم .

. إن مسألة الهوية كما أظهرتها الخطابات السياسية العربية ، هوية ارتكاسية تعود إلى الماضي لتجعل من القبيلة والعشيرة والطائفه أهم ما تقوم عليه ، فأسست لهوية قبل ظهور الدولة بمفهومها الحداثي ، فعبدت التاريخ وتأسست عليه فزادت في فرقة الأمة وصراعاتها ، فالهوية بناء اجتماعي في حالة تشكل دائم ، وليست معطى ماضويا جاهزا ، هوية تتشكل من خلال استغراقها للزمن بأبعاده الثلاثة حتى تستغرق مختلف مكونات وتشكلات المجتمع ، فلماذا يتم عبادة الماضي والإنسان يتشكل في الزمن بدلالة الماضي والحاضر والمستقبل ؟ ، فلايمكن اختزال الهوية في ماضوية بعينها تزيد في شقاق الأمة وانقسامها ، فتجارب غيرنا تؤكد على أن الهوية الأمريكية ، والبرازيلية ، والأورجونتينية وغيرها لم تتشكل على أساس ماضوي ، حتى أن هذه الدول ليس لها عمق تاريخي ، وهي أكثر المجتمعات والدول انسجاما وتماسكا ((النظر إلى الهوية ليس من موقع ما كانت عليه ، وإنما من موقع ما تطمح إلى تكوينه ، أي من موقع المسؤوليات التاريخية الحاضرة والمستقبلية التي يتعين علينا حملها ، والوفاء بالتزاماتها)) [526] ، لذلك فنحن في حاجة إلى خطاب يعيد تفكيك موضوع الهوية في عالمنا العربي نحو التأسيس لمعايير جديدة تتأسس عليها الهوية يكون منطلقها دور الفرد داخل الدولة بعيدا عن عبادة التاريخ كما يقول " دوران " وهذا ما تفطنت إليه الدول الأوروبية لما جعلت من الهوية ، هوية تداولية بحيث تمنح الدولة الجنسية لأي مواطن من خارج إإقليمها الجغرافي إذا رأت أنه سيقدم مصلحة للدولة. إنه الخطاب " الهوياتي " الذي يكون كفيلا بإخراج مسألة الهوية من مأزق الصراعات لخطابات ظلت تحتكم إلى " براديغمات " دوغمائبة جاهزة قاتلة .

---

[524]عزيز مشواط : أزمة الهوية في العالم العربي ، أزمة معنى أم أزمة حضارة ، 29 أفريل 2014 م ، fairpress.com/blob يوم 15 / 11 / 2020 الساعة 21 و 30 د

[525]حامد خليل : مشكلة الهوية في الفكر العربي المعاصر، (د ب) (د ط) / (د س) ، ص : 93

حامد خليل : مشكلة الهوية في الفكر العربي المعاصر(مرجع سابق) ، ص : [526]94



. أن يتعاطى الخطاب الهوياتي مع التعدد الإثني ، والاختلاف الديني والمذهبي ، والتنوع الثقافي في المجتمع العربي كحقيقة قائمة لا يمكن تجاوزها ولا القفز فوقها ، وعندها يكون النظر للهويات الفرعية التي تشكل ذلك التنوع والتعدد ، كتنوع انسجام ، وإثراء نوعي يسمح لها بأن تتفاعل مع الهوية الأم للدولة (الهوية الوطنية)، وذلك من خلال السماح لها بالمساهمة الفعالة في كل ما يتعلق بالشأن العام للدولة ، من غير إقصاء أو توظيف سياسي لهوية لضرب هوية أخرى ، والذي من شأنه أن يسعر لهيب الفتن الداخلية ويفكك أواصر كيان الدولة .

. أن يتأسس الخطاب الهوياتي وهو يؤسس للعيش المشترك على ثقافة الحوار بين مختلف الهويات الثقافية كون ((ضرورة الحياة فوق هذه الأرض ، وضرورة العيش في أمن وسلام ، تفرضان تعايش الثقافات والحضارات والأديان ، وإقامة حوار جدي وهادف فيما بينها)) [527]، وأن يكون هذا الحوار عقلانيا قوامه التسامح بين هذه الهويات الثقافية فيما بينها ((فالتسامح يطرح لنا عدة تشكلات تتعلق في مضمونه وحدوده ومجالاته وتاريخه ، وعلاقاته الدينية والسياسية والفلسفية والأخلاقية ، ومشكلة حرية الاعتقاد ، وحرية التعبير ، والاقرار بالاختلاف الموجود بين الديانات والتنوع ، وضرورة التعايش والتعاون مع كل هذا التداخل الاجتماعي)) [528]، وقد اعتبر " إدغار موران " (ت .م 1921 م) خطاب التسامح بين الهويات الثقافية الخطاب الذي يكرّس لفلسفة العيش المشترك بين سواء بين أفراد المجتمع الواحد ، أو بين شعوب العالم ، فهو يرى في التعايش اتيقا وفلسفة إيجابية ((التعايش ماهو إلا اتيقا وفلسفة إيجابية بين المجتمعات . واعتبر (إدغار موران) أن المجتمع في ظل الذكاء الأعمى على حد تعبيره ، أدى بالإنسان المعاصر إلى منحنى الضوضاء والأسلحة والنزاعات وأنماط تحررية زائلة وانقلابية ومضايقات فظيعة وتخويف سياسي وقسوة بشرية تمزّق القلب والحل هو انتهاج فلسفة التعايش ... فتقبل الآخر والاعتراف به لعرقه أو دينه أو سياسته هو ، في حقيقة الأمر ، العيش معه تحت وفاق التسامح معه)) [529].

. على الخطاب الهوياتي وهو يحدد هذه المقتضيات ، و ينشد هذه القضايا ويجعلها أولى أولوياته ، وذلك من خلال استلهام القواسم المشتركة ، والعناصر الجامعة بين الإنسان مع مراعاة المشتركات الكبرى الإنسانية والدينية والأخلاقية والثقافية والجغرافية التي تؤسس بين الأفراد لتكريس العيش المشترك بين المواطنين والتي تذيب معها الاختلافات الإيديولوجية والعرقية والثقافية ، لذلك جاءت وثيقة مبادئ العيش المشترك للتأكيد على مبادئ عشرة أساسية ضامنة لهذا العيش المشترك ، تأتي في مقدمتها :

. الإيمان بوحدة الأصل الإنساني ، فالناس جميعا من أصل واحد مما يقتضي المساواة التامة بينهم في الحقوق والواجبات.

---

[527] بلعز كريمة : فلسفة التعايش ودورها في التنوع الثقافي ، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 3، issin 1112.9336 رقم العدد التسلسلي 20 ، 2019 م ، ص : 611

[528] بلعز كريمة : المرجع السابق ، ص : 611

[529] بلعز كريمة : المرجع نفسه ، ص : 612



. احترام الكرامة الإنسانية : إن الحرص على تلك الحقوق وإعطائها إلى أصحابها من غير تمييز بين المواطنين يعبر عن مدى احترام كرامة الإنسان ، وفي ذلك تفعيل لدور الفرد في الدولة وتوطيد لعلاقات الأفراد فيما بينهم.

. التعاون الإيجابي لتحقيق المواطنة السليمة ، ففعالية الأفراد في تواصلهم فيما بينهم كفيل بشعورهم بروح الانتماء للوطن الواحد

. التعددية وحرية الاعتقاد : إن البيئة العربية الجغرافية والاجتماعية على حد سواء تؤسس للاختلاف والتنوع ، لذلك يكون من المنطقي جدا أن تتعدد الثقافات سواء داخل الأمة ككل أو حتى داخل الدولة الواحدة ، وهو الواقع الذي نعيشه اليوم ، فلايمكن أن يحدث تعايش بين هؤلاء المواطنين المختلفين في ثقافاتهم ومعتقداتهم وإيديولوجياتهم من غير الاعتراف بذلك الاختلاف وحمايته.

. التصالح وتحقيق السلم الاجتماعي ، ودرء المخاطر عن المجتمع : إن التواصل الإيجابي والرفق والاحترام المتبادل من قبل أطياف المجتمع بعضهم لبعض ، ونبذ العنف والتشدّد ، وعدم الإدعاء بامتلاك الحقيقة من قبل جماعة دون أخرى كفيل بتوطيد شيكة العلاقات الاجتماعية وخلق الانسجام والتناغم بين مختلف أفراد المجتمع .لذلك يدعو زعيم مدرسة فرانكفورت " هابرماس " إلى خطاب " التفاعلية التواصلية " الذي يراه كفيلا بتحقيق فكرة العيش المشترك بين مختلف الهويات الفرعية ((العقلنة السلوكية هي وحدها المنتجة لمظاهر سلوكية هاضمة لفكرة العيش المشترك ومقتضياتها ، وذلك أن العقلانية تعني احترام حقوق الغير الدينية والثقافية والسياسية والمدنية ، وأن تحترم الغير في كل خصوصياته وفي حريته ومواقفه))[530]. فالخطاب السياسي الجديد وفقا لهذه الرؤية يتعاطى مع هذه الهويات الفرعية كاختلاف وتنوع بين الجماعات البشرية ، ويرى فيها فطرة فطر الله الكائنات البشرية عليها ، لقوله تعالى **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾**[531]،فالاختلاف في التكوين البشري يؤسس لتكامل العطاء الإنساني وتكون بالمحصلة الهويات الفرعية في خدمة الهوية الوطنية.

. إن الخطاب السياسي الهوياتي مدعو لتبني هذه المبادئ بالخصوص لضمان عيش مشترك متين خاصة في ظل ما يشهده العالم العربي اليوم من انقسامات وصراعات إثنية ، إن هذه المبادئ وأخرى كفيلة بضمان مختلف الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمواطن وجعلها شعارات كبرى له ، إن الدعوة إلى هذه المبادئ وتحقيقها فعليا كفيل بأن يغرس في المواطنين روح الانتماء والولاء للوطن والتفاعل الإيجابي فيما بينهم. فالأمم والمجتمعات الإنسانية التي استطاعت أن تتطور حقا في التاريخ هي الأمم والمجتمعات التي نهجت نهج العيش المشترك لكونه يعبّر عن رؤية باتجاه خلق الحقائق وتعزيز متطلبات التقاطع والتلاقي بين مختلف مكوّنات المجتمع ((إن العيش المشترك يقتضي من كلّ المكوّنات والتعبيرات ، العمل على إعادة صياغة علاقتها بأفكارها وقناعاتها العامة . فالعيش

[530] الدكتورة آمال موسى : هل العيش المشترك ممكن في بلداننا ؟ (مقال بجريدة الشرق الأوسط)، الثلاثاء 12 جمادى الآخرة 1437 هـ ، الموافق لـ 22 مارس 2016 م ، رقم العدد 13629 ،https://aawsat.com/home/article/ يوم 25 / 05 / 2020 ، الساعة 23 و 45 د

[531] القرآن الكريم : سورة الروم ، الأية : 22



المشترك لا يعني أن تنحبس كلّ فئة في إطارها الفكري الضيّق ، بل يعني الانفتاح والتواصل المستديم مع بقيّة المكوّنات ، وذلك من أجل نسج العلاقات الإيجابية ، وتجاوز كلّ الأوهام والهواجس تجاه بعضنا البعض . وهذا بطبيعة الحال يتطلّب إعادة صياغة العلاقة مع الأفكار والقناعات الخاصة بكل مكوّن وفئة ، بحيث تصبح العلاقة حيوية ومرنة وفعّالة)) [532] . فالعيش المشترك في أية تجربة إنسانية مرحلة لا يمكن بلوغها إلا بعدما يتم تفريش أرضية تتلاقح فوقها مختلف المكوّنات .

2.3 أبعاد العيش المشترك الوطنية والعالمية

. إن ثقافة العيش المشترك وهي تتكرّس بين أفراد المجتمع الإنساني إنما هي تترجم بعدا وطنيا وعالميا في آن ، من حيث أنّها تؤسس على المستوى الداخلي لعقد اجتماعي وسياسي تحكمه قيم وقوانين تعبر عن طبيعته المدنية وفي الوقت ذاته تعبر عن إنسانية الإنسان من حيث هو إنسان كوني عالمي.

. إن العقد الاجتماعي والسياسي الذي يكون نتيجة لثقافة العيش المشترك وهو يتمظهر في التآلف والانسجام والمحبة بين المجتمع الإنساني إنما هو يترجم حقيقة الإنسانية التي تقبل التنوع والاختلاف الذي ترى فيه عاملا تكامليا ، وذلك خلافا لما ذهب إليه " صمويل هنتنغتون " (1927 . 2008 م) في كتابه " صدام الحضارات " أو ما بشرّ به " فوكو ياما " (ت . م 1952 م) في مؤلفه " نهاية التاريخ والإنسان الأخير " ، وهي رؤية عنصرية أججت الصراعات وأحيت النعرات لتدخل العالم اليوم في حروب حالت دون أمن المجتمعات واستقرارها ، فعوض أن تفرز العولمة نمطا خاصا من الحياة يؤسس للعيش المشترك فقد أفرزت خلاف ذلك وكما يقول " جاك دريدا " أفرزت نمطا يقترب كثيرا من التوحش والكآبة والوحدة التي ما فتأت تتحول إلى عنف وهمجية وفي ذلك تعد على الطبيعة الإنسانية وقفز على مشتركاتها . فالعيش المشترك بقدر ما يحافظ على أنطولوجية المجتمع ووحدته فإنه يسهم زيادة على ذلك في خلق التفاعل الإيجابي البناء فيما بين مختلف مكوّنات المجتمع من حيث أنّه يؤسس بين الأفراد والجماعات لقيم الاحترام والاعتراف المتبادل.

. إن التآلف والتآنس بين الأفراد والجماعات إنما هو يترجم البعد الحضاري للأفراد والمجتمعات ، لذلك فقد ذكر " ابن خلدون " (1332 . 1406 م) في مقدمته أن التآنس هو صفة المجتمعات المتحضرة في مقابل التوحش كصفة للمجتمعات البدوية الأقرب إلى الحيوانية كون الحياة في التوحش تقوم على الصراع والتطاحن وأكل القوي للضعيف ، وهو ما يعني أن العيش المشترك قيمة تعكس البعد الحضاري في الإنسان ، يذكر " فتحي التريكي " (ت .م 1947 م) أن : ((التآنس الذي يبدأ من المحيط الشخصي الضيّق مع العائلة والأصدقاء ، ليشمل الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد

---

[532] محمد محفوظ : التسامح وقضايا العيش المشترك ، المركز الإسلامي الثقافي .لبنان ، ط 2 ، 1433 هـ ، الموافق لـ 2012 م ، ص : 41

، وصولا إلى العيش المشترك على كوكب واحد بين أقوام وشعوب وثقافات مختلفة)) [533] ، يخلق الانسجام والتناغم من خلال تأسيسه لأرضية مشتركة بين أفراد المجتمع الإنساني .

الخاتمة /

. إن المجتمعات العربية كما يظهر واقعها اليوم تعيش أزمة هوية حقيقية ومن ثمة أزمة تعايش حقيقي سواء في علاقتها بذاتها أو في علاقتها بالآخر الغربي ، أدت هذه الأزمة إلى مزيد من صراعاتها وتفككها وما زاد في هذه الأزمة سيما على المستوى الداخلي هو ذلك الخلط بين العروبة كهوية ثقافية جامعة وحاضنة لكل أبناء المجتمع الواحد وبين تلك الممارسات السياسية التي نشهدها اليوم ، الممارسات الفجة المفلسة التي تتخذ من العروبة إيديولوجية لممارسة الاستبداد السياسي و الطبقي التي ساهمت في التأسيس للمختلف المفكك لكل ما هو مشترك إنساني . لذلك كان الحديث عن الهوية يقتضي ضرورة التمييز بين نوعين من الهويات ، هوية معطاة ، وهي الهوية التي تؤسس للصراع والتفكك كونها تأتي عادة محملة بكل أنواع الجراح ، هذا النوع من الهوية عادة ما يغذيه فينا الآخر ، بل يسميه فينا الآخر أحيانا لإخراج تلك الجراح إلى السطح وهو مانعانيه اليوم في مجتمعاتنا العربية وهي الهوية الحاضرة في الخطابات والممارسات ، وهوية مبنية ، وهي الهوية الجامعة الحاضنة لثقافة العيش المشترك وقيمه وهي الهوية المنشودة ، كونها هوية بعدية يؤسسها المواطنون وفقا لمصالحهم المشتركة باعتبارهم منخرطين في مشروع العيش المشترك ، فالهوية المبنية هي وحدها الهوية التي تقدر على أن تقاطع بين أبناء الوطن الواحد في المشتركات الإنسانية ، وعندها سيزول صراع الهويات داخل الأمة لصالح هوية واحدة قوية بمراعاة مصالح الجميع وخصوصياتهم .

. إن التعايش بين الهويات للوصول إلى عيش مشترك أضحى واقعا اجتماعيا وأمرا حتميا لا يمكن القفز عليه بقدر ما يجب إقراره وحمايته بمنظومة قيمية تحسس بواقع الاختلاف والتعدد والتنوع داخل المجتمعات الإنسانية وتؤسس له ، ومنظومة قانونية تنتهي إلى ضرورة صياغة ميثاق دولي ووطني ضامن لقيم المشترك الإنساني تتعدد بمقتضاه الهويات وتتعايش ليس بين أبناء الوطن الواحد وإنما بين أبناء بني الإنسان عامة .

قائمة المراجع

القرآن الكريم والحديث

1. القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية 256
2. القرآن الكريم : سورة الحجرات ، الآية : 13
3 القرآن الكريم : سورة الروم ، الأية : 22
4. الحديث النبوي : سنن أبي داود 187 / 2

الكتب والمقالات /

[533] فتحي تريكي : جماليات العيش المشترك ، مراجعة خالد صلاح حنفي ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2016 م ، caus.org.lb/ar/ ، يوم 20 / 11 / 2020 م ، الساعة 21 و 15 د

1. محمد عابد الجابري : نقد العقل العربي (3) العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت. لبنان ، ط 4، 2000 م

2. محمد محفوظ : التسامح وقضايا العيش المشترك ، المركز الإسلامي الثقافي. لبنان ، ط 2 ، 1433 هـ ، الموافق لـ 2012 م

3. حامد خليل : مشكلة الهوية في الفكر العربي المعاصر

4. مجموعة من الباحثين : المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق. بيروت. ط38 ، 2000 م

5. وثيقة مبادئ العيش المشترك : قرارات الدورة العادية الخامسة والعشرين للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، قرار 25/ 1 ، المنعقد من 6. 10 أكتوبر 2015 م

6. محمد الغيلاني : الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع : الهوية هي الاختلاف ، قسم الدراسات الدينية mominoun.com /articles/54 ، 23 سبتمبر 2020 م

7. عبد الحقّ لبيض : ندوة الهويّة المغربية وقضايا العيش المشترك (1 من 2) ، 24 / 04 / 17 ، ,www.al-adab.com/article/

8. الدكتور كمال بومنير : من أزمة العدالة إلى أفق الاعتراف ، نحو مقاربة جديدة لنظرية العدالة (الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي ، مجموعة من الأكادميين) ، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، أعمال ملتقى 2016 م

9. الدكتور عبد الغني بوالسكك : فلسفة الثقافة ورهان الانتقال من الصدام إلى الحوار (فلسفة الثقافة : السياقات. الأبعاد. الرهانات) ، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية بالتعاون مع جامعة ابن خلدون. تيارت ، أعمال ملتقى 2015 م

10 عزيز مشواط : أزمة الهوية في العالم العربي ، أزمة معنى أم أزمة حضارة ، 29 أفريل 2014 م ، fairpress.com/blob يوم 15 / 11 / 2020 م

11. بلعز كريمة : فلسفة التعايش ودورها في التنوع الثقافي ، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 3، issin 1112. 9336 رقم العدد التسلسلي 20 ، 2019 م

12. الدكتورة آمال موسى : هل العيش المشترك ممكن في بلداننا ؟ (مقال بجريدة الشرق الأوسط)، الثلاثاء 12 جمادى الآخرة 1437 هـ ، الموافق لـ 22 مارس 2016 م ، رقم العدد 13629 ،https://aawsat.com/home/article/

13. فتحي تريكي : جماليات العيش المشترك ، مراجعة خالد صلاح حنفي ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2016 م ، caus.org.lb/ar/



تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الجزائر ودوره في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية

Teaching history in the educational phases of Algeria and its role in the preservation of the national culture and identity.

د. رفيق تلي

أستاذ محاضر قسم أ

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة– الجزائر

rafik.telli87@gmail.com

rafiq.telli@univ-saida.dz

ملخص:

التاريخ مادة من المواد التي تهدف إلى تزويد الإنسان بالموضوعات والدراسات المعمقة في تطور الشعوب وحضارتها والأحداث الهامة التي عرفها هذا التطور، فهو روح الأمة وعصب حياتها، فالتاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد وأهم مكونات ذاتية لأي أمة من الأمم، وهي بذلك تحتل مكانة هامة في المناهج الدراسية والتعليمية في الجزائر لما لها من دور في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية، إذ تعالج كل الأحداث التي مرت على البشرية لاستخلاص العبر، ويعتبر ذاكرة الشعوب، فهي مادة ينتفع منها التلميذ في تثقيف عقله وتوسيع مداركه، ويساهم مساهمة فعالة في إعداد الفرد للمواطنة السليمة من خلال الفهم الصحيح للنظم في مختلف المجالات في المجتمع الذي يعيش فيه والتكيف معه والاعتزاز بالوطن والولاء له، فهو وسيلة في تكوين وتنشئة الأفراد على حب الوطن من خلال تقديم حقائق تاريخية متعلقة بثقافة ومقومات الوطن، ويساعده على تكوين اتجاهات اجتماعية سليمة وتربية خلقية صالحة اتجاه وطنه، ويغرس فيه حب التضحية من أجل الوطن، فمن هذا المنظور يكون لتدريس التاريخ للمتعلم دور وهدف تربوي لإعداد أجيال قادرة على تحديد موقعها في شبكة الأجيال الماضية، ويساعد المتعلم على فهم الحاضر وتفسيره في ضوء الماضي وتوضيح رؤية مستقبلية.

الكلمات المفتاحية: مادة التاريخ، التدريس، الدور، الأطوار التعليمية، الجزائر، الثقافة، الهوية الوطنية.

Abstract:

History is a subject that aims to provide human beings with deep-rootedtopics and studies in the development of peoples and their civilization,in addition to the important events that have been known to this development.It is the spirit of the nation and the nerve of its life.History is one of the fundamental elements of the personality of any country and the most significant subjective component of any nation. It occupies an important place in the educational curricula in Algeria due to its role in preserving culture and national identity, as it addresses all the events that have passed on humanity to draw lessons.History is considered to be the memory of peoples. It is a subject that benefits the student in educating his mind and expanding his knowledge.It also contributes effectively to the preparation of the individual for sound citizenship through a correct understanding of the systems in various fields in the society. History grows the sense of pride and loyalty to the homeland. It is a means of formation and upbringing individuals on the love of the homeland by presenting historical facts related to the culture and the elements of the






country. As history helpsthe individual to form healthy social trends and a good moral education towards his homeland, and instill in him the love of sacrifice for the nation.From this perspective, teaching history to the learner has an educational role and purpose to prepare generationswho are capable of locating themselves in the network of past generations, and helps the learner to understand and interpret the present in the light of the past and to clarify a future vision.

Keywords: History, Teaching, Role, Educational Phases, Algeria, Culture, National Identity.

مقدمة:

تحظى مواد العلوم الاجتماعية في مراحل التعليم بأهمية كبرى، نظرا لدورها في إعداد الأجيال الناشئة على حب الوطن، والمحافظة على التراث والاعتزاز بالانتماء الحضاري، ليكونوا أفرادًا نافعين للمجتمع الذي يعيشون فيه، كما أنّها تقوم بدور كبير في الوعي الاجتماعي وتنمية القدرة على التفكير العلمي، وجعل الفرد يشعر بدوره الاجتماعي وتنمية شخصيته بما تهيئه له من معلومات ومواقف تساعده على إدراك حقيقة ما يجري في المجتمع.

ومادة التاريخ جزء من هذه المواد الاجتماعية، فهي تهتم بعلاقات الإنسان وسلوكه، متتبعة نشأتها وتطورها والنتائج التي تترتب على هذا التطور. كما أنّ مادة التاريخ تلقي الضوء على الماضي والحاضر من خلال العلاقات والمشكلات والسلوك، وهي بمثابة سجل للخبرات البشرية ولنواحي النجاح والفشل التي أدركها الإنسان في التغلب على مشكلاته الأساسية على مر العصور، الأمر الذي يساعد في توضيح الحاضر الذي يعيش فيه الإنسان، ويحدّد اتجاهات نحو المستقبل.

لهذا أصبحت الأمم تعني بتدريس مادة التاريخ من خلال إدراجها في النظام التربوي في جميع المراحل التعليمية سنحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على دور مادة التاريخ في حفاظ الفرد الجزائري على هويته وثقافته، ولأجل توضيح "تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الجزائر ودوره في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية" في "المؤتمر العلمي الدولي تحت عنوان: خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الأصالة والمعاصرة" طرحت الإشكاليات التالية:

- كيف كانت مسيرة تدريس مادة التاريخ في المنظومة التربوية الجزائرية منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا؟
- إلى أي يساهم تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية في الجزائر؟.

والهدف من إجراء هذه الدراسة هو إبراز دور تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الجزائر في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية، مع تبيان أهميتها (أي مادة التاريخ) في تثقيف التلميذ المتعلم في معرفة ماضي المجتمع الذي يعيش فيه ليستفيد منه في المستقبل.

وعليه وارتباطا بالقضايا المطروحة سلفا، كان من الضروري طرق الموضوع، وفي محاولة منّا للإجابة على التساؤلات التي طرحتها، فقد اعتمدت في معالجة مضمون هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي وكذا المنهج الوصفي الذي تفرضه متطلبات بناء الواقعة التاريخية في قالبها الأكاديمي المنهجي.




1- تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة:

1-1- التدريس:

يعتبر التدريس وظيفة هامة من وظائف المؤسسات التعليمية، خاصة المدارس بمختلف أطوارها والجامعات، فعن طريق التدريس يتم نشر المعرفة وانتقال الثقافة والحضارة من جيل إلى جيل، ويؤدي ذلك إلى إعداد وتنمية الدارسين، وتهيئتهم لأعمال ونشاطات متعدّدة، وتساعدهم في ولوج مجالات العمل المختلفة، وهو جملة من الإجراءات الصّفّية المخطط لها بشكل مسبق، ينفذها المدرس ويساهم فيها طلبته، وتستهدف إحداث تغييرات مطولة في سلوكهم، وتحقيق أهداف مرغوبة ومرسومة للمادة التعليمية، سواء معرفية أو وجدانية أو مهارية، وتعمل على صقل شخصيات الطلبة وتطوير عادات جديدة لديهم، وهو بهذا يعني: أنّه عملية منتظمة محكومة بأهداف، ومستندة إلى أسس نظرية نموذجية، تهدف إلى اعتبار مكونات منظمة التعليم، وسلوك الطلبة والمدرسين وخصائص المحتوى التدريسي، كمنظومة واحدة متفاعلة تهدف إلى تحقيق التطور والتكامل في العملية التدريسية، وفق منهج تعليمي يسعى إلى بلوغ أهداف مخططات المنظومة التعليمية، ونستطيع القول أنّ التدريس هو عملية أو إجراء مخطط، يقوم على خبرات تشمل العديد من أوجه التعلم، يستهدف تحقيق مخرجات تعليمية مرغوبة على المدى القريب، كما يستهدف كذلك إحداث مظاهر متنوعة للتعليم على المدى البعيد، فهو عملية مقصودة ومخططة، يقوم بها ويشرف عليها عضو في هيئة التدريس داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، بقصد مساعدة المتعلمين على تحقيق أهداف مخرجات التعليم المستهدفة534.

1-2- التاريخ:

– تعريف التاريخ لغة: التاريخ في اللغة العربية مأخوذ من أرّخ، أرّخ الكتاب، وأرّخه: وقّته. وهي تعني الشهر، في اللغات السامية القديمة، كاللغة الأكدية، واللغة البابلية، واللغة الأشورية. في المعجم الوسيط: أرّخ الكتاب: حدّد تاريخه والحادث ونحوه: فصل تاريخه وحدّد وقته (نعيجة، 2016، صفحة 128).وأرخ –تأريخا- تاريخ: هو تعريف الوقت[535].

– تعريف التاريخ اصطلاحا:

– تعريف ابن خلدون:"خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحّش والتّأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"536.

---

[1]- محمد خشمون سمير قريد، نحو تحقيق الجودة في طرائق التدريس الجامعي –الوسائل والأهداف-، مجلة تاريخ العلوم، العدد 11، جامعة الجلفة، الجزائر، 2018، ص214.

[535]- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص187.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004، ص47.

– تعريف ناصر الدّين سعيدوني: التاريخ هو دراسة جهود الإنسان في الماضي في مظاهرها المختلفة، إذ يسجل الماضي الذي يظهر الصراع بين البشر والتفاعل بين الفرد والأحداث في بيئة ما، وبعدد التبدلات التي نشأت عنها، وهذا ما يجعل التاريخ علما يحيط إحاطة شاملة بحياة الإنسان في كل أبعادها، فهو يعكس استمرار الوجود الإنساني عبر الزمن بمنجزاته السياسية والاجتماعية والإقتصادية والفكرية، وما تركته هذه المنجزات من تأثيرات في تطور الحضارة في الماضي وما يترتب عنها في الحاضر وما ينبئ بنتائجها على ضوء ما سيقع في المستقبل. ويضيف ناصر الدين سعيدوني في تعريف التاريخ: التاريخ هو حوار بين الماضي والحاضر، حوار بين الأجيال، وحوار بين الإنسان والزمان. وحوار بين المؤرخ والقارئ باعتباره ذاكرة العصور التي تناقلتها الأجيال. ولكونه التجربة المدونة للجنس البشري التي يمكن الاستفادة منها في أي ميدان من الميادين[537].

– تعريف قاسم بزنك: التاريخ علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي، وهو من أهم العلوم التي يفتقر إليها الإنسان لأنّه عرف أمور جنسه يعرف نفسه538.

- تعريف هنري جونسون: التاريخ بمعناه الواسع هو كل شيء حدث في الماضي...ويجب أن نفرق بين التاريخ كعلم وكمادة دراسة تعلم في المدارس، فالتاريخ كعلم من أقدم العلوم، وقد يكون أقدمها جميعا على حين أن التاريخ كمادة دراسية قد يكون من أحدث العلوم دخولا في مناهج المدارس[539].

1-3- الثقافة:

- تعريف الثقافة لغة: ثقف ثقفًا وثقافة، صار حاذقا خفيفا فطنا، وثقفه تثقيفا سوّاه، وهي تعني تثقيف الرمح، أي تسويته وتقويمه. وهي أيضا مصدر ثقف بالضم ككرم[540].

– **تعريف الثقافة اصطلاحا:**

يرى رايموند وليامز" أنّ الثقافة طريقة معينة في الحياة، سواء عند شعب، أو فترة أو جماعة...541، أي أنّها مرتبطة أشد الإرتباط بالحضارة. فالثقافة من وجهة نظر بعض الباحثين مرتبطة ارتباطا كليا بالحضارة؛ لأنّ ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها في فكرها وحركتها، وأسلوب حياتها، وعلى هذا فهما مفهومان لمسى واحد542.

ومفهوم الثقافة في الإصطلاح أوسع من معناه اللغوي، ومن الصعوبة بمكان أن يجد لها الإنسان تعريفا جامعا مانعًا، لاختلاف مجالات الدراسة أو اختلاف اهتماماتها سواء كانت تاريخية أو فلسفية أو نفسية أو اجتماعية أو

1- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص ص12-13.

538- قاسم بزنك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص22.

3- هنري جونسون، تدريس التاريخ، ترجمة وتقديم أبو الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص01.

4- المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المعلمين، القاهرة، 1994، ص56.

1- طوني بينيت، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص232.

[542]- نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، دمشق، 1998، ص16.



أنتروبولوجية، وقد ذكر صالح ذياب هندي في كتابه دراسات في الثقافة الإسلامية أسباب الاختلاف في تعريف الثقافة وهي: اختلاف اهتمام وتخصص صاحب التعريف، واختلاف المدارس والاتجاهات الثقافية في العالم حول تعريف الثقافة543.

وقد أشار مالك بن نبي إلى مدرستين في الثقافة هما: المدرسة الغربية الرأسمالية، والتي ترى أنّ الثقافة انعكاس لفلسفة الفرد وفكره، والمدرسة الماركسية التي ترى أنّ الثقافة انعكاس لفلسفة المجتمع. غير أن مالك بن نبي ضمن حديثه يذكر مدرسة ثالثة وهي المدرسة الإسلامية التي ترى الثقافة انعكاساً لفلسفة الفرد والمجتمع في آن واحد بشكل متوازن544.

ومن بين التعريفات الأخرى التي عرفت بها الثقافة:

- الثقافة مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان، فتكسبه أسباب الرقي، والتقدم والوعي عن طريق التهذيب العقلي، والتربية النفسية الخلقية545.

- الثقافة تتألف من أنماط مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول، عن طريق الرموز، فضلا عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة. ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية، وكافة القيم المتصلة بها. أما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية، وتمثل الشروط الضرورية له من ناحية أخرى546.

1-4- الهوية الوطنية:

– مفهوم الهوية لغة: فقد اشتق مفهوم الهوية من الأصل اللاتيني وتعني الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما عليه، أي الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر547، ويعرفها كميل الحاج بقوله:" هوية الشيء عينه وتشخيصه، وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه اشتراك، ومن هنا القول أن الهوية صفة تعطي للكائن أو الشيء ليعرف بها، وعندما يكون هذا الشيء مع الآخر في كل الصفات يكون لها نفس الهوية548. كذلك نجد كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية كونها كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه يا النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، وهي بهذا المعنى اسم الكيان أو الوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله549.

- مفهوم الهوية اصطلاحا: يعرفها محمد عابد الجابري بقوله: مركب تجانس من الرموز والقيم والعادات والتقاليد والأعراف الشعبية التي تحتفظ بطابعها الخاص والاستثنائي، لذلك فهي هوية وطنية قائمة الذات، ولأنّها كذلك، فهي

---

[3]- صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، دار الفكر لنشر، دمشق، 1985، ص 14.

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2011، ص37.

[2]- أحمد عطاء الله خضر، دراسات في آفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دبي، 1990، ص12.

[3]- محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص97.

[4]- علي شويني، مقومات الهوية عند قاسم نايت بلقاسم. مجلة مشكلات الحضارة، المجلد07 (العدد02)، جامعة الجزائر02، 2018، ص2.

[1]- كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي، مكتبة لبنان، لبنان، 2000، ص642.

[2]- أحمد بن نعمان، الهوية الحقائق والمغالطات،دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1996، ص21.





تعني إيجاد التطابق أو التوافق أو التوازن بين الكتلة الاجتماعية ديموغرافيا، ورقعتها الجغرافية التي تمارس عليها نتاجها الاجتماعي، وتعبر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها550، من خلال هذا يمكن أن نعتبر أن الهوية هي تأصيل لما هو مشترك وجوهري وعام بين أفراد المجتمع، أي السمات والخصائص المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد "لا تكتمل الهوية الثقافية، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة"551.

- مفهوم الهوية الوطنية: هي هوية أوسع وأشمل في مفهومها لأنّها تضم الهوية القومية والهوية الدينية والهوية الثقافية لتتجاوزها إلى هوية تنتمي لجغرافية وتاريخ وثقافة ودين ومصالح مشتركة بين أفراد الوطن الواحد552، حيث نجد عباس الجراري يعطينا مفهوما للهوية الوطنية فيقول:"أنها متمثلة في مقومات ثابتة، وقيم ناظمة لها، بحكم التشبث المتواصل بها عبر العصور والأجيال، بحب صادق وروابط فكرية ونفسية تشد هذه الأجيال وتجعل الكل يتفاعل معها، بإدراك عميق وحتى بدونه، أي بعفوية تلقائية553.

2– مسيرة تدريس مادة التاريخ في المنظومة التربوية الجزائرية منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا:

إن الهدف من إلقاء نظرة على مسيرة تدريس مادة التاريخ في المنظومة التربوية الجزائرية منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا محاولة منّا معرفة المراحل التي مرّ بها تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية بالجزائر:

2–1– مرحلة الفترة الإستعمارية:

لقد تنبه الاستعمار الفرنسي لأهمية مادة التاريخ في تكوين شخصية الفرد الجزائري فعمل على طمس ومحو الشخصية بكل الوسائل كتزوير وتضليل الحقائق فهناك "مواضيع كثيرة يظهر فيها الميل إلى تزييف حقائق التاريخ الأمر الذي يشير إلى أنّ دراسة التاريخ استغلت لصالح القوى الاستعمارية الذي حاول أن يحطم قيم الشباب عن طريق عزله عن ماضيه554.

وما كان يعرض في مادة التاريخ فهو خاص بتاريخ فرنسا القديم والحديث والقليل من تاريخ أوروبا، مع التركيز على صانعي التاريخ الفرنسي مثل: نابليون، حيث يقول عبد القادر حليمي في افتتاحية وتقديم مجلة حوليات التاريخ

---

[3]- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص177.

551- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية، مجلة الجابري (العدد06)، 1998، ص07.

2- خديجة بن وزة وعاتكة غرغوط، العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع (العدد 05)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2018، ص79.

3- عباس الجراري، الهوية الوطنية الجهوية، (د.ت)، تم الاسترداد من www.abbesjirari.com/alhawiyya.pfd.

1- صليحة لالوش، تدريس مادة التاريخ في مرحلة التعليم المتوسط. مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المجلد04 (العدد07)، مخبر تكوين تعليمة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، (د.ت)، ص221.



والجغرافيا "...ولا نعرف شيئا عن تاريخ الجزائر إلا ما كان يأتينا عن طريق الأجداد أو ما كنا نسمعه من قصص..."555، والتلميذ خلال الفترة الاستعمارية كان مجبر أن يتعلم التاريخ الفرنسي556.

2-2- المرحلة الأولى:1962-1976:

ظلت برامج تعليم مادة التاريخ في المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال تسير على المنهج الموروث من الاستعمار بإدخال بعض الإصلاحات عليها فهذه الفترة كانت انتقالية، حيث كان لا بد من ضمان انطلاق المدرسة والإقتصار على إدخال تحويلات انتقالية تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي يساير التوجهات التنموية الكبرى، وقد تميزت السنوات الأولى من الاستقلال بما يلي:

- ضبابية الرؤية فيما يتعلق بأهداف تدريس مادة التاريخ، إذ لم تصدر برامج تعليمية رسمية ما عدا بعض الموضوعات المختارة وتبليغها إلى بعض المعلمين في أنحاء الوطن الجزائري557.

- اعتبار مادة التاريخ من المواد الثانوية وتهميشها في المنظومة التربوية الجزائرية، وهو الأمر الذي أدى إلى خروج التلاميذ والتلميذات في مظاهرات في سنة 1979 إثر إعلان وزير التربية إدخاله في امتحانات البكالوريا العلمية، وقد تم الغاء القرار من طرف الوزير، ومن بعد تم دمج مادة التاريخ ضمن مواد البكالوريا ولكن بعد مشقة كبيرة558.

- إدخال تعديلات على البرامج والمحتويات التعليمية وطرق التدريس والمناهج، والابتعاد عن النظام التعليمي الموروث عن فرنسا والأخذ من المناهج التعليمية للأقطار العربية، والبداية مع التعريب حيث تم تعريب المواد ومنها: التاريخ والجغرافيا559، فبذلت الجزائر جهودا كبيرة من أجل التغيير لجعل التعليم تعليما وطنيا يستلهم مبادئه وغاياته من مبادئ الثورة التحريرية ولبناء مدرسة متطورة تنسجم مع الواقع وتستجيب لمتطلبات التنمية560.

2-3- المرحلة الثانية: 1976-2002:

ابتدأت هذه المرحلة بإصدار الأمر رقم 76-35 المؤرخ في أمرية 16 أفريل 1976 المتضمن تنظيم التربية والتكوين في الجزائر فأدخلت إصلاحات جذرية على نظام التعليم تماشيا مع التحولات العميقة في جميع الميادين والمجالات الإقتصادية والسياسية والاجتماعية وقد أرست التوجهات الأساسية للتربية الوطنية من حيث اعتبارها منظومة وطنية بمضامينها وبرامجها، فجاء ما سمي بالمدرسة الأساسية التي تهدف إلى تربية التلميذ على حب الوطن والدفاع عن مكاسب الثورة التحريرية والتجنيد الدائم للمشاركة في مهام البناء الاجتماعي561.

---

[1]- عبد القادر حليمي، الإفتتاحية- تقديم. مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا (العدد01)، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2003، ص08.

- صليحة لالوش، المرجع السابق، ص221. 556

- نفسه، ص ص221-557.222

1- عثمان سعدي، التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية، دار الأمة، الجزائر، 1993، ص90.

2- غياث بوفلجة، التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص31.

_ صليحة لالوش، المرجع السابق، ص 560.222

– نفسه، ص 223.



كان التعليم الخاص بمادة التاريخ يقدم ابتداء من السنة الخامسة أساسي ويستمر إلى غاية السنة الثالثة ثانوي (السنة النهائية).

- كان يتضمن في السنة الخامسة أساسي، الثورة التحريرية الوطنية (التي تسمى في فرنسا حرب الجزائر، 1954-1962).

- يتناول البرنامج في السنة السادسة 6 أساسي، أيضا موضوع الجزائر، ولكنه يهتم بالمرحلة الكولونيالية إلى غاية اندلاع الحرب (1830-1954)562.

- يتطرق البرنامج في السنوات السابعة، الثامنة والتاسعة أساسي إلى العصر القديم (إلى غاية ظهور الإسلام في القرن السابع ميلادي)، العصر الوسيط، عصر النهضة الأوروبية إضافة إلى انطلاق المشروع الاستعماري، و أخيرا التاريخ الحديث والمعاصر (ابتداء من التوسع العثماني).

- في الثانوية تتطرق المناهج بالنسبة للسنة الأولى والثانية لمسألة التاريخ الحديث والمعاصر (من القرن 16 ميلادي إلى الحرب العالمية الأولى) وبالنسبة للسنة الثالثة ثانوي، إلى تطور العالم في القرن 16 ميلادي في مرحلة (مابين الحربين) إضافة إلى حضارات وبعض الهيئات الدولية والإقليمية مثل (منظمة الأمم المتحدة، السوق الأوروبية المشتركة، جامعة الدول العربية).

- وفي الأخير، نشير إلى أن تدريس التاريخ والجغرافيا كان يُقدّم بنسبة ساعة واحدة أسبوعيا بالنسبة للسنة الخامسة والسادسة أساسي وبنسبة ساعتين إلى ثلاث ساعات (حسب الشعب) بالنسبة للأقسام الأخرى563.

2-4- المرحلة الثالثة: من 2003- إلى يومنا هذا:

إن هذا التعليم يبدأ ابتداء من السنة الثالثة ابتدائي ويستمر إلى غاية السنة الثالثة ثانوي، بمعنى أنه يمتد على مدى 10 سنوات (عوض 8 سنوات كما كان في النظام القديم)، ففي السنة الثالثة ابتدائي يُلقن التلميذ في مادة التاريخ مفاهيم عن الحدث، الزمان، المكان، الكرونولوجيا والسُلّم والخريطة...، قبل التطرق لأول مرة لتاريخ وطني محدد في مرحلة الثورة التحريرية، وفي السنة الرابعة ابتدائي نرجع إلى العناصر المنهجية التي تمّ التطرق إليها في السنة الثالثة ابتدائي، قبل تناول الجزائر من خلال مفاهيم متعلقة بالوطن، الرموز الوطنية، الهوية الوطنية، وعناصر التاريخ الوطني الجزائري المتضمن لمرحلة ما قبل التاريخ ومرحلة العصر القديم، العصر الوسيط والعصور الحديثة مع إبراز مختلف الدول التي تعاقبت إلى غاية المرحلة الاستعمارية، وفي السنة الخامسة ابتدائي، البرنامج مخصّص للمرحلة الاستعمارية مع إبراز أشكال المقاومة للاحتلال إلى غاية الثورة التحريرية الجزائرية، والسياسة المنتهجة من طرف الدولة الجزائرية المستقلة (ابتداء من 1962)564.

1- حسن رمعون، تدريس حرب التحرير 1954-1962 ضمن كتب التاريخ القديمة والجديدة في المدرسة الجزائرية،2008، ص03. تم الاسترداد من https://journals.openedition.org/insaniyat/1854?lang=en.

- حسن رمعون، المرجع السابق، ص03.563

- نفسه، ص04.564





وفيما يخص السنوات الأولى، الثانية، الثالثة والرابعة متوسط (في المتوسطة)، يتم تناول مسألة العصر القديم المغاربي (في السنة الأولى متوسط)، و كذا نهاية العصر القديم وظهور الإسلام وبداية حضارته في المشرق والمغرب العربيين (في السنة الثانية متوسط) والعالم الإسلامي في العصر الوسيط إلى المرحلة العثمانية إضافة إلى الدولة الجزائرية ما قبل الاستعمار الفرنسي والمقاومة الوطنية إلى غاية 1870 (في السنة الثالثة متوسط) و أخيرا، جزائر 1870 إلى غاية الاستقلال وبداية الدولة الوطنية وسياستها الدولية (في السنة الرابعة متوسط) .

وفيما يتعلق بالمناهج الموجهة للسنة الأولى والثانية والثالثة ثانوي فيتم تناول موضوعات العالم الإسلامي والتغيرات الكبرى في أوروبا من 1453 إلى 1914، إضافة إلى الجزائر من 1515 إلى 1830 (في السنة الأولى ثانوي)، الاستعمار الأوروبي في أفريقيا وآسيا، علاقات أوربا مع العالم من 1815 إلى 1954 والاستعمار الفرنسي، علاوة على المقاومة الجزائرية من 1830 إلى 1954 (في السنة الثانية ثانوي) وأخيراً بالنسبة للسنة النهائية (ثالثة ثانوي) التطور العالمي من 1945 إلى 1989 (الثنائية القطبية، العالم الثالث) والجزائر من 1919 إلى 1989. ويُخصص استعمال الزمن بالنسبة للبرامج الجديدة في الطور الابتدائي ساعة واحدة أسبوعيا بالنسبة للتاريخ والجغرافيا (أي 30 دقيقة لكل مادة) وثلاثة ساعات لمادة التاريخ والجغرافيا والاقتصاد (أي ساعة لكل مادة) في المتوسطة (الطور المتوسط) و أخيراً ساعتان إلى أربع ساعات أسبوعيا مخصصة لمادة التاريخ والجغرافيا حسب الشعب والسنوات، على مستوى الثانوية (أي من السنة الأولى إلى السنة الثالثة ثانوي)565.

3– دور تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية في الجزائر:

يعتبر التاريخ لأي بلد من المكونات الأساسية للهوية الوطنية فالتاريخ هو الوافد والمؤطر للتوجه الفكري والنفسي والإيديولوجي للأمم والشعوب، وهو الملاذ الأهم بالنسبة للأمم التي تعيش أزمات واظطرابات حيث يقوم الشعب بالإغتراف منه للرفع من معنوياته أو الخروج من أزماته أو محاربة أعدائه. لهذا التحكم في التاريخ يعني التحكم في مصائر ومستقبل الشعوب، أمام هذا الواقع نجد أنّ الاحتلال الفرنسي بالجزائر حاول التحكم في التاريخ الوطني من خلال إعادة كتابته بطريقة مشوهة ما يضمن له التحكم في الشعب الجزائري، حيث عمل المستعمر على ايجاد تفسيرات مغرضة وأحكام متحيزة لأحداث التاريخ الجزائري تتنافى مع المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، ومن هنا تبرز أهمية التاريخ ودراسته وتدريسه للناشئة في المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات في العالم566.

ويذكر ابن خلدون في أهمية التاريخ :" أما بعد فإنّ فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرجال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ويتساوى في فهمه العلماء

- حسن رمعون، المرجع السابق، ص565.04

1- مجيد مسعودي، سياسة فرنسا المنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية. مجلة بحوث ودراسات، المجلد02 (العدد05)، جامعة الوادي، الجزائر، (د.ت)، ص20.





والجهال"567، ويقول ابن خلدون أيضا:"فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية وهو معرفة تاريخ الماضيين لنستفيد منها"568.

يعدّ التاريخ مرآة الشعوب الواعية المدركة لمراحل تشكل الذات، لأنّه يبرز العوامل التي ساهمت في نشوء البناء والحتميات الزمكانية التي أبدعت صرحا لا تنجزه هامات الأفراد وحدها، بل أسسته حاجات وتفاعلات وتغيرات، منها المناخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الموروثة والمحيطة بالأفراد، حيث ذكر ابن خلدون في قدماء الجزائر فقال:" وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق، واللمان من المغرب ويقال أن أهل إفريقية قبل البربر منهم، وأن الإفرنج أيضا منهم، ويقال أيضا أن أهل الأندلس قديما منهم..."569، وتعددت أراء المؤرخين في أصل سكان شمال إفريقية –البربر- فورنال الإغريقي يرى أنّ موطنهم شمال إفريقيا أما هيرودوت اليوناني يرى أنهم جاؤو من شمال بحر ايجه، وأما بركوس البيزنطي يرى أنهم عبرانيين وأما سالوستس الروماني فينسبهم إلى الفرس، ويقول العلامة عبد الحميد بن باديس:"...ما من مُنكر أنّ الأمة الجزائرية كانت أمازيغية-بربرية- من قديم عهدها، وأن أمة من الأمم التي اتصلت بها استطاعت أن تقلبها عن كيانها..."، ولقد كان للفتح الإسلامي أثر كبير في انتشار المساواة وإقامة العدل في المجتمع الجزائري، لقد تعلم الأمازيغ لغة الإسلام وامتزجوا بالعرب بالمصاهرة ونافسوهم في مجالس العلم وشطروهم سياسة الملك، وقيادة الجيوش، فقامت الحضارة الإسلامية570.

إنّ العمق التاريخي للمجتمع الجزائري الذي يمتد من العهد النوميدي إلى الفتح الإسلامي وظهور الدولة الوطنية الأولى ألا وهي الدولة الرستمية ومن بعدها الحمادية، والزيانية ودخول الجزائر في عهود جديدة تحت قيادة العثمانيين، وبدايات ظهور الوعي الوطني في الحقبة الاستعمارية الفرنسية وتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد الأمير عبد القادر وتحرر الجزائريين من خلال الحفاظ على مقومات الهوية-الإسلام-اللغة العربية، وخوض الثورة التحريرية وهي من أعتى الحروب أرخت لهوية جديدة كتبت بدماء الشهداء الأبرار.

وإذا كان التاريخ هو أساس المستقبل، والمدرسة هي المكلفة بتنشئة المواطن، وزرع القيم ومقومات الشخصية الوطنية لدى الأطفال، يمكن أخذ المؤشرات التي ذكرها غي روشي في الحالة الكندية:" أنّ هناك عدّ مؤشرات سمحت بظهور الشخصية الوطنية من بينها الاستقلال لا كواقع من التبعية إلى البلدان المستعمرة، ومؤشر آخر هو التكتلات الإقليمية والقارية"571.

- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص567.03

3- أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين، القاهرة، 2003، ص68.

1- عبد الرحمن خلدون، ديوان المبتدأ ...، المصدر السابق، ص64.

2- ناصر بودبزة وشوقي الشاذلي، مقومات الشخصية وتشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلاميذ، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد03 (العدد05)، الجزائر،(د.ت)، ص130.

-1 Guy, R., Du nationalisme canadien français au projet souverainiste ;Quelle Continuité? Edition numérique Québec,2007, p07.



والتاريخ مادة من أهم المواد الاجتماعية، يهتم بدراسة الماضي بمختلف مراحله وأحداثه، متتبعا قصة الإنسان ونشأته وتطوره وعلاقاته ومشكلاته وآماله وتطلعاته، وبهذا فإنّ مادة التاريخ تطلع دارسه على أحوال وخبرات وتجارب من سبقوه، وما حققوه من نجاحات أو فشل، وهو بهذا يستخلص من دروس الماضي المعاني والمغازي والعبر ليكون على دراية بفهم الحاضر والاستعداد الكافي لرسم اتجاهات المستقبل572.

ونظرا لعلاقة التاريخ بحياة الأفراد والجماعات والأمم في الماضي والحاضر والمستقبل، فإنّ المنظومات التربوية في العالم كله، تحرص على برمجته كمادة دراسية ذات أهمية كبرى في مناهجها التربوية، وتدريسه للنشىء الجديد بأساليب راقية ومشوقة، ليكون عارفا بهويته مدركا لإنتمائه الحضاري ومعتزا به، متفهما لحاضره، مستشرفا لمستقبله ومستعدا لبنائه بإرادة قوية وثقة كبيرة في النفس، وإذا كانت هذه هي طبيعة وأهمية مادة التاريخ، فإنّ ذلك يستدعي تدريسه بأساليب متطورة، لإظهار طبيعته وتحقيق أهدافه، ولن يتأتى هذا إلا بتنوع الممارسات التدريسية في العمليات التعليمية للوصول إلى الأهداف المنشودة573.

فتدريس مادة التاريخ لا يعني قطعا قراءته، فالقراءة تكون مجرد اطلاع يقوم به أي شخص بهدف معرفة الأحداث التاريخية دون تحليلها. أما تدريس التاريخ فيتجاوز ذلك إلى غايات وأهداف أكبر تسعى إلى اكتساب قناعات ومهارات ذهنية وعلمية للتعلم، إلى جانب الأحداث التاريخية بكل أبعادها وخلفياتها وملابساتها، مع اكتساب القدرة والمهارة على استثمار تلك المكاسب في الحياة المهنية مستقبلا574. فغاية تدريس مادة التاريخ أن يسير المتعلم أي التلميذ أو النشىء بركب التقدم نحو الحياة الراقية في جميع الميادين: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والفكرية وهو ما يطلق عليه اسم حضارة575، وحتى تكتمل صورة الماضي في مختلف مظاهرها وتكون أقرب إلى الحقيقة الموضوعية، فقد أصبح المنهج التاريخي يعتمد لتحقيق هذا الهدف على قواعد محددة وملاحظات دقيقة576.

وتسعى الدولة الجزائرية إلى ترسيخ البعد الوطني والإسلامي في نفوس أجيال المستقبل، ودفعهم إلى الافتخار بما حققه أسلافهم من بطولات وإنجازات577، ويضاف إلى ذلك جعلهم يواكبون التحولات الكبرى التي حدثت على المستوى الوطني والاقليمي والعالمي في اطارها الزمني والمكاني578.

2- نجمة بن مسعود، استراتيجيات التدريس والوسائل التعليمية- التعليمية المستخدمة من طرف مدرس مادة التاريخ في مرحلتي المتوسط والثانوي- دراسة ميدانية بمتوسطات وثانويات الجزائر وسط. المجلة الجزائرية التربية والصحة النفسية، العدد0 (العدد05)، الجزائر، (د.ت)، ص99.

- نفسه، ص573.99

574- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة) (المجلد ج2)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص25.

- صليحة لالوش، المرجع السابق، ص575.227

- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص25. 576

- نفسه، ص ص07-577.27





إنّ الشعب الذي لا يملك تاريخًا هو شعب فاقد للهوية والأنية، فالتاريخ روح الأمة وعصب حياتها، وأحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد وأهم مكونات ذاتية أي أمة من الأمم579، فالتاريخ عصب الأمة كونه يسرد لنا ما خلفه الأسلاف من أفكار ومعتقدات، فالثورة التحريرية كانت تمثل نضال المجتمع الجزائري من أجل التحرر، فقد شكلت حروفها من ذهب في ذاكرة المجتمع الجزائري والتي لا تزال آثارها إلى اليوم، والتاريخ يصنع المستقبل من خلال معرفة الحقائق التاريخية وبناء استراتيجية متينة تؤكد الانسجام الجمعي في أفضل صوره، فالوحدة التاريخية هي التي تعزز الوحدة الوطنية، وتمثل الروح الجامعية للأمة، كما أنّ التاريخ هو الكفيل في تنشئة النشىء أو التلميذ على حب الوطن580.

والتاريخ يساعد المتعلم أي التلميذ على فهم الحاضر وتفسيره في ضوء الماضي وتوضيح اتجاه المستقبل، فالحاضر الذي نعيشه لم ينشأ من العدم وإنما هو امتداد لماضي مستمر وتمهيد للمستقبل، فالماضي كأساس للحاضر يستطيع أن يفسر الكثير من الأشياء والظواهر التي تدخل في دائرة خبراتنا في الوقت الحاضر581.

وإدراك التلميذ المتعلم لتاريخ مجتمعه والمجتمعات المعاصرة يؤدي ذلك إلى تفسيره للحاضر، وسلاحه في ذلك ذاكرته التي تدرك المواقف الماضية التي تتشابه مع المواقف الحاضرة، فالتاريخ هو سلاح التلميذ المتعلم بصفة خاصة وسلاح المجتمع بصفة عامة، وذاكرته لفهم الحاضر وتفسيره، كما أنّ الحاضر هو المجال الذي يتشكل منه ملامح المستقبل أو جزء منه582، فتدريس التاريخ للتلميذ يساعده على العمل في ازدهار ورقي وتطوير المجتمع، وذلك من خلال مساهمته في ايجاد الحلول للمشاكل التي قد تعترضه أو تعترض وطنه، ودراسته للتاريخ يمكنه من تفادي الأخطاء السابقة التي عرقلته أو تعرقل المجتمع الذي يعيش فيه، وبذلك نقول أنه لا يجب استحضار الماضي بغرض البقاء رهنًا له، بل والدعوة إلى إعادته كما لو أن عجلة التاريخ توقفت. وتبدو لنا وجاهة هذا الطرح حينما نضع تصور المعرفة التاريخية بين ثنائية "الهواية والاحتراف"، وهي الثنائية التي لخصها الباحث السبتي في "علاقة تفاوض دائم" بين المؤرخين المحترفين وصناع الرأي وتوجيه داخل المجتمع بشكل عام. ومهما كان إنتاج المؤرخ على درجة كبيرة من الإحترافية والمهنية التي تتوخى الموضوعية العلمية فهي ليست بمعزل عن فوران المجتمع وتحولاته وتطوراته خصوصا في ظل المجتمعات الراهنة التي تتّسم بوسائل الانفتاح والتفاعل والتواصل بين الشعوب والمجتمعات الإنسانية أكثر فأكثر. ومن تم بات بحكم هذا الواقع الجديد في مجتمعاتنا المعاصرة أنّه من الصعب أن يحتكر المؤرخ المحترف مهمة تحديد مضمون التاريخ

2- محمد بوشنافي، تدريس التاريخ والجغرافيا في مرحلة التعليم الثانوي "الشعب الأدبية أنموذجا". حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا (العدد01)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2003، ص167.

579- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص366.

1- علي شويني، مقومات الهوية عند قاسم نايت بلقاسم. مجلة مشكلات الحضارة، المجلد07 (العدد02)، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2018، ص ص06-07.

- صليحة لالوش، المرجع السابق، ص ص227-581.228

3- فريد حاجي، من أجل رؤية ومقاربة جديدتين لتدريس التاريخ. حوليات التاريخ والجغرافيا (العدد01)، الجزائر، 2003، ص20.

ورسم معالمه، فالرأي العام يُدلي هو كذلك بمواقفه في هذا الميدان. فهو يقيم علاقة تفاوض دائم مع المؤرخين المحترفين، ويمارس عليهم مختلف أشكال الضغط، كي يوجههم الوجهة التي توافق ميوله. وفي المقابل يضطر المؤرخون إلى إقناع الرأي العام بمشروعية التصورات التي ينطلقون منها لإنجاز أبحاثهم583.

فالتأليف الجامعي يتولد من معرفة غير مباشرة بفضل وساطة الأرشيف، وتأليف المؤرخين والصحفيين والأدباء والهواة يرتبط بالمعرفة المتداولة والذاكرة، فإنّ التاريخ المدرسي يناشد توسيع زاوية الانفتاح لدى منتجي المعرفة التاريخية الأكاديمية على مجرى التحولات التي تطبع المجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وقيميا...الخ مهما تبدو عليه هذه التحولات من سخونة. وهذا الأمر يدخل في باب تسريع وثيرة الإهتمام بتاريخ الزمن الراهن. ومما لا شك فيه أن وجاهة هذا الطرح تكمن في سدّ المؤرخ لتلك الثغرة الملحوظة في تتبع صيرورة البحث في مجال الزمن الراهن584.

وعلى كلّ فإنّ تدريس التاريخ للتلميذ مادة من المواد التي تهدف إلى تزويده بالموضوعات والدراسات المعمقة في تطور الشعوب وحضارتها وعن الأحداث الهامة التي عرفها ذلك التطور فهي مادة ينتفع منها التلميذ في تثقيف عقله وتوسيع مداركه كما تعتبر فن تكوين فلسفة اجتماعية عند التلاميذ عن طريق المثل المضروب والتحليل للعوامل ولمس النتائج، وقد كان التاريخ القراءة المفضلة لدى نابليون ولوي جورج وتشرشل وهتلر"585.

كما أنّ تدريس التاريخ للتلميذ في الأطوار التعليمية في الجزائر ينمي التفكير العلمي ويزيد من مهارته، إذ أنه لا يكفي تزويده بالمعلومات والحقائق التاريخية، فلا بد من شحن فكر المتعلم وإعطائه طاقة إبداعية في التحليل والتقويم وتغيير الاتجاهات586، فالضرورة تقتضي الإعتناء بالأبعاد الفكرية والمعرفية والمنهجية لتدريس التاريخ أكثر من الاهتمام بالأبعاد التي تستند على منهجية تكديس المعلومات والمعطيات عبر عمليات سرد الأحداث والوقائع والشخوص. فالتاريخ لا ينحصر في سرد الأحداث الماضية ومعرفة الأخبار والأحداث فقط، بل يكون التاريخ أيضا نقدا أو تمحيصا متواصلا لمعرفة أحول الناس على وجهها، وهو بالتالي فلسفة الإنسان في علاقته الشائكة بالزمان587.

نجد " Nicole Allieu" يورد لنا بأنّ تدريس مادة التاريخ للمتعلم هو فرصة لإكتسابه مهارات التفكير النقدي، ومنهجية البحث، وينير له عدة حلقات مظلمة في المجتمع من خلال استيعابه المفاهيم الأساسية، ويكون له قدرة كبيرة على التحليل وصنع واتخاذ المواقف، ويكون للدرس التاريخي دور في عملية بناء وتشكيل الحس الهوياتي الفردي والجماعي.كما نجد " Christian Laville" يورد لنا أن تدريس مادة التاريخ يستطيع المتعلم من خلالها تنمية القدرات المختلفة التي يجب توفرها في تكوين المواطن ومشاركته في النهوض بشؤون وطنه بنوع من الاستقلالية والتجرد والتفكير

1- علي موريف، الهوية الوطنية من خلال المعرفة التاريخية المدرسية. المجلة الدولية التربوية المتخصصة ، المجلد03 (العدد11)، الأردن، 2014، ص ص179-180.

584- نفسه، ص180.

- صليحة لالوش، المرجع السابق، ص585.228

2- علي ابراهيم خيري، اتجاهات لتطوير في تعليم المواد الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، ص232.

3- فتحي التريكي، العقل والنقد في فلسفة التاريخ عند العرب. مجلة الفكر العربي المعاصر (عدد88-89)، 1991، ص155.



الحر وإعمال العقل، وحينما ننتقد القيم الموجهة لتدريس مادة التاريخ، فإنّنا نساهم بذلك في نقد المعرفة التاريخية المقدمة للناشئة في مجملها588.

وفضلا عن ذلك؛ ظلت النظرة التاريخية التي تستند إليها التعلمات الأساسية في الكتب المدرسية لمادة التاريخ، وخاصة ما يتعلق بتناول دروس تاريخ المغرب القديم، تكرس نظرية استعلاء الأجنبي وتفوقه الأبدي على المحلي، وتبرز مدى السبق لديه في اكتشاف جملة من العناصر المتعلقة بهذه الفترة من تاريخ المنطقة، وذلك على الرغم من المستجدات الحاصلة على مستوى البحث الأكاديمي في مختلف الحقول المعرفية حول بعض القضايا ذات الأولوية في هذه المرحلة. وبات من الضروري مراجعة بعض التمثلات بخصوص مسار تطور الأحداث والوقائع في تاريخ شمال إفريقيا القديم بحكم تراكم ما كتب اتجاه الحضور الأجنبي ودوره المركزي في تطور الحضارة على أرض المغرب القديم589.

وقد أشار الباحث "بيير ميلزا" " Pierre Miliza" إلى كون عملية تدريس التاريخ تشكل بحق دعامة أساسية في مسار تقعيد مبادئ التفكير التاريخي التعدّدي لدى الناشئة والأجيال بصفة عامة، وذلك من منطلق اعتبار الماضي البشري تعدديا بطبعه تبعا لاختلاف التصورات والمقاربات والنظريات إزاءه590".

ويكتسي تدريس التاريخ الوطني أهمية كبرى في المراحل التعليمية في الجزائر، غير أنّ نسبة الدروس المقدمة والمخصصة لهذا الجانب تبقى دون المستوى المطلوب والغاية المرجوة، كما أنّ مضمون هذه الدروس تحتاج إلى إعادة النظر باعتبار أنّه يعتمد على السطحية، وانعدام الحصص التطبيقية وطغيان الجانب النظري في كل المستويات بحيث أنّ مادة التاريخ لم تستفد من التدريس بالأفواج مما يجعل الجانب التطبيقي لا يحقق أهدافه ونجاعته، يضاف إلى ذلك انعدام العمل الميداني كزيارة المتاحف، الأماكن الأثرية والمؤسسات التي تهتم بالبحث التاريخي. وبالتالي فإنّ منهاج مادة التاريخ في مختلف الأطوار التعليمية تحتاج إلى إعادة نظر شاملة تتماشى مع أهداف المنظومة التعليمية591، وذلك بضرورة تشكيل مجتمع المعرفة لا يجب أن يلقن ويتلاعب ويزيّف المعرفة التاريخية لأهداف دعائية وايديولوجية تتناقض مع منهجية التفكير التاريخي، حيث نجد مولود قاسم نايت بلقاسم يدعو إلى تصحيحه حيث يقول:"نأمل نصحح تاريخينا ولا يبقى المزور الشاحب، ولا نراعي في الحق أخ، ولا القريب ولا الصاحب، وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب، وإلا فكلنا على التاريخ أصبح الباكي الناحب592.

وعلى كل حال فإنّ تدريس مادة التاريخ يساهم مساهمة فعالة في إعداد الفرد للمواطنة السليمة على الفهم الصحيم للنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الذي يعيش فيه والتكيف معه والاعتزاز بالوطن والولاء له، فهو وسيلة في تكوين وتنشئة الأفراد على حب الوطن من خلال تقديم معلومات وحقائق تاريخية متعلقة بمقومات

– علي موريف، المرجع السابق، ص588.182

- نفسه، ص589.178

590- نفسه، ص177.

591- محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص ص167-170.

592- مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر،دار الأمة، الجزائر، 2007، ص250.

الوطن، كما يعمل على تزويد التلاميذ بمختلف الحقائق الخاصة بحياة المجتمعات القديمة والحديثة وهذا ما يؤدي إلى القضاء على التعصب وتحقيق التقارب والتفاهم بين مختلف الشعوب، فتدريس التاريخ للتلميذ يساعد على تكوين اتجاهات اجتماعية سليمة وتربية خلقية، واتجاهات صالحة اتجاه وطنه، ويغرس فيه حب التضحية من أجل الوطن593، ومن خلال هذا يكون لتدريس التاريخ للمتعلم دور وهدف تربوي لإعداد أجيال قادرة على تحديد موقعها في شبكة الأجيال الماضية "فكل جيل يرث ما سبقه ويكسب عادات ومثل ووسائل وتقنيات وثقافات يحاول أن يطورها ويبدع فيها"594.

وفي نفس السياق نجد لتدريس مادة التاريخ وظائف اجتماعية تتمثل في بناء المستقبل للبشرية والمجتمعات الإنسانية، وهذا يقوم على الإعتراف بأنّ هذا البناء ينطلق من حاضر الشعوب ليعود بها إلى الماضي قصد البحث عن الجذور التي تساعد على تحديد المعالم الكبرى للهويات الوطنية، حيث يعتبر التاريخ أداةً حيوية تلعب دورا محوريا في التكوين العام للشخصية الوطنية، فتستنجد الشعوب بالماضي وإسدال الستار عن قضاياه من أجل البحث عن الجذور التي تمكّنها من تحديد هويتها، وتشكل إرادة الشعوب في ظل مسارها التاريخي لتعزيز مقومات هويتها وشخصيتها الوطنية من وقود يلهب نار البحث عن المعرفة التاريخية والحاجة المرهفة للتاريخ. وهذا ما يجعل التاريخ، والتاريخ المدرسي على وجه التدقيق يلعب دورا محوريا في معرفة درجة دمقرطة الدولة والمؤسسات ومدى بناء منظور التربية التاريخية على محددات التفكير النقدي والاستقلالية في الفكر واستنبات قيم المواطنة لدى الناشئة595.

كما يعمل درس التاريخ في تعليم النشىء على تأدية وظيفة تجاوز تكوين الهوية البدائية والأولية التي تتّخذ من المشاعر والعواطف مقومات بناءها نحو اهتمامه بالهوية المدنية المبنية على العقل والتفكير، والتي تمكن المتعلمين من إمكانية اتخاذ المسافة اللاّزمة بين الذات والموضوع بما يضمن تحقيق التوازن المطلوب بين الوظيفة الهوياتية والوظيفة النقدية المتوخاة من درس التاريخ. ومن بين ما يتطلبه ذلك هو خطاطة بيداغوجية تمكّن من بلوغ الهدف الأسمى لهذه المعرفة، والمتمثل في المساهمة في تكوين مواطن مستنير يملك القدرات والكفايات ما يؤهله لقراءة ماضيه بتداخلاته وتعقيداته وتفاعلاته المختلفة في سبيل تفكيك وفهم الإشكالات السياسية والاجتماعية والثقافية المتعلقة بالهوية الوطنية المطروحة في الزمن الراهن، ومن تم التفكير في سبل المشاركة في وضع معالم مشروع المستقبل. مشروع يمتلك من المقومات الثقافية والتاريخية ما يكفي من التوجه نحو المستقبل بكل ثقة596.

خاتمة:

- صليحة لالوش، المرجع السابق، ص593.229

-2 Reinhard, M. L'enseignement de l'histoire et ses problèmes. presse université de France. Paris, 1967,p09

- علي موريف، المرجع السابق، ص ص182-595.183

596 - Boukous, A. Le champ langagier, diversité et stratification,. IRCAM. RABAT,2008, p26.



وفي الأخير وبعد دراستنا لموضوع "تدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الجزائر ودوره في الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية"، خلصنا إلى أنّ تدريس مادة التاريخ للناشئة من المتعلمين لها أهمية كبيرة، وتظهر هذه الأهمية فيما يلي:

تدريس مادة التاريخ يسير بالمتعلم أي التلميذ أو النشء بركب التقدم نحو الحياة الراقية في جميع الميادين: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والفكرية.

- إدراك التلميذ المتعلم لتاريخ مجتمعه والمجتمعات المعاصرة يؤدي ذلك إلى تفسيره للحاضر، وسلاحه في ذلك ذاكرته التي تدرك المواقف الماضية التي تتشابه مع المواقف الحاضرة، فالتاريخ هو سلاح التلميذ المتعلم بصفة خاصة وسلاح المجتمع بصفة عامة.

- تدريس التاريخ للتلميذ هي مادة من المواد التي تهدف إلى تزويده بالموضوعات والدراسات المعمقة في تطور الشعوب وحضاراتها، ينتفع منها التلميذ في تثقيف عقله وتوسيع مداركه كما تعتبر فن تكوين فلسفة اجتماعية عند التلاميذ.

- تدريس التاريخ للتلميذ في الأطوار التعليمية في الجزائر ينمي التفكير العلمي ويزيد من مهارته، إذ أنه لا يكفي تزويده بالمعلومات والحقائق التاريخية، فيشحن فكر المتعلم ويعطيه طاقة إبداعية في التحليل والتقويم وتغيير الاتجاهات.

- تدريس مادة التاريخ للمتعلم هو فرصة لإكتسابه مهارات التفكير النقدي، ومنهجية البحث، وينير له عدة حلقات مظلمة في المجتمع من خلال استيعابه للمفاهيم الأساسية، ويكون له قدرة كبيرة على التحليل وصنع واتخاذ المواقف، ويكون للدرس التاريخي دور في عملية بناء وتشكيل الحس الهوياتي الفردي والجماعي.

- تدريس مادة التاريخ يستطيع المتعلم من خلالها تنمية القدرات المختلفة التي يجب توفرها في تكوين المواطن ومشاركته في النهوض بشؤون وطنه بنوع من الاستقلالية والتجرد والتفكير الحر وإعمال العقل.

- تدريس مادة التاريخ يساهم مساهمة فعالة في إعداد الفرد للمواطنة السليمة على الفهم الصحيح للنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الذي يعيش فيه والتكيف معه والاعتزاز بالوطن والولاء له، فهو وسيلة في تكوين وتنشئة الأفراد على حب الوطن من خلال تقديم معلومات وحقائق تاريخية متعلقة بمقومات الوطن.

- لتدريس مادة التاريخ وظائف اجتماعية تتمثل في بناء المستقبل للبشرية والمجتمعات الإنسانية، وهذا يقوم على الإعتراف بأنّ هذا البناء ينطلق من حاضر الشعوب ليعود بها إلى الماضي قصد البحث عن الجذور التي تساعد على تحديد المعالم الكبرى للهويات الوطنية، حيث يعتبر التاريخ أداةً حيوية تلعب دورا محوريا في التكوين العام للشخصية الوطنية.

- التوصيات:

- الإهتمام أكثر بمادة التاريخ في الأطوار التعليمية في الجزائر من خلال إعادة نظر شاملة في مضامين الكتب المدرسية والمناهج التربوية تتماشى مع أهداف المنظومة التربوية.



- الاهتمام بتكوين الاستاذ الذي يعتبر أساس العملية التعليمية والتربوية، خاصة وأنّه مكلف بتدريس مادتين في نفس الوقت، وذلك بتكثيف التربصات والملتقيات وتوفير كل الوسائل والإمكانيات التي تساعده في مهامه.

- تكثيف العمل من أجل انسجام طبيعة الهوية الوطنية التي تعكسها مضامين الكتب المدرسية.

- وضع مادة علمية هامة في مضامين الكتب المدرسية هدفها تثقيف الناشئة من المتعلمين تعتمد على التأليف الجامعي الأكاديمي.

- إعطاء أهمية لتدريس مادة التاريخ في الأطوار التعليمية بين المواد الأخرى مثلا برفع معامل المادة وخلق محفزات من خلال يهتم التلميذ المتعلم بالمادة.

- قائمة المصادر والمراجع:

-الكتب:

- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004.
- أحمد بن نعمان، الهوية الحقائق والمغالطات،دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1996.
- أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين، القاهرة، 2003.
- أحمد عطاء الله خضر، دراسات في آفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دبي، 1990.
- المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المعلمين، القاهرة، 1994.
- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.
- صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، دار الفكر لنشر، دمشق، 1985.
- عثمان سعدي، التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية، دار الأمة، الجزائر، 1993.
- علي ابراهيم خيري، اتجاهات لتطوير في تعليم المواد الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 1998.
- غياث بوفلجة، التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- قاسم بزنك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.
- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2001.
- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 (المجلد ج2)، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية. دمشق، 1998.
- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة) ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

Boukous, A. (2008). Le champ langagier, diversité et stratification, IRCAM. RABAT, 2008.-




Guy, R. , Du nationalisme canadien français au projet souverainiste ;Quelle Continuité? Edition numérique - Québec.2007.

-Reinhard, M., L'enseignement de l'histoire et ses problèmes. presse université de France. Paris,1967.

-المقالات:

- حسن رمعون، تدريس حرب التحرير 1954-1962 ضمن كتب التاريخ القديمة والجديدة في المدرسة الجزائرية، 2008، تم الاسترداد من https://journals.openedition.org/insaniyat/1854?lang=en.

- خديجة بن وزة وعاتكة غرغوط، العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة. مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع (العدد 05)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2018.

- صليحة لالوش، تدريس مادة التاريخ في مرحلة التعليم المتوسط. مجلة البحوث التربوية والتعليمية ، المجلد04 (العدد07)، مخبر تكوين تعليمة المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، (د.ت).

- عباس الجراري، الهوية الوطنية الجهوية، د.ت). تم الاسترداد من www.abbesjirari.com/alhawiyya.pfd.

- عبد القادر حليمي، الإفتتاحية- تقديم. مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا (العدد01)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2003.

- علي شويني، مقومات الهوية عند قاسم نايت بلقاسم. مجلة مشكلات الحضارة ، المجلد07 (العدد02)، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر، الجزائر، 2018.

- علي موريف، الهوية الوطنية من خلال المعرفة التاريخية المدرسية. المجلة الدولية التربوية المتخصصة ، المجلد03 (العدد11)، 2014.

- فتحي التريكي، العقل والنقد في فلسفة التاريخ عند العرب. مجلة الفكر العربي المعاصر (عدد88-89)، 1991.

- فريد حاجي، من أجل رؤية ومقاربة جديدتين لتدريس التاريخ. حوليات التاريخ والجغرافيا (العدد01)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2003.

- مجيد مسعودي، سياسة فرنسا الممنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية. مجلة بحوث ودراسات، المجلد02 (العدد05)، جامعة الوادي، الجزائر، (د.ت).

- محمد بوشنافي، تدريس التاريخ والجغرافيا في مرحلة التعليم الثانوي "الشعب الأدبية أنموذجا". حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا (العدد01)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2003.

- محمد خشمون سمير قريد، نحو تحقيق الجودة في طرائق التدريس الجامعي –الوسائل والأهداف-. مجلة تاريخ العلوم (العدد 11)، الجزائر، 2018.

- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية. مجلة الجابري (العدد06)، 1998.

- ناصر بودبزة وشوقي الشاذلي، مقومات الشخصية وتشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلاميذ. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، المجلد03 (العدد05)، الجزائر، (د.ت).

- نجمة بن مسعود، استراتيجيات التدريس والوسائل التعليمية- التعليمية المستخدمة من طرف مدرس مادة التاريخ في مرحلتي المتوسط والثانوي- دراسة ميدانية بمتوسطات وثانويات الجزائر وسط. المجلة الجزائرية التربية والصحة النفسية ، العدد0 (العدد05)، الجزائر، (د.ت).

-الموسوعات والمعاجم:

- طوني بينيت، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010.

- كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي، مكتبة لبنان، 200



دور التراث المادي واللامادي في مدينة وهران بالغرب الجزائري في الحفاظ على ذاكرة الأمة ومستقبلها

The rôle of the tangible and intangible heritage of the city of Oran, in western Algeria, in the préservation of national memory and its future

د.ة / حورية جيلالي.

أستاذة باحثة بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (Crasc) وهران،الجزائر،قسم التاريخ والذاكرة

ملخص:

التراث هو الإرث الذي خلفه أسلافنا وبواسطته تتحدد معالم هويتنا، وهو يمثل الذاكرة الحية للفرد، والتراث بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدرا تربويا وعلميا وفنيا وثقافيا واجتماعيا، كما أن فقدان التراث الثقافي يعني فقدان الذاكرة، ويعني افتقار اقتصادي مهم في التنمية المحلية لمناطق هذا التراث، اما الهوية، التي سنربطها بالوطنية، فهي تلك الصفات والخصائص التي تميز أمة من الأمم، ويشترك فيها مجموع الأفراد المكونون لها.

ونحن نحاول من خلال هذا العمل البحث في العلاقة بين التراث كمكون مادي أو معنوي وبين الهوية ، هذه الهوية التي أصبحت مهددة في ظل العولمة التي اكتسحت الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات، والساعية لأن تجعل العالم كله تحت هوية واحدة تتماشى مع الهوية الغربية، وسنسعى لأن نبين كيف يسهم الموروث الثقافي في الحفاظ على الهوية، وبالتالي الحفاظ على ذاكرة الأمة ومستقبلها، وبحكم ما تزخر به وهران من تراث متنوع، لابد من جعل هذا التراث وسط اهتمامات المواطنين وكذا السلطات العمومية، من خلال استراتيجية تحافظ عليه ترتكز على عزيز الوعي بأهميته والتواصل مع الخبراء من جميع الجهات.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الذاكرة، مدينة وهران، التراث، الهوية.

Abstract:

Heritage is the legacy left by our ancestors and through it the characteristics of our identity are determined, and it represents the living memory of the individual, and heritage with its cultural and social values is an educational, scientific, artistic source. , cultural and social, just as the loss of cultural heritage means a loss of memory, and it means a lack of significant economic development in areas of this heritage, As for identity, which we will associate with patriotism, it is these characteristics and characteristics which distinguish a nation from nations, and all its constituent individuals share it.

We try through this work to research the relationship between heritage as a tangible or intangible component and identity, this identity which has become threatened in the light of globalization which




has swept away the cultural and social particularities of societies, and seeks to make the whole world under one identity in accordance with Western identity, and we will seek to show how Cultural heritage contributes to preserving identity, and therefore preserving the memory of the nation and its future, and by virtue of of Oran's heritage diversity, this heritage must be placed at the heart of the concerns of citizens and public authorities, through a strategy that preserves it based on awareness of its importance and communication with experts on all sides.

Keywords : History, memory, Oran, Heritage, identity.

تتجه هذه الدراسة الى مناقشة أهمية التراث ودوره في الحفاظ على ذاكرة الأمة، وفي هذا السياق، سنعمل على الإجابة على عدة تساؤلات تتبادر للذهن مثل مفهوم التراث، انواعه، تعريف الهوية، وكيف يمكن للتراث سواء كان مادي او معنوي أن يساهم في الحفاظ على ذاكرة الأمة ومستقبلها؟ وكيف يمكن الاستفادة من تراثنا الماضي في احداث نقلة نوعية نحو التنمية من أجل مستقبل أفضل، مع محاولة تسليط الضوء على نماذج من التراث المادي والمعنوي لمدينة وهران وضرورة الحفاظ عليه نظرا لأهميته التاريخية والثقافية والاقتصادية.

وللإجابة على هذه الأسئلة، قسمت بحثي إلى قسمين رئيسيين هما

*/ مفهوم التراث المادي واللامادي مع تقديم لبعض الأمثلة عن التراث بمدينة وهران

*/ دور التراث بأنواعه في الحفاظ على ذاكرة الأمة ومستقبلها **حاولت التطرق فيه إلى توضيح العلاقة التي تجمع بين التراث والهوية.**

مفهوم التراث

التراث هو مجموع خبرات الإنسان في حياته، وتنبثق هذه الخبرات من تجاربه مع البيئة المُحيطة به، وبمن هم حوله من الأفراد والجماعات، ويرتبط التراث بماضي الإنسان ارتباطاً وثيقاً، كما يرتبط بالواقع الذي يعشيه وبمستقبله، ويُعدّ التراث حجر الأساس الذي تقوم عليه ثقافة الأُمم في تاريخها وحاضرها.

انواع التراث وأشكاله

1 التراث الحضاري ويشمل ما خلفه لنا الأسلاف من تراث حضاري قديم مثل الآثار بكل أنواعها، ويشمل التراث البابلي والسومري والآشوري، بكل عاداتها وهو ما يسمى بالآثار القديمة.



2 التراث القومي وهو التراث الذي يشمل الفترة الزمنية التي ظهرت فيها القوميات بأشكالها المختلفة، وظهرت على إثرها الأمم والقوميات، لتبرز القوميات الرومانية، والفارسية والإغريقية والعربية، واتخذت لها أشكال القومية المستقلة لغة وأرضا وشعبا وعليها بني التاريخ الحديث لكل أمة.

3 التراث الشعبي وهو مكمل للنوعين الأولين (الحضاري والقومي) حيث أصبحت لكل مجموعة أو بيئة صفاتها التي تتميز بها من عادات وتقاليد وصناعات وملابس.

كما أنه توجد أنواع أخرى للتراث حسب تصنيف أريكسون[597]والتي تنقسم الى أربعة أنواع:

1/التراث الاجتماعي وهو ممتد مع الحياة بأشكالها كافة.

2/ التراث النشأوي ويعد مكملا للتراث الاجتماعي، وهو في تفاعل مباشر مع التراث الاجتماعي.

3/ التراث المادي ويتضمن جميع المنتجات الثقافية المخزونة، وهو موجود في المكتبات والمخازن والمساجد والدور الخاصة، فهو اذن تراث مكتوب ومخطوط ومطبوع، له وجود مادي على مستوى أولي، مستوى الأشياء، وهي قضية كثيرا ما نثيرها في عصرنا عند حديثنا عن احياء التراث وبعثه ثم تحقيقه على المستوى المادي[598].

4/ التراث الأدبي: يعتبر من المميزات الخاصة للتراث المادي، وظهر مرتبطا بفن الكتابة.

أما التراث اللامادي فهو يضم الرقص، القصص، الأساطير، والأشعار والملاحم وغيره، والتراث ليس أدبا قديما وليس مؤلفات الأجداد فقط، بل أن التراث يعيش في ثقافة الشعب ككل متكامل، والجزء الأكبر من التراث يعيش في الحياة الشعبية(الفولكلور)، والتي لها ثقافة مميزة هي الثقافة الشعبية تمييزا لها عن الثقافة الرسمية الموضوعة(المكتوبة) مثل القصص القصيرة والروايات التي وضعها الأدباء المحدثون.

ومن جهة أخرى فهناك من يرى بأن التراث انكسار للأمة وبضرورة التخلص من كل ما هو قديم، والأخذ بالجديد من أجل الالتحاق بالركب المتطور، وفي هذا الصدد ظهرت عدة تيارت فكرية في هذا المجال ; فالتيار السلفي دعا للعودة الى التراث والتمسك بالقديم، وهو يهتم بإحياء واستثمار التراث في اطار اسقاط صورة المستقبل المنشود، من خلال كون ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل، أي ان الحاضر لا يكون مزدهر الا اذا عاد الى الماضي[599]، أما تيارأصحاب الحداثة فقد رفض هذا الموقف رفضا كليا، ورفض العودة الى التراث ، وهو يقرأ الحاضر على ضوء المستقبل، مستبدلا

---

[597]إريك هومبورجر إريكسون (ولد إريك سالومونسن، 15 يونيو 1902 - 12 مايو 1994) كان عالمًا نفسيًا تنمويًا ألمانيًا أمريكيًا ومحللًا نفسيًا معروفًا بنظريته عن التطور النفسي للبشر. قد يكون الأكثر شهرة لصياغة عبارة أزمة الهوية

[598]م.ن. بوحجام، ملاحظات على تاريخنا القديم، الطبعة الثانية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1998، ص 40.

محمد الجابري، نحن والتراث. المركز الثقافي العربي / بيروت ص 12[599]





"الغرب" بالتراث منطلقا من أن المثل الأعلى هو " الآخر" أي " الغرب" وبحكم كون التراث شيء ماض فلا يمكن ان يستمر في الحاضر، وهكذا يضع أنصار هذا الموقف حاجزا بين الماضي والحاضر، أما ثالث تيار فكان يرى ان التراث نتاج للوعي البشري في ظروف اجتماعية محددة ، ثم ربط دراسته بالمشكلات والقضايا التي يطرحها الحاضر.

وحسب اتفاقيّة اليونسكو لعام 1972م[600]، فقد تحدد التراث العالميّ بنوعين، هما: التراث الثقافيّ والتراث الطبيعيّ، أما التراث الثقافيّ فيشتمل على المعالم الأثريّة والمباني الفنيّة والتاريخيّة والمواقع الأثريّة، أو الأعمال الأثريّة الناتجة عن عمل الإنسان، أو المشتركة بين الطبيعة والإنسان، أمّا التراث الطبيعيّ فيشتمل على التشكيلات الجيولوجيّة والمناطق التي تحتوي على الحيوانات والنباتات المهدّدة بالانقراض والتي تحمل قيمة عالية ومتميزة، والمناطق الطبيعيّة والتي لها جمال طبيعيّ يجب الحفاظ عليه.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن أن نعرف التراث بأنه "هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، وهذا التعريف يحاول أن يراعي الشمولية في تحديد التراث، فهو يضم مقومات التراث جميعها، الثقافية منها مثل علم الأدب والتاريخ واللغة والدين والجغرافية، والعوامل الاجتماعية مثل الأخلاق والعادات والتقاليد، ومن ثم العناصر المادية: كالعمران، وأخيرا ما يتضمنه من تراث شعبي يتمثل في المكتوب والشفوي واللغوي وغير اللغوي[601].

ولأنّ التراث هو الإرث الذي خلفه أسلافنا وهو "الشِّفْرَةُ" التي تتحدد من خلالها معالم هويتنا، فإنه يستدعي منا أن نبحث في العلاقة الجدلية بين التراث كمكوّن مادي أو معنوي، وبين الهوية كوعي بهذه المكونات.

التراث والهوية

يعتبر التراث المحدّد الأساسيّ لهوية الأنسان، والرابط لحاضره بتاريخه وماضيه، وبذلك أصبح الإنسان ينتمي إلى تراثه انتماءً كبيراً ويتباهى به، ويمنع المساس به أو تشويهه؛ لما له من قيمة كبيرة تشغل تفكيره وعاداته وتقاليده؛ حيث يؤكّد الدكتور محمد عابد الجابري -رحمه الله- في كتابه الذي يحمل عنوان (نحن والتراث) أنّ الإنسان العربيّ مرتبط بتراثه ارتباطاً وثيقاً كارتباطه بالحياة، فهو يتلقّى تُراثه ويتشبّع به منذ لحظة ميلاده؛ من خلال المفاهيم والكلمات والخرافات والقصص والحكايات وطريقة التعامل مع الأشياء من حوله، كما يظهر ارتباطه بتراثه من أسلوب تفكيره المستمد من التراث، ويقول الجابري إنّ جميع شعوب الأرض ترتبط بتُراثها بنسبٍ مختلفة؛ الا أنّه يوجد فارق كبير بين من يُفكّر بتُراثه على أنّه وصلة ممتدّة إلى الحاضر والمستقبل، ومن يفكر بتُراثه على أنّه شيء منقطع من الماضي

[600]https://whc.unesco.org/en/conventiontext/

[601]السيد ووتر، استخدام التراث في الرواية العربية المعاصرة، اصدار اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002، ص 145.

هذا يُعدّ التراث جزءاً مهماً من الوعي السياسيّ والوعي الاجتماعيّ؛ حيث يعتقد الفرد أنّ ما كان صحيحاً ويُهتدى به في الماضي هو صحيح الآن ويُمكن الاهتداء به أيضاً على المستويين السياسيّ والاجتماعي، وبذلك يُشكّل التراث مثالاً يُحتذى به؛ حيث يتطابق مع الحياة الاجتماعيّة في الماضي والحاضر، كما يتطابق من حيث السياسة قديماً مع السياسة المُعاصرة، فهو يُشكّل مرجعاً موثوقاً لا يقبل البحث والمناقشة

فتحليل التراث هو في نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة، وبيان سبب معوقاتها والعكس صحيح، تحليل عقليتنا المعاصرة الذي هو في نفس الوقت تحليل للتراث أي تراثنا القديم مكون في عقليتنا المعاصرة مما يسهل علينا رؤية الحاضر في الماضي ، ورؤية الماضي في الحاضر.

نستنتج أن التراث في أبسط **معانيه يشكل الهوية لأنه** يشمل أشكالا متعددة منها ثقافية، فنية وفكرية، كما أنه نتاج للعلماء والمفكرين والمبدعين، ويعتبر تراثنا من أهم الوسائل الفعالة في ترسخ الهوية الثقافية، والربط بين حاضر الأمة وبين ماضيه، وهذا ما يضعنا أمام حتمية المحافظة على الماضي وهويته لأن الانشغال بالتراث يعود لكونه جزء من انشغال الأنسان بذاته.[602]

ويمكن القول بأن تراث الأمم يمثل ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها؛ ولطالما كان التراث الثقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرًا حيويا للإبداع المعاصر ينهل منه فنانوها وأدباؤها وشعراؤها، ويتحول هذا الأبداع الى تراث يربط حاضر الأمة بماضيها، ويعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية. وليس التراث الثقافي معالم وصروحا وآثارًا فحسب، بل هو أيضا كل ما يؤثر عن أمة من تعبير غير مادي، من فولكلور، وأغان وموسيقى شعبية وحكايات ومعارف تقليدية تتوارثها الأمة عبر العصور، وكذا تلك الصروح المعمارية المتعددة والمختلفة، وتلك البقايا المادية من أوانٍ وحلي، وملابس، ووثائق، وكتابات جدارية وغيرها؛ إذْ كلها تعبّر عن روحها، ونبض حياتها.

ومن جهة أخرى فإن فقدان التراث الثقافي يعني فقدان الذاكرة، التي تساعد على اتخاذ القرار، فالفرد الفاقد ذاكرته لا يستطيع أن يستدلّ على باب بيته، فكيف والحال هكذا أن يصنع مستقبله، ويطوّر ذاته، ومثلما ينطبق هذا على الفرد ينطبق على الشعوب.[603]

دور التراث في الحفاظ على ذاكرة الأمة ومستقبلها

أنّ حجر الأساس في عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لأيّة أمّة من الأمم مرهون بمدى وعيها بتاريخها وبتراثها الذي يمثل تجارب انسانية جاهزة، ورثتها عن أسلافها تنطلق منها نحو المستقبل، لأنّ "... المستقبل ما هو

[602] محمد الجابري، المرجع السابق، ص 22.

[603] المرجع نفسه، ص46



إلاّ الماضي، مرورًا بالحاضر، والوجودُ الشّخصي هو ثمرة لخبرات الماضي وتجاربه وأحداثه"[604]، ويعتبر التراث صورة حقيقية لماضي الأمة وذكرياتها، وكل الذين يشتركون في تاريخ واحد يعتزون ويفخرون بمآثره هم أبناء أمة واحدة، وشعب واحد، وهوية واحدة؛ لذلك فمن واجب كل شخص المحافظة على تراثه، لأن فقدانه يعني زوال هويته وضياع ذاكرته، كما أن التراث يمنح للشعوب قيمتها الاجتماعية والفنية والعلمية والتربوية، وهو المكون الأساسي للحضارة،فالتراث ليس هو "الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعاً، وما شهده من أحداث تعاقبت عبر العصور، ولكنه الحاضر بكل تحولاته، والمستقبل بكل احتمالاته، إنّه يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل، فهو جزء منا لا نستطيع الفكاك منه، و بذلك يصبح سمةٌ أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ".[605]

ومن هنا فالفصل بين التراث والهوية هو ضرب من المستحيل فلا هوية بدون تراث تستند إليه، ولا تراث إذا لم يؤسس للهوية. "فالتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية"[606]كما نجد أن الهوية – في الحقيقة- ما هي إلا مجموع الصفات والخصائص والمبادئ التي توارثتها الأمة عن أسلافها عبر سيرورة واعية بها وبالتاريخ الذي جسدها وبالتراث الذي بقي شاهداً على ذكرياتها، كما يعتبر التراث مخزون يوجه سلوكات الأنسان، بحيث يمكن تحويله الى طاقة عملية موجهة فيتحول من مخزون نفسي ذا طاقة الى تحليل مباشر للواقع، وبعد ذلك يكون التراث هو ايديولوجية الجماهير وروحها المعنوية وطاقاتها النضالية.

إنّ الباحث في مجال الهوية الوطنية كان لزاماً عليه البحث في تاريخ الجزائر الممتد لآلاف السنين (الجذور الأولى لتاريخ الجزائر 500.000 سنة ق.م) وما تعاقب عليها من حضارات، فمن النومديين إلى الفينيقيين إلى الرومان،ثم الوندال فالبيزنطيين فالعرب ،والأتراك وانتهاء بالاحتلال الفرنسي، كل هذه الحضارات عمّرت بالجزائر، وحاولت أن تغرس ثقافاتها وأن تترك بصماتها في هوية الشعب الجزائري سلباً وإيجاباً، غير أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ دخوله أرض الوطن حاول بشتى الطرق محو هوية الشعب الجزائري كاملة، وطمس معالمه التاريخية والثقافية. بيد أنّ "ظهور الوعي الوطني لدى فئات الشعب الجزائري منذ تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد الأمير عبد القادر، وخوض حربٍ تحريريةٍ من أعتى الحروب، أرخت لهوية جديدة كتبت بدماء الشهداء الأبرار"[607]. وأرست قواعدها على حب الوطن والاعتزاز به، وبالتاريخ الذي خلفه شهداؤنا الذي ضحوا بالنفس والنفيس من أجل حرية البلد وكرامته، ومن أجل الحفاظ على مقوماته وركائزه الأساسية.

ومن هنا تتضح أهمية التراث التاريخي ودروره في الحفاظ على الهوية الوطنية لدى الشعوب بصفة عامة ولدى الشعب الجزائري بصفة خاصة، فهو يعبر عن وجود الانسان وكينونته، لذلك نراه متشبثاً بأصوله متمسكاً بها، بالرغم

---

[604] د.عليان، الحفاظ على التراث الثقافي ، سلسلة عالم المعرفة ، 322 ، الكويت ، 1969 ، ص 60.

[605] م.ن. بوحجام، ملاحظات على تاريخنا القديم، الطبعة الثانية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1998، ص 40.

[606606] A. O. Altwaijri, Heritage and Identity, ISESCO Publications - ISESCO, 2011, p. 7

[607] Ibid, p.7







من كل محاولات الاستلاب، ومحاولة القضاء على ثقافة المجتمع الجزائري، وغرس ثقافة المستعمر مكانها، وإضفاء الطابع الغربي الأوروبي ليحل محل التقاليد والأعراف التراثية الجزائرية، وذلك من خلال تسخير كل الوسائل، لتغيير الهوية الجزائرية وضربها في الصميم، ولعل الجهود التي بذلت في منطقة القبائل كانت أحسن مثال على استهداف الهوية الوطنية، إذ نجد المستعمر قد استغل عامل العرق واللهجات لضرب الهوية الوطنية في الصميم. إذ عمد على تدمير المساجد وهدم الزوايا، ففي عام 1930م، كان عددها يبلغ 176 مسجد وزاوية، فأصبحت غداة الاستقلال حوالي سبعين زاوية فقط.

أما التجديد فهو اعادة تفسير التراث لحاجة العصر، فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة والوسيلة التي تؤدي الى الغاية، ونفهم من ذلك أن التراث وسيلة والتجديد هو الغاية، فالتراث هو أساس وذخيرة قومية نستثمرها من أجل اعادة بناء الأنسان، وأي تطوير سواء في التصنيع أو الزراعة لا يتم الا بعد قيام ثورة انسانية سابقة عليها وشرط لها ، ويمكننا القول بأن التراث والتجديد يمثلان عملية حضارية لاكتشاف التاريخ الذي هو بحاجة ملحة ومطلب ثوري في وجداننا المعاصر، كما يكشفان عن قضية البحث عن الهوية عن طريق الغموض في الحاضر، وما يمكن قوله حسب "أدونيس" في كتابه" الثايت والمتحول"[608]بأن التراث هو الماضي، والماضي له استمرار في الحاضر، وان يكن استمرار غير تشابهي[609]، ومن الأقوال العميقة ما قاله المستشرق الفرنسي"جاك بيرك"[610]: " ان مستقبل العرب يتمثل في احياء الماضي، لأن المستقبل في كثير من الحالات هو " الماضي أو الحاضر الذي وقع احياؤه وعيشه من جديد".[611]

نماذج من تراث وهران

وهران هي ثاني أكبر مدن الجزائر بعد العاصمة الجزائر، وإحدى أبرز مدن المغرب العربي، تقع في شمال غرب الجزائر على بعد 432 كيلومترا عن الجزائر العاصمة. مطلة على خليج وهران في غرب البحر الأبيض المتوسط، ظلت المدينة منذ عقود عديدة ولا تزال مركزا اقتصاديا وميناءً بحريًا هامًا، يحدها من الشمال خليج مفتوح ومن الغرب جبل

---

[608]محمد الميلي، الجذور الثقافية والفكرية لثورة نوفمبر المجيدة، جريدة المجاهد الأسبوعية، العدد 2303، 20-27 / 9 /2001.

[609]علي أحمد سعيد إسبر (شمال بلاد الشام: من مواليد 1 يناير 1930)، والمعروف أيضًا بالاسم المستعار أدونيس أو أدونيس، هو شاعر وكاتب مقالات ومترجم سوري يُعد من أكثر الشعراء العرب تأثيرًا وهيمنة في العصر الحديث. قاد ثورة حداثية في النصف الثاني من القرن العشرين، "كان له تأثير زلزالي" على الشعر العربي يضاهي تي إس. إليوت في عالم الناطقين بالإنجليزية، أعماله البارزة كانت أغاني مهيار الدمشقي، الساكنة والديناميكية.

[610]ن. ح. أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التفسير، المركز الثقافي العربي، الطابق السابع، الدار البيضاء، المغرب 2005، ص.201

[611]ولد جاك بيرك في فرندة في 4 يونيو 1910 وتوفي في سان جوليان إن بورن (لانديس) في 27 يونيو 1995، وهو عالم اجتماع وعالم أنثروبولوجيا استشراقي فرنسي. وهو أيضًا والد أوغسطين بيرك، الجغرافي. والد جاك بيرك، أوغسطين بيرك، بعد أن كان إداريًا في الجزائر، انتهى من منصب مدير شؤون المسلمين وأراضي الجنوب إلى الحكومة العامة (من عام 1941 إلى ما بعد مذابح مايو 1945).



مرجاجو (420 متر) وهضبة مولاي عبد القادر الجيلاني. يقع تجمع المدينة على ضفتي خور وادي الرحي (جمع رحى) المسمى الآن وادي رأس العين.

شّدت المدينة منذ القدم اهتمام الحضارات المتنوعة وأطماعها، فتقلب حكمها بين سلالات حاكمة محلية من عرب وأتراك عثمانيين وبين محتلين إسبان وفرنسيين وضع جميع منهم بصمته لتزين به المدينة فسيفساءها التراثي والثقافي. بعد استقلال الجزائر شهدت المدينة تطورات مهمة جعلت منها ثاني مدن البلد وقطبًا اقتصاديًا مهمًا. تنوع النشاط الاقتصادي فيها من صناعات كبيرة وصغيرة استفاد من مجاورتها لمدينة أرزيو النفطية، كما أصبحت المدينة قطبًا تجاريًا بفضل مينائها البحري النشط الذي شكل المنفذ الأساسي للتجارة الخارجية لكل الناحية الغربية للجزائر.

الثقافة الوهرانية صنعت للمدينة سمعة إقليمية وعربية وحتى عالمية. فاشتهرت المنطقة بشعراء ما يسمى **بالملحون** الذي شكل المعين الذي غرفت منه الأغنية الوهرانية عبر **شيوخ الوهراني** وأغنية الراي لاحقا لتصل به لآذان العالم عبر **شباب المدينة** .كان للمسرح أيضا نصيب تشهد عليه مسرحيات عبد القادر علولة وغيره. هذا التنوع جعل من المدينة مكان جذب للسياح فلا تزار الجزائر دون زيارة وهران. وقد فتح هذا المجال للاستثمار في البنية التحتية لقطاع السياحة فتعددت الفنادق الفخمة والمنتجعات السياحية التي استغلت جمال شواطئ المنطقة.

تقع وهران القديمة على السفح الشرقي لجبل المايدة،أو مرجاجو(سيدي هيدور)، في حوض وادي الرحىالذي اشتهر برحاه الكثيرة التي قيمت به، والذي عرف أيضا بوادي رأس العين لوجود عيون جارية فيه وخاصة المنابع العليا منه، وهو يمتد من الجنوب الى الشمال حيث ينصب في البحر، وتقع أحياء وهران القديمة على حافته الغربية، في حين تقع بعض القلاع والحصون والأسوار على حافته الشرقية[612]، يحيط بمدينة وهران سور لاتزال أجزاء منه قائمة لحد الآن، وبها ستة أبواب منها باب السوق، باب الجيارة، في الشرق، وباب البليل في الجنوب، بينما نجد باب المرسى أو المرسى الكبيروباب القصبة في الغرب، باب عمارة ، وباب كانستيل وباب الميناء في الشمال[613].

هذا وكانت مدينة وهران تتوفر على عدد كبير من القلاع والأبراج والحصون، بعضها قديم جدا، والبعض الآخر يعود الى عهد المرينيين، والأغلبية تعود الى عهد الأتراك والإسبان، ولايزال البعض منها قائما بينما تهدم البعض الآخر لعوامل الزمن والحروب الى جانب الزلزال المدمر الذي عرفته مدينة وهران سنة 1790، الذي أتى على جزء هام من عمران المدينة، ومن بين هذه الحصون والأبراج برج القصبة (903 م)، برج القديسة تيريز (1557)، برج العيون (1563)، برج الجبل (ما بين 1698 – 1708)، برج القديس ميقيل أو برج الفرانسيس(1740م)[614].

---

[612] A. O. Altwaijri,op.cit,p15

[613] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع 2002، وهران، ص.143

[614] L. Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie incluant le Tellnet Sahara, Paris 1862, pp 198-199.






كما تحتوي مدينة وهران على عدد هام من المساجد والزوايا، منها ما حوله الإسبان والفرنسيون الى كنائس، ومن هذه المساجد ، "جامع البيطار" الذي أسس سنة 1347 م وتم تحويله الى كنيسة، وتم تحويله منذ سنة 1983 الى مركز ثقافي بحي سيدي الهواري، "مسجد البرانية" أو بني عامر الذي أسسه الباي بوشلاغم سنة 1708للتجار الأجانب الذين يحضرون الى وهران لغرض التجارة، ثم حوله الفرنسيون الى كنيسة باسم القديس أندري[615]، ليعود في نهاية السبعينات من القرن الماضي الى مسجد، أما المساجد التي لازالت قائمة الى حد الآن بوهران فهي " جامع الباي" في خنق النطاح والذي أسسه الباي محمد الكبير سنة 1793، " الجامع الكبير" أو مسجد الباشا" الذي أسسه الباي محمد الكبير سنة 1796بأمر من باشا الجزائر الداي بابا حسين، تخليدا لفتح وهران الأكبر [616]، أما " الجامع الكبير" أو "مسجد الباشا" فقد أسسه الباي عثمان بن محمد الكبير فيما بين(1799-1800)، وعلى اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1831 تم تحويله الى مستشفى عسكري ، وعلى اثر انجاز مستشفى " بودانس العسكري" ألحقوه به، واتخذوا الحمامين الذين بناهما بوشلاغم بجواره مغسلين للجنود الرماة[617]، الى جانب مسجد وضريح سيدي محمد بن عمر الهواري بحي القصبة.

ولازال تاريخ وهران يتحدث عن نفسه، حيث تعتبر المقابر والأضرحة التي تحتوي عليها مدينة وهران شاهدا آخر على تراث المدينة وعراقتها، ومن بينها "ضريح سيدي البشير" بجوار ثانوية عبد الحميد بن باديس"، ضريح " سيدي الهواري" بالقصبة ، في سفح الجبل وهي التي دفن فيها الشيخ سيدي الغريب، والشيخ سيدي هيدور، أما مقبرة "مولى الدومة " فهي تقع في حي رأس العين، ويعود تأسيسها الى بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولاتزال المقبرة الإسبانية برأس العين قائمة ، وتمثل هذه الأضرحة والمقابر جزء من تراث مدينة وهران التاريخي، والحضاريالذي يحتاج الى العناية والاهتمام.[618]

من كل ما سبق يمكن القول بأن مدينة وهران تحتل مكانة تاريخية هامة، كما قال عنها الكاتب الفرنسي ألبير كامو، حيث جمعت بين الأصالة والحداثة، فكانت مقصد السياح من داخل الجزائر وخارجها،وعرفت عدة حضارات تتابعت عليها منذ العصر الرومانيوصولا الى العهد الإسلامي، ومن ثم الاحتلال الإسباني والوجود العثماني الى غاية الاحتلال الفرنسي لها، وبفعل تنوع الاستعمار الذي خضعت له،وطول مدته، تطور العمران بالمدينة، والذي اختلف من حقبة الى أخرى، معمارها جمع بين طرازين أحدهما حديث تمّ بناؤه على أيدي الفرنسيين بعد احتلال المدينة والثاني

---

[615] J.Cazenave, Organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole (1505-1792), Revue de l'armée africaine, novembre 1922, p326.

[616] Piesse,op.cit, p221-222.

[617] Ibid,p 221-222

[618] Ibid,op.cit,p 221-224







قديم على الطراز الأندلسي الإسباني والعثماني. فهي مدينة تضم الشواهد على الاختلاط الحضاري، ولعل أفضل الأمثلة على هذا التنوع العمراني الحصن الإسباني الشهير، المسجد العثماني الكبير، الى جانب ملامح المدينة الأوربية التي بنيت في عهد الاستعمار الفرنسي، حي سيدي الهواري الذي يعرف بالمدينة الإسبانية – العثمانية القديمة، كما تميزت شوارعها بروعة تصميمها وتناسق بناياتها الممتدة على مئات الأميال ومسارحها الشامخة التي شيّدت حديثا، ومتاجرها ومساكنها، كل شيء فيها، يذكرك بالوجود الفرنسي الذي حاول طمس كل أثر اسلامي في المدينة، كأنه لن يغادرها، ومع ذلك حافظت على أصالتها وامتدادها الحضاري، لتكون بذلك رمزا للتعدد الثقافي وإحدى المدن الأكثر انفتاحا وتسامحا.

ويعتبر قصر الباي محمد الكبير الذي يتربع على مساحة قدرها 5.5 هكتار، في حي سيدي الهواري العتيق، وسط مدينة الباهية، واحدا من الشواهد الأثرية، التي حفرت في ذاكرة الجزائريين، فترة الحكم العثماني في البلاد، حيث شيّده محمد باي بن عثمان الكبير ، في نهاية القرن الثامن عشر، متخذا إيّاه مقرا لإدارة شؤون الرعية بغرب البلاد، وعرف بـ "بايلك الغرب"، الى جانب جامع الباشا وصومعته وباب إسبانيا وطبل سان جوزي ، وحديقة ابن باديس "بروماند دو لايتون" بسيدي الهواري التي انطلقت أشغالها منذ 1836 على أنقاض حديقة موجودة منذ فترة قدوم الوافدين من الأندلس وعهد التواجد العثماني في وهران.[619]

وفي قمة جبل "المرجاجو، تقع قلعة "سانتا كروز" التي بناها الإسبان في القرن السادس عشر، على قمة جبل سيدي هيدور، فوق برج حسن بن زهوة سنة 1567 [620]حسب راية كيلC.Kehl ، وسنة 1577 حسب رواية ديديDidier[621]يحيط بالقلعة سور شاهق الارتفاع، به منافذ أعدت لنصب المدافع، وفي أسفلها كنيسة تطلّ على البحر، وضع فيها تمثال "السيدة العذراء"، أو ما يطلق عليها الجزائريّون "للاّ مريم" لطرد الأوبئة والأمراض، فكانت مقصد المسحيين، هناك أيضا معبد وهران العظيم وهو ما يسمى الآن مسجد عبدالله بن سلام في شارع محمد بغدادي في وهران ، وكان المعبد يخص اليهود حيث تم بناؤه من قبل اليهود في الجزائر عام 1918 و هو معبد كبير و جميل و يقال إن حجارة هذا المعبد ميزته في البناء حيث تم إحضار الحجارة من القدس و بعد استقلال الجزائر تم تحويل المعبد إلى مسجد قائم الى الآن .

التراث اللامادي

الى جانب التراث المادي، تزخر وهران أيضا بتراث لامادي جد متنوع، كما هو الحال بالنسبة للعادات والتقاليد التي اشتهرت بها وهرانفي العصور الماضية، والعديد من الألبسة التراثية التقليدية مثل البلوزة الوهرانية والحايك الذي كان

---

[619]يحي بوعزيز، نفسه، ص 170-172

[620]https://www.elkhabar.com/press/article/13699/

[621]C. Kehl, Le Fort de Santa Cruz, dans Bulletin TR.S.O.G.A, Oran, Volume 54, Oran, 1933






رمزا للحياء والحشمة، حيث تشتهر نساء "الباهية"، رغم حالة التمدّن التي تعشن على وقعها، بمحافظة بعضهن على "التنقيبة" أو ما يطلق عليه "الحايك" وهو رداء أبيض ترتديه المرأة فيغطي جميع بدنها وتظهر عين واحدة فقط منه[622]، وكذلك الجلابة المغربية التي اكتسبوها من المغاربة الذين سكنوا المدينة، الى جانب الخلخال الفضي الذي كانت ترتديه النسوة، أمّا الرجال فيرتدون البرنوس والعباءة البيضاء، ناهيك عن عدة آلات موسيقية لازالت تستعمل لحد الآن كالدربوكة مثلا، والتي كثيرا ما تستخدم في الأعراس التقليدية التي كانت تشتهر بما يعرف بالمداحات كما تعرف مدينة وهران أيضا بالعديد من الأكلات الشعبية المتداولة بعاصمة الغرب الجزائري، ولعل ما يميز المطبخ الوهراني وجود الكثير من الأكلات التراثية القديمة المتجددة والأصيلة على غرار حلوى "الغريبية" و"القريوش"،و"لامونة" و"كالكارنتيكا" و"الحريرة" و"طبق الكسكسي الوهراني" وغيرها، حيث يتميز المطبخ الوهراني بجمعه بين المطبخين المتوسطي والمغاربي،وهو متأثر بشكل كبير بالمطبخ الجنوب إسباني وإلى حد ما بالمطبخ الفرنسي، وفي هذا الصدد نذطر ماكتبته الكاتبة "اليزابيت دوميزون" في كتابها "لذائذ المطبخ الوهراني"Les Délices de la cuisine oranaiseوالذي يسمح بالتوجه الى كل الناس مهما كانت أعراقهم أو عاداتهم[623].

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي

تكمن أهمية الحفاظ على التراث الثقافي في بعده الحضاري، وحفظه لذاكرة وهوية الإنسان والمجتمع، ذلك أن الإنسان مكوّن من مادة وروح، وبما أن التراث الثقافي يضم التراث المادي والمعنوي فإن هذيْن العنصريْن يكوّنان عصب الحضارة، فالحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككينونة وكهوية فردية ومجتمعية. فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب، فحضيرة التاسيلي، أو الأهقار تمثل هوية الإنسان الجزائري في أقصى الجنوب الجزائري، كما أن الحفاظ على التراث الثقافي هو إغناءٌ للثقافة الإنسانية بالحفاظ على التنوع الثقافي لدى شعوب المعمورة.

ومن جهة أخرى فان التراث بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدرا تربويا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيًا لأفراد المجتمع، وفقدانه يعني فقدان الذاكرة، ويعني افتقارا اقتصاديا مهمّا في التنمية المحلية لمناطق هذا التراث، لذلك لابد من خلْق ديناميكية تنموية شاملة يستفيد منها السكان المحليون، نظرا للأموال التي تصب في خزينة الدولة من موارد مالية هامة بالعملة الصعبة، والعملة المحلية.

[622]G.Didier, Histoire d'Oran, T. VIII, Oran, 1929-1931, p56.

[623]Semmoud, B, M’dina Jdida, Etudecartographique et géographique d’un cartier d’Ora n,Ses rapports avec l’agglomération et la région oranaise, Thése de doctorat IIIsicle, 2.t. Université de ParisVII, UER de géographie et sciences de la société, p213.









لأجل كل هذا لابد من إعادة إحياء الموروث الثقافي غير المادي لعاصمة الغرب الجزائري، من خلال تثمين العادات والتقاليد التي كانت تشتهر بها المنطقة، واقامة المعارض المختلفة التي تسلط الضوء على هذا الإرث كمعارض الصور للمعالم الأثرية، واللباس التقليدي، والحرف اليدوية، والأطباق التقليدية المحلية، الى جانب تخصيص فضاءات قارة لعرض المنتوجات التقليدية وتشجيعها، وكذلك الحرف كما هو الحال بالنسبة لحرفة الصياغة وتصليح الأحذية، والدباغة وغيرها، هذا الى جانب انشاء نوادي خاصة بمختلف الحرف لتنشيطها والحفاظ عليها من الزوال، ولعل أفضل انجاز تم في هذا المجال هو انشاء مركز ودار للصناعات التقليدية المتواجدتان بحي الصباح، اللذان يستقطبان الحرفيين لعرض منتوجهم المختلفة، هذا الى جانب أهمية غرفة الصناعات التقليدية والحرف المتواجدة بشارع ميرامار بوسط المدينة[624].

ومن جهة أخرى فتعتبر المقاهي مراكز للذاكرة وخاصة تلك التي عرفت أحداث تاريخية بارزة كما هو الحال بالنسبة لمقاهي المدينة الجديدة التي تعتبر جزء من الذاكرة الجماعية، وتم انشاؤها في 20 جانفي سنة 1845 من قبل الجنرال لويس لاموريسيار[625]، وكانت تعرف بحي الزنوج، وكثيرا ما كانت أماكن لالتقاء رجال الفن والسياسة والنضال الوطني، خاصة وأن حي المدينة الجديدة هو القلب النابض لمدينة وهران، وقد أدى هذا الحي دورا هاما أثناء ثورة التحرير الوطني. وقد أثر تغير نشاط هذا الحي الذي أصبح قطبا تجاريا على ملامح المقاهي القديمة التي تم تحويلها إلى أنشطة تجني ربحا أكثر. وهكذا أصبحت مقاهي "ابن دومة "و" دوايدي" و" إتحاد وهران" و" ولد مسيلي" وهي من أقدم مقاهي هذا الحي، محلات لبيع الأحذية والألبسة الجاهزة ومستحضرات التجميل وغيرها من المنتجات. فمن بين حوالي عشرين (20)مقهى من المقاهي الشهيرة لم يبق سوى اثنان أو ثلاثة لا تزال تقاوم الزمن كما هو الحال بالنسبة لمقهى "شلال " الذي كان يتردد عليه في السابق بطل ثورة أول نوفمبر 1954 أحمد زبانة أول شهيد ينفذ فيه المستعمر الفرنسي حكم الإعدام بالمقصلة، وكذا الفنان الكبير المرحوم أحمد وهبي. وذكر مسير هذا المقهى حسين مشبوب الذي تمكن من الحفاظ على نصف المحل فقط بعدما حوله إلى "مقهى-مطعم" أنه ليس من السهل الحفاظ على هذا النشاط بينما يمكن كسب الكثير بتأجير المحل. وقد نظمت هذه الجولة الموجهة التي قادت ما لا يقل عن عشرين من عشاق مدينة وهران إلى "أماكن الذاكرة" أخرى من طرف جمعية "الرحالة الجزائريين" في إطار شهر التراث تحت شعار "لنرتشف أكثر من فنجان من القهوة[626]، ونشير هنا الى وجود العديد من مشاريع ترميم المعالم الأثرية، يقدمها ديوان استغلال وتسيير الممتلكات الثقافية المحمية.[627]

---

[624] E. Demaison Les délices de la cuisine d'Oran Editions Publibook, 2003, p 125.

[625] https://www.el-massa.com/dz/index.php/component/k2/item/28820

[626] Sadek Benkada, Oran1732-1912, Essai d'analyse de la transition historique d'une ville algérienne vers la modernité urbaine, Editions Crasc,2020, p241.

[627] https://www.ennaharonline.com/%D8%A7%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%82




خاتمة

إن لكل أمة تراثا تعتز به، يؤرخ ماضي الأمة وأمجادها العظيمة، وتعتبر الحاضر امتدادا للماضي، ويشكل السمة المميزة لكل أمة عن غيرها. ويتضمن الموروث التراثي الثقافي على معلومات جمالية، وتاريخية، وعلمية، واجتماعية اقتصادية، أوقيم روحية للماضي، والحاضر والمستقبل. وتبرز هنا الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهمية وحالة التراث الثقافي، والدور الذي يلعبه في وجوده على هذه الأرض، والدور الاقتصادي والتكنولوجي للتراث الثقافي في الفنون، والتغيرات الاجتماعية والعلمية. وهذا التقييم يعتبر أساسا لاتخاذ القرارات من أجل حماية ونقل معاني القيم التراثيةللمجتمع

في ظل المبادئ العلمية الحديثة التي بدأت تعي أهمية التراث الثقافي بكل مكوّناته، وتدرك هذه القيمة الإبداعية والجمالية في الثقافة الإنسانية، والدور الذي يلعبه في تشكيل المقومات الأساسية لهذه الثقافة، فإن التراث الثقافي الجزائري عامة والوهراني خاصة أحوج من غيره للدراسات في هذا المجال والتي تأخرت كثيراً، وهذه مهمة الدارسين والمهتمين بأن يعلنوا أن هذا التراث الغني والمتواجد في كل ربوع الجزائر بما فيها مدينة وهران بمرافق مختلفة، وبصور متنوعة لهو من الغنى التاريخي، والهويّاتي، وهو بحاجة الى الحماية التي لن تتحقق إذا لم تكن ضمْن نهضة ثقافية حديثة شاملة، مرفقة بوعي لمكوّنات هذا التراث الثقافي، والنظر إليه لا كماضٍ غاب وانقضى، بل كحاضرٌ دوْمًا وحيٌّ، ومحفّزٌ لنا في الاندماج بفعالية في الحاضر، والإطلالة بثقة على المستقبل، لا كقيدٍ يكبّلنا ويشدّنا إلى الماضي، فننقطع عن دورة الحياة المعاصرة، وننكفئ على أنفسنا فتجرفنا التيارات الخارجية، ولا نقوى حينها على المقاومة.

وبالرغم من كل محاولات التشويه وطمس الهوية الوطنية والتعدي على الموروث التاريخي للأمة الجزائرية، إلاّ أننا نجد هذا الأخير مازال ماثلاً في نفوس الجزائريين لحد الساعة، من خلال المحافظة على لغتهم ودينهم وثقافة أجدادهم من فولكلور، وشعر، وأغاني، وموسيقى شعبية، وحكايات، وصناعات تقليدية مختلفة، والاعتزاز بتقاليدهم مثل الحفاظ على اللباس التقليدي والنمط العمراني وطريقة تشييد المباني وتنوّع الأكلات التقليدية وغيرها من العادات التي توارثناها جيل بعد جيل.

إنّ التاريخ المشترك لهذه الأمة هو ما كرّس هوية وطنية ببعدها الإسلامي والعربي والأمازيغي، وهو الضامن الأساسي للحفاظ على هذه المقومات، فالتراث بكل ما يحمله من قيم أخلاقية وفكرية متوارثة يعتبر هو الحجر الأساس في بناء أي مجتمع باعتباره "البوتقة التي تتشكل فيها عقلية المجتمع وتصورات الجماهير وقيمها ومثلها وعاداتها"[628]، وهو ركيزة أساسية من ركائز هوية الأمة الثقافية.

---

[628]https://www.elkhabar.com/press/article/13699/



إن الحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية، لذا يجب تسخير كل المستلزمات الضرورية للحفاظ على التراث الوطني (المادي-والمعنوي)، والاستفادة منه، في بلورة القيم وسلوكيات النشء، وإرساء هويته، ويمكن القول بان حجر الأساس في عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لأية أمة مرهون بمدى وعيها بتاريخها وتراثها، لذلك أصبح علينا الاهتمام بتراثنا وهويتنا وتسخير كل الطاقات للحفاظ على التراث الوطني المادي والمعنوي والاستفادة منه.

قائمة المراجع والمصادر

- ح. أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التفسير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2005
- د. عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، 322، الكويت، 1969
- السيد ووتر، استخدام التراث في الرواية العربية المعاصرة، اصدار اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002
- محمد الجابري، نحن والتراث. المركز الثقافي العربي / بيروت
- محمد الميلي، الجذور الثقافية والفكرية لثورة نوفمبر المجيدة، جريدة المجاهد الأسبوعية، العدد 2303، 20-27 / 2001/9.
- معتوق، مدخل إلى علم اجتماع التراث، الطبعة الأولى، دار حداثه، بيروت، 2004
- ن. بوحجام، ملاحظات على تاريخنا القديم، الطبعة الثانية، المطبعة العربية،غرداية،الجزائر، 1998
- يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع 2002، وهران
- O. Altwaijri, Heritage and Identity, ISESCO Publications - ISESCO, 2011
- Benkada, Sadek Oran1732-1912, Essai d'analyse de la transition historique d'une ville algérienne vers la modernité urbaine, Editions Crasc,2020.

○ Kehl, Le Fort de Santa Cruz, dans Bulletin TR.S.O.G.A, Oran, Volume 54, Oran.

- Semmoud, B, M'dina Jdida, Etudecartographique et géographique d'un cartier d'Oran,Ses rapports avec l'agglomération et la région oranaise, Thése de doctorat IIIsicle, 2.t. Université de ParisVII, UER de géographie et sciences de la société






صراع الهوية والاندماج عند المسلمين في أوروبا

Identity and integration struggle for Muslims in Europe

ناصر بوقرو، دكتوراه في التاريخ المعاصر، أستاذ محاضر بجامعة المدية، الجزائر
Email: nassr_ed@yahoo.fr

ملخص:
يواجه المسلمون في أوروبا تحديات عدة تحّد من اندماجهم في المجتمعات الجديدة، فبعد أن يتجاوز المهاجرون عقبات اللغة والإقامة والتأقلم والبحث عن العمل، يظهر التحدي الثقافي بفعل اختلاف عاداتهم وأنماط حياتهم مع المجتمعات الجديدة. فإذا كان البعض يعتبر الهجرة عملية ولادة جديدة و مدخلا إلى عالم أفضل، فإنها تحمل معها مصاعبها وأخطارها أيضا، فالأزمة تكون عادة من جانب المجتمع المضيف، حيث باتت المجتمعات الغربية أكثر تشنجا تجاه الثقافة والتقاليد العربية والإسلامية.

نحاول من خلال هذه المداخلة مقاربة موضوع الهوية كأحد الأبعاد الأساسية و الحساسة لأي مجتمع قائم بذاته محافظ على خصوصياته، من خلال التركيز على فكرة الهوية الثقافية والدينية باعتبارها تمثل في نظرنا القاعدة الأساسية للصمود ومواجهة تحديات الانصهار في الثقافات الأخرى، التي تمتلك قوة خاصة تستطيع بها فرض نفسها على الحياة المعاصرة على العديد من المستويات سياسياً، اقتصاديا، فكرياً، علمياً، إعلامياً ، ثقافياً و تربوياً و تعليمياً. إننا بحاجة إلى قدر كبير من الفهم و الوعي لمواجهتها، ليس فهماً بعمق الظاهرة وجوهرها و إدراك لبعدها وغايتها فحسب، وإنما وعياً تاماً بمقوماتنا وقيمنا وتعاليمنا الثقافية والدينية و تنميتها.

الكلمات المفتاحية : الهجرة، الهوية، الاندماج، الصراع.

Abstract:
Muslims in Europe face many challenges that limit their integration into new societies. After immigrants overcome the obstacles of language, residency, adaptation, and the search for work, the cultural challenge appears due to the difference in their customs and lifestyles with the new societies. If some consider immigration to be a process of rebirth and a gateway to a better world, it carries with it its difficulties and dangers as well. The crisis is usually on the part of the host community, as Western societies have become more tense towards Arab and Islamic culture and traditions.

Through this intervention, we try to approach the issue of identity as one of the basic and sensitive dimensions of any self-standing society that preserves its peculiarities, by focusing on the idea of cultural and religious identity as representing, in our view, the basic basis for resilience and facing the challenges of





assimilation in other cultures, which possess a special force with which they can impose Its self on contemporary life on many levels, politically, economically, intellectually, scientifically, informally, culturally, educationally and educationally.

We need a great deal of understanding and awareness to confront it, not only an understanding of the depth of the phenomenon and its essence and awareness of its dimension and purpose, but a full awareness of our constituents, values, cultural and religious teachings and their development.

Key words : Migration, identity, culture, integration, conflict.

المقدمة :

يواجه المهاجرون المسلمين إلى أوروبا سواء بفعل عوامل اقتصادية، أو سياسية تحديات عدة تحّد من اندماجهم في المجتمعات الجديدة، فبعد أن يتجاوزون عقبات اللغة والإقامة والتأقلم والبحث عن العمل، يظهر التحدي الثقافي بفعل اختلاف عاداتهم وأنماط حياتهم مع المجتمعات الجديدة. فإذا كان البعض يعتبر الهجرة عملية ولادة جديدة ومدخلا إلى عالم أفضل، فإنها تحمل معها مصاعبها وأخطارها أيضا، فالأزمة تكون عادة من جانب المجتمع المضيف، حيث باتت المجتمعات الغربية أكثر تشنجا تجاه الثقافة والتقاليد العربية والإسلامية.

ففي بداية الأمر كانت الهجرة طلبا من بعض الدول مثل فرنسا وبريطانيا بسبب الحاجة إلى اليد العاملة نتيجة الازدهار الاقتصادي، فهي من كانت تلجأ إلى المستعمرات أو الدول الفقيرة في إطار اتفاقيات ثنائية. نتيجة لذلك توافدت أعدادا كبيرة من دول مختلفة وخاصة من شمال إفريقيا لفترة طويلة ابتداءا من الحرب العالمية الأولى، وعرفت تطورا كبيرا بعد الحرب الثانية.

غير أن الأزمة الاقتصادية في عام 1973 تسببت في اتخاذ تدابير لمكافحة تدفقات الهجرة عقب تسييس المسألة. فبعد ثلاثة عقود من التوسع الاقتصادي والتدفقات المتواصلة للهجرة، تبين أن اليد العاملة غير المؤهلة الأجنبية كان لها دور في إبطاء التنمية الاقتصادية في البلاد، وبالتالي ارتفاع معدلات البطالة بشكل كبير بين كافة الجنسيات، مما أدى إلى تحول مسألة التكاليف الاقتصادية والاجتماعية للهجرة إلى قضية سياسية. حيث قررت الحكومة الفرنسية في جويلية 1974 عن توقيف إدخال العمال الدائمين. في المقابل تطورت التدابير التي تسمح بلم شمل الأسر إلى حد كبير، وبالتالي هجرة الإناث. لكن هذه التدابير عقدت الأمر وأدت بدورها إلى ظهور جملة من المشاكل والتحديات بسبب التباين في الثقافة ومنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية بين المهاجرين وخاصة المغاربة العرب وسكان المجتمعات الأوروبية629.

[629]Voir Boukrou Nacer, L'immigration en France entre assimilation, intégration et exclusion : principes et politique sociales dans la région rouennaise de 1945 à nos jours, Thèse de Doctorat sous la direction de professeur Yannick Marec soutenue en 2015 à l'Université de Rouen.







بناءا على هذا فإن اتخاذ تدابير "الإدماج" وإحداث تغيير في هدف العمل الاجتماعي الرامي إلى استيعاب المهاجرين أصبح أولوية لا رجوع عنها. من الآن فصاعداً سوف تحل المبادئ الاجتماعية والثقافية التي تتضمن تحرير الذات من الخصائص المميزة للمنشأ محل المبادئ الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالإدماج. لقد سمح هذا الشكل الجديد للمهاجرين بالحفاظ على هوياتهم الثقافية وممارسة العبادة التي يختارونها في إطار قيم تلك المجتمعات.

إذا اعتبرنا أن الهوية هي ذلك الميكانيزم الذي نحمله معنا حيثما رحلنا والمُكون من مجموع عناصر الدين والثقافة والأعراف والتاريخ و أن الاندماج هو ذلك المصطلح المتعدد المفاهيم والمعاني كالتطابق والاتحاد والانصهار، فهوية أغلب المهاجرين العرب هي الإسلام والتي تتناقض تماما مع هوية الأوروبيين سواءا كانوا مسيحيين أو ملحدين. نرى من خلال هذا المشهد هُويتين مُختلفتين أشد الاختلاف، حيث التطابق (الاندماج) يتراوح بين الممكن والمستحيل، بل إننا أمام صراع مرير بين هويتين لا يلتقيان أبدا ولن يتحقق هذا التطابق (الاندماج) إلا بتنازل الواحدة للأُخرى، وغالبا ما تتنازل تلك الضعيفة اقتصاديا لصالح الثقافة السائدة والمُسيطرة.

تعتبر طبيعة تفاعل المهاجر مع المجتمع الجديد من أكثر المواضيع التي أخذت حيزا واسعا من النقاش حولها ضمن عملية الاندماج، حتى انقسموا إلى فريقين ؛ الأول، يتبنى فكرة الأصالة ويشترط على المهاجر أن يحافظ على عاداته وتقاليده دون أن يولي اهتمام بنظرة المجتمع المستقبل، حتى ولو كانت هذه التقاليد استفزازية بالنسبة لهم. أما التيار الثاني، فهو عصري، لا يرى حرجًا في التفاعل والتطابق التام مع عادات بلد المهجر ومجتمعه بشكل كامل، بل ويدعو للاندماج والانصهار في المجتمع الجديد معتبرًا هذا شرطًا حقيقيًّا يمكن المهاجر العربي المسلم من تحقيق هدف التجنس والاستقرار.

يبدوا أن كلا الفريقين قد جانبا الصواب، لأنّ المهاجر لا يتعدى كونه إنسانًا نشأ في بلد لا يزال يحمل آثاره في ذاكرته، ونشأ في مجتمع لا تزال ملامحه حاضرة في أكثر المواقف، لذلك لا يمكن له أن يندمج بسرعة مع أي مجتمع مهما كان قريبًا لعقله وفكره. في المقابل على هذا المهاجر أن يحترم قيم وعادات وثقافة وديانة المجتمع الجديد من أجل الأمن والاستقرار والتأقلم مع هذا البلد الجديد، لذلك عليه أن يتقن اللغة مثلا وخلق علاقات وارتباطات بينه وبين أفراد المجتمع الجديد.

إن الطريق إلى الاندماج يتطلب تنازل أحد الأطراف عن إحدى مُقومات هويته. ونحن نتساءل هل المواطن الأوروبي مثلا مُطالب بالتنازل أم هو المهاجر العربي المسلم ؟ وهل الاندماج طريق يسلكه طرف واحد نحو الآخر، أي أن المهاجر العربي المسلم هو الملزم به دائما ؟ على أن كل الشعارات الرسمية تدفع نحو الاندماج وتشجع عليه، لكن تنقص البرامج التي تحفز السكان في المشاركة في تعبيد الطريق ودون أن يصبح ذلك أمرا سياسيا وورقة انتخابية مهمة. ولكن عن أي اندماج نتكلم، خاصة في وجود فوارق عديدة بين هُويتين ؟

لا نريد الحديث عن اندماج عمر أو زيد في هذا البلد أو ذاك، بل التأكيد على أن هوية المُهاجر العربي المسلم لا تُفارقه حتى في أحلامه وطموحاته وسط مجتمع له هوية أخرى قد تصل فيها نسبة الحياء إلى أقصى درجاتها الدنيا. فماذا سيكون رد فعل المهاجر العربي المسلم عندما تأتي بصديقها إلى المنزل، أو تعلن لأباها أنها حامل من صديقها ؟



إننا نعتقد أنه حينما يقبل المهاجر العربي المسلم بهذا، إذاك يُمكننا الحديث عن الاندماج، وأما غير ذلك فيبقى الحديث عن الاندماج حتى إشعار آخر. بسبب هذا التباين الثقافي والديني باتت معظم مجتمعات الغرب لا تنظر بعين الراحة إلى أي سلوك يشير إلى ثقافة عربية أو إسلامية : من استخدام اللغة العربية في الشارع، إلى استهجان الاحتفاظ بالتقاليد والشعائر الدينية، كالصلاة بشكل أساسي، والنظرة العدائية إلى حجاب المرأة، واستحالة حصولها على فرصة عمل في كثير من الدول بسبب حجابها. هذا الواقع خلق شعورا بالغربة في نفس المهاجر العربي، في لغته وشعائر دينه وتقاليده وهوية لباسه، فأصبح أمام خيارين صعبين : إما الانطواء على نفسه والابتعاد عن المجتمع ولهذا المنحى أخطار كبيرة، أو التخلّي عن ممتلكاته الثقافية والدينية والذوبان، ويعيش بالتالي غربة داخل غربة.

بناءا على هذا الواقع نطرح السؤال الآتي :

هل يشكل الإسلام عائقا يحول دون الاندماج والانصهار في المجتمعات الغربية ؟ هل يمكننا اعتبار الإسلام سببا رئيسيا في عدم اندماج العرب في المجتمعات الأوروبية ؟

نسعى من خلال هذه المداخلة إلى البحث عن إشكاليات الهوية وعقبات الاندماج لدى المهاجرين العرب المسلمين وتحديات العيش في أوروبا.

الهوية وعقبات الاندماج

مع التحول من بيئة وثقافة نشأ الإنسان فيها إلى بيئة أخرى بأسس وثقافة مغايرة، يواجهه العديد من التحديات لها علاقة باللغة والدين والهوية، حيث يجد الفرد نفسه في مجتمع تتعدد لغاته، فيكون من الصعب الاندماج في حالة الجهل وعدم المعرفة بلغة البلد الذي يهاجر إليه، فإذا وُجدت اللغة ذابت معها العديد من الصعوبات التي من المؤكد أن تواجه الفرد في بلاد الغرب. كما يجد الفرد شرائع وعاداتٍ وتقاليد أخرى، وقوانين حاكمة وسياسات أكثر صرامة من تلك التي كان يعيش فيها، وعليه الالتزام بها في الأخير، ففي البداية يجدون بعض الصعوبات إلى أن يتعودون على تلك المفاهيم والطبائع الحياتية. في حين هناك من يسعى لأن ينقل نمط حياته إلى حيث يرحل، ولكن ذلك في الغرب يُعد درباً من دروب الجنون، فالحياة هناك تُجبر المهاجر على الالتزام بأساليبها وأنماطها.

لقد عرفت مسألة الهوية اهتماما كبيرا لدى المفكرين في مختلف البلدان، كثيراً ما يتم خلطها مع مفاهيم أخرى مثل (الثقافة، القومية، الأصالة)[630]. فالهوية ترتبط بالوجود والذات والتراث الثقافي، مثلما ترتبط بالتعدد والتنوع والاختلاف والتغيير، أو بالتشابه والتماثل والثبات الاجتماعي في صيغها المختلفة ومستوياتها المعرفية المتنوعة وكذلك في سياقاتها المتعددة التي تنتج وعياً اجتماعياً يثير تساؤلات تقترب بالهوية من حيث دلالاتها وأبعادها ومكوناتها الأساسية وعلاقاتها بما هو ثابت ومتغير من عناصرها، ومن حيث هي وعي متوتر وملتبس في علاقتها مع مكوناتها من جهة ومع الآخر

---

[630] سليم مطر، الهوية الوطنية بين الفرد والجماعة، عن موقع الحوار المتمدن، 2003/11/28، من الموقع :
http://www.rezgar.com/debate/show.art.asp?ad=12079
وأيضاً: محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، 2000، ص ص19، 35 .





من جهة ثانية631.وتزايد الاهتمام في الفترة الأخيرة بمفهوم الهوية العربية الإسلامية الذي أصبحت من أهم القضايا المطروحة سياسيا في أوروبا، حيث ارتبطت بمشكلة الاندماج. فالهوية هي جوهر الشيء وحقيقته، إنها كالبصمة للإنسان التي يتميز بها عن غيره، وهذا ما ذهب إليه "إليكس ميكشيللي"632 لما قال بأنها "عبارة عن مركب من العناصر المرجعية والمادية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي، فالهوية طالما أنها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته الذي تتميز فيه بثبات معين، مثل الشخص الواحد يولد ويشب ويشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وأحياناً ذوقه (أي تتغير شخصيته)، ولكنه يبقى في الأخير هو نفس الشخص وليس شخصاً آخر.

أمّا علم النفس فقد اهتم بالجانب الاجتماعي للهوية وكانت هناك محاولات عديدة لتعريف الهوية خاصة من خلال دراسة مفاهيم الذات الاجتماعية والشخصية الاجتماعية وغيرها، ويؤكد "William James" أن الهوية ظاهرة نفسية اجتماعية تقع عند نقطة التقاطع بين معرفة الذات من طرف الإنسان نفسه ومن طرف الآخرين633.

من ناحية أخرى، هناك من يعتقد أن الحديث عن الهوية، أو أزمة الهوية ليست حقيقية، وإنما هي أزمة مفتعلة توجد في الذهن أكثر مما توجد في الواقع، نتيجة لعدة عوامل لعل أهمّها هو التغيرات والتحولات التي يشهدها العالم المعاصر وخاصة مع ظهور نظام العولمة. فالأزمة ليست في الهوية كما يقول تركي الحمد634، ولكن في العقل الذي وجد صعوبة كبيرة في القدرة على استيعاب المتغيرات وإنتاج عقل جديد وثقافة جديدة.

لدى الباحثين أجوبة مختلفة، لكنها تتفق على فكرة واحدة مركزية تفيد بأن الهوية هي: إحساس الفرد أو الجماعة بالذات إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أنا أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم635.

إن الهوية كما عبرت عنها مجموعة من الباحثين "تشير إلى صور الفردية والتمييز الذاتية يحملها ويخططها ممثل ويشكلها ويعدلها مع مرور الزمن عبر العلاقات مع الآخرين"636. هكذا تكون الهوية على المستوى الفردي، ولكن يمكن تطبيق ذلك على المستوى الجماعي أيضاً، لتصبح في هذه الحالة صورة الجماعة وتميزها واختلافها عن الآخرين، وتكون الهوية في هذا التعريف في حالة التغير والتحول والتكون المستمر.

يمكن الاستنتاج مما تقدم بأن الهوية مجموعة من السمات المادية والمعنوية التي تسمح لنا بتعريف موضوع أو شيء معين، وتتكون من جانبين (موضوعي وذاتي)، الموضوعي: هو وجود مجموعة من السمات والعناصر، والذاتي: هو اصطفاء واختيار أي جزء من هذه السمات والعناصر. ويعرف (أنتوني غدنز) هذا المصطلح بأنه "السمات المميزة لطابع

---

[631] إبراهيم الحيدري، إعادة إنتاج الهوية العراقية (محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها)، من موقع الثقافة الجديدة، (الانترنت):
http://www.althakafaaljadeda.com/317/19.htm

[632] إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة د. علي وطفة، الطبعة العربية الأولى 1993، دمشق سوريا. ص 169.

[633] James W. The Principles of Psychology, New York : Henry Holt, 1890 ; réédité par Dover, 1950 (2 volumes).

[634] تركي الحمد : الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 91.

[635] ليون ويستليه، ضد الهوية،:المصدر السابق، ص37.

[636] المرجع السابق، ص38.





الفرد أو الجماعة بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم"637. ويشير إلى أن مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب ويمكن مقاربته من عدة زوايا، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم، ويتشكل هذا الفهم انطلاقاً من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة، ومن مصادر الهوية؛ الجنوسة*، التوجه الجنسي، الجنسية، المنطلقات الإثنية، والطبقة الاجتماعية... الخ638. ويربط عز الدين المناصرة الهوية بالسلوك واللغة والثقافة التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها639.

ويرى رشاد عبد الله الشامي بأنها "الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها المكونة لها على مدار تاريخ الجماعة وتراثها الإبداعي وطابع حياتها"640. وحسب رأي (الشامي (فإن الملامح الحقيقية للهوية هي تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي، وتحدد الهوية الشعور العميق الوجودي الأساسي للإنسان.

بالنظر إلى هذه الآراء ، نلاحظ أن أغلبها يؤكد على أن هوية الإنسان هي حقيقته التي تميزه عن إنسان آخر، وأن هويته يحددها انتماءه الذي يتجلى في تحديد خصائص محددة. بناءاً على هذا يمكن القول بأن الهوية عبارة عن (منظومة من الخصائص والعناصر المادية والمعنوية المكونة لوجود شيء ما والتي تميزه عن الأشياء الأخرى بصورة عامة على الرغم من وجود عناصر وخصائص متشابهة). وتكون العناصر والخصائص المحددة لهوية شيء ما على نوعين (عناصر وخصائص عامة قد تشترك معها الهويات الأخرى، وعناصر وخصائص خاصة ينفرد بها هذا الشيء. وبهذا تصبح الهوية (كل ما يحدد وجود الإنسان وكينونته من العناصر والخصائص المادية والمعنوية)، وتكون هوية الجماعة هي كل ما يحدد وجود الجماعة البشرية وكينونتها من العناصر والخصائص المادية والمعنوية التي تميزها عن الجماعات الأخرى إلى جانب وعي الجماعة بهذه الخصائص. ولكن الإرادة والوعي ليسا مايحسم مسألة الهوية بالمطلق لأنهما يعتمدان على ما هو موجود من العناصر والخصائص المكونة للذات، وتختار منها ما يناسب تصوراتها ومصالحها، وبالتالي فالعناصر المادية والمعنوية تعظفي خصائص معينة وتحدد صورة عامة عن جماعة معينة، والوعي والإرادة يبرزان ما تعتقد الذات بأنه يمثلها ويعبر عنها وفق أسس ومعايير متنوعة تلعب فيها المصلحة دوراً بارزاً في اختيار واصطفاء عناصر الهوية، بالإضافة إلى الظروف التاريخية والبيئة المحيطة بالجماعة. وتلعب الهوية دوراً ذا بعدين أو اتجاهين من حيث إنها، تميز الذات عن غيرها وتكون

---

637 انتوني غدنز، علم الاجتماع، م س ذ , ص766.

638 يقصد (انتوني غدنز) بالجنوسة (Gender)، التوقعات الاجتماعية حول السلوك الذي يعتبر مناسباً للأفراد من الجنسين، ويشير إلى السمات التي وضعها أو أسبغها المجتمع على الرجولة والأنوثة، ينظر: المصدر السابق، ص747 .

639 عز الدين مناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، ط1، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان-الأردن، 2004، ص24.

640رشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، نقلاً عن: خالد جمعة، قراءة في كتاب (إشكالية الهوية في إسرائيل-رشاد عبد الله الشامي)، من الانترنت : http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/3/page16/html





موضع اعتزازها، أي أنها تعمل على الصعيد الخارجي. وتعمل أيضاً، على تحقيق التشابه والتجانس والاندماج داخل الذات الجماعية وبين أفرادها. تلعب المعتقدات والأفكار والأيديولوجيات دورها في تحديد العناصر والخصائص التي هي موضع الاعتزاز وما هو غير ذلك. وعلى هذا تبنى الهوية على أساس الصورة التي تراها الجماعة لنفسها باعتراف الآخرين. وفي كل أنواع الهويات الجماعية تتعلق الهوية بالشعور بالانتماء المشترك بين أعضاء المجتمع السياسية إلى شيء يعتبرونه مشتركاً بينهم. سواء كان هذا المشترك أرضاً (إقليماً جغرافياً)، أم ثقافة، أم دولة (كيان سياسي- الهوية الوطنية)، والرغبة في التفاني والتضحية في سبيله. وهذا ما يراه (سعد الدين إبراهيم) ويؤكد بأن مسألة الهوية تنطوي في الأساس على معانٍ رمزية وروحية وحضارية جماعية، تعطي الفرد إحساساً بالانتماء إلى جسم أكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الأكبر641.

هناك ثلاثة مستويات للهوية الثقافية للإنسان، وهي الهوية الفردية الشخصية والهوية الجمعوية والهوية الوطنية أو القومية، والعلاقة بين هذه المستويات ليست ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين يتغير مدى كل منهما اتساعاً وضيقاً بحسب الظروف وأنواع الصراع والتضامن و اللاتضامن التي تحركها المصالح الفردية والجمعوية والوطنية القومية642.

وبقدر تميز هذه الجماعة وكونها وحدة جمعية حقيقية قابلة للملاحظة بشكل مباشر، وتقوم على أساس مواقف جمعية مستمرة ونشطة وتسعى إلى تحقيق هدف مشترك، وأنها تشكل إطاراً اجتماعياً بنيوياً يتجه نحو تحقيق تماسك نسبي لمظاهر الحياة الاجتماعية، بهذا يمكننا أن نعتبرها عن نظام ثقافي للجماعة وذهنية جماعية643. ويعرف انتوني غدنز (الجماعة الاجتماعيةSocial group) بأنها "مجموعات من الأفراد الذين يتفاعلون بأساليب منظمة بعضهم مع البعض، وقد تتفاوت الجماعات من حيث الحجم، فتتراوح بين روابط بالغة الصغر وتنظيمات كبيرة، ومهما كان حجمها، فإن الملمح المحدد للجماعة هو وعي أعضائها بوجود هوية مشتركة بينهم"644. ولكنه يعرف المجتمع (Society) بأنه "مجموعة من الناس يعيشون في حيز معين، ويخضعون لنظام معين واحد من السلطة السياسية، وهم على وعي بأن لهم هوية تميزهم عن الآخرين"645. هذا التمييز بين الجماعة وبين المجتمع يقوم على وجود سلطة سياسية وإطار من النظام في المجتمع وانعدام وجودها في الجماعة. ويضيف شاكر مصطفى سليم إلى أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأشخاص تعيش وتعمل سوية لفترة من الزمن تكفي لخلق تنظيم خاص بها، ولأن تعتبر نفسها وحدة اجتماعية مميزة، والأسس التي يقوم عليها المجتمع هي وجود مجموعة من الأفراد، وتعايشهم مع بعض في إقليم محدد كوحدة ذات كيان ووجود ثقافة خاصة بهم واستمرارها زمنياً فترة طويلة كمجموعة، ووعيهم وإحساسهم بشعور جمعي وملكيتهم لروح الجماعة646.

---

[641] سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، م س ذ, ص332.

[642] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية (عشر أطروحات)،في أسامة أمين الخولي،(محرر) ندوة (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربيةط3، بيروت–لبنان، 2000، ص299 .

[643] للمزيد من التفاصيل انظر: اليكس ميكشيللي، الهوية، م.س.ذ، ص38.

[644] انتوني غدنز، علم الاجتماع، م.س.ذ، ص747.

[645] المرجع نفسه، ص761.

[646] شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا (انكليزي–عربي)، ط1، جامعة الكويت، 1981، ص ص898، 903.



بناءا على ما سبق، يمكننا القول أن الخصائص والصفات المذكورة (التكتل الجماعي والتميز الثقافي داخل المجتمع مع وعي بامتلاك هوية مختلفة) عقبات في طريق الاندماج وانعزال وانطواء على الذات.

الهوية العربية الإسلامية

يرى الكاتب والباحث الفلسطيني في الشؤون الفكرية والتاريخية العربية والإسلامية، الدكتور غازي التوبة، أن الحرب على الهوية العربية الإسلامية ليست حديثة، وإنما هي حرب قديمة وتأخذ أشكالا شتى، لكنه يرى في المقابل أن الهوية العربية الإسلامية تمتلك من مقومات القوة والرسوخ ما يجعلها عصية عن الذوبان، والدليل على ذلك هو أن الاستعمار الأوروبي لبث قرونا يعمل على مسخ هوية بعض الدول العربية الإسلامية وخير مثال على ذلك الجزائر التي بقي فيها قرن وثلاثين عاما، لكنه خاب وخسر فكريا وعسكريا.

تتميز الهوية الإسلامية بكونها تمتلك خاصية تفتقد إليها جميع الهويات في العالم، وهي كونها منهج حياة يمس جميع الجوانب دون استثناء، حيث تتكون من عنصرين أساسين، الأول يتمثل في الشكل وتمثله اللغة، أما الثاني فيتمثل في المضمون ويمثله الإسلام. من هنا يظهر الارتباط الوثيق بين اللغة العربية من جهة، والدين الإسلامي من جهة أخرى، فالدين واللغة منذ النشأة الأولى مرتبطان وغير قابلان للفصل، ولهذا فإن علاقة المسلم العربي بلغته أكبر بكثير من علاقة غيره بلغته، بل إن علاقة المسلم غير العربي باللغة العربية، حتى وإن كان لا يجيدها، أبلغ وأوثق من علاقته بلغته الأصلية التي يتقنها. وبالتالي فاللغة العربية هي مركز الهوية الإسلامية، لأنها مع كونها أداة للنمو الروحي عند المسلمين حين دخلت في صلب نهج العبادة، فإنها إلى جانب ذلك لغة جميع المسلمين من كل جنس وإقليم، وبها يتواصلون ويتعارفون، فالمحافظة عليها هي محافظة على وحدة المسلمين الثقافية، وهويتهم الدينية، ولهذا لما توقف نموها وانتشارها، بسبب ضعف أهلها، توجه الأعاجم من المسلمين إلى لغاتهم الأصلية، وتفرقت أمة الإسلام شيعاً وأحزاباً، في حين كان أكثر الذين خدموا العلوم والمعارف بأنواعها المختلفة من غير العرب.

وقد أدرك المتربصون بالأمة حقيقة العلاقة بين اللغة والهوية، حيث قال الحاكم الفرنسي موجهاً جيشه الغازي للجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر: فقد حكمناها حقيقة"، ولعل هذا المغزى من المستعمر الفرنسي هو الذي قصده المسلمون زمن عافيتهم، وازدهار لغتهم، في العصر العباسي، في إمرة المتوكل، سنة 240 للهجرة، حين منعوا أهل الذمة من تعلم اللغة العربية – لغة العلوم والمعارف في ذلك العصر– وألزموهم بلغاتهم القومية الخاصة، مما دفع كثيراً منهم – بطريق غير مباشر– لاعتناق دين الإسلام. وبالرغم من الفارق في الاتجاه بين الأسلوبين، فإن الغاية واحدة، حين ارتبطت اللغة بالهوية هذا الارتباط الوثيق، الذي يمكن أن ينتج عنه الانصهار في الآخر، مما قد يؤدي إلى تبديل الهوية بالكلية، وقد كشفت بعض الدراسات عن وجود علاقة قوية، وجاذبية خاصة بين هجرة الأدمغة العربية إلى أوروبا وأمريكا وبين استخدامهم اللغة الأجنبية التي تتحدث بها هذه البلدان الغربية.

لقد أثبت الواقع أن اضمحلال اللغة القومية لأمة ما هو فقدان ذاتها وحقيقة وجودها، ولا أدلَّ على ذلك من حال الهنود الحمر في القارة الأمريكية حين غزاهم المهاجرون الأوروبيون، فعملوا فيهم عسكرياً وثقافياً حتى أفقدوهم لغتهم وبالتالي





ذاتيتهم وهويتهم الخاصة، وكذلك ما حصل في أوروبا وأمريكا بحق الرقيق السُّود، المجلوبين من إفريقيا، إذ لم يبق لهم من جميع أصولهم وخلفياتهم إلا ما تفرضه الوراثة من الأشكال والألوان.

ولقد فهم المستعمر الأوروبي المعادلة حين غزا بلاد المسلمين، فعمل بدأب منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي على فصل المسلمين عن تراثهم الإسلامي، حين سعى إلى إضعاف اللغة العربية، من خلال فرض اللغة الأجنبية، والترويج للهجات العامية، وبث الأدب الشعبي، وطرح فكرة استخدام الحرف اللاتيني، والدعوة لإصلاح قواعد اللغة العربية وتطويرها، آخذين في كل ذلك بتوصيات جمع من المستشرقين المتخصصين في شؤون الشرق الإسلامي، ومستخدمين عملاءهم في البلاد العربية لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية الخطيرة، التي تستهدف في الظاهر اللغة العربية وفي الحقيقة تستهدف هوية الأمة الإسلامية في تراثها وحضارتها، وخصوصياتها الثقافية، حين أيقن المستعمر أن اللغة ركن من أركان الهوية الثقافية، تشترك مع العقيدة والتراث في بناء الذات، ففي هدمها هدم للذات.

ولقد عاشت اللغة العربية أزمات عسيرة عبر تاريخها، خاصة مع الهجمات الشعوبية ودعواتها إلى لغاتها الإقليمية والمحلية، ثم هي اليوم تتعرض إلى ما هو أشد وأعنف في ظل مفاهيم المعاصَرَة، التي تنادي بوحدة الخصائص التي تربط أهل الأرض جميعاً، وبهذه الخصائص تقاس عصرية الجماعات المختلفة، ومدى جدارتهم بالعيش في هذا الزمان، أو مدى تخلفهم.

مادامت اللغة العربية هي لغة الإسلام، ومادام الإسلام منهج حياة يمس جميع الجوانب، فإن هذه المفاهيم والمبادئ للمعاصرة لا يمكن أن تتماشى مع نوع الهوية التي تحملها الأمة لا في مضمونها الإسلامي، ولا في شكلها اللُّغوي، إذ إن المعاصرة بمفهومها الاستعماري لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال ذوبان الذات في الآخر، وتشكيل الشخصية العربية الإسلامية في قوالب جديدة مستوردة.

من هنا يمكن تعريف الهوية العربية الإسلامية بأنها جوهر وثوابت الأمة العربية التي اصطبغت بالإسلام منذ أن دانت به غالبية هذه الأمة، فأصبح هو الهوية المثلة لأصالة ثقافتها فهو الذي طبع وصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته، فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وفنونها وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية، وعلومها الطبيعية والتجريبية، ونظرتها للكون والذات وللآخر، وتصوراتها لمكانة الإنسان في الكون من أين أتى ؟ وإلى أين ينتهي ؟ وحكمة هذا الوجود ونهايته، ومعايير المقبول والمرفوض والحلال والحرام، هي عناصر لهويتنا.

وكما نلاحظ في هذا التعريف للهوية الإسلامية هو تفرد الشخصية العربية الإسلامية بمجموعة من الصفات و الخصائص التي تميزها عن باقي الهويات الأخرى، والتي تتضمن اللغة والدين و العادات و التقاليد و القيم الأخلاقية، والتي اصطبغت بصبغة الإسلام و العروبة منذ زمن بعيد.

الهوية الإسلامية وإشكالية الاندماج في أوروبا

انتشرت مشكلة عدم اندماج المسلمين في المجتمعات التي يعيشون فيها، حيث باتت تؤرق المسلمين من جهة، والدول والمجتمعات الأوروبية من جهة أخرى، وقد تعدّدت آراء المحللين حول أسباب هذه الظاهرة، إذ ذهب بعض الباحثين إلى أنّ السبب الرئيسي يكمن في عنصرية الغرب تجاه المهاجرين عامة، والمسلمين خاصة. بينما يُرجع فريقٌ آخر

ذلك الفشل إلى سياسات الدول الأوروبية في دمج المهاجرين فيها، التي أدّت إلى تهميشهم وشعورهم بالعزلة. في حين ذهب آخرون إلى أنّ عدم قدرة المسلمين على الاندماج، يعود لأسباب ثقافية واجتماعية ودينية خاصة بهم. فما هو الحل يا ترى ؟

إن الجدل الدائر حول مكانة الإسلام في أوروبا وأثره على الهوية الوطنية، استفحل بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وبات يركز خاصة في فرنسا على قضية هوية المسلمين واندماجهم في المجتمع. كانت النتيجة أن انقسمت القضية بين من ينظر إلى الإسلام على أنه عنصر غريب على الثقافة الأوروبية ويطالب بإسلام يتفق مع مبادئ القانون وحقوق الإنسان، وبين من يعتبر أن الإسلام بات جزءاً من أوروبا، مثل المسيحية أو اليهودية. لقد ساهم هذا الجدل في إثارة مخاوف لدى بعض الأوساط الرافضة للإسلام وانتشار ظاهرة رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا)، وبالتالي أثار مخاوف المواطن العادي بسبب التركيز عن طريق الإعلام الموجه على عناصر معينة ومميزة للدين الإسلامي، مثل قضية الحجاب أو بناء المساجد. ولا سيما أن الإحصاءات تشير إلى أن عدد المسلمين في أوروبا، بما فيها روسيا، وصل إلى 44 مليون شخص، أي ما يشكل 6% من إجمالي السكان.

إذا أردنا التعمّق قليلاً في الطرح السابق حول إمكانية إصلاح الإسلام ليتوافق مع العلمنة في أوروبا ؟ نجد أنّه يمكن طرح السؤال في صورة أخرى، أكثر توسعاً وشمولية، حيث نقول: هل يمكن إصلاح الأديان لتتوافق مع قيم العلمنة واشتراطاتها؟ والإجابة تكون من داخل التاريخ الأوروبي نفسه؛ حيث إنّ المتتبّع لتاريخ العلاقة بين الديانة المسيحية والعلمنة في أوروبا، يخلص إلى أنّ الدول الأوروبية، منذ صلح وستفاليا عام 1648، حتى مطلع القرن العشرين، تمكّنت من إجبار الكنيسة على الاعتراف قسراً بالفضاء العلماني للدولة، وابتعادها عن التدخّل في الشؤون العامّة للدولة، وبذلك لم يقبل رجال الدين المسيحيون بالعلمنة طواعية. أمّا الإسلام، فقد بقي أهله في المجتمعات الأم على حالهم، ولم يفككوا هذا الاشتباك بين الدين والسياسة، فانسحب هذا الأمر على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وهذا هو سبب معاناتهم، فهم لم ينجحوا، في مجتمعاتهم الأم، في الفصل بين الديني والسياسي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، لم يتمكنوا من الاستفادة من قيم المجتمع الأوروبي الناجزة، التي رسمت حدود الديني والسياسي

تعمّقت أزمة مسلم المهجر أكثر بوجود جماعات الإسلام السياسي، كجماعة الإخوان المسلمين، وحزب التحرير، والجماعات السلفية (الجهادية وغير الجهادية)، حيث تتبنّى هذه الجماعات برنامجاً سياسياً وثقافياً مؤدلجاً، يستند إلى قراءة خاصة بهم للدين، تهدف إلى أسلمة أوروبا والعالم. وتُعد جماعة الإخوان المسلمين أشهر هذه الجماعات في تنفيذ هذه الأجندة، نظراً إلى تغوّلها العميق في المجتمع الأوروبي، من خلال السيطرة على مؤسسات اقتصادية وتعليمية وثقافية ودينية، وتمتّعها بشبكة مصالح هائلة مكّنتها من الاستحواذ على منابر الجاليات المسلمة والتحدّث باسمها، بالتالي؛ تشكيل وعيها، ولا وعيها، السياسي والديني والثقافي، عبر خطاب أيدولوجي، يتمثّل في "الأسلمة "و"أستاذية العالم."

في محاولة لمقاربة تلك المشكلات وتحليل أسبابها ونتائجها على حياة أولئك المهاجرين، يحاول كتاب الإسلام الأوروبي أن يستكشف آفاق ما يسميه بصراع الهوية والاندماج من خلال مجموعة من الباحثين العرب المقيمين هناك عبر اثني عشر محورا تبحث في مختلف جوانب ظاهرة ما بات يعرف بالإسلام الأوروبي. ينطلق هيثم مناع في مقاربته لمسألة هامة تتعلق



بوضع المسلمين في ظل الحرب على الإرهاب، من أن المسلمين مطالبين أكثر من غيرهم برفع راية الحريات والعلمانية المدنية وحقوق الإنسان بعد أن شهدت الأعوام بين 1978 و1982 توسعا للوجود الإسلامي ولأنماط التعامل المختلفة معه، لاسيما السياسي منه. لكن الهجرات البشرية التالية ساهمت في تغيير التركيب الطبقي والمستوى المعرفي وطبيعة العلاقة مع المجتمع الجديد. وبعد أن يكشف عن العوامل الجديدة التي ساهمت في تشكيلها يتحدث عن أزمة الهوية التي بدأت تعيشها المجتمعات الأوروبية على مستوى إعادة اكتشاف للذات وانعكاساتها.

وكذلك موقف بعض علماء الدين الإسلامي من الجيل الأول والثاني من المهاجرين من تلك القضايا والتحديات. وللتدليل على محاولات الاندماج في المجتمعات الأوروبية يستشهد بدعوة أكثر من 400 جمعية إسلامية تعد امتداداً لدعوات جمعيات أخرى للدفاع عن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومحاولة ترسيخ قيم الاعتدال والاندماج بين المسلمين في الغرب.

من جهته يبحث حسين عبد القادر في أطوار الاعتدال والتطرف عند مسلمي أوروبا من خلال مقدمة تحليلية تركز على ظهور التوجهات الأيديولوحية لدى الأوروبيين والإسلاميين، تقوم على حصر الثقافة داخل إطار من الجمود عند الطرف الأول، في حين يرى بعض المسلمين في القيم الأوروبية اعتداء ثقافيا عليهم.

إن الاحتكاك الاجتماعي مرتبط بالهوية الدينية، وأن العائق الرئيسي للاندماج المقبول مع المحيط الجديد هو بعض المحظورات الدينية، كالخمر ونوع الطعام، وهو ما يبقي كثيرا من العلاقات بين العرب والمواطنين الأصليين مرتبطة، بالعمل ونادرا ما تتجاوزها لزيارات عائلية. تجدر الإشارة كذلك لمشكلة الأجيال، بحيث يبقى انتماء الجيل الأول من المهاجرين العرب إلى بلدانهم الأصلية أقوى بكثير، بينما الجيل الثاني أو الثالث يشعر بالانتماء إلى بلد الاغتراب أكثر، لكن في المقابل تبقى الهوية الدينية تذكره بالغربة.

العرب كغيرهم من الأقليات يجنحون إلى التواصل أكثر مع أبناء جلدتهم ولغتهم، ويحاولون المحافظة على هويتهم وهوية أولادهم عن طريق المدارس التكميلية العربية والإسلامية.

تبدو المشكلة كبيرة في أوروبا، خاصة مع ارتفاع نسبة المهاجرين العرب والمسلمين وسوء أوضاع عدد كبير منهم اقتصاديا واجتماعيا. فإذا كان تحديد رقم دقيق لعدد المسلمين في أوروبا شيء صعب، إلا أنّ أكثر الأرقام تداولا هو أنهم يشكلون بين 15 إلى 20 مليون فرد بنسبة تتراوح بين 4% و5% من المجموع العام لسكان القارة العجوز.

ويعتبر روبرت ليكن في دراسته "مسلمو أوروبا الغاضبون" (في مجلة الشؤون الخارجية، أن التحدي الإسلامي في أوروبا الغربية أهم وأخطر من تحدي الهاسبنيك (اللاتيني) في أميركا" والذي يرى صموئيل هانتنجتون (في مقال له في مجلة السياسة الخارجية) أنه يمثل التحدي الأخطر على الثقافة الأميركية، كما يحلل المفكر الفرنسي أوليفيه روا في كتابه "عولمة الإسلام"[647] موضوع الجالية المغربية في فرنسا التي تعاني من مشكلات اقتصادية واجتماعية وحالة من القلق بين

[647] أوليفيه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لارا معلوف، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2016.



انتمائها إلى دينها وثقافتها الإسلامية ومدى قدرتها على التأقلم مع متغيرات الحياة الثقافية والاجتماعية الفرنسية، بينما تعيش نسبة كبيرة من الجاليات العربية في مناطق مشتركة متقاربة تشكل عائقا أمام الاندماج في المجتمعات الجديدة.

مشكلة الاندماج والتفاعل بين الجالية الإسلامية الكبيرة وبين المجتمعات الأوروبية تعيد طرح العديد من التساؤلات في الإعلام الغربي، في مقدمة هذه التساؤلات سؤال المرجعية الفقهية والفكرية والاجتماعية للمسلمين في الغرب، ففي تحقيق لأيان جونسون في وول ستريت جورنال تبرز قضية مدى ملائمة الفتاوى الصادرة في العالم العربي لتلك المرتبطة بالأقليات في الغرب، في الوقت الذي يتكون المجلس الأوروبي للإفتاء -الذي أسسه الشيخ يوسف القرضاوي- في أغلبه من فقهاء لا يقيمون في الغرب، ويتبنون فتاوى متشددة في علاقة المسلم مع مجتمعه، الأمر الذي يسمح بنمو أفكار متشددة.

إن الشعور بالاغتراب والتهميش الثقافي والاجتماعي يغذي مشكلة الاندماج، هذا ما يؤكده المستوى العال من البطالة في أوساط الشباب المسلم في القارة الأوروبية. ولعل مشكلة الاندماج وانعدام المرجعية وارتفاع البطالة وفقا للدراسة التي أجريناها حول قضية الاندماج في فرنسا تمثل أحد الأسباب الرئيسة في نمو وانتشار الأفكار والحركات الإسلامية المتشددة، بالإضافة إلى حالة الغضب التي تنتاب الشباب المسلم العربي من الأوضاع السياسية في العالم العربي والإسلامي.

في هذا السياق، تجدر بنا الإشارة إلى الدراسة الاجتماعية الجديدة حول الاندماج التي أجراها كلّ من "المجلس البريطاني"، و"مجموعة سياسة الهجرة" وشملت خمسة وعشرون (25) دولة أوروبية إضافة إلى كندا، والتي توصلت إلى أنّ اندماج الأجانب لا يمكن أن يتوقف عليهم فحسب، بل لابد للدولة أن تقدّم الدعم لهذا الغرض، ومن أهم العوامل التي تسهل الاندماج حسب الدراسة هي تسهيل دخول الأجانب نحو سوق العمل، تسهيل عملية التجنيس، بل وحتى منحهم حق الانتخاب.

في النهاية، يبدو أن المسلمين والعرب في أوروبا أمام تحديات خطيرة وكبيرة، في مقدمتها وفقا للعديد من الدراسات إشكالية الاندماج في المجتمعات الغربية مع القدرة على الحفاظ على الخصوصيات الثقافية، وما يكتنف هذه الإشكالية من قضايا مرتبطة بالشروط الاجتماعية والاقتصادية والشعور بالتهميش ومعدلات البطالة، وهي تحديات في غاية الخطورة تهدد سلم "الإسلام الأوروبي" في السنوات القادمة.

الخاتمة

تقدم الهجرة مثالاً واضحًا عن آثار التفاعل بين الهويات المختلفة، وتعد المجتمعات المستقبلة مسرحا لتفاعلات العادات والسلوكيات والتجارب الثقافية الجديدة. لاسيما في حالة الوافدين الجدد الذين يتعاملون مع التوترات الجديدة بالتكيف أو بمقاومة التغيرات في نمط الحياة وأنماط الاستهلاك وأشكال التعبير الثقافي عنه. الأمر الذي يحمل انعكاساته على صحتهم البدنية والعقلية، تصوراتهم عن ذواتهم وعلاقاتهم مع الآخرين، فضلا عن الدور الذي يلعبه في تهيئة ظروف الاستقرار والاندماج.





بناءاً على ما سبق ذكره يمكن القول بأن الهوية عبارة عن منظومة من الخصائص والعناصر المادية والمعنوية المكونة لوجود شيء ما والتي تميزه عن الأشياء الأخرى بصورة عامة على الرغم من وجود عناصر وخصائص متشابهة. وتكون العناصر والخصائص المحددة لهوية شيء ما على نوعين، عناصر وخصائص عامة قد تشترك معها الهويات الأخرى، وعناصر وخصائص خاصة ينفرد بها هذا الشيء. بتطبيق هذا التعريف على الإنسان، تكون الهوية هي كل ما يحدد وجود الإنسان خاصة والجماعة عامة وكينونته من العناصر والخصائص المادية والمعنوية مصحوبة بوعي بهذه الخصائص والعناصر. الإرادة والوعي يعتمدان على ماهو موجود من العناصر والخصائص المكونة للذات سواء أكانت جماعية أو فردية. هذا ما جعلنا نقرر بأن العناصر المادية والمعنوية تعطي خصائص معينة وتحدد صورة عامة عن جماعية معينة، والوعي والإرادة يختاران ما تعتقد الذات بأنه يمثلها ويعبر عنها وفق أسس ومعايير متنوعة تلعب فيها المصلحة دوراً بارزاً في اختيار عناصر الهوية، دون أن ننسى الظروف التاريخية والعوامل الخارجية والداخلية المحيطة. وتلعب الهوية بالنسبة للذات للفردية أو الجماعية دوراً ذا بعدين أو اتجاهين، فهي من جهة تميز الذات عن غيرها وتكون موضع اعتزازها، ومن جهة أخرى تعمل على تحقيق التشابه والتجانس والاندماج داخل الذات الجماعية وبين أفرادها. وتلعب المعتقدات والأفكار والأيديولوجيات دور هام في تحديد الخصائص التي هي موضع الاعتزاز.

تتعلق الهوية العربية الإسلامية لدى المهاجرين المقيمين في أوروبا بالشعور بالانتماء المشترك إلى نفس الدين واللغة ونفس الممارسات المتكررة في اليوم وفي نفس المكان، ويعني هذا الاشتراك في الماضي والمستقبل، وتؤثر من خلاله من كافة الجوانب الأخرى في حياة الجماعة. وهذا ما يقصده سعد الدين إبراهيم عندما يقول بأن مسألة الهوية تنطوي في الأساس على معانٍ رمزية وروحية وحضارية جماعية، تعطي الفرد إحساساً بالانتماء إلى جسم أكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الأكبر[648].

لا شك أن شيوع البطالة والاغتراب بين بعض هؤلاء الشباب المسلمين، والشعور بالاستبعاد الاجتماعي، جعلهم أسرى خطاب الهوية المغلق، والانعزالي.

إن الاعتراف بالهوية الإسلامية العربية في المجتمعات الغربية بات ضرورة حيوية لحماية المسلمين في المهجر من الاغتراب الثقافي والتطرف الديني والإسلاموفوبيا. ولهذا تكتسب مسألة إعادة النظر في العلاقة بين الثقافتين الإسلامية والغربية أهمية متزايدة مع ظهور العنف كانعكاس للاختلال في ذلك التفاعل بين الثقافتين سواء تجسّد في رد الفعل من طرف المسلمين أو اليمين المتطرف.

لم يعد الوجود الإسلامي في الغرب مجرد عابر سبيل ولم يعد المسلمون مجرد جالية بل أضحى حقيقة واقعية وجزءاً لا يتجزأ من المنظومة الاجتماعية والثقافية والحضارية على الساحة الأوروبية وأصبح المسلمون مكوناً من مكونات المجتمع الغربي.

---

[648] سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، م س ذ, ص332.



إن معالجة أزمة اندماج المسلمين في أوروبا خاصة والغرب عامة تكون بتوفير بدائل فكرية واقتصادية واجتماعية ونفسية للمهاجرين بتشجيعهم على المشاركة بشكل أكثر عمقا في الحوار الاجتماعي المتعلّق بالقضايا المحلية التي تمسّ حياتهم في المجتمعات الغربية.

كما تكون بتشجيعهم على الاهتمام بالقضايا العالمية كالعدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر وحماية البيئة والسلام العالمي وهي قضايا كونية عابرة للهويات وللحدود الجغرافية ويمكن أن ترضي لديهم الرغبة في الاهتمام بقضايا أوطانهم الأصلية.

الموضوع يتطلب اجتهادا أكثر، لأن ثُنائية الهوية والاندماج هي مربط الفرس في حياة المهاجر العربي المسلم. ويبقى التساؤل معلقا دائما : هل يمكن الحديث عن الاندماج إذا كان الثمن هو الهوية ؟ وهل هناك طريق ثالث بين استحالة الاندماج الكامل أو الانعزال ؟

الأكيد أنه يوجد اتجاه يدعم الاندماج الايجابي، أي المشاركة والتعايش دون اندماج، بمعنى تطابق هويتيْن، لتجنب العزلة والعيش على هامش الحياة في المجتمعات الغربية.

قائمة المصادر والمراجع

- إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة د. علي وطفة، دمشق سوريا، الطبعة العربية الأولى 1993،.
- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- محمد مسلم، مقدمة في علم النفس الإجتماعي، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
- نور الدين بومهرة، العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، الجزائر و العولمة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2001.
- دوني كوشي، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ت. قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- مجلة كلية العلوم الإسلامية للبحوث و الدراسات الإسلامية المقارنة، الصراط، السنة الثالثة، العدد السادس، سبتمبر 2002.
- برهان غليون و سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 1999.
- سعيد السبع، المتميز في الفلسفة، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2007.
- غسان منير حمزة وآخرون، العولمة والدولة والوطن والمجتمع العالمي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان،ط1، 2002.
- حسن علي خاطر، المجتمع العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001.
- صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، ط1، دار الرأي للنشر، دمشق، 2005.
- أميرة كشغري، الهوية الثقافية بين الخصوصية والتبعية (مقاربة معرفية- اجتماعية)، ورقة عمل مقدمة في برنامج الفعاليات الثقافية المصاحبة لمعرض الرياض الدولي للكتاب، /22فبراير-3/مارس/2006 . من الانترنت:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=113330
- أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة: نهلة بيضون، ط1، دار الفارابي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2004.
- سليم مطر، الهوية الوطنية بين الفرد والجماعة، عن موقع الحوار المتمدن، 2003/11/28، من الانترنت :
http://www.rezgar.com/debate/show.art.asp?ad=12079
- محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، 2000 .
- إبراهيم الحيدري، إعادة إنتاج الهوية العراقية (محاولة أولية لمعرفة الذات ونقدها)، من موقع الثقافة الجديدة، من الانترنت :
http://www.althakafaaljadeda.com/317/19.htm.





- عز الدين مناصرة، الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، ط1، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان-الأردن، 2004.

- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

- رشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، نقلاً عن: خالد جمعة، قراءة في كتاب (إشكالية الهوية في إسرائيل-رشاد عبد الله الشامي)، من الانترنت : http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/3/page16/html.

- سليم مطر، مقالات في الهوية :مفهوم الهوية بين التعميم والتخصيص، من موقع الحوار المتمدن، العدد 666، 28/11/2003، من الانترنت : http://www.rezgar.com/debat/she.art.asp?o.d=12070

- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية (عشر أطروحات)،في أسامة أمين الخولي،(محرر) ندوة (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربيةط3، بيروت-لبنان، 2000.

- شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا (انكليزي-عربي)، ط1، جامعة الكويت، 1981.

- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، مجلد 1، ترجمة: محمود الجوهري وآخرون، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ليبيا، 2000.

- أوليفيه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لارا معلوف، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2016.

ORIO.M : Les identité collectives en question , in bulletin IDERIC, 1989 , p 8.

Boukrou Nacer, L'immigration en France entre assimilation, intégration et exclusion : principes et politique sociales dans la région rouennaise de 1945 à nos jours, Thèse de Doctorat sous la direction de professeur Yannick Marec soutenue en 2015 à l'Université de Rouen.

James W. The Principles of Psychology, New York : Henry Holt, 1890 ; réédité par Dover, 1950 (2 volumes).





الإعلام الثقافي.. من منظور المدرسة النقدية

Cultural media from a critical school perspective

إعداد: سمر أحمد حسانين مهران

مدرس مساعد بقسم الاجتماع شعبة اعلام

كلية البنات الآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس

Samar.mahran@women.asu.edu.eg

ملخص:

إن دراسة النظام الإعلامي ووسائله لا يمكن أن تتم بمعزل عن المجتمع الذي تنشأ فيه، وتتميز أفكار المدرسة النقدية بتناول جميع أطراف العملية الاتصالية بالدراسة والتحليل في إطار تفاعلها مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وترفض الرؤية الجزئية المنعزلة. ومن هنا تهدف الدراسة إلى الاستفادة من الأفكار والمفاهيم التي أنتجها رواد مدرسة فرانكفورت، ومنها مفهوم (الكلية) حيث أكد هوركهايمر في العديد من كتاباته بأنه لا بد من دراسة الظواهر الاجتماعية في إطار شمولية المجتمع ككل، وهي الرؤية التي تعود إلى ماركس الذي أكد على ضرورة دراسة ظواهر المجتمع في سياقها الاجتماعي والتاريخي.

الكلمات المفتاحية: النظرية النقدية- الدراسات الثقافية – الاعلام الثقافي.

Abstract:

The study of the media system and its means can not be done in isolation from the society in which it arises. The school's monetary ideas are characterized by dealing with all parties in the process of communication and analysis in the context of its interaction with economic, political, social and cultural variables. The study aims to draw on the ideas and concepts produced by the Frankfurt school leaders, including the concept of the college. In many of his writings, Horkheimer emphasized that social phenomena must be studied within the framework of the totality of society as a whole. Studying social phenomena in their social and historical context.

Keywords: Critical Theory - Cultural Studies - Cultural Information.



مقدمـــــة:

امتدت الدراسات الثقافية إلى دراسة علوم تنتمي إلى الحقل الاجتماعي والسياسي، والعلوم الإنسانية بعامة؛ مستعملة أسس النقد الأدبي التقليدية وممارسات النظرية الأدبية والمعطيات النظرية والمنهجية في علم الاجتماع والتاريخ وعلوم السياسة، على الرغم من أن هذا لم يؤد بها إلى التخلي عن مناهج التحليل في النقد الأدبي، وقد أصبحت اليوم تحتل جانبًا مهمًا من اهتمام الأكاديميين ورجال النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وخصوصًا الأمريكية منها، وسنوات السبعينات تبقى من أهم السنوات بالنسبة لمثل هذه الدراسات التي مست حقولًا معرفية مثل الدراسات المختصة بالسود والمرأة والشرقي.

كما يرى أغلب مؤرخي النقد الثقافي أن بدايته كانت مع نشر كتاب (المجتمع والثقافة) للمنظر البريطاني رايموند ويليامز عام 1958، ثم كانت البداية المؤسساتية الفعلية للدراسات الثقافية 1964 حين تأسس في إنكلترا (مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصر) ومنه انتشر الاهتمام النقدي الثقافي، مصحوبًا بالنظريات النقدية النصوصية والألسنية، ومن ثم انطلقت، في دراستها، الأمر الذي جعل أُنجز في حقول الأدب المقارن جزءًا من النقد الأدبي، فقد اهتمت بنقد الخطاب وكشف أنساقه وتمفصلاه، كما أنها جاءت نتيجة للرؤى النظرية الجديدة، مثل: ما بعد البنيوية، وما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار، حيث ظهرت مشروعات نقدية متنوعة تَستخدم أدوات النقد في مجالات تعدد الدراسات الأدبية [649].

ورغم صعوبة الاتفاق على مفهوم جامع مانع للدراسات الثقافية ومنهج التحليل الثقافي إلا أن رايموند ويليامز يقول: "نستطيع أن نضع تعريفًا دقيقًا لها من حيث إنها – أي الدراسات الثقافية- تعني دراسات وسائل الإعلام الجماهيري، وعلم اجتماع الاتصالات، والقصص الشعبية أو الموسيقي الشعبية. ويرصد رايموند التحولات المتسارعة في مجال الإعلام ومؤسسات وأشكال الثقافة الشعبية في الثمانينيات من القرن الماضي، ومن ثم التطور الذي لحق بالدراسات الثقافية، خاصة أن الجمهور أصبح أكثر ارتباطًا بأشكال ومضامين الثقافة الشعبية[650] .

كما شهد العقدان الآخران من القرن الماضي عددًا من التغيرات الجذرية في مجالات دراسة الثقافة المختلفة، وبوجه خاص في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، بحيث يكاد يكون هناك انقطاع إن لم تكن قطيعة كاملة بين النظريات والمناهج والقضايا والمشكلات651، التي كانت تشغل أذهان المفكرين والعلماء والباحثين خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وحتى السبعينات من ذلك القرن، وبين ما يحدث الآن في الكتابات والأبحاث المعاصرة؛ فالبحوث الحالية تتميز باتساع النظرة إلى

[649] - محمد حسام، ساخرون وثوار، العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 246-247.

[650]- رايموند ويليامز. طرائق الحداثة ضد المتؤمين الجدد، ترجمة فاروق عبد القادر، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1999، 228/221.

[651] Ramose, Angela,(2017), Strength In Diversity: A poster advertising campaign to promote the inclusion of people of color in mainstream media and pop culture. available at http://Proquest.umi.com/pqdweb?did,







مفهوم الثقافة بحيث زالت التفرقة القديمة بين ما كان بالمعنى الأنثروبولوجي والمعنى النخبوي للكلمة، ذلك إلى جانب تنوع أساليب التحليل بحيث تراجعت النظريات السابقة إلى دائرة الظل ولم يعد يشار إليها إلا في سياق البحث التاريخي، لأنها تمثل مرحلة سابقة في تطور الفكر الاجتماعي والثقافي فحسب، وقد فرضت هذه التغيرات الحديثة على الباحثين والكتاب والمفكرين ضرورة الاهتمام بدراسة المشكلات الثقافية في المجتمعات المعاصرة شديدة التعقيد وتحليلها، تلك المجتمعات التي تتميز بالتنوع الثقافي والتعددية الثقافية الأمر الذي يعكس ما كان عليه الوضع في الدراسات الماضية، إذ كانت تدور في أغلب الأحيان حول مجتمعات أحادية الثقافة كما كان متبعًا في البحوث الأنثروبولوجية بوجه خاص652 .

أولًا– الجذور الفكرية للنظرية النقدية:

إن النظرية النقدية هي اختصار للنظرية النقدية الاجتماعية أو (النظرية النقدية للمجتمع)، التي استخدمت كعنوان لإسهامات أعضاء مدرسة فرانكفورت الفكرية ووصفها بأنها ذات توجهات راديكالية نحو التغير الاجتماعي، وترجع الجذور الفكرية للنظرية النقدية إلى الماركسية التقليدية، تعدّ النظرية النقدية مجازا نوعًا من التوجه النظري الذي يرجع مضمونه الأصلي إلى كانط Kant، وهيجل Hegel، وماركس Marx .

وتعدّ الرؤية النقدية لماركس من خلال دراساته المتعمقة الرأسمالية بوصفها شكلًا من أشكال استغلال الصفوة أو الطبقة الحاكمة لأفراد المجتمع لإنتاج سلع تخدم مصالحها، هي الأساس المعرفي لأعضاء مدرسة فرانكفورت. حيث مكن المنهج الماركسي الجدلي رواد النظرية النقدية من فهم العلاقات بين الاقتصاد والدولة والثقافة والمجتمع للتعرف على كيفية تأثير هذه التطورات على المجالات الأخرى وعلى الفكر والسلوك الإنساني653 وهذا ما يميز النظرية النقدية من غيرها من الاتجاهات والنظريات الأخرى، حيث إنها لا تكتفي بأن تنقد سلبيات النظام القائم فقط بل إنها تقدم البديل المناسب له654.

تطور النقد في سياق كلً من الماركسية- اللينينية والديمقراطية الاجتماعية الأرثوذكسية، ودعمها للماركسية التي ارتبطت بأعمال كارل ماركس Karl Marx خاصة في نقده للاقتصاد السياسي. ودعم تجربة ماركس لإيجاد نوع جديد من التحليلات النقدية التي تعمل على تحقيق الوحدة بين النظرية والممارسة، أكثر من أنها مجرد نوع جديد من العلوم الحتمية. ولذلك؛ فإن النقد طبقًا لتصور ماركس يعني تناول الأيديولوجيا في المجتمع وحرية الأفراد، وتحقيق العدل والمساواة تحت وطأة الرأسمالية ونقدها بواسطة

---

652 - يورجين هابرماس الحداثة وخطابها السياسي. تأليف : يورجين هابرماس. ترجمة: جورج تانر. مراجعة: جورج كتوره، بيروت: دار النهار للنشر، 2008، 7.

653- على عبد الرازق جبلي. الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع. **الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية**، ط1، 2005، 355.

654 Tzeng Relying. (January 2010), Cultural Capital and Cross- Border Career) Ladders, in (international Sociology – uk, vol.25, No .1.



مقارنتها بالواقع الاجتماعي لها في كل مجتمع. بالإضافة إلى آراء رايت ميلز النقدية والتي عدّت ظهورًا مبكرًا للنظرية النقدية، واتفاقه مع الماركسية على ربط الممارسة بالنظرية[655].

كما قدم الماركسيون الغربيون موقفًا مختلفًا عن غيرهم من الماركسيين أمثال: لوكاتش Lukacs، وجرامشيGramsci، وسارتر Sartre، وبنجامين Benjamin، وأدورنو Adorno، وماركيوزMarcuse، والتوسير Althusser، ولم يكن هؤلاء المفكرون متفقين مع بعضهم بعضًا. منهم من كان عضو في الجماعات الشيوعية وبعض آخر لم يكونوا كذلك؛ منهم من كتب في فيينا، موسكو، فرنسا، ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية أو في أحد سجون الفاشية في إيطاليا مثل جرامشي[656]الرغم من تباين الظروف الاجتماعية والسياسية للماركسيين الغربيين لكنهم كانوا جميعًا من أصحاب الاتجاه النقدي العقلي، كذلك على الرغم من تعدد الاتجاهات والتيارات النقدية واختلافها إلا أن مدرسة فرانكفورت (Frankfurt School) وروادها ومنظريها كانت ولا تزال من أبرز من تبنى آراء وتوجهات النظرية النقدية، وطوروا في أفكارها ورؤيتها الأيديولوجية حتى أصبح تاريخ النظرية النقدية يرتبط ويتحدد بتاريخ مدرسة فرانكفورت.

ثانيًا– النظرية النقدية في كتابات مدرسة فرانكفورت:

1– بدايات النظرية النقدية في كتابات هوركهايمر وأدورنو:

إن معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي، الذي عرف فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت (Frankfurt School) تم تأسيسه عام 1923، وافتتح رسميًا في يونيو 1924. وكان المخططون الرئيسيون لهذا التأسيس هم فيلكس فايل Weil Felix، و فريدريش بولوك pollock Fredrich ، وماكس هوركهايمر Max Horkheimer، الذي أصبح مديرًا للمعهد فيما بعد، وقدم " فايل" مذكرة حول " "إنشاء معهد للبحث الاجتماعي" وُجهت إلى القائم على جامعة فرانكفورت الذي عرف فيما بعد باسم "مدرسة فرانكفورت"، ووضع فايل في مركز الاهتمام، كهدف مقترح للمعهد؛ معرفة وفهم للحياة الاجتماعية في مجملها من القاعدة الاقتصادية إلى البنية الفوقية المؤسسية والتصورية[657].

تولي هوركهايمر رئاسة معهد فرانكفورت عام 1926، بعد حصوله على درجة الأستاذية خلفًا لكارل جرونبرج Gruenberg Karl. وقد استخدم اسم مدرسة فرانكفورت خارجيًا في عام 1930 ليعبر عن أعضاء

---

[655] Richard John, "Introduction To Communication Research", 3rd.Ed, New York, Mc Grawhill,2001.

[656] Zaslow, Emilie, Review of Mediated girlhoods: New explorations of girls' media cultures, **Journal of Children and Media**.,**2012** Vol.6(2).

[657] فيل سيلتر، مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها، ترجمة: خليل كلفت، القاهرة: المجلس الأعلي للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2004، 21.






المعهد. واتخذ أعضاء المعهد من النظرية النقدية للمجتمع أساسًا نظريًا لهم تبنى عليه معظم دراساتهم658.

وقد عرض هوركهايمر طبيعة هذه النظرية بأكبر قدر من الوضوح في مقال نشر بعنوان "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" أو ما يطلق عليه مانيفستو (البيان) 1937، وضح فيه دور النظرية بوصفها الوسيلة التي يتم من خلالها تدريجيًا توحيد اكتشافات مختلف الفروع العل مية، عن طريق إحالتها إلى المبادئ المشتركة. واعتمد مشروع هوركهايمر البحثي على ثلاث مجالات مختلفة تعد السائدة في الحياة الاجتماعية وهي الاقتصاد وعلم النفس والثقافة. وقد كان للتغيرات التي طرأت على المجتمع وعلى النظام الرأسمالي ودور الحركات العمالية دورًا مهمًا في أن يعيد هوركهايمر وزملائه النظر في المقولات الماركسية ويقدموا رفضاً للحتمية الاقتصادية. وبدأ اهتمام النظرية النقدية بالظروف العقلانية والمعرفية الاجتماعية التي تشكل الوجود الإنساني. وتعد أفكار مدرسة فرانكفورت أفكاراً راديكالية تهدف إلى تغيير المجتمع وكشف التفاعلات المحركة للأفراد في مجتمعاتهم. كما أن النظرية النقدية والاتجاه الفكري المميز لها يدين بالفضل لثلاثة مفكرين كانت فلسفاتهم المحور الرئيسي الذي قامت عليه الأصالة الفكرية لمدرسة فرانكفورت وتكاملت عبرهم نظريتها النقدية، وهم: ماكس هوركهايمر ، وتيودور أدورنو، وهربرت ماركيوز659.

2- تطور النظرية النقدية في كتابات مفكري مدرسة فرانكفورت:

تتميز مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) بكثرة المفكرين المنتسبين لها، حيث تم تقسيمهم إلى عدة أجيال، ويعد من رواد الجيل الأول كلً من ماكس هوركهايمر Max Horkheimer، أدورنو Adorno، والتر بنجامين Walter Benjamin، هربرت ماركيوز Herbert Marcuse، ليو لوفنتال Leo Lowental، فريدريك بولوك Friedrich Pollock، إريك فروم Erich Fromm، وقد تنوعت مجالات عمل أعضاء النظرية النقدية في الاقتصاد السياسي والاجتماع والفلسفة وعلم النفس، بالإضافة للثقافة والموسيقي والأدب . وقد أثرت السياسة الفاشية السائدة آنذاك في ألمانيا على أعضاء المعهد الأمر الذي دفع معظم الأعضاء للهجرة أو النفي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما حول اهتمام هؤلاء المفكرين لدراسة السياسة والمجتمع لتصبح من أهم مجالات النظرية فيما بعد.

---

658 - Beilby, Denise D, Review of Creative labor: Media work in three cultural industries, Work and Occupations.2012, Vol.39(3).

659 White tapetal ,(1999), Broad cast news Writing , reporting and production , New York Macmillan publishing Company.



أضاف رواد النظرية النقدية في أثناء وجودهم في المنفى بالولايات المتحدة الأمريكية، تحليلات نقدية تناولت السمات الأساسية للمجتمعات الرأسمالية المعاصرة والعمليات الاجتماعية والقيم والأيديولوجيات لصالح الربح والسيطرة، وتمكنت النظرية النقدية من اكتشاف العلاقات القائمة بين الدولة والثقافة والمجتمع والتحول من رأسمالية السوق إلى رأسمالية الدولة والاحتكار، لمعرفة كيف تعمل الرأسمالية على تشكيل النظم المسيطرة. نتيجة لذلك أسقط معهد البحوث الاجتماعية، الحدود بين النظم الفكرية الأكاديمية والعلوم الاجتماعية وأمدنا بنموذج نظرية اجتماعية شاملة النظم الفكرية المتباعدة، من أجل تأسيس نظرية لتطورات المجتمع الرأسمإلي في العصر الحاضر، ولهذا تقوم النظرية النقدية بتحليل التحولات التاريخية والاجتماعية. واهتم أعضاء مدرسة فرانكفورت بدراسة حرية الإنسان والطريقة التي تم بها تنفيذ هذه الحرية من خلال دراسة أشكال الهيمنة والسيطرة والقمع الاجتماعي في العالم الحديث660. حيث تهدف النظرية إلى التعرف على طبيعة التغيرات الاجتماعية التي كانت ضرورية لإقامة مجتمع ديمقراطي.

وقد تنوعت كتابات رواد الجيل الأول ما بين النقد المعرفي مثل كتاب هوركهايمر بعنوان جدل التنوير "Dialectic Enlightenment"، وكتابات أدورنو حول الفن والموسيقي والثقافة، وهو مجال مهم من مجالات النظرية النقدية، وتعددت كتاباته في هذا المجال مثل (Introduction to The Sociology of Notes To Literature)، ودراساته حول صناعة الثقافة في مؤلفه (Culture Industry)، وهو مجال تميز به أدورنو وانفرد بالعديد من الكتابات فيه.661 بالإضافة لإسهامات ماركيوز وكتاباته المتنوعة، ويرجع الفضل إليه في إيجاد مفهوم الإنسان ذي البعد الواحد، وإضافته إلى مفاهيم النظرية النقدية. ويعني استخدام وسائل الإعلام للترويج لمصالح النخبة المهيمنة وأصحاب رأس المال وأهدافهم. لكن ليس بالمعني الماركسي للحرية الاقتصادية، بل لمصلحة الرأسمالية، فالمجال "الخاص" ثم غزوة من جانب عقلانية الإعلانات والتكنولوجيا 662

كما يتميز من أعضاء الجيل اللاحق لهؤلاء الرواد هابرماس، الذي يرجع إليه الفضل في إعادة تعريف النظرية النقدية في أواخر الستينات، حيث حررها من الارتباط المباشر بالماركسية. وقد توجه هابرماس في دراسته للمعرفة النقدية لاستخدام مفهوم المعرفة بوصفها تمكن البشر من تحرير أنفسهم من أشكال الهيمنة، من

660 علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركاهيمر إلي هابرماس منشورات مركز الإنماء- بيروت- د.ت.- https://www.goodreads.com/book/show/18244576.

661 Xu Xiaog, (2008), Engaging and Empowering News Audiences Online: "A Feature Analysis of Nine Asian News Website", available online at: http://ejournalist.com.

662 - Loner, Walter J, some methodological problems in cross-cultural media research, Australian Journal of Psychology. (Dec 1986), Vol.38 (3).





خلال التحليلات النفسية، وقد رجع فيه إلى فرويد وتحليلاته النفسية، ليدخل مجالًا جديدًا للمعرفة يكون بديلًا لحتمية ماركس الاقتصادية663.

أعاد هابرماس تعريف النظرية الاجتماعية كنظرية للاتصال الجماهيري في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، متضمنًا دراسة كفاءة الاتصال وعقلية الاتصال من ناحية، والتشويه والتحريف للاتصال الجماهيري من ناحية أخرى وبذلك؛ فإن نتاج النظرية النقدية بدأ يحتوي على دراسة أبعاد جديدة للحياة داخل المجتمعات المعاصرة. وقد كان لانتشار وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية (الإعلامية) في هذه الفترة دور مهم في قيام هابرماس بدمج النقد الثقافي والاجتماعي والنقد الأدبي بمنهج النظرية النقدية. وهو الذي ارتبط بتحليل ظاهرة الثقافة الجماهيرية في ضوء التحولات المجتمعية نحو الرأسمالية الاحتكارية التي تفرض على المجتمع طابعها الخاص في ضوء المفاهيم والتصورات التي تشتق من النظرية الماركسية. وخاصة في ربطه بين النظرية والممارسة ليصبح متميزًا بين أعضاء مدرسة فرانكفورت. غير أن النظرية النقدية غالبًا ما توضح العلاقات بين الأفكار والمواقف النظرية وبيئاتها الاجتماعية، ومحاولة تصور الأفكار في سياق تاريخي في ضوء جذورها في العمليات الاجتماعية 664

لم تتوقف النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت) عند هذا الحد من المفكرين المنتسبين لها بل امتدت لتشمل مفكرين من الجيل الحالي 665وهم (اجر ,Ben Agger ، ستيفت بست Steven Best ، جامسون Jameson، برونر Bronner) وعرض كلينر لنزعة ما بعد الحداثة على أنها منطقًا ثقافيًا للرأسمالية التي تشكل سيطرة ثقافية جديدة في إطار مرحلة اقتصادية واجتماعية جديدة للرأسمالية. وأضاف أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت لا تزال تمدنا بالمصادر النظرية والسياسية لكي نؤسس عليها ونبني نظريات وسياسات كافية للحقبة المعاصرة.

وقد تعمق كيلنر في دراسات النظرية النقدية، وقدم العديد من التحليلات لكتابات رواد النظرية النقدية، حيث وضح أن تحليلات أدورنو لوظائف الثقافة الجماهيرية والاتصالات في المجتمعات المعاصرة تشكل قيمة مهمة؛ خاصة نقده لما اسماه "الثقافة الشعبية"، وتميز عمله بالارتباط الوثيق بين الواقع الاجتماعي والنظرية والنقد الثقافي، وقدرته على تأطير الثقافة داخل التطورات الاجتماعية مع توفير تحليل نقدي جاد.

---

663 – Kellner,Douglas.Habermas (2012), the Public Sphere, and Democracy: Critical Intervention: http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/).

664 - Kellner,Douglas.Habermas (2013) , the Public Sphere, and The Critical Theory at: http://www.uta,Edu/huma/illumination.

665 The critical Theory Web Site:
http:// www. Auta Edu / humma/illumination.



نتيجة لما سبق يتضح لنا أثر التنوع المعرفي والفلسفي للنظرية النقدية، حيث أنتجت العديد من المفاهيم المهمة، وصارت بدورها – أي المرحلة الأولى للمدرسة – روافد مهمة في البناء الفلسفي لهابرماس حينما عدَت نصوص هوركهايمر وأدورنو وماركيوز دعامة ضرورية لمواصلة مشواره الفكري. حيث اعتمد هابرماس على استخدام هوركهايمر وأدورنو لمصطلح "صناعة الثقافة "خلافًا لمفاهيم مثل "الثقافة الشعبية" أو "وسائل الإعلام الجماهيرية الشعبية" عندما أرادوا مقاومة الأفكار التي تروج للثقافة بوصفها سلعة ومنتجات تدار وتصنع وتفرض كأدوات للتلقين والسيطرة الاجتماعية.

كما عدَ أدورنو الثقافة وسيلة للهيمنة الأيديولوجية وأدوات للدعاية السياسية بدلًا من استخدامها كوسيلة للتحرر ونشر القيم. وهو ما دعا المنظرين لوصف "صناعة الثقافة" بأنها جزء أساسي من التكوين الجديد للحداثة الرأسمالية التي تعتمد على الطابع التجاري للثقافة والإعلان والاتصال الجماهيري، وبأنها أشكال جديدة من الرقابة الاجتماعية للحث والموافقة على إعادة إنتاج أشكال جديدة من المجتمع الرأسمالي، لإنتاج ونقل نظم وسائل الإعلام التي تنشر الفكر والمعلومات والقيم إلى وسائل شعبية تروج لقيم الاستهلاك والترفيه، من خلال آلية مركزية تمكن المجتمع المعاصر من الهيمنة على الفرد[666]

ويرجع الفضل إلى أعضاء مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) في إنتاج العديد من المفاهيم الخاصة بهذا المجال لدراسة ظواهر الحياة الاجتماعية المعاصرة، وتستند الدراسة الحالية إلى مفهوم صناعة الثقافة من مفاهيم النظرية النقدية للاستفادة منهما في الدراسة الحالية كما يلي:

- **مفهوم صناعة الثقافة: Culture Industry**

يعدّ أدورنو Adorno أول من قام – من أعضاء مدرسة فرانكفورت- بإعداد دراسات عن صناعة الثقافة في ظل التغيرات المهمة التي لحقت بالمجتمع الجماهيري المعاصر، وأشار أدورنو إلى "صناعة الثقافة" بأنها امتداد أو اتساع للرأسمالية كمرحلة خاصة في تطورها، وهي تعد المنتج الثقافي سلعة ناجحة لتصبح السلعة الثقافية المطروحة منتجًا ناجحًا ومميزًا، قادرًا على تلبية كافة مطالب أعضاء المجتمع http: .www.marxists.org

أكد مفكرو مدرسة فرانكفورت أن إدراك طبيعة "صناعة الثقافة" يجب أن يتم في إطار التطويع الأيديولوجي لها عبر الثقافة الشعبية في الإطار الاجتماعي والسياسي الجديد الذي تؤلفه الرأسمالية الاحتكارية. اتضح ذلك باستخدام هوركهايمر للثقافة الجماهيرية بوصفها مفهومًا أيديولوجيًا، تستخدم فيه صناعة الثقافة بوصفها أداة سياسية للهيمنة وتزييف وعي الأفراد بما يتوافق ومصالحها الخاصة.



[666] Kellner, Douglas. Habermas (2013), the Public Sphere, and The Critical Theory at: http://www.uta,Edu/huma/illumination.






- **منظور هابرماس عن الثقافة:**

يعدّ مصطلح الثقافة أحد المصطلحات التي أخذها هابرماس كأمر مسلم به في كتاباته الأخيرة، ففي الستينات كان هابرماس يحاول جاهدًا التمييز بين الثقافة كمجال منفصل للبحث عن العلوم الطبيعية، وبعد أن توصل إلى هذا التمييز بالطريقة التي يرتضيها انتقل لدراسات أكثر تحديداً حول المشكلات العديدة المتعلقة بتحليل الثقافة، بما في ذلك: التطور الثقافي، واستيعاب الثقافة، ودراسة الأزمات على مستوى الثقافة، وتظهر في كتاباته عن الثقافة بعض الأفكار بشكل دائم ورتيب وبخاصة تأكيده على اللغة والاتصال، ومع ذلك فقد خضع في تفكيره عن الثقافة لمراجعة جدية بأشكال وطرائق مختلفة، وتتبع هذه التطورات يتيح لنا الفرصة لمعرفة الملامح المميزة لمدخله إلى الثقافة وفهمها667.

كما أدى الاتجاه الجديد للثقافة وارتباطها بوسائل الإعلام وبإنتاجها الواسع إلى حدوث تحولات كبيرة في البنى الاجتماعية ومجاليها العام والخاص. فبعد أن تطورت الصحافة السياسية والأدبية الأوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أخذت تكتسب في مستهل القرن العشرين أشكالاً جديدة بفضل التطور التكنولوجي من جهة وتطور المؤسسات السياسية والإدراية المهيمنة من جهة أخرى، الأمر الذي جعل غالبية الصحف الأدبية تفقد استقلاليتها وتدخل ضمن النطاق الشامل للسياسة الاستيعابية التي تمارسها السلطة عبر وسائل الإعلام (الصحافة، والتليفزيون، والراديو...إلخ) وغيرها من المؤسسات السياسية والبيروقواطية. ثم تناول (هابرماس) ظهور الإعلان وتنامي دوره في دعم السلطة الدعائية للدولة ولكافة المشروعات الإنتاجية والخدمية. وتابع (هابرماس) مظاهر التحول الكبير في أدوار وسائل الإعلام الأمر الذي أدي إلي نجاحها في احتواء كل شيء في المجتمع ابتداءً من النظام السياسي والثقافة الجادة والبرلمان، ووصولًا إلى الرأي العام.

وتتبع (هابرماس) نشوء الجهاز البيوقراطي وتطوره، ودوره في تجسيد هيمنة السلطة السياسية القائمة ونشاطها الإعلامي والدعائي. وقام برصد تحليلي/ تاريخي لمسار الدعاية ابتداءً من القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر موضحًا دينامية وفعالية هذه الدعاية في احتواء الوعي الجمعي وتأثيراتها الممتدة والمتشبعة في كافة مؤسسات الدولة التي يصعب كشف تناقضاتها إلا بالمنظور التحليلي النقدي) علاء طاهر،95- 122).

كما اهتمت الدراسات الثقافية بكل وسائل الاتصال الحديثة وبكل حامل ثقافة، فتناولت وسائل الإعلام Media ، والثقافة الشعبية Popular Culture والثقافات الفرعية Sub- Culturesوالمسائل الايديولوجية والأدب ، وعلم العلامات Semiotics والحركات الاجتماعية، كما حاولت رصد أخلاقيات المجتمع الحديث

667 - Habermas ،Jurgen. Disenchantment and Deliberative Democracy: http://www.uta,Edu/huma/illumination Critical theory. 23/7/2016.




وطرق هيكلة البناء الاجتماعي، فعمدت إلى فهم ونقد أشكال الهيمنة على ثقافة الجماهير بالشكل الذي يجعلها مكبّلة أمام القوى المسيطرة خاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية .

- **مفهوم الهيمنة الثقافية:**

تتعدد المصطلحات المُعبرة عن الهيمنة الثقافية مثل الإمبريالية الثقافية، والإمبريالية الإعلامية، والإمبريالية الهيكلية، والتزامن الثقافي، والاستعمار الإلكتروني، وإمبريالية الاتصال، والإمبريالية الأيديولوجية، والتبعية والهيمنة الثقافية[668] وطبقًا لما سبق فإن الإمبريالية الثقافية هي العمليات التي يتم فيها إدماج المجتمع في النظام العالمي الحديث من خلال تشكيل المؤسسات الإجتماعية، وترويج القيم والمعايير الغربية، واستخدام أجهزة الإعلام كأداة للاختراق الثقافي[669]، أنها عملية مكملة للاستقلال الاقتصادي والعسكري من خلال خضوع الأنظمة الإعلامية والتربوية في العديد من دول العالم الثالث للقيم والمعايير الغربية لتصبح مطابقة للأنظمة الغربية في أنماطها وممارساتها. كما اهتمت النظرية النقدية بدراسة الرسالة الإعلامية التي اهتمت بدراسة الجمهور لاستكشاف تأثير وسائل الإعلام على بناء الواقع الاجتماعي، فالجمهور يستهلك الصور الإعلامية ولكنه لا يستهلك معانيها، الأمر الذي يؤكد على الجانب الإيجابي للجمهور الذي يتمثل في تفسيراته للنصوص والمضامين الإعلامية التي قد تختلف وتتناقض مع رؤية واتجاهات واضعي السياسة الإعلامية ورؤية القائمين بالاتصال[670]

وتعدّ الهيمنةHegemony التي ترددها دائمًا في بحوثها هي الأسلوب المناسب والسائد للعلاقة بين من يملكون ومن لا يملكون، والهيمنة في تعريفهم: هي تأثير النفوذ أو السلطة Authority. Infieunce Preondrat ويصف العالم الثالث عملية تصدير لغرب للأنباء والترفيه من خلال هذا المفهوم حيث تتجاهل كل وسائل الإعلام في الغرب الحياة في الدول النامية .

ويعتقد هول أن وظيفة وسائل الإعلام هي دعم الهيمنة لمن هم في مراكز القوى، لكنه يرفض التفسير الماركسي الاقتصادي، فهو لا يرى علاقة متكافئة بين الثروة والتفكير السياسي. كما يرى أن البحوث الأمريكية على الرغم من أنها تخدم الاتجاهات السائدة حول أسطورة الديموقراطية التعددية، وتماسك المجتمع الذي تحكمه معايير شائعة، مثل: الفرص المتساوية وإحترام الرأي الآخر، وحقوق الإنسان، وحق

---

668 - Tzeng Relying. (January 2010), Cultural Capital and Cross- Border Career) Ladders, in (i**nternational Sociology** – uk, vol.25, No .1.

669 Richard John, "Introduction to Communication Research", 3rd.Ed, New York, Mc Grawhill,2001.

670 http://www.uta,Edu/huma/illumination Critical theory. 15/6/2019



التصويت، وسيادة القانون، إلا أن البحوث نفسها التي أجريت على السلوك الانتخابي والولاء والاستجابة لدراما العنف فشلت في التأثير على الصراع القائم 671

وترى أن وسائل الإعلام يمكن فهمها أفضل كسوق أو منتدى جماهيري، يتم فيه الصراع بتشكيل الأفكار الثقافية حول الحقائق الاجتماعية، وبرسم الحدود لها، وتفترض أن الدول الغربية تسيطر على أجهزة الإعلام حول العالم. ومن ثم؛ فإن الهيمنة الثقافية الناتجة عن تلك السيطرة ستؤدي إلى تدمير الثقافات المحلية، وفرض القيم والمعايير على شعوب دول العالم الثالث672.

خاتمـــــــــــة

ومن العرض السابق؛ فإن الدراسة الراهنة انطلقت منها عده قضايا نظرية، ويمكن تلخيص ذلك في التالي:

1. أن النظام الإعلامي وقضاياه جزء من النظام والسياق الاجتماعي العام للمجتمع يتأثر به ولا ينفصل عنه، وتعد هذه القضية من أهم ركائز النظرية النقدية.
2. وسائل الإعلام أدوات ووسائل للهيمنة قد تستغلها القوى السياسية الحاكمة في نشر أهدافها تحقيقًا لمصالحها.
3. أصبحت وسائل الإعلام من القوى الرئيسة في دعم النظام الاجتماعي داخل المجتمعات المعاصرة.
4. يجب على وسائل الإعلام أن تعمل على التزامات معينة قبل المجتمع، وإذا ما قبلت وسائل الاتصال الجماهيري تطبيق هذه المعايير فيجب أن تترك لها الفرصة لكي تقوم بإصلاح شئونها ذاتيًا وأن تنظم أمورها داخليًا في إطار القوانين والقيم والمعايير السائدة، ومن حق المجتمع والجمهور على وسائل الاتصال أن يتوقع منها مستوى عاليًا في الأداء التزامًا كاملًا بالمعايير الأخلاقية
5. تناول أعضاء مدرسة فرانكفورت هذه القضية بما يتلاءم مع متطلبات العصر الحالي؛ أكد هابرماس في مؤلفه "الحداثة وخطابها السياسي" أن دراسة المجتمع ونظمه وأفراده لا بد أن تتم في إطار من الكلية التي تجمع أجزاءه في كيان واحد.

---

671 Rodenberry, Jack., (spring 2010). Virtual Community Support for Offline Communities through Online Newspaper Message Forums, In :(Journalism Quarterly, U.S.A, vol. 87, No.1).

672 محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. **القاهرة**: **عالم الكتب**، ط3، 2003.



بنـاءً علـى مـا سـبق يتبـين أن أم مهمـة النظريـة النقديـة هـي تفسـير الإنسـان وعالمـه في إطـار وجـوده الاجتمـاعي، كمـا تتضـح أهميـة رؤيـة الإعـلام وقضـاياه مـن خـلال منظـور اجتمـاعي، ومـن خـلال تقـديم شـامل للمجتمـع. عـدّت النظريـة النقديـة النظـام الإعـلام ووسـائله جـزءًا مـن السـياق الكلـي للمجتمـع. وهـي نقطـة الانطلاق التي تركـز عليهـا الدراسـة الحاليـة في صـياغة قضـيتها الأولى، وهي ان النظـام الإعلامي وقضـاياه جـزء لا ينفصـل عـن النظـام الاجتمـاعي الكلي الأشـمل والأعـم. وتـأتي هنـا أهميـة الدراسـات الثقافيـة بوصـفها محاولـة أوسـع وأكثـر شـمولية، ولـيس فقـط لهـدم الجـدران الفاصـلة بـين حقلـين علميـين على نحـو ثنـائي، بـل لإلغـاء جميـع الجـدران الفاصـلة بـين الحقـول العلميـة قاطبـة في سـبيل الخـروج بآليـة مكتملـة تتواشـج ومتطلبـات المجتمـع علـى نحـو عـام. افتـرض علمـاء النظريـة النقديـة أن وظيفـة وسـائل الإعـلام هـي مسـاعدة أصـحاب النفـوذ في المجتمـع على فـرض نفـوذهم، والعمـل على دعـم الوضـع القـائم. وهـو الفـرض الـذي سـعى مـاركيوز إلى تأكيـده بـأن الإنسـان يخضـع في تشـكيل وعيـه لإرادة النظـام السياسـي في المجتمـع المعاصـر، ولـذلك يكـون وعيـه أحاديًـا يتكـون مـن خـلال مـا تبثـه وسـائل الإعـلام مـن أفكـار وسـلع ثقافيـة متنوعـة لخدمـة النظـام الرأسـمالي الاحتكـاري. وأضـاف هابرمـاس أنـه مـع نهايـة القـرن التاسـع عشـر أصـبح الشـكل (النمـوذج) الأمريكي للصـحافة مهيمنًـا علـى كـل القـارة الأمريكيـة والأوربيـة. كمـا أكـد أن الصـحافة السياسـية لهـا تـأثير قـوي لـيس فقـط على تنظـيم الدولـة، ولكـن على كـل التنظيمـات أو المؤسسـات التي لهـا نفـوذ أو سـلطة دعائيـة في الميـدان العـام السياسي.

المراجـــــع:

- محمد حسام، ساخرون وثوار، العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 246-247.

-رايمونـد ويليـامز. طرائـق الحداثـة ضـد المتـؤمين الجـدد، ترجمـة فـاروق عبـد القـادر، الكويـت، عـالم المعرفـة، ط1، 1999، 228/221.

- Ranosa, Angela ,(2017), StrengthInDiversity: A poster advertising campaign to promote the inclusion of people of color in mainstream media and pop culture. available at http://Proquest.umi.com/pqdweb?did,.

- هابرمـاس يـورجين. الحداثـة وخطابهـا السياسـي. تـأليف: يـورجين هابرمـاس. ترجمـة: جـورج تـانر. مراجعـة: جـورج كتـوره، بيروت: دار النهار للنشر، 2008، 7.

- على عبد الرازق جبلي. الاتجاهات الأساسية فى نظرية علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط1، 2005، 355.

- Tzeng Relying. (January 2010), Cultural Capital and Cross- Border Career) Ladders, in (international Sociology – up, vol.25, No .1.

- Richard John, "Introduction To Communication Research",3rd.Ed, New York, Mc Grawhill,2001.

- Jaslow, Emilie, Review of Mediated girlhoods: New explorations of girls' media cultures, Journal of Children and Media.,2012 Vol.6(2).



-فيل سيلتر، مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها، ترجمة: خليل كلفت، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2004، 21.

- Beilby, Denise D, Review of Creative labor: Media work in three cultural industries, Work and Occupations.2012, Vol.39(3).

- White tapetal,(1999), Broad cast news Writing , reporting and production , New Your Macmillan publishing Company.

- علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركاهيمر إلي هابرماس منشورات مركز الإنماء- بيروت- د.ت. https://www.goodreads.com/book/show/18244576.

- Xu Xiaog, (2008), Engaging and Empowering News Audiences Online: "A Feature Analysis of Nine Asian News Website", available online at: http://ejournalist.com.

- Loner, Walter J, some methodological problems in cross-cultural media research, Australian Journal of Psychology. (Dec 1986), Vol.38 (3).

- Kellner, Douglas. Habermas (2012), the Public Sphere, and Democracy: Critical Intervention: http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/).

- The critical Theory Web Site: http:// www. Auto Edu /human/illumination.

- Kellner ,Douglas & Habermas (2013), the Public Sphere, and The Critical Theory at: http://www.uta,Edu/huma/illumination.

- Habermas, Jurgen. Disenchantment and Deliberative Democracy: http://www.uta,Edu/huma/illumination Critical theory. 23/7/2016.

- Tzeng Relying. (January 2010), Cultural Capital and Cross- Border Career) Ladders, in (international Sociology – up, vol.25, No .1.

- Richard John, "Introduction to Communication Research", 3rd.Ed, New York, Mc Grawhill,2001.

- http://www.uta,Edu/huma/illumination Critical theory. 15/6/2019

- Rodenberry, Jack., (spring 2010). Virtual Community Support for Offline Communities through Online Newspaper Message Forums, In :(Journalism Quarterly, U.S.A, vol. 87, No.1).

- محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب، ط3، 2003.



"الحفاظ على الثقافة في البيئة الرقمية وعلاقة الإعلام بالهوية العربية والإسلامية في ظل العولمة الثقافية"

"Preserving culture in the digital environment and the relationship of media to the Arab and Islamic identity in the context of cultural and globalization "

أ. فاطمة جبر العطاونة إعلامية من فلسطين – قطاع غزة

ملخص:

تعد وسائل الاتصال الجماهيرية أحد الأركان المهمة لتطور المجتمعات ومقياساً للتقدم والحضارة فيها. ويفترض بهذه الوسائل أو المؤسسات الإعلامية أن تحافظ على أصالة المجتمع وثقافته وأخلاقياته. وقد أهتم المتخصصون بالعلوم الإنسانية المختلفة بإعطاء أهمية كبيرة للأخلاقيات المهنية على أساس أن لكل مهنة أخلاقياتها، وتأتي في مقدمة هذه المهن مهنة الصحافة. لذلك فقد وضعت النظم السياسية المختلفة في العالم سياسات إعلامية متنوعة تنسجم مع أهدافها وتوجهاتها وتطلعاتها، إدراكاً منها لأهمية الإعلام وما يؤدي من وظائف كبيرة وخطيرة في المجتمع.

الاعلام الرقمي هو الإعلام الأكثر تعبيراً عن الإنسان لأنه ينقل أدق تفاصيل حياته وذلك بسبب استخدامه أحدث المعدات مثل للحاسوب والانترنت.

الاعلام الرقمي يقوم على منهاج جديد في حقل إعلامي تكنولوجي متجدد دوما، وتعويض مساحات التدريب عبر جعل بنية التدريس قائمة على العمل الميداني.

فالهوية ما هي إلا إحساس جغرافي (مكاني) وتاريخي وثقافة شعبية موحدة أو عدة ثقافات شعبية يضمها إطار فولكلوري واحد ، وهي حقوق وواجبات وأنشطة اقتصادية مشتركة في رؤى جماعية .

الوطن ملحمة عشق بين الإنسان والأرض التي تحتضنه، كلماتها عطاء ووفاء. وزانت الأمم، على مدى التاريخ، إكليل فخرها بجوهرة حب الوطن وفداء كل ذرة من ترابه، واحتقرت أي فرد يتنكر له ويبيع الذمم والولاء لخدمة الأعداء الذين يستهدفون إثارة الفتن وعدم الاستقرار. وتباهت الشعوب بهويتها الوطنية، التي لا تعدها مجرد إشعار إثبات انتماء، بل مثلت لها موروث لمجموعة قيم دينية ولغوية وثقافية وجغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، تميزت بها ووثقت وحدتها ضمن نسيج وطني متناسق ومتكامل، ليستند عليها البناء.

خصوصاً فيما يتعلق ببرنامج تعزيز الشخصية الوطنية الذي اشتمل على تنمية وتعزيز الهوية الوطنية للأفراد وإرسائها على القيم الإسلامية والوطنية وتعزيز الخصائص الشخصية والنفسية التي من شأنها قيادة وتحفيز الأفراد نحو النجاح والتفاؤل، وتكوين جيل متسق وفاعل بالمجالات الاجتماعية والثقافية والإعلامية.

كلمات مفتاحية :

الثقافة , الهوية , الاعلام , البيئة الرقمية , صحافة المواطن, الاعلام الفلسطيني , الاعلام العربى , ,النشر ,حماية الإعلاميين , تعزيز الهوية , دور الاعلام , استراتيجية الرقابة . الاتصال والتواصل . السلم المجتمعى ,التنوع الثقافى



Abstract:

Mass communication is one of the important pillars of the development of societies and a measure of progress and civilization in them. Through these means or media institutions, it is assumed that they preserve the originality, culture and ethics of society. Specialists in the various humanities have paid great attention to professional ethics on the basis that every profession has its own ethics, and journalism comes at the forefront of these professions. Therefore, different political regimes in the world have developed various media policies that are consistent with their goals, orientations and aspirations, realizing the importance of media and the great and dangerous functions it performs in society

Digital media is the media that expresses the most for a person because it conveys the most accurate details of his life due to its use of the latest equipment such as computers and the Internet.

Digital media is based on a new curriculum in an ever-renewable technological media field, and to replace training spaces by making the teaching structure based on field work. The identity is nothing but a geographical (spatial) and historical sense and a unified popular culture or several popular cultures within a single folkloric framework, which are rights, duties and economic activities in common in collective visions.

The homeland is an epic of love between man and the land that embraces him, whose words are generosity and loyalty. Throughout history, nations have placed their wreath of pride in the jewel of patriotism and the redemption of every grain of its soil, and despised any individual who disguises himself and sells sins and loyalty to serve enemies who aim to stir up discord and instability. Peoples boasted of their national identity, which it does not consider merely a notice of affiliation, but rather represented a legacy of a group of religious, linguistic, cultural, geographic, political, economic and social values, which were distinguished by them and documented their unity within a coherent and integrated national fabric, on which the building is based ,Especially with regard to the program of strengthening the national personality, which included developing and strengthening the national identity of individuals and establishing it on Islamic and patriotic values, enhancing personal and psychological characteristics that would lead and motivate individuals towards success and optimism, and the formation of a coherent and active generation in the social, cultural and media fields.

Keywords:Culture, identity, media, digital environment, citizen journalism, Palestinian media, Arab media, publishing, protecting media professionals, enhancing identity, the role of the media, censorship strategy. Communication, Societal peace, cultural diversity.

مقدمة :

تهدف الدراسة المقدمة للمؤتمر ابراز الدور الاعلامى فى البيئة الرقمية للمحافظة على الثقافة والهوية العربية وتعزيز دورها الايجابى فى ظل صراع الحضارات وارساء السلم الاجتماعى والمجتمعى من خلال وسائل الاعلام المرئية والالكترونية والمكتوبة والمقرؤة وأيضا تحليل مضامين العمل بالاعلام الرقمى والهوية الثقافية فى ظل جائحة كورونا كوفيد 19 والمواقع الالكترونية لمعالجة مواضيع الهوية الثقافية الفلسطينية ومدى استفادة الاعلام الفلسطينى من هذه البيئة الرقمية فى حالات الطوارىء والازمات والكوارث والحفاظ على هويتنا الأصلية بكل مظاهرها من عادات وتقاليد وغيرها

يعيش اليوم العالم أزمة فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 وفى ظل العولمة التنكولوجية المنتشرة عالميا التى ليست بمنأى عن الواقع الحياتى والهوية الثقافية بات الاعلام الرقمى يتصدر المشهد الذى ليس بعيدا عن الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية إذ بات يشكل خطورة تهدد الهوية الثقافية للفرد والمجتمع والدولة وتعتبر الهوية الثقافية شخصيته وبطاقة تعريف مبسط من خلال ما تحويه من مرادفات وتراكمات معرفية سواء كانت انطلاقا من الدين أو العادات والتقاليد التى ساهمت فى تكوين الشخصية والفكر الانتماء .

فالهوية والاعلام والتكنولوجيا أضحت بوابة العالم ومصدر للتنشئة الاجتماعية إذ فى فترة ما حلت مكان الأسرة لانتشارها واستعمالها واتضح مظاهر مغايرة للثقافة الاسلامية والعربية من سلوكيات وفكر وممارسات دخيلة على المجتمعات العربية . فاليوم مدى مساهمة البيئة الرقمية والثقافة والهوية فى الحفاظ على الموروث الثقافى وفق تعزيز الهوية العربية .

تعيش المجتمعات العربية حالة استثنائية ليس لها مثيل بين مجتمعات العالم رغم امتلاكها للمقومات الأساسية في جغرافيا الوطن ، وتاريخ الأحداث ، وهوية وذاتية الثقافة، وما تشمله الأخيرة من لسان واحد ولغة مشتركة ، ومعتقد وموروث أصيل، فضلاً عن إمكانيات وقدرات في البشر ، وموارد مادية شتى تدخل في صناعة الحياة ... ورغم ذلك .

فالمجتمعات العربية دائمة البحث في هويتها وفي هوية ثقافتها فهل هناك من ألم أو مرض اجتماعي في المجتمع أو في هوية الثقافة ؟ أو في العقل العربي ؟ وعدم قدرة الأخير على البناء الفكري وصياغة المقولات الفكرية الحاكمة لمسيرة الأوطان وهويتها ؟ أم أن هناك تدخلات (داخلية أو خارجية أو الاثنين معاً) تريدان العبث بالهوية الثقافية، والعمل على تفكيك أواصرها تحقيقاً لأهداف أو أغراض ما؟

والحيرة هنا أننا نتحدث عن مفاهيم متباينة ومتداخلة في الشكل اللغوي ومتضامنة في كثير من المعاني الكامنة وراء المفهوم . فالهوية هي ذاتية الشيء وحدود خصوصيته وطالما أصبحت بالحدود والخصوصيات فالمعنى لا يخلو من " الانغلاق " النسبي . هذا الانغلاق النسبي الذي يأتي ملازماً لمفهوم " الانغلاق الأصولي " حيث تحمل الأصولية هنا الكثير من المعاني والمجالات والروافد التي تحبذ الانغلاق على الذات ، فهناك الأصولية الدينية وأصولية الحكم ، والنظام السياسي ، وأصولية الثقافة، لاسيما الثقافة الشعبية وما تحمله من سمات وخصائص الجبر والالتزام التي تفرضها على أعضائها . والأصولية في معناها المحدد ليست أصولية عامة ، فأصولية الدين متنوعة بتنوع الديانات ، وأصولية نظم الحكم متنوعة بما يرتضيه المجتمع ويقبله ، وأصولية الثقافة الشعبية وجبريتها والزاميتها ما أكثرها تنوعاً بحسب مجتمعاتها المحلية والإقليمية وخصوصيتها الثقافية .

وعليه لا توجد هوية واحدة عامة ، ولا توجد ثقافة واحدة عامة ، ولا توجد أصولية واحدة عامة ، فهوية الثقافة والانغلاق الأصولي تحمل بين طياتها معاني متعددة فهي تحمل الخاص والعام في آن واحد ، تحمل الخاص والخاص جداً ، وتحمل خاص المجتمع المحلي ، وعام الوطن والأمة ، كما تحمل خصوصية الدولة وفرض عموميتها على أجزائها ومكوناتها .

ولمَ لا إذا كان ناموس الحياة وخلق الرحمن لجزئيات كونه جاءت في اختلاف منسجم التكوين ، لا في عناصر الكون المادية فحسب ، وإنما في البشر أنفسهم . تصديقاً لقوله تعالى " ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم أمة واحدة ولكن لا يزالون مختلفين " سورة هود الآية 118 .

فالثقافات متنوعة ، والهويات متنوعة والانغلاق متنوع ومتحرك وغير ثابت ، وهكذا تعيش المجتمعات الإنسانية ، كما تعيش الثقافة العربية حالات من أنواع الصراع تارة ، واللا صراع تارة حالة من التضامن تارة ، واللا تضامن تارة أخرى . فالثقافة هي المركب المتجانس من الإبداعات والأفكار والقيم والرموز وتطلعات الجماعة أو المجتمع بما يضمن لأفرادها ويساعدها على تجاوز وحل مشكلاتها بفضل وظيفة ووظائف الثقافة حيث تتشكل وتتجذر الهوية الحضارية لثقافة الجماعة أو الأمة . فالهوية والثقافة معاً تشيران إلي حالة انغلاق خصوصي في ثبات نسبي ، وتشيران في نفس الآن إلي حالة دينامية متفاعلة تمكنهما - الهوية والثقافة – من قابلية التواصل والأخذ والعطاء .

النظر إلي هوية الثقافة العربية وعلى مدى مضي قرون من الزمان أنها تعيش حالة من الاحتكاك والتواصل الثقافي بالثقافة الغربية ، وقد أدى هذا التواصل إلي تجذر خاصية الثنائية نا بين الأصولية الفكرية وبين حداثة التطور الغربي ، وما بين التقليدية والعصرية، أي أن هوية الثقافة تعيش حالة تكريس الثنائية والانشطار ما بين ما هو ريفي وحضري، وما بين الفردي والجمعي. فالعلاقة التلازمية بين هوية الثقافة والانغلاق الأصولي وحراك المجتمع المدني تفرض علي هذه الورقة طرح تساؤلات هامة ورئيسية وهي :

- هل يلعب الدين أو بمعنى أكثر قرباً من يستخدمون الدين لأغراض ما دوراً في حالة القلق والجدل المثار على بقاء الهوية واستمراريتها ورسخوها من عدمه ؟

هل يلعب الاعلام دوره فى نشر الثقافة والهوية والمحافظة عليها من خلال مواده التى تبث عبر الفضاء الالكترونى والفضاء العادى .

- هل ما تتعرض له الثقافة والثقافات المحلية فى فلسطين أو الثقافات الفرعية وثقافات الأقليات من عوامل للتأثير والتعبير والتبديل نتيجة لتزايد وتسارع وسائل الاتصال (الإلكترونية) العالمية تجعلها غير آمنة وتعيش حالة من القلق على ذاتيتها وهويتها ؟

الإشكالية، الأهداف، المحاور والضوابط:

يثير مفهوم الهوية في أبعاده الثقافية و الفكرية و السياسية والدينية أسئلة شائكة،لكونه من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش بين مختلف الباحثين والدارسين.ورغم تعدد زوايا النظر إلى مفهوم الهوية، فإن هناك اتفاقا عاما على أن مسألة الهوية ليست معطى جامدا،و ثابتا و إنما هي معطى تاريخي خاضع للتأثر والتأثر، ومن هنا ضرورة إعادة البحث في ماهية الهوية ومقوماتها وفق ما يفرضه الواقع من تحديات . ولاشك أن ضبط علاقة الإعلام بالهوية من القضايا الهامة التي استأثرت باهتمام مختلف الباحثين والدارسين وفي مقدمتهم السياسيين والإعلاميين. فقد كشف النقاش السياسي والإعلامي على أن دور الإعلام لم يعد مقتصرا على وظيفته التقليدية في النشر وتعميم الأخيار والتأثير في الرأي العام وتوجيهه ، بل تجاوز ذلك إلى القيام بوظائف جوهرية ومنها على الخصوص تحريك سؤال الهوية وطرح قيم المواطنة والثقافة السياسية وغيرها، خاصة في ظل التحولات التاريخية الهامة التي شهدها المجتمع العربي في السنوات الأخيرة.

وقد أكدت مختلف الدراسات والأبحاث أهمية وسائل الإعلام المختلفة في صناعة الهوية الوطنية وصياغة القيم والنهوض بمخرجاته التثقيفية والهوياتية. وتزداد أهمية الحديث عن العلاقة بين الإعلام والهوية في العالم العربي اليوم



أكثر من أي وقت مضى مع سيادة صورة تركيبية قاتمة عن الهوية العربية التي تقتبس من الكل الثقافات، شرقية وغربية،مما يطرح بقوة أهمية تجديد الإعلام العربي لوظيفته ودوره في صياغة هوية ثقافية عربية صرفة.

وفي دراسة سابقة كان هناك مؤتمر " الإعلام والهوية" الذي نظمه مختبر التواصل وتقنيات التعبير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس بالمملكة المغربية خلال أبريل 2019 إلى إبراز دور الإعلام في بناء الهوية وتثبيت قيم المواطنة من خلال محاور متعددة:

الإعلام والهوية السياسية أو الإعلام السياسي والهوية (قيم المواطنة، الثقافة السياسية، الإيديولوجية السياسية، المجتمع المدني).

1 الخطاب التلفزيوني السياسي وإشكالية الهوية

2 التأزم والتعدد الهوياتي في ظل حركات غياب مقومات الهوية الثقافية

3 المعالجة الصحفية لقضايا الهوية الثقافية والاعلامية

4 – مواقع التواصل الاجتماعي والوعي السياسي

يعرف التكيف :

بأنه عملية مستمرة، يحاول الفرد بها مواجهة العوامل الطبيعية المحيطة به ليقوى على متابعة الحياة دون فنائه بحيث تنشأ لديه الخصائص التي تجعله أكثر استعدادًا للتلاؤم مع ظروف البيئة المحيطة، وبالتالي تغير السلوك لإحداث علاقة أكثر توافقًا بينه وبين البيئة. وتحاول الدراسة التعرف على عمليات التكيف الثقافي في المجتمعات المستحدثة في قرى الواحات الخارجة، وأثر مشروعات التنمية على السكان، ومدى توافق هذه المشروعات مع التراث الثقافي.إضافة إلي مدى استجابة السكان للظروف البيئية الجديدة.

ويناقش من هذه الدراسة التعريف بموضوع البحث (التكيف الثقافي) وإستراتيجيته، وأهم مراحله، والاتصال الثقافي للتعبير عن التفاعل بين الجماعات المختلفة ثقافيا، والاكتساب الثقافي وكيفية تحقيق التكيف الثقافي والصدمة الثقافية.

يدرس أهم الاتجاهات النظرية والتي تتمثل في الاتجاه الايكولوجي الثقافي والاتجاه الاثنوايكولوجي والاتجاه البنائي الوظيفي والمادية الثقافية .

التكيف في المجتمعات المستحدثة وذلك من خلال التعرف على البيئة السكنية ، ومظاهر التكيف مع السكنى، والتغيرات التي طرأت على المسكن.

التحول الثقافي وآثاره المجتمعية:

تعد ثقافة المجتمع منتجاً اجتماعيّاً، وتتشكل من مركّب يضم عناصر: الدين واللغة والقيم والأعراف والتقاليد والفن والأدب، بالإضافة إلى الإعلام و أنماط المعيشة التي تسود في المجتمع.

والثقافات وإن كانت تظهر وكأنّها ثابتة؛ إلا أنّها عرضة للنّمو وللتغيّر، وهذا التغيّر غالباً ما يكون بطيئاً؛ إلا أنّه ينتج تحولاً ثقافيّاً على الفترات الزمنية البعيدة، والثقافة كالكائن الحيّ؛ فقد تكون في وضع قوي أو ضعيف، إيجابيّة أو سلبية، مؤثّرة أو متأثّرة، وكلمّا ضعفت عناصر الثقافة كانت أكثر عرضة للتحوّل.

التطور العلمي ووسائل الإعلام :





ويتعرّض المجتمع لظروف مستجدة ولتغييرات بيئيّة، لعلّ أبرزها التطور العلمي الهائل خصوصاً في مجالي الاتصالات والإعلام، والتي جعلت ثقافتنا في احتكاك مستمر مع ثقافات أخرى؛ مما يقتضي تحولاً ثقافيّاً ملحوظاً، وكان هذا التحول يلحظ في السابق ببطء شديد؛ إلا أنّه غدا اليوم تحولاً سريعاً متنامياً.

وبعيداً عن الحكم على آثار هذا التّحول، وهل أفضى إلى ثقافة أفضل أو أسوأ، فليس أمام المجتمع إلا أن يتعامل مع التحوّل، الذي أصبح أثره حتمياً على الظواهر الاجتماعية المختلفة، وإنّ هشاشة أداء الجهات الرسمية في القيام بواجبها تجاه التحول الثقافي، يرتب دوراً أساسيّاً على الدعاة والمربين والمصلحين والمفكرين وسائر النخب المجتمعيّة.

وفي الوقت الذي تبرز الثقافة الغربية كقائد لهذا التحول الثقافي؛ فإننا سنكون مستقبلاً أمام فواعل أخرى مثل الثقافة اليابانية والكورية وعلى نحو أقل الصينيّة؛ مما سيجعل شكل التحول الثقافي في منتهى التعقيد.

آثاره المجتمعية:

ولقد أثّر التحول الثقافي على العمليات الاجتماعية المختلفة: كالتنشئة، والضبط، والصراع، والتفاعل، والمنافسة، والتبادل، والانتشار، والحراك، ولعلّ التنشئة الاجتماعيّة والحراك الاجتماعيّ كان لهما النصيب الأكبر من هذا الأثر؛ إذ تعنى التنشئة بنقل الثقافة للآخر، فالمربي ينقل ثقافته للمتربي، والتي قد لا تتناسب والمعطيات الحاليّة، بل قد تتصادم أحياناً، كما أنّ الحراك الاجتماعي بنوعيه الرأسي الذي فيه تغيير في المكانة أو الأفقي الذي لا تتغير فيه المكانة أثّر فيه التحوّل الثقافي؛ لأنّ المكانة الاجتماعيّة – ذاتها - مستها آثار التحول الثقافي، ونلحظ أنّ التنافس أخذ يتسع بين الثقافات إلى حدٍّ بلغ الصراع.

كما نلحظ تأثير التحول الثقافي على الأدوار المتوقعة من الفرد فيما يشغل من مواقع في جماعته، فمثلاً ما يطلب حاليّاً من الوالد في الإنفاق على أبنائه ليس كما كانت عليه الحال سابقاً، وما كان ينظر له باعتباره كماليّاً أصبح من الحاجيّات؛ كتوفير خدمة الإنترنت والأجهزة الخلويّة والحاسب الآلي.

و أسهم التحوّل الثقافي في تغيير نمط المشكلات الاجتماعية، ففي معظم الدول العربية زادت نسب الجرائم التي يرتكبها الأحداث والشباب، كما تمّ تسجيل مجموعة من الجرائم المستحدثة والتي لم تكن معروفة سابقاً؛ مثل الجرائم الإلكترونيّة.

كما أثر التحوّل الثقافيّ على موقفنا من بعض القضايا وذلك تبعاً لتغير في المعايير أيضاً، ويمكن أخذ مثال من التحوّل الموقف من ظهور المرأة في وسائل الإعلام، يمكن التساؤل عن ظاهرة انتشار المقاهي في الدول العربية، وتدخين النرجيلة، والتوسّع في مجالات عمل المرأة، والأمثلة على التحول في المواقف والمعايير كثيرة.

وقد أسهم التحوّل الثقافيّ في التغيير الاجتماعي، خصوصاً في دول شرق أوروبا، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كما وفّرت وسائل التواصل الاجتماعي منبراً إعلاميّاً شخصيّاً للأفراد، وأدت دوراً أساسيّاً في الحراك الشعبي العربي.

وفي مواجهة هذا التحول الثقافي، علينا أن نغادر مربع المُسْتقْبِل، ونتجاوز التكيّف الثقافي الذي يمثّل شكلاً لتقبّل التحولات إلى الإدارة الثقافية، والتي تقوّي من ثقافتنا، وتغيّر في بعض جوانبها وتجعلها فاعلة، وصالحة، وقابلة للتطور، وتمكنها لتكون عامل قوّة في المجتمع.

دور الشباب والاعلام في عملية التغيير المجتمعي:

أصبح العمل مع الشباب والاعلام والهوية والثقافة على أساس تخصصي، واحداً من الاتجاهات الرئيسية التي بدأت تشق طريقها في غالبية البلدان والمجتمعات، والتي تستهدف صقل الشخصية الشبابية، وإكسابها المهارات، والخبرات العلمية والعملية، وتأهيلها التأهيل المطلوب لضمان تكيفها السليم مع المستجدات، وتدريب القادة الشباب في مختلف





الميادين المجتمعية، لكن ما يجب الإشارة له هو أن هوة واسعة كانت ولا زالت قائمة بين الشباب في البلدان المتقدمة والشباب في البلدان الفقيرة والنامية؛ لأسباب تتعلق بالقدرات المالية وعدم توفر الخطط والبرامج الكافية للتأهيل والتنشئة والتربية، إضافة إلى أسباب داخلية تتعلق بالموروث العقائدي والاجتماعي وطبيعة القيم والعادات والتقاليد، وتركيبة المجتمع والعائلة ومستوى الانفتاح الاجتماعي، وطبيعة النظم السياسية القائمة، حيث تظافرت كل تلك العوامل لتحد من دور الشباب في البلدان الفقيرة ووالتى تتعرض لازمات والحروب مثل فلسطين وتفاقم الأزمات المستشرية في أوساط الشباب: كالبطالة، وسوء العناية الصحية، وتدني المستوى المعيشي، ونقص المؤسسات الراعية، ومراكز الترويح والترفيه. وهذا لا يعني البتة أن الشباب في الدول المتقدمة والغنية لا يعانون من مشاكل وأزمات رغم الوفرة في الإحصائيات والخدمات، ولكنها من نوع مختلف عما يعانيه الشباب في الدول الفقيرة وخلال العقدين الأخيرين، وبسبب التطورات العلمية والتقنية الهائلة، وثورة الاتصالات والإنترنت والفضائيات، ودخول العالم في مرحلة العولمة، كمنظومة ثقافية سياسية اقتصادية اجتماعية تعكس تحالف القوى الرأسمالية العالمية العملاقة؛ تفاقمت أزمات الشباب أكثر فأكثر في البلدان الفقيرة،؛ حيث بات الشباب يعاني من أزمة مزدوجة متولدة عن الأزمات المتوارثة، والمركبة القائمة أصلاً وأخرى ناتجة عن التأثيرات القادمة عبر الإنترنت والفضائيات، والتي تعكس ثقافة ومفاهيم مجتمعات أخرى غريبة، وتتحدث عن رفاهية خيالية نسبة لشباب البلدان الفقيرة؛ ما يهدد الشباب في هذه البلدان بأزمات جديدة جراء هذا المد العولمي.

جدل حول السبل المفضلة لتربية الشباب والهوية والثقافة فى الوسط الإعلامى :

ورغم التقدم الحاصل في العمل وسط الشباب بالمعنى النسبي، فما زال هناك نقاشات ووجهات نظر مختلفة مثارة حول السبل المفضلة للتربية، والتكيف السليم للشباب بما يضمن انخراطه في المجتمع، حيث لم تتوقف النقاشات بين علماء الاجتماع والتربية والناشطين في حقل الشباب والمنظمات الشبابية، حول أنجع وأفضل السبل لتنشئة الشباب وتربيته تربية متوازنة تضمن تكيفه الإيجابي مع ما يحصل من تطورات، وتحميه من التقوقع والانكفاء أو الانسحاب.

تتعدد المدارس التي أدلت بدلوها في هذا المجال؛ فمدرسة التربية الصحية والنفسية تركز على أهمية الرعاية النفسية والصحية للشباب، التي من خلالها يمكن حفظ توازن الشخصية، وعدم إصابتها بتشوهات خلال المرحلة الانتقالية من الطفولة إلى الشباب؛ باعتبارها مرحلة حرجة. ومدرسة التربية الرياضية التي ترى في التنشئة الرياضية للشباب أساساً سليماً للشخصية الشبابية المتفاعلة إيجابياً مع محيطها؛ فيما تغذي المدرسة العقلانية (التي تركز على التعليم المعزز بمنهج ديمقراطي) الروح وتنمي المدارك العقلية، شريطة أن تكون العملية التعليمية قائمة على أساس احترام العقل والقناعات، وليست عملية تلقينية ميكانيكية. أما المدرسة السياسية؛ فهي ترى أن التربية السياسية للشباب وزرع القيم والمثل الصحيحة، وصقل الشخصية بالممارسة واكتساب الخبرة وبناء الشخصية القيادية، تمثل مدخلاً منهجياً لبناء شخصية متوازنة وفاعلة، قادرة على تحمل الأعباء ومواجهة الصعاب، بما يحقق الآمال العريضة والكبيرة على الشباب.

في هذه الدراسة الأولية عن الشباب، سنركز على دور الشباب التغييري وأهميته في العمل المجتمعي وسنفرد حيزاً لبعض التعريفات والاصطلاحات وخصائص ومزايا الشباب.

لا يوجد تعريف واحد للشباب، وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم. وعدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف.



لذلك، فإن مفهوم الشباب يتسع للعديد من الاتجاهات التالية:

1. الاتجاه البيولوجي: وهذا الاتجاه يؤكد الحتمية البيولوجية باعتبارها مرحلة عمريه أو طور من أطوار نمو الإنسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي، وكذلك نضجه العقلي والنفسي والذي يبدأ من سن 15-25، وهناك من يحددها من 13-30.

2. الاتجاه السيكلوجي: يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة، ولثقافة المجتمع من جهة أخرى بدءاً من سن البلوغ، وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي. وهذا التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع (الثابت والمتغير).

3. الاتجاه السوسيولوجي (الاجتماعي): ينظر هذا الاتجاه للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط، بمعنى أن هناك مجموعة من السمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شباباً.

* خصائص وسمات الشباب:

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يمر فيها الفرد وتتغير فيها هويته وثقافته ، حيث تبدأ شخصيته بالتبلور. وتنضج معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف، ومن خلال النضوج الجسماني والعقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر. وإذا كان معنى الشباب أول الشيء، فإن مرحلة الشباب تتلخص في أنها مرحلة التطلع إلى المستقبل بطموحات عريضة وكبيرة.

أما سمات وخصائص الشباب في هذه المرحلة، فهي عديدة وإن كانت هناك خاصيتان أساسيتان للشباب بشكل عام وهما:

1. إن الشباب اجتماعي بطبعه، وهذا يعني الميل الطبيعي للانتماء لمجموعة اجتماعية يعطيها وتعطيه.

2. إن الشباب طاقة للتغيير والتشكيل.

أما الخصائص والمميزات الأخرى للشباب فهي:

1. طاقة إنسانية تتميز بالحماسة، الحساسية، الجرأة والاستقلالية وازدياد مشاعر القلق، والمثالية المنزهة عن المصالح والروابط.

2. فضول وحب استطلاع، فهو يبدو دائم السؤال والاستفسار في محاولة لإدراك ما يدور من حوله والإلمام بأكبر قدر من المعرفة المكتسبة مجتمعياً.

3. بروز معالم استقلالية الشخصية، والنزوع نحو تأكيد الذات.

4. دائما ناقد، لأنه ينطلق من مثاليات أقرب إلى الطوباوية، ونقده يقوم على أساس أن الواقع يجب أن يتطابق مع تفكيره المثالي.

5. لا يقبل بالضغط والقهر مهما كانت الجهة التي ترأس هذا الضغط عليه سواء كانت سلطة أو أسرة، وهذا السلوك جزء من العنفوان الداخلي للشباب والاعتداد بالنفس وعدم الامتثال للسلطة كتوجه تقدمي.

6. درجة عالية من الديناميكية والحيوية والمرونة، المتسمة بالاندفاع والانطلاق والتحرر والتضحية.

7. بدء التفكير في خيارات الحياة والمستقبل، الزواج، التعليم، الثروة.

8. اضطراب اتزان الشخصية وارتفاع مستوى توترها، حيث تصبح معرضة لانفجارات انفعالية متتالية واختلال علاقاتها الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء وغيرهم.



9. قدرة على الاستجابة للمتغيرات من حوله وسرعة في استيعاب وتقبل الجديد المستحدث وتبنيه والدفاع عنه، وهذه السمات تعكس قناعة الشباب ورغبته في تغيير الواقع الذي وجد فيه وإن لم يشارك في صنعه.

يمكن تقسيم الشباب اعتماداً على ثلاثة أسس وهم:

1. فئة الشباب المتعلم والمثقف ذو الخبرة الاعلامية والثقافية ، وهذه الفئة تصنف على أنها فئة قيادية.

2. فئة الشباب الواعي وهي تلك الفئة التي تلم بقدر من الثقافة والتعليم وامتلاك بعض الخبرات، لكنها من ناحية النشاط والفعل المباشر تبدو خاملة، أو أن نشاطها لا يتوازى مع إمكانياتها، وجزء من هذه الفئة فاعل ونشط ويمكن أن يتقاطع مع الفئة الأولى.

3. فئة الشباب التابعين وهي فئة واسعة وعريضة، ولكنها تتصف بتدني الوعي والتعليم وغير مبادرة، هؤلاء يشاركون في النشاط، ولكنهم لا يبادرون إلى فعله بل ينتظرون من يقودهم ويوجههم إليه.

تقسيم على أساس المهنة أو العمل:

1. فئة الطلاب، وتشمل هذه الفئة طلاب الثانوية، والمعاهد المتوسطة، والعليا، وطلاب الجامعات. وهذه الفئة واسعة بحكم موقعها وامتلاكها الثقافة والتعليم، ووجود أطر حزبية ونقابية، فإنها تتسم بالديناميكية والنشاط ولديها استعداد عال للانخراط في النشاط السياسي والاجتماعي.

2. فئة العمال، وهذه الفئة تعتبر من الفئات الواسعة في المجتمع، ويمكنها أن تلعب دوراً في حال تنظيم فعلها وتأطيره من خلال النقابات والمؤسسات المهنية.

3. فئة الموظفين، وهي فئة غير متجانسة من حيث الاهتمامات ومستوى المعيشة ومستوى التعليم.

4. فئة العاطلين عن العمل، غالبيتهم من خريجي الجامعات والعمال، وهذه الفئة تصنف بأنها الأسوأ من حيث الواقع المعيشي والاستقرار النفسي ،وخياراتها، واهتماماتها يشوبها التشوش والضبابية بسبب وضعها الاقتصادي غير المستقر.

- تقسيم على أساس جغرافي:

1. فئة الشباب الذين يسكنون المدن.

2. فئة الشباب الذين يسكنون الأرياف.

3. فئة الشباب البدو.

ويوجد بين هذه الفئات من الشباب تمايزات عديدة، حيث يتميز شباب المدن بالتفتح وامتلاك قدر أعلى من التعليم والثقافة، والخبرات العلمية؛ بحكم وجود وتمركز المؤسسات التعليمية والثقافية والاقتصادية والترفيهية في المدن، ووجود مناخات اجتماعية أكثر انفتاحاً تسمح بحرية الاحتكاك والاختلاط والتبادل؛ أما شباب الأرياف، خصوصاً في البلدان الفقيرة، فنصيبه أقل في التعليم والمستوى المعيشي، والاحتكاك الاجتماعي والثقافي محكوم بتوفر المؤسسات التي عادة ما تكون محدودة ومسقوفة بالأجواء الاجتماعية المحافظة قياسياً بالمدن.

والشباب البدو فئة مهمشه اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ويعيشون على أطراف الحضارة الإنسانية، وبما يعكس نفسه على واقعهم المعرفي والثقافي ووعيهم المجتمعي.

تقسيم على أساس طبقي:



وهنا يدور الحديث عن اتجاهين: الأول، التقسيم الطبقي بين دول الشمال ودول الجنوب، حيث الشباب في دول الشمال الغنية يعيشون بمستوى معيشي وخدماتي وثقافي واجتماعي عام أعلى بكثير من شباب دول الجنوب الفقيرة، الذين ينعكس واقع بلدانهم ومجتمعاتهم عليهم.

أما الاتجاه الثاني، أولئك الشباب المنحدرين من أصول طبقية فقيرة في ذات البلد والمجتمع والمنحدرين من أصول طبقية مترفه أو غنية.

استنتاج:

التقسيمات الواردة هنا، ليست بالضرورة تقسيمات قطعية؛ فهي متداخلة فيما بينها، ويوجد داخل كل فئة تمايزات. والتقسيمات الواردة هنا، هي شرح تفصيلي لمركب هذا القطاع وبما يفيد المهتمين في العمل المجتمعي والسياسي على صياغة برامجهم وتوجهاتهم.

* حاجات الشباب:

لمعرفة استعدادات الشباب وانخراطهم في العمل المجتمعي سواء أكان نشاطاً اجتماعياً أو سياسياً أو تنموياً، فإن المطلوب معرفة الاحتياجات الأساسية للشباب والعمل على تلبيتها أو أخذها بعين الاعتبار لدى صياغة الخطط والبرامج؛ باعتبارها متطلبات ضرورية يجب إدراكها من قبل المعنيين. مع الإشارة إلى أن مفهوم الحاجات مفهوم نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر تبعاً لطبيعة وخصوصيات المجتمع المدني، ومستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي. ويتفق المتخصصون في العمل مع الشباب على الحاجات التالية باعتبارها حاجات عامة تنطبق على جميع فئات الشباب وهي:

1. الحاجة إلى تقبل الشباب ونموه العقلي والجسمي، حيث يسعى لإدراك ما يدور حوله.
2. الحاجة إلى توزيع طاقاته في نشاط يميل إليه، وخصوصاً أن الشباب لديه طاقات هائلة وعدم تفريغها في أنشطة بناءة يزيد من حالة الاضطراب والملل والتوتر لديه.
3. الحاجة إلى تحقيق الذات، بما يعنيه من اختيار حر وواعٍ لدوره ومشاركته المجتمعية وشعوره بالانتماء لفكره، أو مجموعة اجتماعية لها أهداف عامة.
4. الحاجة إلى الرعاية الصحية والنفسية الأولية، والتي من شأنها أن تجعل من نموه نمواً متوازناً وإلى عطائه ثقافة صحية عامة تمكنه من فهم التغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة كمرحلة حرجة.
5. الحاجة إلى المعرفة والتعليم، لما لهما من دور مفتاحي وأساسي في حياة الفرد، ولكونها توسع الآفاق والمدارك العقلية. وهو حق مكتسب وضروري مثل الماء الهواء في عصر ليس فيه مكان للجهلاء.
6. الحاجة إلى الاستقلال في إطار الأسرة كمقدمة لبناء شخصيته المستقلة، وتأهيله لأخذ قراراته المصيرية في الحياة والعمل والانتماء، بطرق طوعية، بعيداً عن التدخل.
7. تلبية الحاجات الاقتصادية الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، والتي بدونها سيصبح مشرداً أو متسولاً.
8. الحاجة إلى الترفيه والترويح؛ فحياة الشباب ليست كلها عمل ونشاط جدي، بل يحتاج الشباب إلى توفير أماكن للترويح ومراكز ترفيهية ثقافية (دور سينما، مسرح، منتزهات، معسكرات شبابية).
9. الحاجة إلى ثقافة جنسية، خصوصاً في بداية تفتح الشباب، ومعرفة المتغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة، وتوفير حد أدنى من الثقافة الجنسية لتوفير حماية للشباب من الانحراف وتلقي ثقافة جنسيه مشوشة ومشوهة.





10. الحاجة إلى بناء الشخصية القيادية الشابة من خلال تنمية القدرات القيادية وصقلها للمواهب الواعدة، وهذه العملية لا تتم بقرار إجرائي بقدر ما تحتاج إلى سياسات تربوية مدروسة مقرونة بخبرة عمل ميداني تعزز ثقة الشباب القياديين بقدراتهم وتضعهم أمام الاختيار الجدي.

*** الأهمية السياسية والاعلامية لصقل هوية وثقافة الشباب:**

حق المشاركة بكافة أشكالها ومجالاتها حق من حقوق الإنسان الأساسية كما جاء في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، وهو أداة للتنمية الفعالة وأسلوباً للممارسة السياسية والمسؤولية الاجتماعية والتربوية لأفراد المجتمع، وهي تعطي الإنسان الحق في اخضاع كافة القضايا التي تؤثر عليه وعلى جماعته، للمناقشة وإبداء الرأي وتنمي الشعور القومي لديه.

وحتى يتسنى للمرء أن يعبر عن قناعاته بوضوح وجرأة من موقع الاختلاف مع النظام السياسي القائم، يفترض وجود الديمقراطية التي من خلالها يمكن الحديث عن مشاركة جادة لكل قوى المجتمع بمن فيهم الشباب؛ تحقيقاً لرغباتهم وقناعاتهم وتعبيراً عن الشعور بالانتماء للمجتمع الذي يعيشون فيه.

والأهمية السياسية والاعلامية للشباب تكمن في أن للسن دور كبير في تحديد درجة الاهتمام السياسي، وضمن هذا المفهوم، فالشباب هم القوة السياسية المتحررة والمنفتحة والأكثر راديكالية، والحزب الذي يحوز على ثقتهم ويمتلك عقولهم وسواعدهم، فإنه يتقدم بثبات لتحقيق أهدافه سواء أكانت وطنية تحررية أم ديمقراطية اجتماعية.

* أهم ما يميز الشباب كقوة تغيير مجتمعية:

1. الشباب هم الأكثر طموحاً في المجتمع، وهذا يعني أن عملية التغيير والتقدم لديهم لا تقف عند حدود، والحزب السياسي أو المنظمة الشبابية أو أية مجموعة اجتماعية تسعى للتغيير السياسي أو الاجتماعي يجب أن تضع في سلم أولوياتها استقطاب طاقات الشباب وتوظيف هذه الطاقات باتجاه أهدافها المحددة.

2. الشباب الأكثر تقبلاً للتغيير. هذه الحقيقة تعتبر ميزة رئيسية في عالم السياسة الذي هو عالم متحرك ومتغير ويحمل دائماً الجديد، والفكر المحافظ لا يقوى على مسايرة الجديد بل يتعامل معه وفق منظوره المحافظ وبما يعني الفشل المحتوم. بينما الشباب وبحكم هذه الخاصية، فإن استعدادهم الموضوعي نحو التغيير وتقبل الجديد والتعامل معه بروح خلاقة ومبدعة، سيضمن المواكبة الحثيثة للمتغيرات والتكيف معها بشكل سلس دونما إرباك.

3. التمتع بالحماس والحيوية فكراً وحركة، وبما يشكل طاقة جبارة نحو التقدم، فالشباب المتقد حماسة وحيوية في تفاعله مع معطيات السياسية ومتغيراتها ومع معطيات المجتمع ومتطلباته، هو الضمانة للتقدم بثبات، فيما الحركات السياسية التي لا تحظى بهذه الطاقة الخلاقة، فإنها مهددة بالانهيار والموت أو على أقل تقدير التقوقع والمراوحة في ذات المكان.

4. العطاء دون حدود حين يكون مقتنعاً وواعياً لما يقوم به، وهنا تبدو المعادلة بسيطة لمن يريد أن يدرك معطياتها، حيث لا تعمل إلا وفق اشتراطين رئيسيين:

الاشتراط الأول، الاقتناع بمعنى احترام العقل والتعامل مع الشباب بمفهوم كياني وليس مجرد أدوات تنفيذ.

الاشتراط الثاني، الإدراك لما يقوم به الشباب، أي الإلمام بالأهداف والاقتناع بالوسائل والطرق الموصلة إلى تحقيق الهدف.

وفي حال تحقق هذين الاشتراطين الضروريين، فإن عطاء الشباب سيكون بدون حدود، وسيدفع بمسارات العمل بكل إخلاص وتفاني.

5. الشباب قوة اجتماعية هامة بصفته قطاعاً اجتماعياً رئيسياً في المجتمع، وكسب هذا القطاع من قبل صانعي القرار والسياسيين يعني كسب معركة التغيير

6. الشباب قوة اقتصادية جبارة، فالعمال الشباب هم الذين ينتجون بسواعدهم والشباب المتعلم بجهدهم الذهني ينتجون ما يحتاجه المجتمع وهم الذين يبنون صرح الوطن ويضمنون منعته وقوته الاقتصادية، ودور الشباب في التنمية الشاملة، دور أساسي ومحوري. وبديهي الافتراض أن التقدم الاقتصادي مستحيل دون تقدم علمي، وعقول الشباب النيرة والمستنيرة هي التي توفر القاعدة العلمية التي تضمن النجاح والتقدم في الجهد الاقتصادي وفي الجهد التنموي أيضاً.

7. الشباب عنوان للقوة والفتوة، هاتان الميزتان هما من المتطلبات الرئيسية للعمل السياسي. فالحزب الذي لا يضم في صفوفه الشباب، ولا يجدد عضويته بعناصر شابة ودماء جديدة، سيتحول مع الوقت إلى حزب مترهل وضعيف كمعلم من معالم الشيخوخة، فيما الحزب المتجدد بدماء الشباب في كل هيئاته ومستوياته القيادية والكادرية، سيحافظ على شبابه المتجدد.

التربية السياسية والهوية الاعلامية وضرورتها في العصر التكنولوجى:

أوضحنا منذ البداية أن التربية كمفهوم عام أصبحت ضرورة من ضرورات العصر، وهي كمفهوم ومسار يتضمن كل العمليات التي من شأنها أن تحول الأفراد إلى أفراد اجتماعيين، أصحاب هوية وثقافة بمعنى أنها تعمل على رفع حس المسؤولية والانتماء لدى الفرد تجاه المجموع وكذلك شعور المجموع تجاه الفرد بشكل متبادل.

وفي سياق العملية التربوية تبرز التربية السياسية للشباب كشكل من أشكال العمل السياسي بين الشباب، باعتبارها الأساس الذي يمكن من خلاله كسب الشباب ودفعهم نحو العمل السياسي بشكل واعي ومدروس.

والمقصود بالتربية السياسية، اعطاء واكساب الشباب الوعي والفكر السياسي وتمليكه الأرضية، أو المنهجية التي من خلالها يستطيع معرفة وإدراك ما يدور حوله وامتلاكه القدرة على تحديد موقف منها.

في واقع الأمر هناك العديد من الأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال التربية السياسية، سواء كانت مباشرة أو بعيدة الأجل، مع الإشارة إلى أن الأهداف التي يحددها المجتمع وقواه السياسية ليست معزولة عن طبيعة التركيبة السياسية الاقتصادية للبلد ذاته، بل هي جزء من سياساته وتوجهاته. وكوننا نعالج المفهوم بشكل عام، فإننا سنورد عدداً من الأهداف العامة للتربية السياسية وهي:

1. تعقد متطلبات الحياة العصرية وزيادة الضغوط الحياتية والنفسية على الشباب، يشير إلى أن الدور التربوي الذي يمكن أن تلعبه المدرسة أو الأسرة لم يعد كافياً، مما يتطلب تربية وإعداداً جاداً للشباب من قبل المجتمع، والإعداد الجاد يعني وجود عملية تربية ممأسسة لديها خطة وعمل وبرنامج وطواقم مؤهلة ومدربة وفق معايير عصرية يستطيع من خلالها المجتمع أن يكسب الشباب الوعي والإعداد الكافيين.

2. نشر المعرفة والثقافة لدى هذه الفئة- والذي بات في عصرنا الراهن على درجة عالية من الأهمية لدى الشباب- حيث من خلال هذه العملية يمكن تنمية المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لدى الشباب، وتعريفهم بأهم المشكلات العالمية والإنسانية، كالمجاعة والفقر وخطر الحروب والتلوث البيئي ومخاطر الإشعاع.

3. جذب الشباب نحو ساحة العمل السياسي والاهتمام السياسي؛ نظراً لأهمية الشباب، والآمال المعلقة عليهم، وحتى تحقق عملية التربية السياسية النجاح المطلوب منها، فيفترض فيها أن تراعي احتياجات الشباب ورغباتهم وتطلعاتهم



المستقبلية، مثلما يفترض بها أن تغذي طموح الشباب وميولهم وتراعي أيضاً الاتجاهات العامة في المجتمع وقيمه ومفاهيمه.

4. تعزيز المواطنة لدى الشباب من خلال بث الروح الوطنية وتعميق روح الانتماء لقضايا الوطن واحتياجاته والحفاظ على كينونته، والاستعداد للدفاع عنه في حالة تعرضه للخطر، سواء أكان خطراً داخلياً (فتنة طائفية، أو دينية، أو عرقية)، أو خطراً خارجياً يستهدف استقلاله وسيادته.

5. إعادة بناء الذاكرة لدى جيل الشباب، بما يؤكد التواصل الثقافي والحضاري بين الأجيال، ومعرفة حقائق التاريخ والجغرافيا السياسية وكل ما يتعلق بالقضية الوطنية والقومية. وفي حال كحالنا، فإن إعادة بناء الذاكرة لدى الشباب تستدعي تأكيد حقائق التاريخ المتعلقة بفلسطين التاريخية، وحقيقة المشروع الصهيوني وأهدافه التوسعية في فلسطين، ومسؤولية إسرائيل عن تشريد الشعب الفلسطيني في عام (1948)، وحقيقة إقامة إسرائيل على أنقاض الشعب الفلسطيني.

6. استجماع طاقات الشباب وتوحيدها نحو الأهداف والأولويات الوطنية والاجتماعية في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع، وتوظيف هذه الطاقات بأفضل السبل نحو هذه الأهداف والأولويات.

7. رفع حس المسؤولية والانضباط لدى الشباب من خلال عملية التربية والتهذيب الخلقي والقيمي، والتعريف بأسس النظام وقوانينه ودولة القانون ومتطلبات الشباب في تشكيل سد منيع أمام محاولات زرع الفوضى وانتهاك القيم والقانون.

8. تعزيز قيم التعاون والتعاضد والتسامح بين أفراد المجتمع خصوصاً الشباب منهم، بما يؤكد التكاتف والتماسك الاجتماعي وإطلاق المبادرات الشبابية؛ لتقديم خدمات طوعية تسهم في تقدم المجتمع والتقليل من أعباء الطبقات الشعبية

9. عقلنة التمرد العفوي لدى الشباب، من خلال ربط قيم رفض الظلم والتمسك بالقيم الإنسانية السامية الواردة في المواثيق الدولية، وشرعة حقوق الإنسان سيما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

ثلاث نماذج للمنظمات الشبابية:

يمكن القول أن المنظمات التي تعنى بالشباب والتي ما تزال قائمة، تمحورت حول ثلاث نماذج هي:

1. منظمات الشباب في بلدان الحزب الواحد أو التي توصف بالأنظمة الشمولية، وهذه المنظمات عبارة عن نسخة كربونية عن الحزب الأم (الحزب الحاكم) وجزء من التشكيل الرسمي، وبالتالي، فهي في سياساتها الشبابية والعامة جزء من منظومات النظام المؤسساتي ومستوعبة من خلال الحزب المهيمن على مقدرات البلد ككل. هذه المنظمات تفككت غالبيتها بسبب الانهيار الذي حصل في تلك البلدان، وفي الوطن العربي توجد بعض النماذج المشابهة خصوصاً في سوريا والعراق وليبيا (شبيبة البعث، شبيبة الفاتح).

2. منظمات أهلية للشباب تعاونها وتشرف عليها الحكومات وهذه المنظمات لديها هامش أوسع في التعبير عن سياساتها الشبابية والعامة ضمن واقع التعددية في هذه البلدان، ولكنها ليست مستقلة تماماً في سياساتها، خصوصاً وأن التمويل الحكومي لها يلعب دوراً في توجيه برامجها وتحديد أولوياتها، وهذه المنظمات تتواجد في البلدان الرأسمالية والديمقراطية الناشئة في العالم.



3. منظمات أهلية غير حكومية لا تخضع لإشراف حزبي أو حكومي، وهذا النموذج هو الأكثر استقلالية في سياساته الشبابية وسياساته العامة، ولكن هذه المنظمات على أهميتها ما زالت قليلة التأثير، وإن كان المنحى العام يتجه نحو هذه المنظمات بسبب النزوع المتزايد نحو مؤسسات المجتمع المدني على حساب المؤسسات الحكومية أو الحزبية المغلقة.

الهدف الرئيسي بنظر رواد فكرة إنشاء المنظمات الشبابية اكساب الشباب المزيد من الاهتمام، وإغلاق الفجوة القائمة بين حاجات الشباب، وما يقدم لهم من البنى المجتمعية القائمة، ويتم ذلك من خلال:

1. الاهتمام بقضايا التعليم التي تخص الشباب، والتركيز على أن تتم العملية التعليمية على أساس العقل والمنهج العلمي، وليس على أساس الحشو والتلقين.
2. محاربة الجهل والأمية في صفوف الشباب، لأن الجهل المتفشي في أواسط الشباب سيتولد عنه أفكار متطرفة قد تدفع بالشباب والمجتمع إلى دوامة العنف والتطرف.
3. اكساب الشباب المنضوي في هذه المجتمعات وعياً يختص ببيئاتهم المحلية والإقليمية والدولية، تمكنهم من الإلمام بها والمقارنة بين هذه البيئات المختلفة وموقعهم منها.
4. دراسة المشاكل الاجتماعية السائدة بوسائل البحث الفردية والجماعية ووضع التصورات العملية لهذه المشاكل.
5. غرس القيم الديمقراطية لدى الشباب من خلال تكريس تقاليد النقاش والحوار الحر والديمقراطي وإبداء الرأي بين المجموع العام، ونجاح هذا التوجه يعني تعزيز الديمقراطية في المنظمات الشبابية وفي بنية المجتمع ككل.
6. اكساب الشباب الوعي السياسي من خلال التربية السياسية المعدة لهذه المنظمات، وهنا تبرز وجهتا نظر حول الدور السياسي لمنظمات الشباب:

وبغض النظر عن وجهتي النظر المطروحتين، فالمسألة مازالت قائمة على جدول البحث والجدل لجهة الفصل بين الشباب والسياسة، أو الربط بين الجانبين بشكل جدلي دون أن يطغى أحدهما على الآخر أو يغيبه في الميدان التطبيقي

و إعداد القادة الشباب ليكُونوا مستقبلاًعلى رأس المنظمات الشبابية وجزءًا من التشكيل القيادي للمجتمع ككل .

تفعيل المشاركة الثقافية والإعلامية في الحياة العامة:

تفعيل دور المثقفين والاعلاميين في النشاط السياسى والثقافى بمختلف جوانبه، سواء النشاط الوطني العام، أو النشاط من خلال منظمات وأحزاب سياسية، كان ومازال الهاجس لكل القوى السياسية التي تمتلك مشروع سياسي اجتماعي تغييري، باعتبار الشباب قوة تغيير معتبرة وموازنه في المجتمع. واللافت للنظر ابتعاد الشباب والمثقفين واستنكافهم عن النشاط السياسي من خلال الأحزاب، وهذا -بدون شك- له أسبابه المرتبطة بطبيعة هذه الأحزاب وبرامجها الموجهة للشباب والتي إما أنها لا تعطي الاهتمام المطلوب للشباب، أو أن خطابها السياسي لا يشكل عامل جذب لهم، بسبب تقادمها وعدم مواكبتها لمتطلبات الشباب العصرية واحتياجاتها الراهنة؛ الأمر الذي يتطلب إعادة النظر فيها لجهة دراسة كيفية تفعيل طاقات الشباب وإعادة جذبها إلى الأحزاب والعمل العام.

في مطلق الأحوال هناك مجموعة من الاشتراطات والأسس التي إن توافرت ارتفعت ممكنات مشاركة الشباب وهي:

1. وجود أحزاب ديمقراطية التكوين تشكل جاذباً للشباب للدخول الطوعي الحر فيها، وتفتح أمامهم الأفاق للإبداع وإطلاق الطاقات والتقدم في الحياة الحزبية دون عقبات، وتعطي المجال من خلال الديمقراطية الداخلية الواسعة لا المقننة، أو المركزة بغطاء ديمقراطي كامل الحق في المناقشة وإبداء الرأي والمشاركة في صناعة القرار إلى جانب التقرير في القضايا المحلية أو القطاعية التي تخص (الشباب، المرأة، العمال)، بشكل ديمقراطي دون التعارض مع السياسة العامة، وبما يراعي الاحتياجات والمتطلبات الحياتية والمعيشية والديمقراطية الاجتماعية لهذه القطاعات.



2. تطوير النظام التعليمي في المجتمع، وبناؤه بمنحى ديمقراطي يعطي قيمة كبرى للعقل وينمي من قدرات الشباب والمواطنيين في التفكير وصقل المواهب، ويعمل على تشجيع قيم المشاركة في المجتمع لدى العامة .

3. صحافة حرة ومستقلة، هدفها البحث عن الحقيقة والشفافية، وإعلام حر يتسع لنقاش حر ومفتوح حول مجمل القضايا التي تهم المجتمع بقطاعاته المختلفة، ويتسع لتنظيم حوار مجتمعي حول الأحزاب ودورها السياسي، وحول السياسات الحكومية والتشريعات التي تحمي الشباب وتضمن حقوقهم ومشاركتهم الفاعلة في مختلف الميادين...

4. دعم روح الحماسة لدى الشعوب من خلال إثارة روح الغيرة والمسؤولية وتنويع الأنشطة الثقافية والفنية والفلكلورية والرياضية، وكل ما يثير الحمية والمنافسة الشريفة في نفوس الشباب، ويكسر الروتين والرتابة والملل والضجر الذي يقود إلى البلادة واللامبالاة.

5. تنفيذ مشاريع محددة قوامها الطاقات الشابة، من خلال التنمية والاعمار، سواء تنمية الريف أو استغلال المناطق الصحراوية والجبلية وهذه المشاريع يمكن أن تحدد في فترات العطل الصيفية، ويتم فيها توظيف طلاب المدارس والجامعات في أعمال منتجة مقابل أجور أو مكافآت تحفيزية.

6. تفعيل دور المنظمات غير الحكومية، من خلال صياغة أولوياتها وبرامجها انسجاماً مع الأجندة الوطنية العامة، بما يكامل في العمل بينها وبين المؤسسات الرسمية، ويجعل من هذه المنظمات منظمات مهنية وجماهيرية لكي تحظى بمصداقيتها أمام الجمهور.

7. وجود نقابات ديمقراطية تمثل العمال وتعكس مصالحهم وتوجهاتهم ومطالبهم، ويتم تداول المسؤوليات فيها بشكل ديمقراطي على أساس الانتخابات الحرة الديمقراطية.

وفي الخارج،عانى قطاع الشباب من أزمات كثيرة، وفي مقدمتها القدرة على الجمع بين متطلبات الشباب الفلسطيني الوطنية والاجتماعية من جهة، والتعايش في حدود الظروف الموضوعية المفروضة عليه في الدول المستضيفة لهم من جهة ثانية.

الهوية الإسلامية فنقصد بها: "الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس" (الهوية الإسلامية لخليل نوري: ص: [45]). الهوية الإسلامية والقومية العربية: لكن الذي يؤسف له أن كثيراً من كتابنا ومثقفينا - في محيطنا العربي - قد سطحوا من مسألة الهوية، وهمشوا من محتواها الإسلامي والعقدي، بل ربما ألغوه تماماً، ومن ثم قصروا مفهوم الهوية على الانتماء للعربية، وبعض المظاهر الحضارية والثقافية والفنية المرتبطة بذلك، والتي تبلورت فيما بعد في فكرة القومية العربية، ولا يخفى على أحد خطورة هذا المنحى، فالقومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا (ينظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة: [1/ 444-445]- دار الندوة). وظهرت هذه الدعوة على يد ثلة من المفكرين النصارى للاستعاضة والحد من فكرة الأمة الإسلامية؛ لتكون فكرة القومية بذلك هي الطعنة الثانية في جسد الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة على يد أتاتورك عام 1924م. و"الطابع الأبرز لفكرة القوميَّة العربيَّة أنها قد واكَبها منذ نشأتها خطابٌ بعيد عن الموضوعيَّة، وإيجادِ الحلول العمليَّة الحقيقيَّة لبناء أُمَّة؛ حيث كانت "العواطف" هي صاحبةَ الدور الأبرز في تسويق هذه الفكرة في كِيان الأمة الإسلاميَّة، وأمَّا دورها الموضوعي التطبيقي في بناء أمة لها نظامُها الخاص الفريد المنبثق عن مفاهيمها فكل ذلك كان عائشاً في منطقة العدم؛ إذ لا يوجد نظام متكامل يَنبثق عن الفكرة

القوميَّة، وقد وجَدنا أنَّ حَمَلَة هذه الفكرة قد أقاموا أنظمة ودولاً تَحكم الأُمَّة ولا علاقة لها بالفكرة القوميَّة كالملكيَّة والاشتراكيَّة والديمقراطية، فهذه كلها غيرُ مبنيَّة على الفكرة القوميَّة؛ مما يُظهر قصورها "وإنشائيَّتها" على حساب الواقعيَّة التي ينبغي أن تتَّسم بها الهُوية التي تجمع الأمة التي ينبغي أن تُجيب عن أسئلة النهضة، وبناء الأمم والحضارات" (مقال: القومية العربية كهوية - شريف محمد جابر- موقع شبكة الألوكة). والإشكالية الأخرى في مسألة القومية والهوية أن العرب ككتلة بشرية ومساحة جغرافية لا يجمعهم تاريخ واحد، ولا ثقافة واحدة، فلكل إقليم تاريخه الخاص، وثقافته المرتبطة بظروفه وعاداته وتقاليده، بل أن اللغة تعجز أحياناً عن جمع شتاتهم نظراً لاختلاف اللهجات واللكنات، فـ"الواقع التاريخي يسجِّل أن المنطقة العربية عجَّت بثقافات مختلفة متباينة، بل ومتناقضة في بعض الأحيان، فالثقافة الجاهليَّة التي عاشَت في عقول العرب قبل الإسلام؛ مختلفة أشد الاختلاف عن الثقافة الإسلامية التي ظلَّلتهم وظلَّلت المنطقة على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فإلى أيِّها ننتمي؟ وكيف ننتمي إلى جميع ما عجَّ في المنطقة من ثقافات وهي متباينة مختلفة؟ هل ينتمي الإنسان إلى متناقضات تتنازعه وتُشَتِّت وحدة كِيانه؟!" (مقال: القومية العربية كهوية - شريف محمد جابر- موقع شبكة الألوكة). هل يوجد تعارض بين الهوية الإسلامية والانتماء الوطني؟ في هذا الصدد يظهر مصطلحان يتعمد البعض الخلط بينهما، الأول منهما هو مصطلح (الوطنية)، والثاني (حب الوطن)، والفرق بينهما وبين مدلولهما كبير، فمسألة حب الوطن مسألة قديمة قدم الإنسان، حيث تعود الإنسان على حب مسكنه، ومربع طفولته، ومرتع صباه وشبابه، وهو معنى جميل، وخلق راق، لا تعارض بينه وبين مفهوم الهوية الإسلامية، بل المسلمون الصادقون من أشد الناس حباً لأوطانهم، ومن أكثرهم حرصاً على جلب الخير، ودفع الضر عنها. وأما الإشكالية والخلط فيقع في مفهوم (الوطنية)، وهو مفهوم حديث ظهر بعد سقوط الخلافة، وتفتت العالم الإسلامي وانشطاره إلى دويلات صغيرة، وهو مصطلح قد يعمل على إثارة النزعات والعصبيات بين أفراد الأمة الواحدة، بعيداً عن رابط الدين والعقيدة، ويعني الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات والتَّقاليد، والفخر بالتَّاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، بعيداً عن لحمة الدين، وبذلك تفتت الهوية الإسلامية العامة إلى هويات خاصة، فظهرت هوية مصرية، وأخرى جزائرية، وثالثة عراقية، وصارت العصبيات هي المحرك الأساسي لهذه القوميات والهويات، وربما نشبت بينهم الحروب لأتفه الأسباب. ولذلك نقول: إن أحب الأوطان لنا هي مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم بيت المقدس، وأما عدا ذلك من بلاد الإسلام فلا نفاضل بينها عصبية، مع احتفاظنا بالحب الفطري والجبلي لأماكننا وبلادنا التي تربينا فيها، ورتعنا وشربنا من مائها. الليبرالية وتمييع الهويات: لا يخفي على أحد أن الليبرالية صنيعة غريبة، بل هي آخر منتج خارج من دولاب الفلسفات والمذاهب الغربية، وهي بحق أنضجها، حيث جاءت بعد عناء طويل تعددت فيه السقطات والإخفاقات، جاءت الليبرالية لتصلح ما أفسدته أنظمة كثيرة كالشيوعية والرأسمالية، والعلمانية... وغيرها من المذاهب والفلسفات الغربية هذا من جانب، ومن جانب آخر جاءت لتحل محل الهويات المناوئة للهوية الغربية، وفي محيطنا العربي والإسلامي سعت الليبرالية منذ أن حطت رحالها إلى تذويب الهوية الإسلامية، ومحو معالمها. فجاءت الليبرالية على عكس القومية لتجعل من المجتمع الواحد مجتمعاً مهترئاً، لا رابط بين أفراده، ولا هم ولا قضية تجمع بينهم، فلا حاكم لأصحابها إلا الغريزة، ولا هدف لهم إلا الانفكاك من كل قيد، والأخطر من ذلك أنها سعت إلى إماتة كل العصبيات والهويات الصالح منها والفاسد، فبالإضافة إلى سعيها إلى القضاء على الهوية القومية والوطنية؛ قضت على الهوية الإسلامية، ومن ثم قضت على الشعور بالعداء نحو أي محتل، وأصدق مثال على هذا ما حدث في العراق وأفغانستان حيث وجدنا هذا الصنف من المفكرين من أوائل من ارتمى في أحضان الغزاة، وزينوا لهم أعمالهم بحجة الإرهاب، ونشر الديمقراطية. مكونات الهوية الإسلامية: لكي يصدق على أي هوية لأية جماعة بشرية هذا الاسم لا بد لها من وجود مكونات، أو مقومات تمكنها من البقاء والمنافسة



والاستمرارية، وهذه المكونات تتلخص في وجود عقيدة واحدة يؤمن بها أفراد هذا المجتمع، وتاريخ جامع لأيامه وأحواله، وآخر هذه المكونات يتمثل في ثقافة تجمع تحتها لغة أم، وعلوم وفنون، وآداب وعادات وأعراف، والناظر في هويتنا الإسلامية يلحظ بشكل قوي وجود هذه الثلاث، ولمزيد من الإيضاح نفصل القول فيها: أولاً: العقيدة: ونقصد بها الدين فكراً وشريعة وعقيدة وسلوكاً، فـ"الهوية الإسلامية في المقام الأول انتماء للعقيدة، يترجم ظاهراً في مظاهر دالة على الولاء لها، والالتزام بمقتضياتها، فالعقيدة الإسلامية التوحيدية هي أهم الثوابت في هوية المسلم وشخصيته، وهي أشرف وأعلى وأسمى هوية يمكن أن يتصف بها إنسان، فهي انتماء إلى أكمل دين، وأشرف كتاب نزل على أشرف رسول إلى أشرف أمة، بأشرف لغة، بسفارة أشرف الملائكة، في أشرف بقاع الأرض، في أشرف شهور السنة، في أشرف لياليه وهي ليلة القدر، بأشرف شريعة وأقوم هدي" (الهوية أو الهاوية للدكتور محمد إسماعيل المقدم بحث منشور على الإنترنت؛ ص: [3]). وعليه فالمسلم المقر بوحدانية الله تعالى، وبرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعمل لهذا الدين عن وعي وإدراك وإيمان جاعلاً قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162] دستوراً له، وقانوناً يسير حياته؛ هو مسلم صاحب هوية قوية ثابتة متجذرة، فقد "اعتبر الإسلام أن الدين هو المكون الأول من مكونات الهوية، وعده مرتكز الولاء والبراء، فهو دثار الهوية الإسلامية وشعارها، وجعل القرآن الكريم لهذا العنصر سمات تصون الأمة عن ما آلت إليه الأمم الأخرى التي وحدها الدين في ظل هوية واحدة؛ ولكنها ما لبثت أن اختلفت، فالدين كل لا يتجزأ، فهو يعنى أن تكون الصلاة والنسك والمحيا والممات لله ربّ العالمين، وأن من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، ومن الثابت أن الدين عند الله الإسلام، فالشرائع السماوية السابقة التي حرفت ليست من الإسلام في شيء، وجعل الإسلام شعائر الدين الحسية والغيبية، والأصلية والفرعية من مرتكزات الهوية الإسلامية التي تميز الفرد والمجتمع، وهي من عوامل التميز من حيث المصدر والزمان، والمكان والترتيب، والحكمة والثواب، فهي تختلف عن الشرائع السماوية التي حُرفت وعن ما ابتدعته المذاهب الفكرية الأرضية، وبناء على ذلك فإن المسلم هو من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، ورضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً"

الفرق بين الهوية الإسلامية والهويات:

إن أمة بلا تاريخ هي أمة بلا مستقبل، وبالتالي فهي أمة بلا هوية، وحقيقة الأمر أنه لا وجود لأي أمة بلا تاريخ، فلكل أمة تاريخ على مستوى الفرد والجماعة، لكن المشكلة ليست في التاريخ إنما فيمن يحفظ هذا التاريخ، ويسجل إضاءاته وانطفاءاته، ويستفيد من مواقفه وعبره ودروسه، كذلك فهناك من الأمم من لا تملك تاريخاً مشرفاً، فهي تسعى من حين لآخر في ترقيع تاريخها، وتأليف أمجاد لها، بل وتسعى في أحيان أخرى إلى سرقة التاريخ من غيرها. وعلى مستوى أمتنا فتاريخها شاهد على أنها أمة ذات هوية قوية مشرفة ومؤثرة ذلك لأن تاريخها يختلف عن تاريخ الآخرين، فهي أمة بدايتها مع بداية الخليقة، ويظهر ذلك من خلال رؤيتنا لمنهج القرآن الكريم في عرض الأحداث التاريخية حيث "يثبت أن التاريخ لا يبدأ بالبعثة النبوية في مكة المكرمة؛ ولكنه يعنى تاريخ النبوة المتصل بآدم عليه السلام الذي خلق الله منه زوجه، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، فغرس القرآن الكريم في نفوس المؤمنين أهمية التاريخ، وضرورة الاعتزاز بأحداثه، وما تمخض عنها، وجعلها مصدر تثبيت للأفئدة وذلك من خلال قصص الأنبياء، ونقاط الالتقاء بين الرسالات، والميثاق الغليظ، والإشهاد على الأنفس"

الثقافة: الثقافة في نسقها الإسلامي تعنى علوم المجتمع وآدابه وقيمه إلى جانب اللغة المعبر بها، وفي هذا الصدد ظهرت مغالطة كبيرة انساق خلفها الكثيرون، وهذه المغالطة تتمثل في اعتبار عدد من الكتاب والمثقفين الهوية الإسلامية جزءاً من الهوية الثقافية، بمعنى أن يكون المكون الثقافي شاملاً للمكون الديني، وهي مغالطة كبيرة وكارثية في الوقت ذاته، لأنها



تعطي إيحاءً بأن هوية الأمة قد تخرج عن الهوية الإسلامية، وحقيقة الأمر أن الهوية الثقافية لأمتنا لا ينبغي لها أن تخرج بحال من الأحوال عن الهوية الإسلامية، فهي محكومة لا حاكمة، تسيرها ضوابط الشريعة وتقيسها، فما وفق الشرع قُبل، وما خالفه رفض ورد، وهذا المعنى هو جوهر الهوية الإسلامية وغايتها. واللغة حافظة وناقلة لهذه الثقافة، ومن ثم فهي تحفظ للأمة وحدتها وترابطها، وتمكن أفرادها من التواصل والتعبير عن تركيبهم الثقافي والقيمي، وفيما يخص اللغة العربية فهي أصل أصيل، ومركب لازم من لوازم هوية هذه الأمة، فهي لغة القرآن، وضياعها ضياع لهذا الدين. لذا فإن تعلمها والحفاظ عليها واجب قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: [207]، مطبعة السنة المحمدية ط2 - 1369هـ). لكننا في الوقت ذاته يجب أن نشير إلى أمر هام وهو أن الهوية الإسلامية هوية دينية فكرية، وليست هوية عرقية، أو هوية قومية تقوم على رابط العرق أو اللغة بالأساس، لذلك نرى تحت لواء هذه الهوية من لا يتحدث العربية، ويجيد لغة أخرى كالإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية، وهذا لا ينقص من هوية الفرد المسلم على المستوى الفردي إن كان أعجمياً، لكن غياب اللغة أو ضعفها على المستوى المجتمعي العام في المحيط العربي لا شك أنه نقيصة ومطعن في هويتنا الإسلامية. ومن مكونات الثقافة أيضاً العلوم والفنون والآداب، وهي أمور قد تختلف من مجتمع لآخر في المحيط الإسلامي، لكنها تنضوي جميعها في آخر الأمر تحت لواء الشريعة، والأمر نفسه ينطبق على العرف والعادة، فـ"منها ما أقره الدليل الشرعي وجوباً أو ندباً، أو نفاه تحريماً أو كراهة، كالأمر بإزالة النجاسات، أو النهي عن الطواف عرياناً، وما أشبه ذلك، فما حسنه الشرع من ذلك لا يمكن أن يكون قبيحاً، وما قبحه لا يمكن أن يكون حسناً، فلا يمكن أن يقال: إن كشف العورة كان قبيحاً عند نزول التشريع، وسيكون حسناً بعد ذلك، ومن العوائد ما لم يقره أو ينفيه الدليل الشرعي، لكنه ثابت لا يتغير ولا يتبدل كوجود شهوة الطعام والشراب والوقاع، وعادات النظر والكلام، والمشي والغضب والنوم، فهذه أسباب لأحكام تترتب عليها، فلا يتعلق بها تحسين ولا تقبيح شرعي لذاتها، ولكن باعتبار ذرائعها ومآلاتها، فمن تذرع للأكل بالكسب الحرام فهو قبيح، ومن تذرع له بالحلال فهو حسن، ومن مشى للطاعة فهو حسن، ومن مشى للمعصية فهو قبيح، وهكذا، وقد تكون العادات متبدلة غير ثابتة، فتتبدل أحكامها تبعاً لتبدلها مثل كشف الرأس قد يكون في زمن أو مكان قبيح لذوي المروءات مسقطاً للعدالة عرفاً، وقد يكون في زمن آخر أو مكان آخر غير قادح في العدالة، فيكون الحكم الشرعي تبعاً في ذلك للعرف والعادة" (المختصر الوجيز في مقاصد التشريع (بحث منشور بالإنترنت) الشيخ الدكتور عوض بن محمد القرني؛ ص: [40]). كيف هددت هويتنا؟ الهوية الإسلامية مستهدفة من يومها الأول، فمنذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومشركو قريش والمنافقون في توافق تام لوأد هذه الدعوة، وإيقاف مدَّها، وبتعاقب السنوات، وتبدل الدول؛ ازدادت الهجمة شراسة وقوة، وبلغت هذه الهجمة ذروتها في العصر الحديث، فلم يدخر أعدائنا جهداً في تفريغ هذا الدين عن محتواه لطمس الهوية الإسلامية والعربية، وقد سار هذا الأمر وفق منهج مرتب ومنظم نوجزه في النقاط الآتية:

1- إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان.
2- التآمر على اللغة العربية.
3- تقسيم الدين إلى قشر ولُب.
4- استلاب الهوية الإسلامية وتشتيتها.
5- استقطاب المرأة المسلمة، والتغرير بها
6- السيطرة العلمانية، والترويج لدعوى "العولمة" والتغريب.



7- الاهتمام المبالغ فيه بإحياء الأساطير الوثنية والخرافات الشركية.

8- طمس المعالم التاريخية، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة.

9- النشاط التنصيري الذي يستغل الفقر والمرض.

10- استغلال العامل الاقتصادي في تذويب الهوية.

11- الحرب النفسية المدعمة بالأساليب التعسفية وكيف نحفظ هويتنا؟ إن موضوع الهوية وكيفية الحفاظ عليها في حاجة إلى جهود ضخمة لا يسع مقال كهذا إلى حصرها، لكننا سنمر عليه مروراً سريعاً نذكر فيه رؤوس أقلام لأهم سبل المواجهة للمحافظة على هويتنا: - فعلى المستوى العقدي: على المجتمعات الإسلامية حكومة وشعباً تنمية هذا الجانب، والاهتمام به لأنه الضمانة الوحيدة لبقاء واستمرارية الحياة بهذه الهوية، فجانب الدين والعقيدة بالنسبة للهوية بمثابة الروح بالنسبة للجسد، وبفقدها تتحول كل المكتسبات العلمية والثقافية والأدبية إلى نقم، ومنغصات؛ على هذه الشعوب، وإلى معاول هدم لحضارتها. وهذه التنمية تكون بـ"إحياء حركة تجديد الدين بالمفهوم السلفي الواضح؛ لنعود إلى منابع الإسلام الصافية متمثلة في "منهاج النبوة" بعيداً عن مخلفات القرون، والدعوة إلى حتمية الحل الإسلامي لمعضلات واقعنا الأليم، وتحرير الهوية المسلمة من كل مظاهر الخور والتبعية والتقليد، والقضاء على العقبات التي تحول دون تطبيق الإسلام كمنهج شامل للحياة، والتصدي لمحاولات تذويب الهوية الإسلامية، وقطع صلة الأمة بدينها" (الهوية أو الهاوية للدكتور محمد إسماعيل المقدم؛ ص: [43]). - وعلى المستوى التأريخي: لابد من العمل على استعادة ذاكرة التاريخ مرة ثانية للوقوف على تاريخ هذه الحضارة، وذلك لأن التاريخ عنصر مهم "من عناصر الهوية الإسلامية، ويشمل ذلك سرد الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية المتصلة بحقب مختلفة، وتحليلها في ضوء الدوافع والآثار والظروف الزمانية والمكانية، فقد ضمت مصادر الإسلام كثيراً من النصوص التاريخية، والغاية من التحليل استنباط العبر من النصر أو الهزيمة، والتأمل في قصور العقل البشري، فالانتصار سيظل موضع فخر الأجيال المتعاقبة، والهزيمة ستبقى محل اعتبار القرون المتوالية لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتمد إلا ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يُمثِّل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها" (مخاطر العولمة على الهوية الثقافية الدكتور محمد عمارة: ص: [44]؛ نهضة مصر للطباعة ط1- 1999م). - كذلك لابد من الاستعانة بإعلام إسلامي متخصص متطور ومساير للعصر ولروح الشريعة في آن واحد، لمزاحمة الإعلام الموجه المسيطر على كافة الجوانب الحياتية في عالمنا العربي والإسلامي، حيث صار إعلامنا في ظل هذه العولمة أو بالأصح الأمركة لا يبث إلا ما يخدم أهداف المشروع الغربي، حتى أصبح من الصعب التفرقة بين قنواتنا بما تحمله من محتوى إعلامي؛ وبين القنوات التي تبث من دول الغرب.

ب. دور الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية :

الثقافة تمثل أساس هوية الشعوب، فالشعوب المثقفة ذات هوية معلومة، فمن فقد ثقافته فقد هويته الوطنية بلا شك، وعندما يفقد الإنسان هويته فانه بالكاد سيخسر كل شئ ويفقد بذلك نفسه وانتماءه وأخلاقه ووطنه.

إن الثقافة قد تخضع لمجموعة من المبادئ والضوابط، لكنها في النهاية تعبير عن حالات إنسانية ووجدانية وإبداعية تجاه قضية معينة يوليها الجميع اهتماماً للقيام بإجراءات وسلوكيات عملية تصب في مصلحة الفكرة والهدف المنشود ألا وهو تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية، وهنا نسلط الضوء على الثقافة الفلسطينية والتي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ ونضال الشعب الفلسطيني في معركته مع الاحتلال الصهيوني من أجل البقاء في أرضه متجذراً، كذلك الحصول على حقوقه



الوطنية المشروعية والتي كفلتها له الشرعية الدولية، والجدير بالذكر بأن معركة حماية الهوية وتعزيز فكرة الصمود والمقاومة أنتجت ظاهرة "دور الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية" واعتبر ذلك من أولويات القضية الوطنية الفلسطينية في إحيائها والحفاظ على مقدرات الوطن والهوية.

فلسطين هويتها الثابتة ذات إرث تاريخي ونضالي طويل، ومن واجب كل فلسطيني لديه انتماء لهويته الوطنية أن يعمل جاهداً على ترسيخها والمحافظة على استمراريتها لذا لا بد من العمل سوياً أفراداً وجماعات لأجل البقاء والوجود من خلال نماذج وصور ثقافية إبداعية تساعد على تعزيز الهوية الوطنية وتخلق وعياً وإدراكاً وثقافة لدى الفرد أو المجتمع الفلسطيني تجاه قضية الهوية الوطنية الفلسطينية، من خلال المساهمة الفعالة والقوية في نشر هذه الأفكار من خلال وسائل ممكنة ومتاحة بتكاثف كل الجهود من أجل تعزيز ودعم هذه الفكرة منها التالي:

أولاً: بث الوعي والمعرفة الواسعة لدى أفراد الشعب وإبراز أهمية الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية وضرورة المحافظة على الإرث الثقافي والنضالي والعمل على ترسيخها في تربية الأبناء.

ثانياً:إقامة المهرجانات والندوات وورشات العمل والتي تتناول قضايا"النكبة عام 1948م وحق عودة اللاجئين لوطنهم فلسطين، وقضية القدس وقيام الدولة والوحدة الوطنية والتلاحم الجماهيري والشعبي تجاه الهجمات الصهيونية ضد شعبنا في كافة المواقع، وقضية الأسرى الصامدين في سجون الاحتلال والتي أصبحت الشغل الشاغل للقيادة الفلسطينية، وكافة القضايا التي تتعلق بالقضية الفلسطينية".

ثالثاً: الحملات الإعلامية والتثقيفية في المساجد والمدارس والبيوت والمراكز الثقافية، والأعمال المسرحية الهادفة ومعارض الصور والتراث، بالإضافة لوسائل الإعلام من الصحف والمجلات والمنشورات، كذلك وسائل التكنولوجيا الحديثة ك"الإنترنت والتلفاز والراديو والتي تساعد الإنسان على نموه العقلي والفكري والثقافي.

رابعاً: التركيز في المناهج على القضية الوطنية الفلسطينية ومراحلها النضالية، مما يعزز مفهومها لدى الأجيال.

خامساً: كتابة الأبحاث والكتب والدراسات التي تتعلق بالهوية الوطنية وقضاياها المركزية، في محاولات جادة لتسليط الضوء على تلك المرتكزات الدينية والتراثية والعلمية والتاريخية والثقافية والأدبية لتكوين أرشيف ثقافي بكم هائل من تلك الوسائل ليصبح ارثاً ثقافياً غنياً بالمعلومات في المستقبل ليتوارثه الأبناء عن الآباء ليوضع بالمكتبات العامة.

سادساً: الاهتمام بموضوع التراث والفلكلور والشعر الشعبي والذي يدلل على الهوية الوطنية الفلسطينية والعادات والتقاليد وكافة الأشكال التي تتعلق بالقضية والوطن وعادات وتقاليد الشعب الفلسطيني.

باعتقادي أنه يجب علينا الانطلاق وبشكل إعلامي منظم تجاه العالم لإبراز دور القضية الفلسطينية والهوية الوطنية المسلوبة من قبل الاحتلال الصهيوني بوسائل عديدة ومتعددة، بالإضافة لاستخدام الأطر القانونية في إبراز الهوية الوطنية الفلسطينية أمام الجميع، لكي نصل لكافة دول العالم بشكل ممنهج ومنظم حتى نعزز ثقافتنا وهويتنا الوطنية المسلوبة.

ودُمتمْ أصحابَ هويةٍ وطنيةٍ فلسطينيةٍ خالصة لله ثُمَ الوطنْ.

يجمع المتخصصون بوسائل الاتصال الجماهيرية على أن لكل مهنة في المجتمع أخلاقيات وسلوكيات تعبر في مضمونها عن ((العلاقات بين ممارسيها من ناحية والعلاقات بينهم وبين عملائهم من ناحية ثانية، وبينهم وبين المجتمع الذي ينتمون إليه من ناحية ثالثة وهذه الأخلاقيات والسلوكيات قد تكون متعارفاً عليها، وقد تكون مبادئ ومعايير يضعها التنظيم المهني للمهنة))([2]).

ونعني بالأخلاقيات المهنية، أن على العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية ومنها الصحافة ((أن يلتزموا في سلوكهم تجاه أنفسهم وتجاه الأخوين وتجاه جماهيرهم بمبادئ وقيم أساسية. والالتزام بهذه المبادئ والقيم الأساسية نوع من الواجبات الشخصية، أي أنه التزام شخصي يقع على كل واحد منهم بصفة شخصية ليكون سلوكاً سليماً وأخلاقياً))([3])، وتعرف الدكتورة سامية محمد أخلاقيات المهنة (قيم الممارسة) بأنها ((مصطلح يشير إلى القواعد الواضحة للسلوك المهني في مؤسسات الوسائل الاتصالية، وكذلك الاتجاهات الفعالة والدعاوى المتصلة بكل ما هو ملائم في أسلوب العمل والإنجاز. ومن الأمثلة على قيم الممارسة: الفكرة النموذجية التي تتمثل في -الالتزام بالموضوعية- في أعداد الأنباء، والدعاوى المتصلة بأكثر الصور التكنولوجية ملائمة لتحقيق مهام اتصالية ذات نوعية خاصة، والدعاوى الخاصة بتحديد مقاييس المسلسلات التلفزيونية الجيدة))([4]).

وإذا كان ثمة فرق ما بين الأخلاقيات والممارسة، فإن الأخلاقيات عبارة عن قواعد موضوعة تعبر عن السلوك المهني المطلوب من القائمين بوسائل الاتصال الجماهيرية الالتزام بها، وتبقى هذه الأخلاقيات عديمة الفائدة ما لم تترجم إلى واقع عملي ملموس خلال الممارسة المهنية للصحفيين أو تأدية الواجبات المناطة بهم، مثل إجراء المقابلات الصحفية أو تغطية المندوبين للمؤتمرات الصحفية وإعداد الرسائل الإخبارية وفي هذا الجانب يقول الدكتور حسن عماد مكاوي ((أن اخلاقيات الممارسة المهنية تأتي عن طريق حق التعبير والكلام، وحق طباعة الأخبار ونشرها.. وتصبح عديمة الجدوى بدون حق الحصول على المعلومات))([5]).

فيما يرى محمد سيد فهمي المتخصص في الإعلام والاجتماع أساساً أخلاقياً قيمياً للممارسة الصحفية تعبر عن ((وجود معايير سلوكية وقواعد اخلاقية تنبع من قواعد المهنة ذاتها، ومن متطلبات نجاح العمل المهني التزام الممارس بهذا النظام الأخلاقي أو الدستور المهني المتفق عليه صراحةً))([6]).

وانطلاقاً من هذا الفهم فأن الكثير من الصحفيين العاملين في وسائل الاتصال الجماهيرية توجه إليهم انتقادات مختلفة أساسها أنهم يفتقدون الاهتمام بالسلوكيات الأخلاقية، ومن ثم يفتقدون التزاماتهم المعنوية نحو السلوكيات الأخلاقية والتمسك بها على الرغم من أن هناك إستثناءات تشمل الكثير من العاملين في ميدان الصحافة لا تنطبق عليهم هذه الانتقادات مما يتطلب الاهتمام بهذا الجانب.

أ. **المهن الاعلامية وأخلاقياتها:**

إذا كان لكل مهنة وكما أسلفنا مهنا متعددة أنواعها وأشكالها أخلاقياتها وقيمها الخاصة بها، فلابد من معرفة أولاً ماذا تعني مفردتا -الأخلاق والقيم- ثم مفهوم المهن وأنواعها.

ويشكل مفهوم -القيمة- أهمية كبيرة لدى الباحثين لكثرة استخدامها في الكتابات الصحفية الإعلامية، فالقيم تعرف بأنها: ((عبارة عن مجموعات مركبة من المعايير نستخدمها كمقياس أو مستوى نستهدفه في سلوكنا، ونسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه.. ويتضمن مفهوم القيمة اتخاذ الإنسان قراراً أو حكماً يتصرف بمقتضاه في موقف ما، ويمكن تمييز القيمة عن الدوافع أو الاتجاه أو غير ذلك من المفهومات الدالة على السلوك الإنساني من خلال أن القيمة مفهوم ينطوي على تلك المفاهيم جميعاً ويزيد عليها بالعنصر أو الشرط المعياري))([9]).

ومن خلال معرفة الخصائص التي تتمتع بها هذه المهن يمكننا معرفة بعض الأساسيات الأخلاقية للمهن الأخرى، فقد حدد المتخصصون بالمهن ثماني خصائص عدوها عناصر أساسية للحرف النموذجية، وتتفاوت هذه الخصائص من مهنة لأخرى وقد لا تمتلك بعضها أي خاصية من هذه الخصائص وهي:([12])



النظرية أو الخط الفكري- الاطار المعرفي للعمل المهني الذي يستمد في الغالب من البحث العلمي.

1. درجة الارتباط بالقيم الأساسية.

2-الدافعية (دوافع إنجاز العمل المهني).

3- الاستقلالية أو الحكم الذاتي: حرية واستقلالية المحترفين في العمل.

4- الشعور بالالتزام برسالة المهنة.

5- الشعور بالجماعة المحلية، وهو المدى الذي تعكس فيه المهن خصائص المجتمع المحلي.

6- الرموز الأخلاقية (الميثاق الأخلاقي).

ومما يزيد المهنة رصانة اخلاقية هو أن يحسن المرء اختيار مهنته لكي يحقق النجاح فيها وفقاً لما نسميه (التوافق المهني الذي يضفي على الفرد شعوراً بقيمته الاجتماعية في المجتمع... وأن العكس يؤدي إلى مهاوي التبرم والضجر والانهيار)([13]) لذا فأن الاختيار غير الصحيح للمهنة يؤثر سلباً في أخلاقياتها.

ب:- مهنة الصحافة وأخلاقياتها:

لمهنة الصحافة خصوصية كبيرة تختلف عن باقي المهن الأخرى كونها تخاطب العقول بمختلف مستوياتها، فهي الكلمة المطبوعة الموثقة والمقرؤة التي تطالع القراء كل يوم بمختلف أنواع المقالات والأعمدة والتحقيقات والأخبار، فضلاً عما تحتويه الجريدة من أبواب ثابتة وغير ثابتة وترجمة وتقارير وغيرها من الفنون الصحفية المختلفة.

وتؤدي مهمة الأعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص خدمة اجتماعية كبيرة لكونها تتضمن شروطاً وخصائص عدة أتفق عليها عدد من العلماء والدارسين المتخصصين، وهي:-([14])

1. للمهنة أهداف مجتمعية، أي بمعنى أنها تقوم من اجل إشباع أو مواجهة احتياج مجتمعي وتستمد شرعية وجودها من إحساس الناس بضرورة القيام بنشاط معين من شأنه أن يشبع لهم احتياجاتهم.

2. تستند المهنة إلى أسلوب علمي ومواكبة التقدم العلمي.

3. للمهنة قاعدة معرفية تستند إلى العلم، أي قاعدة من المعرفة العلمية والنظريات والقوانين والمبادئ العلمية لفهم المشكلة وتحديد الحل المناسب لها.

4. يمارس العمل المهني متخصصون مهنيون، وتعني أنه في ممارسة المهنة يقع العمل الأساسي على عاتق أفراد وهيئات متخصصة لها من الصلاحيات والكفاءة والقدرة العلمية ما يمكنها من فهم المشكلة والتعامل معها.

5. وجود أساس أخلاقي قيمي للممارسة، كالمواثيق والقواعد الأخلاقية والسلوكية المتفق عليها.

6. اعتراف المجتمع بالمهنة وتحملها لمسؤولياتها تجاه الأفراد والجماعات والنظم في المجتمع الأمر الذي يضفي عليها شرعية وجودها وممارستها.

ويشترك العاملون في الصحافة بأخلاقيات متعارف عليها في جميع أنحاء العالم، وتدعمها دساتير أخلاقية تضعها التنظيمات المهنية في كل مجتمع.

ويضع خبراء الإعلام لأخلاقيات المهنة خمس دوائر أخلاقية يعمل في إطارها الصحفيون تسمى دوائر المتغيرات الأخلاقية الخمس([15]) التي تتطلب منهم اتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة المواقف التي يتعرضون إليها.. كما يمكن أن نطلق على هذه الدوائر الأخلاقية القيم التي يحتكم إليها حارس البوابة في انتقاء الأخبار ويستند إليها في ممارسة المهنة.



وتتمثل هذه المتغيرات بخمس دوائر متداخلة ومتتالية تبدأ بدائرة صغيرة في الوسط، وتتوالى الدوائر الأخرى المحيطة بها على مسافات متساوية، ويقف كل صحفي داخل هذه الدوائر جميعها، وعليه أن يخرج بسلام وأن يتخذ قراراً عقلانياً سليماً يحدث به التوازن المستهدف.

فالدائرة الأولى في الوسط تمثل الأخلاقيات الخاصة التي يتمسك بها كل صحفي على حدة، أما الثانية المحيطة بالأولى فتمثل المبادئ الأخلاقية التي تضعها كل مؤسسة صحفية للعاملين فيها كإطار سياسي أخلاقي تحددها لنفسها، أما الدائرة الثالثة المحيطة بالثانية فأنها تعبر عن أخلاقيات المهنة ككل، أي أنها تعبر عن السلوكيات التي تحكم كل من المهن الاتصالية الجماهيرية كالنقابات الصحفية وجمعيات الناشرين وغير ذلك.

والصحافة ميدان واسع يمارس به الصحفيون أعمالهم كل بحسب كفاءته وما يتمتع به قلمه من مواصفات، وانطلاقاً من هذه البيئة المهنية فأن الصحافة ((مهنة لا تقبل الضعفاء والبلداء وأن حدث وأن قبلتهم خطأ أسرعت إلى نبذهم حتى لا يكونوا عالة عليها. أنها المهنة التي لا تعترف بالوساطة))([21]).

والصحافة رسالة قبل أن تكون مهنة ((فمنذ أن وجدت الصحافة وهي جزء من الجهاز السياسي للدولة. وهي في الوقت نفسه أداة هامة في بناء المجتمع عند كل أمة ومقياس لحضارة الأمم على اختلافها، ومرآة صادقة لنشاطها في شتى الميادين))([22]).

ما يحققه الاعلام الرقمي من أهداف داخل المجتمع الفلسطيني المحاصر والمحافظة على الهوية :

1. تخريج صحفيين رقميين يمتلكون المعلومة والمهارة والخبرة العملية الكافية لانخراطهم بسهولة ويسر في بيئات العمل الحديثة والمتطورة تكنولوجيا.
2. توفير كادر من الصحفيين الفلسطينيين بتخصصات دقيقة مكونة من 4 تركيزات تسد حاجة المؤسسات الإعلامية الرسمية والخاصة، والمؤسسات الإعلامية الإقليمية والدولية.
3. معالجة مشكلة البطالة في المجتمع الفلسطيني وتحديدا تلك التي تعترض طريق خريجي الإعلام التقليدي، فالمشكلة ليست في نقص فرص العمل إنما في اختلاف فرص العمل وتغييرها في ظل توالد وانبثاق بيئات عمل جديدة وغير تقليدية.
4. تعزيز لمهارات وقدرات الخريج/ الصحفي ليكون رياديا قادرا على تأسيس مشروعه الإعلامي الخاص في بيئات إعلامية تقوم على مشاريع ريادة الأعمال.
5. إثراء الإعلام الفلسطيني بصحفيين يمتلكون الرؤية والقدرة على تقديم مضامين ومحتوى جديدين، تتلاءم وتغيرات السوق واحتياجاته. وتقديم أشكال عمل منفتحة على كل الحقول والتخصصات.
6. تجويد مهارات القيادة والريادة والانفتاح على المشاريع الريادية الجديدة والتأسيس لأشكال غير تقليدية من العمل الصحفي وممارسات العلاقات العامة العصرية.

تعزيز الهوية الوطنية والولاء للقيادة ضرورة في ظل التغيرات العالمية:

ضرورة العناية بالهوية الوطنية لدى طلاب وطالبات الجامعات؛ مؤكدًا أن من أهم دوافع تعزيز الهوية الوطنية اليوم ما يشهده العالم من حولنا من تغيرات مضطربة في كثير من جوانبه وما يرافق هذه التغيرات من تقدم وانتشار للعولمة وتنوع للثقافات واختلافها.



للهوية الوطنية، الذي تنظمه جامعة شقراء تحت شعار "مستعدون للمستقبل ومشاركون في صناعته": إن من واجبنا كمؤسسات تعليمية تجاه الأجيال الناشئة أن نعمل على تقوية الوعي الوطني، وتعزيز الانتماء للوطن، والولاء للقيادة، وإبراز تاريخنا العريق، والعمل على نشر الوعي للحضارة، ورسالة التعليم تمثل الغرس الأساسي لتحقيق هذه الأخلاق.

وأضاف: "يحدونا أمل كبير بأن تُسهم مخرجات هذا المؤتمر في تلبية دور الجامعات الريادي في مجال تعزيز الهوية الوطنية، وغرس قِيَم الانتماء للوطن والولاء لقيادته الرشيدة، وتعميق الشعور بالمواطنة.

وأردف: منذ عهد المؤسس اهتمت اهتمامًا كبيرًا بمفاهيم الهوية الوطنية، وعملت على تعزيز مقومات الانتماء والمواطنة وبناء مجتمع تسوده المحبة والوئام في وحدة وطنية محافظة على هوية المملكة ومصالحها".

وتابع العاصمي: المؤتمر الدولي للهوية الوطنية يمثّل استمرارًا للنهج الريادي الذي تقوم به الجامعات في سبيل دعمها لتوجهات التنموية لتحقيق رؤيتها وتطلعاتها المستقبلية.

وأضاف: "تَجسّد هذا الاهتمام في رؤية 2030؛ مؤكدة فخرها واعتزازها بإرثها الثقافي والتاريخي بعهوده العربية والإسلامية. وأظهرت أهمية المحافظة على هذا الجانب عبر عدد من البرامج التي تتمثّل في الشخصية ؛ ومنها برنامج تعزيز الشخصية الوطنية الذي بني على قيم وطنية راقية .

تعزيز الهوية الوطنية:

تتصدر قضية تعزيز الهوية الوطنية أولويات العمل الوطني؛ كاستراتيجية ثابتة لا تحتمل التغيير ولا التأجيل، باعتبارها أم القضايا الوطنية، وعلى أساساتها ينمو المجتمع، ويكبر، ويتطور، وعبرها تتعزز علاقات أبناء البلد، الشركاء في الأرض والمصير الواحد، الذين تجمعهم لغة واحدة، وتربطهم آمال مشتركة يحلمون بها؛ ويسعون إلى تحقيقها، باذلين كل الجهود المطلوبة لإنجاح هذا التوجه، الذي لا مكان لقبول بديل عنه، مهما تجملت البدائل، وزاد بريقها ولمعانها، فالهوية والوطن وحدة واحدة لا تتجزأ أبداً.

وتجليات تعزيز الهوية الوطنية كثيرة ومتنوعة، ولعل أبرزها في المجتمع الإماراتي، وفي المقدمة منها يكون الحفاظ على اللغة العربية الجميلة، لغة القرآن الكريم، التي تنطق بها ألسنتنا ونتفاهم بها، ونتبادل معلوماتنا وأفكارنا من خلال حروفها، وبالتالي يجب أن يكون حفظ هذه اللغة وتطويرها وحمايتها من المفردات والحروف الدخيلة، واجب وطني مقدس، نعتز بشرف تطبيقه والحماس له.

وتتجلى الهوية الوطنية أيضاً من خلال الزي الوطني الذي يُجمع عليه أبناء البلد الواحد أو مناطقه، إذا كان كبيراً ومترامي الأطراف، فما أن تشاهد الزي الإماراتي، عندما تكون مغترباً في أي بلد إلّا وسرعان ما تحن إليه، وتشعر أن من يرتديه صديق لك، وتعرفه منذ سنوات، لأنه ببساطة أحد المظاهر التي تجمعك وأبناء شعبك وتدل على انتمائكم لهذا البلد، وليس لغيره.

ولعل تكوين أسرة مواطنة على قواعد اجتماعية وصحية وتربوية سليمة، هو قمة العطاء لتعزيز الهوية الوطنية، فهي الحاضنة الأمينة لأفرادها، وبقدر ما تعطيهم من انتمائها وأصالتها، وعوامل ارتباطها، بقدر ما تنعكس ملامح الهوية الوطنية في ملامح وجوههم.

هذه الأسرة المنشودة لن ترى النور إلّا إذا تكاتف كل قوى المجتمع المخلصة، وحاربت أسباب الطلاق لدى الأسر المواطنة، وقضت عليها، وحاربت ظاهرة لجوء المواطنين للزواج من أجنبيات، رغبةً في ذلك أو مضطراً بسبب ارتفاع تكاليف الزواج من مواطنة، واصطدامه بمانع القروض البنكية التي سيجد أنها أحد الحلول والخيارات المطروحة، وعملت في الاتجاه المضاد على تشجيع زواج المواطنين من المواطنات، ومحاربة ظاهرة العنوسة.



تعزيز الهوية الوطنية ليس ترفاً ولا مهمة غير المشغولين بقضايا وطنية مستعجلة، بالعكس من ذلك تماماً، فإنها المهمة الوطنية الأولى، فبتحقيقها نزداد وحدة، وبالتالي صلابة وعصياً على الكسر والاختراق، فهناك أهداف ومصالح ومزايا تجمعنا وتقربنا ولا تبعدنا، ولعل قوتنا الناتجة عن اتحادنا هي أحوج ما يحتاج إليه الوطن اليوم، وكل يوم.

تعزيز الهوية الوطنية وغرس قيَم الانتماء والولاء الوطني وقيَم الوسطية والتسامح، ودعم نشاطات برنامج تعزيز الشخصية السعودية كأحد أهم البرامج الأستراتيجية لرؤية بلادنا 2030، وعرض التجارب العالمية في مجال تعزيز الهوية الوطنية، وستكون المحاور متعدد في الربط بين الهوية والتطورات والتحديث، كذلك دور الجامعات في تعزيز الهوية الوطنية، والتجارب العالمية والرؤى الاستشرافية في تعزيز الهوية الوطنية.

في ظل التحولات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي، وما تعمل من أجله بلادنا من المحافظة على استقرار الوطن العربي، التي أكدت على الهوية الوطنية باعتبارها ركيزة أساسية لخدمة الاستقرار، واعتبار الجامعات حاضنة مناسبة لتعزيز الثوابت لدى أبناء مملكتنا للدفاع عن الهوية السعودية والعربية والإسلامية والمحافظة على مكتسباتنا وممتلكاتنا الاقتصادية والإنتاجية والثقافية، فمن خلال الباحثين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات يمكن لها تكريس مفهوم المواطنة وتعزيز هويتنا في الأبحاث ولدى الطلاب والطالبات في الصالات والمقاعد الدراسية والأبحاث العلمية، لتكون سمة بارزة في الحياة التعليمية والعامة.

الثقافة ودورها في تعزيز الهوية الوطنية وحمايتها:

تمثل الهوية والثقافة والتراثية، لأي أمة من الأمم، أحد أهم الأعمدة التي يقوم عليها تاريخها وحضارتها، باعتبارها القاسم الجوهري والقدر الثابت والمشترك من السمات العامة التي تميز ذلك التاريخ وتلك الحضارة، وهو ما يُبنى عليه لمستقبل واعد مرتكز على أسس وقواعد متينة، تعطي القوة للأمة وتدفع أبناءها لمزيد من البناء والتطور.

وتكتسب الهوية الثقافية للأمم مقدرتها على البقاء بقدرتها على التطور والتفاعل مع المعطيات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية، وبما تملكه هذه الهوية من وعي للخصوصية المرنة والانفتاح والاستجابة النقدية.

وبلا شك استطاعت تشكيل هويتها الثقافية الوطنية الخاصة، والحفاظ عليها رغم ما تعرضت له عبر تاريخها من محاولات للنيل من تلك الهوية، مع المحافظة على تفاعلها ومرونتها وتعاطيها مع كل المتغيرات الإقليمية والعالمية، فظلت هذه الهوية مرتبطة بالأرض والإنسان بالدرجة الأولى، وتوارثوها جيلاً بعد جيل بكل فخر واعتزاز، باعتبارها الهوية الجامعة لكل أبناء الوطن بجميع طوائفه وأعراقه وأديانه.

ومع تواصل تنفيذ الخطة الوطنية لتعزيز الانتماء الوطني وترسيخ قيم المواطنة، اتزداد الحاجة إلى إبراز مقومات الهوية الثقافية، باعتبارها من أهم معززات الانتماء والولاء الوطني، وبإظهارها كأحد أهم الجوامع لأبناء الوطن.

وبفضل إبراز هذه الهوية في كل المحافل المحلية والعربية والدولية، وتوظيف الثقافة بجميع مقوماتها لتكون علامة بارزة على الانفتاح الذي يعيشه المجتمع اعلى مختلف الثقافات؛ مما انعكس في الرصيد المتنوع والغني بالموروث التراثي والقيم والتقاليد التي تزخر بها

حماية الهوية الثقافية الوطنية وتعزيزها والتعريف بها، من خلال مشاريع عملاقة ساهمت في وضع البحرين في المراتب الأولى عالمياً، إلى جانب إشراك العناصر الشابة في اقتراح وتقديم البرامج الثقافية، والفنية التي تصب في تحديث الهوية الثقافية الوطنية وإنتاج أفكار مبدعة؛ كونهم يمثلون عماد عملية التطوير والتحديث بما يحملونه من طاقات وأفكار وتطلعات.



ولتأكيد هذا التوجه، تحرص على إقامة متنوعة تقدم الجمال والفرح والمضمون الثقافي، ما يعزز الهوية الثقافية لدى الأفراد، ويساهم في خلق مردود اقتصادي من خلال الاستثمار في الثقافة.

كل ذلك جعل فلسطين في مصاف الدول الرائدة في مجال الثقافة والتراث الإنساني، ما يؤكد الضرورة إلى مواصلة دعم المؤسسات التعليمية والإعلامية ومنظمات المجتمع المدني لتعزيز أدوارهم في تأكيد الهوية الثقافية الفلسطينية بشكل خاص، والعربية بشكل عام، من خلال منظومة ثقافية تشترك في صياغتها كافة هذه المؤسسات، بهدف الحد من مخاطر ذوبان الهوية الثقافية أو تقوقعها على ذاتها.

الاعتزاز بالهوية الوطنية.. والإستراتيجية الثقافية:

الوطن ملحمة عشق بين الإنسان والأرض التي تحتضنه، كلماتها عطاء ووفاء. وزانت الأمم، على مدى التاريخ، إكليل فخرها بجوهرة حب الوطن وفداء كل ذرة من ترابه، واحتقرت أي فرد يتنكر له ويبيع الذمم والولاء لخدمة الأعداء الذين يستهدفون إثارة الفتن وعدم الاستقرار. وتباهت الشعوب بهويتها الوطنية، التي لا تعدها مجرد إشعار إثبات انتماء، بل مثلت لها موروث لمجموعة قيم دينية ولغوية وثقافية وجغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، تميزت بها ووثقت وحدتها ضمن نسيج وطني متناسق ومتكامل، ليستند عليها البناء.

وعالمنا اليوم تتجاذبه نزاعات وأطماع دولية متعددة تلاشت بسببها لغات وموارد وعادات وتقاليد بل حتى دول.. وتتلاطم فيه أمواج مختلفة من التيارات والأفكار العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، وكل منها يدعي المصداقية والبراءة. وساهمت وسائل الاتصال والتقنية الحديثة في سرعة تداولها وانتشارها. وإذا لم يكن المجتمع، وخصوصاً الأطفال والشباب، محصناً بالدرجة الكافية من الوعي لتمييز بين الصالح والطالح، فتلك إذا الفرصة التي ينشدها الحاقدون والطامعون. والحصانة لمواجهة هذه التحديات، تستمد من إدراك الهوية الوطنية والاعتزاز بها، مع الرشاد إلى أن هذه الهوية ليست بأي حال من الأحوال جامدة لا تقبل التطوير والتهذيب بما لا يخل بمكونها الأساسي.

لذلك ليس مستغرباً قناعة العالم العربى الراسخة بأهمية الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، والتي تجلت بالحفاظ على هويتنا العربية والإسلامية وتراثنا وثقافتنا وأصالتنا من أوجب واجباتنا، ومكانة كل أمة تقاس بمقدار اعتزازها بقيمها وهويتها)..

حيث إن (ثروتنا الأولى التي لا تعادلها ثروة مهما بلغت: شعب طموح، معظمه من الشباب، هو فخر بلادنا وضمان مستقبلها -بعون الله-، ولا ننسى أنه بسواعد أبنائها و في ظروف بالغة الصعوبة الحصار والحروب والازمات لازالت فلسطين صامدة وصابرة لبناء مجتمع حيوي قيمه راسخة وبيئته عامرة وبنيانه متين، يعتز أفراده بالهوية الوطنية ويحيون وفق المبادئ الإسلامية القائمة على قيم الوسطية والتسامح. و غرس المبادئ والقيم الوطنية وتعزيز الانتماء الوطني، والمحافظة على تراثها العربي والوطني والتعريف به، والعناية باللغة العربية بمختلف القطاعات الثقافية والفنية والتراثية .

خصوصاً فيما يتعلق ببرنامج تعزيز الشخصية الوطنية الذي اشتمل على تنمية وتعزيز الهوية الوطنية للأفراد وإرسائها على القيم الإسلامية والوطنية وتعزيز الخصائص الشخصية والنفسية التي من شأنها قيادة وتحفيز الأفراد نحو النجاح والتفاؤل، وتكوين جيل متسق وفاعل مع توجه يسعى لتحقيق المواطنة الاجتماعية والثقافية والإعلامية.

ولضمان نجاح الإستراتيجية الثقافية بتحقيق الأهداف المنشودة منها، من المهم أن تتناسق معها إستراتيجيات التعليم والإعلام، والتي تعد نشاطاتهما حلقات أساسية في منظومة العمل المؤدي إلى ترسيخ الاعتزاز بالهوية الوطنية. مع ضرورة أن يقود وينفذ برامج الإستراتيجيات في هذه القطاعات (الثقافة، الإعلام والتعليم) نخبة من أبناء الوطن الذين يتسمون

بدرجة عالية من الدراية والاتزان بدون تطرف أو انحلال، ويعتزون بالهوية الوطنية العربية، ويمنحون الأولوية والريادة في المنابر الثقافية والإعلامية والتعليمية متمسكين بالوسطية سبيلاً والاعتدال نهجاً كما أمرنا الله بذلك، معتزين بقيمنا وثوابتنا ورسالتنا للجميع أنه لا مكان بيننا لمتطرف يرى الاعتدال انحلالاً ويستغل عقيدتنا السمحة لتحقيق أهدافه، ولا مكان لمنحل يرى في حربنا على التطرف وسيلة لنشر الانحلال واستغلال يسر الدين لتحقيق أهدافه، وسنحاسب كل من يتجاوز ذلك، فنحن -إن شاء الله- حماة الدين وقد شرفنا الله بخدمة الإسلام والمسلمين

فلغتنا العربية مكون أساسي لهويتنا وساهمت بحماية تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا من الاندثار، وهي تواجه حالياً تحديات كبيرة جراء منافسة اللغات الأجنبية لها بكافة المجالات. فقد أصبح الكثير من أطفالنا وشبابنا يجيدون اللغات الأجنبية أكثر من إجادتهم للغتهم الأم، بسبب تساهل الأسرة والمجتمع وانتشار المدارس والمناهج الأجنبية وتعلق النشء بالأفلام الكرتونية والألعاب الإلكترونية الأجنبية.

الثقافة تمثل أساس هوية الشعوب، فالشعوب المثقفة ذات هوية معلومة، فمن فقد ثقافته فقد هويته الوطنية بلا شك، وعندما يفقد الإنسان هويته فانه بالكاد سيخسر كل شئ ويفقد بذلك نفسه وانتماءه وأخلاقه ووطنه.

إن الثقافة قد تخضع لمجموعة من المبادئ والضوابط، لكنها في النهاية تعبير عن حالات إنسانية ووجدانية وإبداعية تجاه قضية معينة يوليها الجميع اهتماماً للقيام بإجراءات وسلوكيات عملية تصب في مصلحة الفكرة والهدف المنشود ألا وهو تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية، وهنا نسلط الضوْء على الثقافة الفلسطينية والتي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ ونضال الشعب الفلسطيني في معركته مع الاحتلال الصهيوني من أجل البقاء في أرضه متجذراً، كذلك الحصول على حقوقه الوطنية المشروعية والتي كفلتها له الشرعية الدولية، والجدير بالذكر بأن معركة حماية الهوية وتعزيز فكرة الصمود والمقاومة أنتجت ظاهرة "دور الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية" واعتبر ذلك من أولويات القضية الوطنية الفلسطينية في إحيائها والحفاظ على مقدرات الوطن والهوية.

فلسطين هويتها الثابتة ذات إرث تاريخي ونضالي طويل، ومن واجب كل فلسطيني لديه انتماء لهويته الوطنية أن يعمل جاهداً على ترسيخها والمحافظة على استمراريتها لذا لا بد من العمل سوياً أفراداً وجماعات لأجل البقاء والوجود من خلال نماذج وصور ثقافية إبداعية تساعد على تعزيز الهوية الوطنية وتخلق وعياً وإدراكاً وثقافة لدى الفرد أو المجتمع الفلسطيني تجاه قضية الهوية الوطنية الفلسطينية، من خلال المساهمة الفعالة والقوية في نشر هذه الأفكار من خلال وسائل ممكنة ومتاحة بتكاثف كل الجهود من أجل تعزيز ودعم هذه الفكرة منها التالي:

أولاً: بث الوعي والمعرفة الواسعة لدى أفراد الشعب وإبراز أهمية الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية وضرورة المحافظة على الإرث الثقافي والنضالي والعمل على ترسيخها في تربية الأبناء.

ثانياً:إقامة المهرجانات والندوات وورشات العمل والتي تتناول قضايا"النكبة عام 1948م وحق عودة اللاجئين لوطنهم فلسطين، وقضية القدس وقيام الدولة والوحدة الوطنية والتلاحم الجماهيري والشعبي تجاه الهجمات الصهيونية ضد شعبنا في كافة المواقع، وقضية الأسرى الصامدين في سجون الاحتلال والتي أصبحت الشغل الشاغل للقيادة الفلسطينية، وكافة القضايا التي تتعلق بالقضية الفلسطينية".

ثالثاً: الحملات الإعلامية والتثقيفية في المساجد والمدارس والبيوت والمراكز الثقافية، والأعمال المسرحية الهادفة ومعارض الصور والتراث، بالإضافة لوسائل الإعلام من الصحف والمجلات والمنشورات، كذلك وسائل التكنولوجيا الحديثة ك"الإنترنت والتلفاز والراديو والتي تساعد الإنسان على نموه العقلي والفكري والثقافي.

رابعاً: التركيز في المناهج على القضية الوطنية الفلسطينية ومراحلها النضالية، مما يعزز مفهومها لدى الأجيال.



خامساً: كتابة الأبحاث والكتب والدراسات التي تتعلق بالهوية الوطنية وقضاياها المركزية، في محاولات جادة لتسليط الضوء على تلك المرتكزات الدينية والتراثية والعلمية والتاريخية والثقافية والأدبية لتكوين أرشيف ثقافي بكم هائل من تلك الوسائل ليصبح ارثاً ثقافياً غنياً بالمعلومات في المستقبل ليتوارثه الأبناء عن الآباء ليوضع بالمكتبات العامة.

سادساً: الاهتمام بموضوع التراث والفلكلور والشعر الشعبي والذي يدلل على الهوية الوطنية الفلسطينية والعادات والتقاليد وكافة الأشكال التي تتعلق بالقضية والوطن وعادات وتقاليد الشعب الفلسطيني.

باعتقادي أنه يجب علينا الانطلاق وبشكل إعلامي منظم تجاه العالم لإبراز دور القضية الفلسطينية والهوية الوطنية المسلوبة من قبل الاحتلال الصهيوني بوسائل عديدة ومتعددة، بالإضافة لاستخدام الأطر القانونية في إبراز الهوية الوطنية الفلسطينية أمام الجميع، لكي نصل لكافة دول العالم بشكل ممنهج ومنظم حتى نعزز ثقافتنا وهويتنا الوطنية المسلوبة.

تعزيز الهوية الوطنية والولاء للقيادة ضرورة في ظل التغيرات العالمية:

ضرورة العناية بالهوية الوطنية لدى طلاب وطالبات الجامعات؛ مؤكدًا أن من أهم دوافع تعزيز الهوية الوطنية اليوم ما يشهده العالم من حولنا من تغيرات مضطربة في كثير من جوانبه وما يرافق هذه التغيرات من تقدم وانتشار للعولمة وتنوع للثقافات واختلافها.

وقال الدكتور العاصمي خلال فعاليات المؤتمر الدولي للهوية الوطنية، الذي تنظمه جامعة شقراء تحت شعار "مستعدون للمستقبل ومشاركون في صناعته": إن من واجبنا كمؤسسات تعليمية تجاه الأجيال الناشئة أن نعمل على تقوية الوعي الوطني، وتعزيز الانتماء للوطن، والولاء للقيادة، وإبراز تاريخنا العريق، والعمل على نشر الوعي للحضارة، ورسالة التعليم تمثل الغرس الأساسي لتحقيق هذه الأخلاق.

وأضاف: "يحدونا أمل كبير بأن تُسهم مخرجات هذا المؤتمر في تلبية دور الجامعات الريادي في مجال تعزيز الهوية الوطنية، وغرس قِيَم الانتماء للوطن والولاء لقيادته الرشيدة، وتعميق الشعور بالمواطنة.

اهتمت اهتمامًا كبيرًا بمفاهيم الهوية الوطنية، وعملت على تعزيز مقومات الانتماء والمواطنة وبناء مجتمع تسوده المحبة والوئام في وحدة وطنية محافظة على هوية المملكة ومصالحها".

المؤتمر الدولي للهوية الوطنية يمثّل استمرارًا للنهج الريادي الذي تقوم به الجامعات في سبيل دعمها للوسائل التنموية لتحقيق رؤيتها وتطلعاتها المستقبلية.

تشهد اهتمامًا بالغًا بالهوية الوطنية من خلال منظومة من المبادرات والمشروعات التي تجسّد الانتماء للوطن، وتأتي بالقيم الإيجابية كالوسطية والاعتدال وتحمّل المسؤولية، وغيرها من القيم التي تمثّل أساس الولاء وأساس المواطنة الصالحة؛ فضلًا عن ما توليه قيادتنا الرشيدة من عناية واهتمام بمكونات هذه الهوية التي في مقدمتها ديننا الإسلامي الحنيف واعتزازها بإرثها الثقافي والتاريخي بعهوده العربية والإسلامية. وأظهرت أهمية المحافظة على هذا الجانب عبر عدد من البرامج التي تتمثّل في الشخصية؛ ومنها برنامج تعزيز الشخصية الوطنية الذي بني على قيم وطنية راقية.

تعزيز الهوية الوطنية :

هشام صافي

تتصدر قضية تعزيز الهوية الوطنية أولويات العمل الوطني؛ كاستراتيجية ثابتة لا تحتمل التغيير ولا التأجيل، باعتبارها أم القضايا الوطنية، وعلى أساساتها ينمو المجتمع، ويكبر، ويتطور، وعبرها تتعزز علاقات أبناء البلد، الشركاء في الأرض والمصير الواحد، الذين تجمعهم لغة واحدة، وتربطهم آمال مشتركة يحلمون بها؛ ويسعون إلى تحقيقها، باذلين كل الجهود

المطلوبة لإنجاح هذا التوجه، الذي لا مكان لقبول بديل عنه، مهما تجملت البدائل، وزاد بريقها ولمعانها، فالهوية والوطن وحدة واحدة لا تتجزأ أبداً.

وتجليات تعزيز الهوية الوطنية كثيرة ومتنوعة، ولعل أبرزها في المجتمع الإماراتي، وفي المقدمة منها يكون الحفاظ على اللغة العربية الجميلة، لغة القرآن الكريم، التي تنطق بها ألسنتنا ونتفاهم بها، ونتبادل معلوماتنا وأفكارنا من خلال حروفها، وبالتالي يجب أن يكون حفظ هذه اللغة وتطويرها وحمايتها من المفردات والحروف الدخيلة، واجب وطني مقدس، نعتز بشرف تطبيقه والحماس له.

وتتجلى الهوية الوطنية أيضاً من خلال الزي الوطني الذي يُجمع عليه أبناء البلد الواحد أو مناطقه، إذا كان كبيراً ومترامي الأطراف، فما أن تشاهد الزي الإماراتي، عندما تكون مغترباً في أي بلد إلّا وسرعان ما تحن إليه، وتشعر أن من يرتديه صديق لك، وتعرفه منذ سنوات، لأنه ببساطة أحد المظاهر التي تجمعك وأبناء شعبك وتدل على انتمائكم لهذا البلد، وليس لغيره.

ولعل تكوين أسرة مواطنة على قواعد اجتماعية وصحية وتربوية سليمة، هو قمة العطاء لتعزيز الهوية الوطنية، فهي الحاضنة الأمينة لأفرادها، وبقدر ما تعطيهم من انتمائها وأصالتها، وعوامل ارتباطها، بقدر ما تنعكس ملامح الهوية الوطنية في ملامح وجوههم.

هذه الأسرة المنشودة لن ترى النور إلّا إذا تكاتف كل قوى المجتمع المخلصة، وحاربت أسباب الطلاق لدى الأسر المواطنة، وقضت عليها، وحاربت ظاهرة لجوء المواطنين للزواج من أجنبيات، رغبةً في ذلك أو مضطراً بسبب ارتفاع تكاليف الزواج من مواطنة، واصطدامه بمانع القروض البنكية التي سيجد أنها أحد الحلول والخيارات المطروحة، وعملت في الاتجاه المضاد على تشجيع زواج المواطنين من المواطنات، ومحاربة ظاهرة العنوسة.

تعزيز الهوية الوطنية ليس ترفاً ولا مهمة غير المشغولين بقضايا وطنية مستعجلة، بالعكس من ذلك تماماً، فإنها المهمة الوطنية الأولى، فبتحقيقها نزداد وحدة، وبالتالي صلابة وعصياً على الكسر والاختراق، فهناك أهداف ومصالح ومزايا تجمعنا وتقربنا ولا تبعدنا، ولعل قوتنا الناتجة عن اتحادنا هي أحوج ما يحتاج إليه الوطن اليوم، وكل يوم.

ومن المهام التي يجب القيام بها هي مساعدة الطالب على فهم دور المؤسسات الحكومية وما هي مهامها، ما هو دور القطاع الخاص وأهمية الموارد الطبيعية في تدوير عجلة الاقتصاد. وكذلك مساعدة الطالب على فهم القيم الإيجابية التي يسعى كل مواطن لتحقيقها

الاتصال الرقمي :

يقصد به التبادل الإلكتروني للمعلومات، ويتداخل مع عدد من العناصر الأخرى للمواطنة الرقمية كالوصول الرقمي والسلوك الرقمي والحقوق والمسؤوليات والأمن الرقمي :

•إدراك وسائل الاتصال الرقمية المختلفة (الهواتف الذكية، التراسل الفوري، التدوين , التواصل المرئي والسمعى)

•الاستخدام الواعي والمسؤول لتقنيات الاتصال الرقمي

•التفكير الجيد بما يتم ارساله وكتابته عبر تقنيات الاتصال الرقمي (البصمة الرقمية: الأنشطة والمعلومات التي نشرها شخص ما في الشبكة العنكبوتية)

•مراقبة اتصال الأطفال وتواصلهم مع الآخرين باستخدام التقنيات الرقمية

•تحديد وقت ومكان استخدام تقنيات اتصال رقمية معينة

•توظيف تقنيات الاتصال الرقمي مثل شبكات التواصل الاجتماعي لدعم أنشطة الطلاب داخل وخارج الصف، ومشاركة الأفكار مع الآخرين

الإعلام وصراع الهوية:

الإعلام وصراع الهوية إلى أكثر الناس تأثيراً حسب أكثر الدراسات فقال إنهم 1/ بيل غيتس 2/ روبرت مردوخ إمبراطور الإعلام اليهودي وكلاهما له أثره وتأثيره على الإعلام مما يدل على أن الإعلام هو المؤثر الأكبر في عصرنا.

الإعلام هو أداة تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وهو الذي يكون في المجتمع المواقف والاتجاهات ويغير القناعات والسلوك . الهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه شخصية الفرد والمجتمع , وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه , وكذلك هوية المجتمع هي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة .عن أصناف الناس في نظرهم إلى الإعلام وقسمهم إلى ثلاثة أقسام كما هو الحال في تعاملهم مع العولمة حيث برز قوم يتهمون الإعلام بأنه سبب كل بلاء ورفضوه رفضا قاطعا وأبوا أن يقبلوا منه شيئا واعتبر هذا القسم غير منطقي ولا واقعي وقسم أخر يرى أن الإعلام لادعوى له بصراع الهوية وانه مجرد تسلية وأفكار تأملية تلغى بعد مشاهدتها مباشرة والدليل على ذلك أن الغرب يواجه إعلاما اقوي وأشرس من إعلامنا ومع ذلك لم تهدد هويته بالتأكيد على أن سنن الكون لاتتغير وان نواميسه ثابتة , فالغرب بنى حياته على أصول ارتضاها ومن أهمها قيام حياته على أصول الحضارة والاستخلاف الأرضي كالعدل والحرية والمساواة وإعطاء الحقوق ومنع ظلم السلطة وهي أمور شهد لهم بها عمرو بن العاص رضي الله عنه فإذا داهمهم إعلام يهدد الهوية فان تأثيره يكون على الجانب الأضعف عندهم وهو ما اعترفوا به هم من نسب الجرائم والتفسخ الأخلاقي والأبناء غير الشرعيين وتهديد الأسرة وغيرها أما الجانب الآخر فيظل متماسكا قويا وهذه سنة الله في الأرض , أما إذا جئنا للدول النامية والمستبدة فإنها لاتقاوم أي تهديد لأن قيم الحضارة تسقط في ظل الاستبداد وهشاشة التماسك وبقاء الهوية يتزعزع مع هذه الهجمات ولهذا قلنا إن مكونات الهوية مترابطة ومنها الدين والقيم .

أما القسم الثالث فهم القسم المتوسط في نظرته الذين ينظرون إلى الإعلام على انه وعاء واليات نحن من نسهم في بنائه وقيامه على أسس من هويتنا ونحن من يملك استغلاله للدفاع عن قضايانا وهؤلاء هم من يحذر عبر الصحف ووسائل الإعلام من مغبة إغفال هذا الجانب .

وعند الحديث عن التعاون بين الإعلام والتعليم لا بد أن نشير إلى علاقة الإعلام بالقيم خصوصاً أننا نعيش في زمن حضارة الصورة، وهذا الكلام لا دعوى له بقنوات العري والتفسخ بل حتى لو كانت القناة جادة فإنها تلغي البعد التأملي في إدراك الحقائق.

وبالنظر إلى منظومة القيم التي يتبناها الفرد والمجتمع نوقن أنها هي المكون الأساس للأيديولوجيا المحركة لأفكاره وأقواله، كما أنها المكون الأساسي لشخصية الأمة؛ وهي المحرك لمشاعرنا ومفاهيمنا وقيمنا وتأثرنا وتأثيرنا.

-ومن ضمن القنوات الموجهة لنا (112 قناة) جنسية باللهجات العربية.

-إذا تخرج الشاب العربي من الثانوية يكون قد أمضى أمام الشاشة ما يعادل 22 ألف ساعة/ في المقابل يكون قد أمضى في مقاعد الدراسة ما يقارب 14 ألف ساعة/ أما في الجامعة فيكون أمضى أمام الشاشة أكثر من ألف ساعة بينما في الدراسة (600 ساعة).



-لو أن بلداً عدد سكانها عشرة مليون، وعدد الذين يشاهدون التلفاز 25% منهم فقط ومعدل الجلوس ساعتين يومياً فإن الهدر السنوي من الوقت يكون مليار وسبعمائة وخمسين مليون ساعة أي ما يعادل مائتين وخمسين مليون يوم عمل.

-دراسة أمريكية تؤكد أن أطفال اليوم إذا بلغوا سبعين سنة يكونون قد أمضوا عشر سنوات أمام الشاشات.

وفي مصر وجدت دراسة أن أطفال القاهرة يمكثون أكثر من ثمان وعشرين ساعة أسبوعياً أمام الشاشات .

وعند النظر إلى الواقع العربي فإن أول قناة فضائية عربية هي المصرية عام (1990م) ثم 1991 (MBCم) بمعنى أننا أكملنا عشرين عاماً ولنا أن نسأل عن رصد واقع إعلامنا العربي من خلال تأثيره ومقارنته بتأثير الإعلام اليهودي، فنحن إلى الآن لم نستطع إقناع العالم بعدالة قضيتنا في فلسطين، كما يمكن رصد واقعنا من خلال تقنية البلوتوث واليوتيوب فجل ما في اليوتيوب من العرب ليس إلا مقاطع بسيطة في تفكيرها أو فضائح أو مقاطع عنصرية وقحة ومناطقية ومذهبية، بينما نحن أقل الشعوب في الاستفادة التعليمية من هذه التقنية.

-قال هربرت شيلر مؤلف كتاب (وسائل الإعلام والإمبراطورية الأمريكية) (إن صناع القرار السياسي في الغرب انشغلوا بالبحث عن بدائل للسيطرة الأمريكية فلم يجدوا أفضل من ضخ عالم المعلومات).

فما معنى ذلك؟ نلحظ أن 50% فأكثر من البرامج الفضائية تأتي من أمريكا وتصل أحياناً إلى 80% والدليل أن أربع وكالات إعلام عالمية تحتكر الأخبار وهي من أمريكا وفرنسا وبريطانيا.

-وعند النظر إلى دور القنوات الحكومية في بناء قيم المواطنة والبناء فإننا نجد بعداً كبيراً وضعفاً لدور القنوات الحكومية حسب دراسة أجراها الباحث المغربي عبد اللطيف كيداني أكد فيها أن التلفزيونات الحكومية لا تبني المواطنة بل تساعد على حالة من الاغتراب والانتقال إلى قيم أخرى تخلق حالة من التفكك من القيم وفقدان الهوية.

- مجموعة من الأسس وهي:

أولاً: قلب موازين المشاعر والحواس:

يؤكد الباحثون أن أي فكر منشغل بوسائل الإعلام يستعيد الأسئلة الفلسفية الكبرى حول الحقيقة والمعنى و الذات والمعرفة لأن العملية التواصلية هي أساس العملية الإنسانية، حيث إن منظومة القيم التي يتبناها الفرد والمجتمع هي المكون الأساس للأيديولوجيا المحركة لأفكار وأقوال هذا المجتمع وبالتالي القيم هي المحرك لمشاعرنا وأقوالنا ومفاهيمنا لذا يرى المفكر ماكلوهان (أن الإنسان كان يعتمد في الاتصال على الأذن والعين ثم انتقل إلى الاعتماد على حاسة العين، ولكن الإعلام المعاصر جمع بينهما مع إحداث تعديل في محيط الإنسان النفسي... ثم يصل إلى نقطة مفصلية يرى فيها أن التمييز بين الحواس يكون على ضوء قاعدة (كلما اقتربت الحاسة مما هو مجرد ارتقت المكانة، وكلما نزعت الحاسة إلى المجسد أصبحت جزئية وظرفية) وهذا أبرز صفة للحضارة الغربية التي هي حضارة الجسد واللذة الآنية والتي نقلها الإعلام، وهي التي سماها المفكر عبد الوهاب المسيري رحمه الله ثقافة المجسد، وهذه ثقافة إعلام الصورة حيث ثبت أن العين تنشدُّ إلى صور متتالية دون تأمل وقد تكون غير منطقية.

أجريت دراسة لتفعيل حواس الإنسان حيث ألقيت محاضرة على عدد من المستمعين من أعمار وتخصصات مختلفة ثم طلب منهم تسجيل ما ثبت لديهم من المحاضرة التي حوت ثمان صفحات فلم يتذكروا سوى نصف صفحة؛ ثم قدمت المحاضرة في مضمون إعلامي (صورة تسجيلية) تذكروا من إحداث الصورة أكثر من سبعين بالمائة.

-وقد أثبتت الدراسات أن كثرة مشاهدة التلفاز تضعف القدرة على التفكير وتنمي الكسل الذهني وتضعف الجانب الأيسر من الدماغ وهو الذي يتولى عملية التنظير والتحليل.



ما خطورة الأمر هنا؟ خطورته في أنه يوجد واقع مزيف كما يسميه جان بودريان وهو (عالم الواقع المفرط).

ويؤكد عالم الاجتماع إنتوني غدنز أن مضمون الإعلام العربي لا يحتوي في الغالب على ما يحتاجه الجمهور أو على ما يمكن أن يساعده في تكوين شخصية الإنسان الواعي بمشكلات وقضايا وطنه.

أما في الغرب فتغلب صورة الزيف الذي نحذر منه كما يقول العالم الغربي أورونو في كتاب (النظرية الاجتماعية) لمؤلفه إيان كريب ص326 (والشعور بأننا نملك قوة لا يمكننا استخدامها هو شعور مدمر، لذا فقد هيئت الثقافة العامة لإنتاج شعور بديل هو في حقيقته شعور زائف بالأمان والاستقرار، ويتم خلق ذلك الشعور الزائف بطريقتين:

1- بتوحيد المواصفات القياسية لمنتجات الثقافة، حيث تحاول وسائل الثقافة جميعها من التمثيليات إلى أغاني الشباب إلى الأنشطة الرياضية كل بطريقتها الخاصة التركيز على بث الدعة والاطمئنان، ولهذا تتشابه الحبكات والأنغام بحيث يمكن وضع بعضها موضع البعض الآخر.

2- وفي الوقت ذاته تبدو على هذه المنتجات المتشابهة مسحة فردية زائفة، بحيث تترك انطباعاً بحرية الاختيار، وبأنها تعبر عن معان فردية، وعلى هذه الشاكلة يمكننا التجادل عن أي الأغاني أفضل أو أي الفرق أحسن، أي أننا نتجادل ونختلف على فروقات واختلافات مصطنعة، وهذا إحساس زائف بالأمان بفعل التشابه الكامن بين هذه الأشياء.

-مصطفى حجازي في كتابه (حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية) يؤكد على تزايد قوة ثقافة الصورة ونفاذها في أمور عدة:

-أيديولوجيا السوق (تأثير الصورة على الإعلان) وهو تأثير كبير وواضح يدفع المستهلك إلى التعلق بقوة الصورة.

ففي دراسة أجراها الدكتور عبد العزيز تركستاني على الإعلان في التلفزيون السعودي و MBC والفضائية المصرية أكد أن جملة من المخاطر تكتنف الإعلان منها:

1- العارضة بجسدها هي المقصود الأول في الإعلان.

2- صفات الإغراء والزي الغربي.

3- الصورة التغريبية في الإعلان بالموسيقى والمعنى واللفظ.

كما يسأل الدكتور مصطفى حجازي بعد إيراده لما سبق عن بنية ثقافة اقتصاد السوق التي يحددها في عوامل عدة منها:

-الصفقة والقنص المالي: حيث التركيز الكبير على أخبار سوق المال وهذا حول الناس إلى قناصين كبار وصغار ومستضعفين ففتح الباب إزاء إغراءات التلاعبات المالية والصفقات غير المدروسة بسبب الإغراء الإعلامي للصورة والخبر.

-يصل الإنفاق العالمي على الإعلان أكثر من (700 مليار دولار سنوياً) أي ضعف الدخل العالمي من النفط وهو مرشح للزيادة مما يدل على أن فسيولوجية الإعلان تقوم على بيع الأحلام، ودغدغة المشاعر، وإثارة الرغبات، وتعزيز التأثير الإعلاني بالإغراق.

إن الاختراع العبقري للنظام الإعلامي هو أن يرضينا حتى التخمة بالمظهر، وبعبارة أخرى أن يعيشنا باللاشيء وذلك من خلال احتلال العينين بدل البلدان لأجل شغل الرأس، وهذا قمع في غاية الخفاء ولا يدركه إلا القلة ولتأكيد ذلك أذكر بعض الدراسات السريعة:

-نشر المعهد الوطني حول الميديا والعائلة بأمريكا إحصائية أن نسبة الفتيات غير الراضيات عن أجسادهن قد بلغت 53% عند سن الثالثة عشر، وترتفع هذه النسبة لتصل عند السابعة عشر إلى 78% وذلك بعد مشاهدة كليبات أو برامج شبابية.

- انتشار دائرة استخدام هرمونات النمو، فقد ذكر أحد الأطباء أن الكثير من الآباء قد أصبحوا مهووسين بقامة أبنائهم وبكل الطرق التي يمكن أن تساهم في زيادتها.

-تشير الدراسات الغربية إلى أن عدم الرضا عن المظهر الجسدي عند الذكور قد تضاعف إلى ثلاث مرات خلال الثلاثين سنة الأخيرة، حيث بلغت 43%.

-تشير الدراسات المختلفة إلى أن كل مظاهر الخلل الاجتماعي من ملابس فاضحة وعبودية للجسد وفراغ في الروح، وتحول الجسد إلى قاهر للذات وما ينتج عنه من معاكسات وانحراف أخلاقي واغتصاب وتحرش جنسي ما هو إلا نتيجة طبيعية لطبع المجتمع بطابع جنساني وتحول الجسد إلى يقين وحيد للفرد بسبب قلب موازين المشاعر والأحاسيس بسبب ثقافة الصورة (المجسد).

أما على مستوى الطفل فحدث ولا حرج فقد أكدت الباحثة الأمريكية تريسيا ترينفيلد: أن ما تغير خلال خمسين سنة المنقضية هو استخدام الطفل لعينيه أكثر من حواسه الأخرى مما جعل قدرته تحليلية بصرية وهذا خطير جداً في إعطاء تصورات للصورة وهو عقدة الواقع من خلال المجسد وبه يحصل تحطيم القيم وزرع أنماط سلوكية جديدة.

ثانياً: غياب المؤسسات الوسيطة الحاجزة بين المجتمع ووسائل الإعلام:

يرى الدكتور عبد الرحمن عزي بروفيسور الإعلام أن المؤسسات الوسيطة الحاجزة بين المجتمع ووسائل الإعلام قد غابت، مثل المجلس القروي والمقهى والنادي والمسجد، وأنه لا بد من تفعيلها واستعادتها لأنها ستعيد حاسة الاستماع التي قل استعمالها ومن ثم قل المعنى في حياة الكثير من الناس وانعكس على علاقتهم بالآخرين وبالله سبحانه وتعالى.

-تشير الدراسات والاستبانات البحثية إلى غياب الأفراد عن تجمعات العائلة المعتادة بسبب متابعة وسائل الإعلام.. فقد نشرت إحدى الصحف خبراً مفاده أن رجلاً أقام مأدبة عشاء جمع فيها أقاربه لانقطاع أغلبهم بسبب متابعة مسلسل تركي شهير.

-وقد عانى المجتمع الفلسطينى مؤخراً من غياب اللقاء الأسري أوالانضمام إلى المؤسسات الوسيطة (المجلس العائلي وما في حكمه) بسبب إما متابعة المباريات أو المسلسلات التي تستدعي غالباً تجمعاً شبابياً بعيداً عن أنظار العائلة.

-يقول د. أحمد عبد الملك في لقاء أجري معه في مجلة الشقائق عدد 35: لم تعد الأسرة الحاضن الوحيد والمناسب للنشء فلقد وفرت لنا مخرجات الثورة التكنولوجية أنماطاً من وسائل الترفيه واللهو مما جعل دور الأسرة هامشياً.. ولا أدل على ذلك أن ما يقضيه الشاب أو الفتاة مع الفضائيات أو الإنترنت أكثر مما يقضيه من وقت مع والديه أو حتى مع المدرسة أو المسجد أو غيرها.

وقد دلت دراسات أمريكية أن التلفزيون يجمع العائلة فيزيائياً ويفرقها عاطفياً لذلك قد لا نستغرب أن نشاهد فتاة في العشرين عاماً لا تأكل مع أهلها وتذهب الخادمة بالطعام إلى غرفتها وقد يمر يومان أو ثلاثة دون أن تجلس مع والديها.

وتؤكد الدراسات الغربية أن التلفزيون هو الوالد البديل للأبناء.. سئلت طفلة روسية مما تتكون أسرتك؟ فأجابت: باب وماما وجدتي والتلفزيون.

-وفي مؤتمر (الأسرة والإعلام وتحديات العصر) الذي عقد في جامعة القاهرة في شهر فبراير عام (2009م) وقدمت فيه أبحاث كثيرة حذرت من غياب دور الأسرة والمؤسسات الوسيطة في التربية ليتولى الإعلام الدور بشكل خطير ومخيف، وأثبتت بعض الأوراق أن تهتك النسيج الأسري بفعل تأثير الإعلام السلبي والذي يؤدي إلى تآكل منظومات القيم والمعاني الموجهة للتفاعل الأسري والمعنوي للأسرة.



-كما أكد عالم الاتصال هالوران من خلال دراسة أجراها أن 97% من عينة الدراسة في سن الحادية عشرة أعلنوا أنهم يثقون بالتلفزيون كمصدر إعلامي أكثر من ثقتهم بوالديهم.

لقد ظهرت صور غياب المؤسسات الوسيطة في شكل استنفار نفسي أو عزلة فردية أقصت الجيل المعاصر عن كل أشكال التناغم مع هذه المؤسسات أو مع كبار السن وأهل الخبرة والتجربة.

ثالثاً: الإعلام وثقافة القراءة:

-تؤكد الدراسات أن زمن القراءة للطفل العربي لا تتجاوز ست دقائق في العام الواحد حسب تقرير الايسيسكو.

-وتؤكد الدراسات ضعف القراءة بسبب الإعلام، وقد أجريت دراسة نشرتها جريدة الوطن في عددها (696) تؤكد أن 32% من عينات الدراسة ممن يشاهدون الشاشات بكثرة حصل لديهم ضعف في الالتزام الدراسي.

-في كتاب (التنشئة الأسرية) محمد عباس نور الدين أكد فيه أن دراسات كثيرة أثبتت قلة الميل للقراءة بين الأطفال بسبب كثرة مشاهدة التلفزيون.

قام مدير الإعلام بالمجلس العربي للطفولة والتنمية عبد المنعم الاشنيهي بدراسة نشرت في مجلة المستقبل (158) رصد إحدى القنوات الفضائية العربية الموجهة للطفل لمدة أسبوع فوجد أنها عرضت ما يأتي:

-300 جريمة قتل في برامجها مع دعاية مكثفة تدعو الأسرة لشراء الأشرطة. هذه الأفلام المعروضة بها 30% أعمال عنف 15% موضوعات جنسية 20% مواقف حب شهواني.

أما الألفاظ فقد تكرر أكثر من (370) لفظاً بين السب والشتم، ومجمل الألفاظ داخل الفلم كانت تدور حول 49% تهديد بالانتقام 23% تحريض 14% استهزاء وسخرية 12% قذف.

-إن الإعلام الموجه للطفل يزداد خطورة بسبب تغيير مفاهيم الطفل بسرعة وإيجاد قدوات جديدة يتلقفها الطفل دون شعور فضلاً عن الألفاظ السيئة والأماني الهزيلة التي يتعلق بها.

-أما في الغرب فإنهم يعترفون بوجود رابطة بين الأفلام والسلوك العدواني للأطفال بنسبة 75% كما أكد ذلك (أنتوني غدنز).

-أكدت استبانة أجرتها مجلة ولدي أن 98% من الأبناء يتابعون الفيديو كليب بشغف (العينة في السعودية والكويت والإمارات) وأكدت الدراسة أن:

-الأبناء من سن 3 أعوام إلى 18 عاما يشاهدون الكليب بنسب متفاوتة فمنهم 93% باستمرار، 7% فقط هم من لا يحرص على المتابعة.

-39% تعجبهم كلمات الأغنية بينما 31% يشاهدونها لجمال المغنية أو الراقصة أو المغني، 25% منهم تجذبهم الإثارة والتشويق.

وقد أكدت عدد من الأمهات الخليجيات في استبانة وزعت عليهن أن أطفالهن يقبلون المشاهد المعروضة عليهم ويتأثرون بها، حيث أجمع 97% من الأمهات أن الأطفال يقبلون ما يرون، وأن 88% منهم يطبقون ما رأوه ويرددون نفس الألفاظ والحركات.

-أجرى باحثون في جامعة ستانفورد الأمريكية عام (2000م) دراسة على عينة واسعة تضم (4000) من البالغين تبين أن 55% يهتمون بالإعلام على حساب البيت، 20% منهم باستمرار يقضون أكثر من 5 ساعات على الأقل و 30% اعترف بقلة القراءة.



-يقول هربرت ماركوزه (وهو أحد مؤسسي المدرسة الفرانكفونية): لو أردنا إشباع كل رغباتنا الجنسية وغير الجنسية كلما ظهرت لانهارت الحضارة والثقافة والمجتمع بين ليلة وضحاها، ذلك أن الحياة في هذه الحالة ستحيل فوضى نتخذ فيها بعضنا بعضا موضوعات لإشباع نزواتنا فحسب، وستتحول حياتنا في هذه الحالة إلى تهتك متواصل، ينتهي بالدمار والعناء.

الإعلام ولغة العنف:

للإعلام عنف جديد يسمى بلغة علماء الاجتماع العنف الرمزي وهو ما يعني الهجوم على الرأسمال الرمزي لدى المسلمين بطريقة عنيفة ورمزية أيضاً، أي باستخدام مقولات لها قيمة مثل العلم والتطور والمواكبة للعالم والانفتاح، وهذه أمور لها قيمة يقبلها أي فرد عاقل سوي ويعتز بها وعليه فلا بد من الهجوم وإرهاب الطرف الآخر بدعوى رفضها والوقوف في وجه الأمة حتى لا تصل إليها.

والهدف من مثل هذا العنف هو تهميش وتنميط المؤسسات العلمية والشرعية لكي تتطابق مع قيم وبنى النظام الثقافي الذي يقوده فئة تعلن صراحة رفضها للمسلك الديني (كما هو الحال في دول إسلامية قريبة) وبالتالي يصبح المفكر والداعية والشيخ مجرد صدى لأصوات الحقيقة المنبعثة من صيحات السلطة الثقافية.

-الإعلام الإرهابي يقوم بعلاقة تواصلية لاغتصاب الخضوع وتنميط المجتمع، وفرض ما يريده من مواضيع للنقاش ويختار لها الزمان المناسب والقضاء المناسب، مع تجهيز الآلات اللازمة للعنف الرمزي ومنها – برامج إعلامية مشحونة – كتاب شبه مثقفون – علماء دعاة مداهنون.

- ومن المعلوم اجتماعياً وعلمياً وواقعياً أن الفكرة الوهمية عندما تتردد تكسب قوة إلى قوة حتى تصبح بديهية وبالتالي تحولت هذه التهمة إلى فوبيا بين المواطنين وتحولت إلى عقدة نفسية وغاب معها التفكير العقلاني المتوازن الموضوعي ...) الخ

-ولا يمكن أن نغفل جانب الهجوم الثقافي والإرهاب الذي يمارسه الإعلام على ثقافتنا من خلال عدة وسائل منها:

1- الهجوم على التاريخ الثقافي بعبارات ملتبسة وغامضة بحجة تغير أصول الزمان والمكان وتنوع الظروف، وجعل الفرد يعيش في حالة اغترابية مع تاريخه المجيد، لأنه يعيش حالة هجوم على تاريخه ورموزه وثقافته.

2- حرب المفاهيم والمصطلحات: مثل الإرهاب والانفتاح والانغلاق ومثل مصطلح الذكورة والأنوثة فهو لا يتداول بشكل بيولوجي يوضح الفروق التشريحية والفسيولوجية والاجتماعية بل يتم تداوله بمعنى الجنوسة، أي أن أفكارنا عن المرأة والرجل تقوم على تصوراتنا الاجتماعية وتنشئتنا الفردية ولا علاقة لها بالجنس البيولوجي البشري.

3- تقليد النماذج الثقافية وتكييفها للواقع الوطني مثل الأفلام والريبورتاجات الصحفية مع خلق المناخ الثقافي المناسب والشروط الاجتماعية والفكرية الملائمة لتغلغل الأنماط الأجنبية أو غير الشرعية على الأقل في الثقافة والقيم في ثوب لايظهر حقيقتها بشكل سافر ويتم تمرير هذه الأمور من خلال استغلال الخلاف الفقهي أو إبراز نماذج تخلت عن صورتها الشرعية الأولى وتنحت إلى حيث يريد الإعلام.

الإعلام والقيم الإيجابية:

-لا يمكن أبداً أن نغفل أن للإعلام دوراً إيجابياً لدى بعض القنوات فقد كسر الإعلام كثيراً من حواجز الخوف في قلوب أمم مترددة في التعبير عن آرائها وتحطيم أغلال من الوهم المصنوع بسبب تسلط كثير من الأنظمة.

-رفع مستوى الوعي العام للأحداث السياسية، ففي عام 2000م وهو عام الانتفاضة الأولى اعترف الكيان الإسرائيلي أن أشد أمر عليه هو الدور البارز للإعلام.



-عاش المسلمون مع قضاياهم المصيرية الكبرى مثل العراق وأفغانستان بسبب بعض الإعلام المنصف المحب لأمته.
-صنع الإعلام رموزاً كثيرة ومحافظة وقدمهم من خلال الإعلام الهادف.
-التواصل الإيجابي بين أبناء الأمة الإسلامية حيث أسهم في تشكيل رأي إسلامي وعربي موحد من بعض قضايانا (غزة مثالاً).
-رفع مستوى الوعي بالمفاهيم الإسلامية في كافة المجالات الحياتية والمساهمة في تكوين المواطن المنتمي والقادر على تحمل المسؤولية تجاه نفسه ودينه ومجتمعه.
-دور الإعلام الظاهر في تغيير بعض قيم الأسرة إلى الأحسن كما أكدت ذلك د. نوال عمر في بحث خاص حول الإعلام الهادف.
-دراسة أعدتها جامعة تل أبيب ونشرت صحيفة لوبون الفرنسية أجزاء منها أن هناك نمواً دينياً وتربوياً للشباب المصري أصبح ظاهراً للعيان في الفترة الأخيرة، ما أعتبرته يشكل خطراً كبيراً على الكيان الصهيوني، وتذكر الدراسة أن سبب ذلك هو الفضائيات الدينية وأنها لعبت دوراً مؤثراً في نفوس الشباب بدعوتها إياهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق والعبادة وقراءة القرآن.. ولفتت الدراسة إلى أن هناك عدداً من القنوات الإسلامية التي استطاعت جذب الشباب إليها.
-القيم التثقيفية والعلمية والوثائقية التي تؤصل لدراسات علمية متكاملة.
الإعلام والهوية الوطنية :

الإعلام والهوية الوطنية" هو عنوان الملتقى الذي احتضنته قبل أيام العاصمة أبوظبي، للبحث في إشكالية "الإعلام والهوية في عصر العولمة"، و"واقع الهوية الوطنية في إعلام الإمارات.. كتاب الأعمدة الصحفية"، و"تجارب مؤسسية وفردية في تعزيز الهوية الوطنية في الإعلام"، و"تجارب في الإعلام والهوية الثقافية والوطنية من دول مجلس التعاون الخليجي".

ملتقى الإعلام والهوية الوطنية، جاء في الوقت المناسب لمناقشة إشكالية مهمة جداً، تتعلق بمدى مواكبة المنظومة الإعلامية الإماراتية لمشاريع وخطط وإنجازات الدولة في المجالات المختلفة، وبناء الإنسان الإماراتي.

والكلام عن الإعلام في دولة الإمارات يثير عدة تساؤلات وإشكاليات، من أهمها: ما هي إنجازات النظام الإعلامي في الدولة؟ وهل وصلت هذه الإنجازات إلى مستوى ما أنجزته القطاعات الأخرى؟ هل قام هذا القطاع بالدور المنوط به؟ وهل استطاع أن يكون في مستوى التطورات التي حققتها الدولة في المجالات الأخرى؛ الصناعة، الاقتصاد، التجارة، الخدمات، السياحة، الزراعة، التعليم، الصحة، المواصلات، الاتصالات... الخ؟ وما هي مسؤولية المؤسسة الإعلامية والقائم بالاتصال، في رفع التحدي والقيام بالدور الإيجابي والفعال للمنظومة الإعلامية، في دولة أكدّ فيها كبار المسؤولين عن حاجتهم إلى إعلام يكشف الحقائق ويقوم بالاستقصاء وطرح المشاكل بكل شجاعة وجرأة، وأكدوا أمام الملأ أنهم ليسوا في حاجة إلى إعلام التملق والتسبيح والمدح وثقافة "كل شيء بخير وعلى أحسن ما يرام"؟

إن الفجوة كبيرة بين الواقع الاقتصادي والحضاري ومختلف الإنجازات التي حققتها دولة الإمارات، وواقع النظام الإعلامي فيها. فالكثير ينتقد ويرى أن إعلام دولة الإمارات العربية المتحدة، إعلام من دون هوية ولا رؤية ولا استراتيجية، إعلام يتمتع بالإمكانيات والوسائل، لكن تنقصه الرسالة المنتقدة والهادفة والساهرة على مصلحة الشعب والأمة. فالمؤسسة الإعلامية ليست توزيعا وإعلانات وأرباحا فقط، بل هي قبل كل شيء مؤسسة اجتماعية، لها رسالة ومسؤولية كبيرة جدا



في التنشئة الاجتماعية والتوعية والتثقيف والمواطنة. فالمنظومة الإعلامية هي ذاكرة المجتمع، وهي منبر الديمقراطية والحوار والنقاش، وهي المنصة التي تلتقي فيها الآراء والأفكار ومختلف وجهات النظر.

تتوفر دولة الإمارات على بنية تحتية إعلامية واتصالية ممتازة، تعد من الأحسن على مستوى الوطن العربي وباقي الدول النامية، كما تنعم بإنفاق إعلاني معتبر، يضعها في المرتبة الثانية على مستوى الدول العربية. وهذه مؤشرات تبشر بالخير، لكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هل البنية التحتية والإمكانيات المادية تكفي وحدها لإيجاد منظومة إعلامية قوية؟ ماذا عن المحتوى؟ وماذا عن الرسالة؟ وماذا عن الكادر البشري؟ ماذا عن القضايا المحلية؟ ماذا عن الحوار والنقاش والرأي والرأي الآخر؟ ماذا عن الحرية الإعلامية وعن قانون النشر والمطبوعات؟ ماذا عن المجتمع المدني والرأي العام في البلد؟ ماذا عن الفضاء العام والإعلام؟ وماذا عن تفاعل الشارع مع صانع القرار؟ أسئلة يجب الوقوف عندها بتأنٍّ وبجدية كبيرة، وتجب مناقشتها بكل شفافية وشجاعة وصراحة، إذا أردنا أن يكون الإعلام في دولة الإمارات إعلاما فاعلا مؤثرا، ومنبرا للديمقراطية والحريات والأفكار والآراء الجريئة والبناءة. إعلام يكون هدفه مواكبة ما يحدث ويجري في البلاد، وليس مجرد المدح والإشادة.

أولت القيادة السياسية لدولة الإمارات في السنوات الأخيرة، اهتماماً بالغاً بموضوع توطين الوظائف في الدولة وإشراك العنصر المواطن في مختلف القطاعات والمجالات، خاصة القطاع الخاص. وبالنسبة لوسائل الإعلام يكتسي الموضوع أهمية بالغة، لأن الرسالة الإعلامية هي قبل كل شيء منتج فكري وسياسي وأيديولوجي وثقافي واجتماعي، وهذا يعني أن القائم على إنتاج هذه البضاعة الفكرية، التي تقدم للرأي العام الإماراتي محلياً وللرأي العام جهوياً وإقليمياً ودولياً باسم دولة الإمارات العربية المتحدة، يجب أن تحمل بصمات وإمضاءات العنصر الإماراتي، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، سواء من حيث المحتوى أو اللكنة أو اللباس أو المظهر أو المخزون اللغوي واللساني... الخ. هذا يعني أن إعطاء الفرصة لابن الإمارات لخوض التجربة الإعلامية والصناعة الإعلامية، أمر لا جدال حوله، وأن التطور الذي شهدته دولة الإمارات في مختلف المجالات، يجب أن يرافقه تطور على مستوى الطاقات والكوادر البشرية المواطنة. كما يجب إيجاد معادلة صحية وصحيحة بين خريجي الجامعات ومختلف الكليات من جهة، والقطاع المستخدم، سواء كان عاماً أم خاصاً، من جهة أخرى. كما لا ننسى أن مخرجات وسائل الإعلام تلعب دوراً استراتيجياً في صناعة وتشكيل الرأي العام، وهذا يعني أن صناعة الرأي العام الإماراتي يجب أن يشرف عليها أبناء وبنات البلد من المؤهلين والمتمرسين والأكفاء.

إن عملية توطين وظائف الإعلام في الدولة، تتطلب خطة محكمة ومدروسة من قبل المؤسسات التي تكوّن الكوادر الإعلامية، والمؤسسات الإعلامية التي تستخدم هذه الكوادر. إن المؤسسة الإعلامية، وضمن خطة التوطين، من واجبها أن توّفر التدريب العملي للطالب الجامعي وتعمل على استقطابه للعمل لديها، كما أن من واجبها تنظيم دورات تدريبية للقائمين بالاتصال، القدماء والجدد، لمواكبة التطورات التكنولوجية والنظرية في المجال الإعلامي وثورة الاتصال والمعلومات. من جهة أخرى، يجب على الطالب أو الطالبة الجامعية، الالتزام بالمؤسسة الإعلامية التي تسهر على تدريبهم، بعد الالتزام بحب المهنة والتفاني من أجلها. فعملية التوطين، إذن، تتوقف على التزام المؤسسة الإعلامية، سواء كانت عامة أم خاصة، بوضع برنامج وخطة واضحة المعالم تحدد فيها احتياجاتها من الإطارات والكوادر الصحافية، على المدى القصير والمتوسط والبعيد، وما هي استراتيجية استقطابها للعناصر الجامعية، وكيفية تدريب وتكوين هذه العناصر للقيام بالواجب كما ينبغي، إذ يعتبر ذلك التزاما واستثمارا من قبل المؤسسة الإعلامية، لإنجاح عملية الإحلال والتوطين والهوية الوطنية في المنظومة الإعلامية الإماراتية. وهنا تجدر الإشارة إلى الدور المتميز الذي يقوم به المجلس الوطني للإعلام، سواء في عملية التكوين والتوطين أو الاهتمام بمشكلة الهوية الوطنية في المنظومة الإعلامية الإماراتية.



لقد حان الوقت للوقوف عند الصناعة الإعلامية في الدولة، لدراسة الوضع وتحديد نقاط القوة والضعف، ومن ثمة وضع استراتيجية واضحة المعالم لمعرفة ماذا تريد السلطة بالضبط من وسائل الإعلام؟ وماذا تريد المؤسسة الإعلامية بالتحديد؟ وماذا يريد الصحافي من مهنته ومؤسسته؟ وماذا يريد المشرع من القوانين والتشريعات؟ وماذا تريد جمعية الصحافيين من المهنة ومن المنظومة الإعلامية ككل؟ وأخيراً، ماذا يريد الشارع من النظام الإعلامي في البلد؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة بكل شجاعة وبكل صراحة وبكل وضوح، تفتح الباب على مصراعيه، بعد القيام بالبحوث والدراسات الميدانية، لاستشراف المستقبل ووضع خارطة طريق محكمة، مدروسة ومنهجية، تكون في مستوى النمو الاقتصادي والإنجازات الكبيرة والمشاريع الضخمة التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي خططت لإنجازها في المستقبل.

الإشكالية، الأهداف، المحاور والضوابط:

يثير مفهوم الهوية في أبعاده الثقافية و الفكرية و السياسية والدينية أسئلة شائكة ,لكونه من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش بين مختلف الباحثين والدارسين.ورغم تعدد زوايا النظر إلى مفهوم الهوية، فإن هناك اتفاقا عاما على أن مسألة الهوية ليست معطى جامدا ,و ثابتا و إنما هي معطى تاريخي خاضع للتأثر والتأثر، ومن هنا ضرورة إعادة البحث في ماهية الهوية ومقوماتها وفق ما يفرضه الواقع من تحديات . ولاشك أن ضبط علاقة الإعلام بالهوية من القضايا الهامة التي استأثرت باهتمام مختلف الباحثين والدارسين وفي مقدمتهم السياسيين والإعلاميين. فقد كشف النقاش السياسي والإعلامي على أن دور الإعلام لم يعد مقتصرا على وظيفته التقليدية في النشر وتعميم الأخيار والتأثير في الرأي العام وتوجيهه ، بل تجاوز ذلك إلى القيام بوظائف جوهرية ومنها على الخصوص تحريك سؤال الهوية وطرح قيم المواطنة والثقافة السياسية وغيرها، خاصة في ظل التحولات التاريخية الهامة التي شهدها المجتمع العربي في السنوات الأخيرة.

وقد أكدت مختلف الدراسات والأبحاث أهمية وسائل الإعلام المختلفة في صناعة الهوية الوطنية وصياغة القيم والنهوض بمخرجاته التثقيفية والهوياتية. وتزداد أهمية الحديث عن العلاقة بين الإعلام والهوية في العالم العربي اليوم أكثر من أي وقت مضى مع سيادة صورة تركيبية قاتمة عن الهوية العربية التي تقتبس من الكل الثقافات، شرقية وغربية،مما يطرح بقوة أهمية تجديد الإعلام العربي لوظيفته ودوره في صياغة هوية ثقافية عربية صرفة.

الثقافة وهويتها .. من منظور أنثروبولوجي:

ينظر الأنثروبولوجيون إلي الثقافة على أنها نشاط بشري اجتماعي في كل مركب من الوحدة العضوية المتماسكة والمتكاملة ، ما بين مكونات ذهنية مجردة كالمعرفة والمعتقدات ، وبين مكونات السلوك في ممارسة العادات والتقاليد . فالأنثروبولوجي لا يعنيه درجة بدائية وبساطة الثقافة وتقدمها ، أو تقدم ذلك المجتمع وتخلفه ، بقدر ما يعنيه الدور الوظيفي الذي تؤديه الثقافة في الحفاظ على واقع مجتمعها أو مجتمعاتها . فمضمون الثقافة لدى الأنثروبولوجي لا يحمل في ذهنه أي مضمون " تقويمي " وإن كان لكل ثقافة نسق خاص من القيم . وقد تفرض خصوصية القيم الثقافية هذه على الباحث الأنثروبولوجي والباحث الإثنوجرافي قيودا تمنعه من الحكم على الثقافة أو الثقافات بأنها أسمى أو أدنى من غيرها .

وأياً كانت الثقافات ودرجة تقدمها أو تأخرها فهي نتاج لمقومات رئيسية لا بد من توفرها كي تنشأ وتقوم وتظهر وتنمو .. ومن تلك المقومات :

- اللغة كوسيلة للتواصل والنقل والتعلم والمخزون الحضاري بداخل عقل الأمة أو المجتمع



- الدين أو المعتقد وبه تتكون فلسفة الإنسان ورؤيته إلي ذاته من جسد وروح ، ونظرته إلي خالقه ، وإلي الكون ، والتدبر في اختلاف الكون وأزمنة وأماكن بل واختلاف الصور البشرية في المعتقد والتكوين الاجتماعي .
- الموروث الحضاري والهويات الثقافية ، فمن اللغة والتواصل وصياغة الحياة على أساس المعتقد والدين يبدأ الإنسان في صنع ثقافته ، وفي الحفاظ على هويته ، فالثقافة المحلية وما تتميز به من جذور " أصولية " في الممارسة ما هي إلا مولود جديد هو الأولى بالرعاية والدفاع عنه ضد أي تشكيك في جدواه وفائدته حاضراً ومستقبلاً ، بل ويصبح الموروث الحضاري جزءً من ثقافة الإنسان العادي وتكوينه النفسي والذهني وعقله الفردي والجمعي . فالبدائي يتمسك بثقافته ويعتز بها مثلما يعتز الفقير بملكيته الضئيلة مهما كان فقره ، بل ويسعى هذا الفقير إلي تنمية ما يملك فإن كان درهماً أراد له أن يكون درهمين .. وهكذا (1) .

وإذا ما طُبقت مقومات نشأة الثقافات ونموها فإننا لم نجد ثقافة قد توفر لها تلك المقومات واستفادت منها بقدر ما استفادت الثقافة العربية وهويتها ، ويشهد بذلك _ لا أبناء _ الثقافة العربية وهويتها أنفسهم فحسب بل شاركهم الرأي بعض المستشرقين (2) المعتدلين الدارسين والمتعمقين لعلوم الشرق ، الذين ينظرون إلي العرب بأنهم عباقرة الشرق في العصور الوسطى .

واقع هوية الثقافة العربية :

حين الحديث عن هوية الثقافة العربية فإن الذاكرة تستحضر ما يتضمنه مفهوم هوية الثقافة من رموز تعبيرية كبرى فرضت نفسها خلال التاريخ والواقع ، فعن طريق وحدة رموز التواصل اللغوي والمعرفي ووحدة الرموز الشعائرية لممارسة طقوس الأديان ، والأنماط السلوكية الكبرى ذات العمق الاجتماعي والحضاري تجاه رؤى مفاهيم و رمزيات الشرف والكرامة والتعاطف الإنساني والكرم وعداوة الدم وحق القصاص ، وحرمة النساء ، والزهد في الحياة وفي العمل وعن قصد أو دون قصد !! ورمزية الالتفاف حول كبار السن ورمزية المفاهيم العائلية والعشائرية والقبلية وغيرها تجعلنا ننظر إلي واقع هوية الثقافة العربية في حدود مسرحها الجغرافي المحدد إقليمياً بالخليج العربي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وبالبحر المتوسط وجبال طوروس شمالاً وبالصحراء الأفريقية والمحيط الهندي جنوباً . وبنظرة علمية فاحصة لهذا الواقع من الداخل نرى أنه رغم الاشتراك في رموز ورمزيات هوية الثقافة العربية إلا أن هناك مناطق ثقافية داخلية موزعة ما بين الثقافة النيلية وحضارية في كل من مصر والسودان ، حيث مثَّل النيل ولا يزال شريان التواصل الثقافي مع كل من أفريقيا وحوض البحر المتوسط تجاه البوابة الأوروبية وبلاد الشام . ثم تاتي وحدة الثقافة ورمزيتها في بلدان الشمال الأفريقي ومالها من علاقات وتواصل مع الظهير الجنوبي لبعض البلدان الأفريقية وتواصلها مع بعض الدول الأوروبية شمال البحر المتوسط وحملت معها ولا تزال القيم المتبادلة للتواصل الحضاري والثقافي بين كافة الأطراف الثقافية المحيطة والمتداخلة أما منطقة جزيرة العرب واليمن ومعها بلدان الخليج العربية فهي تجمعات سكانية وثقافية عاشت وتعيش في رمزيات ثقافية مشتركة ، يمكن تجاوزاً أن نطلق عليها أنها تمثل " بحيرة ثقافية (6) حيث جمعت تلك المنطقة الإقليمية الثقافية تاريخياً وحول شواطئها وعمقها الصحراوي مجموعات سكانية لها خلفيات مشتركة في الثقافة والدين والانحدار الجينيالوجي ، فضلاً عن نشأته الظروف البيئية وأنشطة السكان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ونظراً لأهمية منطقة الخليج تاريخياً كممر بحري للثروات ، ورافداً للؤلؤ الطبيعي ، وطريق لتجارة البخور والتوابل ، فقد أصبحت المنطقة محط أنظار القوى التوسعية الغربية في العصر الحديث ، فتكالب عليها البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والإنجليز والروس خلال الأربعة قرون الخيرة ، فضلاً عن ما تتعرض له منطقة الخليج والجزيرة العربية والعراق الآن من مؤامرات أمريكية غربية تسعى إلي فرض الهيمنة والسيطرة رغم ابتزازها الفظ والمجحف للثروات

النفطية لتلك البلدان زيادة على ذلك ما دخلت فيه البلدان العربية مؤخراً ومنذ عام 2011 م بما يسمى " بثورات الربيع العربي " والتي تكشفت أبعادها الدنيئة والخسيسة في ابسط صور لها وهو ما يصاحبها حتى الآن من تدمير وسفك للدماء أملاً في الوصول إلي مقاعد الحكم – بمعاونة لمؤامرة أمريكية غربية هي شيوع الفوضى الخلاقة في بلاد العرب - ؟ وليس من أجل الصالح العام بما فيهم الجماهير العريضة من تلك الشعوب التي عانت وتعاني أشد ألوان العذاب والهوان والتهجير والنزوح والتشرد والتعرض للابتزاز و السطو ونشر الفوضى بشتى ألوانها ، ويشهد على ذلك مسرح الأحداث في كل من تونس واليمن ومصر وسوريا ومن قبله مؤامرة العراق والكويت مروراً بتقسيم السودان إلي شقين شمالاً وجنوباً ، كل هذا يؤدي بنا إلي الاستشراف المستقبلي وبما يحاك ضد وحدة وهوية الثقافة العربية ، والسعي إلي تمزيقها إقليمياً ، وفصلها عن واقعها الاجتماعي والحضاري وبما يمكن القوى الخارجية من الانقضاض عليها ورسم خريطة جغرافية إقليمية لها في واقع جديد إلا أن الظروف والملابسات المحيطة بالتآمر وبفضل يقظة أبناء العرب أمكن إفشال تلك المخططات الشيطانية .

ومهما كان الحديث عن واقع هوية الثقافة العربية بين سمة العمومية وسمات الخصوصية الإقليمية إلا أن التناول الأنثروبولوجي لمفهوم الثقافة وتصنيفها يراعي دائماً :

1 – أن هناك ثقافات إنسانية عامة مثل الثقافة العلمية والثقافة التكنولوجية والإلكترونية ، وهي ثقافات تُبنى وتنمو وتتطور عن طريق الأخذ والعطاء ، أما وأن يكون التعامل أخذاً دون عطاء فهذا يؤدي إلي الإحساس والشعور بالدونية وتنامي الشعور بالإحباط وعدم القدرة على تحقيق التفاعل والتواصل مع الآخر .

2 – هناك ثقافات شبه قومية مؤسسة على العلوم الإنسانية والاجتماعية واستلهام التوجيه المجتمعي فيها يتطلب ضرورة التعمق في دراسة المجتمع القومي وهويته وتراثه الحضاري والثقافي .

3 – ثقافات يغلب عليها طابع الهوية وتتضمن الرموز التعبيرية الكبرى عبر التاريخ والواقع الاجتماعي والتواصل الثقافي ، ولابد أن تكون ذات مطلب يتسم بالتفاعل والتجديد والإيضاح على الثقافات الأخرى بتوازن وعقلانية (7) .

فإذا كانت هوية الفرد هي مجمل الإطار العام لمسلماته الفكرية التي تشتمل في المقام الأول على معتقداته الدينية ، وتقاليده وقيمه النابعة من محيطه الاجتماعي والثقافي المؤثر بعاداته وأماط سلوكه ، فكل ذلك من شأنه أن يحدد هدف الفرد وسلوكه حاضراً ومستقبلاً ، وهو ما يجعل للسلوك عند الفرد معنى وقيمة وغاية ، ويضفي عليه سمات الثبات والاستقرار والوحدة النفسية مع الذات . أما عن هوية المجتمع فهي الواحة السيكولوجية (النفسية) وبما تحققه للفرد والجماعة والمجتمع نفسه من شعور بالأمن والدفء والانسجام والتكامل وفي الجانب الثقافي تشمل الهوية مجموع المفاهيم والاتجاهات والمشاعر والمكونات التي تحدد كيان الفرد وبنيانه وجوهره الذاتي فتعكس أصالة هويته الثقافية ومدى حبه وانتمائه لوطنه ومجتمعه . فالهوية هي إحساس داخلي يكتسبه الفرد بواسطة الدين واللغة والمعايير الاجتماعية والقيم الثقافية بالتعليم والممارسة والإدراك، فتصبح الهوية هي " البصمة " المميزة لحياة الإنسان عن غيره .

ورغم أن مفهوم هوية الثقافة لصيق الصلة بجذور التاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمع ، وما يتضمنه بنائه الاجتماعي من قيم ومعتقدات عامة ، إلا أن لهوية الثقافة في علاقاتها بالمواطنة كمفهوم حديث يتحقق سياسياً وعدلاً وقانوناً مع مفاهيم ديمقراطية أساليب الحياة في المجتمعات المتقدمة ، فهوية الثقافة تشمل " مجموع السمات والخصائص المشتركة وأساليب الحياة التي تميز مجتمعاً أو أمة عن غيرها . وتحدد وتضمن لأعضائها انسجاماً فكرياً وحياتياً مع الواقع السياسي والقانوني الحديث ، وهنا يتحقق مبدأ المواطنة كمعيار جوهري لحفظ الحقوق والواجبات لجميع أبناء الشعب الذين يعيشون في ظل هوية ثقافتهم .



وهكذا تعمل الهوية في مفهومها الجديد وتحرص على غرس قيم الوحدة والتضامن لأعضائها وتفعيل أدوارهم في عمليات الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي حتى يتمكن الشعب والمجتمع والدولة من ممارسة أدوارهم بفاعلية وإيجابية على المستويين الداخلي والخارجي وحتى لا تكون هوية المجتمع أو هوية الثقافة أو حتى هوية الفرد ما هي إلا تعبير عن موقف ذاتي ضيق !! لا يليق ومتغيرات العصر، وحتى لا تكون الهوية هي مجرد الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية في صورة نمطية ثابتة فقط ، وإنما تكون الهوية ومقومات بنائها متغيرة ومتحولة تبعاً لتحول الواقع المعاش ،

ويهدف مؤتمر " الإعلام والهوية" الذي ينظمه مختبر التواصل وتقنيات التعبير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس بالمملكة المغربية خلال أبريل 2019 إلى إبراز دور الإعلام في بناء الهوية وتثبيت قيم المواطنة من خلال المحاور التالية :

المحور الأول: الإعلام والهوية السياسية أو الإعلام السياسي والهوية (قيم المواطنة، الثقافة السياسية، الإيديولوجية السياسية، المجتمع المدني)

1 الخطاب التلفزيوني السياسي وإشكالية الهوية

2 التأزم والتعدد الهوياتي في ظل حركات الربيع العربي

3 المعالجة الصحفية لقضايا الهوية

4 – مواقع التواصل الاجتماعي والوعي السياسي

ليس هناك من ينكر أن ثقافة الأمة العربية وهويتها عاشت ولا تزال حالة من التناقض مع الذات ، أو قل حالة توفيقية بين الاتجاه العلماني الغربي ، والاتجاه الإسلامي التراثي ، وذلك رغم الجهود التي قامت بها المدارس الفكرية النقدية العربية منذ القرن التاسع عشر ، والتي تبلورت وتحولت في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد مسيرة زمنية طويلة إلي " حالة نقدية " يهدف مفكروها إلي تجاوز الاتجاهين الغربي والأصولي .. والسعي إلي إقامة موقف فكري مستقل . وتستند تلك الحركة النقدية العربية الجديدة إلي مقولة مؤداها : أن المعرفة المنقولة أو المستوردة لا يمكن أن تحرر الفكر أو تطلق قوى الخلق والإبداع في الفرد والمجتمع ، بل تعمل على تعميق وتعزيز علاقات التبعية الثقافية والفكرية والاجتماعية . ورغم جهود تلك المساعي الفكرية إلا أن الوضع الفكري تجاه هوية الثقافة العربية لا زال يتحرك ويتجاذب داخل شكل هندسي ثلاثي الأبعاد أو الأضلاع هي (التراث الإسلامي الموروث – التراث الغربي الحديث والمعاصر " الوافد " والمتحرك – الواقع المباشر بين التسليم بما هو قائم وبين القبول والرفض والنقض بما هو وافد أو متوارث ؟ .. فيمثل الباحث والمفكر العربي المهموم بواقع وهوية ثقافته حالة صراع فكري تجعله في حالة نضال دائم من أجل تحقيق حالة خاصة وذاتية تتوحد فيها جهود التنظير وأفعال الواقع في مسالك الحياة ، حتى يتم التكامل بين الناس وثقافتهم أو ثقافاتهم المعاشة . ومن خلال إمعان النظر في المشهد العربي وثقافته وتعامله مع واقع الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية ومابين الانغلاق الأصولي والحراك الثقافي الحداثي لبعض منظمات المجتمع المدني العاملة على أرض الواقع .

حرية الإعلام في تغطية ومواكبة الجائحة وهذا الوباء :

يزداد الاهتمام العالمي والعربي يوميا وكل لحظة بالأخبار المتعلقة بأزمة كورونا والتي تشكّل هذه الأزمة اختباراً حقيقيا للوسائل الإعلامية والقنوات الفضائية في جميع أنحاء العالم والتي في هذه الأوقات تسعى إلى كسب ثقة الجمهور والمحافظة عليها.

لكن ثمة هناك من لا يرى دور الإعلام كدور محايد فعندما تكون المصالح السياسية في هذا المضمار تحدث صدامات بين السلطات المختلفة .



فجائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم وتبقى الصحافة وصاحبة الجلالة أساسية مع أن شبكات التواصل الاجتماعي كسرت الاحتكار شبه الكامل للأخبار من قبل وسائل الإعلام بوسائل الإعلام التقليدية بينما تثق نسبة أقل بكثير بشبكات التواصل الاجتماعي التي انتشرت في الآونة الأخيرة عبر الشبكة العنكبوتية .

ويمكن أن تشكّل هذه الأزمة فرصة لوسائل الإعلام لاستعادة ثقة المطلعين عليها كما أنها فرصة لكل من يخضعون للعزل والحجر الصحي لاختيار وسائل الإعلام الكبيرة والمحلية التي يثقون بها وفرصة لاستعادة ثقة الجمهور بوسائل الاعلام .

وفي استطلاع رأى الشارع الفلسطيني يرى الكثيرين أن هذا الوقت ليس مرحلة ملائمة للسبق الصحفي وأضاف البعض نحن نواجه العدو نفسه انه الوباء ولنجعل هذه فترة تضامن مع بعضنا البعض لتغطية جوانب متعددة لهذا الفيروس العالمي.

فيما يرى بعض الاعلاميين أن وسائل الاعلام لم تقم بدورها حتى اللحظة وتباطأت في العمل منذ بداية الأزمة مما زاد عدد الاصابات والوفيات في العالم وقللت من خطورة هذا الفيروس .

لأن وسائل الإعلام هذه لم تقم بدورها بعضها تناقلت أخباراً مضللة التي أوردت فكرة أن الفيروس التقطه شخص تناول حساء خفاش في الصين. وهذه المعلومات تناقلتها صحف صفراء عديدة تعيش على أخبار الإثارة والكذب والتظليل .

وهذا لا يمنع أن هناك وسائل إعلامية تعتبر جديرة بالثقة والاحترام ستستفيد من وراء التغطية لهذا الوباء عبر مضاعفة عدد اشتراكاتها الرقمية بسبب الدقة والموضوعية وشغف الجمهور للمتابعة لها .

حرية الإعلام ركيزة حرية الرأي والتعبير

ولأن مبدأ عدم التمييز فيه معنى شامل لاحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، التي هي إحدى أهم مقاصد النظام العالمي لحقوق الإنسان، فقد نهضت الأمم المتحدة بجهود كبيرة في تعزيزها جميعا باعتبارها الراعية للقانون الدولي لحقوق الإنسان، وبصفة خاصة حرية الإعلام محور مقالنا والتي تشكل ركيزة استندت عليها حريتا الرأي والتعبير اللتان تشكلان الركن الأساس لجميع حقوق الإنسان وحرياته العامة.، لقد أصدرت الأمم المتحدة عبر آلياتها المعنية عدة صكوك وقرارات وتوصيات وملاحظات تتعلق بتعزيز وحماية حرية الصحافة حري بنا أن نطلع عليه ونفهم مغزاها، لأنها تشكل في حاضرنا الهوية القانونية والقضائية التي تحمي حقوقنا عندما تنتهك ونطالب بالإنصاف. ومن أبرزها على سبيل المثال، نجد:

المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، تناولت حرية الرأي والتعبير " لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، .... وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود".

المادة 19 العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، تناولت، حرية الرأي والتعبير أيضا "...... لكل إنسان حق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود.

المسؤوليات الأخلاقية والقانونية الذاتية للصحفيين ووسائل الإعلام؟

لم تتقاعس وسائل الإعلام ولا الإعلاميون عن ابتكار وتطوير إطار مبادئ ومعايير عامة أخلاقية وسلوكية يلتزمون بها، أيا كانت طبيعة مسؤولياتهم ومهامهم التحريرية أو درجاتهم الوظيفية حتى يسترشدوا بها في كل الأوقات لتصون ممارستهم لمهنة الصحافة على المستويين الفردي والجماعي، وتمنع تعرضهم لتضارب المصالح، وتحد من مخاطر التأثير على ما



يتخذون من قرارات مهنية تتعلق بالإنتاج والنشر حول مختلف القضايا التي تهتم بها المؤسسة الإعلامية التي يعملون بها، ودون خوف أو محاباة تهدر كرامتهم، ورغم اختلاف مسميات تلك المبادئ والمعايير من إقليم إلى آخر، أو من ثقافة إلى أخرى، فإننا نجدها تصب في نفس الإطار، ولربما يقع على عاتق كل صحفية أو صحفي أن يستوعبها بدقة وأن تحرص كذلك كل وسائل الإعلام على تدريب صحافييها عليها ومناقشتها لإيجاد أفضل السبل لإعمالها وتذليل الصعوبات التي تعترض الصحفيين كأفراد ومجموعات على احترامها في كل الأوقات.

أولاً : يبرهن المشهد الثقافي العربي في عمومه على حالة هوية ثقافية مهددة بالتفتت والتشرذم بل والاختفاء ، فقيم المواطنة الحقيقية أصبحت مهددة على يد من يدعون إسلامية الأمة وتحقيق الخلافة ، فيقرون بأن الوطن " عفن " ويسعون إلي تحقيق أمة بلا حدود مكانية حتى وإن كان ذلك على سبيل تصعيد حالة الفوضى الراهنة ، وتفتيت الأوطان ، متأثرة في ذلك بما كتبه أبو الأعلى المودودي عن رفضه لفكرة الوطن والوطنية والقومية باعتبارها ضد فكرة " الأمة الإسلامية " التي لا تعرف الحدود القطرية ، فالحدود القطرية خلقها وصنعها الاستعمار الغربي وهو قول في حكمة حق ولكن يراد به باطل !! والأخطر إلي جانب التهديد في هوية قيم المواطنة وما يصاحبه من تهديد في هوية قيم الدين الإسلامي الحنيف وثوابته الرئيسية والتي قال عنها رسولنا الكريم محمد (ص) " من مات دون دينه فهو شهيد ، ومن مات دون وطنه فهو شهيد ، ومن مات دون عرضه وماله فهو شهيد " وقول أمير الشعراء أحمد شوقي في قيمة الوطن : وطني لو شغلت بالخلد عنه * نازعتني إليه في الخلد نفسي. ولكن يبدو أن الإسلام السياسي وأنصاره بشتى فصائلهم لا يعرفون للأوطان قيمة .

ثانياً : يبرهن المشهد الثقافي العربي في عمومه عن اهتزاز واضح بل ونزوع نحو الفشل في هوية قيم العمل والنجاحات الكبرى التي يسعى أبناء المجتمعات العربية إلي تحقيقها منذ عقود طويلة مضت وحمل لواءها وطنيون وقوميون ومثقفون واشتراكيون وشيوعيون ودعاة تحرر أملاً في تحقيق مشروع ديموقراطي قومي يضم كافة أطياف وثقافات الوطن العربي إلا أن جذور التخلف الكامنة في بعض نظم الحكم القبلية ، وسطوة وسيطرة الحزب السياسي الواحد لأمد طويل نت العقود الزمنية ، فضلاً عن حالات الفوضى التي سادت مؤخراً في العقد ونصف الماضيين 1990- 2014م ، وازدادت سطوتها في السنوات الثلاث الأخيرة 2011- 2014م قد تصدع معها كل ما أسهم به المشروع التنويري الثقافي من أجل رقي الإنسان العربي حضاريا علماً وعملاً وسلوكاً وقيماً ، وأصبحت سمات الفوضى والعبث أو الانزواء والتقوقع والتشرذم هي الأكثر تواجداً .

ثالثاً : دلل المشهد الثقافي العربي على أن هناك خطوطاً للتماس الإيجابي والسلبي معاً قد وجدت كامنة بحالة هوية الثقافة العربية لاسيما ما يمس منها القيم العليا والقواسم المشتركة في الأمن والحرية والتطبيق الديموقراطي ، واحترام وحب الحق في الحياة ، وعدم القتل وسفك الدماء وعدم السرقة ، وإعلاء قيم التضامن ، والعدل ، والمشاركة في العيش ، والرفاهية ، ومحاربة فقدان الأمل والإحباط ، وإعلاء قيم الصدق وعدم الكذب ، وعدم تبرير القتل والدماء والكذب تحت غطاء ديني ، والقضاء على الحقد والكراهية ، والإعلاء من قيم حقوق الإنسان وقيم المساواة ، والإعلاء من القيم الدينية والأخلاقية باعتبارها سلاحا الدفاع عن الصدق والتعاون والسلام وتحقيق العدالة بين الجميع .

رابعاً : برهنت الحالة الثورية التي تمثلت في ما حدث بداخل بلدان " ثورات الربيع العربي " أنه رغم التواصل الحضاري والثقافي عبر العصور وما يمثله هذا التواصل الآن من ثورة إلكترونية جديدة مستحدثة ( ) لا مثيل لها من قبل جاءت في الفيس بوك Face book والتويتر Twitter و الإيميلز E.mail إلا أن الخصوصيات الثقافية التي جبلت عليها بلدان الربيع العربي يجب أن تحترم رغم عولمة كثير من القيم من جانب المجتمعات الفاعلة ، في قيم الأمن والسلم والعدالة



والديموقراطية ، إلا أن خصوصية التطبيق على مجتمعات بعينها لازالت تعاني من تلوث في البيئة وشيوع الفقر ، وبيئة طبيعية وثقافية حاضنة للإرهاب والجريمة ، ففي ضوء هذا كيف يمكن تحقيق السلم العالمي ، وكيف يمكن تحقيق ما يسمى " بالشرعية الدولية " لتحقيق السلم والعدل والديموقراطية !؟ وعليه فقد حملت ثورات الربيع العربي أولى نتائج فشل سياسة النظام العالمي الجديد بزعامة المأسوف علي قوتها (ماما أمريكا) والتي تبنت تارة سياسة سرية وتارة سياسة علانية مع أعوانها للترويج لمخطط جغرافي جديد يقوم على تقسيم بلاد العرب ويعرف بمشروع " الشرق الأوسط الجديد " هدفه تحويل بلدان العرب إلي دويلات صغيرة مقسمة ومجزئة وتقسيم المجزأ منها .!؟

خامساً : أيقظت ثورات الربيع العربي حماس الشعوب - لا سياسيها – فقط بالعمل على القضاء ومحاربة كل أنواع وأشكال " التطرف والإرهاب " فأصبح إرهاب القتل والدم مرفوضاً شعبياً كم أصبح " تطرف " السلوك اليومي في المخالفات المرورية ومخالفات البناء والسلوك اللا أخلاقي في التحرش الجنسي ، كل هذا لم يعد مقبولاً كأنماط سلوكية هي في نظر الجماهير العريضة سلوكيات شاذة ومجرمة قانوناً . وأكدت ثورات الربيع العربي على مقولة أن " الإرهاب والتطرف الديني " لا وطن له ، فما يجري في بلدان الثورات العربية مؤخراً وقيام متشددين إسلاميين عرب وغربيين اعتنقوا فكراً إسلامياً متطرفاً لهو خير شاهد على هذا القول .

المراجع :

- الباحثة الاعلامية /فاطمة جبر العطاونه
- مواقع انترنت : شبكات اخبارية
- وزارة الاعلام الفلسطيني, وزارة الثقافة
- الاستعانة ببعض المواقع الاعلامية الدولية العالمية
- مقابلات شخصية مع مختصين بالإعلام والبيئة الرقمية
- أراء الشارع الفلسطيني عامة كعينة عشوائية
- 1- أريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران ، مراجعة لطفي فطيم ، نشر عالم المعرفة رقم 140 ، الكويت أغسطس 1989 م ص 72 .
- 2- أحمد أبوزيد ، موقفنا من التراث ، مجلة الهلال المصرية ، القاهرة ، مايو 1988 م .
- 3- سامي خشبة ، مجتمع المعرفة : استكشاف أولي ونظرة نقدية في _ نخبة من الكتاب ، مستقبل الثورة الرقمية ، العرب والتحدي القادم ، كتاب العربي ، رقم 55 ، وزارة الإعلام ، الكويت ، يناير 2004 م ، ص 73 .
- 4- أحمد أبو أبوزيد ، هوية الثقافة العربية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وزارة الثقافة المصرية القاهرة ، 2004 م ص 45 .
- 5- شاكر مصطفى سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، 1981 م.
- 6- مركز تأصيل
- 7- دور الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية بقلم:فيصل عبد الرؤوف فياض
- تاريخ النشر : 22-03-2014
- 8- مقالة " بقلم/فيصل عبد الرؤوف فياض"
- 9- الدكتور العاصمي خلال فعاليات المؤتمر الدولي للهوية الوطنية، الذي تنظمه جامعة شقراء تحت شعار "مستعدون للمستقبل ومشاركون في صناعته
- 10- تعزيز الهوية الوطنية للدكتور هشام صافي
- 11-"د. يوسف بن طراد السعدون"الاعتزاز بالهوية الوطنية.. و الإستراتيجية الثقافية :





- 12-الاعلام وصراع الهوية
- 13-الدكتور فهد بن عبد العزيز السنيدي أستاذ المذاهب المعاصرة بجامعة الملك سعود والإعلامي المعروف
- 14-هربرت شيلر مؤلف كتاب (وسائل الإعلام والإمبراطورية الأمريكية)
- 15-مصطفى حجازي في كتابه (حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية)
- 16-الدكتور عبد الرحمن عزي بروفيسور الإعلام" غياب المؤسسات الوسيطة الحاجزة بين المجتمع ووسائل الإعلام"
- 17- د. أحمد عبد الملك في لقاء أجري معه في مجلة الشقائق عدد"35 "
- 18-مؤتمر (الأسرة والإعلام وتحديات العصر) الذي عقد في جامعة القاهرة في شهر فبراير عام (2009م)
- 19-جريدة الوطن في عددها (696)
- 20- مجلة المستقبل (158)







مفهوم الهوية والعلاقة بين الهوية والثقافة

The concept of identityand the relationship between identity and culture

د. محمود موسى محمود زياد

أستاذ مساعد(غير متفرغ)/ جامعة القدس/ فلسطين

مشرف/ مديرية التربية والتعليم/ رام الله والبيرة

البريد الالكتروني: **mah8670@yahoo.com**

ملخص:

تهدف هذه الورقة التعرف إلى مفهوم الهوية ودلالاتها وارتباطها بالثقافة، فاللغة والثقافة تقعان في قلب ظاهرات الهوية، ولذلك سعت الورقة إلى محاولة الإجابة عن الإشكالية التالية: أليس لهذا المفهوم مقدمات تاريخية؟ وما الذي يميز مفهوم الهوية عن غيره من المفاهيم، ولماذا أخذ يغزو فروع العلوم الإنسانية ويترك آثاره في كل بحث وإجراء؟ لقد شكل مفهوم الهوية محور اهتمام العديد من الفلاسفة، إذ نجدها تشير إلى عدة معان ومفاهيم؛ فانعكس مفهوم الهوية في العلوم الإنسانية بشكل كبير وواضح، بحيث لم يترك مجالا علميا في العديد من التخصصات في الدراسات الإنسانية، رغم عدم توحدها في ذات الرؤية لتفسير ذات المفهوم بينها، وكان هذا التأثير واضحا من اهتمام المفكرين والباحثين على اختلاف قناعاتهم وتفسيرهم له. وقد استخدم المنهج التاريخي التحليلي المقارن، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. اهتم الباحثون والمفكرون والفلاسفة بمفهوم الهوية؛ لأنه يتميز بدلالاته اللغوية والفلسفية، والاجتماعية ووالنفسية والثقافية.
2. ارتبط في الفلسفة اليونانية بالناحية الأنطولوجية والبحث في معنى الوجود، وتحوله في الفلسفة الغربية الحديثة من معنى الوجود إلى الاهتمام بالذات أو مشكلة الهوية الشخصية.
3. تجاوزت الفلسفة الغربية المعاصرة المفهوم الديكارتي الذي يعترف بوجود جوهر كلي للإنسان كخاصية مستقلة لكل فرد بذاته لصالح مفهوم جماعي أو اجتماعي.
4. الثقافة من خصائص الإنسان الفكرية والحضارية، وهي عنصر من مكونات الهوية. فالثقافة، هي أداة تساعد في بلورة الهوية والتعبير عنها، فالهوية تقوى أو تتلاشى، بحسب قوة الثقافة أو ضعفها.

الكلمات المفتاحية:هوية، ثقافة، مفهوم، علاقة، دلالة، مصطلح، فلسفة.

Abstract:

This paper aims to identify the concept of identity and itsconnotations and its connection with culture. Language and culture are at the heart of identity phenomena. Therefore, the paper sought to try to answer the following problem:Does this concept not have historical introductions? What distinguishes the concept of identity from other concepts, and why did it invade the branches of the human sciences and leave its traces in every research and procedure?

The concept of identity has been the focus of attention of many philosophers, as we find it denotes several meanings and concepts. The concept of identity in the humanities was reflected in a large and clear way, so that it did







not leave a scientific field in many disciplines in human studies, despite its not being united in the same vision.The historical and analytical comparative method was used, and the study reached a set of results:

1. Researchers, thinkers and philosopherswereinterested in the concept of identity ;Becauseitisdistinguished by itslinguistic, philosophical, social, psychological and cultural connotations.
2. The concept of identity in Greek philosophywaslinked to the ontological aspect and the search for the meaning of existence, and Transformedin modern Western philosophyfrom the meaning of existence to an interest in the self or the problem of personalidentity.
3. Contemporary Western philosophy has gone beyond the Cartesian concept whichrecognizes the existence of a total essence of the humanbeing as an independentcharacteristic of eachindividual on hisown in favor of a collective or social concept.
4. Culture is one of the intellectual and cultural characteristics of the humanbeing, and itis a component of identity. Culture is a toolthathelps in crystallizing and expressingidentity. Identity strengthens or fades, depending on the strength or weakness of the culture.

Key Words:Identity, Culture, Concept, Relationship, Connotation, Concept, Philosophy.

مقدمة.

يعتبر مفهوم الهُوية "Identity" من المفاهيم المتداولة كثيرا من الباحثين في مختلف العلوم الإنسانية في العصر الراهن؛ وذلك لارتباطه بالتحولات العميقة التي شهدها العالم، وانفجار الصراعات والحروب في مناطق متفرقة منه، على خلفيات إثنيه، أو قومية، أو مذهبية، بالإضافة إلى العولمة ومضاعفاتها التي أدت إلى "إعادة النظر في التضاريس الثابتة للهوية وتعريضها لضغوطات الاختلاف، والتنوع الثقافي، وإنتاج هويات ذات طابع نسبي، أكثر تعددية، وأكثر تنوعا وتسييسا، وأقل ثباتا واتحادا(ستيورات هول، ربيع 2008، ص 66).

فانعكاس مفهوم الهوية في العلوم الإنسانية بشكل جليّ، رغم عدم الاتفاق بينها على ذات الرؤية لتفسير المفهوم؛ يؤكد، بصورة غير قابلة للتأويل، أن تزامن نشوء مفهوم الهوية وانتشاره فرض ذاته على تلك العلوم.

وَبالرغِمِ مِنْ الإِشكالِية الَّتي تُواجِهُ الباحِثين في تحديد مَاهيَّة هَذَا المفهوم، إلا أنَّهُ اصبح شائعا ومتداولا، وَهُنا أَتساءلُ ما المُشْكلات التي واجهت الباحثين في تَحدِيدِ هويَّةِ هّذا المفهوم، أقولُ: إنَّ المشكلة الرئيسية تكمن في غموض هَذَا المفهوم، وصعوبة تحديده، الأَمرُ الّذي دفعَ بعض الباحثين المتخصصين في البحث عن هذا الموضوع بالإقرارِ بَهذهِ الإشكالِيّة وَهنا نقفُ عَلى ما قاله إريك اريكسون"Erik Erikson" الذي أشار "إلى أن هذا المفهوم متعارف تماما ولكنه غامض، ولا يسبر له غور"(صامويل هنتغتون، 2006، ص 43).

الإشكالية



عِنْد تحليل مَفهوم الهوية لا بدّ لنا أنْ نستحضر الإسهامات المعرفية المتوسلة لمنهجيات العلوم الإنسانية، الّتي تقدم لنا إشارات مهمة تساعدنا في فهم هَذا المفهوم، فضلا عن ورود هذا المصطلح في حقل الفلسفة.ومن الملاحظ أن اتجاهات الهوية وانشغالاتها أصبحت متعددة، الأمر الذي جعل مصطلح الهوية مفهوما متغيرا. وفي ظل هذا التصور المتعدد للهوية يسعى الباحث إلى طرح الإشكالية التالية: أليس لهذا المفهوم مقدمات تاريخية؟ وما الذي يميز مفهوم الهوية عن غيره من المفاهيم، ولماذا أخذ يغزو فروع العلوم الإنسانية ويترك آثاره في كل بحث وإجراء؟

وللوصول إلى إجابة حول هذه الإشكالية سيتم طرح التساؤلات الآتية:

1. ما التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهومي الهوية والثقافة؟
2. كيف نظر الفلاسفة إلى الهوية عبر تاريخ الفلسفة؟
3. ما العلاقة التي تربط الهوية بالثقافة؟

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في أنه من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش؛ لما للدلالات الواسعة التي لا تقتصر على ذات المفهوم للهوية الإنسانية، فقط. بالإضافة إلى أهمية محاولة الوصول إلى إجابة عن التساؤلات التي تم طرحها في المقدمة، والتعرف على قيمة فكرة الهوية، ومكانتها عبر تاريخ الفلسفة، وعلاقة مفهوم الهوية بالثقافة ومدى ارتباط المفهومين بعضهما ببعض، حيث تعد الثقافة مركبا مهما من مركبات الهوية، وتشكل، كذلك، أداة للتعبير عن الهوية وصياغتها.

المنهج

أمَّا عَن مَنهَجِ البَحثِ، فَالمَنهَجُ الَّذي قَامتْ عَليهِ هَذِهِ الدِّراسَةُ، فهو منهج تاريخي تحليلي مقارن، فَقد تتبع الباحث هذا المفهوم عبر المراحل التاريخية المختلفة، وقام بتحليل هذه الآراء لإبراز هذا المفهوم وثم التعريج على بعض الاختلافات الفكرية في مسألة الهوية من خلال مقارنة الآراء.

المعنى اللغوي والدلالي لمفهوم الهوية

بعد البحث في معاجم اللغة العربية لم أجد هَذا المفهوم جليا واضحا فيها، فمعظم المعاجم تقتصرُ على شرح المعنى اللغوي للمفردة فقط، فالمعنى اللغوي لمصطلح الهوية يشتق من الضمير (هو). كما تعرف الهوية لغة بأنها "كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضافا إليه ياء النسبة، التي تشير إلى ماهية الشخص أو الشيء من حيث خصائصه ومميزاته التي يعرف بها. أي أن مصطلح "الهوية"، ويعني الشيء نفسه من حيث هو ذاته، أو هو الذي هو عليه من المواصفات والسمات التي جعلته معروفا ومتعينا على تلك الشاكلة"(عبد الرحيم الشيخ، 2013، ص 71). أما "مصطلح



الهوية المركب من تكرار (هو) فقد تم وضعه كإسم معرف بِ "أل"، ومعناه "الاتحاد بالذات". ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو؛ أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن غيره؛ فمفهوم الهوية يشكل وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى هذا الضمير في ذات الوقت، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها" (إبراهيم بن عمار، مارس 2019، ص 138).

ويشير محمد عابد الجابري إلى أن الهوية كلمة مولدة، اشتقها المترجمون القدامى من ال "هو" لينقلوا بواسطتها إلى العربية، كما يقول الفارابي: المعنى الذي تؤيده كلمة "هست" الفارسية، وكلمة "أستين" باليونانية، أي فعل الكينونة في اللغات الهندو أوروبية، الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة "الموجود" مكان ال "هو"، والوجود مكان ال "هوية" (الموسوعة العربية الفلسفية، 1988، ص 121).

الهوية في الاصطلاح

تعرف الهوية في المعجم الوسيط، فلسفيا أنها حقيقة الشيء أو الشخص، الذي تميزه عن غيره. وقد أورد المعجم الفلسفي أن للهوية عند العرب القدماء عدة معانٍ وهي: التشخيص، والتشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا: "ما به الشي هو باعتبار تحققه حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أكثر من هذا الاعتبار يسمى "هوية". وقد سمي ما به الشي هو ماهية إذا كان كلية كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيا (جميل صليبا، 1972، ص 529-532).

وقد تَعَدّدتْ التعريفات عِند الفلاسفة العرب القدماء فقَدْ عرّفها الفارابي (ت 339ه) بقوله: "هوية الشيء، عينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، الذي لا يقع فيه اشتراك" (جميل صليبا، 1972، ص 529). ويعرف الجرجاني(ت 471 ه) الهوية في كتابه التعريفات "أنها الحقيقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب، وهوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفضح عن ذات دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما ما زالت حية" (الشريف الجرجاني، 1987، ص 314). ويعرف ابن رشد (ت 595 ه) الهوية ضمن هذا الإطار المنطقي، الذي يبدو أنه نقله عن اليونانية كما يفهم من النص: "الهوية تُقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الوجود، ومشتقة من الهوية كما تشتق الإنسانية من الإنسان، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين، وأنهم رأوا أنه أقل تغليطا من اسم الوجود إذا كان شكله شكل اسم مشتق" (مجدي عبد الحافظ، 1998، ص 36).

وَبالنَّظَرِ إلى تعريفاتِ القُدماء للهويّة كالجرجاني والفارابي وابن رشد نرى أنَّ المَعنى العام لَهَذا المفهوم يدور حولَ الوُجود وَلكّن السؤال الّذي يُطرحُ كيفَ تَناوَل المحدثون هَذا المفهوم؟

أقولُ: إنَّ تعريفات الباحثين المحدثين والفلاسفة للهوية تقترب إلى حَدٍ قريب من تعريفات الفلاسفة القدماء. فيرى مراد وهبة أن مفهوم الهوية يرتبط بعدة مستويات، بعضها فلسفي عادي يرى في الهوية مجرد وعي عقلي بالتفرد عن الأغيار (مراد وهبة، 1979، ص 383)، أو أنها تعني الشيء وتشخصه وخصوصيته وتفرد وجوده، وبعضها مغرق في

الخيال ويدرس الهوية من جهة علاقتها بالوجود الجزئي الخارجي للمحسوسات المادية في هذا الكون مراد وهبة، 1979، ص 460).

فالهوية تُعرّف، بشكل عام، على أنها "وعي للذات والمصير التاريخي الواحد، من موقع الحيز المادي والروحي الذي نشغله في البنية الاجتماعية، وبفعل السمات والمصالح المشتركة التي تحدد توجهات الناس وأهدافهم لأنفسهم ولغيرهم، وتدفعهم للعمل معا على تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعهم وموقعهم في التاريخ" (حليم بركات، 2000، ص 62) كما إن الهوية، هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام. (حليم بركات، 2000، ص 62)

ويدور مفهوم الهوية عند علماء الاجتماع، بأنها: مجموعة من الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وتميزه عن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى. هذه الخصائص أو الميزات الجمعية التي لا تكون صدفة أو بقرار في لحظة تاريخية، بل تتجمع عناصرها وتطبعالجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي)، وتعبيرات خارجية شائعة مثل: الرموز والعادات والتقاليد واللهجة واللغة (إبراهيم أبراش، 2004، ص136).

وبذا، يمكن القول: إن الهوية ليست شيئا واضحا وملموسا يمكننا فهمه وتعريفه بصفات واضحة ومحددة؛ لأن هناك العديد من التعريفات المختلفة بحسب النظريات، ووجهات النظر المتعددة. وبشكل عام يمكننا القول: إن الهوية هي كيف يعرف الفرد ذاته؟ ولكن لا يمكن تعريف الذات في فراغ، بل يجب أن ينسب الإنسان نفسه لما يحيط به، أي بالنسبة إلى باقي العالم، وبشكل خاص إلى باقي بني الإنسان.

نشأة مفهوم الهوية

يتميز مفهوم الهوية بأن له دلالته اللغوية، واستخداماته الفلسفية، والاجتماعية، والنفسية، والثقافية، فقد استخدم في أنحاء شتى، للتدليل على الهوية الفردية، وهوية الأنا، وهوية الآخر، وبالتالي الهوية الجماعية، ما دفع الكثير من الفلاسفة للاهتمام بهذا المفهوم، وتخصيص مكانة خاصة له في مؤلفاتهم. فمصطلح الهوية له جذوره التاريخية الموغلة في القدم، التي يعود استخدامها إلى الأصول الأولى للفكر.

مفهوم الهوية في الفلسفة اليونانية

إنّ من أبرز المشكلات التي اهتمّ بها الفلاسفة اليونانيون، مشكلة الوجود والماهية، لِذَا نلاحظ ارتباط مفهوم الهويَّة بعدة مفاهيممن الناحية الأنطولوجية، كأصل الوجود،والعلاقة بين الوجود والماهية، ولعل أبرز من اهتم بمشكلة الوجود من الفلاسفة هرقليطس"Heraclitus" الذي اعتبر أن جوهر الهوية في وحدة الأضداد واللوغوس، فهو لا يفرق بين الذات والموضوع، أي الذات العارفة والموضوع المدرك(عبد الرحمن بدوي، 1979، ص 140).

وقد ذهب بارمنيدس "Parmenides" إلى اعتبار الهوية وحدة الوجود والفكر، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في حوار دار بينه وبين سقراط عندما سأله سقراط: وماذا يمنعه أن يبقى واحدا يا بارمنيدس؟ فيرد بارمنيدس قائلا: إن في هذه الحالة يبقى واحدا وهو هو، ويكون كذلك حاضرا كله معا في أشياء متكثرة ومنفصلة... لن يكون إذا تصورناه على الأقل، على نحو ما يكون نور النهار الذي هو واحد، وفي هوية مع ذاته (أفلاطون، 2002، ص 18-19).

وتبرز الهوية عند أفلاطون (ت347 قبل الميلاد) "Platon" في معالجته لمسألة الذاتية والغيرية، والتصادم الحاصل بينهما، إذ يجب في رأيه أن نميز بين هويتين: هوية الواحد، وهوية الآخر، المختلف عن الواحد، والمقابل له(مصطفى النشار، 2016، ص 11).

وتظهرالهوية عند أرسطو"Aristotle"(ت 322 قبل الميلاد) في قانون الذاتية (الهوية)، الذي قانون بديهي يتضمن صدقه بالضرورة (ضرورة عقلية)، ومعناه أن الشيء هو هو ذاته، ولن يكون شيئا آخر غير ذاته، وذلك مهما طرأ عليه من ضروب التغير والتبدل، وبذلك فهو يعبر عن ثبات الحقيقة أو ثبات جوهر الأشياء (مهدي فضل الله، 1985، ص 87).

الهوية في الفلسفة الاسلامية

تأثر الفلاسفة المسلمون بالتراث اليوناني، وبخاصة في فكرة الوجود والماهية، فعالجوا مسألة الوجود، وأصبح السؤال عن الماهية هو السائد على العقل الإسلامي، ويعتبر الكندي أول الفلاسفة الذين عنوا بفكرة الوجود؛ حيث استخدم لفظ الهوية بمعنى تهوية، وهذا بين في قوله: "فالواحد الحق الذي ليست وحدته شيئا غير هويته" (الكندي، 1950، ص 23). أما الفارابي، فيعرف الهوية بقوله: "هوية الشيء وعينيته، وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له... وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك، الحد المفهومي (الفارابي، 1992، ص21). في حين يرى ابن رشد "أن الهوية مرتبطة بالوجود فيقول: إن الله عاقل ومعقول معا، ووجوده عين وحدته، إذ الوجود فيه عين الذات وهويتها" (الفارابي، د. ت، ص 114).

الهوية في الفلسفة الحديثة

حظيت مشكلة الهوية باهتمام فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث تحددت المسألة وبدأت تقترب بما يشغل العلوم الإنسانية والاجتماعية حاليا. فقد طرأ تحول في الفلسفة الحديثة على مفهوم الهوية من معناه السائد في الفلسفة اليونانية والإسلامية، أي من معنى الوجود إلى الدلالة على الذات، أي تحول المعنى من مفهوم الشيء المفكر إلى عبارة "الأنا أفكر". وهذا ما نجده يتجلى بصفة عامة في فلسفة ديكارت "Rene Descartes"(1596 - 1650) الذي يعد واحدا من الشخصيات الأساسية التي أعطت هذا المفهوم صياغته الأولى. فقد افترض ديكارت وجود جوهرين متمايزين: الجوهر الفضائي (المادة)(Spatial substance) والجوهر المفكرThinking substance)(، وفي المركز من الفكر وضع الذات الفردية التي تتألف من قدرتها على التعقل والتفكير، فشكلت عبارة " أنا أفكر" وبصفة خاصة في الكوجيتو



"Cogito"، حيث يؤكد ديكارت أن الفكر هو أساس هوية الشخص؛ لأنه الشيء الوحيد الذي لا يتخلله الشك، حيث يعرض في التأمل الأول الأشياء التي يمكن أن توضع موضع الشك، وهي، في رأيه، "أن نرفض كل آرائنا القديمة مرة في حياتنا" (رينيه ديكارت، 1988، ص 25). وكذلك شكه في الحواس وأنه، كما يقول: "من الحكمة ألا نطمئن أبدا كل الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو مرة واحدة" (رينيه ديكارت، 1988، ص 26). أما في التأمل الثاني فديكارت يسعى إلى إثبات هوية الأنا المفكر من خلال حديثه عن أفعال لا تنفصل عن الهوية الإنسانية: كالتصور، الخيال، الشك، الوعي... الخ. التي تمثل أساس وجود الإنسان، وتعبر عن هويته.فما دام الإنسان يفكر فهو موجود، وإذا توقف عن التفكير، توقف عن الوجود. وهذا ما لخصه في عبارته الشهيرة: "أنا اشك، أنا أفكر، إذن أنا موجود". وبما أنه يمارس عملية الشك، فإنه يفكر، وبما أنه يفكر فهو إذن يثبت وجوده (مجدي كامل، 2013، ص13). ومنذ ذلك الحين أصبح هذا المفهوم الذات العقلانية الواعية والمتأملة، التي تقع في مركز المعرفة مرادفا "للذات الديكارتية"(ستيوارت هول، 2008، ص 144). فديكارت يعتبر العقل والتفكير هما هوية الشخص باعتبارهما سمتان خاصتان بالإنسان.

أما جون لوك"John Locke" فرفض اعتبار أن العقل هو المحدد الوحيد لهوية الإنسان؛ حيث رأى أن الهوية تتشكل من التجربة والحواس؛ لأن الإنسان يولد مثله مثل صفحة بيضاء، تشكله الممارسة والاكتسابات اليومية وترسمه من التجربة التي تشكل الهوية الحقيقيةللإنسان (حميد الرباع، 2009، https://bit.ly/36soUBN).

الفلسفة الغربية المعاصرة

يكاد يتفق الباحثون على أن إريك إريكسون "Erik Erikson" هو أب كلمة الهوية بالمعنى المعاصر. فقد تأثر إريكسون بالأعمال الانتربولوجية للمدرسة "الثقافوية الشخصية في الولايات المتحدة الأمريكية، وحاول تجاوز نظرية فرويد، من خلال التأكيد أكثر على دور التفاعلات الاجتماعية في بناء الشخصية، معتبرا أن الهوية الشخصية تتطور طوال وجودها عبر ثمانية مراحل تقابلها ثمانية أعمار في دورة الحياة. وأزمة الهوية، المفهوم الذي صاغه أريكسون، تتطابق مع تحول يقع في مسيرة تطور الهوية (ستيوارت هول، 2008، ص 149- 150). فإريكسون يعرف "هوية الأنا" بأنها: "حالة نفسية داخلية تتضمن إحساس الفرد بالفردية والوحدة والتآلف الداخلية، والتماثل والاستمرارية، ممثلا في إحساس الفرد بارتباطه بماضيه وحاضره ومستقبله، وأخيرا الإحساس بالتماسك الاجتماعي ممثلا في الارتباط بالمثل الاجتماعية والشعور بالدعم الاجتماعي الناتج عن هذا الارتباط" (محمد بن سلمان البلوى، 1423هـ ، ص 5-6).

أما الفيلسوف دافيد هيوم"David Hume" فيعتبر الهوية الشخصية وهم، أي أنها لا تتفق مع معنى التغير؛ لأن معظم الأشياء، والموجودات الإنسانية تتغير مع الزمان، ونحن يمكن أن نضع، أو نحدد لهم الهوية بمعنى غير مناسب عن طريق عملية التخيل، وتوصف الهوية دائما عن طريق التخيل في ادعاء الوجود المستمر لمدركات حواسنا، واستبعاد الانقطاع، ويصل إلى معنى النفس، والذات، والجوهر، ويختفي التباين، بهذا تعد الهوية تخيلا تماما، فعندما أغوص فيما أسميه نفسي فإنني أعثر دائما على بعض من إدراك جزء أو آخر عن الحب، الكراهية، الألم، السعادة (جورج لارين،



2002، ص 248). وهذه التصورات في رأيه تهدف إلى القضاء على الفهم الجامع للإنسان، حيث نجده يفترض أنه لا يمكننا معرفة هذا الأخير بالاعتماد على ذاته بل من خلال مختلف علاقاته، وتفاعلاته بذاته، وبالآخر، وبالعالم، وبالوجود، وبالطبيعة (مصطفى بن تمسك، 2014، ص 13-14).

الهوية في الفكر العربي المعاصر

تسرب مفهوم الهوية إلى الفكر العربي المعاصر على الأخص في نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، حيث نجد أن الكثير من الفلاسفة اهتموا بفكرة الهوية، ومن الذين اهتموا بفكرة الهوية عبد الله العروي، الذي اعتبر أن وعي الذات ليس، في الأساس، إلا وعيا للغرب، وكذلك وعيا للماضي، وأن العرب في تعريفهم للهوية يربطونها بالتاريخ القومي، واستمراريته، فهو يقول: "حينما ينعدم الشعور العفوي المباشر بالذات فيلجأ الناس مضطرين إلى الماضي ليؤكد لهم هويتهم... فتصبح مرادفة للاستمرارية التاريخية، فهويتنا هي ما خلفه أسلافنا"عبد الله العروي، 1999، ص 97). وهذا يعني أن العروي يربط الهوية بالتراث العربي، ومنه فإن التراث، والهوية بينهما ترابط وثيق. فالتراث هو أساس تكوين الهوية؛ لأن "التراث والهوية، عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية"عبد العزيز بن عثمان التويجي، 2011،ص 20).

أما حسن حنفي فالهوية، في نظره، خاصة بالإنسان، والمجتمع، ويجعل منها موضوعا إنسانيا خالصا، فالإنسان في غياب هويته يشعر بالاغتراب. ويربط حنفي الهوية بالحرية، بقوله: "الهوية تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية، والهوية إمكانية قد توجد ولا توجد، وإن وجدت فالوجود الذاتي، وان غابت فالاغتراب"(حسن حنفي، 2012، ص 11).فالإنسان الواحد في نظره ينقسم إلى: هوية وغيرية، فالهوية في أن يكون الإنسان هو نفسه، والاغتراب هو أن يكون ليس هو نفسه.

الثقافة

نشأ هذا المصطلح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، للتعبير عن جوانب التشابه والتنوع في سلوك البشر باختلاف أنماط حياتهم الاجتماعية واختلاف مجتمعاتهم. فالثقافة والمجتمع متلازمان، فعندما كون الإنسان المجتمع ابتدع الثقافة؛ لتنظيم حياته وعلاقاته بوصفها معايير للعقل والسلوك تميز الإنسان عن غيره من الكائنات. .(HavillandWilliam A., 2002, p 33)وقد اكتسبت دراسة الثقافة والعوامل المؤثرة فيها، وتباينها أهمية كبرى في ميادين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وتزايد الاهتمام بها خاصة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين؛ سعيا لمزيد من فهم علاقات التقارب والتباعد بين المجتمعات المختلفة؛ حيث تباينت وتنوعت تعريفات مفهوم الثقافة في النصف الثاني من القرن العشرين بعد أن كان هناك اتفاق شبه تام بينهم على الأخذ بأقدم تعريفاتها وهو تعريف تايلور.

مفهوم الثقافة لغويا:

يحمل مفهوم الثقافة عدة تعريفات ومفاهيم، ولاقى تطورا على مر الزمن. وترتبط الثقافة في اللغة العربية بالذكاء والفطنة فمعنى ثقفتُ الشيء، حذقته وظفرت به، ورجل ثقف أي حاذق فطن، أما تثقيف الرماح فيعني تسويتها. وثقف الإنسان أدبه وهذبه وعلمه. ويرتبط الفعل "ثقف" بدلالات ومعانٍ أخرى قد تضيء فهمنا لهذه الدلالة الرئيسة، ومن ذلك ارتباطه بإدراك الشخص أو الشيء أو إصابته والظفر به، أو صقله وتسويته (أحمد بن فارس، ص 382-383)، حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: "ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقيلا" (الأحزاب، الآية 61)، وقوله: "واقتلوهم حيث ثقفوهم" (البقرة، الآية 191 - والنساء، الآية 91).

مفهوم الثقافة اصطلاحا:

تشير كلمة "ثقافة" كما هو مشهور في اللغة العربية إلى الفطنة والتهذيب والتمكن من العلم، وتعني أيضا العلوم التي يجب أن يطلب العلم بها (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 98). وفي اللغة الإنجليزية "Culture" وتعني تطوير الفكر والأحاسيس والاهتمامات والذوق وتحسينها أو تهذيبها، وكذلك الأفكار والمبادئ والمهارات والفنون، التي تميز شعبا أو مجموعة في فترة حضارية معينة، وهي الناس أو المجموعة المعينة التي تمتلك مثل هذه الأفكار أو المبادئ (Michael Agnes, 2000 –2001, P353).

ووضع العديد من علماء علم الاجتماع تعريفا للثقافة،لكن الأنثروبولوجي البريطاني إدوارد تايلور "Edward Tylor"عرفها بقوله: "الثقافة هي ذلك الكل المركب، الذي يشتمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من القدرات والعادات، التييكتسبهاالإنسانبوصفهعضوافيمجتمع"(Conrad Phillip.Kottack, 2004, p 85)

اعتبر إدوارد سعيد الثقافة فكرة ترتبط ارتباطا عضويا بالحرية، فهي فكرة حرة، لكن هذه الحرية ليست حرية بالمطلق؛ لأن ثمة ضوابط داخلية مقيدة للكتاب والمفكرين(إدوارد سعيد، 1978، ص 49). وطور إدوارد سعيد مفهوم الثقافة والمثقف ضمن المفهوم الشامل للإنسان، وجاء هذا من إيمانه أن الإنسان كائن فاعل، ومنتج للثقافة وعليه تفعيلها في المجتمع وحمل أعبائها، واقترب برؤيته للثقافة من مرادفتها في الإنجليزية "Culture" (شاهين، 2005، ص 103).فالمثقف، عند سعيد، يجب أن يتميز بالانفتاح الذهني، الذي يعبر عنه بالكونية، للخروج من الثوابت التي تميزنا منذ الولادة كاللغة والقومية، هذه الكونية يحتاجها المثقف ليتمكن من الاطلاع على واقع الآخرين، ليخرج من الانغلاق، ويحافظ على استقلالية نسبية في عرض آرائه ما بين الموافقة والرفض لمواقف معينة (شاهين، 2005، ص102).

ويمكن الاستنتاج أن المثقف يجب أن يتحلى بمعرفة متنوعة واسعة، فيكون منفتحا ذهنيا قادرا على إنتاج رأي أكثر عقلانية وواقعية، وبلورة فكر يساعد من حوله على تحديد خياراتهم ومساراتهم.

الهوية وعلاقتها بالثقافة



تعد العلاقة بين الهوية والثقافة من الإشكاليات الحديثة في التداول الفكري الإنساني، إذ لا تخلو ثقافة من الثقافات المكونة للنسيج الإنساني على وجه البسيطة، من سؤال الهوية، وتنامي هذا الحرص مع بروز العولمة الثقافية، التي سعت لمحو الثقافات الخاصة، والهوية الثقافية التي تُظهر الخاص والوحيد في البلد (محمد جبرون، 2013، ص 49). فالثقافة كنسق اجتماعي عام يتكون من جملة من المعايير التي تحكم رؤية الإنسان للواقع، وهي مجموعة القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط التي تبدع وتنظم الدلالات العقلية والروحية والحسية.

فللهوية ارتباط وثيق بالثقافة، فهي تعرف بأنها ما أنتجه الإنسان من فكر وعلم وفن وأدب ونظم وعادات وقيم وأدوات وأساليب ووسائل تمثل الثقافة الشعبية، الذي توارثته الأجيال بشتى الطرق، ويعكسها الفرد من خلال التراث الشعبي، والأمثال والزي المشترك التقليدي، والأكل الخاص وحكايات الماضي. وهذا يدل على الارتباط العضوي بين الثقافة والهوية، المعبر عنها بكل ما له علاقة بثقافة المجتمع (شريف كناعنة، عكا، 2001، ص 253). الهوية ترتبط بثقافة المجتمع، لأن الهوية تعبير عن الثقافة المشتركة بين أفراد مجتمع معين. فاللغة والثقافة تقعان في قلب ظاهرات الهوية، فتتحدد الهوية بصفتها مجموع قوائم السلوك، واللغة والثقافة اللتان تسمحان لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها(جان بيير فارنيي، 2003، ص 14).

إن الثقافة هي المنظم للإحساس بهوية كلية للمجتمع نابعة من ثقافته، فالهوية جزء عضوي من فكرة الثقافة، وتقتضي وجود التراث الروحي والمادي والانتماء إلى ثقافة معينة، ووجود الشخصية الاجتماعية المحببة واللغة الواحدة، والتقاليد المتشابهة ومنظومة القيم الروحية. فكل مجتمع يمتلك هوية ثقافية خاصة به تتقارب في المعنى مع الهوية القومية حيث إن: "المقصود بهوية ثقافية جماعية هو تلك الأحاسيس والقيم المتعلقة بإحساس بالاستمرارية، والذكريات المشتركة وشعور بوحدة المصير يجمع بين فئة من الناس لها تجارب وسمات ثقافية مشتركة" (أنتوني سميث، 2000، ص 171).

فالهوية الثقافية، بحسب ما تبنته منظمة اليونسكو، تعني أولا، أننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك، أيضا، الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي نظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر، بطريقة إيجابية أو سلبية، الطريقة التي ننتسب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة (حمدي المحروقي، 2004، ص 164).أما مسؤولية الهوية فهي مسؤولية مجتمعية ثقافية نخبوية؛ لأن الهوية الوطنية الحضارية تتطلب الحفاظ على الجوهري في التاريخ والتراث والثقافة؛ لتحافظ عليها في ظل الانفتاح والتفاعل الإيجابي لبلورتها ضمن إطار المتغيرات في العالم المعاصر، ما يوضح أنه لا يمكن البناء على تشوهات في الهوية ورواسب التراث السلبية، (الخوري، 2015).

تعني العلاقة بين الهوية والثقافة، علاقة الذات بالإنتاج الثقافي، فلا يتم إنتاج ثقافي في غياب ذات مفكرة، وفي الوقت ذاته، يمكن القول: إن العلاقة بين المصطلحين هي علاقة مركبة، فمعرفة حدود الذات، وتحديد ماهية الهوية



يحتاج إلى أدوات أهمها الثقافة. ولذلك نجد أن الثقافة من خصائص الإنسان الفكرية والحضارية، وهي عنصر من مكونات الهوية. فالثقافة، هي أداة تساعد في بلورة الهوية والتعبير عنها، فالهوية تقوى أو تتلاشى، بحسب قوة الثقافة أو ضعفها.

فالهوية الثقافية، هي الخصائص والميزات الفكرية والاجتماعية والتاريخية، التي تنفرد بها ثقافة مجموعة بشرية ما، وتتميز عن غيرها من الثقافات، وتقاس قوتها بتعددية العناصر التي تندرج فيها. وهي الثقافة الغالبة للمجتمع أو الجماعة في لحظة تاريخية معينة، وهي تعبيرعن الخطر المشترك، أو الدين، أو الأفكار الخاصة عن العالم، أو أي صفات عامة أخرى متفق عليها فيما بين الجماعة. وتعتبر الهوية الثقافية "الرمز أو القاسم المشترك والنمط الذي يميز فردا أو مجموعة من الأفراد أو شعبا من الشعوب عن غيره" (عيد، 2000: 67).

وبناء على ما سبق، يمكن استنتاج عناصر الهوية الثقافية كالآتي:

أ. التاريخ الخاص، الذي يتمثل في مراحل تاريخية مختلفة ذات أبعاد وتأثيرات على المجموعة.

ب. التجربة الحياتية المختلفة كالعادات والتقاليد الاجتماعية، والديانات، والظروف المختلفة

ت. اللغة والرموز، وهي اللغة المتداولة بين أبناء الهوية المشتركة، إذ لا غنى عن اللغة للتمكن من الثقافة؛؛ حيث لها دور مهم في انتماء الفرد لثقافة معينة. أما الرموز فهي التي تجمعهم وتمثلهم، ويمكن أن تنتج من موقع جغرافي مميز، مثل: نصب، رمز لحدث مهم، منتوج مميز لمنطقةما.

ث. الإرث الأدبي والفني والعلمي، كنتاج بارز في الحقول المعرفية الأدبية، والفنية والعلمية، لهسماته الخاصة بحيث يلعب دورا ويمثل الهوية الثقافية للمجموعة.

الخاتمة

يعتبر مفهوم الهوية هو من أكثر المفاهيم الخلافية بين الباحثين، فهو أحد أهم الإشكالات التي واجهها الفكر المعاصر؛ بسبب الصعوبات التي يثيرها هذا المفهوم، وكثرة الاعتبارات التي يجب مراعاتها عند التطرق لهذا الأمر، واختلاف مرجعية من يتناول هذا الموضوع، سواء من الناحية السياسية، أو الاجتماعية، أو الطائفية، أو النفسية، أو الفلسفية، وربما اختلاف الظروف السياسية، والاجتماعية من مرحلة تاريخية إلى أخرى.

أهم النتائج:

1. اهتم الباحثون والمفكرون والفلاسفة بمفهوم الهوية؛ لأنه يتميز بدلالاته اللغوية والفلسفية، والاجتماعية ووالنفسية والثقافية.

2. كما تنوعت دلالات مفهوم الهوية عبر التاريخ، فنلاحظ:





3. أنه ارتبط في الفلسفة اليونانية بالناحية الأنطولوجية والبحث في معنى الوجود.

أ- تحول هذا المفهوم في الفلسفة الغربية الحديثة من معنى الوجود إلى الاهتمام بالذات أو مشكلة الهوية الشخصية.

ب- تأثر الفلاسفة المسلمون بالتراث اليوناني وبخاصة فكرة الوجود والماهية عند الحديث عن الهوية.

ت- تجاوزت الفلسفة الغربية المعاصرة المفهوم الديكارتي الذي يعترف بوجود جوهر كلي للإنسان كخاصية مستقلة لكل فرد بذاته لصالح مفهوم جماعي أو اجتماعي.

ث- اهتم المفكرون العرب المعاصرون بمفهوم الهوية التي تسربت إليهم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فتنوعت وجهات نظرهم في تعريف مفهوم الهوية.

4. ارتبطت الثقافة بمعطيات العقل الإنساني المتجدد بصورة جعلت مفهوم الثقافة وماهيتها يضيق ويتسع في محاولات للإلمام بهذه المعطيات.

5. اختلاط مفهوم الثقافة بمفهوم الحضارة في جزء من الفكر الغربي خاصة الفكر الألماني.

6. الثقافة من خصائص الإنسان الفكرية والحضارية، وهي عنصر من مكونات الهوية. فالثقافة، هي أداة تساعد في بلورة الهوية والتعبير عنها، فالهوية تقوى أو تتلاشى، بحسب قوة الثقافة أو ضعفها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم أبراش(2004) "مسألة الهوية في الدستور الفلسطيني"، في، نادر سعيد (محررا)، الدستور الفلسطيني ومتطلبات التنمية البشرية، أبحاث وأوراق عمل، جامعة بيرزيت، فلسطين.
- إبراهيم بن عمار(2019)، "دور الميراث الثقافي في ترسيخ الهوية الوطنية للفرد الجزائري زمن العولمة"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 51.
- أحمد بن فارس (1979)، معجم مقاييس اللغة، الجزء السادس، تحقيق وضبط، عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،.
- إدوارد سعيد(1978)، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.
- أفلاطون (2002)، محاورة بارمنيدس، ط1، تجمة، حبيب الشاروني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،.
- أنتوني سميث (2000)، "نحو ثقافة عالمية" في، مايك فيذرستون (محررا)، ثقافة العولمة، المشروع القومي للترجمة، العدد 132، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة.
- جان بيير فارنيي(2003)، عولمة الثقافة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- جميل صليبا(1972)، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت.



- جورج لارين (2002)، الإيديولوجيا والهوية الثقافية: الحداثة وحضور العالم الثالث،ط 2،ترجمة: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- حسن حنفي (2012)، الهوية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- حليم بركات (2000)، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- حمدي المحروقي (2004)، دور التربية في مواجهة تحديات العولمة على الهوية، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، عدد 7، القاهرة، مركز تطوير التعليم الجامعي.
- رينيه ديكارت (1988)، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ط4، ترجمة كمال الحاج، عويدات للنشر والطباعة، بيروت.
- ستيورات هول (2008)، "حول الهوية الثقافية"، ترجمة بول طبر، إضافات، العدد الثاني.
- الشريف الجرجاني (1987)، التعريفات، ط1، دار عالم الكتب، بيروت.
- شريف كناعنة (2001)، من نسي قديمه تاه دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية،مؤسسة الأسوار، عكا.
- صامويل هنتغتون (2006)، أمريكا: أنا والآخر، من نحن ؟ الجدل الكبير في أمريكا، ترجمة، عثمان المثلوني، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي.
- عبد الله العروي (1999)، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، ط 5، دار القلم، بيروت، 1979.
- عبد الرحيم الشيخ (2013)، الهوية الثقافية الفلسطينية، سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)، مسارات، فلسطين.
- الفارابي (1992)، الأعمال الفلسفية، كتاب التعليقات، تحقيق، جعفر آل ياسين، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت.
- الفارابي (د. ت)، كتاب الحروف، علق عليه، محسن مهدي، دار المشرق، بيروت.
- الكندي (1950)، في الفلسفة الأولى، رسائل الكندي الفلسفية، ط2، تقديم، محمد أبو ريدة، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- مجدي كامل (2013)، ديكارت حياته، فلسفته، أفكاره ومبادئه، ط،1 دار الكتاب العربي، القاهرة.
- مجمع اللغة العربية (2004)، المعجم الوسيط، الطبعة 4، مكتبة الشروق الدولية.
- محمد بن سلمان البلوي (1423 ه)، تشكل هوية الأنا والمسئولية الاجتماعية لدى عينة من طلاب التخصصات والمستويات المختلفة بجامعة أم القرى.، رسالةماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.
- محمد جبرون (2013)، اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- محمد شاهين (2005)، إدوارد سعيد رواية الأجيال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مراد وهبة (1979)، المعجم الفلسفي، ط 3، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.
- مصطفى بن تمسك (2014)، أصول الهوية الحديثة وعللها مقاربة تشارلز تايلور نموذج، بيروت.
- مهدي فضل الله (1985)، مدخل إلى علم المنطق، المنطق التقليدي، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- الموسوعة العربية الفلسفية (1988)، تحرير، معن زيادة، المجلد الأول، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت.
- المراجع باللغة الانجليزية
- Conrad Phillip Kottack, (2004) Cultural Anthropology, 10th ed, Mc Graw Hill, New York.
- Havilland, William A. (2002), Cultural anthropology, Wad worth, Australia& U.S.A., 10th ed.n.
- Michael Agnes (ed), (2000 –2001) Webster's New World Collegedictionary, 4th ed.n IDG Books Worldwide Inc.
- المواقع الالكترونية
- حميد الرباع "نموذج تحليل نص الذات المفكرة لديكارت"، الفلاسفة، 2009، في: https://bit.ly/36soUBN شوهد في: 2020/11/28



- مصطفى النشار، "جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة الهلينية" مؤمنون بلا حدود، 2016، ص 11، في: https://bit.ly/36skdYL شوهد في:2020/11/30.

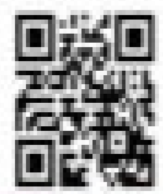
المركز الديمقراطي العربي

Map of the cultural adaptation of Arab society between originality and contemporary

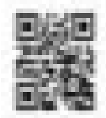
Proceedings of the international conference

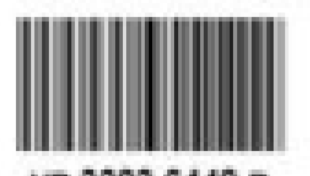
16/17 January 2021
By Zoom App (Video Communications)

خارطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي

DEMOCRATIC ARABIC CENTER
Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
TEL: 0049-CODE
030-89005468/030- 89899419/030-57348845
MOBILTELEFON: 0049174278717





VR.3383.6448.B